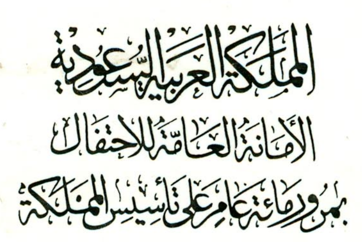








منحة القريب المجيب
في الرد على عباد الصليب

تأليف

الشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن مُعَمَّر

١٢٠٣-١٢٤٤هـ

تحقيق

الدكتور محمّد بن عبد الله بن حمد السّكاكر

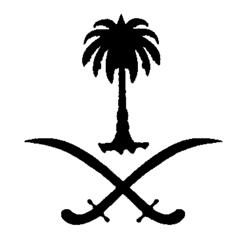
هذا الكتاب سبق طبعه على نفقة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

وأعيد طبعه بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م







منحة القريب المجيب
في الرد على عباد الصليب

تأليف
الشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر ين مُعَمَّر
١٢٠٣-١٢٤٤هـ

تحقيق
الدكتور محمّد بن عبد الله بن حمد السّكاكر

المجلد الأول

هذا الكتاب سبق طبعه على نفقة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود
وأعيد طبعه بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز

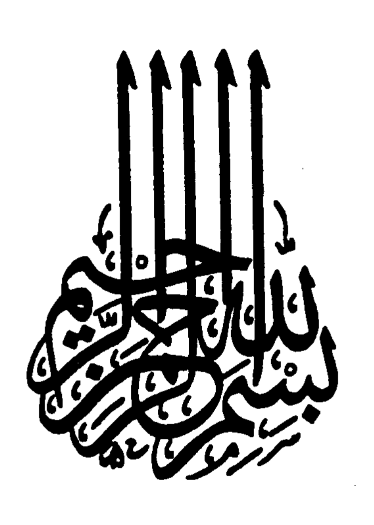
١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

ⓒ الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس
المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
ابن معمر ، عبد العزيز بن حمد بن ناصر
منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب / تحقيق محمد بن عبدالله بن حمد
السكاكر.- الرياض
٤١٦ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك : ٤-٤٩-٦٦٠-٩٩٦٠ (مجموعة)
٨-٥٠-٦٦٠-٩٩٦٠ (ج ١)
١ - الإسلام والمسيحية ٢ - الإسلام - دفع مطاعن ٣ - الديانات المقارنة
أ - السكاكر ، محمد بن عبدالله بن حمد (محقق) ب- العنوان
ديوي ٢١٤,٢٧ ١٩ / ٣٢٣٦

رقم الإيداع : ١٩ / ٣٢٣٦

ردمك : ٤-٤٩-٦٦٠-٩٩٦٠ (مجموعة)
٨-٥٠-٦٦٠-٩٩٦٠ (ج ١)



بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد للّه الذي أمرنا بشكر النِّعم، ووَعَد الشاكرين بمزيد من فضله العَميم ، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه ، أما بعد :

فإن الله - جلَّ وعلا - قد أكرمنا في هذه البلاد الطيبة بجمع كلمتنا تحت راية الإسلام الخالدة « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ؛ فكلمة التوحيد هي الأساس الذي قامت عليه هذه البلاد، واتخذتها شعاراً لها، ومنهجاً لحياتها، وأساساً لنظامها. أكَّد ذلك الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود حين دخل مدينة الرياض في الخامس من شوال سنة ١٣١٩ هـ ؛ استمراراً للمنهج الذي سار عليه آباؤه وأجداده المستَمدِّ من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقد جاءت فكرة الاحتفال بمناسبة مرور مائة عام على دخول الملك عبد العزيز مدينة الرياض، وتأسيس المملكة العربية السعودية؛ تأكيداً لاستمرار المنهج القويم الذي سارت عليه المملكة العربية السعودية ، والمبادئ السَّامية التي قامت عليها، ورصداً لبعض الجهود المباركة التي قام بها المؤسِّس الملك عبد العزيز - رحمه الله - في سبيل توحيد المملكة ؛ عرفاناً لفضله، ووفاءً بحقه ، وتسجيلاً لأبرز المكاسب والإنجازات الوطنية التي تحقَّقت في عهده وعهد أبنائه خلال المائة عام ، والتعريف بها للأجيال القادمة .

وما الأعـمال العلميـة التي تُصدرها الأمانة العـامة للاحتفـال بهذه المناسـبة إلا شـواهد صـادقة عـلى نهضـة هذه البـلاد الزاهرة ، في ظلّ دوحة علم أصولها ثابتة وفروعـها نابتة ، تَوَلَّى غرسها الملك المؤسِّس ، وتعـهَّدها من بعـده بَنُوهُ ؛ فـواصلوا رعايتـهـا حتى امـتدَّ ظلُّهـا ، وزاد ثمرها، فعمَّ البلاد خيرُها ، وانتفع بها الجميع .

وهذا الكتاب أحد الكتب التي سبق أن أمـر جلالة الملك عبدالعزيز - يرحمـه الله - بطبعـهـا ونشرها على نفقـته الخاصـة ممَّا يعطي دلالة واضحـة على اهتمامـه بالعلم ، وحرصه على نـشره ، وتكريمه لأهله ، وعنايتـه بطلابه ، وقـد أمر خـادم الحرمين الشـريفين - يحـفظه الله - بإعادة طبع هذا الكتاب مع مـجموعة الكتب التي سبق أن أمر بـطبعها الملك عبد العزيز - رحمه الله - لنشرها ضمن فعاليَّات الاحتفال بهذه المناسبة المبـاركة ، ورأينا أن تكون هذه الطبعة مُـشتملة على ما استُجِدَّ على بعض هذه الكتب من تحقيق أو تعليق أو تصحيح .

اللَّهم إنا نشكرك ، ونتـحدّث بعـظيم نعمـتك علينا ، وقد وعـدت الشاكرين بالمزيد ؛ فأدمها نعمةً ، واحفظها من الزوال .

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمير منطقة الرياض

رئيس اللجنـة العليا ورئيس اللجنة التحضيرية

للاحتفال بمـرور مائة عام على تأسيس المملكة

سلمان بن عبد العزيز

مقدمة المحقق :

الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبِّره تكبيراً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله الله رحمة للعالمين ، وختم برسالته الرسالات السماوية إلى يوم الدين . أما بعد :

فمنذ بعث الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - وخصَّه برسالته الخاتمة ، وقف في وجه دعوته المباركة طوائف حاقدة ؛ هي الوثنية الباطلة، واليهودية المغضوب عليها ، والنصرانية الضالة ، أصحاب الأفكار المنحرفة والنوايا الخبيثة الماكرة ، فسلكوا شتى الوسائل والأساليب ، بالتكذيب تارةً ، وبالتشكيك والطعن تارةً أخرى .

وقد أكثر المنصِّرون والمستشرقون من إثارة الشبه والمفتريات حول الإسلام وما جاء فيه من تشريعات وأحكام .

والكتاب الذي نعرضه ردٌّ على أسلوب من أساليب النصرانية الحاقدة : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[1] .

هذا الكتاب صنّفه مؤلفه الشيخ عبد العزيز بن حمد بن معمر - رحمه الله -، وهو مقيم في البحرين حوالي عام ١٢٤٠هـ /

(١) سورة الصف ، الآية : ٨ .

١٨٢٤م ، رداً على كتاب للقس الهولندي (هوقودي قروت) الذي عُرِفَ عنوانه فيما بعد بـ "مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن" ، تهجّم فيه مؤلفه على الإسلام وأحكامه ، وادعى فيه أن شريعة عيسى - عليه السلام - هي الباقية ، وأنه لا حاجة إلى بعثة محمّد صلى الله عليه وسلم .

وقد جاء بهذا الكتاب أحد رجال السياسة الإنجليز إلى منطقة البحرين بوابة الجزيرة العربية ، معقل الإسلام ، ومركز العقيدة الصحيحة .

فتصدى الشيخ عبد العزيز بن معمر - رحمه الله - للرد عليه فنقض كل ما بناه هذا النصراني ، وفصم عرى كل ما جمعه ، فجاء رده كافياً شافياً أثلج صدور المؤمنين ، ودحض أباطيل الضالين ، وأنار الطريق المستقيم للسالكين ، وسمَّاه : "منحة القريب المجيب في الرَّد على عُبَّاد الصليب" .

والشيخ عبد العزيز بن معمر جدير بهذا العمل ؛ فهو أحد أساتذة مدرسة التوحيد والدعوة السلفية في نجد التي أعادت الإسلام إلى مصدره الأصلي كتاب الله وسنة رسوله ، وما كان عليه السلف الصالح من هذه الأمة .

وقد اشتدت الحاجة إلى هذا الكتاب في هذا العصر الذي اشتد فيه نشاط التنصير في كثير من البلاد الإسلامية ، وأصبح له دعاة

ومؤيدون، فأمسينا وصوتُ النصرانية يصم آذاننا من بعض الإذاعات المسموعة والمرئية ، وأصبحت نشرات التنصير تخاطب الشباب ، وتدعوهم إلى الانغماس في الشهوات والملذات المحرمة ؛ حتى ينحرفوا عن تعاليم دينهم وقيمه ، ويستجيبوا لدعاوى النصارى الباطلة ووعودهم الكاذبة .

هذا بالإضافة إلى وجود عدد كبير من العمالة الأجنبية من مختلف الجنسيات والأديان ، البعض منهم يعمل في المنازل ، ويخالط الأسر المسلمة ، فلا يتورع بعضهم من تشكيك الأبناء والبنات والآباء والأمهات في عقيدة الإسلام والتقليل من أهمية الدين وشعائره .

فهذا الكتاب وما حواه من مباحث وحقائق علمية ثابتة وبراهين خير معين على دفع شبهات النصارى ودعاويهم الباطلة .

لهذه الأسباب ، وسبب آخر ، اخترت دراسة هذا الكتاب وتحقيقه والتعليق على بعض مسائله ، من أجل الحصول على درجة علمية من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين في الرياض ، التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وقد نوقشت هذه الرسالة في اليوم الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة سنة خمس وأربعمائة وألف هجرية ، مُنِحتُ بموجبها درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى، أحمد الله على ذلك ، وأرجوه سبحانه أن يعينني على أداء ما يجب عليَّ ، والشكر والامتنان أسديهما إلى هذه الجامعة الإسلامية العريقة

معقل العلم والعلماء والدعاة والفقهاء . أجزل الله الأجر والثواب لمؤسسيها ، وجعل التوفيق والنجاح والتسديد حليف القائمين عليها.

ومما يذكر فيشكر أستاذنا المشرف على إعداد هذه الرسالة فضيلة الدكتور عبد السلام محمد عبده ، الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بالكلية ، والمعار إلى جامعة الإمام من جامعة الأزهر في مصر ، فقد صحبت هذا العالم الجليل مدة طويلة ، واستفدت من علمه الغزير ، واطلاعه الواسع ، وفهمه الثاقب ، وحلمه وصبره ، أرجو الله تعالى أن يجعل ذلك في موازين حسناته .

وقد كان عملي في هذا الكتاب على النحو التالي :

أولاً : الدراسة ، وتشتمل على الفقرات التالية :

١ - التمهيد لموضوع الكتاب .

٢ - التعريف بالمؤلف .

٣ - التعريف بالكتاب وسبب تأليفه .

٤ - العرض عن مباحث الكتاب .

٥ - منهجي في تحقيق الكتاب .

ثانياً : تحقيق الكتاب وتوثيقه ، ويشتمل على الفقرات التالية :

١ - مطابقة أصل الكتاب على عدد من نسخه الخطية والمطبوعة واستخراج نسخة صحيحة يعتمد عليها في إعادة طباعة الكتاب .

٢ - توثيق الأقوال الواردة فيه .

٣ - وضع عناوين جانبية تحدد موضوعات الكتاب ومباحثه .

٤ - ترقيم الآيات القرآنية بعزوها إلى سورها .

٥ - تخريج الأحاديث النبوية والآثار .

٦ - التعريف بالأعلام والمواضع والفرق .

٧ - التعليق على بعض المسائل التي تحتاج إلى زيادة في الإيضاح.

٨ - وضع فهارس تفصيلية تكشف عن محتويات الكتاب .

أرجو أن أكون قد وفقت في هذا العمل إلى الصواب ، فما كان فيه من صواب فمن الله ، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه ، نافعاً لعباده ، وصلَّى الله وسلم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

د. محمد بن عبد الله السكاكر

التمهيد لموضوع الكتاب :

الدين الإسلامي هو الدين الذي بعث الله به محمداً - صلى الله عليه وسلم - وختم به الأديان السماوية فلا يقبل الله من أحد ديناً سواه.

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ... ﴾ (١) ، وقال : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢) .

وقال : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ (٣) .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال :

« والذي نفس محمّد بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » (٤).

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٩ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٨٥ .

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٣ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : وجوب الإيمان برسالة نبينا محمّد ، ج ١ : ١٣٤ ، تحقيق محمّد عبد الباقي ، طبعة دار الإفتاء السعودية .

والدين الإسلامي متضمِّن لجميع المصالح التي تضمنتها الأديان السماوية السابقة ، ومتميز عليها بكونه صالحاً لكل زمان ومكان وأمة .

قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [1] فالتمسك بالإسلام سببُ تحقُّق مصالح الأمة على أتم الأحوال .

وقد ضمن الله تعالى لمن تمسك به أن ينصره ، ويظهره على من سواه .

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [2] .

وللإسلام أسس وأركان جماعها : إفراد الله - سبحانه وتعالى - في العبادة ، والاعتقاد الجازم بأن لا معبود بحقٍ إلا الله ، والإقرار بنبوة محمّد - صلى الله عليه وسلم - ، والتصديق برسالته .

هذا إلى جانب الالتزام بشعائر الدين مثل الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله .

ومن أسس العقيدة الإسلامية الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٤٨ .

(٢) سورة الصف ، الآية : ٩ .

قال تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾[1] .

وحينما سأل جبريل - عليه السلام - النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الإيمان ، أجاب بقوله : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره)[2] .

ومن أسس العقيدة الإسلامية أيضاً الإيمان بالقدر .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾[3] .

فكل ما يجري في هذا الكون فهو بقضاء الله وقدره ، لا رادَّ لقضائه ولا معقب لحكمه .

ولهذا قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - لجبريل عليه السلام : « ... وتؤمن بالقدر خيره وشره » .

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة »[4] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٧٧ .

(٢) رواه مسلم في : كتاب : الإيمان ، باب : بيان الإيمان والإسلام ، ج ١ : ٣٧ ، ترتيب محمّد عبد الباقي.

(٣) سورة القمر ، الآيتان : ٤٩ ، ٥٠ .

(٤) في كتاب : القدر ، باب : حجاج آدم وموسى - عليهما السلام - ، ج ٤ : ٢٠٤٤ ، ترتيب محمّد عبد الباقي.

فالإسلام هو خاتم الأديان السماوية ، ورسالة محمّد - صلى الله عليه وسلم - خاتمة الرسالات .

قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾[1] .

وفي الحديث : « .. لو كان موسى وعيسى حيَّيْن لما وسعهما إلا اتباعي »[2] .

فالرسول محمّد خاتم الأنبياء والرسل - عليهم وعلى نبيِّنا أفضل الصلاة والسلام - .

وكفى بهذا الدين عزاً وشرفاً ورفعة، أنه شامل لجميع شؤون الحياة، محيط بدقيقها وجليلها ، شامل لأمور الدنيا والآخرة .

قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[3] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ... تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ بعدي عنها إلا هالك »[4] .

فهو دين العدالة والرحمة واليسر والحكمة .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٤٠ .

(٢) أورده الحافظ ابن كثير في تفسيره ، ج ١ : ٣٧٨ .

(٣) سورة النحل ، الآية : ٨٩ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ، من حديث العرباض بن سارية ، ج ٤ : ١٢٦ . حديث حسن صحيح .

وكمــا ذكرنا آنفــاً أن هذا الدين يمتاز بأنه الدين الخـالد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليـها ، لا يتطرق إليـه التعـديل أو التبـديل ، وليس هناك دين بعده .

هذه حقـيقـة هذا الدين وهذه مكانته بين الأديان ... والـله الهادي إلى سواء السبيل .

القسـم الأول : الدراسـة

أ - التَّعـريف بالمؤلِّـف .

ب - التَّعـريف بالكتـاب .

ج - منهج تحقيق الكتاب .



أ - التعريف بالمؤلِّف :

١ – عصر المؤلف .

٢ – نسبه .

٣ – مولده .

٤ – شيوخه .

٥ – علمه .

٦ – أمثلة من فتاواه الفقهية .

٧ – جانبه الأدبي ونماذج من أشعاره .

٨ – جلوسه للتدريس وتلاميذه .

٩ – عمله في القضاء .

١٠ – مؤلفاته .

١١ – انتقاله من نجد إلى البحرين ووفاته ومراثيه .



١ - عصر المؤلف :

إن الفترة التي عاشها المؤلف الشيخ عبد العزيز بن حمد بن معمر (١٢٠٣ - ١٢٤٤ هـ) تُعَدُّ من الناحيتين العلمية والسياسية فترة نشطة بالنسبة لنجد بخاصة والجزيرة العربية بعامة .

فقبل قيام الإمام محمّد بن عبد الوهاب - رحمه الله - بدعوته السلفية المباركة ، وقيام الدولة السعودية الأولى ، كان نشاط العلماء في نجد في الغالب يكاد ينحصر في مسائل الفقه الحنبلي ، يدل على ذلك فتاواهم ومؤلفاتهم ، وما عدا ذلك فمشاركتهم فيه قليلة جداً .

وبعد قيام الشيخ محمّد بن عبد الوهاب بدعوته السلفية تغيَّر هذا الاتجاه ، وصارت العناية في دراسة العقيدة وتثبيتها بالدرجة الأولى والاهتمام في كتب التفاسير السلفية ، والعناية في علوم الحديث وأمهاتها وشروحها ، ومعرفة رجال الحديث والجرح والتعديل ، وتوسَّعوا في بسط مسائل الفقه ، ومعرفة أقوال أئمة المذاهب الأربعة ، هذا إلى جانب البحث في علوم اللغة والتأريخ والسير والتراجم .. ، فتغيرت الصورة ، واتسعت الرؤية ، ونشطت الحركة الفكرية . فنجد فتاواهم وبحوثهم مقرونة بالأدلة الشرعية الصحيحة والفهم السليم .

كما أن لبعضهم أقوالاً قد تخالف المشهور من المذهب إذا رأى أن الدليل الصحيح خلافه ، فتحررت أفكارهم ، واتسعت مداركهم ، وتعددت جوانب العلوم لديهم ؛ لذا نشطت حركة التأليف ، وتعددت حِلق التدريس في كل مكان وفي مختلف العلوم ، وكُتِبَت الرسائل

والنصائح وانتشرت كتب الردود على المخالفين وأصحاب الطرق والبدع والخرافات .

واتجه الناس إلى الدرعية معقل الدعوة السلفية وقاعدة الحكم السعودي في ذلك الوقت من كل صوب ، وعمرت المساجد بحلقات العلم على الشيخ محمّد بن عبد الوهاب وأبنائه وكبار تلاميذه ، وازدهر فيها سوق العلم ، وكثر أهله ، ونشطوا في تحصيله ، وتنافسوا في نيله حتى تكوّن من ذلك حركة علمية لم تشهد المنطقة لها مثيلاً .

فأثّرت هذه الحركة العلمية في حياة الشيخ عبد العزيز ابن معمر حتى صار من أشهر علماء عصره وهو في سن الشباب ، وشارك في تولي عمل القضاء والإفتاء والتدريس ، وبرز في التأليف والذود عن الإسلام وأهله والرد على أباطيل الضالين ومفتريات الحاقدين .

٢ - نسبه :

هو الشيخ العلامة عبد العزيز ابن الشيخ القاضي حمد [١] بن ناصر ابن عثمان بن حمد بن عبد الله بن محمّد بن حمد بن عبد الله بن حمد بن محمّد بن حسن بن طوق بن معمر العنقري . من بني سعد ابن زيد مناة بن تميم .

---

(١) هو الشيخ القاضي العلامة حمد بن ناصر بن عثمان بن حمد بن عبد الله بن محمّد بن معمر . ولد في بلدة العيينة المعروفة ، وبها نشأ ، وأخذ مبادئ العلم عن علمائها ، ثم انتقل إلى مدينة الدرعية ؛ حيث تتلمذ على الإمام محمّد بن عبد الوهاب ، وعلى أخيه الشيخ سليمان بن عبدالوهاب ، وعلى الشيخ المؤرخ النحوي حسين ابن غنام وغيرهم ، حتى صار من كبار علماء نجد وقضاتها ، وتوفي سنة ١٢٢٥ هـ . (علماء نجد خلال ستة قرون ، ج ١ : ٢٣٩) .

وكان بنو سعد يقطنون في بلدة ثرمداء[1] إحدى بلدان الوشم في نجد ، ثم نزح آل معمّر من ثرمداء إلى بلدة ملهم[2] ثم العيينة[3] ، واستوطنوها حوالي سنة (٨٥٠هـ)[4] .

فمن هذ الموطن العريق ومن هذه الأسرة الكريمة انحدر نسب الشيخ عبد العزيز بن حمد ابن معمر .

ومن المحتمل أن أم المؤلف إحدى بنات الإمام محمّد بن عبدالوهاب - رحمه الله - والدليل على ذلك ما قاله العلامة الإمام عبد الرحمن[5] بن حسن ابن الشيخ محمّد بن عبد الوهاب ، مخاطباً المؤلف في قصيدة بعثها إليه يقول فيها :

---

(١) ثرمداء: بلدة تقع في منطقة الوشم من بلاد نجد، تبعد عن مدينة شقراء نحو ثلاثين كيلاً جنوباً شرقاً ، وهي بلدة قديمة ورد ذكرها في المعاجم القديمة ، وهي الآن آهلة بالسكان ، وبها عدد من فروع الدوائر الحكومية والمدارس ، وتشتهر أيضاً بكثرة البساتين وأشجار النخيل .

(٢) ملهم : قرية تقع نحو الشمال الغربي من مدينة الرياض على بعد مائة وثلاثين كيلاً عامرة بالسكان وبساتين النخيل .

(٣) العيينة : تصغير عين ، وهي مدينة تقع في ملتقى شعاب وادي حنيفة من أرض اليمامة ، على نحو أربعين كيلاً من مدينة الرياض من جهة الشمال الغربي، وخلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجري كان لها دور كبير في نجد ، فقد ازدهرت في عهد حكامها آل معمّر ، وهي الآن بلدة عامرة بالسكان ، وبها عدد كبير من المزارع والبساتين ، وبها فروع للدوائر الحكومية ومدارس لتعليم البنين والبنات . (معجم اليمامة ، للشيخ عبد الله بن خميس ، حرف العين) .

(٤) معجم اليمامة لابن خميس ، حرف العين .

(٥) هو الإمام عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ محمّد بن عبد الوهاب. ولد في مدينة الدرعية سنة ١١٩٣هـ ، وبها نشأ وتعلم ، أخذ العلوم عن علمائها ، منهم : جده الشيخ محمّد بن عبدالوهاب ، وعمه الشيخ عبد الله بن محمّد بن عبدالوهاب . وبعد سقوط الدرعية سنة ١٢٣٣هـ رحل الشيخ عبدالرحمن إلى مصر، وهناك تتلمذ على كبار العلماء ، وبقي فيها مدة ثمان سنوات ، وعاد بعدها إلى نجد حيث تولى قضاء الرياض والإفتاء والتدريس . له عدد من المصنفات منها : شرح كتاب التوحيد «فتح المجيد» و «قرة عيون الموحدين» . توفي في مدينة الرياض في الحادي عشر من شهر ذي القعدة سنة خمس وثمانين ومائتين وألف ، رحمه الله . (علماء نجد خلال ستة قرون ، ج ١ : ٦) .

١ - تخطت إلينا حين عنّ لها الوصل مفاوز نجد كلما انخفضت تعلو

٢ - فتاة كمياس الغصون تمايلا وقد أُكملت فيها الملاحة والدل

٣ - لها فاحم ضافٍ على الردف سابغ ووجه يضاهي البدر هام به العقل

٤ - لها منزل ما بين حزوى[(١)] ورامة[(٢)] ومن دون مرباها الصوارم والأسل

٥ - أجادت فوافتني وقد جئت زائراً لبيت[(٣)] عظيم عنده يسبل الفضل

٦ - أناخت إلينا عند إدراكنا المنى لعشر مضت من بعدها أربع تتلو[(٤)]

٧ - فضمت وحيَّت ثم بشت وأسفرت عن الدر والياقوت واللؤلؤ المجلو

٨ - فقلت لها : أهلاً وسهلاً ومرحبا سلام عليكم دائماً أبداً يحلو

٩ - ألذ وأهنا من زلال على الظمأ وأبهى من الروض الذي صابه الوبل

١٠ - تحية مشتاق على البعد والجلا ولم يسله عنكم نعيم ولا أهل

١١ - لأنكم أهل المكارم والوفاء وفيكم سما فرع الفضائل والأصل

١٢ - ينبِّئنا من فكره بلآلئ من الجوهر المنظوم عزّ له مثل

١٣ - وذكرتني يا بن الإمامين معشراً هم الفتية الأنجاب والأوجه النبل

١٤ - صحبناهم دهراً نعمنا بظلهم علينا غمائم بالغنائم تنهل

١٥ - فلما افترقنا ظل قلبي بأرضكم وجسمي بأرض ليس فيها لنا شكل

١٦ - وبدلت منكم أوجهاً لا تسرني سوى عصبة قلوا فكنت بهم أسلو

---

(١) حُزْوى : التي قصد الناظم ، موضع بين العيينة وسدوس في بلاد نجد . (معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، ج ٢ : ٢٥٥) .

(٢) رامة : منزل في الطريق بين البصرة ومكة يبعد عن البصرة نحو اثنتي عشرة مرحلة . (معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، ج ٣ : ١٨) .

(٣) لبيت عظيم : المراد به بيت الله الحرام .

(٤) لعشر مضت من بعدها أربع تتلو : أي الرابع عشر من شهر ذي الحجة .

١٧ - فيا لهف نفسي واشتياقي ولوعتي	على أنجم غابت فغاب بها العدل
١٨ - فصبراً على بُعْد المدى واغترابنا	عسى باعتلاء الحق أن يُجمع الشمل
١٩ - فيبدو محيا الدين بالنور ساطعاً	ويرجع عقد الشرك والظلم ينحل
٢٠ - وصلِّ على المختار ربي وآله	وصحبٍ لهم والمقتفي نهجهم يتلو[(١)]

فقول الناظم :

وذكرتني يا بن الإمامين معشراً هم الفتية الأنجاب والأوجُه النبل

يقصد بالإمامين: الإمام الشيخ محمّد بن عبد الوهاب[(٢)]، والإمام الشيخ حمد بن ناصر بن معمر[(٣)]. فالأول جده من قبل أمه، والثاني والده.

ومما يؤكد هذا ويؤيده ما قاله -أيضاً- الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ[(٤)] في قصيدة بعث بها إلى المؤلف وهو في البحرين، يقول فيها:

(١) المرجع ١/ مخطوطة للقصيدة أتحفنا بها الشيخ محمّد بن عبد المحسن الخيال، رحمه الله.
٢ / مقدمة كتاب «منتقى عقد الفرائد وكنز الفوائد» للمؤلف - رحمه الله - الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ.

(٢) هو الإمام المجدد شيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن مُشرف التميمي، ولد في مدينة العيينة سنة ١١١٥هـ وتتلمذ على يد شيوخ أجلاء في نجد والحجاز والبصرة والأحساء. إمام الدعوة السلفية في نجد، ومصحح العقيدة الإسلامية في الجزيرة العربية. له مجموعة كبيرة من المؤلفات أكثرها في العقيدة منها كتابه المشهور « كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» ، تناوله العلماء في الشرح والبيان. وتوفي الشيخ محمّد في مدينة الدرعية سنة ١٢٠٦هـ عن عمر يناهز الحادية والتسعين ، تغمده الله برحمته وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.
وانظر التفصيل عن حياته ، ورحلاته ، وجهاده ودعوته في كتابنا «الإمام محمّد بن عبدالوهاب ، حياته - آثاره - دعوته السلفية» ، طبعة مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض .

(٣) تقدمت ترجمته في ص (٢٢) .

(٤) تقدمت ترجمته في ص (٢٣) .

١ - أشاقك من أرض الحبيب نواجع[١] فقلبك يهوي نحوهم وينازع
٢ - وحل بأقصى البلدتين[٢] تركته بحيث الفتى يختار أنى يراجع
٣ - وقد جل خطب قبل ذلك شاغل لسالف أعوام لها العام رابع
٤ - تذكرتهم والشحط بيني وبينهم ومن دون من أهوى عنى وروادع
٥ - عسى أمتطي عرض الفلاء أجوبها فتسلى همومي عندهم والروابع
٦ - فصبراً لعل الله يجمع شملنا فغوث إلهي للشتيتين جامع
٧ - على أنني بُلّغت عنهم مقالة بأن الهوى منهم محته الزعازع
٨ - فهوّن وجدي نحوهم ما سمعته فقلت ومكتوم الصبابة ذائع
٩ - لئن غير النأي الطويل أحبة لقد أضرت في طي ذاك المنافع
١٠ - فكم عوض المولى الكريم بفضله وكم قد أنيطت بالخطير المرافع
١١ - فلا تيأسنْ من فاطر الأرض والسما فربي كريم فضله متتابع
١٢ - ولله وادي جيرة قد ألفتهم مقيماً به والحق للظلم رادع
١٣ - سروا منهجاً قد يستضيء بنوره أخو العلم والتوفيق فالفضل واسع
١٤ - فجار أناس بعدهم عن طريقهم فجاء خداري من الجهل رائع
١٥ - وأنبتهم نصحي فلم يعبؤوا به فصرت أنا المقلي والنصح ضائع
١٦ - تكاثرت الأحداث فيهم فشتتت أو أنسهم وأنهل منها المدامع
١٧ - جرى القدر الجاري عليهم بنكبة فلا بسوى الفرد العظيم ندافع
١٨ - فإن سُرّت الأعداء مما جرى لهم لقد أوحشت منهم قرى ومرابع
١٩ - ولا عجب أن الذين جفوهم لهم فضل نعمى عندهم وقطائع

---

(١) النواجع : جمع نجعة ، وهو طلب الكلأ في مواضعه .

(٢) البلدتان : تثنية بلدة ، وقصد الناظم بالبلدتين : البحرين ، أو الدرعية ، والعيينة .

٢٠ - فيا ضيعة المعروف في غير أهله فلا الفعل محمود ولا المال راجع
٢١ - لئن خانني قومٌ على البعد والجلا فلا بد من يوم ترد الودائع
٢٢ - فأكرم بخلٍ لم يُغيّره ما جرى وفيٌ له فوق الوفاءِ صنائعُ
٢٣ - سليمُ من الداء العضال الذي سرى عقيب الدواهي فهو منهن نازع
٢٤ - له همةٌ تسمو إلى المجد والعلى إذا ما تدانى في الدناءة راتع
٢٥ - عنيت الفتى سبطَ الرضا علمَ الهدى إمام همام للفضائل جامع
٢٦ - فيا ربنا واجعل رضاك يعمنا فليس لما تعطيه للمرء مانع[1]

فقول الناظم الشيخ عبد الرحمن بن حسن :

عنيت الفتى سبط الرضا علم الهدى إمام همام للفضائل جامع

صريح في كون والدة المؤلف إحدى بنات الإمام محمّد بن عبدالوهاب ، فالسبط هو ولد البنت كما هو معروف .

وقد اجتهدت في طلب معرفة اسم والدة المؤلف في عدد من المراجع التي تتحدث عن تاريخ نجد في تلك الفترة ، وسألت شخصيات علمية وكبيرة من أسرة آل الشيخ وآل معمر وغيرهم فلم أظفر بشيء من ذلك .

ولعل السبب يعود إلى أن أهل نجد - في الجملة - يتحاشون التحدث عن نسائهم وذكر أسمائهن ؛ محافظة على عدم ابتذال أسمائهن لدى العامة ؛ لذا لم ينقل خلفهم عن سلفهم شيئاً من أخبار نسائهم إلا نادراً .

(١) أتحفنا بأصل هذه القصيدة الشيخ محمد بن عبد المحسن الخيّال ، رحمه الله .

والمشـهور أن للشـيخ مـحمّـد بن عـبد الوهاب بـنتين : إحداهمـا تزوجها الإمام عبد العزيز بن محـمّد بن سعود ، فولدت له ابنيه : عمر وعبـدالعزيز ، والأخرى تزوجهـا الشيخ حمـد بن إبراهيم بن غريب ، فتوفى عنها ، فتزوجها أخوه محمّد بن غريب [١] .

ومن المحـتمل أن للشـيخ محـمّـد بنات أخريات ، إحـداهن والدة الشيخ عبدالعزيز بن حمد ابن معمر كما تقدم أو والدة أبيه .

ويروي صاحب كـتاب "لمع الشهـاب في سيـرة الشيخ محـمد بن عبدالوهاب" المكتوب سنة ١٢٣٣هـ : أن الشـيخ محمداً قد خلّف من الإناث ست بنات [٢] . وهذا المؤلف مجهول ، وأكثر رواياته فيها نظر ؛ لأن الحقائق تخالف أكثرها . والله أعلم .

٣ - مولـــده :

ولد المؤلف - رحمه الله - سنة ثلاث ومائتين وألف من الهجرة النبوية الشريفة (١٢٠٣هـ) في مـدينة الدرعية[٣] عاصمـة الدولة السعودية الأولى،

---

(١) انظر بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب المنعـقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٠هـ . (بحث : المرأة في عهد الشـيخ محمد بن عبد الوهاب ، بقلم الشيخ حمد الجاسر ، ج ١ : ١٨٢) .

(٢) كتاب لمع الشهاب ، ص ١٠٢ ، تحقيق أحمد مصطفى أبو حاكمة .

(٣) الدرعيـة : مدينة تقع في الشـمال الغربي من مـدينة الرياض على بعد ثلاثـة عشر كـيلاً على ضفتي وادي حنيفة . وقد عمرت هذه المدينة حـوالي عام ٨٥٠هـ عمّرها مانع بن ربيعة جد أسرة آل سعود. وبعد قـيام الدولة السعودية الأولى عام ١١٥٨هـ أصبحت الدرعـية عاصمة ملك آل سـعود ومعـقل الدعوة السلـفية في نجـد حتى دمـرت عام ١٢٣٣هـ على يد الـقائد الغاشم إبراهيم باشا ابن محمّد علي الألباني ، والي مصر في ذلك الوقت . وفي عهد الدولة السعودية الثـالثة أخذت هذه المدينة تستعيـد نشاطها التجاري والعمرانـي والزراعي ، فيوجد بها الآن عـدد كبـير من البـساتين والمزارع والمنازل المشـادة على الطراز الحديث ، وبهـا فروع لجميع المرافق الحكومية . (معجم اليمامة لعبدالله بن خميس ، حرف الدال).

ومركز الحركة العلمية في ذلك الوقت . ونشأ فيها نشأة دينية صالحة في مجتمع علمي ووسط كريم ، حثه على الرغبة في العلم والحرص على تحصيله ، فنشأ على ذلك منذ نعومة أظافره ، فقرأ القرآن الكريم وحفظه وهو صغير ، ثم شرع في تحصيل العلوم الأخرى .

٤ - شيوخه :

تذكر أهم المصادر التأريخية التي تتحدث عن علماء نجد أن الشيخ عبدالعزيز ابن معمّر ، تتلمذ على شيوخ أجلاء من علماء نجد البارزين منهم : والده الشيخ حمد[١] ابن ناصر بن معمر - مفتي نجد ، ورئيس قضاة مكة في عهد الإمام سعود[٢] بن عبد العزيز - ، والشيخ عبد الله[٣] ابن الإمام محمّد بن عبد الوهاب - كبير علماء نجد في وقته - ، والشيخ المؤرخ النحوي أبو بكر حسين ابن غنام[٤] ، والشيخ أحمد بن

(١) تقدمت ترجمته في ص (٢٢) .

(٢) هو الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمّد بن سعود ، ولد في مدينة الدرعية سنة ١١٦٥هـ وكان قائد جيوش الدولة السعودية الأولى في عهد والده الإمام عبدالعزيز بن محمّد ، وتولى الحكم بعد استشهاد أبيه سنة ١٢١٨هـ ، وتوفي في الدرعية سنة ١٢٢٩هـ. (قاموس الأعلام ، للزركلي ، ج ٣ : ٩٠) .

(٣) هو الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمّد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي . ولد في مدينة الدرعية عام ١١٦٥هـ ونشأ بها ، وتتلمذ على والده الإمام محمّد بن عبدالوهاب وغيره . حتى صار من علماء نجد الكبار. وبعد وفاة والده أسندت أمور القضاء والإفتاء إليه ، ونفي إلى مصر سنة ١٢٣٣هـ بعد خراب الدرعية ، وتوفي في مصر سنة ١٢٤٤هـ رحمه الله . (علماء نجد خلال ستة قرون ، للشيخ عبد الله البسام ، ج ١ : ٤٨) .

(٤) هو الشيخ حسين بن أبي بكر بن غنام الأحسائي المالكي التميمي ، ولد بالأحساء وبها نشأ ، وقرأ على علمائها ، ثم نزح منها إلى الدرعية حوالي عام ١٢٠٧هـ. من مصنفاته : تأريخه المشهور «روضة الأفكار والأفهام» المعروف بتاريخ نجد، مطبوع. و « العقد الثمين في أصول الدين »، مطبوع . توفي الشيخ حسين ابن غنام بمدينة الدرعية سنة ١٢٢٥هـ ومن تلاميذه الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن ناصر ابن معمّر ، وغيره . (قاموس الأعلام للزركلي ، ج ٢ : ٢٥١).

حسن بن رشيد بن عفالق الأحسائي الحنبلي[1] قاضي المدينة في عهد الإمام سعود بن عبد العزيز ، والشيخ علي بن محمّد بن عبدالوهاب[2]، أحد علماء الدرعية وزهادها. هؤلاء العلماء هم أشهر من أخذ عنهم العلم الشيخ عبدالعزيز بن حمد ابن معمّر، رحمه الله.

٥ - عِلْمُـه :

في هذا الجو العلمي ، وفي هذه الفترة المستقرة في نجد عاش المؤلف الشيخ عبدالعزيز بن حمد ابن معمّر ، وأصبح طلب العلم هوايته، والدرس رغبته ، وحِلق الذكر مصدره ومورده . فحفظ القرآن الكريم وهو صغير ، وتعلم مبادئ العلوم ، ثم لازم العلماء ، وجعل ينهل من معينهم في مختلف الفنون في : العقائد والتفسير والحديث والفقه واللغة والأدب والسير ، حتى أدرك من أصول هذه العلوم وفروعها علماً كثيراً ، وصار في عداد العلماء وهو في سن الشباب .

---

(١) هو الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد بن عفالق العفالقي القحطاني ، ولد في الأحساء سنة ١١٥٥هـ ، وتتلمذ على عدد من علماء الأحساء ونجد ، وتولى قضاء المدينة المنورة ، ورحل إلى مصر بعد خراب الدرعية . من أشهر تلاميذه : الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، والشيخ عبدالعزيز بن حمد ابن معمر ، والشيخ عبد الله بن عبدالرحمن أبابطين . توفي في مصر سنة ١٢٥٧ هـ ، رحمه الله . (انظر علماء نجد خلال ستة قرون ، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن آل بسام ، ج ١ : ١٦٣ ، الطبعة الأولى).

(٢) هو الشيخ علي ابن الإمام محمّد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي ، ولد في مدينة الدرعية ، ودرس على والده وعلى غيره من علماء الدرعية . له باع طويل في معرفة التفسير والحديث والفقه . وكان - رحمه الله - يضرب به المثل في الورع والزهد ، ونفي إلى مصر بعد خراب الدرعية سنة ١٢٣٣هـ ، وتوفي في مصر سنة ١٢٤٥هـ ، رحمه الله . (علماء نجد خلال ستة قرون ، ج ٣ : ٧٣٥).

يقول المؤرخ ابن بشر [1] - وهو يتحدث عن حياة المؤلف - : «كان فقيهاً أديباً ، ومتواضعاً حسن البحث والسيرة ، ذا شهرة في العلوم والديانة»[2].

وقد وصفه العلامة الشيخ محمّد بن عبد اللطيف بن حسن آل الشيخ بقوله : « كان أديباً بارعاً ، وعلماً محققاً ، وفقيهاً مدققاً ، حاضر البديهة ، قوي العارضة ، فصيح اللسان ، بليغ القول ، مشاركاً في شتى العلوم الأصولية والفروعية »[3] .

٦ - أمثلة من فتاوى المؤلف الفقهية :

أولاً : سئل الشيخ عبد العزيز بن حمد ابن معمّر ، رحمه الله : هل يغسل المتوضئ يديه بعد الاستنجاء وقبل الوضوء إذا كان غسلهما قبل الاستنجاء ؟

فأجاب : هذه المسألة لم أرها في كلام أحد من الأصحاب[4]، وإنما ذكروا استحباب غسلهما عند الوضوء ، وإن تيقنت طهارتهما لعموم الأدلة.

---

(١) هو المؤرخ المشهور عثمان بن عبد الله بن بشر ، المولود سنة ١٢١٠هـ ، والمتوفى سنة ١٢٩٠هـ ، من مصنفاته تأريخه المشهور " عنوان المجد في تاريخ نجد " مطبوع بتحقيق الشيخ عبد الرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ ، طبعته وزارة المعارف عام ١٣٩٤هـ. (قاموس الأعلام ، للزركلي ، ج ٤ :٢٠٩).

(٢) عنوان المجد ، ج ٢ : ٤٣ ، طبعة وزارة المعارف .

(٣) مقدمة كتاب "منحة القريب المجيب في الرد على عُبَّاد الصليب" بقلم الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ ، الطبعة الأولى .

(٤) الأصحاب : هم أصحاب الإمام أحمد بن حنبل ، وهم أئمة مذهبه .

قاله [١] في الإنصاف [٢].

وقيل: لا يغسلهما إذا تيقنت طهارتهما بل يكره، ذكره في الرعاية[٣].

وقال القاضي [٤] : إن شك فيهما غسلهما ، وإن تحقق طهارتهما خير . انتهى .

والأول هو قول أكثر أهل العلم ؛ لأن عثمان[٥] وعلياً[٦] وعبدالله ابن زيد[٧] ، وصفوا وضوء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وذكروا : أنه غسل كفيه ثلاثاً ولكن من غير فصل ، وهي الصورة المسؤول عنها ، فقد حصل المقصود من غسلهما قبل الوضوء .

والفقهاء عللوا الأمر بغسلهما بإرادة نقل الماء إلى الأعضاء ؛ ففي غسلهما احتياط لجميع الوضوء ، وهذا حاصل بغسلهما قبل الاستنجاء ،

---

(١) قاله: أي الإمام أبو الحسن علي بن سليمان بن أحمد المرداوي الحنبلي، المتوفى سنة ٨٨٥هـ.

(٢) هو كتاب « الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف » للعلامة الإمام علي بن سليمان بن أحمد المرداوي في فقه الإمام أحمد . وقد طُبع هذا السفر طبعته الأولى في مصر سنة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م ، بتحقيق الأستاذ محمّد حامد الفقي ، ويقع في اثني عشر جزءاً . والمقالة التي أشار إليها الشيخ عبدالعزيز بن معمر موضعها في الجزء الأول من الإنصاف ، ص ١٣٠ .

(٣) الرعاية : كتاب في الفقه الحنبلي مؤلفه نجم الدين أحمد بن حمدان النمري الحراني ، المتوفى في مصر سنة ٦٩٥هـ . (ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ، ج ٢ : ٢٣١) .

(٤) هو أبو يعلى المعروف بالقاضي الكبير محمد بن الحسين بن خلف بن أحمد، المشهور بابن الغراء، إمام الحنابلة وصاحب المصنفات الكثيرة في العقائد والفقه وأصوله، توفي سنة ٤٥٨هـ . (طبقات الحنابلة ، ج ٢ : ١٩٣ ، وتاريخ بغداد ، ج ٢ : ٢٥٢).

(٥) يقصد أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، رضي الله عنه .

(٦) يقصد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه .

(٧) ابن عاصم الأنصاري صحابي جليل ، توفي في وقعة الحرة سنة ٦٣هـ .

ويدل على هذا أن عائشة [١] وميمونة [٢] - رضي الله عنهما - وصفتا وضوء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وذكرتا أنه يغسل يديه قبل أن يستنجي ، ولم يذكرا ذلك عند إرادة الوضوء .

وفي لفظ حديث عائشة - رضي الله عنها - : « كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا اغتسل من الجنابة يبدأ فيغسل يده ، ثم يفرغ يمينه على شماله ، فيغسل فرجه ، ثم يتوضأ وضوء الصلاة»[٣].

وحديث ميمونة : «أدنيت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - غسله من الجنابة ، فغسل كفيه مرتين أو ثلاثاً ، ثم أدخل يده في الإناء ، ثم أفرغ على فرجه ، فغسله بشماله ، ثم ضرب بشماله الأرض فدلكها دلكاً شديداً ، ثم توضأ وضوء الصلاة ، ثم أفرغ على رأسه »[٤].

وذكرتا تمام غسله في كلا الحديثين ، ولم تذكرا أنه غسل كفيه بعد الغسل الأول ، وهو دليل على ما ذكرنا [٥] . انتهى .

---

(١) هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - ، دخل بها وهي ابنة تسع سنين سنة اثنتين من الهجرة . وكانت أحب نسائه إليه ، وكانت امرأة عاقلة فاضلة تقية نقية ، روت عن رسول الله أحاديث كثيرة ، وروى عنها جمع من كبار التابعين ، وتوفيت في المدينة سنة ٥٨ هـ - رضي الله عنها - . (أسد الغابة ، ج ٢ : ٢٠٥ ، والبداية والنهاية ، ج ٨ : ٩١) .

(٢) هي زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - ميمونة بنت الحارث الهلالية ، خالة ابن عباس وخالد بن الوليد ، تزوجها النبي في سرف قرب مكة سنة سبع من الهجرة ، وتوفيت في الموضع نفسه سنة ٥١ أو ٦٣هـ . (أسد الغابة ، ج ٥ : ٥٥٠) .

(٣) أخرجه الإمام مسلم في كتاب : الحيض ، باب : صفة غسل الجنابة ، ج ١ : ٢٥٣ ، تحقيق محمّد عبدالباقي. أما الإمام البخاري فقد أخرج ثلاث روايات عن عائشة بمعنى هذا الحديث مع الاختلاف في بعض الألفاظ ، في كتاب : الغسل ، ج ١ : ٦٨ - ٧٢ ، طبعة إستانبول .

(٤) أخرجه الإمام البخاري في كتاب : الغسل ، باب : من أفرغ بيمينه على شماله ، وباب: تفريق الغسل في الوضوء ، ج ١ : ٧١. وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: الحيض ، باب : الغسل من الجنابة ، ج ١ : ٢٥٤ ، تحقيق محمّد عبد الباقي .

(٥) كتاب الدرر السنية ، جمع الشيخ عبدالرحمن بن محمّد بن قاسم ، ج ٤ : ٨٠ ، الطبعة الثانية .

ثانياً : وسئل الشيخ عبد العزيز بن حمد ابن مُعمّر - رحمه الله - عن المنفصل عن محل الاستنجاء[1] وما في معناه .

فأجاب :

الحمد لله ، هذه المسألة بني حكمها على القول في محل النجاسات المعفو عنها ؛ كمحل الاستجمار بعد الإنقاء ، وأسفل الخف والحذاء إذا أصابته نجاسة وذلك حتى أنقى .

فإن قيل : إنه طاهر ؛ فما انفصل عنه طاهر .

وإن قيل : نجس ؛ فنجس إذا كان المنفصل قليلاً .

وقلنا : ينجس بالملاقاة وإن لم يتغير بالنجاسة .

والمذهب المشهور عند الأصحاب : أن محل الاستجمار[2] نجس ، وهو قول أبي حنيفة والشافعي .

فلو قعد المستجمر في ماء قليل نَجّسه ، ولو عرق كان عرقه نجساً .

وعن أحمد [3] رواية أخرى : أنه طاهر . وذكره في الإنصاف[4] قول جماعة من الأصحاب ، منهم ابن حامد[5] .

---

(١) الاستنجاء : هو غسل أثر البول أو الغائط من الفرج بالماء فقط ، أو بالحجارة والماء معاً .

(٢) الاستجمار : هو مسح الفرج من أثر البول أو الغائط بالحجارة ونحوها فقط .

(٣) هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل ، إمام المذهب الحنبلي ، حجة في الحديث والفقه والعقائد ، توفي سنة ٢٤١هـ .

(٤) كتاب الإنصاف ، ج ١ : ٣٢٩ ، تحقيق محمّد حامد الفقي .

(٥) ابن حامد : هو الحسن بن حامد بن علي بن مروان البغدادي، من أئمة الحنابلة، توفي سنة ٤٠٣هـ .

قال[1] في المغني[2]: ظاهر كلام أحمد[3] أن محل الاستجمار بعد الإنقاء طاهر ، فإن أحمد بن الحسين[4] قال: سألت أبا عبدالله[5] عن الرجل يبول ويستجمر ويستبرئ يعرق في سراويله، قال: إذا استجمر ثلاثاً فلا بأس .

وسأله رجل: إذا استنجيت من الغائط يصيب ذلك الماء مني موضعاً آخر؟

فقال : قد جاء في الاستنجاء بثلاثة أحجار ، فاستنج أنت بثلاثة أحجار ، لا تبالي ما أصابك من ذلك الماء [6] .

واحتج أبو محمّد [7] لهذا القول بقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « لا تستنجوا بروث ولا بعظم ؛ فإنهما لا يطهِّران »[8].

---

(١) أي : أبو محمّد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمّد بن قدامة، من أئمة الحنابلة، من أشهر مصنفاته: "المغني"، و "المقنع"، و "الكافي". توفي سنة عشرين وستمائة هجرية ، رحمه الله. (مقدمة كتاب المغني بقلم الشيخ عبد القادر بدران).

(٢) في كتاب المغني لابن قدامة ، ج ١ : ١٦٠ ، طبعة مكتبة الرياض الحديثة.

(٣) هو الإمام أحمد بن حنبل .

(٤) هو الإمام أحمد بن الحسين بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي ، من أئمة الحنابلة.

(٥) أبو عبد الله هو الإمام أحمد بن حنبل ، رحمه الله .

(٦) كتاب المغني ، ج ١ : ١٦١ .

(٧) أبو محمّد : هو موفق الدين ابن قدامة ، وقد ذكر ذلك في كتابه المغني ، ج ١٦١:١، طبعة مكتبة الرياض.

(٨) أصل هذا الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب : الصلاة ، باب : الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن ، ج ١ : ٣٣٢ ، تحقيق محمّد عبد الباقي . وأخرجه الترمذي في كتاب : الطهارة ، باب : كراهية ما يستنجى به . وأخرجه النسائي في كتاب : الطهارة ، باب : النهي عن الاستطابة بالعظم ، ج ١ : ٣٧ ، ٣٨. وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب: الطهارة ، باب : ما ينهى عنه أن يستنجى به ، ج ١ : ١٠ ، تحقيق محمّد عبدالحميد .

قال[1]: فمفهومه أن غيرهما يُطَهِّر، ولأن الصحابة كان الغالب عليهم الاستجمار، حتى إن جماعة منهم أنكروا الاستنجاء بالماء[2]، وسماه بعضهم بدعة، وبلادهم حارة، والظاهر أنهم لا يسلمون من العرق، فلم ينقل عنهم توقي ذلك، ولا الاحتراز منه.

وقد نقل عن ابن عمر[3] أنه بال بالمزدلفة[4]، فأدخل يده، فنضح[5] فرجه من تحت ثيابه.

وعن إبراهيم النخعي[6] نحو ذلك، ولولا أنهما اعتقدا طهارته ما فعلا ذلك.

وفي الإقناع: أن منِيّ الأدمي طاهر، ولو خرج بعد الاستجمار. قال في الإنصاف[7]: سواء كان من احتلام أو جماع من رجل أو امرأة، لا يجب فيه فرك ولا غسل.

---

(١) ابن قدامة في كتاب المغني، ج ١ : ١٦١ .

(٢) إنكار جماعة من الصحابة الاستنجاء بالماء:
نقل عن سعد بن أبي وقاص، وابن الزبير - رضي الله عنهما - أنهما أنكرا الاستنجاء بالماء.
قال سعيد بن المسيب: «وهل يفعل ذلك إلا النساء؟!». وقال عطاء: «غسل الدبر محدث».
انظر: كتاب المقنع، لابن قدامة بحاشية الشيخ سليمان ابن الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمّد ابن عبدالوهاب، ج ١ : ٣١، الطبعة الثالثة. وكتاب المغني، لابن قدامة، ج ١ : ١٥١، طبعة مكتبة الرياض الحديثة.

(٣) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي صحابي جليل، أسلم في مكة، وتوفي فيها سنة ٧٣ هـ. (تهذيب التهذيب، ج ٥ : ٣٢٨).

(٤) المزدلفة: الموضع المعروف بمكة بين منى وعرفة، وفيه المشعر الحرام أحد مشاعر الحج.

(٥) نضح: النضح في اللغة: الرش، فيقال: نضح البيت، أي: رشه.

(٦) أحد كبار التابعين ومن فقهاء العراق، اشتهر بالزهد والورع، وتوفي سنة ٩٦ هـ.

(٧) كتاب الإنصاف، ج ١ : ٣٤٠، تحقيق محمّد حامد الفقي.

وقيل : مني المستجمر نجس دون غيره[1] .

وعبارة "الإقناع" صريحة في طهارته بعد أثر الاستجمار ، ولكن كلام صاحب "الإنصاف" ظاهر فيه ، هذا مع أنهم صرحوا أن محل الاستجمار نجس يعفى عنه في محله .

ثالثاً : سئل الشيخ عبد العزيز ابن معمّر - رحمه الله - بماذا يطهر أسفل الخف[2] والنعل[3] إذا أصابته نجاسة ؟

فأجاب[4] : المذهب عند المتأخرين أنه لا يكفي فيه إلا الغسل بالماء، وهو رواية عن الإمام أحمد .

وفي رواية أخرى : يجزي دلكه بالأرض[5] .

---

(١) كتاب الإنصاف ، ج ١ : ٣٤٠ ، تحقيق محمّد حامد الفقي .

(٢) الخف - بضم الخاء وتشديد الفاء مع الضم -: الأصل فيه مجمع فرسن البعير أو النعامة ، ثم استعمل فيما يلبسه الإنسان في قدمه ليقيه عن الأرض . وهو يصنع من الجلد أو غيره ، ويجمع على خفاف .

(٣) النعل - بتشديد النون مع الفتح وسكون العين -: هو ما وقيت به القدم عن الأرض، يصنع من الجلد أو غيره ، ويطلق عليه - أيضاً - اسم حذاء ، والجمع فيهما نعال وأحذية .

(٤) كتاب الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج ٤ : ٩٣ ، الطبعة الثانية .

(٥) كتاب الإنصاف للمرداوي ، ج ١ : ٣٢٣ ، تحقيق محمّد حامد الفقي، الطبعة الأولى ١٣٧٤ هـ .

واختاره [1] الموفق [2] والمجد [3] والشيخ تقي الدين[4]؛ لما رواه أبو داود [5] عن أبي هريرة [6] - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إذا وطِئ أحدكم الأذى[7] بخفيه فطهورهما التراب ».

وفي رواية ثالثة [8] عن الإمام أحمد : يجب غسله من البول والعذرة دون غيرهما . والأول أولى لعموم الأدلة عليه .

رابعاً : سئل الشيخ عبد العزيز ابن معمّر - رحمه الله - هل يطهر بالدلك أسفل الخف والنعل إذا أصابته نجاسة أم يصير معفواً عنه ؟

---

(١) انظر كتاب الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوي ، ج ١ : ٣٢٣ ، الطبعة الأولى .

(٢) ابن قدامة المقدسي . وتقدمت ترجمته في ص (٣٥) .

(٣) أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي قاسم ، المتوفى عام ٦٥٢ هـ ، أحد أئمة المذهب الحنبلي.

(٤) انظر ترجمته في ص (٧٥) .

(٥) سنن أبي داود في باب : الأذى يصيب النعل ، ج ١ : ١٠٥ ، تحقيق محمّد محيي الدين عبدالحميد ، وقد أخرجه أبو داود في روايتين : الأولى بإسناد صحيح ، والثانية فيها محمّد بن عجلان ، وهو ثقة اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة ، لكن يشهد لروايته الرواية الأولى .

(٦) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، صحابي جليل ، من أكثر الصحابة رواية عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، توفي سنة ٥٩ هـ ، رضي الله عنه . (البداية والنهاية ، ج ٨ : ١٠٣) .

(٧) الأذى: من الأذية، ومعناه في الحديث النجاسة ؛ لأنها تؤذي الإنسان بتلويث ثيابه وبدنه.

(٨) كتاب الكافي لابن قدامة ، ج ١ : ٩٠ .

فأجاب [١] :

الذي عليه أكثر أهل العلم أنه لا يطهر ، بل يصير معفواً عنه في محله فقط ، فلو لاقى غيره من المائعات فله حكم غيره من المتنجسات .

وفي رواية عن الإمام أحمد : أنه يطهر بذلك[٢] . واختاره ابن حامد في جماعة من الأصحاب ، ومال إليه في المغني[٣] .

قال في الإنصاف[٤] : وهو من مفردات المذهب .

ووجهه ما قدمناه من الدليل ، فقوله : « طهورهما التراب » ظاهر في ذلك .

من هذه الفتاوى يتضح مدى تمكن المؤلف ابن معمّر - رحمه الله - من معرفة النصوص الفقهية وأقوال العلماء ، فيعرض القضية ويأتي بأقوال الفقهاء فيها ويذكر الدليل ، ثم يستعمل فكره في ذلك ، فيرجِّح ما يترجح لديه ، حتى لو كان مخالفاً لرأي كبار العلماء .

يقول في مسألة تطهير أسفل الخف والنعل : « والأول أولى لعموم الأدلة عليه » .

فهو في هذا يرى وجوب تطهير أسفل الخف والنعل بالماء، فيخالف في ذلك رأي شيخ الإسلام ابن تيمية، والموفق بن قدامة

---

(١) كتاب الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج ٤ : ٩٣ ، طبعة عام ١٣٨٥ هـ .

(٢) كتاب الإنصاف للمرداوي ، ج ١ : ٣٢٤ ، تحقيق محمّد حامد الفقي .

(٣) يعني : ابن قدامة صاحب المغني ، ج ١ : ١٦٢ .

(٤) في كتاب الإنصاف للمرداوي ، ج ١ : ٣٢٤ ، تحقيق محمّد حامد الفقي .

وغيـرهما الذين يرون أنه يجزي دلكـهما بالتـراب، لحديث أبي هريرة «فطهورهما التراب»[1] ، وقد تقدم .

هذا جانب من مـعرفة المؤلف بأحكام الفـقه ، وهو يدل على تمكنه وطول باعه فيه ، ولولا خشيـة الإطالة لأتينا بكثير من المسائل التي تبرز فيها شخصية المؤلف - رحمه الله - .

وأما معرفته بالتفسير والحديث والعقائد والسير ومقالات أصحاب الفـرق والملل والنحل ، فقـد برزت شـخصـيتـه فيـها في هذا الكتـاب «منحة القريب المجيب في الرد على عُبَّاد الصَّليب» الذي نعرضه .

فهو يعرض الآيات القرآنية ويناقشها ، ثم يأتي بالأقوال الصحيحة المشهورة في تفـسيرها ، وكثيراً مـا يستشهد بأقـوال الطبري والقرطبي وابن كثير وغيرهم من أئمة التفسير .

أما الحديث فـإنه في الغالب يسوقه بسنده ، ويشـير إلى رواته وتعدد ألفاظه .

ولم نجد المؤلف - رحـمه الله - أورد حـديثاً غيـر صحيح ، بل أكـثر الأحـاديث التي اسـتدل بها قـد خرّجها الإمـام البخـاري والإمـام مسـلم أو أحدهمـا ، والباقي خرّجهـا أصحاب السنن والمسانيـد. فدل ذلك على تمكنه من علم الحديث ومعرفة الصحيح من الضعيف أو المنكر .

---

(١) انظـر كـتـاب الإنصـاف في معـرفة الـراجح مـن الخـلاف للمـرداوي ، ج ١ : ٣٢٣ ، تحقيـق محمّـد حامد الفقي .

أما التواريخ والسير فيعتمد في نقولاته على ما صح منها وصدقته الوقائع بعيداً عن حكايات القصاص وتأويلات المغرضين .

٧ - الجانب الأدبي لدى المؤلف ابن معمّر :

هو أديب بارع يقول الشعر ، فيختار من الألفاظ أجزلها وأفصحها. وقد أشار إلى ذلك المؤرخ عثمان بن بشر في مواضع من كتابه "عنوان المجد في تاريخ نجد" ، ففي حديثه عن تلاميذ الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمّر يقول :

«وأخذ عنه عدة من أهل الدرعية وغيرهم ، منهم ابنه العالم القاضي الأديب والمهذب الأريب عبدالعزيز بن حمد بن ناصر بن معمّر»[١] .

ويقول في موضع آخر (وقائع سنة ١٢٤٤ هـ) :

«وفيها توفي الشيخ العالم الفاضل عبدالعزيز ابن الشيخ العالم حمد ابن ناصر ابن معمّر .... كان فقيهاً أديباً متواضعاً حسن السمت والسيرة ذا شهرة في العلوم والديانة ، وله أشعار رائعة»[٢] .

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن محمّد بن قاسم في جامعه "الدرر السنية في الأجوبة النجدية" في كلامه عن الشيخ عبدالعزيز بن حمد ابن معمّر : «كان أديباً محققاً مدققاً فائقاً في الأصول والفروع»[٣] .

---

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد ، للشيخ عثمان بن بشر ، ج ١ : ٨٨ ، الطبعة الثالثة .

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد ، للشيخ عثمان بن بشر ، ج ٢ : ٤١ ، ٤٢.

(٣) كتاب الدرر السنية في الأجوبة النجدية ج ١٢ : ٥٠ .

نمــاذج مـن أشعاره :

أولاً: في أول العـقـد الرابع من حيـاة المؤلف ، أصـيبت نجـد بالدمـار وتفككت وحـدتهـا على أثر سقـوط الدرعـية مـركـز الحكم السعـودي ومعـقل الدعوة السلفيـة في نجد على يد القائد الغـاشم إبراهيم باشا [١] سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٩م. فـدمرت الأوطان ، وأحرقت الكـتب ، وتفرق طلاب العلم ، وفـر الناس من أوطانهم ، ونأت بهم الديار ، فـأهل الحل والعقد من آل سعود وآل الشيخ رُحِّلوا قـسراً إلى مصر ، وفر الباقون إلى جهات مخـتلفة من مدن وقرى نجد وغيرها ؛ فـآثر المؤلف - رحمه الله - الفرار إلى جـزيرة البحرين على الخليج العـربي ، وعلى الرغم من كونه بعيداً عن موطنه ومرتع صباه فإن ذلك لم يُنسه مآثر تلك الديار .

فنجده يذكـر ماضيهـا التليد ، ويتوجع مما حل بهـا ، ويذكر معتـقد أهلها في أصول الدين وفروعه وأنه معـتقد أهل السنة والجماعة والأئمة الأربعة وغـيرهم من علمـاء المسلمين ، وأن ما رُمـيت به هذه الديار من الحروب والدمار ليس له مبرر ، ويدعو الله أن يرفع عنها هذه الغمة .

فيقول في قصيدته المشهورة لدى أهل نجد بـ «الطنَّانة»[٢]:

---

(١) هو القائد إبراهيم باشا ابـن محمّد علي الألباني ، ولد سنة ١٢٠٤ هـ ، ومـات في مصر سنة ١٢٦٥هـ .

(٢) انظر هذه القصيدة في المراجع التالية :

١ - كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد ، للشيخ عثمان بن بشر ، ج ٢ : ٤١ - ٤٢ .

٢ - مخطوطة في مكتبة الشيخ محمّد بن عبد المحسن الخيال - رحمه الله - .

٣ - مشاهير علماء نجد وغيرهم ، ص٢١٩-٢٢٢ للشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ.

٤ - مقدمة كتاب « منحة القريب المجيب في الرد على عُباد الصليب » بقلم الشيخ محمّد بن عبداللطيف آل الشيخ ، الطبعة الأولى .

٥ - روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين ، للشيخ محمّد بن عثمان القاضي ، ص ٢٥٠ - ٢٥٤ ، الطبعة الأولى .

١ - إليك إله العرش أشكو تضرعاً وأدعوك في الضراء ربي لتسمعا

٢ - فأنت ترى ما قد جرى فانتصر لنا من الفئة البعدى عن الحق مشرعا

٣ - فقد ظلمونا باعتداء وجردوا سيوف ضلال لا اهتداء لمن سعا

٤ - وكم قتلوا من عصبة الحق فتية هداة أوضاة ساجدين وركعا

٥ - وكم دمروا من مربع[١] كان آهلاً فقد أودعوا الدار الأنيسة بلقعا[٢]

٦ - وكم قد أحلوا من حرام ببغيهم وكم هتكوا ستراً حيياً ممنعاً

٧ - فأصبحت الأموال فيهم نهائبا وأصبحت الأيتام غرثى[٣] وجوعا

٨ - وفر من الأوطان من كان قاطناً وفرق أُلف كان مجتمعاً معا

٩ - وشتت شمل الدين وانبت[٤] حبله لديهم فأضحى مستضاماً مضيعا

١٠ - وقد أضحت الأعلام من شرعة الهدى مهدمة الأرجاء تقول : لعاً لعا[٥]

١١ - لمن كان يحمي بالسيوف حماءها يذيق العدى كأسا من الموت مترعا[٦]

١٢ - من المؤمنين الناصرين لربهم فلم يبتغوا في الأرض بغياً ترفعا

١٣ - سوى أنهم يحيون دين محمّد ويحمون بالبيض الخفاف[٧] الشرائعا

١٤ - مضوا وانقضت أيامهم حيث أورثوا ثناء وذكراً طيبه قد تضوعا[٨]

١٥ - فجازاهم الله الكريم بفضله جناناً ورضواناً من الله أرفعا

١٦ - فوا حزننا من بعدهم غير أنني رجوت إلهي أن يمن فيجمعا

١٧ - بهم شملنا في جنة الخلد إنه سميع قريب مستجيب لمن دعا

١٨ - وأرجوه يقضي باجتماعي بإخوة أرى الشوق في قلبي إليهم تنوعا

---

(١) مربع : منزل .
(٢) بلقع : لا شيء فيها .
(٣) غرثى : في شدة من الجوع والعطش .
(٤) انبت : انقطع .
(٥) لعاً لعاً : تقال للعاثر .
(٦) مترعا : مملوءاً .
(٧) البيض الخفاف : السيوف .
(٨) تضوعا : انتشرت رائحته .

١٩ - وجدت بهم وجداً وجدت أصوله أبت أبداً في الود ألا تفرعا [(١)]
٢٠ - فإن كانت الأشباح منا تباعدت فإن لأرواح المحبين مجمعا
٢١ - عسى وعسى أن ينصر الله ديننا ويجبر منا كل ما قد تصدعا
٢٢ - ويعمر للسمحاء ربوعا تهدمت ويفتح سبلاً للهداية مهيعا [(٢)]
٢٣ - إلهي فحقق ذا الرجاء وكن بنا غفورا رحيما مستجيباً لنا الدعا
٢٤ - فليس لنا رب سواك فهب لنا من النصر نصرا بالأمان مشيعا [(٣)]
٢٥ - فقد سامنا الأعداء سوم مذلة وخسفاً فظيعاً قد أضر وأضلعا [(٤)]
٢٦ - على غير ذنب غير توحيد ربنا وإذ قد هدمنا للضلالة أربعا [(٥)]
٢٧ - وإثباتنا لله وصف كماله وتنزيهه عن شبه ما كان مبدعا
٢٨ - ونثبت ما قد جاء في خير منزل وعن خير مبعوث ولن نتتعتعا [(٦)]
٢٩ - نمر الصفات المنزلات كما أتت ونؤمن إيماناً ولن نتنطعا [(٧)]
٣٠ - ونشهد أن الله من فوق عرشه كما قد أتى نصاً صريحاً تشعشعا [(٨)]
٣١ - وينزل في الثلث الأخير إلى السماء من الليل يستدعي العباد إلى الدعا
٣٢ - فهل تائب هل سائل متضرع فيحرز مطلوب الدعاء ويسمعا
٣٣ - هو الغافر الرحمن راحم عبده برحمته كل الخلائق أوسعا
٣٤ - وكل صفات الرب جل جلاله فلا ينبغي فيها سوى النص مطلعا
٣٥ - وهذا اعتقاد للأئمة قبلنا من السلف الهادين من كل أروعا [(٩)]

---

(١) تفرعا : فرع كل شيء أعلاه ، ويقال : تفرعت أغصان الشجرة إذا كثرت وانتشرت.
(٢) مهيعا : سهلا واسعاً .
(٣) مشيعا : من التشييع ، وهو مرافقة الرجل عند رحيله.
(٤) أضلعا : جار وأوجع .
(٥) أربعا : منازل ، ولعل الناظم يقصد : هدم الأبنية المشادة على القبور وإزالة ما يفعل عندها من البدع والمنكرات والشرك .
(٦) نتتعتعا : نتردد ونتلعثم في الكلام .
(٧) نتنطعا : نتعمق في الكلام.
(٨) تشعشعا : نشر شعاعه .
(٩) أروعا : على وزن «أفعل»، وهو الشجاع.

٣٦ - فأحمد[١] والنعمان[٢] منهم ومالك[٣] ونص ابن إدريس[٤] كذلك رصعا[٥]

٣٧ - فماذا علينا إن سلكنا سبيلهم فكان لنا سوح[٦] الهداية مربعا[٧]

٣٨ - ألا أيها الإخوان صبراً فإنني أرى الصبر للمقدور خيراً وأنفعا

٣٩ - ولا تيأسوا من كشف ما ناب إنه إذا شاء ربي كشف ذاك تمزعا[٨]

٤٠ - فما قلت ذا أشكو إلى الخلق نكبة[٩] ولا جزعاً مما أصاب فأوجعا[١٠]

٤١ - فما كان هذا الأمر إلا بقدرة بها قهر الله الخلائق أجمعا

٤٢ - وذلك عن ذنب وعصيان خالق أخذنا به حينا فحينا لنرجعا

٤٣ - وقد آن أن نرجو رضاه وعفوه وأن نعرف التفريط[١١] منا فنقلعا[١٢]

٤٤ - فيا محسنا قد كنت تحسن دائما ويا دائماً قد كان عفوك أوسعا

٤٥ - نعوذ بك اللهم من سوء فعلنا فإن لنا في العفو منك لمطمعا

٤٦ - أغثنا أغثنا وادفع الشدة[١٣] التي أصابت فطالت واكشف الضر وارفعا

٤٧ - فإن لم تغثنا يا مغيث فمن لنا لنقصد أو نرجع إليه ونخضعا

٤٨ - فجد وتفضل بالذي أنت أهله من العفو والغفران يا رب من دعا

٤٩ - وصلِّ صلاة لا تناهى[١٤] على الذي سيبعث في الأخرى[١٥] شفيعاً مشفعا

٥٠ - محمّد المختار والصحب كلهم ومن لوصايا اللّه في الذكر قد وعا

---

(١) يقصد الإمام أحمد بن حنبل إمام المذهب الحنبلي المتوفى سنة ٢٤١ هـ.

(٢) يقصد الإمام أبا حنيفة النعمان بن ثابت إمام المذهب الحنفي ، المتوفى سنة ١٥٠ هـ.

(٣) يقصد الإمام مالك بن أنس ، إمام المذهب المالكي ، المتوفى سنة ١٧٩ هـ.

(٤) يقصد الإمام محمّد بن إدريس الشافعي، إمام المذهب الشافعي المعروف، توفي سنة ٢٠٤هـ.

(٥) رصعا: من الترصيع، وهو تحلية الأشياء بالذهب والفضة، فيقال: سيف مرصع بالذهب.

(٦) سوح : سوح الشيء باحته. (٧) مربعا : منزلا. (٨) تمزعا: تقطعا.

(٩) نكبة : مصيبة ، وجمعها نكبات. (١٠) أوجع : آلَمَ. (١١) التفريط: التقصير.

(١٢) فنقلعا: من الإقلاع، وهو الكف عن الشيء.

(١٣) الشدة: بالكسر من الاشتداد، وهو الضيق.

(١٤) لا تناهى : لا تنتهي . (١٥) الأخرى : القيامة .

ثانياً : ويقول ابن معمّر - رحمه الله - في قصيدة أرسلها إلى زميله وصديقه الشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ وهو في منفاه في مصر ، يشكو فيها البعد ، ويشيد بمآثر آل الشيخ وآل سعود ، وما حل بالديار النجدية بعد فراقهم لها ، ويذكِّره بعهد مضى من خلق كريم ، ومجالس العلم والجاه والسلطان ، وأن ذلك العقد اللؤلؤي قد تناثر نظمه ؛ فتفرقوا ، وأصبحت الديار بعدهم قفرا ، ويسأل اللّه أن يعيد ما مضى ، فيلتم الشمل ، وقد تم ذلك - ولله الحمد - فيقول :

١ - سلام عليكم دونه عدد الرمل	يجدد ما تبقي البواكر[١] والأصل[٢]
٢ - يفوق أريج المسك إن فاح نشره	يكون له من حسن ردكم نزل[٣]
٣ - تحية ذي ودٍ على القرب والنوى	فلم ينس عهداً كان للحب من قبل
٤ - ذكرتكم يا أهل ودي وقد نأت	بي الدار لا صحب لدي ولا أهل
٥ - لأنكم بدر الديار وشمسها	وأنكم للساكنين بها الظل
٦ - فمذ غبتم عنها تبدل ضوؤها	ظلاماً وظلماً عاد بعدكم العدل
٧ - وأصبح أهلوها بأسوأ حالة	من البؤس والبأساء مسهم الذل
٨ - وحل بهم خوف وخلف ومحنة	يجل لها وصل فجمعهم فل
٩ - ولم يبق فيها[٤] من نُسرّ بقربه	ولا من له في الفضل فرع ولا أصل
١٠ - سوى نفر عز اجتماع لشملهم	وليس لكم كفوا ولو أنهم كل

(١) البواكر : من البكور ، وهو أول النهار .
(٢) الأصل : من الأصيل ، وهو الوقت من بعد العصر إلى غروب الشمس .
(٣) نزل : منزلة .
(٤) يقصد الناظم بلدة الدرعية بعد خرابها ، أو بلاد نجد عموما .

١١ - إذا مـا ذكـرنا عـهـد أمس فـإنما | يبـــــادرنـا دمع مـن العـين مـنهـل

١٢ - وما عرض الدنيا أبكي عليه[1] وإنه | لأهون مـــفــقـــودٍ لدى مـن له عـــقل

١٣ - ولكنني أبكي العلم والحلم والحجا | وقـهـر العـدى بالحق إذ سـيـفـه يعلو

١٤ - وأبكي على عـقـد تـناثر نظمـه | شــيـوخ وإخــوان شـبــابهم كــهل

١٥ - تحلّوا بأخـلاقٍ كـرامٍ فـمـا لهم | نظيـرٌ ولا شِـبْـه فـيطـلب أو مِـثْل

١٦ - أقـمنا جمـيعـا في أمان وغـبطة | وللسـحب بالخيـرات من فـوقنا وبل[2]

١٧ - وللعلم روضـات تـفـتح زهرها | خـــمـــائلهـا[3] للسـائلـين بهـا حل

١٨ - وأينع من أشـجــارهن ثمـارها | فنيل الجـنى منهـا عـلى مجتن سـهل

١٩ - ومُد رواق السـعد في عرصـاتها | كـمـا مُـد للعــافين في وسطهـا ظل

٢٠ - فقد أصبحت قفراً وأصبح ظلها | وعـــقـــدهم بـعـــد التـــآلف منـسل

٢١ - فمذ شط[4] أصحابي تمثلت منشدا | لقـــول في البـيــــان له فـــضل

٢٢ - أأحبابنا مـا أوحش الدار بعدكم | علينا ! لقـد ضاقـت بأربابها السبل[5]

٢٣ - نأيتم[6] فـأغليتم رخـيص تجلدي | وصبري وأرخـصتم من الدمع ما يغلو

٢٤ - إلى اللّه أشكو فهو لو شاء جمعنا | لعـدنا إلى العـهد الذي كـان من قـبل

---

(١) صدر هذا البيت غير مستقيم الوزن ، لكنه هكذا وجد في أصله .
(٢) الوبل : هو المطر الشديد .
(٣) الخمائل : مفردها خميلة ، وهو الشجر المجتمع الكثيف .
(٤) شط : بعد .
(٥) السبل : الطرق .
(٦) نأيتم : أبعدتم .

ثـالثـاً : ويقول - رحمـه الله - في قصيدة [1] أرسلها أيضاً إلى الشيخ عبدالرحمن بن حسن جواباً لقصيدة [2] كان الشيخ عبدالرحمن أرسلها إليه :

١ - أنجم بدا كـلا بل البـدر طالع — أم الشمس أضحى ضوؤها وهو ساطع

٢ - أعِـقْـدٌ من الدر النفـيس منظم — فـأنـواره في الأفـق تزهـو لوامـع

٣ - أتى من أديب عـالم مـتـذكـر — لإخـوته والنأي[3] بالخل شـاسـع

٤ - تذكـر ذا قـربى حليف مـودة — ولـم ينسـه مـا نأى فـهـو وادع

٥ - عليك سلام اللّه يا من سـمـا له — إلى المجـد فـرع فـهـو للسـعـد طالع

٦ - عليك مع الإخـوان ألف تحـيـة — وألـف سـلام عـهـده مـتـتـابـع

٧ - لقد سرّني ما جاءني عنك مخبراً — بمـا خـصـكـم ربي بمـا هو واسـع

٨ - على عظم البلوى[4] أتى اللطف فاعجبوا — على يد من تخـشى لديه الجنادع[5]

٩ - فـحـمـداً لمولانا على كل حـالة — وشكراً لـه فـالخـيـر للشكر تابع

١٠ - وإن تسألوا عني فإني على الذي — عـهـدتم وربي عـالـم بي وسـامـع

١١ - فيا سعد من أمسى وأصبح مخلصاً — سليم فـؤاد قلبـه مـتـواضـع

---

(١) انظر : ١ - مقدمة « منتقى عقد الفرائد وكنز الفوائد » للمؤلف .

٢ - مشاهير علماء نجد، للشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، ص ٢٢٤.

(٢) نص هذه القصيدة ذكرناه سابقاً في مبحث : نسب المؤلف .

(٣) النأي : البعد .

(٤) البلوى : الاختبار ، وجمعها بلايا .

(٥) الجنادع : جمع جندعة ، وهي الآفات والدواهي .

١٢ - يرى خير ربح في سلامة دينه إذ النذل[١] أضحى وهو للدين بائع
١٣ - يروح ويغدو الدهر في طلب الهدى إلى السنة[٢] المثلى حنينا يسارع
١٤ - يعض عليها بالنواجذ[٣] منشداً لبيت قديم ترتضيه المسامع
١٥ - وخير الأمور السالفات على الهدى وشر الأمور المحدثات البدائع[٤]
١٦ - أبا حسن[٥] ذكرتنا العهد والإخاء وعصراً مضى والشمل بالخير جامع
١٧ - زمان اصطحبنا في أمان وغبطة وللدين والدنيا لدينا مواضع
١٨ - بنود[٦] ذوي الإسلام تخفق أينما توجهت الرايات[٧] فالنصر تابع
١٩ - فتمت به النعما وحق لها الهنا وقامت به فيما لدينا الشرائع
٢٠ - ولسنا نبري النفس من أمر سوئها ولولاه ما حلت علينا الفجائع
٢١ - فإن حالت الأحوال عما عهدتنا وصار من الأعداء الصديق المشايع
٢٢ - وبث عتاة الخلق[٨] في الأرض بثهم وراعت قلوب المؤمنين الروائع
٢٣ - فصالحة العتبى لكل موحد وإن زعزعته النائبات[٩] الزعازع
٢٤ - دعوت إله الحق فأرجو نواله قريباً ونصر الله لا بد واقع
٢٥ - ونرجوه في الدنيا سريعاً وبعده لدى الحشر إن الله للشرك قامع
٢٦ - وإني لأرجو الله حتى كأنني أرى بجميل الظن ما الله صانع

---

(١) النذل : الخسيس .
(٢) السنة المثلى : الطريقة الصحيحة .
(٣) النواجذ : جمع ناجذ ، وهو آخر ما يخرج للإنسان من الأضراس .
(٤) البدائع: جمع بديعة. ومراد الناظم: البدعة، وهي الحدث في الدين بعد الإكمال.
(٥) يشير إلى الشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن الشيخ محمّد بن عبدالوهاب - رحمه الله -.
(٦) بنود : جمع بند ، وهو العلم الكبير ، لفظ فارسي معرب .
(٧) الرايات : جمع راية ، وهو العلم .
(٨) عتاة : جمع عات ، وهو المجاوز للحد في الاستكبار والجبروت . والناظم يقصد القائد إبراهيم باشا ابن محمّد على الذي دمر الدرعية بجيشه الغاشم سنة ١٢٣٣ هـ.
(٩) النائبات : جمع نائبة ، وهي المصيبة .

هـذه لمحـة سريعة عـن الجانب الأدبـي في حيـاة المؤلف ابن معمّر - رحمه الله -، ولولا خشية الإطالة لأتينا بكل ما نسب إليه من أشعار وتشطيرات ، لكن ذلك كثير ، وليست هذه الترجـمة محل استقصاء ، بل إن ذلك يحتاج إلى دراسة مستقلة ومسـتفيضة من قبل المتخصصين في دراسات اللغة العربية وآدابها .

والمؤلف - رحمـه الله - ، لم يتخذ الشـعر مسلـكاً ومهنة ، ولكن يقوله عند الدواعي والمقتضيات والحنين إلى الأصدقاء والأوطان .

وسنذكر - إن شاء الله - مـزيداً من الكلام عن الجانب الأدبي في حياة المؤلف عبـد العزيز ابن معَمَّر في الحديث عن اخـتصاره وتشطيره لنظم الشيخ محـمّد بن عبد القوي المقـدسي المتوفى سنة ٦٩٩ هـ على أبواب الفقه المسمى "عقد الفرائد وكنز الفوائد" .

رحم اللّه ابن معمّر ، وأجزل له الأجر والثواب .

٨ - جلوسه للتدريس وتلاميذه :

إن المراجع التـأريخية التـي اطلعت عليهـا والتي تحدثت عن حـياة المؤلف تشـيـر إلى طول باعـه في العلم ، وأنه جـدَّ واجتـهـد في طلب تحصيله ، مع مـا رزقه اللّه من الذكاء والقدرة على الحفظ والاسـتذكار وسرعة البديهة .

كل هذه المقومات كونت شخصية المؤلف العلمية وأهلته للتدريس والإفتاء والدعوة والإرشاد والرد على أهل البدع والضلال .

وقد وصفه العلامة الشيخ محمّد بن عبد اللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ[1] بقوله : له اليد الطولى والباع الواسع في التصنيف والتأليف ونشر العلم وتخريج الكثير من الطلاب والرد على المعارضين وإفحام المخاصمين[2] .

ويقول صاحب كتاب "روضة الناظرين" : «ودرَّس الطلبة ، وتخرج عليه طلبه كثيرون ، وله مؤلفات عديدة »[3] .

ولم تحدد المصادر التأريخية أسماء أشخاص معينين من تلاميذه ، بل تقتصر على القول : أخذ عنه العلم عدد من العلماء .

٩ - عمَله فى القضاء :

اجتهدت كثيراً في البحث عن الأعمال التي تولاها المؤلف وعن أقضيته وتهميشاته على الوثائق الثبوتية للعقارات وغيرها. فلم أعثر إلا على نتف بسيطة تشير إلى أن الشيخ عبد العزيز ابن معمّر - رحمه الله - قد تولى القضاء في الدرعية في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمّد آل سعود وابنه الإمام عبد الله بن سعود .

---

(١) هو الشيخ العلامة محمّد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، ولد في مدينة الرياض عام ١٢٧٣ هـ ، وأخذ العلم عن عدد من علماء نجد والحجاز حتى برز فيه ، وتولى قضاء الرياض والإفتاء والتدريس حتى توفي سنة ١٣٦٧ هـ ، رحمه الله . (علماء نجد خلال ستة قرون ، للشيخ عبد الله البسام ، ج ٣ : ٨٤٩) .

(٢) مقدمة كتاب «منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب»، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ.

(٣) كتاب روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين ، للشيخ محمّد العثمان القاضي ، ج ١ : ٢٥١.

يقـول المؤرخ ابن بشـر وهـو يتحـدث عـن حيـاة الشيخ حمد بن ناصر بن معمّر - والد المؤلف - : «وأخـذ عنـه عدة من أهـل الدرعية وغيرهم ، منهم ابنه العالم القاضي الأديب والمهذب الأريب عبدالعزيز ابن حمد بن ناصر ...» [١] .

فهذا النص يفيد أن المؤلف قد تولى قـضاء الدرعية في تلك الحقبة ؛ لأن هذا المؤرخ قد عاصره وزامله في طلب العلم على علماء الدرعية.

ويقول الشيـخ عبد اللّه بن عبدالرحـمن البسام في تراجمـه لعلماء نجد: «أدرك إدراكاً تاماً فعيَّنه الإمام سعود في جملة قضاة الدرعية»[٢] .

ويقـول صـاحب كتـاب "روضـة الناظرين عن مـآثر علمـاء نجـد وحوادث السنين" في حـديثه عن المؤلف : « عيّنه الإمـام سعود قاضـياً في الدرعية ، فسدد في أقضيته » [٣] .

فمن هذه النـقول نستـدل على أن المؤلف - رحمه الـله - قد تولى عمل الـقضاء في الدرعـية ، لكن هذا الـعمل لم يشـتهر بالـقدر الذي اشتهر به قضاء والده حمد بن ناصر بن معمّر وغيره من كبار قضاة نجد.

ولعل سبب ذلك يعـود إلى تورعه عن القـضاء وعدم تطلع نفـسه إليه ، بدليل أنه عرض عليه مرة أخرى حينمـا استقر في البحرين . فقد

---

(١) كتـاب عنوان المجـد في تاريخ نجد ، تحقيـق الشيخ عـبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، ج ١ : ٢٠٣ ، طبعة ١٣٩٤ هـ.

(٢) كتاب علمـاء نجد خلال ستة قرون ، للشـيخ عبدالله بن عبدالرحـمن البسام ، ج ٢ : ٤٤٥ ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

(٣) كتـاب روضة الناظرين ، للشـيخ محمّـد بن عثمـان القاضي ، ج ١ : ٢٥١ ، الطبـعة الأولى ١٤٠٠ هـ .

عرض عليه حاكم البحرين في وقته الشيخ عبد اللّه بن أحمد بن محمّد آل خليفة - رحمه الله - أعمال القضاء في البحرين ، فامتنع الشيخ عبدالعزيز ابن معمّر ؛ تورعاً وزهداً .

١٠ - مؤلفاته :

كل من كتب عن حياة المؤلف عبدالعزيز ابن معمّر ، يشير إلى أن له عدة مصنفات ، لكن المشتهر له كتابان ، أكدت المراجع التأريخية نسبتهما إليه .

الأول : «منتقى عقد الفرائد وكنز الفوائد» [١] .

الثاني : «منحة القريب المجيب في الرد على عُبَّاد الصليب»[٢] .

وصاحب كتاب "روضة الناظرين"[٣] ينسب للمؤلف مصنفاً ثالثاً هو "النوادر" وأن فيه أشعاراً عذبة . لكنني لم أطلع عليه ، ولم أر أحداً آخر نسبه للمؤلف .

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، وهو يتحدث عن مصنفات المؤلف، يقول: «ومن مصنفاته - أيضاً - "اختصار نظم ابن عبدالقوي للمقنع" و "منتقى عقد الفرائد وكنز الفوائد"» انتهى[٤] .

---

(١) طبع للمرة الأولى في مصر بالمطبعة السلفية بعنوان "عقد الفرائد" بإشراف الأستاذ محب الدين الخطيب ، بدون تاريخ.

(٢) طبع للمرة الأولى في مصر عام ١٣٥٨هـ على مطابع شركة فن الطباعة .

(٣) روضة الناظرين ، للشيخ محمّد بن عثمان القاضي ، ج ١ : ٢٥١، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ .

(٤) كتاب مشاهير علماء نجد وغيرهم ، للشيخ عبدالرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، ص ٢١٩ ، الطبعة الثانية.

والواقع أن مختصر نظم ابن عبدالقوي للمقنع هو كتاب "منتقى عقد الفرائد وكنز الفوائد" . فظن الشيخ عبدالرحمن - عفا اللّه عنه - أنهما كتابان . وهما كتاب واحد لا شك في ذلك .

أما الكلام عن الكتابين المشتهرين للمؤلف المجمع على نسبتهما إليه فنقول:

أولاً : منتقى عقد الفرائد وكنز الفوائد :

وهو عبارة عن اختصار للمنظومة الدالية الكبرى التي نظمها العلامة شمس الدين محمّد بن عبدالقوي المقدسي المرداوي المتوفى سنة ٦٩٩هـ في فقه الإمام أحمد بن حنبل - رحمه اللّه - ، وقد اشتهرت هذه المنظومة لدى علماء المذهب الحنبلي منذ القرن السابع الهجري .

وهي مبوّبة على أبواب الفقه ، بدأها الناظم - رحمه اللّه - بكتاب (الطهارة) ، وختمها بكتاب (الشهادات) . وقد عمل الناظم ابن عبدالقوي - رحمه اللّه - هذا العمل تسهيلاً لحفظ مذهب الإمام أحمد ، ولتكون عوناً لطلاب العلم على استذكار مسائله ؛ لأن النظم أثبت في الأذهان من الكلام المنثور .

وقد طبع هذا النظم كاملاً في مجلدين بعنوان "عقد الفرائد وكنز الفوائد" في بيروت سنة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .

ولما كلت الهمم وشق على طلاب العلم حفظ المطولات والأمهات، عمد الفقيه الشيخ عبدالعزيز ابن معمّر إلى اختصار هذا النظم بترك ذكر الخلاف في مسائله والاختصار على ما اختاره أئمة المذهب من الروايات .

كما زاد ابن معمّر على هذا النظم ما دعت الحاجة إلى ذكره ، وسمى اختصاره وزياداته "منتقى عقد الفرائد وكنز الفوائد" ، فهو اسم طابق مسماه. ومعلوم أن النظم واختيار الألفاظ أشد صعوبة من الكتابة المنثورة ، لكن سعة علم ابن معمّر وإحاطته في مسائل الفقه ، وطول نفسه في اللغة والنظم مكّنه ذلك من إظهار هذا المنظوم بالصورة التي هو عليها الآن .

وقد ميّز الشيخ ابن معمّر - رحمه الله - نظمه عن نظم ابن عبد القوي بكتابة نظمه بالمداد الأحمر محافظة منه على كلام الناظم . يقول في ذلك :

وميّزت نظمي من مغير نظمه بحمرة كتاب المداد المعود [1]

وعند طبع الكتاب وُضِعَ نظم ابن معمّر بين الأقواس تمييزاً له ، فجاء كواسطة عقد في جيد حسناء .

وقد نظم المؤلف هذا المختصر وهو في البحرين في آخر حياته - رحمه الله - ، فقد اطلعت على نسخة خطية له لدى أحد الفضلاء ذكر في

(١) كتاب منتقى عقد الفرائد وكنز الفوائد ، ص ١٠ ، الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ .

آخرها أن المؤلف فرغ منه في يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف من الهجرة النبوية الشريفة ، ومن المعلوم يقيناً أن المؤلف - رحمه الله - توفي في البحرين عام ١٢٤٤ هـ .

وقد طبع هذا المختصر طبعته الأولى في مصر تحت عنوان "عقد الفرائد وكنز الفوائد" عن نسخة خطية بقلم الشيخ محمّد بن علي بن إبراهيم الشثري[1] ، نسخت سنة ست وثلاثمائة وألف (١٣٠٦هـ) ذكر في آخرها : « هذا آخر المنتقى من عقد الفرائد وكنز الفوائد ».

والمعروف أن "عقد الفرائد وكنز الفوائد" اسم لنظم ابن عبد القوي للمقنع .

أما مختصر ابن معمّر فعنوانه "منتقى عقد الفرائد وكنز الفوائد" كما ذكرنا ، فلا نعلم ما سبب هذا الاختلاف .

وقد أُعيدت طباعته ثانية (تصويراً) من الطبعة الأولى وبنفس العنوان الذي ذكرنا على حساب دار ثقيف للنشر والتأليف بالطائف سنة ١٣٩٧ هـ .

ثانياً : منحة القريب المجيب في الرّد على عُبّاد الصليب :

هذا الكتاب صنّفه المؤلف الشيخ عبدالعزيز ابن معمّر وهو مقيم في البحرين حوالي عام ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م ، كتبه رداً على كتاب القسيس

---

(١) أحد علماء حوطة بني تميم ، ولد في الحوطة ، وتوفي بها .

الهولندي (هوقـودي قروت) الذي عرف - فيـما بعد - باسم "مفـتاح الخزائن ومصباح الدفائن" .

وسوف نتكلم عن هذا الكتـاب ، ورد الشيخ عبدالعزيز ابن مـعمّر عليه بشيء من التفصيل في فقرات تالية - إن شاء الله - ؛ إذ هو محل هذه الدراسة والتحقيق .

١١ - انتقاله من نجد إلى البحرين ووفاته ومراثيه :

بعد خـراب الدرعيـة عام ١٢٣٣هـ على يد القائد الغـاشم إبراهيم باشا ابن مـحمّد علي ، ارتحل المؤلـف - رحمه الله - من الدرعـية في نجد إلى جزيرة البحرين في الخليج العربي ، وأقام بها بقية حياته .

وهي مدة تقـارب إحدى عـشرة سنة قـضاها في العـبادة والدرس والإفتاء والتأليف ورد شبهات المعارضين للإسلام وأباطيلهم .

وتذكر المصادر التأريخية الموثوقة أنه توفي بالبحرين سنة ١٢٤٤هـ[1] . لكنها لم تحدد في أي شهر وفي أي موضع من منطقة البحرين .

إلا أن الشـيخ محمّـد العثمان القاضي ذكـر في كتـابـه "روضة الناظرين"[2] أن الشيخ عـبدالعزيز ابن مـعمّر توفي في مـدينة المنامة في شهر شعبان سنة ١٢٤٤هـ . وعهـده متأخر، ولم يذكر مصدره في ذلك.

---

(١) المرجع : ١ - عنوان المجد في تاريخ نجد ، لابن بشر ، ج ٢ : ٤١ ، الطبعة الثالثة.

٢ - الأخبار النجدية، لمحمّد بن عمر الفاخري، تحقيق الدكتور عبدالله بن يوسف الشبل ، ص : ١٦٧.

(٢) ج ١ : ٢٥٣ ، الطبعة الأولى .

أما قوله : « في شهر شعبان » فليس هناك ما يعارضه . وأما قوله : «في مدينة المنامة» فإن فيه نظراً ؛ فقد زرت البحرين في عام ١٤٠٢ هـ لجمع المعلومات عن حياة المؤلف وقت اشتغالي في تحقيق هذا الكتاب، وهناك التقيت بشخصيات علمية من أهل المنطقة قد تقدم بهم السن فذكروا : أن الشيخ عبدالعزيز ابن معمّر - رحمه الله - كان يسكن في مدينة المحرق في حي يعرف بـ "حي الحنابلة" ، ولهم مسجد فيه يقال له : مسجد الحنابلة ، أسسه كبير أسرة الجلاهمة [١] ، الشيخ عبد الله بن سليمان الجلهمي . وسكان هذا الحي كلهم سنيُّون حنابلة . وقد زرت الحي ووقفت على المسجد ، وقد أعيد بناؤه على الطراز الحديث على نفقة أحد أمراء الكويت . وهذا - في نظري - أقرب إلى الواقع . والله أعلم .

ما قيل في رثائه :

حينما توفي المؤلف - رحمه اللّه - حزن الناس لفقده ، وعزّى بعضهم بعضاً ، وصُلِّي عليه ، ودُفِن في البحرين كما تقدم .

وعندما وصل خبر وفاته إلى نجد صُلِّي عليه صلاة الغائب ، ورثاه العلماء . وبعض المصادر التأريخية تشير إلى أنه قد رثي بمراثٍ عديدة .

---

(١) الجلاهمة : أسرة تنتمي إلى العتوب ، كان موطنهم الأصلي الأفلاج في منطقة نجد بالجزيرة العربية ، ثم نزحوا إلى البحرين ، واستوطنوا فيه .

لكن لم يشتهر من ذلك إلا ما رثاه به الشيخ أحمد بن علي بن مشرّف [1] ، أحد علماء الأحساء حينما بلغه وفاة المؤلف ، فقال :

١ - أشمس الهدى غابت أم البدر آفل ... أم النجم أمسى لونه وهو حائل؟
٢ - أم الدين هد الخطب جانب طوده ... أم العلم قد أوهت بناه الزلازل؟
٣ - نعم أفلت شمس العلوم وبدرها ... لدن غيبت حبر الزمان الجنادل [2]
٤ - إمام الهدى عبدالعزيز ابن ناصر [3] ... فكم نصر الإسلام منه رسائل
٥ - رثته علوم الدين إذ غاب نجمه ... فأنجمها تبكي عليه أوافل
٦ - وظلت ربوع العلم تهتف باسمه ... وتندبه للمشكلات مسائل
٧ - فمن بعده للمعضلات وحلها ... وكانت له فيها تشد الرواحل
٨ - ومن للعدا يرمي بشهب علومه ... ومن للهدى يحمي وعنه يناضل
٩ - لقد صار في الإسلام ثلم [4] بموته ... وكلم [5] فمن ذا بالعلاج يحاول
١٠ - وقد كان للإسلام حصناً ومفزعاً ... إذا نزلت بالمسلمين النوازل
١١ - فأصبح مقصوداً لمن طلب الهدى ... وكل لنيل المعالي رسائل [6]
١٢ - هو البحر إن رمت العلوم وبحثها ... سوى أنه للبحر يوجد ساحل

---

(١) هو الشيخ الأديب أحمد بن علي بن حسين بن مشرف الوهبي التميمي ، ولد في الأحساء في أوائل القرن الثاني عشر الهجري، وتتلمذ على علماء الدعوة السلفية في نجد حتى صار من كبار العلماء. له مصنفات في الأدب والحديث والتوحيد، وتوفي في الأحساء سنة ١٢٨٥هـ. (كتاب عقد الدرر، للشيخ إبراهيم بن عيسى، ص ٥١).

(٢) الجنادل : جمع جندل ، وهي الحجارة .

(٣) اسم المرثي عبد العزيز بن حمد بن ناصر ، لكن الناظم عبر بناصر مراعاة للنظم .

(٤) الثلم : الخلل في الحائط والسيف وغيرهما .

(٥) الكلم : الجراحة ، وجمعه كلوم .

(٦) هكذا عجز البيت في جميع النسخ التي نقلته منها ، والخلل واضح فيه من حيث الوزن والمعنى .
وهو يستقيم إذا جعل هكذا : فأصبح مقصوداً لمن طلب الهدى ... ومنه إلى نيل المعالي رسائل.

١٣ - إذا مـا أتاه السـائلـون فـعنده جـواب من الـتحـقـيق شـاف ونائل

١٤ - وقد جـهل الأقوام مقـدار فضله وعـاش زمـاناً ذكـره فـيـه خـامل

١٥ - فلا عـجب فالكنـز يجهل غـالباً وهذا زمـان تسمـو فـيه الأسـافل

١٦ - لقد جـد في علم الشريعة ناصـباً ألا إنـه بـالجـزم للـحق نـائـل

١٧ - وقد كان مخـفوض الجناح تواضعاً بأحـرف علم هـن فـيـه عـوامل

١٨ - أضيف إليـه العلم النفيس فـجره إلى كل خـيـر فـهـو بالعلم عـامل

١٩ - وفعل المعالـي أوجبت رفع قدره كـما يـستـحق الرفع في النحـو فـاعل

٢٠ - ولكنه في الفـضل مـا عنه نائب وليـس له فـي عـقـله مـن يعـادل

٢١ - فحـسبك من حـسن الثنا مـا ذكرته ومـا طـال من شيء فـمـا فـيـه طائل

٢٢ - لقـد فقـد العلم الغـزير ونشـره لدن فـقـدت عـبـدالعـزيز المحـافل[١]

٢٣ - سقى روحه الرحـمن هطال رحمة وعم الرضـا من غـيـبـتـه الجنادل

٢٤ - فأوصـيك بالصبـر الجميـل وبالرضا فـحكم المنـايا[٢] للـبـريـة عـاجل

٢٥ - فلو كـان سهم الموت يخطيء واحـداً لعـاش الهـداة الأكـرمـون الأفـاضل

٢٦ - ولكـنه حـكم مـن اللّه نـافـذ وخطب عـمـيم لـلبـرية شـامل[٣]

---

(١) المحافل : جمع محفل ، وهو مجتمع القوم .

(٢) المنايا : جمع منية ، وهي الموت .

(٣) انظر هذه المرثية في المراجع التالية :

١ - كتاب الدرر السنية في الأجوبـة النجـدية ، جـمـع وترتيـب الشـيخ عبـدالرحمـن بن قاسم ، ج ١٢ : ٥٢، الطبعة الثانية .

٢ - كتاب علماء نجد خلال ستة قرون ، للشيخ عبدالله البسّام ، ج ٢ : ٤٤٨، الطبعة الأولى .

٣ - مشاهير علماء نجد ، للشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ ، ص ٢٢٠ ، الطبعة الثانية.

٤ - مقدمة كتاب منحة القريب المجيب، بقلم الشيخ محمّد بن عبداللطيف آل الشيخ ، الطبعة الأولى ١٣٥٨ هـ.

ويقول المؤرخ النجدي ، محمّد بن عمر الفاخري ، المتوفى سنة ١٢٧٧هـ - رحمه الله - :

« وفي سنة ألف ومائتين وأربع وأربعين (١٢٤٤هـ) توفي العالم الكامل الفاضل عبدالعزيز بن حمد بن ناصر ابن معمّر في بلد البحرين. كان رحمه الله فقيهاً أديباً لبيباً متواضعاً حسن السمت والسيرة ذا شهرة وديانة ». انتهى [1] .

وهكذا انتهت حياة هذا العالم الجليل فقد مات بعيداً عن وطنه نجد التي طالما حنَّ إليها ، وأشاد في مآثرها ، وهو القائل :

ذكرتم يا أهل ودي وقد نأت	بي الدار لا صحب لدي ولا أهل
إذا ما ذكرنا عهد أمس فإنما	يبادرنا دمع من العين منهل
أأحبابنا ما أوحش الدار بعدكم!	علينا لقد ضاقت بأربابها السبل

وقد اجتهدت في طلب معرفة هل تزوج الشيخ عبدالعزيز بن حمد ابن معمّر ، وأنجب ذرية ؟

أما المراجع التي اطلعت عليها فلم تتحدث بشيء من ذلك ، وسألت شخصيات نابهة من أسرة آل معمّر وغيرهم فلم أظفر بشيء يستحق الذكر والتدوين ، فالكل يقول : إنه لم يخلف ذرية .

ويذكر الشيخ حمود بن عبد اللّه بن حمود التويجري ، العالم المعروف - رحمه اللّه - رواية عن شيخه عبد اللّه بن عبدالعزيز العنقري: أن الشيخ عبد العزيز بن حمد ابن معمّر حينما دمرت الدرعية عام ١٢٣٣ هـ ارتحل منها إلى البحرين ومعه بُنيات له.

---

(١) الأخبار النجدية ، تحقيق الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل ، ص ١٦٧ ، الطبعة الأولى .

كما يذكر الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام في كتابه "علماء نجد خلال ثمانية قرون" فيقول :

« وبعد نكبة الدرعية نقل الشيخ عبد العزيز بن حمد بن معمر زوجته وأولاده إلى بلدة سدوس ، وسافر إلى البحرين . ولما هدأت الأمور في نجد عاد إليها ، ونقل زوجته وأولاده إلى البحرين ، وبقي فيها حتى توفي سنة ١٢٤٤هـ . وبعد وفاته عاد بهم إلى نجد ابن عمهم عبدالعزيز بن ناصر بن معمر ، وسكنوا عنده في الرياض ، وأولاده هم:

ابنه عبد الله عاش حتى عام ١٢٨٧هـ ، حيث قُتِل في إحدى المعارك قرب وادي الدواسر ، وشقيقتاه ، وهما سارة ونورة ، الأولى تزوجها الإمام فيصل بن تركي . والثانية لها عقارات وميراث . وقد انقطع عقب الشيخ عبدالعزيز ابن معمر ، رحمه الله ... » .

انتهى بتصرف[١] .

---

(١) كتاب علماء نجد خلال ثمانية قرون ، للشيخ عبد الله البسام ، جـ ٣ : ٣٣٦ ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ .

ب - التعـريف بكتـاب

" منحة القريب المجيب في الرَّد على عُبَّاد الصليب " :

١ – عنوان الكتاب وصحة نسبته إلى المؤلف .

٢ – سبب تأليفه .

٣ – مكانته بين كتب الرّدود على أهل الكتاب .

٤ – منهج المؤلف في الكتاب .

٥ – أهم مراجع المؤلف في الكتاب .

٦ – عرض موجز عن مباحث الكتاب .

٧ – القيمة العلمية لهذا الكتاب ومدى الحاجة إليه .



١ - عنوان الكتاب وصحة نسبته إلى المؤلف

أجمعت المصادر التأريخية التي تحدثت عن حياة الشيخ عبدالعزيز ابن معمّر على نسبة هذا الكتاب (منحة القريب المجيب في الرّد على عُبَّاد الصليب) إلى الشيخ عبدالعزيز بن حمد ابن معمّر . كما أجمعت على تسميته بهذا الاسم ، بل إن مؤلفه صرح بهذه التسمية ، يقول - رحمه الله - : « وذلك القسم الذي نقضناه يشتمل على خمسة فصول من الكلام ، فجعلنا الرد عليها في خمسة مقامات لكل فصل منها مقام ، وسميته " منحة القريب المجيب ، في الرد على عُبَّاد الصليب " ، ومن اللّه نستمد الإعانة على ما أردناه »[١] .

ويقول الشيخ محمّد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ :

« ومن أشهر مصنفاته وأجلها هذا الكتاب : "منحة القريب المجيب في الرد على عُبَّاد الصليب" »[٢] .

وفي كتاب "مشاهير علماء نجد وغيرهم" للشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ ، يقول : « ومن أشهر مصنفاته وأجلها الكتاب المسمى : "منحة القريب المجيب في الرّد على عُبَّاد الصليب" »[٣] .

---

(١) مقدمة كتاب منحة القريب المجيب ، ص ١٥ ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٥٨هـ ، بقلم الشيخ محمد بن عبداللطيف.

(٢) مقدمة كتاب منحة القريب المجيب ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٥٨ هـ .

(٣) كتاب مشاهير علماء نجد وغيرهم، للشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، ص ٢١٩.

ويقول الشيخ عبدالله بن عبدالرحـمن البسّام في كتابه "علماء نجد خلال ستة قرون" في ترجمته للشيـخ عبدالعزيز بن حمد ابن معمّر[1]، يقول : « ومنها كتابه النادر النفيس "منحة القريب المجيب في الرد على عُبَّاد الصليب" ».

وفي كتـاب "روضة الناظرين"[2] للشيخ مـحمّد العثمـان القاضي، يقول : «وله مؤلفـات عديدة منها "منحة القـريب المجيب في الرد على عُبَّاد الصليب" » . والمراجع في ذلك كثيرة جداً .

فهذه النصوص وغـيرها تؤكد صحة عنوان الكتاب وصحـة نسبته إلى مـؤلفـه الشيخ عـبد العـزيز بن حمـد ابن مـعمّـر ، ولم يقل أحـد بخـلاف ذلك فـيـما أعلم إلا مـا جـاء في كتـاب " الدرر السنيـة في الأجوبة النجدية "[3]، جمع وترتيب الشيخ عبـد الرحمن بن محمد بن قاسم .

يقول في ترجمتـه للشيخ عبدالعزيز ابن معمـر : « وله كتاب "فتح القريب المجيب في الرد على عُبَّاد الـصليب" ». فقوله : «فتح القريب» وَهْمٌ منه - رحمه الله - .

---

(١) كتاب علماء نجد خلال ستة قرون ، ج ٢ : ٤٤٥ ، الطبعة الأولى .

(٢) كتاب روضة الناظرين ، ج ١ : ٢٥١ ، الطبعة الأولى .

(٣) كتاب الدرر السنية ، ج ١٢ : ٥٠ ، الطبعة الثانية .

٢ - سبب تأليف الكتاب

تذكر بعض المصادر والبحوث [١] أن الكنيسة الهولندية اتهمت القسيس النصراني الهولندي (هوقو قروتيوس HUGO GROTIUS)[٢]، واسمه باللغة الهولندية الحديثة (هوقودي قروت HUGODE GROOT) اتهمته بالتمرد عليها ؛ فنبذته عنها ، وحكمت عليه بالحرمان والسجن ، مما حدا بهذا القسيس إلى تأليف كتاب يبرئ فيه ساحته عما اتهمته به الكنيسة من الارتداد عنها .

فألّف كتاباً نظمه شعراً باللغة الهولندية ، وأطلق عليه اسم :

(DE VERITATE RELIGIONIS CHRISTIANAE)

وترجمته باللغة العربية : (حقيقة الديانة النصرانية) .

وقد اشتمل هذا الكتاب على أربعة أقسام وخاتمة :

القسم الأول : في بيان أن الشريعة المسيحية تستحق أن تسمى بالشريعة الصحيحة .

القسم الثاني : في إثبات كتب العهد الجديد (الأناجيل) .

القسم الثالث : في الرد على اليهود المعارضين لشريعة المسيح .

---

(١) المرجع : تقرير عن كتاب (هوقودي قروت) إعداد المعيدة بكلية اللاهوت بهولندا يوكاسباني ، ومعلومات ذكرها الأستاذ الدكتور قاسم السامرائي حينما كان يعمل أستاذاً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

(٢) هوقو قروتيوس : قسيس هولندي من رجال القانون ، ولد سنة ١٥٨٣ م ، وتوفي سنة ١٦٤٥ م .

القسم الـرابع : في ابتداء ظهور الإسـلام ، والرد على المسلمين بحـجة مـأخوذة من الكـتب المقدسـة ، والتـرجيـح بين شريعـة محمّد وشريعة المسيح .

أما الخاتمة : فضمنها نصيحته للمسيحيين وما يجب عليهم فعله.

وفي عـام ١٦٤٠م ترجمـه القـسيس الإنجليـزي (إدوارد بوكـوك EDWARD POCOCKE)[1] إلى اللغـة العربيـة ، وقد زاد فيـه ونقّص منه بموافقة من مؤلفه (هوقودي قروت HUGODE GROOT)، وقد طبعت هذه الترجمة على نفقـة المبشر النصراني روبرت بويل (ROBERT BOYLE)؛ لغرض توزيعه على المبشرين الأوربيين المسـافرين إلى البلاد الإسلامية لمساعدتهم في الجدل والفلسفة .

وفي عـام ١٧٣١م نشر هـذا الكتاب (يوهـان كالنبـرخ JOHANN CALLENBERG) في مـدينة هالة بألمانيـا الشرقـية لاسـتعمـال المبشـرين العاملين بين المسلمين ؛ لـغرض تنصيرهم . وفي عـام ١٨٣٣م أعادت نشر هذا الكتـاب باللغة العربيـة جمعـية الدعاية للعلوم النصـرانية في لندن دون ذكر اسم مؤلفه أو اسم مترجمه ، وجعلت عنوانه :

(مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن)

(BOOK OF HEY OF TREASURES AND LAMP OF BVRIEOS)

---

(١) إدوارد بوكوك : ولد سـنة ١٦٠٤ م في إكسفـورد ، وعمل قـسيسـاً في الجمـعية التبشـيرية السورية فـي حلب ما بين عام ١٦٣٠م وعـام ١٦٣٦ م ، ثم عمل في إسـتانبـول بتركـيا ، ثم عمل أستاذاً للعربية في إكسفورد ، وتوفي سنة ١٦٩١م .

وقد قامت بتوزيعه شركة الهند الشرقية [1] التي كانت تعمل في العراق والخليج العربي . وقد اطلعت على نسختين خطيتين لهذا الكتاب:

النسخة الأولى : في جامعة ليدن بهولندا .

والنسخة الثانية : في المكتبة البريطانية في لندن .

وقد حصلت على صورة فوتوغرافية (ورقية) لكل منهما قابلتهما على نصوصهما في كتاب "منحة القريب المجيب في الرّد على عُبَّاد الصليب"، وأشرت إلى بعض الاختلافات في الألفاظ .

هذا ما تحقق لديَّ عن كتاب هوقودي قروت ، المسمى " مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن " ، الذي ردّ عليه الشيخ عبد العزيز بن حمد ابن معمّر .

وحيث إن صاحب هذا الكتاب قد تهجّم في القسم الأخير منه على الإسلام وأهله ، وادعى أن شريعة عيسى - عليه السلام - هي الشريعة الخاتمة للديانات السماوية. وأنه لا حاجة إلى بعثة محمّد - صلى الله عليه وسلم -.

---

(١) تأسّست هذه الشركة سنة ١٦٠٠م لصالح شركة لندن للتجارة للمتاجرين في جزر الهند الشرقية ، وفي أول الأمر كان طابع هذه الشركة تجارياً ، وما لبث أن تحول إلى طابع سياسي ، وأصبحت لهذه الشركة امتيازات مكنتها من وضع قوات لها تحمي مصالحها ، وبالتالي أصبحت تدير مصالح بريطانيا في منطقة الخليج والعراق وإيران .
انظر : (دليل الخليج لـ : ج . ج . لوريمر ، ص ٢٢ ، طبعة قطر) .

هذا إلى جانب ما تضمنه كلامه من القدح في شعائر الإسلام كالجهاد وتعدد الزوجات والطلاق وتحريم شرب الخمر ، وقد جعل هذا القسم في خمسة فصول ، فخاف أهل الغيرة على الإسلام من انتشار هذه الأفكار بين من ليس له بصيرة بالأديان ومعرفة الحكمة من تشريع الأحكام .

فصادف ذلك وجود الشيخ عبدالعزيز ابن معمّر في البحرين حيث جاء إليه فاراً من أتون الحرب الذي سعّره جيش محمّد علي في نجد وخاصة الدرعية مركز الحكم السعودي ومعقل الدعوة السلفية ظلماً وعدواناً . لهذا جاء الشيخ عبدالعزيز ابن معمّر إلى البحرين ؛ ليقيم فيه، فعرض عليه حاكم البحرين[1] كتاب "مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن" المشار إليه ، وطلب منه الرد عليه ، فاستعد لذلك .

يقول ابن معمّر - رحمه الله - في مقدمة رده : « قد سألني بعض الإخوان ... أن أكتب جواباً عن أباطيل الكتاب الذي صنّفه بعض الضالين من النصارى الجهلة المغالين ، وسمّاه "مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن" ... فعند ذلك رأيت الإجابة إلى الجواب أولى ؛ فاستعنت باللّه ، فنعم المعين »[2] .

---

(١) هو الشيخ عبداللّه بن أحمد بن محمّد آل خليفة ، تولّى الحكم في البحرين سنة ١٢٣٦هـ / ١٨٢٠م ، وانتزع منه سنة ١٢٥٨ هـ / ١٨٤٢م . وتوفي في مسقط بعُمان سنة ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٨م - رحمه الله - . (التحفة النبهانية ، ١٤٩ - ١٦٢) .

(٢) كتاب منحة القريب المجيب في الرد على عُبَّاد الصليب ، ص ١٢ ، الطبعة الأولى .

وقد اشتمل رده على خمسة مقامات ، وكل مقام خصّصه للرد على فصل من فصول القسم الأخير من كتاب «مفتاح الخزائن» .

وسوف يمر بك تفاصيل هذه المقامات بين ثنايا الكتاب بما يغني عن ذكره هنا .

ولم يتعرض المؤلف - رحمه اللّه - لنص الأقسام الأخرى من كتاب النصراني ؛ لأنها تتعلق بأمرين :

١ - إثبات صحة رسالة المسيح ، وأن دينه دين صحيح .

٢ - في الرد على اليهود في رفض شريعة المسيح وكفرهم به .

لكن الجواب عن هذه الأقسام قد جاء ضمن جواب ابن معمّر لشموليته وتعرضه إلى جملة الوقائع والأدلة .

٣ - مكانة الكتاب بين كتب الردود على أهل الكتاب

أهم ما كتب في الرَّد على أهل الكتاب :

إن المتتبع لتأريخ الإسلام منذ ظهوره إلى يومنا هذا يجد الجدال والمناظرة مستمرة بين أتباع هذا الدين وبين أهل الملل والأديان في مختلف العصور والأزمان .

وكتاب "منحة القريب المجيب في الرد على عُبَّاد الصليب" عبارة عن مقارنة بين دين الإسلام الصحيح وبين الديانة النصرانية المحرَّفة .

لهذا سوف نشير - إشارة سريعة - إلى بعض ما وقع من الجدال بين أئمة الإسلام وأهل الكتاب .

فمن ذلك ما كتبه الإمام السموأل[1] بن يحيى المغربي سنة ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م ، وعنوانه "إفحام اليهود" ، وقد يطلق عليه البعض اسم "بذل المجهود في إفحام اليهود" . وقد اطلعت على نسخة منه باللغتين العربية واللاتينية طبعت في نيويورك سنة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤م.

يقول - رحمه الله - في أوله :

« والغرض من إنشاء هذه الكلمة الرد على أهل اللجاج والعناد ، وأن نظهر ما يعور كلمتهم من الفساد .... وقد جعل إلى إفحامهم طريقاً مما يتداولونه في أيديهم من نصوص تنزيلهم ، وأعماهم اللّه عنه عند تبديلهم ؛ ليكون حجة عليهم موجودة في أيديهم »[2] .

---

(١) هو السموأل بن يحيى بن عباس المغربي ، كان يهودياً فأسلم ، له معرفة في الرياضة والطب ، توفي حوالي سنة ٥٧٠ هـ . (كتاب إفحام اليهود ، ص ١٣٠ ، طبعة نيويورك ١٩٦٤م) .

(٢) كتاب إفحام اليهود ، ص ٦ .

ومنها ما كـتبه الإمام القرطبي - رحـمه الله - سنة ٦٨٤هـ بعنوان "الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام "[١] .

كتـبه رداً على كتاب ألّفـه أحد النصارى عنوانه "تثليث الوحـدانية"[٢]، فنقض القرطبي - رحمه اللّه - كل ما نسجه هذا الضال.

وموضـوع هذا الكتاب مـا أشار إليه مـؤلفه في عنوانه وهو فـساد مـذاهب النصـارى في الأقـانيم وفي النبــوات وتأكـيـد صـحـة نبـوّة محمّد - صلى اللّه عليه وسلم - وإظهار محاسن دين الإسلام .

ومنها ما كتبه الإمـام أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي[٣] المتوفى سنة ٦٨٤ هـ وعنوانه "الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة"[٤] .

وموضوع هذا الكتاب الرد على اليهود والنصارى فيما يدَّعونه من صحة كتبهم وطعنهم في رسالة محمّد صلى اللّه عليه وسلم .

فقد أنشأ أحد النصارى رسالة ضمنـها الاحتجاج بالقرآن على صحة مذهبهم المحرّف ، ودفعها إلى الإمام القرافي ، مدَّعياً أن غيـره هو القائل وأنه هو السائل عن صـحة ذلك . فـأجاب القرافي - رحـمه الله - عن ذلك بالنفي لما ادَّعاه هذا النـصراني ، وأثبت صحة دين الإسـلام وصدق نبوّة محمّد عليه أفضل الصلاة والسلام .

---

(١) طبع هذا الكتاب فـي مصر سنة ١٩٨٠ م في مـجلد واحد بتحـقيق الدكتـور أحمد حـجازي السقا .

(٢) انظر مقدمة كتاب الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام .

(٣) هو أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي المالكي ، ولد في مصر ، وبها نشأ ، من كبار علماء المالكيـة ، له تصانيف عـديدة في مخـتلف الفنون ، وتوفي في مصـر سنة ٦٨٤هـ . (مـعجم المطبوعات ، ص ١٥٠١ ، والأعلام للزركلي ، ج ١ : ١٤) .

(٤) طبع هذا الرد في مـصر سنة ١٣٢٢هـ على حـاشيـة كتـاب «الفارق بين المخلوق والخـالق»، وقام الدكتور سالم بن محمّد القرني بتحقيق هذا الرد وطباعته .

ومنها ما كتبه الإمام أبو جعفر أحمد بن عبدالصمد بن أبي عبيدة الخزرجي[1]، المتوفّى سنة ٥٨٢ هـ ، فبعد سقوط مدينة "طليطلة" إحدى قواعد الدولة الإسلامية في بلاد الأندلس انتهز النصارى فرصة ضعف المسلمين ، وأخذوا يشككونهم في أمر دينهم طمعاً في تنصيرهم ، فكان النصارى يلقون الشبه والمفتريات على المسلمين، فانبرى للرد عليهم الإمام أبو جعفر الخزرجي، وألّف كتابه المشهور "بين الإسلام والمسيحية"[2] ردّ فيه على جميع الشبه والمفتريات التي لفّقها أحد قساوسة النصارى في الأندلس ، وبيّن - رحمه اللّه - فضائل دين الإسلام ومساوئ النصرانية وتحريفها .

كما قام أحد النصارى الذين هداهم اللّه إلى الإسلام ، وهو نصر ابن يحيى بن عيسى المتطبب[3]، بتأليف رسالته المعروفة بعنوان "النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية"[4]، فتناول - رحمه اللّه - في هذه الرسالة موضوعات مهمة في الديانة النصرانية مثل تعدد مذاهبهم ، واعتقاداتهم الباطلة في شخصية المسيح عيسى ابن مريم - عليه السلام -، فناقش هذه الدعاوى ، وفنّدها ، وردّ على شبههم فيها، وذكر الدلائل

---

(١) هو الإمام أحمد بن عبدالصمد بن أبي عبيدة بن محمّد بن أحمد الأنصاري الخزرجي، ولد في قرطبة في بلاد الأندلس سنة ٥١٩ هـ/ ١١٢٥م. كان - رحمه اللّه - أديباً ومحدثاً اشترك في حروب الفتن بالأندلس ، فوقع في الأسر سنة ٥٤٠ هـ ، وفي آخر حياته كف بصره ، وتوفي في فاس سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٧م . (مقدمة كتاب بين الإسلام والمسيحية. بقلم محققه الدكتور محمد بن عبد الغني شامة).

(٢) طبع في مجلد سنة ١٩٧٢م في مصر بتحقيق الدكتور محمّد بن عبد الغني شامة .

(٣) هو نصر بن يحيى بن عيسى بن سعيد المتطبب ، كان نصرانياً ، فهداه الله تعالى إلى الإسلام ، عاش خلال القرن السادس الهجري ، وتوفي حوالي عام ٥٨٩ هـ . (مقدمة كتاب النصيحة الإيمانية) .

(٤) طبعت هذه الرسالة عام ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م في مصر بتحقيق الدكتور محمّد عبدالله الشرقاوي ، وتقع في مائة وخمسين صفحة .

على نبوّة محمّد بن عبـد اللّه - صلى الله عليه وسلم - من كتب النصارى وغيرها .

ومنها ما كتبه شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية[١]، المتوفى سنة ٧٢٨هـ -رحـمه اللّه- بعنوان "الجواب الصـحيح لمن بدل دين المسيح"[٢]، رد فيه على الراهب (بولص الأنطاكي) أسقف صيدا[٣].

وموضوع هذا الرد مقارنة بين الأديان السماوية، والتمييز فيما بينها.

وقد أثبت ابن تيـميـة - رحمه اللّه - وقـوع التبديل والـتغيـير في عقائد وكتب أهل الكتاب، وذكر جمـلاً من فساد مذاهبهم واختلافهم وفضائحهم ، وانتهى إلى أن الإسـلام هو الدين الصحيح الذي ارتضاه اللّه لعباده . فوفّى الموضع حقه ، وردّ شبهات المعارض ، فصار هذا الرد هو المرجع لمن كتب بعده في الرد على أهل الكتاب .

ومن ذلك أيضاً ما كـتبه العلامة شـمس الدين بن القيّم[٤]، المتوفى سنة ٧٥٢هـ بعنوان "هداية الحـيارى في أجـوبة اليهـود والنصارى"[٥]. كتبه رداً على أحد اليهود في مصر .

---

(١) هـو شيخ الإسلام أبو العبـاس أحمـد بن عبدالحليم بن عبداللّه بن تيـمية ، ولد سنة ٦٦١هـ من كبـار علماء الإسلام ، وصـاحب المصنفـات والفتـاوى والردود على أهـل البدع . توفي سنة ٧٢٨هـ - رحمـه اللّـه - . (طبقـات الحفاظ للـسيوطي ، ص ٥١٦ ، وتذكرة الحفاظ ، ج ٤ : ١٤٩٦) .

(٢) هذا الرد يقع في أربعة أجزاء ، وقد طبع عدة مرات في مجلدين ، وقام ثلاثة من أساتذة قسم العقيدة بجامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية بدراسته وتحقيقه .

(٣) صيدا : مدينة في لبنان تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط .

(٤) هو العلامـة شمس الدين مـحمّد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمـشقي المعـروف بابن قيم الجوزيـة ، ولد سنة ٦٩١ هـ ، وأخذ العلم عن شـيوخ أجـلاء من أبرزهم شيخ الإسـلام ابن تيمـيـة ، لـه عـدد من المؤلفـات المشهورة ، وتوفّـي في دمشق سنة ٧٥٢هـ - رحـمه اللّه -. (انظر مقدمة كتاب إغاثة اللهفان، بقلم الشيخ محمد حامد الفقي).

(٥) طبع هذا الكتاب في مجلد واحد عدة مرات، وقام بتحقيقه الدكتور أحمد حجازي السقا.

وقد نهج - رحمه اللّه - في هذا الرد - في الغالب - على نهج شيخ الإسلام ابن تيمية في "الجواب الصحيح". فأحسن القول في المقارنة بين اليهودية والنصرانية المحرّفتين وبين دين الإسلام ، وأثبت صحة نبوّة محمّد - صلى الله عليه وسلم - ، فدحض شبـهات المعارض ، وجادل جدالاً حسناً يستفيد منه كل طالب للحق.

وهكذا يستمر الجـدال وتقوم المناظرة بين أهل الحق والباطل ، وفي كل هذه المواقـف تكون الغلبـة والحـجـة لأهل الإسـلام ؛ لأنه خـاتم الأديان، ولأنه الدين الحق الـذي ارتضـاه اللّه لعبـاده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين .

قال تعـالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [1] .

وقال : ﴿ ... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [2] .

وفي عـصر المؤلف الشـيخ عـبدالعـزيز بن حـمد ابن مـعمّـر ، في منتصف[3] القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرن التاسع عشر الميلادي. وفي منطقـة البحرين أحـد ثغور الخليج العـربي وبوابة الجزيرة العـربية

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٨٥ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٣ .

(٣) حوالي عام ١٢٤٠ هـ/ ١٨٢٤ م .

معقل الإسلام والعقيدة الصحيحة ، نشر أحد القساوسة الإنجليز كتاباً عنوانه "مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن" الذي ينسب أصله إلى القسيس الهولندي (هوقودي قروت) .

وقد تضمن هذا الكتاب تصحيح الديانة النصرانية ، والرد على اليهود المعارضين ، وفي آخره طعنٌ في الإسلام وأهله ، وإنكار لرسالة محمّد - صلى اللّه عليه وسلم - بدعوى أن رسالة عيسى كافية باقية.

فتصدى الشيخ عبدالعزيز ابن معمّر للرد على هذا الكتاب وبخاصة ما يتضمن الطعن في الإسلام وأهله ، وإنكار رسالة محمّد - صلى اللّه عليه وسلم - ، وقد جعل ردّه - رحمه اللّه - في كتاب أطلق عليه اسم "منحة القريب المجيب في الرد على عُبَّاد الصليب" ، فضح فيه ما عليه أهل الكتاب من تلاعب الشيطان بهم في عقائدهم ومذاهبهم، وما أحدثه أصحاب مجامعهم في أمور دينهم من الإلحاد باللّه رب العالمين، ورفْع عيسى - عليه السلام - من منزلة العبودية إلى منزلة الإلهية ، والتحلل من سنن الأنبياء والمرسلين . فلم يتمسكوا بشيء من شريعة المسيح - عليه السلام - ، بل هم مختلفون في شخصيته أشد الاختلاف . فمنهم من يقول : إنه إنسان ، ومنهم من يقول : إنه إله ، ومنهم من يقول : إنه ابن اللّه ، ومنهم من يقول : إنه أقنوم وطبيعة ، ومنهم من يقول : إنه أقنومان وطبيعتان .

فناقش المؤلف ابن معمّر -رحمه اللّه- هذه الدعاوى مناقشة موضوعية مستندها العقل والنقل ، فانتهى إلى إبطال ما زعموه وهدم ما بنوه، ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ

أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1] .

فذكر جملاً من فضائحهم ، وما هم عليه ، وأنهم أشد الناس براءة من أنبيائهم ، وأن نصوص أنبيائهم تشهد عليهم بكفرهم وضلالهم .

ثم أثبت المؤلف في هذا الرد أعلام نبوّة محمّد - صلى اللّه عليه وسلم - وبراهين رسالته ، وبشارات الأنبياء به . واستخرج ألفاظ أسمائه ونعوته وصفاته وسيرته من كتبهم ، وأشار إلى معجزاته الحسية والمعنوية ، مما ورد في لفظ القرآن أو تواترت به أخبار السنة النبوية ، ثم تكلم عن شعائر الإسلام ، ومنافعها ، والمصالح المترتبة على الالتزام بها، ثم قارن بين الشريعة الإسلامية ، والشريعة المسيحية مشيراً إلى أوجه الكمال في الشريعة الإسلامية ، وأنها خاتمة الشرائع .

فجاء هذا الرد كافياً شافياً أسهم في إثبات قواعد الدين الإسلامي، وردِّ شبهات المبطلين ، وأنار السبيل للضالين الحائرين .

ثم جاء بعد ابن معمّر من كتب في مقارنة الأديان والرد على أهل الكتاب مثل الشيخ رحمت اللّه بن خليل الرحمن الهندي[2] ، فصنَّف كتابه "إظهار الحق"[3] الذي كتبه سنة ١٢٨٠هـ. فقد ساق فيه ما اعترى

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٠٩ .

(٢) هو العلامة الشيخ رحمت اللّه بن خليل الرحمن بن نجيب بن حبيب الكيرانوي الهندي الحنفي ، ولد سنة ١٢٣٣ هـ ، وتوفي في مكة سنة ١٣٠٦هـ . (قاموس الأعلام للزركلي ، ج ٣ : ١٨).

(٣) طبع أكثر من مرة، ثم حققه الدكتور محمد الملكاوي فطبع في أربعة مجلدات ، ووزعته الرئاسة العامة للإفتاء.

كتب النصارى من التغيير والتحريف ، وأبطل دعوى التثليث ، وأثبت صحة نبوة محمّد - صلى الله عليه وسلم -، وأن الدين الذي جاء به هو الدين الصحيح الذي لا يقبل اللّه ديناً سواه.

وفي العصر الحديث كثرت الكتابة عن مقارنة الأديان وعن المسيحية واليهودية بأقلام إسلامية ، كلها في الغالب تستقي مادتها العلمية مما كتبه السابقون الذين أشرنا إلى بعض مؤلفاتهم .

وكثيراً ما نسمع أو نقرأ عن التقارب المسيحي الإسلامي ، ولكن اللّه سبحانه وتعالى ، قد ذكر الفصل في هذا بقوله : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[1] .

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٢٠ .

٤ - منهج المؤلف فى الكتاب

عرض سريع عن الموضوعات الرئيسة فى الكتاب :

رتب المؤلف - رحمه اللّه - موضوعات كتابه "منحة القريب المجيب في الرد على عُبَّاد الصليب" حسب ترتيب الشُّبَه التي أثارها صاحب كتاب "مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن" . فبدأ أولاً في مقدمة لطيفة بيّن فيها موضوع الكتاب ، وسبب تأليفه والغرض منه ، ثم تحدث عن جهل النصارى في علوم دينهم وضلالهم في أصوله وفروعه ، وذكر أقوال علماء المسلمين في ذلك .

ثم عرض ما جرى في مجامع النصارى وما انتهت إليه من فساد في العقيدة ، وهدم في الدين ، بسبب اختلاف أساقفتهم وأتباعهم لأهواء ملوكهم . وإزاء هذا الاختلاف والتلاعب في أمور الدين ذكر شدة حاجة الناس إلى بعث رسول يجدد لهم أمر دينهم ، وينير لهم الطريق المستقيم . ثم تكلم عن توافق عقيدة الإسلام لعقائد الأنبياء السابقين وإن اختلفوا في الشرائع .

ثم عرض دعوى النصارى في صلب عيسى - عليه السلام - ، وقتله ، وقيامه من بين الأموات ، فقال :

«الحق أنه لم يصلب ، ولم يقتل ، بل رُفِع إلى السماء لدلالة القرآن على ذلك، وصحيح السنة». ثم ذكر اختلاف كتب النصارى وتناقضها.

ثم ذكر صفة رسول اللّه محمّد - صلى اللّه عليه وسلم - في التوراة والإنجيل والقرآن ، وعقد مقارنة بين محمّد - صلى اللّه عليه وسلم - وعيسى - عليه السلام - ، ذكر فيها فضائل محمّد - صلى اللّه عليه وسلم - وأخلاقه ؛ مما يدل على صدق رسالته وصحة نبوته.

بعد ذلك ناقش دعوى النصارى اتحاد اللّه - سبحانه - وحلوله في المسيح - عليه السلام - (اتحاد اللاهوت بالناسوت) ، ودعوى ألوهيته، ونفى بشدة الولادة عن اللّه عزّ وجلّ، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾[1].

ثم ناقش قضية الجهاد في سبيل اللّه، والحكمة من مشروعيته، وفوائده.

ثم تكلم عن معجزة القرآن الكريم ، وعجز العرب الفصحاء عن محاكاته والإتيان بمثله ، وأشار إلى معجزة انشقاق القمر ، وأثبت صحة وقوعها لنبيّنا محمّد - صلى اللّه عليه وسلم - بالعقل والنقل.

ثم ذكر وقائع غيبية أخبر بها الرسول محمّد - صلى اللّه عليه وسلم - قبل وقوعها فهي دالة على صدق رسالته .

كما ذكر بعض الأدلة على صدق رسالته بحصول المعجزات الحسية والمعنوية ، ونوّه أن من طالب الرسول - صلى اللّه عليه وسلم - بآية تعنتاً فإنه لا يُعبأ به .

ثم ذكر ما أظهر اللّه على أيدي أتباع محمّد من الآيات والكرامات وما لاقاه أصحابه من الشدائد والمعضلات .

ثم ذكر تلاعب الشيطان في الأمة النصرانية في صيامهم وصلاتهم وأعيادهم ، وأشار إلى بعض سنن الإسلام ومحاسنه ؛ كالطلاق ، وتعدد الزوجات ، وتحريم شرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير . وأوضح الحكم والمصالح المترتبة على ذلك ، وردّ على الشُبَه التي يثيرها النصارى حول هذه السنن .

---

(١) سورة الإخلاص .

ثم ختم هذا الرد بذكر أوجه الكمال في الشرائع السماوية ، وأن شريعة الإسلام أكملها وأزكاها على الإطلاق .

هذه أهم القضايا التي تناولها المؤلف في هذا الكتاب .

أما عن منهجه في بحث هذه القضايا ، ورده عليها ، فإنه يأتي أولاً بنص كلام المعترض ودليله على الشبه التي أثارها .

ثم يناقش الأدلة من حيث السند والمتن حتى ينتهي إلى إبطالها ؛ لأنها في الأصل كانت غير صحيحة ، لكن دعوى المعارض وتأويلاته للنصوص أعطاها شبهة للدلالة على دعواه .

ثم يأتي ابن معمّر بالأدلة التي تخالفها من القرآن والسنة وكلام الثقات من أهل العلم مما يؤيد حجته .

أما القرآن فيختار من الآيات ما يدل صراحة على المقصود ، ولا يحتمل التأويل .

وأما السنة فيختار من الأحاديث ما هو صحيح أو في درجة الصحيح.

ولهذا جاءت أكثر الأحاديث التي استشهد بها المؤلف في صحيح البخاري ومسلم أو في أحدهما ، والبعض الآخر خرّجها أصحاب السنن والمسانيد في أسانيد صحيحة .

ثم بعد ذلك يأتي بأقوال الأئمة والعلماء لتقوية حجته واستدلاله ، ثم يضيف إليها ما يناسبها من الوقائع التأريخية المشهورة .

ثم ينتهي إلى إبطال دعوى المعارض بدليل نقلي وعقلي .

مثال ذلك قضية تحريم أكل لحم الخنزير وشرب الخمر .

فأولاً : ساق المؤلف قول المعارض وشبهته في ذلك ، فقال :

قال النصراني : « والمسيحيون أُحِلّ لهم استعمال المآكل ، وشرب الخمر على وجه الاعتدال ، أما المسلمون فقد حُرِّم عليهم أكل لحم الخنزير وشرب الخمر ، مع أنه نعمة عظيمة من اللّه ينتفع بها النفس والجسم ممن يستعمله بالاعتدال » انتهى .

ثم أخذ ابن معمّر في مناقشة قضية تحريم أكل لحم الخنزير ، مبيناً الحكمة من التحريم ومستشهداً عليه بدليل من القرآن ، فقال :

« قد تقدم أن ما حرّم اللّه على المسلمين فمصدره من رحمة اللّه بهم ، وحمايته لهم فإنه - تعالى - أحل لنا الطيبات وحرّم علينا الخبائث كما قال - تعالى - : ﴿ ... وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ... ﴾ [1] » .

ثم بيَّن علة التحريم وأنه وصفٌ قائمٌ بالأعيان ، فقال :

« والطيب والخبيث وصف قائم بالأعيان ليس المراد به مجرد التذاذ الأكل وعدمه أو التذاذ طائفة من الأمم لا من العرب ولا غيرهم على القول الصحيح .

فالخبث القائم بالعين هو علة التحريم ، فحرَّم اللّه - تعالى - أكل الخبائث صيانة لعباده عن ملابسة الخبيث والاغتذاء به » .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٥٧ .

ثم بعد ذلك ساق أقوال أهل العلم في علة التحريم ، فقال :

«قال أهل العلم : لأن الغذاء يصير جزءاً من جوهر المغتذي ، ولا بد وأن يحصل للمغتذي أخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلاً في الغذاء».

ثم استشهد بقضية مماثلة وهي تحريم الدم المسفوح ، فذكر علة تحريم ذلك ، وهو أنه مجمع قوى النفس الشهوانية الغضبية ، فإذا تناوله الإنسان أكسبه كيفية توجب طغيان هذه القوى .

ودلّل على ذلك بقول الرسول - صلى اللّه عليه وسلم - : « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم »[1] .

كما استشهد بقضية أخرى ، وهي تحريم أكل كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير ، وأشار إلى علة تحريم ذلك ، وهو البغي والعدوان في هذه البهائم ، فإذا أكلها الناس صار في أخلاقهم شوب من أخلاق هذه البهائم وهو البغي والعدوان . وهكذا سائر المحرمات .

وكذلك الخنزير[2] فإنه مطبوع على أخلاق ذميمة، وصفات قبيحة؛ فحرِّم أكله على الإنسان صيانة وحماية له عن أن يتكيف بتلك الكيفية . واستحلال النصارى له من إحداثهم في دين المسيح وتبديلهم له .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب : الأحكام ، ج ٨ : ١٤ ، طبعة إستانبول . ومسلم في كتاب : السلام ، ج ٤ : ١٧١٢ ، تحقيق محمد عبد الباقي .

(٢) الخنزير - بكسر الخاء وسكون النون وكسر الزاي -: حيوان يشترك بين البهيمية والسبعية ، فالذي فيه من السبع الناب وأكل الجيف ، والذي فيه من البهيمية الظلف وأكل العشب ، وقد سمي بالخنزير نسبة إلى الخزر ، وهو ضيق العين وصغرها ؛ لأنه كذلك ينظر .

واستشهاد المؤلف بهاتين القضيتين غرضه أن يبني منهما قاعدة عامة على تحريم كل ما فيه ضرر على الإنسان ، ومن ذلك الخنزير ؛ فإنه مطبوع على أخلاق ذميمة وصفات قبيحة، فحُرِّم أكله على الإنسان لهذه العلة [1].

وختم المناقشة ببيان أن النصارى ليس لهم دليل على إباحة أكل الخنزير ، بل إن ذلك مما أحدثوه في دين المسيح ، وهو مُحرَّم في جميع الأديان.

ثم ساق ما ذكره الحافظ ابن كثير [2] عن عبد الرحمن بن أبي حاتم [3]:

« أن آدم - عليه السلام - نزل بتحريم أربع : الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به .

فلما بعث الله عيسى ابن مريم ، جاء بالأمر الذي نزل به آدم ، وأحل لهم ما سوى ذلك ، فكذّبوه وعصوه » [4] .

ثم بعد ذلك أخذ يناقش قضية تحريم الخمر على نحو ما ذكرنا .

---

(١) تحريم أكل الخنزير دليله القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ... ﴾ [الأنعام : ١٤٥] ، وقال تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ... ﴾ [المائدة : ٣].

(٢) هو الحافظ المفسِّر إسماعيل بن عمرو بن كثير البصري ، ولد سنة ٧٠١ هـ ، مفسِّر ومحدث ومؤرخ ، من مصنفاته : تفسيره المشهور ، وكتابه « البداية والنهاية » ، توفي سنة ٧٧٤ هـ . (طبقات المفسرين للداوودي ، ص ٣٢٧).

(٣) هو الإمام المحدث عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي، ولد سنة ٢٤٠هـ، من حُفّاظ الحديث، له معرفة كبيرة برجال الحديث . من مصنفاته « الجرح والتعديل » في علم الحديث ورجاله، توفي سنة ٣٢٧هـ . رحمه الله . (البداية والنهاية، ج ١١: ١٩١).

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ، ج ٢ : ٨، طبعة دار إحياء الكتب العربية في مصر.

٥ - أهم مراجع المؤلف

من خلال دراسة هذا الكتاب ، وتحقيق نصوصه ، وتوثيق أدلته ، ومناقشة الأفكار الواردة فيه، تبيّن أن المؤلف - رحمه الله - قد رجع في إعداد رده إلى مراجع رئيسة أصيلة ومشهورة بالتوثيق والصحة، أهمها :

أ - القرآن الكريم :

فقد استشهد بأكثر من (٣٠٠) آية من القرآن ، ولم أجده أخطأ في لفظ آية ، مما يدل على تمكّنه من القرآن وحفظه له ، فيختار من الآيات ما هو واضح الدلالة على مقصوده ، ولا يحتمل التأويل .

وصدق القائل :

فتدبر القرآن إن رمت الهدى فالعلم تحت تدبُّر القرآن [١]

ب - السنة النبوية الشريفة :

فيختار منها في الاستدلال على حجته ما كان صحيحاً؛ لهذا جاءت معظم الأحاديث والآثار الواردة في هذا الكتاب في صحيحي البخاري[٢] ومسلم[٣] أو في أحدهما أو في جامع الترمذي أو في مسند الإمام أحمد.

وهناك عدد من الأحاديث التي استدل بها المؤلف وهي قليلة قد خرّجها أصحاب السنن والمسانيد .

---

(١) هذا البيت من نظم العلامة ابن القيم ، من قصيدته المشهورة (الكافية الشافية) . انظره في شرحها للشيخ أحمد بن إبراهيم الشرفي ، ج ١ : ٣١٥ ، الطبعة الأولى .

(٢) البخاري: هو الإمام المحدث محمد بن إسماعيل البخاري، ولد في بخارى سنة ١٩٤هـ حجة في معرفة علم الحديث النبوي الشريف. من مؤلفاته كتابه المشهور «الجامع الصحيح» أصح كتاب في علم الحديث . توفي - رحمه الله - في سمرقند سنة ٢٥٦هـ . (وفيات الأعيان ، ج ٤ : ١٨٨).

(٣) مسلم: هو الإمام المحدث مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ولد سنة ٢٠٦هـ، من أشهر أئمة الحديث ، وله صحيحه المشهور «صحيح مسلم» الكتاب الثاني بعد صحيح البخاري ، توفي الإمام مسلم - رحمه الله - في نيسابور سنة ٢٦١ هـ. (وفيات الأعيان ، ج ٥:١٩٤).

ج – أقـوال المفسريـن :

لقد اعتمـد المؤلف في استدلاله بأقوال المفسرين على ما كـان مشهوراً بالصحة وسداد الرأي من أصحاب الدراية والرواية. فمعظم نقولاته في ذلك من تفسير الحافظ ابن كثير[1] وابن جرير الطبري[2]، والقرطبي[3] وغيرهم.

د – السـيرة النبـوية والشـمائل :

كـثيـراً ما يـستـشهـد المؤلف – رحـمه الله – بأقـوال مـحمّـد بن إسحاق[4] وابن هشام[5]، وأقوال القاضي عياض اليحصبي[6] في كتابه "الشفـا بتعريف حقـوق المصطفى"، والإمام شهـاب الدين القسطلاني[7]

---

(١) تقدمت ترجمته في ص (٨٥) .

(٢) هو أبو جعفر مـحمد بن جرير الطبري، ولد في طبـرستان سنة ٢٢٤هـ ، مؤرخ كبيـر ومفسر جليل من مؤلفاته تفسيره المشهور «جامع البيان في تفسير آيات القرآن» وكتاب «تاريخ الأمم والملوك» في التأريخ ، وتوفي في بغـداد سنة ٣١٠ هـ . (وفيات الأعيـان ، ج ٤ :١٩١، والبداية والنهاية، ج ١١ :١٤٠).

(٣) هو الإمام المفسـر أبو عبدالله محـمد بن أحمد بن بكر الأنصاري القـرطبي، أحد أئمة التفـسير، رحل من الأندلس إلى مصر واستقر بها ، من مؤلفـاته تفسيره المشهور «الجامع لأحكام القرآن». وتوفي في مصر سنة ٦٧١ هـ . (مقدمة الجامع لأحكام القرآن ، ونفح الطيب ، ج ١ : ٤٢٨).

(٤) هو أبو عبداللّه محمّد بن إسحاق بن يسار، ولد في المدينة المنوّرة سنة ٨٥ هـ ، مؤرخ مشهور اشتهر بكتابة السيرة النبوية العطرة، وتوفي في بغداد سنة ١٥١هـ. (وفيات الأعيان، ج ٤ : ٢٧٦).

(٥) أبو محـمّد جمال الدين عـبد الملك بن هشام بن أيوب الحمـيري المعافري، ولد في الـبصرة ، وبها نشأ ، ثم تحوّل إلى مصر. من أشهر مؤلفاته تهذيبه للسيرة النبوية التي كتبها ابن إسحاق. وقد توفي ابن هشـام في مصر سنة ٢١٨هـ، وله أشـعار رائعة وأخـبار نادرة في تاريخ ملوك حمير. (وفيات الأعيان ، ج٣:١٧٧).

(٦) هو أبو الفضل القـاضي عياض بن موسى اليـحصبي، ولد سنة ٤٧٦ هـ، وتولى القـضاء في بلاد المغرب. من أشهر مصنفـاته كتابه المشهور « الشفا بتعريـف حقوق المصطفى» في السيرة النبوية ، وتوفي في مراكش سنة ٥٤٤ هـ. (وفيات الأعيان، ج ٣:٤٨٣، ومقدمة كتاب الشفا تحقيق محمد أمين قرة).

(٧) الإمام شهاب الدين أحمد بن محمّد بن أبي بكر القسطلاني ، ولد في القاهرة سنة ٨٥١ هـ ، من علماء الحديث والسيـر. من أشهر مؤلفاته : « إرشاد الساري شرح صـحيح البخاري » ، وكـتاب «المواهب اللـدنية في المنح المحـمـدية» في السيـرة النبـوية. وتوفي في القـاهرة سنة ٩٢٣هـ. (الضوء اللامع للسخاوي ، ج ٢ : ١٠٣).

في كتابه "المواهب اللدنية في المنح المحمدية" ، وكتاب "دلائل النبوة" للبيهقي[1] ، وكتاب "دلائل النبوة" لأبي نعيم[2] وغيرهم.

هـ - أقوال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية :

لقد اعتمد المؤلف في نقوله عن شيخ الإسلام فيما يتعلق بالنصارى من كتابه "الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح" الذي سبق بيان موضوعه ، فمعظم نقوله عن ابن تيمية من هذا الكتاب ، وقد ينقل من غيره من كتب شيخ الإسلام الأخرى .

و - أقوال العلامة ابن قيّم الجوزية :

كثيراً ما ينقل المؤلف عن العلامة شمس الدين ابن القيم ، ويستشهد بكلامه عن النصارى ومجامعهم ، وتلاعب الشيطان بهم في عقيدتهم وصلاتهم وصيامهم وأعيادهم مما ذكره في كتابيه : "إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان"[3] ، و "هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى" الذي سبق بيان موضوعه ، وله نقولات أخرى عن ابن القيم من كتابه "زاد المعاد في هدي خير العباد"[4] وغيرها .

---

(١) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، ولد سنة ٣٨٤ هـ من أئمة الحديث، من مؤلفاته : «السنن الكبرى» و«السنن الصغرى» في الحديث ، وكتاب «دلائل النبوة» في السيرة النبوية . توفي سنة ٤٥٨ هـ . (وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٧٥).

(٢) أبو نعيم أحمد بن عبد اللّه بن أحمد الأصبهاني، ولد سنة ٣٣٦هـ محدث ومؤرخ ، من أشهر مؤلفاته : «حلية الأولياء» في عشرة أجزاء ، وكتاب «دلائل النبوة» في السيرة النبوية . توفي سنة ٤٣٠هـ . (وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٩١ ، وميزان الاعتدال ، ج ١ : ٥٢) .

(٣) يقع هذا الكتاب في جزأين ، وقد طبع عدة مرات بتحقيق الشيخ محمّد حامد الفقي.

(٤) يقع هذا الكتاب في أربعة أجزاء ، وقد طبع في مجلدين سنة ١٣٩٢ هـ في مصر. وأخيراً حُقِّق ، وطبع في خمسة مجلدات .

ز – كما أن المؤلف – رحـمه اللّه – قد ضمّن كتابه مـجموعة من نصوص التوراة والإنجيل والزبور تدل على صـفة النبي محمّد – صلى اللّه عليه وسلم – ، والبشارة بـه وبرسـالته . وفي نظري أن ابن معمّـر -رحمه اللّه- لم يرجع إلى هذه الكتب نفسها، وإنما نقل هذه النصوص من كتب أخرى تحدثت عن شمـائل الرسول محمّـد – صلى اللّه عليه وسلم – ، وعن النصارى مـثـل كتاب " المواهب اللدنيـة " للقسطلاني السالف ذكره ، وكتاب " الجـواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح " لابن تيمية ، وكتاب " هداية الحيارى " لابن القيم وغيرها .

مثال ذلك قوله :

«وقد قال في التوراة: (لا يقوم في بنـي إسرائيل أحد مثل موسى)، وفي ترجمة أخرى : (مثل مـوسى لا يقوم في بني إسرائيل أبداً) ، فتعين أن يكون المراد به محمّد – صلى الله عليه وسلم – » انتهى .

وقد جـاء هذا النص حرفـياً في كـتاب "هداية الحـيارى"[1] ، فدل على أنه نقل عنه .

وكثيراً ما يقول: قال في "المواهب"[2]، وقال ابن قتيبة[3] إلى غير ذلك.

وهذه الكتب التـي نقل عنهـا المؤلف – رحـمـه اللّه – من المراجع الأصيلة التي يعـتمد عليـها ؛ لهذا اعـتمدها المؤلف – رحـمه اللّه – ، فنقل عنها هذه النصوص .

---

(١) ص ١٧٥ ، تحقيق أحمد حجازي السقا .

(٢) يعني كتاب "المواهب اللدنية في المنح المحمدية" لشهاب الدين أحمد بن محمّد القسطلاني.

(٣) أبو محمّـد عبد اللّه بن مسلم بن قـتيبة الدينوري ، ولد في بغـداد سنة ٢١٣ هـ . عالم فاضل ، وأديب، له عدد من المصنفات ، توفي في بغداد سنة ٢٧٦ هـ . (لسان الميزان ، ج ٣ : ٣٥٧ ، ووفيات الأعيان ، ج ٢ : ٤٢) .

أو ربما أنه ترك مطالعة كتب التوراة والإنجيل والزبور تورعاً للنهي الوارد في ذلك ؛ لما روي أن عمر بن الخطاب - رضي اللّه عنه - جاء إلى النبي - صلى اللّه عليه وسلم - ، فقال : يا رسول اللّه ، إني مررت بأخٍ لي يهودي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة ، ألا أعرضها عليك؟

فتغيّر وجه رسول الله - صلى اللّه عليه وسلم - ... الحديث [1] .

أما عن تأريخ النصارى ومجامعهم وما دار فيها من مناقشات وما انتهت إليه ، وأخبار ملوكهم ، فمرجعه في ذلك في الغالب أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه العلامة ابن قيم الجوزية ، وروايات الثقات من المؤرخين مثل الحافظ ابن كثير ، والمفسِّر ابن جرير ، هذا بالإضافة إلى كتاب "نظم الجوهر" المسمى "التأريخ المجموع على التحقيق والتصديق" لسعيد بن البطريق المتطبب .

هذه أهم المراجع التي استقى المؤلف مادة كتابه منها .

ومن خلال مطالعاتي للكتاب واشتغالي في تخريج أدلته وتوثيق نصوصه، اتضح أنه يسير على المنهج الذي سار عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" ، والعلامة ابن القيم في كتابه "هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى".

وفي نظري أن الشيخين ابن تيمية وابن القيم قد وضعا قاعدة عريضة في هذا الموضوع مكّنت المؤلف الشيخ عبد العزيز ابن معمّر من وضع هذا الكتاب في الصورة التي هو عليها الآن .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند عن عبدالله بن ثابت الأنصاري ، ج ٤ : ٢٦٦ ، طبعة المكتب الإسلامي ببيروت.

ومع كثرة مطالعتي للكتاب والوقوف عند جزئياته بمزيد من التأمل والتدقيق ، أظهر الكتاب التزام مؤلفه - رحمه الله - بمنهج أهل السنة والجماعة في رد شُبهات النصارى ووصف عيسى - عليه السلام - بالصفة اللائقة به ، وأنه عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه .

٦ - عرض موجز عن مباحث الكتاب :

منذ بعث الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - ، وخصه برسالته الخاتمة للنبوات السماوية وقف في وجه دعوته اليهود الماكرون والنصارى الحاقدون، فأظهروا العداوة والبغضاء لدين الإسلام، وأنكروا نبوة محمد - عليه أفضل الصلاة والسلام -؛ حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم أنه الحق ، قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[١].

ولم تزل الخصومة معهم مستمرة منذ صدر الإسلام إلى يومنا هذا . قال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ . . . ﴾[٢].

وقد تعرضت الأمة الإسلامية للغزو الفكري المنظم من قبل أعداء الإسلام من ثلاث جبهات :

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٨٩ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٢٠ .

الجبهـة الأولى :

اليـهودية الآثمـة التي يتـمثل دورها في صـنع المذاهب المنحرفـة ، والأفكار الفاسدة ، والدسائس الخبيثة الماكرة .

الجبهة الثانية :

الصليبية الحاقدة التي اجتاحت البلاد الإسلامية مستعمرة لها سنين طويلة تفـرض على الناس أفكارها البـاطلة ، وتحـارب الإسلام بشـتى الوســائل والأسـاليب : بـالتكذيب تارة ، وبالـطعن والتـشـكيك تارة أخرى.

الجبهة الثالثة :

الشيـوعيـة الملحدة التي لا تؤمن بإله ، ولا تدين بديـن ، وهي ثمرة من ثمرات اليهودية الماكرة .

فاشتـركت هذه الجبهـات الثلاث معاً في حـرب المسلمين وتفريق كلمتهم وصرفهم عن تعاليم دينهم وقيمه وآدابه .

قام أعـداء الإسلام بهـذا العمل البـغيض بدافع من الكره والحـقد والتعـصب ، والخوف من جمع كلمـة المسلمين ، والتفافـهم حول راية دينهم (لا إله إلا الله محمد رسول الله) .

يقول المستشرق المسلم محمد أسد[1] في كتابه " الطريق إلى مكة":

---

(١) مستشرق نمساوي كان اسمه قبل إسلامه (لبولدويس) ، أسلـم عام ١٩٢٦م ، وأصبح اسمه محمد أسد. وعمل فترة في خدمة الملك عـبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود. انظر تفاصيل ذلك في كتابه «الطريق إلى مكة» .

«إن موقف الأوربي من الإسلام ليس موقف كره في غير مبالاة فحسب كما هي الحال في موقفه من سائر الأديان والثقافات ، بل هو كره عميق الجذور يقوم في الأكثر على صدور من التعصب الشديد».

ويقول رئيس المنصرين زويمر [1] الذي جاء إلى منطقة الخليج العربي حوالي عام ١٨٩٠م : «لا نريد أن نخرج المسلم من دينه لنكرمه بالنصرانية ، ولكن نريد أن نحرفه عن دينه ؛ فينغمس في الشهوات ، فيستجيب لما نريد منه».

ويقول المستشرق وليم غيفورد بلجريف [2] : «متى توارى القرآن ومكة والمدينة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة الغربية التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه» [3] .

وهكذا بدأ الرهبان والقساوسة والمنصرون يطعنون في دين الإسلام ويحرفون حقائقه الثابتة ، ويثيرون الشبهات والشكوك حوله ، ويدَّعون زوراً وبهتاناً أن الإسلام دين لا يستحق الانتشار والدوام، فشوَّهوا صورة المسلمين في نظر الأمم ، وزعموا أنهم قوم سفاكو دماء وإرهابيون ، وأن دينهم يحثهم على القتل والملذات الجسدية وأكل أموال الناس بالباطل ، وأنهم بعيدون عن كل سمو روحي .

---

(١) طبيب إنجليزي ومنصر نشط ، كان يمارس نشاطه التنصيري في منطقة الخليج العربي عن طريق التطبيب والمعالجة ، وقد جرى بينه وبين الشيخ قاسم المهزع في البحرين مجادلة طويلة حول الإسلام، فرد الشيخ قاسم كيده ودحره .

(٢) مستشرق إنجليزي تحول من جندي بسيط إلى راهب يسوعي ، وقام برحلة إلى الجزيرة العربية سنة ١٨٦٢م متنكراً ، مات سنة ١٨٨٨ م .

(٣) كتاب " أباطيل وأسمار" ، للأستاذ محمود شاكر ، ص ١٢٨ .

ومن هذا الغزو الفكري الماكر الكتاب الذي جاء به أحد دعاة النصرانية إلى منطقة البحرين منذ حوالي مائة وثمانين سنة (١٢٤٠هـ/١٨٢٤م) يحمل عنوان "مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن" .

وهو في الأصل من وضع القديس الهولندي (هوقودي قروت) يصحح فيه الديانة النصرانية ويطعن في الإسلام وأهله ؛ ليصد الناس عن دين اللّه الصحيح ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1] .

وكان الهدف من نشر هذا الكتاب في منطقة البحرين الدعوة إلى الديانة النصرانية وتصوير الإسلام بصورة سيئة يثبت فيها فضل الديانة النصرانية ورجحانها على الإسلام .

لكن اللّه - سبحانه وتعالى - قد تكفل بحفظ دينه وكتابه إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها ، فقد قيض لهما في كل زمان ومكان من يرد شبهات الماكرين والأفاكين ، ويحق الحق ، ويبطل الباطل . ولو كره الكافرون.

وشيخنا عبد العزيز بن حمد ابن معمّر واحد من أولئك الرجال الذين حباهم اللّه هذه المهمة الجليلة . كما حباه الله بحظ وافر من العلم بكتاب الله وسنة رسوله والإحاطة بأقوال العلماء وأهل الأديان بدرجة مكنته من

(١) سورة الصف ، الآيتان : ٨ - ٩ .

التحدث في هذا الرد بأسلوب أدبي راقٍ بعيداً عن التشنج واللجاج بوضع الكلمة في موضعها المناسب ، وأحسن عرض الأفكار ، وأحكم الرد عليها .

وقد كان لي شرف الاشتغال بتحقيق هذا الرد ودراسته ، فعشت مع نصوصه مدة طويلة رجعت خلالها إلى المصادر الأصيلة لأدلته ومسائله، فوثقت نصوصه ، وعلقت على كثير من مسائله مما رأيت أنه يحتاج إلى مزيد من الإيضاح أو التعليق .

ومن هذه الدراسة نستخلص بعض الفوائد :

أولاً : إلقاء الضوء على حياة المؤلِّف العلمية والاجتماعية والعصر الذي عاش فيه ، فهو أحد العلماء البارزين في علم التوحيد ، والعقائد والأحكام ، وأحد تلاميذ مدرسة الدعوة السلفية المباركة التي جددت إهاب الإسلام في الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر الهجري ، وهو إلى جانب ذلك المفسر العارف ، والمحدث الحافظ ، والفقيه المجتهد ، والأديب الناقد العالم بدقائق اللغة وأساليبها ، والمؤرخ المنصف .

ثانياً: إن هذه الدراسة أوضحت حقيقة الكتاب الذي رد عليه المؤلف، والغرض الذي أُلِّف ونشر من أجله ، والنوايا السيئة التي كان يضمرها رجال الكنيسة وأعوانهم ، وانتهازهم كل فرصة للنيل من الإسلام وأهله .

فقد جاء بهذا الكتاب إلى منطقة البحرين أحدُ رجال شركة الهند الشرقية التي كانت تعمل في منطقة الخليج وإيران في ذلك الوقت لصالح أوربا النصرانية ، ومن يدري فلعل الغرض الأصلي من مجيء هذا الرجل إلى هذه المنطقة هو التبشير بالنصرانية - كما يسمونه - وهو في الحقيقة تضليل للناس عن الحق .

ثالثا : إن اختيار منطقة البحرين لنشر هذا الكتاب لم يكن محض صدفة بل جاء مدروساً ومحكماً .

فموقعها الجغرافي قد أكسبها شهرة تجارية جعلها مقراً لعدد كبير من الناس من أجناس مختلفة ، كما أنها البوابة الشرقية للجزيرة العربية معقل الإسلام ، ومصدر إشعاعه على العالم.

لهذا بادرت (جمعية الدعاية للعلوم النصرانية في لندن) إلى نشر هذا الكتاب باللغة العربية -لغة أهل المنطقة- طمعاً في تضليلهم ، لكن هذا الكتاب - ولله الحمد - وئد في وكره على يد أحد حماة الإسلام ودعاة الحق ؛ الشيخ عبد العزيز ابن معمّر -رحمه الله- ، فقد عرَّى في هذا الرد النصارى ، وكشف أبعادهم وغاياتهم ، ووضّح ضلال ما هم عليه في دينهم مما لفَّقه لهم أصحاب مجامعهم .

يقول الشيخ محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ - رحمه الله - :

« إن الرجل النصراني الذي جاء بكتاب " مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن" إلى البحرين حينما اطلع على رد الشيخ عبدالعزيز بن حمد ابن معمّر على هذا الكتاب قال : هذا ليس من كلام علماء البحرين ، هذا من البحر النجدي .

فقال له حاكم البحرين في ذلك الوقت الشيخ عبد الله بن أحمد الخليفة : نعم » [1] .

رابعاً: إن المؤلف - رحمه الله - قد وفق إلى الصواب في هذا الرَّد ؛ فموضوعه المقارنة بين الديانة النصرانية المحرفة ودين الإسلام الحق الخالد ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [2] .

فذكر - رحمه اللّه - مثالب النصرانية ، وما عليه أهلها من بهت وضلال وحيرة ، وأوضح أنهم من أجهل الناس بالعلم الصحيح ، وأضلهم في أصول دينهم وفروعه . وأظهر محاسن الإسلام موضحاً أوجه الكمال فيها . فجادل في ذلك جدالاً حسناً يستفيد منه كل مريد للحق ومبغض للباطل .

خامساً: احتوى هذا الكتاب القيّم على حقائق علمية ثابتة ومباحث نافعة ردت إفك المغضوب عليهم والضالين .

---

(١) انظر مقدمة الطبعة الأولى لكتاب " منحة القريب المجيب " بقلم الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٨٥ .

فقد اشتمل على الحقائق الآتية :

١ - إثبات وحدانية اللّه - تعالى - وتفرده بالعبادة ، وأن الإيمان به وحده هو أصل الدين الذي دعت إليه جميع الرسل - عليهم السلام - قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ . . . ﴾[١] .

وقد خالف النصارى هذه القاعدة الإلهية ، فابتدعوا من الدين مالم يأذن به الله ، ووضعوا قواعد وأحكام دينهم على ما يوافق أهواءهم ويلبي رغبات حكامهم وملوكهم. وانظر إلى ما جرى في مجامعهم تر العجب.

٢ - بَيَّن مدى اختلاف النصارى المعاصرين في أمر دينهم ومدى تحريفهم لما جاءهم به من عقائد ، فأشبعوه محياً وإثباتاً على مر العصور .

فقد حرَّفوا كتبهم ، وغيَّروا فيها وبدَّلوا ، وزادوا ونقصوا، ومزجوا فيها أخبارهم .

أما الإنجيل المنزل من عند الله على عيسى - عليه السلام - فلا وجود له الآن ، وأما ما بيد النصارى اليوم من الأناجيل الأربعة [٢] المعتمدة لديهم فقد كتبت بعد المسيح بزمن طويل ، وبعض رسائلهم مشكوك

(١) سورة النحل ، الآية : ٣٦.

(٢) ١ - إنجيل متَّى . ٢ - إنجيل مرقس . ٣ - إنجيل لوقا . ٤ - إنجيل يوحنا .

في صحة نسبتها إلى أصحـابها لدرجة أنها كانت مرفوضة لدى بعض الكنائس. مثل رسالة بطرس ويعقوب ويهوذا ويوحنا .

فتطرقُ الشكِّ إليها، ورفضُهـا لدى البعض يمنع الثقة بها، وهي مع ذلك لم تبق على أصلها ، بل دخلهـا التحريف والتبديل والتغـيير على مر العصور.

٣ - وضَّحَ ما دار فـي مجامع النصـارى من جدل بغـيض لا طائل تحته ، وبيَّن كيف كان كل مـجمع لاحق يلعن المجمع السابق ابتداءً من مجمع (نيقية) المنعقد سنة ٣٢٥م ، وانتهاءً بمجمع (قسطنطينية) المنعقد سنة ٦٦٩م ومـا تلاه من المجـامع ، ثم قـيَّم المؤلف - رحـمـه الله - هذه المجامع ، وبين حال النصارى بعدها .

٤ - بَيَّن المؤلف - رحمـه الله - المحدثات التي ابتدعهـا النصارى في دينهم من سجـودهم للصور ، والصـلاة من غير طهـارة ، والاتجاه في الصلاة إلى جهة الشرق ، والتـصليب عند بدء الصلاة وفي الصيام والأعياد ، وتعظيم الصليب ، وإبطال سنة الختان ... إلخ .

وأوضح أن هذه العـقائد وتلك الطـقوس التي يمارسـها النصـارى اليوم ليس لها أصول من دينهم الصحيح ، فلم تكـن أحكامها مستمدة من مستند صـحيح ، فقد ابتدعهـا لهم (بولس) الذي وضع لهم ما هم عليه اليوم.

كما شارك (بولس) أصحابُ المجامع الذين سنُّوا لهم أهواء ملوكهم وجعلوها شرعاً لهم ، فابتدعوا من الدين مالم ينزل به سلطاناً .

٥ - أبطل دعـوى النصـارى ألوهية المسـيح وبنوته للـه. فقـد نفى المؤلف - رحـمه الله - هـذه الدعوى بكل قـوة ، مـستـدلاً على ذلك بصريح القرآن الكريم ، وصحيح السـنة ، وأقوال الثقات من العلماء ، والحقائق التأريخية .

٦ - بيَّن أن الاختلاف بين المسلمين والنصارى في أمر عيسى - عليه السلام - اختلاف جوهري ؛ لأنه في قضية أصولية وعقدية .

فاعتقاد المسلمين في عيسى : أنه عـبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأنه رُفِع إلى السماء حيّاً ، وسوف ينزل في آخر الزمان . هذا الذي نص عليه صريح القرآن وصحيح السنة النبوية .

أمـا النصارى فـيدَّعـون ألوهيتـه ، وبنوّته لله . وهي دعـوى باطلة ينكرها العقل وصريح النقل ، فالله واحد لا إله غيره ولا رب سواه لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد.

أما شبهة النصارى بالاسـتدلال على دعواهم ألوهية عيسى وبنوّته لله بما ورد في القـرآن الكريم من وصف عيسى بأنه (كـلمة الله وروح منه) فهو استدلال باطل ومردود من وجهين :

أ - أن كـونه (كلمة الله) ؛ فـلأنه مـخلوق بقوله تعـالى: «كن» ، وهذه يشاركـه فيهـا جميع المخلوقـات ، قال تعـالى : ﴿ ... إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [1] . فعلى مذهبهم تكون جميع هذه

(١) سورة يس ، الآية : ٨٢ .

المخلوقات آلهة، وهذا مما ينكره أدنى عاقل ، فالمخلوق لا يساوي الخالق، ولا يكون إلهاً .

ب - أما قوله تعالى : ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ فإن (منْ) هنا لابتداء الغاية، وليست للتبعيض . قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ... ﴾ [1] .

فإضافة الروح إليه إضافة تشريف فلا دليل فيها على مذهبهم الباطل. وقد فصَّل المؤلف - رحمه الله - القول في هذه المسألة .

٧ - رَفَضَ دعوى النصارى قتل المسيح وصلبه ؛ فلا دليل على ذلك إلا ما وُضع في كتبهم المحرفة .

ودعوى ألوهية المسيح وبنوته لله تنافي دعوى قتله وصلبه . وقد صرح القرآن الكريم برفض هذه الدعوى ؛ فقال تعالى: ﴿ ... وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ... ﴾[2]، فانقطعت الحجة ، وظهرت المحجة.

٨ - إن مباحث هذا الكتاب تلقي الضوء على جانب مهم من حياة رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وهي معجزاته الحسية والمعنوية ، وثبوت صحة وقوعها ودفع الشبهات التي أثارها النصارى حولها .

---

(١) سورة الجاثية ، الآية : ١٣ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٥٧ .

٩ - القطع بصحة القرآن الكريم المنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وأنه كلام الله - عز وجل - حقيقة كما جاء عن الله ، وبيان وجه إعجازه ، وأنه آية باقية ما بقيت الدنيا .

١٠ - بيان الحاجة الملحَّة إلى بعثة محمد - صلى الله عليه وسلم -، تلك البعثة التي تنكَّر لها اليهود والنصارى ، وإقامة الأدلة الدامغة على صحتها من كتبهم التوراة والإنجيل وغيرها ، واعتراف المنصفين منهم بصدق رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - وأن صفته موجودة في كتبهم .

وقد أورد المؤلف - رحمه الله - نصوصا كثيرة تدل على ذلك.

١١ - دفع شبهات النصارى التي أثاروها حول بعض الأحكام التي جاء بها الإسلام مثل :

أ - مشروعية الجهاد في سبيل الله .

ب - أخذ الجزية من الذمِّيين من اليهود والنصارى والمجوس لقاء إقامتهم في البلاد الإسلامية .

ج - حكم القصاص وإقامة الحدود الشرعية .

د - إباحة الطلاق وتعدد الزوجات .

هـ - تحريم شرب الخمر وأكل لحم الخنزير وما فيه من ضرر على العقول والأبدان .

فناقش المؤلف - رحمه الله - هذه الأحكام بمنهج علمي رصين موضحاً أوجه الكمال في الشريعة الإسلامية مع بيان الحكمة من مشروعية هذه الأحكام وأن ذلك شُرِعَ نشراً لدين الله وتبليغه للناس وحماية للعقائد والعقول والدماء والأموال والأنفس والأعراض.

١٢ - دَفَعَ شبهات النصارى حول تفضيلهم عيسى على محمد - عليهما الصلاة والسلام - ، وبَيَّنَ بالتفصيل ما فُضِّل به محمد - صلى الله عليه وسلم - على عيسى وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين .

١٣ - إثبات عموم رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم -، وختم الأديان السماوية بها ، وإبطال دعوى النصارى ؛ أن النبوة قد خُتِمت برسالة عيسى - عليه السلام -.

هذه أهم القضايا الرئيسة التي تناولها المؤلف في هذا الرد ، يأتي أولاً بكلام المعترض وشبهته ، ثم يأتي بما يناقضه من كلامه في موضع آخر من كتابه . ثم يتبع ذلك بالأدلة الصريحة التي تبطل دعوى المعترض ، وتدفع شبهته . وفي نهاية الكلام عن كل قضية يأتي بخلاصة القول فيها. فأجاد ، وأفاد ، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

وقد يظهر للقارئ أن بعض موضوعات هذا الكتاب مرتبة والبعض منها متداخل مع البعض الآخر ، فمثلاً : حينما تكلم عن صفة محمد - صلى الله عليه وسلم - وأدلة رسالته في كتب أهل الكتاب أعقب ذلك بذكر فضائله ، وأتى بعد ذلك بمعتقدات النصارى في عيسى - عليه السلام - ، فكان الأولى أن يأتي بعد صفة محمد - صلى الله عليه

وسلم - وأدلة رسالتـه أن يأتي بمعجزاته ، ويضع مـعتقـدات النصارى في عيـسى عنـــد الكلام عنـه ، ودعـوى ألوهيـته ، وبنـوّته ، وصــلبه ، وقتله ، ومخالفة المسلمين للنصارى في أمره .

وحينما تكلم عـن شُـبَه النصارى في ألوهيـة المسيح ، وبنـوّته للـه - تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً- أعقبه بشبهة النصارى حول مشروعية الجهاد في الإسلام .

فكان الأولى أن يأتي بعد دعـوى ألوهية عيـسى وبنوّته لله أن يأتي بدعـوى القتل والصلب ، ويؤخـر مشـروعيـة الجهاد في الإسـلام إلى الكلام عن الإسـلام وإثبات نـبوة مـحمـد - صلى الله عليـه وسلم - ودفع شبهة النصارى حول شعائر الإسلام وأحكامه . وهكذا .

وعنـدما يسـترسل المؤلـف - رحمه الله - في الكـلام عن قـضيـة معينـة يحيل إلى كلام سابق أو لاحــق ، فيقول : تقـدم ، أو سيأتي له تتمّـة .

وقد جاء هذا التقديم والتأخـير والتداخل نتيجة اضطراب وتداخل كلام النصراني صاحب كتاب "مفـتاح الخزائن ومصباح الدفائن" الذي يرد عليه المؤلف .

فليس في هذا مأخـذ على شيخنا ابن مـعمر - رحـمه الله - ؛ لأنه رتّب موضوعات ردِّه وفقراته حسب ترتيب الشبه التي أثارها المعترض، فهو يتكلم عنها نقطة نقطة . والضرورة اقتضت ذلك .

وهذا لا ينقص من عمل المؤلف ، ولا يقلل من قيمة الكتاب.

٧ - القيمة العلمية لهذا الكتاب ومدى الحاجة إليه :

من أبرز ما يحتوي عليه هذا الكتاب أنه أثر واضح من آثار علماء الدعوة السلفية في نجد التي ظهرت في منتصف القرن الثاني عشر الهجري لتصفية العقيدة الإسلامية من شوائب الشرك والوثنية التي كانت منتشرة في ذلك الوقت ، فقد حاز هذا العالم النجدي الجليل ثقافة إسلامية واسعة مكنته من رد أباطيل ما اشتمل عليه كتاب "مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن" ، وقد ناقش فيه موضوعات على جانب كبير من الأهمية ، مثل : اختلاف مذاهب النصارى ، ومًا جرى في مجامعهم المسكونية واعتقاداتهم المتضاربة الغامضة في طبيعة المسيح - عليه السلام - بين اللاهوتية والناسوتية ، وأبان بأن معجزاته لا تعطي النصارى حق دعوى ألوهيته وبنوته لله عز وجل .

كما عرض عن كتبهم ووضح تناقضها واختلافها وانقطاع سندها ، وشكهم في بعضها .

ثم عرض عن سيرة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - ومعجزاته وبشارات الكتب المتقدمة بنبوته وبعثته وأبان صدق رسالته وعمومها وختمها للرسالات السماوية ؛ فلا نبوة بعدها .

فهذه القضايا وغيرها ناقشها المؤلف عبد العزيز ابن معمر مناقشة علمية اعتمد فيها على تحليل النصوص ومقارنتها ، ووضح زيف النصارى في فهمها واعتقادهم الفاسد في تأويلها ، وعاب عليهم في اعتمادهم على نتائج واهية قد بنيت على مقدمات فاسدة .

وقد اعتمد في حججه وأدلته على أمور عقلية ونقلية ، وأكثر من ذكر الأدلة ؛ فألزم وأفحم ، وأبان الحق ودحض الباطل .

وقد تميز هذا الكتاب بقوة الصياغة وإحكام الحجة وطول النفس وكثرة الاستشهاد والاستدلال وسلامة ذلك من الضعف والطعن ، مما أظهر قدرة مؤلفه على استحضار الأدلة وحسن اختياره لها . كما أن المؤلف - رحمه الله - قد سار في هذا الكتاب على منهج السلف الصالح من هذه الأمة - أهل السنة والجماعة - في أصول العقيدة ، ومن ذلك موقفهم المعتدل في أمر نبي الله عيسى - عليه السلام - ، فلا إفراط يصل إلى درجة اعتقاد ألوهيته وبنوته لله كما يفعل النصارى، ولا تفريط وجحود يحط من قدرة وينكر نبوته ورسالته كما يفعل اليهود . بل كان موقف أهل السنة في أمر عيسى موقف المعتدل لا يعدو عن كونه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه .

ويُعَدُّ هذا الكتاب من أقوى الحجج على بطلان عقيدة النصارى ورد شبهاتهم وافتراءاتهم على الإسلام وأهله ، فهو سلاح في يد المسلم يدفع به باطل المضلين وشُبَه المفترين .

وتزيد أهمية هذا الكتاب في وقت اشتد فيه نشاط المبشرين بالنصرانية في منطقة الخليج العربي وغيرها ، وتعددت البعثات التنصيرية المركزة .

وقد سلك المنصِّرون في سبيل ذلك عدة طرق وأساليب متنوعة أهمها : مجال الطب ، والخدمة الإنسانية والرعاية الاجتماعية ، والثقافة والتعليم . ويوجد الآن في هذه المنطقة عدد من الكنائس التي تمثل

مختلف الطوائف النصرانية ، وروادها - في الغالب - من الأجانب والجاليات الوافدة . أما من الأهالي - ولله الحمد - فلا يكاد يذكر أن أحداً منهم ترك دينه وتحول إلى النصرانية . لكن يخشى في المستقبل من تأثير هذه المراكز على أبناء المسلمين إن لم يُتنبه لها . ويُدفع شرها . ويُتَّقى خطرها .

ولعل مباحث هذا الكتاب ، وما تضمنه من حقائق وتحذيرات خير معين على تلافي شر هذه المراكز الضالة .

وما أُودع في هذا السفر المفيد من أدلة ومعجزات براهين قاطعة على صحة نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وصدق رسالته ، ومعالم واضحة تهدي الحيارى الضالين إلى دين الله القويم ، فالبعض منهم في شك وحيرة واضطراب ينتظر من يأخذ بيده إلى بر الأمان ، وهو الإسلام .

وهذه مهمة الدعاة إلى الله ، وهذا الكتاب حجة في أيديهم يردُّون به كيد الظالمين وحجج المبطلين . والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

ج - منهـج تحقيـق الكتــاب



عملي في التحقيق :

لقد اطلعت على كتاب " منحة القريب المجيب في الرد على عُبَّاد الصليب " منذ وقت طويل . وأُعجبت بأسلوب مؤلفه ، ووضوح عبارته ، وقوة حجته ، وشدة دفاعه عن الإسلام وأهله .

ثم أشار عليَّ بعض الأساتذة والزملاء بالاشتغال في دراسته وتحقيقه لحاجة الكتاب إلى ذلك ، ولأجل الحصول على درجة علمية ، فاستعنت بالله - عزّ وجلّ - ، فأعدت قراءة الكتاب ثانية وثالثة ، وأخذت أبحث وأقرأ عن كل ما كتب حوله ، وما قيل عن حياة مؤلفه - رحمه الله - ، وبعد استكمال ما استطعت الحصول عليه من معلومات ومخطوطات شرعت في العمل مستمداً العون والتسديد من الله - عزّ وجلّ - ، فكان عملي فيه على النحو التالي :

أولاً : نسخ مخطوطات الكتاب

من خلال بحثي عن الكتاب ودراستي له اتضح أن له خمس نسخ خطية كلها موجودة في المملكة العربية السعودية .

الأولى : وقف للشيخ محمّد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ [1]، قد كتبت سنة ١٢٤٣هـ في وقت حياة المؤلف ابن معمّر . وهي بقلم الشيخ

(١) هو العلامة الشيخ محمّد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، من كبار علماء نجد ، ومفتي الديار السعودية في وقته ، ولد في مدينة الرياض سنة ١٣١١هـ ، وتولى رئاسة القضاء والإفتاء والتدريس حتى توفي في الرياض سنة ١٣٨٩هـ . رحمه الله . (علماء نجد ، لابن بسام ، ج ١ : ٨٨) .

طاهر بن عبد الله بن طاهر [1] . وقد كتب على طرة الصفحة الأخيرة منها أنها ملك للفقير إلى الله عبده سلطان بن صقر بن راشد ، وأنه وقفها في مصالح الإسلام .

ولا أدري كيف آلت إلى الشيخ محمّد بن إبراهيم ، ومن ثم وقفها. وما دامت أنها ما تزال وقفاً في مصالح المسلمين ومودعة في مكتبة عامة يرتادها أكثر طلاب العلم والمعرفة فالهدف واحد ، والثواب من الله للجميع ، وفضل الله واسع .

الثانية : نسخة للشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن العنقري[2]، قاضي المجمعة وتوابعها ، وقد كتبت هذه النسخة سنة ست وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية (١٣٥٦هـ) .

وهي بقلم الشيخ حمود بن عبد الله بن حمود التويجري [3].

---

(١) لم أتمكن من معرفة شخصية المذكور لعدم شهرته . والظاهر أنه هو والموقف الأول سلطان ابن صقر أنهما من أهل الخليج العربي .

(٢) هو الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن محمّد بن إبراهيم العنقري ، أحد علماء نجد البارزين ، ولد في مدينة المجمعة سنة ١٢٨٧هـ، وفقد بصره وهو صغير، وارتحل إلى الرياض حيث درس على علمائها . وتولى القضاء في المجمعة وسدير ، وله حاشية مفيدة على كتاب "الروض المربع" ، وتوفي سنة ١٣٧٣هـ. رحمه الله . (علماء نجد ، لابن بسام ، ج ٢ : ٥٨٢) .

(٣) هو الشيخ حمود بن عبدالله بن حمود التويجري ، ولد في مدينة المجمعة سنة ١٣٣٤هـ ، وتتلمذ على عدد من العلماء ، من أبرزهم الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري ، وعمل في القضاء ، وأخيراً تفرغ للبحث والقراءة . له عدد من الردود والكتب النافعة ، وتوفي في الرياض سنة ١٤١٣هـ. رحمه الله . (نبذة بقلم ابنه الدكتور عبدالله بن حمود التويجري).

وعليها تهميش بقلم الشيخ محمّد بن عبد المحسن الخيال [1]، ذكر فيه أن هذه النسخة بلغت مقابلة على أصلها قراءة على الشيخ عبدالله ابن عبدالعزيز العنقري .

وقد أُرِّخَ هذا التهميش في اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة سنة ست وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية (١٣٥٦هـ).

الثالثة : نسخة للشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن حمود التويجري [2]، وقد نسخها بقلمه بتاريخ قريب من تاريخ النسخة الثانية ؛ لأنهما نسختا من أصل واحد في وقت متقارب .

الرابعة : نسخة بقلم الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن ابن حسين آل الشيخ [3] ، لم يظهر لي تاريخها ، لكن ناسخها قد توفي سنة ١٣٢٩هـ .

---

(١) هو الشيخ محمّد بن عبدالمحسن بن محمّد بن علي الخيال ، ولد في المجمعة قاعدة إقليم سدير سنة ١٣٢٤هـ، وتعلم على يد الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري ، وعلى غيره ، وتولى القضاء في فترات مختلفة ، وتوفي في مدينة الرياض عام ١٤١٣هـ . رحمه الله . (نبذة عن حياته بإملائه قبل وفاته).

(٢) هو الشيخ عبد الرحمن بن عبدالله بن حمود التويجري ، ولد في مدينة المجمعة في إقليم سدير ، وتتلمذ على الشيخ عبدالله العنقري وعلى غيره ، وتولى إمامة أحد مساجد المجمعة ، وعمل بالتجارة، يعد من طلاب العلم المهتمين باقتناء الكتب ونسخها. توفي سنة ١٤١٥هـ. (نبذة بقلم الدكتور عبدالله بن حمود التويجري).

(٣) هو الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن حسين ابن الشيخ محمّد بن عبدالوهاب ، ولد في السلمية ، إحدى بلدان الخرج حوالي عام ١٢٨٤هـ . واشتغل في نسخ الكتب ؛ لحسن خطه . وتوفي في مدينة الرياض عام ١٣٢٩هـ . (أملى هذه الترجمة ابن أخيه الشيخ محمد بن صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ، أحد طلبة العلم في الرياض).

الخامسة : نسخة في مكتبة الصالحية بمدينة عنيزة بالقصيم ، لم أتمكن من معرفة ناسخها ولا تأريخها ، ويذكر أمين المكتبة [1] أنها آلت إلى المكتبة من الشيخ سليمان بن عبدالرحمن العمري [2] - رحمه الله -.

ثانياً : مقارنة النسخ

أما النسخة الأولى التي بقلم الشيخ طاهر بن عبدالله بن طاهر، ففي نظري أنها هي الأم لجميع النسخ الموجودة لأمور :

١ - أنها كتبت في حياة المؤلف سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف هجرية، فهي أقرب النسخ إلى النسخة الأصلية التي بخط المؤلف؛ لأن هذا الرد كتبه مؤلفه حوالي عام الأربعين والمائتين بعد الألف بدليل قوله في ثنايا الكتاب وهو يتحدث عن القرآن الكريم وحفظ الله له، قال: « وانقضى الآن ما ينيف على ألف ومائتين وأربعين سنة من أول نزوله ».

وهذه النسخة ذكر ناسخها أنه كتبها سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف (١٢٤٣هـ) ، ومعلوم أن المؤلف - رحمه الله - قد توفي عام أربع وأربعين ومائتين وألف (١٢٤٤هـ) ، ليس في ذلك شك .

---

(١) الشيخ محمّد بن عثمان القاضي.

(٢) هو الشيخ سليمان بن عبدالرحمن بن محمّد بن عمر العمري ، ولد في عنيزة عام ١٢٩٨هـ وأخذ العلم عن عدد من العلماء حتى أدرك ، وتولى قضاء المدينة والأحساء في عهد الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود. وتوفي في الأحساء سنة ١٣٧٤هـ. (علماء نجد ، لابن بسام ، ١:٢٨٨) .

٢ - أنها كتبت بخط جيد وواضح خالية من الأغلاط النحوية والإملائية إلا ما كان نادراً .

لهذا اعتمدتها في التحقيق ، ورمزت إليها بحرف (س) لكونها محفوظة في المكتبة السعودية بالرياض تحت رقم ٢٧٢/ ٨٦ .

أما النسخة الثانية : التي بقلم الشيخ حمود بن عبدالله التويجري، فقد جاء نسخها متأخراً قبل طبع الكتاب بسنتين فقط. إذ فرغ من نسخها في اليوم السادس عشر من شهر رمضان سنة ست وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة (١٣٥٦هـ).

والكتاب طبع طبعته الأولى في مصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية (١٣٥٨هـ) . وهذه النسخة لا تخلو من هنات إملائية ونحوية ، مع عدم إبراز ألفاظ المقامات والفصول في سطور مستقلة وبارزة حسب قواعد الكتابة ، بل جعلت هذه الفصول في ثنايا السطور ، مما يصعب معه الوقوف على هذه الفصول إلا بعد قراءتها كلمة كلمة .

وهي كما أسلفت ملك للشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري ، وبعد وفاته سنة (١٣٧٣هـ) آلت إلى ابنه الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله العنقري ، وقد حصلت منه على صورة منها - شكر الله له - .

ويذكر الشيخ عبدالرحمن : بأن هذه النسخة قد أخذها الشيخ محمّد بن عبداللطيف آل الشيخ [١] من والده الشيخ عبدالله العنقري،

---

(١) تقدم التعريف به في ص ٥١ .

واصطحبها معه حينما سافر إلى مصر لطلب العلاج ، فلعل الكتاب طبع عليها طبعته الأولى سنة ١٣٥٨هـ.

وقد رمزت إلى هذه النسخة بحرف (ع) نسبة إلى العنقري .

أما النسخة الثالثة : فهي عبارة عن صورة من النسخة الثانية ؛ لأنهما نسختا من أصل واحد ، وفي وقت متقارب .

أما النسختان الرابعة والخامسة ، فهما في مكتبة خاصة ، ولم أتمكن من الاطلاع عليهما أو تصويرهما .

أما النسخة المطبوعة فقد طبعت في مصر عام (١٣٥٨هـ) طباعة عادية بدون تحقيق أو تعليق ، ولم يشر إلى النسخ الخطية التي اعتمد عليها في الطباعة ، وفيها بعض الأخطاء النحوية ، والإملائية ، وضبط الأسماء ، واضطراب بعض الجمل ، وقد رمزت إلى هذه النسخة بحرف (ط) نسبة إلى الطباعة .

ثالثاً : النسخ المعتمدة في التحقيق

اعتمدت في تحقيق الكتاب على النسخة الأولى ، والثانية ، بالإضافة إلى النسخة المطبوعة .

فأجريت مطابقة حرفية بين هذه النسخ حتى استطعت الوصول إلى نسخة صحيحة - بقدر الإمكان - .

لكنني لم أتصرف في النصوص بالحذف أو الزيادة أو تغيير اللفظ لوجوده في نسخة دون الأخرى ؛ محافظة على النص . بل أثبت في

الأصل ما رأيت أنه الصواب ، وأشرت إلى الفـروق واختلاف الألفاظ في الهـامش من الكتاب ، ووضـعت الرموز الدالة علـيها ، ووضـعت اللفظة أو الجملة بين قوسين [....]، ورجحت ما رأيت أنه الصواب.

ما عـدا الآيات القرآنيـة والأحاديث النبـوية فما وجـدت فيـها من أخطاء في الكتابة فـقد أصلحتـه في الأصل محافظة على صـحة نص القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة .

رابعاً : وضعت الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين ، ووضعت الأحاديث النبوية ، والآثار بين قوسين « ..... » .

ووضعت الجمل الاعتراضية ، والجمل الدعائية بين شرطتين -   -.

كما أبرزت المقـامات والفصول التي وضعـها المؤلف في الكتاب ، فجعلتها في سطور بارزة على شكل عناوين .

ورتبت جمل نصوص الكتاب حسب الطرق الفنية للكتابة ، مراعياً الجمل التي تبدأ من أول السطر .

ووضعت بين ثنايا الكلام علامات العطف والاستئناف والعلامات التفسيرية والاستفهام والتعجب .

خامساً : وضع العناوين

إن المؤلف - رحمه اللـه - لم يضع عناوين لموضوعات كتـابه كما هو معروف في فن التصنيف وفي أكثر المؤلفات .

بل جعل موضوعات الكتاب في مقامات ، وكل مقام يندرج تحته فصول قد تصل في الغالب إلى عشرة أو أكثر .

لذا ، رأيت من المناسب وضع عناوين لأهم الموضوعات التي تعرّض لها المؤلف ، ووضعت ذلك في الحاشية محافظة على نص كلام المؤلف ؛ لئلا يختلط بغيره .

سادساً : ترقيم الآيات القرانية وتخريج الأحاديث النبوية التي استدل بها المؤلف

أ - قمت بتطبيق نصوص الآيات القرآنية الواردة في الكتاب على نصها في المصحف الشريف ، ورمزت لها في الهامش ، موضحاً رقم الآية ، واسم السورة .

ب - تخريج الأحاديث النبوية : فما كان منها من رواية الإمام البخاري ومسلم أو أحدهما اكتفيت بالإشارة إليه في الهامش ، موضحاً اسم الراوي ، والكتاب ، والباب الوارد فيهما الحديث ، ورقم الجزء والصفحة والطبعة ، وتأريخها . ولم أشر إلى درجة صحة الحديث؛ لأن ما ورد فيهما اتفق المحدثون على صحته.

أما الأحاديث التي ليست في الصحيحين ، فقد بحثت عنها في مظانها من كتب المسانيد والسنن ، فأشرت إلى رواتها ، ومخرجيها من أصحاب السنن : بذكر الكتاب ، والباب ، والجزء ، والصفحة ، مع ذكر درجتها من الصحة وعدمها - ما أمكنني ذلك - ، وأسندت ذلك

إلى قائليه ، وهو قليل جداً - ولله الحمد - ، إذ إن جملة الأحاديث التي استشهد بها المؤلف صحيحة .

سابعاً : نسبت ما في الكتاب من أبيات شعرية وحكم وأمثال إلى قائليها ، ثم قمت بشرح الألفاظ الغريبة فيها في الهامش ، كما أرشدت إلى مراجعها .

ثامناً : توثيق النصوص التي نقلها المؤلف عن غيره

بحثت عن هذه الأقوال في مظانها من مصنفات قائليها ، فما وجدت منها حرفياً أثبت المرجع في الهامش ، مشيراً إلى اسم الكتاب ، ومؤلفه ، ورقم الصفحة ، والجزء ، والطبعة ، وما كان بالمعنى أشرت إلى معناه .

تاسعاً : مطابقة نص كلام النصرانى الذى رد عليه ابن معمّر - رحمه الله - على أصله .

إن الجزء الذي رد عليه المؤلف أصله من كتاب "مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن" للقسيس النصراني الهولندي (هوقودي قروت) ، وقد سعيت في طلب الحصول على نسخة من هذا الكتاب في مظانه ، حتى تيسر لي الحصول على نسختين منه:

الأولى : من المكتبة البريطانية في لندن .

الثانية : من مكتبة جامعة ليدن بهولندا .

فطابقت النصوص التي أوردها المؤلف ابن معمر على هذه الأصول، وأشرت إلى مواضع صفحاتها من الكتاب . وما وجدت من فروق أو اختلاف في الألفاظ رمزت إليه في الهامش ، وأثبتُّ الفرق أو الاختلاف ، ووضعته بين قوسين هكذا [....] باعتباره متمماً لتصحيح النص .

عاشراً : التعريف بالأعلام

لقد وضعت تراجم مختصرة تناسب حجم الكتاب لجميع الأعلام الذين ورد ذكرهم في هذا الكتاب ، مراعياً صفة كل علم .

فالصحابة والتابعون ورجال الحديث أخذت تراجمهم من المؤلفات المتخصصة بهم ؛ كالإصابة ، وأسد الغابة ، وطبقات ابن سعد، وتهذيب التهذيب ، وتذكرة الحفاظ ، وغيرها .

أما الأعلام الآخرون من العلماء والخلفاء والحكام ورجال الأدب والتأريخ ، فقد أخذت تراجمهم من طبقاتهم ، ووفيات الأعيان ، وسير أعلام النبلاء ، والبداية والنهاية ، وقواميس الأعلام ، وغيرها.

أما رجال النصارى وأعلامهم ، فقد عرَّفْت بهم حسب المستطاع وبقدر ما توفّر لدي من مراجع ، ومن ذلك تأريخ سعيد بن البطريق المسمى "نظم الجوهر" وغيره .

الحادي عشر : التعريف بالأماكن والبلدان التي أشار إليها المؤلف بذكر موقعها واسمها المحدث - إن كان اسمها قد تغيّر من القديم إلى الحديث - آخذاً ذلك من المعاجم المعتمدة في هذا الباب .

الثاني عشر : شرح الألفاظ

لقد حاولت بقدر الإمكان شرح أي لفظ غامض في الكتاب شرحاً موجزاً ، لغوياً ، وشرعياً ، سواء أكان من ألفاظ الآيات القرآنية ، أو الأحاديث النبوية ، أو الجمل الأخرى من نص الكتاب .

الثالث عشر : عرَّفت بالكتب التي وردت أسماؤها في الكتاب، وذكرت أسماء مؤلفيها وأماكن وجودها إن كانت مخطوطة ، أو تأريخ طباعتها والجهة الناشرة إن كانت مطبوعة .

الرابع عشر: عرَّفت بالفرق والمذاهب التي ذكرت في الكتاب، مبيناً نشأتها ، ونسبة تسميتها ، وتطورها ، ومعتقد أصحابها .

الخامس عشر : مناقشة أهم موضوعات الكتاب

لقد وقفت عند بعض جزئيات الكتاب التي رأيت أنها تحتاج إلى مزيد من الإيضاح والبيان ، فتناولت هذه المسائل من جهتين :

أ - توثيق ما ذكره المؤلف ابن معمّر - رحمه اللّه -، بذكر المراجع التي استند إليها في كلامه .

ب - زيادة إيضاح تلك المسائل إتماماً للفائدة .

ومن الأمور التي وقفت عندها وناقشتها :

ما جرى في المجامع النصرانية ، وما أبطل فيها من أحكام ، وما ابتدعه أصحابها من فساد في العقيدة والدين ، وما أحدثوه في الصيام ، والأعياد ، والطهارة ، والصلاة ، والقبلة ، والختان .

كما زدت في مناقشة مشروعية الجهاد في الإسلام ، وأخذ الجزية ، والنكاح ، والطلاق ، وتعدد الزوجات ، وتحريم الخمر ولحم الخنزير .

إلى غير ذلك من الأمور المهمة التي تناولها الكتاب، وأثبتُّ ذلك في الهامش ؛ لئلا يختلط مع نص كلام المؤلف رحمه الله.

السادس عشر: وضعت للكتاب فهارس تفصيلية تكشف عما فيه من موضوعات وجزئيات وأسماء الأعلام والكتب والمراجع من أجل تمكين القارئ من الاطلاع عليها بيسر وسهولة .

ومن الله نستمد العون والتسديد ، واللّه نسأل أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه ، نافعاً لعباده .

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين .

كتاب

مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن

بسم الله الرحمن الرحيم به نستعين

الحمد لله المبدي المعيد الهادي صفوة
العبيد الي المنهج الرشيد والمسلك السديد
الذي يثيب عباده علي الطاعات بحكم
الوعد والكرم لا بحكم الاستحقاق واللزوم
إن لا يجب عليه فعل ولايتصور منه ظلم
ولايجب عليه لاحد حق وقد حقه
في الطاعات وجب علي الخلق بايجابه
علي لسان انبيايه لابمجرد العقل بل
هدانا بالايمان الجاري علي احسن النظام
وانعم علينا بشفاعة ابنه الحبيب الذي سر به
فنسخ بشرعه الشرايع كلها وجعله سيد
البشر ولانه صار مطيعا حتي الموت اي موت
الصليب اعلاه اعلاء ومنحه اسما يفوق كل
اسم لكي باسم يسوع تجثو كل ركبة
السماويين والارضيين والذين تحت الثري

صورة الصفحة الأولى من كتاب "مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن" من نسخة المكتبة البريطانية في لندن .



قلنا

ان يشكر الله عليه وان وقف علي شي من الخلل ان يصلحه ويستره بفضله ولا ينسي ما يعم جميع الناس من ضعف الجبلة الذي يقربهم من كثرة الزلل والعثار

تم الكتاب بعون الله وحسن توفيقه

صورة الصفحة الأخيرة من كتاب "مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن" من نسخة المكتبة البريطانية في لندن .



الرسول عند الحاجة إليه قل إنما أُمرنا في الله وهو [illegible]

ولنا أعمالنا [illegible] هذا ما يسر الله

تمام كتاب منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب

وقد وقع الفراغ من نسخه ضحوة يوم الخميس لأربعة عشر يوما

خلون من شهر ذي القعدة في السنة الثالثة والأربعين

بعد الألف والمائتين على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام

وذلك بقلم الفقير إلى الله [illegible]

[illegible] غفر الله له ولوالديه ولإخوانه

من المسلمين آمين

آمين آمين

آمين

وصل ملكاً للفقير [illegible] عبد [illegible] سلطان [illegible]

وقد وقفته قبل [illegible]

في مصالح الإسلام [illegible]

[illegible]

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة « س » ، وفيها عنوان الكتاب




كتاب
منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب
تأليف الشيخ الفاضل عبد العزيز بن الشيخ حمد
بن ناصر بن معمر غفر الله له وللمسلمين
والمسلمات الأحياء منهم والأموات
آمين ثم آمين
يا رب العالمين

صورة الصفحة الأولى من المخطوطة « ع » ، وفيها عنوان الكتاب



قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا
نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير وفي الحديث الذي رواه
مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اطلع على اهل الارض فمقتهم عربهم و
عجمهم الا بقايا من اهل الكتاب وايضا فان النصارى عليهم لعائن الله قد اشركوا
بالله اعظم الشرك وافتروا عليه اعظم الفرية فقالوا ان الله ثالث ثلاثة وادعوا
له ولدا تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا فلو لم يكن في بعثة الرسول من الحكمة
سوى النهي عن هذا الكفر الشنيع والشرك الفظيع من امة يدعون اتباع رسول الله
والايمان بكتابه وهم اذ ذاك اقرب الناس عهدا بالكتب والرسل لكان ذلك
كافيا في الحكمة ولائقا بالمعنى الذي مضت به سنة الله في خلقه من بعثة الرسول
عند الحاجة اليه قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم
ونحن له مخلصون ٥ هذا ما يسر الله تعالى من كتاب منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب

وقد وقع الفراغ من نسخه ضحوة السبت لست عشرة خلت من رمضان المعظم سنة ١٣٥٦
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين آمين
بقلم الفقير الى الله تعالى حمود بن عبد الله بن حمود التويجري وفقه الله تعالى لما يحب ويرضى آمين

١٦ رمضان سنة ١٣٥٦ هـ

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة « ع »

القســم الثاني :
تحقيق الكتاب وتوثيقه

كتـــاب

مِنْحَةُ القَرِيبِ المُجِيبِ فِي الرَّدِّ على عُبَّادِ الصَّلِيبِ

[مُحَقَّقًا]

تأليـف

العلامة الشيخ

عبد العزيز بن حمد بن ناصر ابن مُعَمَّر

١٢٠٣هـ - ١٢٤٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّه الذي أرسل رسوله محمّداً بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وكفى باللَّه شهيدا ، فصدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، وبددهم تبديدا . ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ (1).

تفرد بالخلق والتصوير ، وبيده الأمر والتدبير ، وإليه القضاء والتقدير ، فلا يملك أحد من دونه قطميرا . ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴾ (2) .

وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، ولا نظير له ، ولا صاحبة له ، ولا ولد له ، تعالى الملك الجبار ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (3).

تفرد بالربوبية في قدمه ، وظهرت سمات العبودية على من سوى ذي الجلال والإكرام ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ ﴾ (4) .

---

(1) سورة الإسراء ، الآية : 111 .

(2) سورة الفرقان ، الآية : 55 .

(3) سورة الزمر ، الآية : 4 .

(4) سورة المائدة ، الآية : 75 .

وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله ، أرسله على حين فترة من الرسل ودروس السبل ، وقد مقت أهل الأرض عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ، فهدى به من الضلالة ، وعلّم به من الجهالة ، وبصَّر به من العمى ، وأرشد به من الغي والارتياب ، ففتح برسالته أعيناً عميا ، وآذاناً صما ، وقلوبا غلفا ؛ فاستنارت لها الطرق ، وانفتحت الأبواب ، فبلّغ الرسالة ، وأدّى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في اللّه حق الجهاد ، ففتح القلوب بالإيمان والقرآن .

وجاهد أعداء اللّه باليد والقلب واللسان ، ودعا إلى اللّه على بصيرة جميع العباد إلى أن أشرقت برسالته الأرض بعد ظلامها أي إشراق ، وتألفت به القلوب بعد شتاتها والافتراق ، وسارت دعوته مسير الشمس في الأقطار ، وبلغ دينه القيّم ما بلغ الليل والنهار ، واستجابت القلوب لدعوته الحق طوعاً وإذعاناً ، وامتلأت بعد خوفها وكفرها أمنا وإيماناً ، فجزاه اللّه عن أمته خير الجزاء ، وصلى اللّه عليه صلاة تملأ أقطار الأرض والسماء ، وعلى إخوانه من الرسل والأنبياء وعلى آل كل ، وأصحاب كل والأولياء .

وبعد: فقد سألني بعض الإخوان[1] - أيدهم الله تعالى بروح منه ، وكتب في قلوبهم الإيمان والفهم عنه - أن أكتب جواباً عن أباطيل

(١) ذكر الشيخ محمّد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ : أن الذي طلب من المؤلف - رحمه الله - الجواب على كتاب النصراني وردِّ أباطيله هو الشيخ عبدالله بن أحمد ابن خليفة ، الذي تولى الحكم في البحرين من عام ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م حتى عام ١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م .

الكتاب الذي صنفه بعض[1] الضالين من النصارى الجهلة المغالين ، وسمَّاه "مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن"[2]، وضمَّن بعض فصوله الرد على المسلمين والاعتراض على نبوة سيد المرسلين ، وقد بث منه النصارى نسخاً كثيرة ؛ ليلبسوا الأمر على ضعفاء البصيرة ؛ ويلقوا عليهم الشكوك والشبهات بما لفقوه من أباطيل الترهات : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[3] .

وقد وفى - سبحانه - بما وعد ، وأظهر دينه على رغم من كفر وجحد ، فأظهره بالحجة والبيان ، ونصره بالسيف والسنان ، وأيد أهله على من سواهم ، ونصرهم بالحجة على من ناوأهم ، كما أظهرهم بالسيف على من كانوا له يحاربون ، وذلك مصداق قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[4] .

---

(١) في بحث قدم لكلية اللاهوت بهولندا عام ١٩٨٢م أكد أن المؤلف الأول للكتاب هو (هوقودي قروت) كتبه أولاً باللغة الهولندية شعراً ، ثم ترجم إلى اللغة اللاتينية ، ومنها إلى العربية .

(٢) العنوان الأصلي للكتاب « حقيقة الديانة النصرانية » ، وقد ترجم إلى عدة لغات . وفي عام ١٨٣٣م نشرته باللغة العربية جمعية الدعاية للعلوم النصرانية في لندن دون ذكر اسم المؤلف أو المترجم ، وأطلقت عليه اسم «مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن» ، ومنذ ذلك التاريخ عرف بهذا العنوان .

(٣) سورة التوبة ، الآيتان : ٣٢ - ٣٣ .

(٤) سورة الصافات ، الآية : ١٧٣ .

وأيد رسوله وأتباعه بالحجج الصحيحة العلمية ، والبراهين القاطعة العقلية والنقلية بما لم يبق بعده للمخالف إلا محض العناد ، وحينئذ فالدواء الشافي من هذا الداء سيف الجهاد ، وكفى لمن جانَب جانب الاعتساف ، وسلك طريق العدل والإنصاف ما تضمنه القرآن العربي المبين من البينات والحجج والبراهين ، فهو الشفاء النافع لمن استشفى والكفاية التامة لمن به استكفى ، وهو الهدى والنور وشفاء وسوسة الصدور ، وهو الكفيل بالانتصار على المبطلين لمن كان به خبيراً.

كما قال تعالى : ﴿ وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴾ (١) ، فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما يبطلها ويلقيها من شاهق كما قال تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ (٢) .

وفي الحديث الذي رواه الترمذي (٣) وغيره (٤) عن علي بن أبي طالب(٥) - رضي الله عنه - عن النبي - صلى اللّه عليه وسلم - في

---

(١) سورة الفرقان ، الآية : ٣٣ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ١٨ .

(٣) أخرجه الترمذي في السنن ، ج ٥ : ١٧٢ ، تحقيق إبراهيم عطوة ، قال الترمذي : «هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، إسناده مجهول ، وفي الحرث مقال». وقد نقل موقوفاً على علي - رضي الله عنه - ، ومعناه صحيح .

(٤) ذكره الحافظ نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ج ٧ : ١٦٤ ط ٣ ، وقال : « رواه الطبراني ، وفيه عمرو بن واقد ، وهو متروك » .

(٥) هو أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي، ابن عم رسول الله وزوج ابنته فاطمة . أسلم في صدر الإسلام ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عدا تبوك ، إذ خلفه في أهله وتولى الخلافة سنة ٣٥ هـ بعد مقتل عثمان - رضي الله عنه - ، ودامت خلافته خمس سنوات ، إذ قتل شهيداً في شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة .

صفة القرآن: « فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى من غيره أضلَّه اللَّه ، هو حبل اللَّه المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴾[1] ، من قال به صدق ، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم ».

ولما كان اللَّه - تعالى - قد أمر رسوله بإقامة الحجة على الكافرين بطريق الجدال ، وشرع ذلك في السور المكية والمدنية حتى بعد فرض القتال.

كما قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[2].

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[3].

---

(١) سورة الجن ، الآيتان : ١ - ٢ .

(٢) سورة النحل ، الآية : ١٢٥ .

(٣) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٦ .

وأمره بعد إقامة الحجة على النصارى بالمجادلة ، أن يدعوهم إلى الملاعنة [١] والمباهلة [٢]، فقال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [٣] .

فلم يزل صلى اللّه عليه وسلم في جدال الكفار على اختلاف مللهم [٤] ، وتباين نحلهم[٥] ، إلى حين وفاته [٦] ، وكذلك أصحابه من بعده ومن تبعهم من أئمة الدين وحماته ، وبهذا الأمر قام الدين واتضح منهاجه للعابدين . وإنما جعل السيف ناصراً للحجة والبرهان مسهلاً طريق البلاغ إلى المكلفين بالسنة والقرآن ، وأعدل السيوف سيف ينصر حجج اللّه وبيناته ، وهو سيف رسوله وأتباعه الذين بذلوا نفوسهم للّه ابتغاء مرضاته .

فعند ذلك رأيت الإجابة إلى الجواب أولى ؛ فاستعنت بالله ، فنعم المعين ، ونعم المولى ، رجاء الدخول في زمرة المجاهدين والانتظام في مسلك أنصار الدين .

---

(١) الملاعنة : من اللعن ، وهو الطرد والإبعاد .

(٢) المباهلة : من الابتهال ، وهو الاجتهاد في الدعاء باللعن وغيره.

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٦١ .

(٤) الملل : جمع ملة ، والملة تطلق على الدين سواء أكان صحيحاً أو فاسداً .

(٥) النحلة - بكسر النون - : الديانة كقولك : فلان ينتحل كذا ، أي : يدين به .

(٦) توفّي صلى اللّه عليه وسلم في السنة الحادية عشرة من الهجرة النبوية .

واعلم أن الكتاب [1] الذي قصدنا الرد لباطله [2] يشتمل على مقالتين :

المقالة الأولى منها تنقسم إلى قسمين :

الأول [3] : في صحة الشريعة المسيحية .

الثاني [4] : في إثبات صحة كتب العهد الجديد ، يعني الأناجيل التي يعتمدها أهل النصرانية .

المقالة الثانية تنقسم - أيضاً - إلى قسمين :

القسم الأول [5] : في الرد على اليهود المكذبين .

القسم الثاني [6] : في الرد على المسلمين . وهذا القسم - أرشدك اللّه لما يرضيه - هو الذي قصدنا الرد عليه فيه .

وأما ما قبله من الأقسام فهو إما في صحة رسالة المسيح، وأن دينه دين صحيح . وهذا متفق عليه بين المسلمين قبل التبديل والنسخ بشريعة خاتم النبيين .

وإما في الرد على اليهود في كفرهم بالإنجيل وقولهم بالزور في المسيح ابن البتول . وهذا - أيضاً - على الجملة صحيح مقبول .

---

(١) هو مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن .

(٢) في النسخة « ع » [إلى باطله].

(٣) وهذا القسم يشتمل على عشرة فصول .

(٤) وهذا القسم يشتمل على أربعة عشر فصلاً .

(٥) وهذا القسم يشتمل على ثمانية عشر فصلاً وخاتمة .

(٦) وهذا القسم يشتمل على ستة فصول، وهو الذي رد عليه ابن معمر - رحمه الله -.

لكن تلك الأقسام قد ضمنها النصراني - أيضاً - باطلاً كثيراً ، ومزج بها بهتاناً وزوراً ، وسيمر عليك - إن شاء الله - الرد عليه في ذلك ضمن ما كتبناه .

وذلك القسم الذي نقضناه يشتمل على خمسة فصول[1] من الكلام ؛ فجعلنا الرد عليها في خمسة مقامات ، لكل فصل منها مقام ، وسميته "منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب" . ومن اللَّه نستمد الإعانة على ما أردناه ، والتوفيق لإصابة الغرض بما أوردناه ، فهو الذي يهدي إلى سواء السبيل ، وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل .

---

(١) في كتاب " مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن " فصول هذا القسم ستة ، السادس منها تضمن وعظ مؤلفه للمسيحيين ، فقد جاء فيه النص التالي :

الفصل السادس نختم فيه هذا الباب بالوعظ للمسيحيين يذكرهم بسبب ما سبق من الأقوال ما يجب عليهم فعله . انتهى .

ولعل المؤلف ابن معمّر - رحمه الله - يقصد بقوله : «يشتمل على خمسة فصول...» الفصول التي تضمنت رد النصراني على المسلمين ، وهي فعلاً خمسة فصول ؛ أما الفصل السادس فهو موعظة من النصراني للمسيحيين ، فلهذا صرف ابن معمّر نظره عنه ، ولم يعده من الفصول المقصودة. والله أعلم.

المقـام الأول

اختلاف النصارى في أمـر دينهم

قال النصراني :

« فـصل في ابتداء ظهـور دين الإسلام : مـعلوم مشـهور مما وجـد مـسطوراً في كـتب الـتـواريخ ، وأخـبـار أحـوال الزمـان أن التـقـوى الصحيحة الخالصة التي شهرت [١] أولاً في المسيحيين حين كانوا مبتلين بأشد البلايا ، ومظلومين في غـاية الظلم ، قد أخذت أن تنقص [٢] أولاً فأول بعـد أن كان بواسطة قـسطنطين [٣] ومن بعده مـن الملوك ، وصار ذلك الاعتقاد ليس أمناً فقط بل ومكراً [٤] » .

ثم ذكر أن سبب ذلك هو الاختـلاف والفتن بين الأساقفة من أجل الرئاسـة وعلو المرتبـة ، إذ قـدموا الافـتـخـار بالعلم على تقـوى اللّه ، وجعلوا الدين حيلة ، وأن ذلك صار سبب اختلاف الأقوال والآراء .

قـال : « وإذا رأى عـامـة الـناس ذلك لم يدروا [٥] مـا يخـتـارون لأنفسـهم ، يلومون الكتب المقدسة كـأنها سبب تلك الفـتنة ، وينفرون عنها كأنها سم زعاف .

---

(١) لعله يعني : اشتهرت وذاعت .

(٢) في كتاب مفتاح الخزائن : (أن تنقص وتقل).

(٣) هو الملك قسطنطين الكبير بن قسطس ، وأمه هيلانة ، ولد بالرهاء ، وتعلم حكمة اليونانيين ، ثم انتقل إلى بيـزنطة قبل وفاة أبيه بقليل ، إذ تولى الملك بعـده ، وقد دام ملكه اثنتين وثلاثين سنة ، ومات وعمره خـمس وستون سنة . (كتاب نظم الجوهر لسـعيد بن البطريق ، مواضع متعددة) .

(٤) [ومكرا] هكذا في جميع نسخ كتـاب " منحة القريب المجيب " . وفي نسختي كتـاب مفتاح الخزائن : (ومكرما) .

(٥) في مفتاح الخزائن النص هكذا : (وإذا رأى الناس عامة ذلك وكثيراً ما لم يدروا).

وأما فغالب الأمر قد بدا الدين أن يجعل ليس في طهارة النفس بل في ظاهر السنن ، كما صار في اليهودية وفي حفظ [1] الأشياء التي مقصودها تهذيب الأبدان أكثر من صلاح الأنفس بها ، وفي السعي في إثبات الدعاوى التي اختاروها .

والذي آل الأمر إليه أنه قد وجد في جميع البلاد عدة من المسيحيين اسما ، وأقل من القليل حقاً وفعلاً ...»[2] إلى آخر كلامه الآتي.

ونقول - وبالله التوفيق - :

حقيقة ما ذكره هو الاعتراف بتبديل النصارى[3] دين المسيح[4] - عليه السلام - وتغييرهم له وتفرقهم فيه في تلك الأزمان القريبة من زمن المسيح - عليه السلام - ، فهو من الحجج على صحة نبوة محمّد - صلى اللّه عليه وسلم - ؛ لأنها قد مضت سنة الله في خلقه ببعثة الرسل عند خفاء الحق وظهور الضلال إعذاراً وإنذاراً ﴿ ... لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[5] .

---

(١) في مفتاح الخزائن : (وفي حفظه الأشياء) .

(٢) كتاب مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن، ص ١١٥، نسخة المكتبة البريطانية في لندن.

(٣) النصارى : هم أتباع المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - ، وقد سمو بهذا الاسم نسبة إلى قرية المسيح (الناصرة) من أرض الجليل بفلسطين ، ولا يعرف بالضبط متى أطلقت عليهم هذه التسمية ، وقد ورد في القرآن لفظ النصارى في عدد من الآيات . وذكر عن أتباع المسيح أنهم أحدثوا لأنفسهم هذا الاسم ، فقال تعالى : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ ... ﴾ [المائدة: ١٤].

(٤) المسيح : لفظة مشتقة من المسح بالزيت أو الدهن ، والمراد بها هنا عبدالله ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام .

(٥) سورة النساء ، الآية : ١٦٥ .

فأرسل - تبارك وتعالى - الرسل في بني آدم جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن ، كلما درست رسالة رسول وخفيت آثارها بعث رسولاً بتجديد الرسالة وإقامة الحجة ، إلى أن وصلت النبوة إلى بني إسرائيل ، فبعث الله فيهم عبده ورسوله الكريم ونجيه المقرب الكليم موسى بن عمران - عليه الصلاة والتسليم - ، وأنزل عليه التوراة فيها هدى ونور، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار. فساسهم موسى - عليه السلام - بسياسة النبوة ، وشرع لهم شرائع الدين ، وحَدَّ لهم حدوده .

ثم كانت فيهم الأنبياء بعده تسوسهم بأحكام التوراة وشريعة موسى ، ثم حدثت فيهم الأحداث ، وتفرقوا في الدين ، واتبعوا الأهواء ، وتقطعوا أمرهم بينهم زبرا ، وأفسدوا في الأرض ، وتعدوا حدود الله ، وغيّروا دينه ، وقتلوا أنبياءه ، فسلط عليهم الأعداء مرة بعد أخرى ؛ فجاسوا خلال ديارهم ، وتبّروا ما علوا تتبيرا[(١)].

وفي كل ذلك يبعث الله فيهم الأنبياء ؛ يجددون لهم ما درس من الدين، ويقيمون ما غيَّروا . إلى أن كان آخر أنبيائهم عبدالله ورسوله وكلمته عيسى ابن مريم - عليهما السلام - ، فجدَّد لهم الدين ، وبيَّن معالمه ، ودعاهم إلى عبادة الله وحده والتبري من الأحداث والآراء

---

(١) التبار - بالفتح - : الهلاك ، ومعنى (وتبروا ما علوا تتبيرا) : أي : يدمرون ويخربون ما ظهروا عليه من الديار . قد ذكر الله - تعالى - ذلك بقوله : ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً﴾ [الإسراء: ٧].

الباطلة ، فعادوه ، وكذّبوه ، ورموه بالعظائم ، وراموا قتله وصلبه، فطهّره الله ، ورفعه ، فلم يصلوا إليه بسوء . كما سيأتي تفصيل القصة فيما بعد - إن شاء الله تعالى[1] -.

فلما رُفِعَ تفرّق [2] أتباعه بعده شيعاً ، فمنهم من آمن بما بعثه الله به ، وأنه عبد الله ورسوله ، وابن أَمَته ، ومنهم من غلا فيه وتجاوز به حد العبودية إلى منزلة الربوبية والإلهية ، وقد حكى الله عنهم في كتابه ثلاث مقالات من الكفر ، فقال تعالى :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ... ﴾[3].

وقال تعالى :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ ... ﴾[4].

وقال تعالى :

﴿ ... وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ... ﴾[5].

وقد اختلف العلماء في هذه المقالات الثلاث التي ذكرها الله عن النصارى : هل هي مقالات لثلاث طوائف منهم ؟ أو أنها مقالة لجميعهم؟ أعني كفرت النصارى على قولين . والتحقيق الثاني كما سيأتي إيضاحه [6] - إن شاء الله تعالى - .

---

(١) في المقام الثاني من هذا الكتاب.
(٢) في النسخة «ع» [تفرقت] .
(٣) سورة المائدة ، الآية : ٧٢ .
(٤) سورة المائدة ، الآية : ٧٣ .
(٥) سورة التوبة ، الآية : ٣٠ .
(٦) في مبحث : إثبات نبوة موسى وعيسى بنبوة محمّد ، عليهم السلام .

واعلم أن النصارى من أجهل الناس بالعلم الصحيح ، وأضلهم في أصول دينهم وفروعه ، وهم وإن ادعوا أنهم على دين عيسى - عليه السلام - ، وأنهم أتباعه ، وعلى شريعته ، فقد كذبوا وضلوا ضلالاً بعيداً ، بل بدَّلوا دين عيسى وغيّروه ، ولم يبق بأيديهم منه شيء ، وإنما اتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل.

وسنذكر - بعون الله - ما ذكر علماؤنا الذين هم أهل العلم الصحيح، والعقل الرجيح ، والتمييز بين صحيح النقل وسقيمه ومقبوله ومردوده . ما نقل إليهم من أمر هذه الأمة الضالة في ابتداء أمرها ، ووصل إليهم علمه من ثقات المخبرين من مؤرخي أهل الكتاب وغيرهم ممن له تمام المعرفة بأيامهم واجتماعهم وافتراقهم .

ونبدأ بذكر حديث في ذلك عن النبي - صلى الله عليه وسلم - تيمناً وتبركاً . قال الإمام الحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي : حدثنا إسحاق ابن أبي حمزة أبو يعقوب الرازي قال : حدثنا السري ابن عبدربه حدثنا بكير بن معروف [1] عن مقاتل بن حيان [2] عن القاسم بن عبدالرحمن[3] عن عبدالله بن مسعود[4] - رضي الله عنه -

---

(١) بكير بن معروف الأسدي النيسابوري ، تولى القضاء في نيسابور ، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن حجر : « فيه لين ».

(٢) هو أبو سطام مقاتل بن حيان النبطي البلخي الخراز ، وثَّقه يحيى بن معين ، وذكره ابن حبان في الثقات ، مات سنة ١٥٠ هـ تقريباً . (تذكرة الحفاظ ، ج ١ : ٩٠) .

(٣) هو أبو عبدالرحمن القاسم بن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود الكوفي . قال ابن سعد : « ثقه كثير الحديث » ، وثَّقه ابن حبان مات سنة ١٢٠هـ . (تهذيب التهذيب ، ج ٨ : ٣٢١) .

(٤) هو أبو عبدالرحمن عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي. صحابي جليل من أول المسلمين إسلاماً، شهد المشاهد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وأخذ الحديث عنه. توفي بالمدينة سنة ٣٢هـ. رضي الله عنه . (أسد الغابة، ج ٣ : ٢٥٦).

قال: قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: يا ابن مسعود . قلت: لبيك يا رسول الله ، قال : « علمت أن بني إسرائيل تفرقوا على اثنتين وسبعين فرقة لم ينج منها إلا ثلاث فرق قامت بين الملوك والجبابرة بعد عيسى ابن مريم - عليه السلام - ، فدعت إلى دين الله ، ودين عيسى ابن مريم ، فقاتلت الجبابرة ، فقتلت وصبرت ونجت . ثم قامت طائفة أخرى لم تكن لها قوة بالقتال ، فقامت بين الملوك والجبابرة تدعو إلى دين الله ، ودين عيسى ابن مريم ، فقتلت ، وقطعت بالمناشير ، وحرقت بالنيران ، فصبرت ونجت . ثم قامت طائفة أخرى لم تكن لها قوة بالقتال ، ولم تطق القيام بالقسط ، فلحقت بالجبال ، فتعبدت ، وترهبت ، وهم الذين ذكرهم الله - عز وجل - بقوله : ﴿ ... وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ... ﴾[1] ».

ورواه ابن جرير [2] وأبو يعلى [3] من طريق أخرى .

وقال ابن كثير [4] : روي عن قتادة[5] قال : «اجتمع بنو إسرائيل ، فأخرجوا أربعة نفر، أخرج كل قوم عالمهم ، فامتروا في عيسى حين رفع.

(١) سورة الحديد ، الآية : ٢٧ .

والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره عن ابن أبي حاتم ، ج ٤ : ٣١٥ .

(٢) رواه ابن جرير الطبري في التفسير ، ج ٧ : ١٣٨ .

(٣) أبو يعلى هو أحمد بن علي بن المثنى التميمي ، حافظ من علماء الحديث ، ثقة مشهور ، من مصنفاته : " المعجم في الحديث " ، و" المسند الكبير والصغير " . توفي سنة ٣٠٧ هـ . (تذكرة الحفاظ ، ج ٢ : ٧٠٧) .

(٤) في تفسيره ، ج ٣ : ١٢١ .

(٥) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي البصري ، ولد أكمه سنة ٦١هـ ، اشتهر بالتفسير والفقه ، ومات سنة ١١٧هـ. (تهذيب التهذيب ، ج ٨ : ٣٥١).

فقال بعضهم : هو الله هبط إلى الأرض ، فأحيا من أحيا ، وأمات من أمات ، ثم صعد إلى السماء ، وهم اليعقوبية[1]. فقال الثلاثة : كذبت ، ثم قال الاثنان منهم للثالث : قل أنت ، قال : هو ابن الله ، وهم النسطورية[2] . فقال الاثنان : كذبت . ثم قال أحد الاثنين للآخر : قل فيه ، قال : هو ثالث ثلاثة : الله إله ، وهو إله ، وأمه إله ، وهم الإسرائيلية ملوك النصارى . فقال الرابع : كذبت . هو عبد الله ورسوله ، وروحه ، وكلمته ، وهم المسلمون . فكان لكل رجل منهم أتباع على ما قالوا ، فاقتتلوا ، فظهروا على المسلمين .

وذلك قوله تعالى: ﴿ ...وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ... ﴾[3].

قال قتادة : وهم الذين قال الله فيهم : ﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ... ﴾[4])).

---

(١) اليعقوبية : فرقة من النصارى تنتسب إلى يعقوب البراذعي ، ومذهبهم أن المسيح ذو طبيعة واحدة قد امتزج فيه عنصر الإله بعنصر الإنسان ، وتكوّن من هذا الاتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والناسوت . (انظر الملل والنحل للشهرستاني ، ج ٢ : ٤٨ ، ومحاضرات في النصرانية لأبي زهرة، ص ١٨٨).

(٢) النسطورية : فرقة من النصارى تنتسب إلى نسطور الحكيم بطريرك القسطنطينية . ومذهبهم أن مريم لم تلد الإله، بل ولدت الإنسان، فالمسيح لم يكن إلهاً في حد ذاته، بل هو إنسان مملوء من البركة والنعمة أو هو ملهم من الله ، وبعد ولادته اتحد بالإله .
(انظر: محاضرات في النصرانية لأبي زهرة ، ص ١٨٦، والملل والنحل للشهرستاني، ج ٢: ٤٤ ، ٤٨).

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٢١ .

(٤) سورة مريم ، الآية : ٣٧ .

وروي عن ابن عباس [١] - رضي الله عنهما - وعن عروة بن الزبير [٢] عن بعض أهل العلم قريباً من ذلك [٣] .

قال ابن كثير بعد أن ذكر مقالاتهم الثلاث : فاستمروا كذلك قريباً من ثلاثمائة سنة .

ثم نبغ فيهم ملك من ملوك اليونان يقال له : قسطنطين [٤]، فدخل في دين النصرانية ، قيل: حيلةً؛ ليفسده، فإنه كان فيلسوفا ، وقيل: جهلاً منه.

إلا أنه بدَّل دين المسيح، وحرّفه، وزاد فيه ونقص، ووضعت له القوانين [٥] والأمانة الكبيرة [٦]؛ بل هي الخيانة الحقيرة ، وصلّوا له إلى المشرق [٧]،

---

(١) هو حبر الأمة الإسلامية عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم ، ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ولد بمكة قبل الهجرة ، كان بحراً زاخراً في العلم ، وفي آخر حياته سكن الطائف ، وبها مات سنة ٦٨ من الهجرة بعد أن كف بصره . (أسد الغابة ، ج ٣ : ١٩٢) .

(٢) هو أبو عبدالله عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي، ولد بالمدينة سنة ٢٢هـ، وأمه أسماء بنت أبي بكر، وخالته أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -، رحل إلى البصرة ثم إلى مصر، ثم عاد إلى المدينة، ومات بها سنة ٩٣هـ. (تهذيب التهذيب، ج ٧ : ١٨٠).

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ، ج ٣ : ١٢١ .

(٤) تقدم التعريف به .

(٥) القوانين: الأصول، واحدها قانون، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج ٣:٢٤: «وضعوا له مع الأمانة أربعين كتاباً فيها السنن والشرائع».

(٦) سيأتي نص هذه الأمانة عند كلام المؤلف عمّا جرى في مجمع نيقية الأول عام ٣٢٥م .

(٧) اليهود والنصارى لم يكن لهم قبلة محددة من قبل الله مثل ما للمسلمين يتجهون إليها في الصلاة.

فقد جاء في الإصحاح العشرين من سفر الخروج النص التالي : « في كل الأماكن التي فيها أضع لاسمي ذكراً آتي إليك وأباركك » .

وبعد رجوع اليهود من أرض بابل انقسموا على أنفسهم ، فالسامريون يقولون : جبل جرزيم هو القبلة، والعبرانيون يقولون : جبل صهيون هو القبلة ، وهيكل سليمان كان مبنياً على جبل صهيون، وكان العبرانيون يقدسونه .

(انظر: تهميش د.أحمد حجازي السقا على كتاب هداية الحيارى لابن القيم، ص ٢٦٤).

وصوَّر لهم الصـور ، وبنى لهم الكنائس [1] والمعابد [2] والصوامع [3]، وزاد في صيامهم عشرة أيام من أجل ذنب ارتكبه فيما يزعمون ، وصار دين المسيح دين قسطنطين ؛ لأنه بنى لهم من الكنائس والمعابد والصوامع والديارات[4] ما يزيد على اثـني عشر ألف مـعبد، وبنى المديـنة المنسوبة إليه[5] ، وتبعته طائفته الملكية[6] منهم .

وأخرج النسائي[7] في سننه[8] وابن جرير في تفسيره[9] عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال :

---

(١) الكنائس : جمع كنيسة ، وهي مكان العبادة لدى النصارى .

(٢) المعابد : مكان العبادة ، مأخوذ من التعبد ، وهو التنسك .

(٣) الصوامـع ، جمع صومـعة ، وهي بنـاء مرتفع ، سـميت بذلك لتلطيف أعـلاها ، وهي مكان يتعبد به الرهبان.

(٤) الديارات: جمع دير، وتجمع على أديار، وهي من أماكن العبادة في الديانة النصرانية.

(٥) وهي مدينة الـقسطنطينية ، وقـد عمّـرها الملك قسطنطين بن قـسطس ملك الروم ؛ فسـميت باسمه ، وكـانت تعرف قبل ذلك بـ (بيزنطية) ، وفي عهـد الدولة العثمانية صـارت عاصمة لها، وأطلق عليها اسم (اسطنبول).

(٦) الملكية : نسبة إلى ملك الروم قسطنطين الكبير، أو الملكانية كما يسميها الشهرستاني نسبة إلى (ملكا) الذي ظهـر بأرض الروم ، واسـتولى عليهـا . وهذه الطائفة فـرقة من فرق الـنصارى القديمة ومذهبها التثليث ، فالصورة الإلهية في مذهبهم هي : الأب ، والابن ، وروح القدس. فاتحدت هذه الأصول الـثلاثة في جسد المسيح ؛ فصار المسـيح - في زعمهـم - هو اللاهوت والناسوت. وقد نقض القـرآن الكريم هذا المعتقد الضال، فـقال تعالى : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣] (الملل والنحل للشهـرستاني، ج ٢:٣٩، والسلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي، ج ١ : ٩١٢).

(٧) هو أبو عبدالرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان النسائي من أئمة الحديث، ولد سنة ٢١٥هـ ، واستـوطن مصـر ، ثم خرج منهـا إلى فلسطين ، ومات في بيت المـقدس سنة ٣٠٣هـ . (تذكرة الحفاظ ٢ : ١٨٠).

(٨) في سنن النسائي بشرح السيوطي ، ج ٨ : ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٩) تفسير ابن جرير الطبري ، ج ٢٧ : ١٣٨ ، طبعة بولاق مصر .

«كانت ملوكٌ بعد عيسى - عليه السلام - بدَّلوا التوراة [1] والإنجيل [2]، وكان بينهم مؤمنون يقرؤون التوراة والإنجيل ، فقيل لملوكهم: ما نجد شتماً أشد من شتم يشتمونا هؤلاء ، إنهم يقرؤون : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [3] .

مع ما يعيبونا به في أعمالنا في قراءتهم ، فادعهم ؛ فليقرؤوا كما نقرأ ، وليؤمنوا كما نؤمن . فدعاهم ، فعرض عليهم القتل ، أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا فيها ، فقالوا: ما تريدون إلى ذلك ، دعونا.

فقالت طائفة منهم : ابنوا لنا أسطواناً [4] ، ثم ارفعونا إليها ، ثم أعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا ، ولا نرد عليكم .

وقالت طائفة منهم : دعونا نسيح في الأرض ، ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش ، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا .

---

(١) التوراة : لفظة عبرانية معناها الشريعة أو الناموس . وهو الكتاب المنزل على موسى - عليه السلام - ، ويتكون من خمسة أسفار هي :
١ - سفر التكوين. ٢ - سفر الخروج . ٣ - سفر اللاويين. ٤ - سفر العدد. ٥ - سفر التثنية.
والنصارى يطلقون عليه اسم (كتاب العهد القديم) .

(٢) الإنجيل : لفظة عبرانية معناها البشارة . وهو الكتاب المنزل على عيسى ابن مريم - عليه السلام -، وهذا الإنجيل لا وجود له عند النصارى ، بل الموجود لديهم الآن أربعة أناجيل كتبت بعد رفع المسيح بزمن طويل ، وهي :
١ - إنجيل متّى . ٢ - إنجيل يوحنا . ٣ - إنجيل لوقا . ٤ - إنجيل مرقس .
وهناك إنجيل خامس هو إنجيل برنابا ، لكن النصارى لا يعترفون به ، وهو أقرب الأناجيل إلى الحق والصواب.
والنصارى يطلقون على الأناجيل الأربعة المذكورة اسم (كتاب العهد الجديد) .

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٤٤.

(٤) هو البناء المستدير على شكل عمود .

وقالت طائفة : ابنوا لنا دوراً في الفيافي ، ونحتفر الآبار ، ونحترث البقول ، ولا نرد عليكم ، ولا نمر بكم ، وليس أحـد من القبائل إلا وله فيهم حميم[1] . ففعلوا ذلك ، فأنزل الله : ﴿ ... وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ... ﴾ [2].

وآخرون قالوا : نتعـبَّد كما تعبَّد فلان ونسيح كـما ساح فلان ، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمـان الذين اقتـدوا بهـم . فلمـا بُعِثَ النبـي - صلى الله عـليـه وسلم - ولم يبـق منهم إلا القليل انـحط رجل من صومعته[3]، وجاء رجـل من سياحته ، وصاحب الدير من ديره [4]، فآمنـوا به وصدقوه ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ ... ﴾[5] ، يعني أجرين بإيمانهم بعـيسى - عليه السلام - وبالتوراة والإنجيل ، وبإيمانهم بمـحمد - صلى الله عليه وسلم - وتصديقهم ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ... ﴾[5] القرآن واتباعهم النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ﴿ ... لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ ... ﴾[6] الذين يتشـبهون بكم ﴿ ... أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[6] ».

---

(١) الحميم : هو القريب الذي تهتم لأمره .
(٢) سورة الحديد ، الآية : ٢٧.
(٣) تقدم معناها .
(٤) تقدم معناه .
(٥) سورة الحديد ، الآية : ٢٨ .
(٦) سورة الحديد ، الآية : ٢٩.

تحـريـف النصارى لدينهـم

وقد ذكـر الإمام العلامـة أبو عبدالله مـحمّد بن أبـي بكر بن القيم[1] طرفاً من شرح هذه الجملة، وأن دين المسيح تناسخ واضمحل. قال:

ولم يبق بأيدي النصارى منه شيء ، بل ركّبوا ديناً بين دين المسيح وديـن الفلاسـفـة عُبَّاد الأصنام ، وراموا بذلك أن يتلطفـوا للأمم حتى يدخلوا[2] في النصرانية.

فنقلوهم من عـبادة الأصنام المجسـدة إلى الصور[3] التي لا أصل لها، ونقلوهم من السجـود للشمس إلى السجود إلى جهـة المشرق، ونقلوهم من القول باتحاد العاقل والمعقـول والعقل ، إلى القول باتحاد الآب والابن وروح القدس .

هذا ومعـهم بقايا من دين المسيح كـالختان ، والاغتـسال من الجنابة ، وتعظيم السبت ، وتحريم الخنزير ، وتحريم ما حرمته التوراة إلا ما أحل لهم بنص[4] الإنجيل، ثم تـناسخت الشريعـة إلى أن استـحلوا الخنزير، وأحلوا السبت ، وعوضوا منه يوم الأحد، وتركوا الختان [5] والاغتسال من الجنابة.

---

(١) في كتابه إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، تحقيق محمّد حامد الفقي ، ج ٢ : ٢٧٠-٢٨١، طبعة دار المعرفة بيروت .

(٢) في النسخة « ع » [يدخلوهم] .

(٣) في نص كلام ابن القيم : (إلى عبادة الصور التي لا ظل لها) .

(٤) في كلام ابن القيم : (بنصها) .

(٥) الختـان : سنة الأنبياء والمرسـلين من لدن آدم - عليه السلام - إلى مـحمّد - صلـى الله عليه وسلم . وقد اختتن إبراهيم الخليل - عليه السلام - وهو ابن ثمانين سنة ، واختتن عيسى ابن مريم - عليه السلام - في اليوم الثامن من مولده .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « خمس من الفطرة : الختان ، والاستحداد ، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار ، وقص الشارب » .

فمن هذا علم مشروعية الختان في جميع الشرائع السماوية ، لكن النصارى أبطلوا هذه السنة كما ذكـر المؤلف - رحـمـه الله - انظر : صحيح البخاري ، ج ٤ : ١١ ، كتـاب : الأنبياء ، وج ٧ : ٥٦ كتـاب : الآداب ، وصحيح مـسلم ، ج ١ : ٢٢١ كتاب : الطهـارة ، وإنجيل برنابا : الإصحاح الخامس والعشرين .

وكان المسيح يصلي إلـى بيت المقدس ، فصلوا [1] هم إلى المشرق[2] . ولم يعظِّم المسيح صليباً قط[3] ، فعظموا هم الصليب وعبدوه، ولم يصم المسيح صومهم هذا[4] أبداً ، ولا شرعه ، ولا أمر به ألبتة .

---

(١) الصلاة عنـد النصـارى ليس لها ترتيب وأفعال معينة بل مجـرد أدعية تقال سبع مرات في اليوم والليلة ، أولها صلاة البكور وآخرها صلاة منتصف الليل ، وألفاظها :
(أبانا الذي في السموات ، ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض . خبـزنا كفافنا أعطنا كل يوم ، واغفر لنا خطايانا ؛ لأننا نحن أيضاً نغفر لكل من يذنب إلينا ، ولا تدخلنا في تجربة ، ولكن نجنا من الشرير ؛ لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين) .
انظر : إنجيل متّى ، الإصحاح السادس . وكتاب " إيماننا الحي" للأب روبير كليمان اليسوعي ص ٢٧١.

(٢) ابتدع النصارى الصلاة إلى مطلع الشمس ، وقد نقل مؤرخو النصارى أن ذلك حدث بعد المسيح بنحو ثلاثمائة سنة .
انظر : إغاثة اللهفان ، ج ٢ : ٢٥٨ ، تحقيق محمّد حامد الفقي .

(٣) جاء في التوراة : « ملعون من تعلق بالصليب » . أما الإنجيل فلم يرد فيه ذكر للصليب .
وقد حدث تعظيمه عند النصارى بعد المسيح بنحو أربعمائة سنة في عهد الملك قسطنطين.

(٤) استهل المسيح - عليه السلام - حياته بالصوم ، فقد صام أربعين يوماً وأربعين ليلة في الصحراء . لذا شرعت الكنيسة فيما بعد الصوم الأربعين (صوم الميلاد) .
والصوم عند النصارى معناه : الامتناع عن الطعام من منتصف الليل حتى منتصف النهار ، ثم تناول من الطعام ما كان خالياً من الدسم .
أما عدد أيام الصوم عندهم فهي أنواع :
١ - صوم الميلاد ومدته (٤٣) يوماً تنتهي بعيد الميلاد .
٢ - الصوم المقدس ومدته (٥٥) يوماً بما فيها أيام صوم الميلاد ، وهذا الصوم ينتهي بأحد القيامة.
٣ - صوم الرسل - حسب الطوائف - ، وتتراوح مدته من (١٥ - ٤٩) يوماً ، يبدأ في يوم ٢٩ يونية من كل عام.
٤ - صوم العذراء ومدته (١٥) يوماً ، يبدأ من أول شهر أغسطس من كل عام .
هذا بالإضافة إلى صوم يوم الأربعاء والجمعة ، والأحد من كل أسبوع وهو عبارة عن قطاع ، ومعناه : الامتناع عن أكل اللحم وعن البياض كالبيض والزبدة واللبن ، فلا يأكل إلا ما كان مطهياً بالزيت النباتي.
انظر : ١ - إنجيل متّى : الإصحاح الرابع والسادس . ٢ - كتاب اللآلئ النفيسة في شرح طقوس الكنيسة، للقمص يوحنا سلامة، ج ٢:٣٧٢.
٣ - مقدمة كتاب إتحاف أهل الإسلام بخصوصيات الصيام ، لابن حجر الهيثمي . بقلم الأب جورج قنواتي ، ص ٣٥.
٤ - تفسير المنار ، للسيد رشيد رضا ، ج ٢ : ١٤٤ ، طبعة المنار .

بل هم وضعوه على العدد[1] ونقلوه إلى زمن الربيع . فجعلوا ما زادوا فيه من العدد عوضاً عن نقله من الشهور الهلالية [2] إلى الشهور الرومية[3] ، وتعبدوا بالنجاسات[4] .

وكان المسيح في غاية الطهارة والطيب والنظافة ، وأبعد الخلق عن النجاسة ، فقصدوا بذلك تغيير دين اليهود ومراغمتهم ؛ فغيّروا دين المسيح، وتقربوا إلى الفلاسفة عُبَّاد الأصنام بأن وافقوهم في بعض الأمر ؛ ليرضوهم به ، وليستنصروا بذلك على اليهود .

ولما أخذ دين المسيح في التغير والفساد اجتمعت النصارى عدة مجامع[5] تزيد على ثمانين مجمعاً. ثم تفرقوا [6] على الاختلاف والتلاعن يلعن بعضهم بعضا . حتى قال فيهم بعض العقلاء : لو اجتمع عشرة من النصارى يتكلمون في حقيقة ما هم عليه لتفرقوا عن أحد عشر مذهباً.

حتى جمعهم قسطنطين الملك آخر ذلك[7] من الجزائر والبلاد وسائر الأقطار.

---

(١) في كلام ابن القيم : (على هذا العدد) .

(٢) الشهور الهلالية : هي شهور السنة العربية .

(٣) الشهور الرومية : هي شهور السنة الميلادية .

(٤) تعبدوا بالنجاسات معناه : أن النصارى لا يتطهرون للعبادات ، فالصلاة لديهم لا يشترط لها التطهر، كما أنهم لا يغتسلون عن الجنابة ، فيدَّعون أن المقصود طهارة القلب لا طهارة البدن .

(٥) المجامع : عبارة عن هيئات شورية في الكنيسة المسيحية ، وهي نوعان :

١ - مجامع مسكونية : وهي المجامع العامة التي يحضرها في الغالب جميع ممثلي الكنائس في مختلف الأقطار.

٢ - مجامع مكانية : وهي المجامع المحلية أو الخاصة تعقدها طائفة معينة لغرض إقرار عقيدة أو رفضها.

(٦) في كلام ابن القيم : (ثم يتفرقون) .

(٧) سنة ٣٢٥ ميلادية في مدينة نيقية بآسيا الصغرى .

فجمع كل بترك وأسقف[1] وعالم ، فاختار[2] منهم ثلاثمائة وثمانية عشر. فقال: أنتم اليوم علماء النصرانية وأكابر النصارى؛ فاتفقوا على أمر تجتمع عليه كلمة النصرانية، ومن خالفه لعنتموه ، وحرمتموه.

فقاموا وقعدوا وفكروا وقدروا ، واتفقوا على وضع الأمانة التي بأيديهم اليوم[3] ، وذلك [4] سنة خمس عشرة من ملك قسطنطين [5] .

وكان سبب ذلك أن بطريق الإسكندرية [6] منع أريوس[7] من دخول الكنيسة ولعنه . فخرج أريوس إلى قسطنطين الملك مستعدياً عليه ومعه أسقفان ، فشكوه إليه ، وطلبوا منه مناظرته بين يدي الملك. فاستحضره الملك ، وقال لأريوس : اشرح مقالتك .

---

(١) « بترك وأسقف » رتب دينية عالية في الديانة النصرانية .

(٢) في كلام ابن القيم : (فكانوا ثلاثمائة وثمانية عشر) .

(٣) سيأتي نصها قريباً .

(٤) في كلام ابن القيم : (وكان ذلك في مدينة نيقية) .

(٥) لم يشر المؤلف -رحمه الله- إلى المجمع الأول، بل بدأ الحديث عن المجمع الثاني، مجمع نيقية الأول المنعقد سنة ٣٢٥م معتمداً على ما ذكره الإمام ابن القيم - رحمه الله - في كتابه إغاثة اللهفان، ج٢:٢٧١، واعتبره المجمع الثاني بدليل أنه قال بعد نهاية كلامه عنه: «ثم كان لهم مجمع ثالث». لكن ابن القيم قد أشار إلى المجمع الأول في مصنفه الآخر وهو كتاب "هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى" ، ص ٣١٨، تحقيق أحمد حجازي السقا . يقول فيه نقلاً عن مؤرخ النصارى سعيد بن البطريق : «وبعد موته - بولس الشمشاطي - اجتمع ثلاثة عشر أسقفاً في مدينة أنطاكية، ونظروا في مقالة بولس ، فأوجبوا عليه اللعن ، فلعنوه ، ولعنوا من يقول بقوله . وانصرفوا » .

(٦) في كتاب نظم الجواهر : اسمه (الكصندروس) .

(٧) أريوس : أكبر تلاميذ بطريرك الإسكندرية . ولد في القيروان في ليبيا سنة ٢٧٠ م ، وتعلم بالمدرسة اللاهوتية بالإسكندرية ، ثم رشحه البابا بطريرك الإسكندرية شماساً سنة ٣٠٧ م ، ثم قساً .

فقـال أريوس : أقر [١] أن الآب كان إذ لـم يكن الابن ، فكان [٢] له إلا أنه محدث مخلوق ، ثم فـوّض الأمر إلى ذلك الابن المسمى كلمة. فكان هو خالق السمـوات والأرض وما بينهما ، كمـا قال في إنجيله إذ يقـول: (وهب لي سلطاناً على السمـاء والأرض) فكان هو الخـالق لهما بما أعطي من ذلك . ثم إن تلك الكلمة بعد [٣] اتحدت [٤] من مريم العذراء ومن روح القـدس ؛ فصار ذلك مسـيحاً واحداً . فـالمسيح إذن معنيان : كلمة وجسد ، إلا أنهما جميعاً مخلوقان .

فقال بطريق الإسكندرية : خبِّرنا [٥] أيما أوجب علينا عندك : عبادة مَنْ خَلَقَنا أو عبادة من لم يخلقنا ؟.

فقال أريوس : بل عبادة من خلقنا .

فقال:[٦] فعـبادةُ الابن الذي خَلَقَنا وهو مخلوق أوجبُ من عـبادة الآب الذي هو ليس بمخلوق . بل تـصيـر عبـادة الآب الخـالق كفـراً ، وعبادة الابن إيماناً[٧].

فاسـتحـسن الملك والحاضـرون مقـالته . وأمـرهم الملك أن يلعنوا أريوس ومن[٨] يقول بمقالته .

---

(١) في كلام ابن القيم : (أقول : إن الآب) .

(٢) في كلام ابن القيم : (ثم أحدث الابن فكان كلمة له) .

(٣) في النسخة « ع » [بعد أن اتحدت] .

(٤) في كلام ابن القيم : (تجسدت) .

(٥) في كلام ابن القيم : (أخبرنا) .

(٦) في كلام ابن القيم زيادة: (فإن كان الابن خالقنا كما وصفت وكان الابن مخلوقاً). وهذه الزيادة وجدت في كـلام شيخ الإسلام ابن تيمـية في كتابه "الجواب الصـحيح لمن بدل دين المسيح" الذي نقل عنه ابن القيم هذا النص. ولعل المؤلف أسقط ذلك اختصاراً.

(٧) في كلام ابن القيم زيادة : (وذلك من أقبح الأقوال) .

(٨) في كلام ابن القيم زيادة : (وكل) .

مجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥ م

فلما انتصر البِطريق ، قال للملك : استحضر البطارقة والأساقفة حتى يكون لنا مجمع ، ونضع [١] قصة نشرح فيها الدين ، ونوضِّحه للناس . فحشرهم قسطنطين من سائر الآفاق ، فاجتمع عنده بعد سنة وشهرين ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً . وكانوا مختلفي الآراء متباينين في أديانهم .

فلما اجتمعوا كثر اللغط بينهم ، وارتفعت الأصوات ، وعظم الاختلاف، فتعجب الملك من شدة اختلافهم ، فأجرى عليهم الأنزال[٢]، وأمرهم أن يتناظروا حتى يعلم الدين الصحيح مع من منهم، فطالت المناظرة بينهم ، فاتفق منهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً على رأي واحد ؛ فناظروا بقية الأساقفة ، وظهروا عليهم .

فعقد الملك لهؤلاء الثلاثمائة[٣] مجلساً خاصاً ، وجلس في وسطه، وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه ، ودفعه إليهم ، وقال لهم : (قد سلَّطتكم على المملكة ؛ فاصنعوا ما بدا لكم مما فيه قوام دينكم ، وصلاح أمتكم).

فباركوا عليه ، وقلدوه سيفه ، وقالوا له : أَظْهِرْ دينَ النصرانية ، وذُدْ عنه. ودفعوا إليه الأمانة التي اتفقوا على وضِعها ، فلا يكون عندهم نصرانياً من لم يقر بها ، ولا يتم له قربان إلا بها .

(١) في النسخة « ع » [ونصنع] بدل [ونضع] ، وهو موافق لنص كلام ابن القيم .
(٢) الأنزال : من النزل ، وهو ما يهيأ للنزيل . ويؤيده قول سعيد بن البطريق : (ولما سمع قسطنطين الملك مقالتهم عجب من ذلك ، وأخلى لهم داراً ، وتقدم لهم بالإكرام والضيافة ، وأمرهم أن يتناظروا فيما بينهم).
(٣) في كلام ابن القيم : (ثلاثمائة وثمانية عشر مجلساً خاصاً) .

وهي هذه : (نؤمن بالله الواحد الآب ، خالق [1] كل شيء ، صانع ما يرى وما لا يرى ، وبالرب الواحد يسوع المسيح ابنه الأحد[2] بكر الخلائق[3] كلها ، الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها ، وليس بمصنوع، إله حق من إله حق من جوهر أبيه . وهو الذي بيده أُتقنت العوالم ، وخلق كل شيء ، الذي من أجلنا - معشر الناس - ، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء ، وتجسد من روح القدس ، وصار إنساناً ، وحمل به ، ثم وُلِدَ من مريم البتول ، وألم وشج [4] ، وقُتِلَ وصُلِبَ ودُفِنَ ، وقام في اليوم الثَالث ، وصعد إلى السماء ، وجلس عن يمين أبيه ، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء.

ونؤمن بروح القدس الواحد، روح الحق[5] الصادر من الآب والابن، الذي يتكلم على ألسنة الأنبياء، وبمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، وبكنيسة واحدة جامعة رسولية، وبقيامة أبداننا والحياة الدائمة إلى أبد الآبدين).

فهذا هو[6] العقد الذي أجمع عليه الملكية ، والنسطورية ، واليعقوبية، وهذه الأمانة هي الأمانة التي ألفها أولئك البتاركة والأساقفة والعلماء ، وجعلوها شعار النصرانية .

---

(١) في كلام ابن القيم : (مالك كل شيء) .
(٢) في النسخة « ع » [ابنه الوحيد] ، وفي نص كلام ابن القيم (ابن الله الواحد).
(٣) في النسخة « ع » سقطت جملة [بكر الخلائق] .
(٤) في النسخة « ع » سقطت كلمة [وشج] .
(٥) في هذا النص اضطراب ، وصحته كما ورد في كلام ابن القيم الذي نقل عنه المؤلف هكذا : (الذي يخرج من أبيه روح محبته وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة واحدة قديسية جاثليقية وبقيامة أبداننا والحياة الدائمة إلى أبد الآبدين). إغاثة اللهفان ، ج ٢ : ٢٧٢ .
(٦) في نص كلام ابن القيم : (فهذا العقد) بدون هو .

وكان رؤساء هذا المجمع [1] : بترك الإسكندرية ، وبترك أنطاكية ، وبترك بيت المقدس ، فافترقوا عليها ، وعلى لعن من خالفها ، والتبري منه ، وتكفيره .

ثم ذهب أريوس يدعو إلى مقالته ، وينفِّر النصارى عن أولئك الثلاثمائة[2] ، فجمع جمعاً عظيماً ، وصار إلى بيت المقدس ، وخالف بكثير من النصارى لأولئك المجمع ، فلما اجتمعوا قال أريوس : إن أولئك النفر تعدوا عليَّ ، وظلموني ، ولم ينصفوني في الحِجَاج [3] ، وحرموني ظلماً وعدواناً . فوافقه كثير من الذين معه ، وقالوا : صدق .

فوثبوا عليه ، فضربوه حتى كاد أن يقتل لولا أن ابن أخت [4] الملك خلصه . وافترقوا على هذه الحال [5] .

ثم كان لهم مجمع ثالث[6] بعد ثمان وخمسين سنة من المجمع الأول.

مجمع قسطنطينية الأول سنة ٣٨١هـ

اجتمع الوزراء والقواد إلى الملك ، وقالوا : إن مقالة الناس قد فسدت ، وغلب عليهم مقالة أريوس ، فاكتب إلى جميع البتاركة والأساقفة أن يجتمعوا ، ويوضحوا دين النصرانية ، فكتب الملك إلى

(١) هذا المجمع هو ما عرف لدى مؤرخي النصارى بمجمع نيقية المنعقد في شهر مايو سنة ٣٢٥ م بمدينة نيقية عاصمة بثينية بآسيا الصغرى في عهد الإمبراطور قسطنطين بن قسطس ، وقد انتهى هذا المجمع بوضع ميثاق الأمانة الذي أشار إليه المؤلف .

(٢) في نص كلام ابن القيم : (الثلاثمائة وثمانية عشر) .

(٣) الحجاج : جمع حجة ، وهي البرهان .

(٤) في " نظم الجوهر" لابن البطريق اسمه (دملطين) .

(٥) في النسخة « ع » سقطت الجملة التالية [فوثبوا عليه فضربوه حتى كاد أن يقتل لولا أن ابن أخت الملك خلصه وافترقوا على هذه الحال] .

(٦) وهذا هو مجمع القسطنطينية الأول الذي انعقد سنة ٣٨١ م ، وانتهى هذا المجمع إلى إكمال فكرة التثليث لدى النصارى .

سائر بلاده ، فاجتمع بقسطنطينية خمسمائة وخمسون[١] أسقفاً .

وكان مقدموهم[٢] بترك الإسكندرية وبترك أنطاكية وبترك بيت المقدس ، فنظروا في مقالة أريوس . وكان من مقالته : (أن روح القدس مخلوق ، مصنوع ، ليس بإله ، وليس روح الله[٣]).

فقال بترك الإسكندرية: ليس لروح القدس عندنا معنى غير روح الله ، وليس روح الله شيئاً غير حياته . فإن قلنا : إن روح القدس مخلوق، فقد قلنا : إن روح الله مخلوقة ، وإذا قلنا : إن روح الله مخلوقة ، فقد قلنا : إن حياته مخلوقة ، فقد جعلناه غير حي ، ومن جعله غير حي فقد كفر ، ومن كفر فقد وجب عليه اللعن .

فلعنوا بأجمعهم أريوس وأشياخه[٤]، وأتباعه ، والبتاركة الذين قالوا بمقالته ، وبيّنوا أن روح القدس خالق غير مخلوق ، إله حق من طبيعة الآب والابن ، جوهر واحد ، وطبيعة واحدة [٥] ، وزادوا في الأمانة التي وضعتها الثلاثمائة وثمانية عشر :

(ونؤمن بروح القدس الرب[٦] المحيي الصادر من الآب والابن الذي يمجد ويعبد مع الابن والآب)[٧].

---

(١) صحة العدد مائة وخمسون كما هو ثابت في نص كلام الإمام ابن القيم في كتابه "إغاثة اللهفان" ، ج٢ : ٢٧٤ الذي نقل عنه المؤلف . ويؤكد صحة هذا العدد ابن البطريق في كتابه "نظم الجوهر" .

(٢) في النسخة «ع» [وكان مقدميهم] . وفي نظم الجوهر (وكان المقدم في الجماعة).

(٣) جملة [وليس روح الله] زائدة عما ذكر ابن القيم الذي نقل عنه المؤلف .

(٤) في نص كلام ابن القيم : (أشياعه) . انظر كتاب إغاثة اللهفان ، ج ٢ : ٢٧٥ .

(٥) في النسخة « ع » سقطت عبارة [وطبيعة واحدة] .

(٦) في النسخة « ع » سقط لفظة [الرب] .

(٧) نص الزيادة عند ابن القيم هكذا : (نؤمن بروح القدس الرب المحيي المميت المنبثق من الأب الذي مع الابن والأب وهو مسجود وممجد) . انظر كتاب إغاثة اللهفان ، ج٢ : ٢٧٥. وهو الموافق لما ذكر في المصادر التي تتحدث عن مجامع النصارى ، ومن أقدمها كتاب "نظم الجوهر" لسعيد بن البطريق.

وكان في الأمانة الأولى : (بروح القدس) فقط .

وبيّنوا أن الآب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم ، وثلاثة وجوه ، وثلاثة خواص ، وحدة في تثليث ، وتثليث في وحدة .

وزادوا ونقصوا في الشريعة ، وأطلق بترك الإسكندرية للرهبان والأساقفة والبتاركة أكل اللحم .

وكانوا على مذهب (ماني)[1] لا يرون أكل ذوات الأرواح، فانفض هذا المجمع وقد لعنوا فيه أكثر أساقفتهم وبتاركتهم ، ومضوا على تلك الأمانة.

مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م

ثم كان لهم مجمع رابع[2]، بعد إحدى وخمسين سنة من هذا المجمع على نسطورس[3]، وكان مذهبه :

(أن مريم ليست بوالدة الإله على الحقيقة ، ولكنْ ثمة اثنان : الإله الذي هو موجود من الآب ، والآخر الإنسان الذي هو موجود من مريم ، وأن هذا الإنسان الذي نقول : إنه المسيح متوحد مع أب الإله [4]، وابن

---

(١) هو ماني بن فاتك ، ولد سنة ٢١٥ م، كان مجوسياً فتنصَّر، ثم ادعى أنه يوحى إليه، وأنه مكمِّل لشريعة المسيح ، وكان من تعاليم مذهبه تحريم أكل لحوم ذوات الأرواح ، وقد قتل سنة ٢٧٢م. (الملل والنحل للشهرستاني ، ج٢ : ٧٢) .

(٢) عرف هذا المجمع لدى مؤرخي النصارى وغيرهم بمجمع أفسس الأول، وقد انعقد بمدينة أفسس بآسيا الصغرى سنة ٤٣١م على التفصيل الذي ذكره المؤلف - رحمه الله -.

(٣) قول المؤلف - رحمه الله - : (ثم كان لهم مجمع رابع بعد إحدى وخمسين سنة من هذا المجمع على نسطورس) لم يظهر معنى آخر الجملة ، وقد رجعت إلى كلام ابن القيم الذي نقل عنه المؤلف، فوجدته قد نقل النص حرفياً .
لكن الذي يزيل هذا الغموض هو ما ذكره مؤرخ النصارى سعيد بن البطريق ، فيقول في كتابه "نظم الجوهر": «فمن المجمع الثاني المائة والخمسين أسقفاً الذين اجتمعوا في مدينة القسطنطينية ... إلى هذا المجمع المائتين أسقف الذين اجتمعوا في مدينة أفسس ، ولعنوا نسطورس إحدى وخمسون سنة». وبهذا يتضح المعنى. والله أعلم.

(٤) في كلام ابن القيم : (إنه المسيح بالمحبة متوحد مع ابن الإله) .

الإله ليس ابناً على الحقيقة ، ولكن على سبيل الموهبة ، والكرامة واتفاق الاسمين).

فبلغ ذلك بتاركة سائر البلاد ، فجرت بينهم مراسلات ، واتفقوا على تخطئته ، واجتمع منهم مائتا أسقف في مدينة "أفسس"[1] ، وأرسلوا إلى نسطورس للمناظرة ، فامتنع ثلاث مرات ، فأوجبوا عليه الكفر، ولعنوه ، ونفوه ، وحرموه ، وثبتوا : أن مريم ولدت إلها ، وأن المسيح إله حق ، وإنسان معروف بطبيعتين ، متوحد في الأقنوم .

فلما لعنوا نسطورس غضب له بترك أنطاكية ، فجمع أساقفته الذين قدموا معه ، وناظرهم، فقطعهم ؛ فتقاتلوا، ووقع الحرب والشر بينهم، وتفاقم أمرهم، فلم يزل الملك[2] حتى أصلح بينهم، فكتب أولئك صحيفة بـ (أن مريم القديسة ولدت إلهاً، هو ربنا يسوع المسيح الذي هو مع أبيه في الطبيعة ، ومع الناس في الناسوت[3]). وأنفذوا لعن نسطورس.

فلما نفي نسطورس سار إلى أرض مصر، وأقام بأخميم[4] سبع سنين، ومات بها، ودرست مقالته، إلى أن أحياها ابن صرما[5]- مطران نصيبين[6]-، وبثها في بلاد المشرق، فأكثر نصارى العراق والمشرق نسطورية[7].

---

(١) مدينة صغيرة بآسيا الصغرى .

(٢) تذوس الصغير ، ملك الروم .

(٣) الناسوت في اصطلاح النصارى: هو الجزء البشري من جسد عيسى - عليه السلام -.

(٤) في النسخة « ع » سقط لفظة (بأخميم) ، وهي مدينة تقع في صعيد مصر تابعة لمحافظة سوهاج .

(٥) في النسخة « ع » [أصرهما] وهو خطأ ، والصحيح (ابن صرما) .

(٦) نصيبين : مدينة عامرة على الطريق بين الموصل والشام ، وقد جعل الروم حولها سوراً منيعاً ، وفتحها المسلمون صلحاً عام سبعة عشر من الهجرة النبوية .

(٧) تقدم بيان مذهبهم .

وانفض ذلك المجمع - أيضاً - على لعن نسطورس ومن قال بقوله .

وكل مجامعهم كانت تجتمع على الضلال ، وتفترق على اللعن فلا ينفض المجمع إلا وهم بين لاعن وملعون .

ثم كان لهم مجمع خامس[١] .

مجمع أفسس الثاني سنة ٤٤٩م

وذلك أنه كان بقسطنطينية طبيب راهب يقال له : أوطيوس[٢]، يقول : (إن جسد المسيح ليس هو مع [٣] أجسادنا في الطبيعة ، وأن للمسيح قبل التجسد طبيعتين ، وبعد التجسد طبيعة واحدة) .

وهذه مقالة اليعقوبية[٤]. فرحل إليه أسقف دولته ، فناظره ، فقطعه ، ودحض[٥] حجته .

ثم صار إلى قسطنطينية [٦] ، فأخبر بتركها بالمناظرة ، وبانقطاعه ، فأرسل بترك الإسكندرية إليه ، فاستحضره ، وجمع جمعاً عظيماً ، وسأله عن قوله ، فقال :

إن قلنا : إن المسيح طبيعتان فقد قلنا بقول نسطورس ، ولكنا نقول : إن المسيح طبيعة واحدة ، وأقنوم[٧] واحد ؛ لأنه[٨] من طبيعتين كانتا[٩] قبل التجسد ، فلما تجسد زالت الاثنينية، وصار طبيعة واحدة، وأقنوماً واحداً.

---

(١) وقد عرف هذا المجمع بمجمع أفسس الثاني الذي انعقد سنة ٤٤٩م بأمر من الإمبراطور ثأر دوسيوس، وكان عدد الحاضرين فيه مائة وخمسين أسقفاً ، فانتهى بما ذكره المؤلف.

(٢) في كتاب نظم الجوهر ، لابن البطريق اسمه (افتيشيوس) .

(٣) في النسخة « ع » [ليس هو من أجسادنا] .

(٤) تقدم التعريف بهذه الفرقة .

(٥) في النسخة « ع » [وأدحض حجته] .

(٦) تقدم التعريف بها .

(٧) الأقنوم : كلمة سريانية ، تطلق على كل ما يتميز عن سواه . والأقانيم : الأصول واحدها أقنوم، ومعنى هذه الكلمة في العقيدة المسيحية: ذات الله.

(٨) في النسخة « ع » [إلا أنه من طبيعتين] .

(٩) في النسخة « ع » [صارتا] .

فقال له بترك القسطنطينية : إن كان المسيح طبيعة واحدة فالطبيعة القديمة هي الطبيعة المحدثة ، وإن [1] كان القديم هو المحدث ، فالذي لم يزل هو الذي لم يكن ، ولو جاز أن يكون القديم هو المحدث ، لكان القائم هو القاعد ، والحار هو البارد .

فأبى أن يرجع عن مقالته فلعنوه ، فاستعدى إلى [2] الملك ، وزعم أنهم ظلموه ، وسأله أن يكتب إلى جميع البتاركة للمناظرة ، فاستحضر الملك البتاركة والأساقفة من سائر البلاد إلى مدينة "أفسس"، فثبّتَ بطريق الإسكندرية مقالة أوطيوس ، وقطع بتاركة [3] الإسكندرية ، وأنطاكية ، وبيت المقدس ، وسائر البتاركة والأساقفة .

وكتب إلى بترك رومية ، وإلى جميع البتاركة والأساقفة ، فحرمهم ومنعهم من القربان إن لم يقبلوا مقالة أوطيسوس ، ففسدت الأمانة ، وصارت المقالة مقالة أوطيسوس ، وخاصة في مصر والإسكندرية ، وهو مذهب اليعقوبية [4] .

فافترق هذا المجمع [5] الخامس وهو بين [6] لاعن وملعون ، وضال ومضل ، وقائل يقول : الصواب مع اللاعنين ، وقائل يقول : الحق مع الملعونين .

---

(١) في النسخة « ع » [وكان القديم هو المحدث] بدون (إن).

(٢) في كلام ابن القيم : (فاستعدى عليهم الملك) .

(٣) في النسخة « ع » [بتارك] والمعنى واحد .

(٤) تقدم التعريف بهذه الفرقة .

(٥) في النسخة « ع » [هذا المجلس] .

(٦) في النسخة « ع » [وهم لاعن وملعون] بدون (بين) .

مجمع خلقدونية سنة ٤٥١م

ثم كان لهم بعد ذلك مجمع سادس[(١)]، في دولة مرقيون[(٢)]، فإنه اجتمع إليه الأساقفة من سائر البلاد، فأعلموه ما كان من ظلم ذلك المجمع [(٣)]، وقلة الإنصاف، وأن مقالة أوطيسوس قد غلبت على الناس، وأفسدت دين النصرانية، فأمر الملك باستحضار سائر البطارقة والأساقفة إلى حضرته، فاجتمع عنده ستمائة وثلاثون أسقفاً[(٤)]، فنظروا في مقالة أوطيسوس وبترك الإسكندرية، التي قطعا بها[(٥)] جميع البتاركة، فأفسدوا مقالتيهما[(٦)]، ولعنوهما، وأثبتوا (أن المسيح إله وإنسان، فهو مع الله في اللاهوت[(٧)]، ومعنا في الناسوت[(٨)]، له طبيعتان تامتان، فهو تام باللاهوت، تام بالناسوت، وهو [(٩)] مسيح واحد).

وثبّتوا أقوال الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً[(١٠)]، وقبلوا قولهم بـ (أن الابن مع الله في المكان[(١١)]، وأنه إله حق من إله حق). ولعنوا أريوس، وقالوا: (إن روح القدس إله)، وقالوا: (إن الآب، والابن، وروح

---

(١) عرف هذا المجمع لدى مؤرخي النصارى بمجمع خلقدونية الذي عقد في شهر اكتوبر من عام ٤٥١م بمدينة القسطنطينية، ثم انتقلت جلساته إلى مدينة خلقدونية التي سمي باسمها، وقد انتهى هذا المجمع بما فصله المؤلف - رحمه الله -.

(٢) في كتاب نظم الجوهر اسم هذا الملك (مرقيان)، وكانت مدة ولايته على الروم ست سنين.

(٣) مجمع أفسس الثاني المنعقد سنة ٤٤٩م.

(٤) هكذا تحديد عدد الحاضرين في هذا المجمع عند المؤلف ابن معمر، وابن القيم، وسعيد بن البطريق. إلا أن من كتب عن النصرانية من المتأخرين يحدد عدد الحاضرين في هذا المجمع بخمسمائة وعشرين أسقفاً. والله أعلم.

(٥) في النسخة «ع» [الذي قطع جميع البتاركة].

(٦) في النسخة «ع» [مقالتهما].

(٧) اللاهوت في اصطلاح النصارى: هو الجزء الإلهي من جسد عيسى - عليه السلام -.

(٨) تقدم قريباً بيان معناه.

(٩) في النسخة «ع» [ومسيح واحد] بدون (هو).

(١٠) الذين اجتمعوا في نيقية سنة ٣٢٥م ووضعوا ميثاق الأمانة في عهد الإمبراطور قسطنطين ابن قسطس.

(١١) في النسخة «ع» [بأن الابن مع الله وأنه إله حق] بدون (في المكان).

القدس واحد بطبيعة واحدة ، وأقانيم ثلاثة) . وثبتوا أقوال [1] أهل المجمع الثالث [2] .

وقالوا: (إن مريم العذراء ولدت إلهاً ربنا يسوع المسيح الذي هو مع الله في الطبيعة ، ومعنا في الناسوت) . وقالوا : (إن المسيح طبيعتان وأقنوم واحد) .

ولعنوا نسطورس وبترك الإسكندرية ، فانفض هذا المجمع بين لاعن وملعون .

مجمع قسطنطينية

ثم كان لهم بعد هذا مجمع سابع[3] في أيام أنسطاس[4] الملك . ذلك أن سورس القسطنطيني[5] جاء إلى الملك فقال : إن أصحاب ذلك المجمع الستمائة والثلاثين[6] أخطؤوا . والصواب ما قاله أوطيسوس وبترك الإسكندرية ، فلا تقبل ممن سواهما [7] ، واكتب إلى جميع بلادك أن يلعنوا الستمائة والثلاثين [8] ، وأن يأخذوا الناس بطبيعة واحدة ومشيئة واحدة [9] وأقنوم واحد .

---

(١) في النسخة « ع » [قول] .

(٢) مجمع قسطنطينية الأول المنعقد سنة ٣٨١م .

(٣) ما ذكره المؤلف - رحمه الله - عن هذا المجمع نقله نصاً من كلام ابن القيم في كتابيه «إغاثة اللهفان» و «هداية الحيارى» ، وقد أشار إليه إيضاً سعيد بن البطريق في كتابه «نظم الجوهر». والظاهر من النصوص التأريخية أن هذا المجمع عقد في مدينة القسطنطينية ، ولم أتمكن من معرفة تأريخ انعقاده ولا عدد الحاضرين فيه .

(٤) يقول ابن البطريق : « وملك أنسطاس الروم سبعاً وعشرين سنة ، وكان مخالفاً لمقالة الملكية ، وكان يعقوبياً من مدينة حماة » .

(٥) في النسخة « ع » [سورس بترك القسطنطينية] .

(٦) مجمع خلقدونية المنعقد سنة ٤٥١م .

(٧) في النسخة « ع » [ممن سواه] .

(٨) في النسخة « ع » [الستمائة وثلاثين] بدون الألف واللام في ثلاثين .

(٩) في النسخة « ع » [بطبيعة واحدة وأقنوم واحد] فأسقط جملة (ومشيئة واحدة).

فأجاب الملك إلى ذلك .

فلما بلغ ذلك بترك بيت المقدس جمع الرهبان ، فلعنوا أنسطاس[1] الملك ، وسورس ، ومن يقول بمقالتهما .

فبلغ ذلك الملك ؛ فغضب ، وبعث ، فنفى البترك إلى أيلة [2]، وبعث يوحنا بتركاً على بيت المقدس ؛ لأنه كان قد ضمن للملك أن يلعن الستمائة والثلاثين[3] .

فلما قدم إلى بيت المقدس اجتمع الرهبان ، وقالوا : إياك أن تقبل من سورس ، ولكن أقبل من الستمائة والثلاثين [4] ، ونحن معك . ففعل وخالف الملك ، فلما بلغه أرسل قائداً ، وأمره أن يأخذ يوحنا بلعنة أولئك . فإن لم يفعل أنزله عن الكرسي [5] ، ونفاه .

فقدم القائد ، وطرح يوحنا في الحبس ، فصار إليه الرهبان في الحبس، وأشاروا عليه بأن يضمن للقائد أن يفعل ذلك ، فإذا حضر فليقر بلعنة كل من لعنه الرهبان .

فاجتمع الرهبان فكانوا عشرة آلاف راهب ، فلعنوا أوطيسوس ، ونسطورس وسورس ومن لا يقبل من أولئك الستمائة والثلاثين [6] ، ففزع رسول الملك من الرهبان .

وبلغ ذلك الملك فهَمَّ بنفي يوحنا ، فاجتمع الرهبان والأساقفة ، فكتبوا إلى الملك أنهم لا يقبلون مقالة سورس ولو أريقت دماؤهم ، وسألوه أن يكف أذاه عنهم .

---

(١) في النسخة « ع » [فلعنوا نسطاس] بدون ألف .

(٢) أيلة: اسم ميناء في الزاوية الشمالية الشرقية من خليج العقبة وتسمى باللغة العبرية (إيلات).

(٣) في النسخة « ع » [الستمائة وثلاثين] بدون الألف واللام في ثلاثين .

(٤) في النسخة « ع » جاءت الجملة هكذا [أقبل الستمائة وثلاثين] .

(٥) منصب رئاسة كنيسة بيت المقدس .

(٦) في النسخة « ع » [الستمائة وثلاثين] .

وكتب بترك رومية [١] بقبح فعله وبلعنه ، فانفض هذا المجمع على اللعنة أيضاً .

وكان لسورس تلميذ يقال له يعقوب البراذعي [٢] ؛ لأنه كان يلبس من قطع براذع الدواب ، ويرقع [٣] بعضها ببعض ، وإليه تنسب اليعاقبة [٤]. فأفسد أمانة القوم .

ثم هلك أنسطاس [٥]، فولي بعده قسطنطين [٦]، فرد كل من نفاه أنسطاس [٧] إلى موضعه، وكتب إلى بيت المقدس بأمانته، فاجتمع الرهبان، وأظهروا كتابه، وفرحوا به، وأثبتوا قول الستمائة وثلاثين [٨] أسقفاً، وغلبت اليعقوبية على الإسكندرية، وقتلوا بتركاً لهم - يقال له: بولس -، وكان ملكانياً [٩]، فولي الملك أسطيانوس، فأرسل قائداً، ومعه عسكر عظيم إلى الإسكندرية، فدخل الكنيسة في ثياب البترك، وتقدم ، وقدس ، فرموه بالحجارة حتى كادوا يقتلونه، فانصرف وتوارى عنهم، ثم ظهر لهم بعد ثلاثة أيام، وأظهر لهم أنه أتاه كتاب الملك، وأمر الحراس [١٠] أن يجمعوا الناس لسماعه ، فلم يبق أحد بالإسكندرية إلا حضر لسماعه.

---

(١) في نظم الجوهر اسمه : (ماحوس) .
(٢) المتوفى سنة ٥٧٨م .
(٣) في النسخة « ع » [يرقع بعضها ببعض] بدون واو .
(٤) هم اليعقوبية ، وقد تقدم التعريف بهذه الفرقة .
(٥) في النسخة « ع » [نسطاس] بدون ألف .
(٦) في النسخة « ع » [فولي بعده ملك آخر] .
(٧) في النسخة « ع » [نسطاس] بدون ألف .
(٨) الذين اجتمعوا في خليقدونية سنة ٤٥١م .
(٩) أي على مذهب الملكانية ، وقد سبق التعريف بهذه الفرقة .
(١٠) في النسخة « ع » [الحراس] .

وكان قد جعل بينه وبين جنده علامة إذا هو فعلها وضعوا السيوف في الناس ، فصعد المنبر، وقال: يا أهل الإسكندرية، إن رجعتم إلى الحق ، وتركتم مقالة اليعاقبة ، وإلا لم تأمنوا أن يوجه الملك إليكم من يسفك دماءكم .

فرموه بالحجارة حتى خاف على نفسه ؛ فأظهر العلامة ، فوضعوا السيوف على من بالكنيسة ؛ فقتل خلق لا يحصيهم إلا الله ، حتى خاض الجند في الدماء ، وظهرت مقالة الملكانية بالإسكندرية .

مجمع القسطنطينية سنة ٥٥٣م

ثم كان لهم بعد ذلك مجمع ثامن [١] .

وذلك أن أسقف منبج [٢] كان يقول بالتناسخ [٣] وأنه ليس ثم قيامة، ولا بعث ، وكان أسقف الرهاء [٤] وأسقف المصيصة [٥] وأسقف ثالث [٦] يقولون : إن جسد المسيح خيال غير حقيقة .

فحشرهم الملك إلى قسطنطينية ، فقال لهم بتركها : إن كان[٧] جسده خيالاً فيجب أن يكون فعله خيالاً وقوله خيالاً ، وكل جسد نعاينه لأحد من الناس أو فعل أو قول فهو كذلك .

---

(١) هذا المجمع هو ما عرف لدى مؤرخي النصارى بمجمع قسطنطينية المنعقد سنة ٥٥٣م ، وقد انتهى هذا المجمع بما ذكره المؤلف .

(٢) منبج : قرية بالشام شرقي مدينة حلب . وذكر ابن القيم أنها مخسوفة .

(٣) أي : تناسخ الأرواح ، وهو - عند من يقول به - انتقال الروح من جسد إلى جسد آخر بعد فناء الجسد الأول.

(٤) الرهاء : مدينة كبيرة ومهمة في ديار بكر ، كانت قبل العصر المسيحي مركزاً لعبادة الكواكب ، وقد ازدهرت هذه المدينة في العصر المسيحي حتى قيل: إنه كان في الرهاء ما يزيد على ثلاثمائة كنيسة ، وقد استولت الدولة التركية على هذه المدينة في عهد السلطان مراد الرابع وسموها (أورفه).

(٥) المصيصة - بالتخفيف -: مدينة على شاطئ جيحان ، ثغر من ثغور بلاد الشام بين أنطاكية وبلاد الروم.

(٦) ذكر سعيد بن البطريق أنه أسقف أنقرة .

(٧) في النسخة « ع » [فإن كان] .

وقال له : إن المسيح قد قام من الأموات ، وعلمنا أنه كذلك يقوم الناس يـوم الدين. واحتـج بنصوص من الإنجيل كقوله: (إن كل من [1] في القبور إذا [2] سمعوا الله سبحانه يحيون) [3] .

فـأوجب عليـه اللعن، وأمـر الملك أن يـكون لهم مـجـمع يلعنون فـيـه، واستحـضر بتاركة البلاد، فـاجتمع عنده مائة وأربعـة وستون[4] أسقفاً، فلعنوا أسقف منبج، وأسـقف المصيـصة ، وأثبتـوا على (أن جسد المسـيح حقيـقة لا خيال، وأنه إله تام وإنسان تام، معروف بطبيـعتين ومشيئتين وفعلين، أقنوم واحد، وأن الدنيا زائلة، وأن القيامة كائنة، وأن المسـيح يأتي بمجد عظيم، فيدين الأحياء والأموات). كما قال الثلاثمائة وثمانية عشر الأوائل[5]، فتفرقوا على ذلك.

مـجـمع القسطنطينية سنـة ٦٥٣م

ثم كـان لهم مـجمع تاسع[6] على عـهـد معـاوية[7] بن أبي سـفيـان[8] تلاعنـوا فيه.

---

(١) في النسخة « ع » [إن كل شيء في القبور] .
(٢) في النسخة « ع » [فإذا] .
(٣) في إنجيل يوحنا الإصحاح الخامس ، النص رقم (٢٨) .
(٤) هكذا حـدد المؤلف - رحـمه الله - عـدد الحـاضرين في هذا المجـمع . وهو كـذلك عند ابن القيم، لكن من كتب عن النصارى ومجامعهم مؤخراً ذكر أن عدد الحاضرين في هذا المجمع مائة وأربعون أسقفاً.
(٥) في مجمع خليقدونية المنعقد سنة ٤٥١ م .
(٦) وقد عـرف هذا المجمع بمجمع قـسطنطينية . أمـا تاريخ انعقاده فـقد حدد بعـام ٦٥٣ م ، وقد انتهى هذا المجمع بما ذكر المؤلف .
انظر كتاب التأريخ المجموع ، لسعيد بن البطريق ، ج ٢ : ٣٧ ، طبعة بيروت .
(٧) هو أمير المؤمنين معـاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عـبد شمس القرشي. ولد سنة ٢٠ قبل الهـجرة ، وأسلم عام فـتح مكة سنة ٨ من الهجـرة . واستقل بخـلافة المسلمين كافة سنة ٤١ من الهجـرة، واستمر بها حتى توفي سنة ستين من الهجـرة، وله من العمر ثمان وسبعون سنة - رضي الله عنه -. (البداية والنهاية ، ج ٨ : ١٧).
(٨) هو أبو سفيان صخـر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأمـوي، ولد قبل الفيل بعشر سنين ، وأسلم سنة ٨ من الهجرة ، واستـعمله النبـي - صلى الله عليه وسلم - على نجران ، وبعد وفاة النبي - صلـى الله عليه وسلم - عاد إلى المدينة ، فمـات بها سنة ٣١هـ. (الإصابة لابن حجر، ج ١٧٨:٢).

وذلك أنه كان برومية راهب له تلميذان ، فجاء إلى قسطا الوالي، فوبخه على قبح مذهبه وشناعة كفره، فأمر به قسطا؛ فقُطعت يداه ورجلاه، ونُزِع لسانه، وفُعل بأحد التلميذين كذلك، وضرب الآخر بالسياط ، ونفاه.

فبلغ ذلك ملك قسطنطينية[1]، فأرسل إليه أن يوجه إليه من أفاضل الأساقفة ؛ ليعلم وجه هذه الشبهة ، وما كان ابتداؤها ، ويعلم من يستحق اللعن .

فبعث إليه مائة وأربعين أسقفاً وثلاثمائة شماساً [2] ، فلما وصلوا إليه جمع الملك مائة وثمانية وخمسين أسقفاً ، فصاروا مائتين وثمانية وتسعين [3] ، وأسقطوا الشماسة .

وكان رئيس هذا المجمع بترك قسطنطينية وبترك أنطاكية[4]. فلعنوا من تقدم من القسيسين[5] والبتاركة واحداً واحداً[6] ، وجلسوا ، فلخصوا الأمانة ، وزادوا فيها ونقصوا .

فقالوا : (نؤمن أن الواحد من الناسوت [7] الابن الوحيد الذي هو الكلمة الأزلية ، الدائم ، المستوي مع الآب ، الإله في الجوهر، الذي هو ربنا يسوع المسيح بطبيعتين تامتين، وفعلين، ومشيئتين ، في أقنوم واحد، ووجه واحد ، تاماً بلاهوته ، تاماً بناسوته ، وشهدت بأن الإله الابن في

---

(١) هو الملك قسطنطين بن قسطنطين تولى الملك سنة ٣١هـ/ ٦٥١ م ، ومدة ملكه تسع عشرة سنة وخمسة أشهر .

(٢) الشماس: من رؤساء دين النصارى، وهو الذي يحلق شعر وسط رأسه، ويلزم البيعة.

(٣) هكذا حدد المؤلف عدد الحاضرين في هذا المجمع نقلاً عن ابن القيم ، لكن من كتب عن النصارى مؤخراً حدد عددهم بمائتين وتسعة وثمانين أسقفاً .

(٤) أنطاكية : مدينة كبيرة من بلاد الشام بالقرب من حلب شمالي سورية ، كان لها شأن في العصور الماضية فقد كانت قصبة الشام ، وحاضرة الإمبراطورية الرومانية . وهي الآن داخل حدود دولة تركيا.

(٥) القسيسون: جمع قس أو قسيس، وهو رئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم.

(٦) في النسخة « ع » [من القسيسين والبتاركة وجلسوا] ، فأسقط [واحداً واحداً] .

(٧) الناسوت سبق ذكر معناه لدى النصارى .

آخر الأيام اتخذ من العـذراء السيدة مريم القديسة جـسداً إنساناً بنفس[1] [ناطقة عقليـة وذلك برحمة الله - تعالى - مـحب البشر][2]. ولم يلحقه اختلاط ولا فسـاد [ولا فرقة ولا فصل][3]، ولكن هو واحد يعمل بما يشبه الإنسان أن يعـمله في طبيعتـه ، [وما يشبـه الإله أن يعمله في طبيعـته][4] الذي هو الابن الوحـيد والكلمـة الأزلية المتـجسدة ، التـي صارت في الحقيـقة لحماً كـما يقول الإنجيل المقـدس من غير أن ينتقل مـن مجده[5] الأزلي ، وليست بمتغيرة ، ولكنها بفعلين ومشيئتين وطبيعتين[6] : إلهي وإنسي، الذي بهمـا يكمل قول الحق، وكل واحـدة من الطبيعـتين تعمل مع شركة صاحبها مشيئـتين غير متضادتين ولا متصارعتين ، ولكن مع المشيئة الإنسية المشيئة الإلهية القادرة على كل شيء) .

هذه أمانة هذا المجمع، فوضـعوها ، ولعنوا من لعنوه. وبين المجمع الخامس الذي اجتمع فيه الستمائة والثلاثون وبين هذا المجمع مائة سنة[7].

(١) في النسخة « ع »[بنفسين] .
(٢) ما بين القوسين ساقط من النسخة « ع » .
(٣) ما بين القوسين ساقط من النسخة « ع » .
(٤) ما بين القوسين ساقط من النسخة « ع » .
(٥) في النسخة « ع »[من محل] .
(٦) سقطت هذه الكلمة من النسخة « ع » .
(٧) قول المؤلف - رحمه الله - : « وبين المجمع الخامس الذي اجتمع فيه الستمائة والثلاثون وبين هذا المجمع مائة سنة » فيه نظر :

فإن عـدد المجتـمعين في المجـمع الخامس (مجـمع قسطنطـينية سنة ٥٥٣ م) مـائة وأربعة وستون أسقفاً. هكذا حدده ابن البطريق .

وهذا هو الذي تؤيده النصوص ، والمؤلف - عفا الله عنه - نقل العبارة السابقة حرفياً من كلام ابن القيم في كـتابه "إغاثة اللهفان" ، ج ٢ : ٢٨٠. وابن القـيم - رحمه الله - ينقل عن ابن البطريق ، لـكن نص كـلام ابن البطريق هكذا : « فـمن المجـمع الخـامس المائة والأربعـة والستين أسـقفاً الذين اجتـمعوا في القـسطنطينية في زمن يوسـتينيانوس ملك الروم إلى هذا المجمع السـادس المائتين والتسعـة والثمانين أسقـفاً الذي اجتـمعوا في القسـطنطينية في زمن قسطنطين ملك الروم مائة سنة» انتهى. وهذا تحديد معقول، ولعله الصواب. والله أعلم.

(انظر تاريخ ابن البطريق ، ج ٢ : ٣٧ ، طبعة بيروت ١٩٠٥ م) .

مجمع القسطنطينية سنة ٦٨٠م

ثم كان لهم بعد ذلك مجمع عاشر[١] .

وذلك لما مات الملك[٢]، وولي ابنه[٣] بعده ، اجتمع[٤] أهل المجمع السادس[٥] ، وزعموا أن اجتماعهم كان على الباطل ، فجمع الملك مائة وثلاثين أسقفاً ، فثبتوا قول أهل المجامع الخمسة ، ولعنوا من لعنهم وخالفهم ، وانصرفوا بين لاعن وملعون .

فهذه عشرة مجامع كبار من مجامعهم مشهورة اشتملت على أكثر من أربعة عشر ألفاً من البتاركة والأساقفة والرهبان كلهم ما بين لاعن وملعون[٦] .

---

(١) عقد هذا المجمع في قسطنطينية في عهد الملك يوستينيانوس بن قسطنطين ملك الروم ، وقد انتهى بما ذكره المؤلف .

(٢) هو قسطنطين بن قسطنطين ، تقدم التعريف به .

(٣) هو الملك يوستينيانوس بن قسطنطين بن قسطنطين ، تولى الملك على الروم بعد أبيه سنة ٤٩هـ/ ٦٦٩م ، وكانت مدة ملكه اثنتي عشرة سنة .

(٤) في النسخة « س » [فاجتمع] .

(٥) مجمع قسطنطينية الذي عقد في سنة ٦٥٣ م .

(٦) وقد تلا هذه المجامع عشرة مجامع أخرى ، آخرها مجمع روما المنعقد سنة ١٨٦٩م ، أثبت الحاضرون فيه العصمة للبابا .

وبهذا يتضح للقارئ أن هذه المجامع قديماً وحديثاً كان سبب انعقادها هو اختلاف النصارى في أمور دينهم على مر التاريخ ، ومع هذا لم تستطع هذه المجامع حل هذا الخلاف والافتراق؛ لأن كل مجمع قد بنى مناقشاته وقراراته على أفكار الأعضاء الذين حضروه . ولم يرجع في حل هذا الخلاف إلى المصدر الأصلي للديانة النصرانية ، الإنجيل المنزل من الله - سبحانه وتعالى - على عبده ورسوله عيسى ابن مريم - عليه السلام - ، وهكذا بقي الخلاف بين النصارى قائماً إلى وقتنا الحاضر ، ولا يعرف متى نهايته .

وانظر تفاصيل الكلام عن هذه المجامع وما دار فيها من مناقشات في المصادر التالية :

١ - كتاب نظم الجوهر (التأريخ المجموع) ، لسعيد بن البطريق .
٢ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لشيخ الإسلام ابن تيمية .
٣ - إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، للعلامة ابن القيم .
٤ - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، لابن القيم .
٥ - الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، للإمام القرطبي .
٦ - النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، لنصر بن يحيى المتطبب .
٧ - محاضرات في النصرانية ، للشيخ محمّد أبو زهرة .
٨ - أضواء على المسيحية ، للأستاذ متولي يوسف شلبي .

حال النصارى بعد المجامع

فهذه حال المتقدمين مع قرب زمانهم من أيام المسيح ووجود أخباره فيهم ، والدولة دولتهم ، والكلمة كلمتهم ، وعلماؤهم إذ ذاك أوفر ما كانوا، واهتمامهم بأمر دينهم واحتفالهم به كما ترى .

وهم حيارى تائهون ضالون مضلون ، لا يثبت لهم قدم ، ولا يستقر لهم قول في إلههم ، بل كل منهم قد اتخذ إلهه هواه ، وصرح بالكفر والتبري ممن اتبع سواه ، قد تفرقت بهم في نبيهم وإلههم الأقاويل ، وهم كما قال الله تعالى : ﴿ .... قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[1] .

فلو سألت أهل البيت عن دينهم ومعتقدهم في ربهم ونبيهم لأجابك الرجل بجواب وامرأته بجواب وابنه بجواب والخادم بجواب، فما ظنك بمن في عصرنا هذا ؟ وهم نخالة[2] الماضين ، وزبالة[3] الغابرين ، وثفالة[4] المتحيرين ، وقد طال عليهم الأمد ، وبعد عهدهم بالمسيح ودينه .

وهؤلاء هم الذين أوجبوا لأعداء الرسل من الفلاسفة والملاحدة أن يتمسكوا بما هم عليه ، فإنهم شرحوا لهم دينهم الذي جاء به المسيح على هذا الوجه . ولا ريب أن هذا دين لا يقبله عاقل .

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٧٧ .

(٢) النخالة : ما بقي في المنخل مما ينخل ، والمعنى أنه حقير لا قيمة له .

(٣) الزبالة - بالكسر - : الكناسة أو القمامة أو أي شيء قذر .

(٤) ثفالة : من الثفل ، وهو ما سفل من كل شيء .

فتواصى أولئك بينهم أن يتمسكوا بما هم عليه ، وساءت ظنونهم بالكتب والرسل ، ورأوا أن ما هم عليه من آراء أقرب إلى العقول من هذا الدين .

وقال لهم هؤلاء الحيارى الضُّلاّل : إن هذا هو الحق الذي جاء به المسيح فتركب من هذين الظنين الفاسدين إساءة الظن بالرسل ، وإحسان الظن بما هم عليه [1].

تقييم النصارى بعد المجامع

قلت : وهذا القدر قد اعترف به النصراني في هذا الفصل الذي نتكلم عليه ، حيث ذكر ما وقع من الاختلاف بين الأساقفة ، وأن ذلك صار سبب وقوع عامة الناس في الحيرة حتى لا يدرون ما يختارون لأنفسهم ، وينفرون عن الكتب المقدسة كأنها سم زعاف .

ومعلوم أنه لا يمكن أن يدعي أن النصارى صلحوا بعد أولئك الذين وصفهم من أسلافهم الضُّلاّل التائهين ، بل دينهم الذي هم عليه الآن هو دين أولئك الحيارى ، بل[2] إنهم زادوا عليهم بالضلال الكثير، واتّبعوا أهواءهم ، وجادلوا في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. فقد سجلوا على أنفسهم بمخالفة كتب الله ، واعترفوا بذنبهم ، فسحقاً لأصحاب السعير .

والمقصود أنهم كما خالفوا في دينهم منهج الرسل ، فقد عاندوا - أيضاً - صريح العقل .

(١) إلى هنا انتهى نص كلام ابن القيم عن المجامع الذي أشار إليه المؤلف - رحمه الله -.
(٢) في النسخة « ع » [بلى إنهم] .

قال ابن القيم [1] :

ولهذا قال بعض ملوك الهند وقد ذُكرت له الملل الثلاث ، فقال : أما النصارى فإن كان محاربوهم من أهل الملل يحاربونهم بحكم شرعي ، فإني أرى ذلك بحكم عقلي ، وإن كنا لا نرى بحكم عقولنا قتالاً . ولكن أستثني هؤلاء القوم من بين جميع العوالم ؛ لأنهم قصدوا مضادة العقل، وناصبوه العداوة ، وحلوا ببيت الاستحالات [2]، وحادوا عن المسلك الذي انتهجه غيرهم من أهل الشرائع ، فشذوا عن جميع مناهج العالم الصالحة العقلية والشرعية ، واعتقدوا كل مستحيل ممكناً، وبنوا على ذلك شريعة لا تؤدي البتة إلى صلاح نوع من أنواع العالم . إلا أنها تصير العاقل [3] إذا تشرع بها أخرقاً ، والرشيد سفيهاً، والمحسن مسيئاً ؛ لأن من كان أصل عقيدته التي نشأ عليها الإساءة إلى الخالق والنيل منه ، ووصفه بضد صفاته الحسنى ، فأخلق به أن يستسهل الإساءة إلى المخلوق ، مع ما بلغنا عنهم من الجهل وضعف العقل وقلة الحياء وخساسة المهمة .

هذا وقد [4] ظهر له من باطلهم وضلالهم غيض من فيض [5] ، وكانوا إذ ذاك أقرب عهداً بالنبوة .

---

(١) في كتابه إغاثة اللهفان ، ج ٢ : ١٨١ ، ٢٨٢ ، تحقيق محمّد حامد الفقي .

(٢) سقط من النسخة « ع » جملة [وحلوا ببيت الاستحالات] .

(٣) في النسخة « ع » [تصير العالم] .

(٤) في النسخة « ع » [فهذا وإنما ظهر له] .

(٥) غيض من فيض : معناه قليل من كثير .

قال[1] أفلاطون رئيس سدنـة الهياكل[2] بمصر ، وليس بأفلاطون[3] تلميذ سقراط[4] ؛ ذاك أقدم من هذا :

لما ظهـر محـمّد بتـهامـة ، ورأينا أمره يعلو على الأمم المجـاورة له ، رأينا أن نقـصـد أسقطر البـابلي ؛ لنعلـم ما عنده ، ونأخـذ برأيه فلمـا اجتـمعنا على الخروج من مصـر ، رأينا أن نصير إلى أقـراطيس معلمنا وحكيمنا ؛ لنودعه . فلما دخلنا عليه ، ورأى جـمعنا أيقن أن الهياكل قد خلت منا فغـشي عليه حيناً غـشية ظننا أنه فارق الحـياة فيهـا ، فبكينا ، فأومأ إلينا أن كـفوا عن البكاء ، فتصبَّـرنا جهدنا حتى هدأ وفـتح عينيه ، فقال: هذا ما كنت أنهاكم عنه، وأحذركم منه؛ إنكم قوم[5] غيّرتـم ؛ فغُيِّر بكم، أطعـتم جـهــالاً من ملوككم ، فـخلطوا عـليكم في الأدعـيـة[6]. فقـصدتكم البشـر من التعظيم بما هو للخالـق [وحده ، فكنتم في ذلك كمن أعطى القلم مدح الكاتب ، وإنما حركة القلم بالكاتب][7] ....[8].

---

(١) في النسخة « ع » [وقال] بزيادة الواو.

(٢) الهياكل : مفرده هيكل ، والهيكل بيت للنصارى ، وهو بيت الأصنام .

(٣) هو أفلاطون بن أرسطن بن أرسطو ، فيلسـوف مشهور ، ولد في أثينة عاصـمة بلاد اليونان سنة ٤٢٧ قبل الميلاد، وتتلمـذ على سقراط، واطلع على كتب الفلسفة، ورحل إلى كـثير من الأقطار يعلم الفلسفة، ومات سنة ٣٤٧ قبل الميلاد. (الملل والنحل للشهرستاني، ج ٢:٢٩٩).

(٤) هو سقراط بن سفـر نيسقوس الحكيم ، ولد حوالي سنة ٤٧٠ قبل الميـلاد في أثينة عاصمة بلاد اليونان، إنصرف إلى تعلم الحكمـة والفلسفة فأخذ آداب الأخلاق ، واقتـصر من الحكمة على الإلهيات والأخـلاق ، فنهى عن الشرك والأوثان ، وكره استبـداد وصلف الرؤساء في زمانه من ملوك اليونان ؛ مما أثارهم عليه ، فاتهموه بإنكار آلهتـهم والدعوة إلى آلهة جديدة وإفساد الشباب، فقتلوه بالسم سنة ٣٩٩ قبل الميلاد. (الملل والنحل للشهرستاني ، ج ٢ : ٢٨٩).

(٥) في النسخة « ع » سقطت كلمة [قوم] .

(٦) في النسخة « ع » سقطت جملة [في الأدعية] .

(٧) في النسخة « ع » سقط ما بين القوسين .

(٨) ذكر هذا النص في كتاب إغاثة اللهفان، ج ٢ : ٢٨٢، تحقيق محمّد حامد الفقي.

ومن المعلوم أن هذه الأمة ارتكبت محذورين عظيمين لا يرضى بهما ذو عقل ولا معرفة :

أحدهما :

الغلو في المخلوق حتى جعلوه شريكاً للخالق وجزءاً منه ، إلهاً آخر معه ، ونفوا أن يكون عبداً له .

والثاني :

تنقُّص الخالق وسبُّه ورميه بالعظائم ، حيث زعموا أن الله - سبحانه وتعالى عن قولهم علواً كبيراً - نزل من العرش وكرسي عظمته ، ودخل في فرج امرأة ، وأقام هناك تسعة أشهر ، يتخبط بين البول والدم والنجو[١] قد علته أطباق المشيمة[٢] والرحم والبطن ، ثم خرج[٣] من حيث دخل رضيعاً صغيراً يمص الثدي ، ولُفَّ في القمط[٤]، وأودع السرير يبكي ، ويجوع ، ويعطش ، ويبول ، ويتغوط ، ويحمل على الأيدي والعواتق! .

ثم صار إلى أن لطمت اليهود خديه ، وربطوا يديه ، وبصقوا في وجهه ، وصفعوا قفاه ، وصلبوه جهراً بين لصين ، وألبسوه إكليلاً من الشوك ، وسمروا يديه ورجليه ، وجرعوه أعظم الآلام! .

هذا هو الإله الحق الذي بيده أُتقنت [٥] العوالم ، وهو المعبود المسجود له!! .

---

(١) النجو : الغائط .

(٢) المشيمة : قطعة لحمية وعائية تكون بين الرحم والجنين يتغذى منها الطفل ويلقي فضلاته إليها أثناء وجوده في البطن وهي واسطة الاتصال ما بين الجنين وأمه .

(٣) في النسخة « ع » [يخرج] ، وهو خطأ . والصواب خرج .

(٤) القمط : هو المهد الذي يدرج به الصبي ، ويشد في الأشهر الأولى من ولادته .

(٥) في النسخة « ع » [اتفقت] ، وهو خطأ ، وصوابه اتقنت .

ولعمر الله ، إن هذه مسبة لله - سبحانه - ما سبَّه بها أحد من البشر قبلهم ولا بعدهم ، كما قال - تعالى - فيما حكاه عنه رسوله الذي نزهه ، ونزه أخاه المسيح عن هذا الباطل الذي تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض ، وتخر الجبال هدًا ، فقال : « شتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك ، وكذَّبني ابن آدم[1] وما ينبغي له ذلك :

أما شتمة إياي فقوله : اتخذا الله ولداً وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد .

وأما تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني كما بدأني . وليس أول الخلق بأهون من إعادته »[2] .

وقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في هذه الأمة : «أهينوهم ولا تظلموهم ؛ فقد سبوا الله مسبة ما سبه إياها أحد من البشر»[3] .

ولعمر الله ، إن عُبّاد الأصنام - مع أنهم أعداء الله على الحقيقة وأعداء رسله وأشد الكفار كفراً - يأنفون أن يصفوا آلهتهم التي يعبدونها من دون الله ، وهي من الحجارة والحديد والخشب بمثل ما وصفت هذه الأمة رب العالمين ، وإله السموات والأرضين ، وكان الله في قلوبهم أجل وأعظم من أن يصفوه بذلك بما يقاربه ، وإنما شرك القوم أنهم عبدوا من دونه آلهة مخلوقة مربوبة محدثة ، زعموا أنها

---

(١) في النسخة « ع » سقطت هذه الجملة [ابن آدم] .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب : التفسير ، باب : تفسير سورة الإخلاص ، ج ٦ : ٩٥، والإمام أحمد في المسند، ج ٢ : ٣١٧، ٣٥٠، طبعة المكتب الإسلامي.

(٣) هذا الأثر بحثت عنه في بعض مظانه فلم أجده إلا في: إغاثة اللهفان، ج ٢ : ٢٨٣، وهداية الحيارى ، ص ٢٦٢ ، لابن القيم . والمؤلف نقله من أحد هذين المصدرين .

تقربهم إليه زلفى ، لم يجعلوا شيئاً من آلهتهم كفواً له ، ولا نظيراً ، ولا ولداً ، ولم ينالوا من الرب - تعالى - ما نالت منه هذه الأمة .

وعذرهم في ذلك أقبح من قولهم ، فإن أصل معتقدهم أن أرواح الأنبياء كانت في الجحيم في سجن إبليس من عهد آدم إلى زمن المسيح ، فكان إبراهيم وموسى ونوح وصالح وهود معذبين مسجونين في النار بسبب خطيئة آدم وأكله من الشجرة ، وكان [1] كلما مات واحد من بني آدم أخذه إبليس ، وسجنه بذنب أبيه ، ثم إن الله - سبحانه - لما أراد رحمتهم وخلاصهم من العذاب تحيّل على إبليس بحيلة ، فنزل عن كرسي عظمته ، والتحم ببطن مريم حتى ولد ، وكبر ، وصار رجلاً ، فمكّن أعداءه اليهود من نفسه ، حتى صلبوه ، وسمروه ، وتوجوه بالشوك على رأسه ، فخلَّص أنبياءه ورسله ، وفداهم بنفسه ودمه، فهرق دمه في مرضاة جميع ولد آدم ، إذ كان ذنبه باقياً في أعناق جميعهم ، فخلَّصهم منه بأن مكّن أعداءه من صلبه وتسميره وصفعه إلا من أنكر صلبه أو شك فيه .

وقال : إن الإله يجل عن ذلك، فهو في سجن إبليس معذب حتى يقر بذلك ، وأن إلهه صلب وصفع وسمر . فنسبوا الإله [2] الحق - سبحانه - إلى ما يأنف أسقط الناس أن ينسبه إليه مملوكه وعبده ، وإلى ما يأنف عُبّاد الأصنام أن تنسب إليه أوثانهم .

وكذَّبوا الله - سبحانه - في كونه تاب على آدم ، وغفر له خطيئته، ونسبوه إلى أقبح الظلم ، حيث زعموا أنه سجن أنبياءه ورسله وأولياءه

---

(١) في النسخة « ع » [فكان] بالفاء ، ولعله الصواب .

(٢) في النسخة « ع » [إله الحق] .

في الجحيم بسبب خطيئة أبيهم ، ونسبوه إلى غاية النقص ، حيث سلَّط أعداءه على نفسه وابنه ، ففعلوا ما فعلوا .

وبالجملة ، فلا نعلم أمة من الأمم سبَّت ربها ومعبودها وإلهها بما سبَّه به هذه الأمة ، كما قال عمر[1] : « إنهم سبوا الله مسبة ما سبه إياها أحد من البشر »[2] .

وكان بعض أئمة الإسلام إذا رأي نصرانياً أغمض عينه عنه ، وقال: «لا أستطيع أملأ عيني ممن سبَّ إلهه ومعبوده أقبح السب» .

ولهذا قال عقلاء الملوك : « إن جهاد هؤلاء واجب شرعاً وعقلاً ؛ فإنهم عار على بني آدم مفسدون للعقول والشرائع » . انتهى[3] .

وسيأتي شرح مذهبهم في التثليث فيما بعد - إن شاء الله تعالى -.

---

(١) في النسخة « ع » [رضي الله عنه] .

(٢) تقدم ذكر موضع هذا الأثر .

(٣) يعني المؤلف بقوله: «انتهى» كلام ابن القيم في كتابه إغاثة اللهفان ، ج ٢ : ٢٨٤.

فصل

قال النصراني :

حاجة الناس إلى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم

« والذي آل الأمر إليه أنه قد وجد في جميع البلاد عدة من المسيحين اسماً وأقل من القليل حقًّا وفعلاً . ولكن الله لم يكن يتغافل عن هذه الخطايا في قومه بل من أقصى أطراف أفاض كالطوفان جنوداً لا تحصى عدداً إلى بلاد النصارى .

وإذ لم يتعظ الباقون بما لقوا من هؤلاء من القتل والشدائد ، ولم يعودوا للحق أذن بعدله أن يظهر محمّد ، ويدعو الناس إلى الشريعة الجديدة ، التي مع أنها مخالفة لدين المسيح ، مضادة له ، لكنها في ظاهر الألفاظ كانت تحاكي سيرة كثيرين من النصارى .

وكان أول المدعوين[(١)] إلى هذه الشريعة العرب الذين على أيديهم فتحت - في مدة يسيرة من الزمان - بلاد العرب والشام ومصر وبلاد الفرس ، ثم ملكت المغرب والأندلس أيضاً .

وأما دولة العرب فقد [(٢)] انتقلت إلى غيرهم من الأمم ، وبالخصوص إلى الأتراك الذين هم أمة ذات بأس وقوة في الحرب ، وهم بعد طول محاربة المسلمين دعوا إلى العهد ، وقبلوا الشريعة الموافقة لأخلاقهم بغير امتناع ، ونقلوا حكم الدولة لأنفسهم .

ثم فتحت على أيديهم بلاد الروم وبإقبال سعادتهم في الحروب وصلوا إلى حدود بلاد النمسا أيضاً » انتهى[(٣)] .

---

(١) في مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن النص هكذا (وكانوا أول المدعيين) .

(٢) في المخطوطة « ع » [قد] بدون فاء وهي كذلك في (مفتاح الخزائن) .

(٣) من كتاب مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن ، ص ١١٦ ، ١١٧ ، نسخة المكتبة البريطانية في لندن .

ونقول وبالله التوفيق :

إن ما ذكره من قلة الدين قبل ظهور محمّد - صلى الله عليه وسلم - دليل ظاهر، وحجة واضحة، وبرهان قاطع على نبوته وصحة رسالته كما أشرنا إليه فيما تقدم[1] ، وذلك أن سنة الله في أوقات فترات الرسالة ، وإعراض الناس عما جاءت به الرسل إعذاراً منه - تعالى - إلى الخلق ، ورحمة بمن أراد به خيراً .

فلما كانت الشرائع قد اندرست قبل مبعث محمّد - صلى الله عليه وسلم -، لتقادم عهدها ، وطول زمانها ، واختلط بسبب ذلك الحق بالباطل والهدى بالضلال ، والصدق بالكذب ، وصار ذلك سبباً لإعراض الخلق عن العبادات ، وأن يقولوا : يا إلهنا قد عرفنا أنه لا بد من عبادتك ، ولكنا لا نعرف [2] كيف عبادتك . فلا بد أن يزيح الله عذرهم ببعثة الرسل إليهم .

ولهذا قال - تعالى - في كتابه العزيز :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3] .

فخاطب - سبحانه - أهل الكتاب من اليهود والنصارى في هذه الآية بأنه بعث إليهم رسوله محمّداً - صلى الله عليه وسلم - على حين

(١) في مبحث : اعتراف النصراني بتبديل النصارى دين المسيح - عليه السلام - .

(٢) في النسخة « ع » [ولكنا ما نعرف] .

(٣) سورة المائدة ، الآية : ١٩ .

فترة من الرسل ، ودروس من السبل ، وتغير الأديان ، وكثرة عبادة الأوثان والنيران والصلبان ، فكانت النعمة به أتم ، والحاجة إليه أعم .

فإن الفساد قد عم البلاد ، والطغيان والجهل قد ظهر في سائر العباد، إلا قليلاً من المتمسكين ببقايا من دين الأنبياء الأقدمين من بعض أحبار اليهود ، وعباد النصارى والصابئين [(١)] .

وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده ، ومسلم في صحيحه[(٢)] ، والنسائي في سننه [(٣)] من غير وجه عن مطرف بن عبدالله بن الشخير[(٤)]. عن عياض بن حمار المجاشعي[(٥)] - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطب ذات يوم ، فقال في خطبته :

---

(١) الصابئون: اشتق اسمهم من الصبوة، أي: الميل عن الحق ، فبحكم ميلهم عن الحق، وزيغهم عن نهج الأنبياء ؛ سموا صابئة .

قال أبو الفتح الشهرستاني: «ومذهبهم أن للعالم صانعاً فاطراً حكيماً يعجز البشر عن الوصول إليه إلا بواسطة المقربين لديه، وهم الروحانيون المطهرون المقدسون». انتهى.

وقد كثرت أقوال أهل العلم في وصف دينهم . يقول الحافظ ابن كثير: « وأظهر الأقوال - والله أعلم - قول مجاهد ومتابعيه ووهب بن منبه : إنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين ، وإنما هم قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويَعتنقونه . ولهذا كان المشركون ينبزون من أسلم بالصابئ : أي : أنه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك » انتهى .

وهذا الوصف يتناسب مع ما ذكره المؤلف ابن معمر . والله أعلم . (انظر : الملل والنحل للشهرستاني، ج ٢ : ٩٥، وتفسير ابن كثير ، ج ١ : ١٠٤، تفسير الآية (٦٢) من سورة البقرة).

(٢) صحيح مسلم ، ج ٤ : ٢١٩٧ ، تحقيق محمد عبد الباقي .

(٣) سنن النسائي ، ج ٥ : ٢٦.

(٤) هو أبو عبدالله مطرف بن عبدالله بن الشخير بن عوف بن كعب بن وقدان ، من فضلاء التابعين ، ويعد من العباد والنساك ومستجاب الدعوة ، مات سنة ٩٥هـ. (تهذيب التهذيب ، ج ١٠ : ١٧٣) .

(٥) اسمه عياض بن حمار - بالراء ، هذا هو المشهور في اسم ابيه - ابن ناجيه بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن درام التميمي المجاشعي ، روى عنه مطرف بن عبدالله بن الشخير ، وغيره (أسد الغابة ، ج ٤ : ١٦٢) .

« إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا . كل مال أنحلته عبادي حلال ، وإني خلقت عبادي حنفاء [1] كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فأضلتْهم عن دينهم ، وحرمَتْ عليهم ما أحللت لهم ، وأمرَتْهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً . وإن الله - سبحانه - نظر إلى أهل الأرض ، فمقتهم[2] عربهم وعجمهم إلا بقايا من بني إسرائيل ، وقال : إنما بعثتك لأبتليك[3] ، وأبتلي بك ، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء ، تقْرَؤه نائماً ويقظاناً . ثم إن الله أمرني أن أحرق قريشاً، فقلت: يا رب ، إذاً يثلغوا رأسي[4] فيدعوه خبزةً ، فقال: استخرجهم كما استخرجوك ، واغزهم نغزك ، وأنفق فسننفق عليك ، وابعث جنداً نبعث خمسة أمثاله ، وقاتلْ بمن أطاعك من عصاك .

وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قربى ومسلم ، ورجل عفيف فقير ذو عيال.

وأهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زبر له [5] الذين هم فيكم تبع لا يبتغون أهلاً ولا مالاً ، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه ، والرجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعكم عن أهلك ومالك ، وذكر البخل والكذب ، والشنظير الفاحش»[6] .

والمقصود من إيراد هذا الحديث قوله : « إن الله نظر إلى أهل الأرض ، فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من بني إسرائيل » . وفي

---

(١) حنفاء : أي مسلمين .

(٢) المقت : أشد البغض .

(٣) لأبتليك : لأمتحنك .

(٤) يثلغوا رأسي : أي يشدخوه ويشجوه .

(٥) لا زبر له : لا عقل له يزجره وينهاه عن ارتكاب ما لا ينبغي .

(٦) الشنظير : فسره في الحديث بأنه الفاحش ، وهو سيئ الخلق أو سخيف العقل .

لفظ مسلم : « إلا بقايا من أهل الكتاب » فكان الدين قد التبس على أهل الأرض كلهم حتى بعث الله رسوله محمّداً خاتم النبيين الذي لا نبي بعده ، بل هو المعقب لجميعهم ، فهدى الخلائق ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، وتركهم على المحجة البيضاء والشريعة الغراء .

ولهذا قال تعالى : ﴿ ... أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴾ أي : بشير بالخير ونذير عن الشر ﴿ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ يعني محمّداً - صلى الله عليه وسلم - ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1] .

فثبت بمقتضى هذه المقدمة التي قررناها ، واعترف الخصم بصحة معناها ، وهو حصول غربة الدين قبل ظهور محمّد - صلى الله عليه وسلم - حتى عند النصارى ، الذين هم أقرب الناس عهداً بالكتب والرسل ، أن بعثة محمّد - صلى الله عليه وسلم - كانت رحمة من الله لخلقه ، هداهم الله بها بعد الضلالة ، وبصّرهم بها بعد العمى ، وأرشدهم بها بعد الغي ، وأخرجهم بها من الظلمات إلى النور .

وهذا هو اللائق بحكمته ، ورحمته ، وما مضى في خلقه من سابق سنته ، لا ما يقول أعداؤه الكاذبون عليه ، المكذبون رسوله ، الزاعمون أنه كاذب عليه متقول على الله ما لم ينزل إليه ، فإنه لا يليق بحكمة الرب الحكيم ، ورحمة الملك القادر الرحيم ، أن يؤيد من هذا شأنه أعظم التأييد، ويمكّن له في الأرض غاية التمكين ، بل كان اللائق به أن يأخذه ويجعله نكالاً وعبرة للمعتبرين ، كما قال - سبحانه وتعالى - :

(١) سورة المائدة ، الآية : ١٩ .

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ[١] ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾[٢]. فأقام - سبحانه - في هذه الآية البرهان القاطع على صدق رسوله ، وأنه لم يتقول عليه فيما قاله ، وأنه لو تقول عليه لما أقره ، ولعاجله بالإهلاك ، فإن كمال علمه وقدرته وحكمته تأبى أن يقر من تقوَّل عليه، وافترى، وأضل عباده ، واستباح دماء من كذّبه وحريمهم[٣] وأموالهم ، وأظهر في الأرض الفساد والجور والكذب وخلاف الحق .

فكيف يليق بأحكم الحاكمين ، وأرحم الراحمين ، وأقدر القادرين أن يقدره على ذلك ؟!. بل كيف يليق به أن يؤيده وينصره ويعليه ويظهره، ويظفره ، بأهل الحق يسفك دماءهم ويستبيح أموالهم وأولادهم ونساءهم قائلاً : إن الله أمرني بذلك ، وأباحه لي ؟. بل كيف يليق به أن يصدقه بأنواع التصديق كلها ، فيصدقه بإقراره ، وبالآيات المستلزمة لصدقه التي دلالتها على التصديق كدلالة التصديق بالقول أو أظهر، ثم يصدقه بأنواعها كلها على اختلافها، فكل آية على انفرادها مصدقة له ، ثم يحصل باجتماع تلك الآيات تصديق فوق تصديق كل آية على انفرادها، ثم يعجز الخلق عن معارضته ، ثم يصدقه بكلامه وقوله ، ثم يقيم الدلالة القاطعة على أن هذا قوله وكلامه ، فيشهد له بإقراره وفعله وقوله ؟. فمن أعظم المحال وأبطل الباطل وأبين البهتان أن يجوز على

(١) الوتين : عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه .
(٢) سورة الحاقة ، الآيات : ٤٤ - ٤٧.
(٣) حريمهم : محارمهم .

أحكم الحاكمين ورب العالمين أن يفعل ذلك بالكاذب المفتري عليه الذي هو شر الخلق على الإطلاق .

فمن جوَّز ذلك على الله أن يفعل هذا بشر خلقه وأكذبهم عليه فما آمن بالله قطعاً ، ولا عرف الله وأنه رب العالمين ، ولا يحسن نسبة ذلك إلى من له مسكة من عقل وحكمة وحجا . ومن فعل ذلك فقد أزرى على نفسه ، ونادى على جهله .

وقد ذكر الإمام أبو عبدالله ابن القيم [1] مناظرة جرت له مع بعض علماء أهل الكتاب تتعلق بهذا المقام ، قال :

قلت له بعد أن أفضى في نبوة النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى أن قلت له : إنكار نبوته يتضمن القدح في رب العالمين وتنقصه بأقبح التنقص ، فكان الكلام معكم في الرسول والكلام الآن في تنزيه الرب - تعالى -.

فقال : كيف تقول مثال هذا الكلام ؟

فقلت له : بيانه عليَّ فاسمع الآن . أنتم تزعمون أنه لم يكن رسولاً، وإنما كان ملكاً قاهراً قهر الناس بسيفه حتى دانوا له ، ومكث ثلاثاً وعشرين سنة يكذب على الله ، ويقول : أوحي إلي ، ولم يوح إليه ، وأمرني ، ولم يأمره ، ونهاني ، ولم ينهه، وقال الله كذا ، ولم يقل ذلك ، وأحل كذا ، وحرم كذا ، وأوجب كذا ، وكره كذا ، ولم يحل ذلك ولا حرمه ولا أوجبه ولا كرهه ، بل هو فعل ذلك من تلقاء نفسه كاذباً مفترياً على اللّه وعلى أنبيائه وعلى رسله وملائكته .

---

(١) في كتابه هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ص ١٧٣ ، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا .

ثم مكث على ذلك عشر سنين يستعرض عباده؛ يسفك دماءهم، ويأخذ أموالهم ، ويسترقّ نساءهم وأبناءهم ، ولا ذنب لهم إلا الرد عليه ومخالفته، وهو في ذلك كله يقول: الله أمرني بذلك ولم يأمره، ومع ذلك فهو ساع في تبديل أديان الرسل ، ونسخ شرائعهم ، وحل نواميسهم . فهذه حاله عندكم .

فلا يخلو : إما أن يكون الرب - تعالى - عالماً بذلك مطلعاً عليه من حالة يراه ويشاهده أو لا .

فإن قلتم : إن ذلك جميعه غائب عن اللّه لم يعلمه قدحتم في الرب - تعالى - ، ونسبتموه إلى الجهل المفرط ؛ إذ لم يطلع على هذا الحادث العظيم ، ولا علمه ، ولا رآه .

وإن قلتم : بل كان بعلمه واطلاعه ومشاهدته ، قيل لكم : فهل كان قادراً على أن يغيّر ذلك ، ويأخذ على يده ويحول بينه وبينه أم لا ؟

فإن قلتم : ليس قادراً على ذلك نسبتموه إلى العجز المنافي للربوبية، وكان هذا الإنسان هو وأتباعه أقدر منه على تنفيذ إرادتهم .

وإن قلتم : بل كان قادراً ، ولكن مكّنه ونصره وسلّطه على الخلق ، ولم ينصر أولياءه وأتباع رسله نسبتموه إلى أعظم السفه والظلم والإخلال بالحكمة . هذا لو كان مخلياً بينه وبين ما فعله ، فكيف وهو في ذلك كله ناصره ومؤيده ، ومجيب دعواته ومهلك من خالفه وكذبه ، ومصدقه بأنواع التصديق كلها ، ومظهر الآيات على يديه التي لو اجتمع أهل الأرض كلهم على أن يأتوا بواحدة منها لما أمكنهم، ولعجزوا عن ذلك، وكل وقت من الأوقات يحدث له من أسباب النصر والتمكين والظهور والعلو وكثرة الأتباع أمراً خارجاً عن العادة ؟!.

فظهر أن من أنكر كونه رسولاً نبياً فقد سب الله - تعالى - ، وقدح فيه ، ونسبه إلى الجهل والعجز والسفه .

قلت له : ولا ينتقض هذا بالملوك الظلمة الذين مكّنهم في الأرض وقتاً ما ثم قطع دابرهم ، وأبطل سنتهم، ومحا آثارهم ووجودهم ، فإن أولئك لم يدّعوا شيئاً من هذا ، ولا أُيِّدوا ، ونُصِروا ، وظهرت على أيديهم الآيات ، ولا صدقهم الرب - تعالى - بإقراره ولا بفعله، ولا بقوله . بل كان أمرهم [(١)] بالضد من دين [(٢)] الرسول كفرعون ونمرود وأضرابهما .

ولا ينتقض هذا بمن ادعى النبوة من الكذابين ، فإن حاله كانت بضد حال الرسول . ومن حكمة الله - سبحانه - أن أخرج مثل هؤلاء في الوجود ليعلم حال الكذابين ، وحال الصادقين ، فكان ظهورهم من أبين الأدلة على صدق الرسل والفرق بين هؤلاء وبينهم (فبضدها تتبين الأشياء)[(٣)] ، (والضدُّ يُظهر حسنَه الضدُّ)[(٤)] .

فمعرفة أدلة الباطل وشبهه من أنواع أدلة الحق وبراهينه .

---

(١) في النسخة « ع » [بل أمرهم كان] بتأخير الفعل الناسخ .

(٢) في النسخة « ع » [من أمر الرسول] .

(٣) هذا شطر من بيت لأبي الطيب المتنبي ، يقول فيه :

ونذيمهم وبهم عرفنا فضله ... وبضدها تتبين الأشياءُ

(٤) هذا شطر من بيت للمنبجي ، يقول فيه :

فالوجه مثل الصبح مبيض ... والشعر مثل الليل مسودُّ

ضدان لما استجمعا حسنا ... والضد يظهر حسنه الضدُّ

فلما سمع مني ذلك قال : معاذ اللّه ، لا نقول : إنه ملك ظالم ، بل نبي كريم ، من اتبعه فهو من السعداء ، وكذلك من اتبع موسى فهو كمن اتبع محمّداً .

قلت له : بطل كل ما تموهون به بعد هذا ، فإنكم إذا أقررتم بأنه نبي صادق فلا بد من تصديقه في جميع ما أخبر به ، وقد علم أتباعه وأعداؤه بالضرورة أنه دعا الناس كلهم إلى الإيمان به ، وأخبر أن من لم يؤمن به فهو مخلّد في النار، وقاتل من لم يؤمن به من أهل الكتاب ، واستباح دماءهم ونساءهم وأبناءهم . فإن كان ذلك عدواناً منه وجوراً لم يكن نبياً ، وعاد الأمر إلى القدْح في الرب - تعالى -، وإن كان ذلك بأمر الله ووحيه لم يسع[1] مخالفته وترك اتّباعه ، ولزم تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر . انتهى .

وأما قول النصراني :

موافقة الإسلام للشرائع السماوية

«إنها - يعني شريعة محمّد صلى الله عليه وسلم - مخالفة لدين المسيح مضاده له »[2] .

فهذا الإطلاق والعموم باطل ، فإن دين المسيح ، بل وجميع أديان الرسل من أولهم إلى آخرهم خاتمهم محمّد - صلى الله عليه وسلم - متفقة في قواعد الدين وأصول الإيمان : من توحيد اللّه - تعالى - ، ونفي الشريك له ، وتنزيهه عن النقائص المتضمن لنفي الصاحبة والولد ،

(١) هكذا [لم يسع] في جميع النسخ ، والأصح - في تقديري - [لم تسغ] .
(٢) كتاب مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن ، ص ١١٧ ، نسخة المكتبة البريطانية في لندن.

وعلى إفراده - سبحانه - بالعبادة ، وتصديق جميع رسله ، والإيمان بملائكته، وكتبه ، والإيمان باليوم الآخر ، والجنة والنار ، وغير ذلك من أصول الإيمان وقواعد الدين .

كما قال - تعالى - في كتابه : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ... ﴾[1] .

وقال - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ... ﴾[2] .

وقال - تعالى - : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[3] .

وفي صحيح البخاري[4] وغيره[5] عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « نحن - معشر الأنبياء - إخوة العلات[6] ديننا واحد ... » ؛ يعني ذلك التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله ، وضمنه كل كتاب أنزله .

---

(١) سورة الشورى ، الآية : ١٣ .

(٢) سورة النحل ، الآية : ٣٦.

(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٥.

(٤) هذا الحديث متفق عليه في صحيح البخاري ، ج ٤ : ١٤٢، كتاب: الأنبياء ، طبعة إستانبول . وفي صحيح مسلم ، ج ٤ : ١٨٣٧ ، كتاب : الفضائل ، تحقيق محمّد عبد الباقي .

(٥) في المسند للإمام أحمد ، ج ٦ : ٤٠ ، ٤٢٧ ، طبعة المكتب الإسلامي .

(٦) إخوة العلات : الإخوة من الأب ، والأمهات مختلفات .

ومعنى الحديث أن الأنبياء - عليهم السلام - متفقون في أصول الدين وهو التوحيد ومختلفون في الفروع وهي الشرائع . والله أعلم .

وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي ، فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حراماً ، ثم يحل في الشريعة الأخرى وبالعكس ، وخفيفاً فيزاد بالشدة في هذه دون هذه ، وذلك لما للّه - تعالى - في ذلك من الحكمة البالغة والحجة الدامغة .

قال [١] سعيد بن أبي عروبة [٢] عن قتادة في قول اللّه - تعالى -: ﴿ ... لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا... ﴾[٣] يقول : «السنن مختلفة: في التوراة شريعة ، وفي الإنجيل شريعة ، وفي القرآن شريعة. يحل فيها ما يشاء ، ويحرم ما يشاء ؛ ليعلم من يطيعه ممن يعصيه .

والدين الذي لا يُقْبَل غيره [٤] : التوحيد والإخلاص الذي جاءت به الرسل »[٥].

والمقصود أن شريعة محمّد - صلى اللّه عليه وسلم - موافقة لدين المسيح في التوحيد وأصول الديانات ، وإن خالفته في بعض ما دون ذلك من الشرائع، لكنها مخالفة لما ابتدعه ضلال النصارى، واخترعوه من قبل أنفسهم ، وبدّلوا به دين المسيح ، من الغلو في المخلوق حتى أنزلوه منزلة الخالق ، وادّعوا أنه اللّه ، وأنه ابن اللّه - تعالى الله ، وتقدَّس ، وتنزه عن قولهم علواً كبيرا - ، وكذا ما بدلوه من فروع

---

(١) هذا القول ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره، ج ٢ : ٥٨٨ ، تفسير الآية (٤) من سورة المائدة.

(٢) هو الإمام الحافظ أبو النضر سعيد بن أبي عروبة مهران العدوي بالولاء البصري ، أحد أعلام الحديث . توفي - رحمه الله - سنة ست وثلاثين ومائة هجرية . (تذكرة الحفاظ ، ج ١ : ١٧٧) .

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٤٨ .

(٤) في تفسير ابن كثير : (والدين الذي لا يقبل اللّه غيره) .

(٥) في تفسير ابن كثير : (الذي جاءت به جميع الرسل) .

دين المسيح - عليه السلام - كاستحلال الميتة والخنزير ، وإحداث البدع في العبادات مما نسخوا به دين المسيح - عليه السلام - ؛ فبعث اللّه رسوله محمّداً - صلى الله عليه وسلم - يدعوهم إلى عبادة اللّه من عبادة العباد، وإلى متابعة عبده ورسوله المسيح عيسى ابن مريم وتصديقه في بشارته بخاتم الرسل ، وسيدهم في الدنيا والآخرة - الذي هو أولى الناس به ، كما ثبت عن رسول اللّه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال :

«أنا أولى الناس بابن مريم في الدنيا والآخرة ، ليس بيني وبينه نبي . والأنبياء إخوة أبناء علات ، أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد» . أخرجه البخاري[١] ومسلم[٢] .

(وإخوة العلات : أبناء أمهات شتى من رجل واحد) .

الإنذار بخروج الأمر من يد العرب إذا خالفوا أمر الله .

أما ما ذكره النصراني من وقوع الفتوحات على أيدي العرب ، ثم انتقال الدولة إلى غيرهم ، ففي ضمنه دليلان من أدلة الرسالة المحمدية ، وعلمان من أعلامها :

الأول : أن النبي - صلى اللّه عليه وسلم - أخبر بتلك الفتوحات ، وبلوغ دينه إلى المشارق والمغارب ، وظهور أمته على فارس والروم . فوقع ذلك على وفق ما أخبر ، كما سيأتي ذكر الأحاديث بذلك - إن شاء الله تعالى - ، فكان ذلك دليلاً على صدقه .

---

(١) في صحيح البخاري ، ج ٤ : ١٤٢ ، كتاب : الأنبياء ، طبعة المكتبة الإسلامية بإستانبول.
(٢) في صحيح مسلم ، ج ٤ : ١٨٣٧ ، كتاب : الفضائل ، تحقيق محمّد عبد الباقي .

الثاني : أنه - صلى الله عليه وسلم - أنذر بانتقال الأمر من قريش الذين هم سادة العرب وقادتها إذا وقع منهم الخلل في إقامة الدين، كما أخرج البخاري في صحيحه[١]، وغيره[٢] عن معاوية بن أبي سفيان[٣] - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :

«إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه في النار ما أقاموا الدين» .

وهذا يدل على أنهم إذا لم يقيموا الدين يخرج الأمر عنهم .

وأخرج الطبراني[٤] عن علي[٥]- رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «ألا إن الأمراء من قريش ما أقاموا ثلاثاً....» الحديث[٦].

---

(١) في صحيح البخاري، ج ٨ : ١٠٥، كتاب: الأحكام، طبعة المكتبة الإسلامية بإستانبول.

(٢) أخرج هذا الحديث أيضاً الإمام أحمد في المسند ، ج ٤ : ٩٤ ، عن معاوية بن أبي سفيان ، طبعة المكتب الإسلامي ببيروت.

وأخرجه الدارمي في السنن ، ج ٢ : ٢٤٢ ، باب : الإمارة في قريش ، عن معاوية ، طبعة دار إحياء السنة .

(٣) تقدمت ترجمته .

(٤) هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الطبراني الشامي ، ولد بعكا سنة ٢٦٠هـ ، ورحل إلى الحجاز واليمن ومصر ، من كبار المحدثين ، له ثلاثة معاجم في الحديث ، توفي بأصبهان سنة ٣٦٠هـ . (تذكرة الحفاظ ، ج ٢ : ٩١٢ ، ووفيات الأعيان ، ج ٢ : ٤٠٧) .

(٥) هو علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - تقدمت ترجمته ص (١٤٠) .

(٦) رواه الإمام أحمد في المسند، ج ٤ : ٤٢٤، عن أبي برزة الأسلمي أتم منه وهو قوله: «... ما حكموا فعدلوا ، واسترحموا فرحموا ، أو عاهدوا فوفوا ، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج ٥ : ١٩١) : «رواه أحمد وأبو يعلى أتم منه وفيه قصة ، والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح ، خلا سكين بن عبدالعزيز ، وهو ثقة ».

وأخرج الطيالسي [١] والبزار [٢] والبخاري في التأريخ [٣] من طريق سعد بن إبراهيم [٤] عن أنس [٥] بلفظ : «... ما إذا حكموا فعدلوا ...» الحديث ، وله طرق متعددة [٦] .

وأخرج الإمام أحمد بن حنبل [٧] وأبو يعلى الموصلي من حديث عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال :

---

(١) هو أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي ، مولى قريش ، ولد سنة ١٣٣ هـ ، من كبار حفاظ الحديث . له مسند في الحديث ، توفي بالبصرة سنة ٢٠٤هـ. رحمه الله . (تذكرة الحفاظ، ج ١ : ٣٥١) .

(٢) هو أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار ، من رجال الحديث ، له مسندان في الحديث . أحدهما صغير والآخر كبير عنوانه "البحر الزاخر" ، توفي في الرملة سنة ٢٩٢هـ. (تذكرة الحفاظ ، ج ٢ : ٦٥٣) .

(٣) بحثت عن هذه الرواية في تأريخ البخاري الكبير والصغير حسب ما ذكر المؤلف - رحمه الله - فلم أعثر عليها ، أما الجامع الصحيح للبخاري فوردت فيه رواية معاوية بن أبي سفيان ، وتقدم ذكر موضعها .

(٤) سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف الزهري ، ثقة كثير الحديث . ولي قضاء المدينة ، ووثقه ابن معين. توفي سنة ١٢٥هـ. (تهذيب التهذيب ، ج ٣ : ٤٦٤).

(٥) هو أبو حمزة ، خادم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنس بن مالك بن النضر ، توفي سنة ٩٣هـ . رضي الله عنه . (أسد الغابة ، ج ١ : ١٢٧) .

(٦) هذه الجملة جزء من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - ولفظه : «أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قام على باب البيت ونحن فيه فقال : الأئمة من قريش إن لي عليكم حقاً ، وأن لهم عليكم حقاً مثل ذلك ما إن استرحموا رحموا ، وإن عاهدوا وفوا ، وإن حكموا عدلوا. فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».
أخرجه أبو داود في المسند ، ج ٩ : ٢٨٤ ، عن سعد بن إبراهيم عن أبيه عن أنس . وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ، ج ٥ : ١٩٢ ، وقال : « رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الأوسط أتم منهما ، والبزار ، ورجال أحمد ثقات » .

(٧) في المسند ، ج ١ : ٤٥٨ ، طبعة المكتب الإسلامي ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج ٥ : ١٩٢): «رواه أحمد ، وأبو يعلى ، والطبراني في الأوسط ، ورجال أحمد رجال الصحيح ، ورجال أبي يعلى ثقات » .

« يا معشر قريش ، إنكم أهل هذا الأمر ما لم تحدثوا ، فإذا غيّرتم بعث اللّه عليكم من يلحاكم كما يُلحى القضيب » (١) .

قال الحافظ ابن حجر (٢) : « ورجاله ثقات » (٣) .

وأخرج الشافعي والبيهقي من طريقه بسند صحيح (٤) إلى عطاء ابن يسار(٥) يرفعه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال لقريش:

« أنتم أولى الناس بهذا الأمر ما كنتم على الحق إلا أن تعدلوا عنه، فتلحون كما تلحى هذه الجريدة » (٦) .

فقد دلت هذه الأحاديث وما ورد في معناها من منطوق أو مفهوم على خروج الأمر عن قريش الذين هم أئمة العرب والعرب لهم تبع ، وأن ذلك إنما يكون إذا وقع منهم التغيير ، ولم يستقيموا على السنن القويم، وأنه يتقدم ذلك ما هددوا به من تسليط من يؤذيهم عليهم .

---

(١) يلحى : من لحا العصا إذا قشرها .
والقضيب : الغصن .

(٢) هو الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمّد بن حجر العسقلاني، ولد بالقاهرة سنة ٧٧٣هـ. من أبرز حفاظ الحديث. له مصنفات مشهورة من أشهرها : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، وتهذيب التهذيب في رجال الحديث ، والإصابة في تمييز الصحابة . توفي بالقاهرة سنة ٨٥٢هـ . (الضوء اللامع ، ج ٢ : ٣٦) .

(٣) فتح الباري ، ج ١٦ : ٢٣٣ .

(٤) انظر : بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الإمام الشافعي ، ج ٢ : ٥١٠ ، والسنن الكبرى للبيهقي ، ج ٨ : ٤٤ ، باب : الأئمة من قريش .

(٥) هو أبو محمّد عطاء بن يسار المدني ، المتوفى سنة ١٠٣ هـ .

(٦) قال الحافظ ابن حجر : « سنده صحيح » . فتح الباري ، ج ١٦ : ٢٣٣ .

قال ابن حجر : «فوُجدَ ذلك في الدولة العباسية [١] ، بغلبة مواليهم بحيث صاروا معهم كالصبي المحجور عليه ؛ يتمتع بلذاته ، ويباشر الأمور غيره .

ثم اشتد الخطب ، فغلب عليهم الديلم[٢]، فضايقوهم في كل شيء حتى لم يبق للخليفة إلا الخطبة ، واقتسم المتغلبون الممالك في جميع الأقاليم، ثم طرأ عليهم طائفة بعد طائفة حتى انتُزِع الأمر منهم في جميع الأقطار، ولم يبق للخليفة إلا مجرد الاسم في بعض الأمصار». انتهى[٣].

وهذا ؛ لأن الذي نالته العرب من العز والظهور والغلبة إنما حصل لهم ببركة اتّباع الرسول - صلى اللّه عليه وسلم -، وطاعتهم له كما قال تعالى :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذينَ آمَنُوا منكُمْ وَعَملُوا الصَّالحَات لَيَسْتَخْلفَنَّهُمْ في الأَرْض كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذينَ من قَبْلهمْ وَلَيُمَكّنَنَّ لَهُمْ دينَهُمُ الَّذي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدّلَنَّهُم مّنْ بَعْد خَوْفهمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَني لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلكَ فَأُوْلَئكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[٤].

---

(١) قامت هذه الدولة سنة ١٣٢هـ ، وأول خلفائها أبو العباس السفاح ، فنشأت قوية منيعة الجانب ، ثم أخذت بالضعف إلى أن سقطت سنة ٦٥٦هـ ، في عهد الخليفة المستعصم بالله، عبدالله بن منصور، على يد قائد الجيش المغولي هولاكو خان .

(٢) الديلم: أسرة فارسية أمدوا الخلفاء العباسيين بالجنود المرتزقة لمساعدتهم في الحروب، لكن لم يلبثوا أن سيطروا على الدولة ، حتى تمكنوا بزعامة أحمد بن الحسن بن بويه الديلمي من خلع الخليفة العباسي المستكفي بالله ، عبدالله بن علي ، سنة ٣٣٤هـ ، وأقاموا لهم دولة في بغداد عرفت بدولة بني بويه ، وقد دام حكم هذه الدولة حتى عام ٤٤٧هـ ، حيث استولى السلاجقة على بغداد ، وقضوا على الدولة البويهية . (مروج الذهب ، ج ٧ : ٣٤٢ ، والبداية والنهاية ، ج ١٢ : ٢١٢) .

(٣) فتح الباري ، ج ١٦ : ٢٣٤ .

(٤) سورة النور ، الآية : ٥٥.

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما صح عنه :

« إن الدنيا حلوة خضرة، وإن اللّه مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون »[1] .

فلما كانت الخلفاء على الاستقامة والسداد في أمر الدين كان لهم في الأرض غاية التمكين تصديقاً لما أخبر به الصادق الأمين .

فلما غيّروا بمخالفة بعض أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - وقع بهم ما هُدِّدوا به ، حيث كانت نعم اللّه عليهم أعظم منها على غيرهم ، وكان الواجب عليهم من شكرها بحسب ما خصوا به منها .

فكان في أول الأمر وآخره براهين ساطعة وأدلة قاطعة على أن محمّداً رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من جهة وقوع ما أخبر به مطابقاً لخبره ، ومن جهة اقتران العز والظهور والسعادة باتباع سنته ، واقتران الذل والخذلان بترك أمره ومخالفته . فقد تضافرت حجج اللّه وبيناته على صدق هذا الرسول الكريم في كل عصر على ممر الدهور والأزمان.

ثم إن الفتوحات التي حصلت على أيدي غير العرب من الأمم الذين دخلوا في الإسلام ، وانتموا إلى الملة وقاموا بجهاد الأعداء المضادين لها هي من آثار الوعد الصادق من التمكين لهذه الأمة

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، في كتاب : الذكر والدعاء ، ج ٢٠٩٨:٤ ، جمع وترتيب محمّد عبدالباقي . وأخرجه أيضاً الترمذي في السنن ، ج ٣٥١:٦ . قال الترمذي: « هذا الحديث حسن غريب ».

الإسلامية في الأرض ، وظهور دينهم على غيره من الأديان ، وانتصارهم على عبـدة الأوثان والصلبان . فـليس في خروج الأمر عـن العرب في بعض الأزمان وبعض الأقطار إلى غيرهم من هذه الأمة مايقتضي نقصاً في الدين ووهناً في الملة ، فإن كل خير حصل لهذه الأمة من العرب وغير العرب . فهو من بركة اتّباع النبي - صلى الله عليه وسلم - والانتماء إلى ملته .

فصل

وأما قول النصراني :

« وهم - يعني الأتراك[1] - بعد طول محاربة للمسلمين ، دعوا إلى العهد وقبلوا الشريعة الموافقة لأخلاقهم بغير امتناع ، ونقلوا حكم الدولة لأنفسهم ... » إلى آخره .

المسلمون لم يحاربوا الترك بل حاربوا التتار.

فهذا فيه نوعان من الخطأ :

الأول منهما :

ما دل عليه كلامه من أن الأتراك الذين حاربوا المسلمين أولاً هم الذين كانت لهم الدولة آخرا .

وهذا باطل وجهل بالدول وأخبارها ، فإن الأتراك الذين حاربوا المسلمين في الحوادث المشهورة هم التتار[2] الذين خرجوا من أطراف بادية الصين ، فأفسدوا في الأرض ، وأبادوا البلاد والعباد ، وكانت منهم[3] الحادثة العظمى على بغداد سنة ٦٥٤هـ ، وبها زالت دولة بني العباس[4]

---

(١) الأتراك : اصطلح المؤرخون على إطلاق كلمة « الأتراك » على القبائل الساكنة في المناطق التي تقع شرق نهر جيحون ، وورد ذكر الترك في أحاديث نبوية شريفة .
وقد عرف الأتراك في أواخر القرن السادس الهجري الموافق للثاني عشر الميلادي .

(٢) التتار أو التتر : فرع من المغول فمن نسبهم إلى الأصل أطلق عليهم اسم المغول ، ومن نسبهم إلى الفرع أطلق عليهم اسم التتار أو التتر . وقد ظهروا على بلاد المشرق حوالي سنة ٦٢٠هـ، وأسسوا لهم دولة عظيمة في أقصر مدة .

(٣) في النسخة « ع » [وكانت لهم] .

(٤) الحادثة العظمى على بغداد : هي المعروفة بسقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ على يد القائد المغولي هولاكو خان ، وقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله والقضاء على الخلافة العباسية . (البداية والنهاية ، ج١٣ : ٢٤٨) .

من بغـداد وكان رئيسـهم (جنكيـز خان)[1] ، ثم (هولاكو)[2] بعده ، ووصلوا إلى حلب[3] وأطراف الشام ، فالتقوا هناك بالعسكر المصري ، فهزمهم اللّه - تعالى - شر هزيمة في سنة ثمان وخمسين وستمائة[4].

قال السخاوي[5] المؤرخ : «ثم لم يزل لهم بقايا يخرجون إلى أن كان آخرهم تيمور لنك[6] الأعرج، الذي خرج سنة ثلاث وسبـعين وسبعمائة. وبالجملة فلم يبق لهم على المسلمين سلطنة ، ولم تستقر[7] لهم دولة».

---

(١) جنكيز خـان : اسمه : تيمـوجين بن يسوكاي بهـاور ، وقد عرف في التاريخ بجنكيـز خان ، يرجع نسـبه إلى القبـيلة المغولية (بورجين) ، ولد حوالي سنة ٥٤٩ هـ ، وهـو مؤسّس دولة المغول ، وكان على جانب كبير من العقل والشجاعة والكرم والسياسة ، مات سنة ٦٢٤هـ / ١٢٢٧ م .

(٢) هولاكو خـان بن تولي بن جنكيـز خان ، أحد قـادة المغول ، كـان جبـاراً ، سعى في الأرض فساداً ، فأهلك الحرث والنسل ، وقضى على الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦ هـ بعد أن قتل معظم أهلها بما فيهم الخليفة العباسي . مات هولاكو خان سنة ٦٦٤ هـ/ ١٢٦٥ م .

(٣) حلب : مدينة بالـشام ، تشتـهر بالتجـارة والصناعة ، تقع نحو الـشمال من دمـشق على بعد حوالي (٣٦٠) كيلاً .

(٤) وقعت المعـركة بين الجيش المملوكي المصـري بقيادة الملك المظفـر قطز وجيش المغول بقـيادة كدبوقـانويان ، من كبـار قادة جـيوش هولاكو ، وذلك في عـين جالوت بفلسطين في شـهر رمضـان سنة ٦٥٨هـ ، فكتب اللّه فـيهـا النصر للإسـلام على يد الملك قطز ، وانهزم جـيش هولاكو خائباً .

(٥) هو محـمّد بن عبدالرحـمن بن محمّد بن أبـي بكر بن عثمان بن مـحمّد السخـاوي ، مؤرخ مشـهور، ولد سنة ٨٣١هـ بالقاهرة ، ورحل إلى عـدد من الأقطار ، ولقي كثيـراً من العلماء وأخذ عـنهم ، له عدد من المصنفـات ، منها : الضـوء اللامع في أخبـار أهل القرن التـاسع ، والتـاريخ المحـيط ، توفي بالمـدينة سنة ٩٠٢ هـ . رحـمـه الله . (مـقـدمـة الضـوء اللامع ، وشذرات الذهب ، ج ٨ : ١٥) .

(٦) هو السلطان المغولي تيمور لنك بن تار غاي بن بركل ، يرجع نسبه إلى جنكيز خان المغولي ، ولد سنة ٧٣٦ هـ ، وقد عرف في حداثته بالذكاء والحكمة والشـجاعة ، ودخل حروباً قاسية مكّنته من فرض شخصيته عـلى من حوله ، وأصبح سلطاناً على بلاد ما وراء النهر ، وامتدت دولته حتى شملت بلاد الشام ، وتوفي سنة ٨٠٧ هـ . (الضوء اللامع ، ج ٤ : ٤٦) .

(٧) في النسخة « ع » [يستقر] .

وأما الأتراك الذين كانت لهم سلطنة على المسلمين فهم طوائف، وأول حدوثهم في دول الإسلام أيام المعتصم العباسي[1] لكون السبي كثر فيهم إذ ذاك ، فاستكثر المعتصم منهم المماليك ، حتى كان أكثر عسكره منهم . ثم غلبوا على الملك - كما أشرنا إليه قريباً - حتى قتلوا ابن سيدهم المتوكل ابن المعتصم[2]، ثم خالطت المملكة بنو بويه ملوك الديلم[3]، ثم كانت الملوك السامانية[4] من الترك أيضاً، ثم غلب على الممالك آل سبكتكين[5] غلام معز الدولة ابن بويه الديلمي[6]، ثم آل سلجوق[7]، فامتدت مملكتهم من خراسان إلى العراق[8] والشام والروم، ثم كانت حادثة

---

(١) هو إبو إسحاق محمّد المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور العباسي. ولد سنة ١٨٠هـ وبويع بالخلافة على الدولة العباسية بعد أخيه المأمون سنة ٢١٨هـ، فأقام في الخلافة ثماني سنين وثمانية أشهر حيث توفي سنة ٢٢٧هـ. (تاريخ بغداد، ج ٣:٣٤٢).

(٢) هو المتوكل على اللّه جعفر بن المعتصم بن هارون الرشيد بن محمّد المهدي بن المنصور العباسي، ولد سنة ٢٠٧هـ، وتولى الخلافة بعد أخيه الواثق سنة ٢٣٢هـ، فمكث فيها أربع عشرة سنة وعشرة أشهر حيث قتل في شوال سنة ٢٤٧هـ. (تاريخ بغداد، ج ٧:١٦٥).

(٣) تقدم التعريف بهذه الأسرة ودولتهم .

(٤) السامانية : نسبة إلى آل سامان ، ومؤسّس هذه الدولة هو نصر بن أحمد بن سامان ، المتوفي سنة ٢٧٩هـ ، وكان تأسيس هذه الدولة سنة ٢٦١هـ. وقد دام حكمها حتى عام ٣٨٧هـ ، حيث سقطت في عهد الملك الساماني نوح بن منصور على يد السلطان محمّد بن بكتكين أحد ملوك الدولة الغزنوية .

(٥) آل سبكتكين : هم ملوك الدولة الغزنوية التي أسسها (ألب تكين) ، وعرفت بالدولة الغزنوية، ومن أشهر ملوكها سبكتكين وابنه محمود ، وقد امتد نفوذ هذه الدولة على بلاد الأفغان والبنجاب وخراسان من عام ٣٥١ هـ حتى عام ٥٧٩ هـ ، حيث سقطت على يد سلطان المغول غياث الدين في عهد السلطان الغزنوي خسرو شاه .

(٦) هو أبو الحسن أحمد بن الحسن بن بوية الديلمي، مؤسّس الدولة البويهية في بغداد، ولد سنة ٣٠٣هـ كان حليماً عاقلاً، وكانت مدة ولايته إحدى وعشرين سنة تقريباً، وتوفي سنة ٣٥٦هـ. (البداية والنهاية ، ج ١٢ : ٢٦٢) .

(٧) آل سلجوق: فرع من قبيلة الغز الأتراك، هاجروا من سهول تركستان، واعتنقوا الإسلام، وأسّسوا لهم دولة عظيمة. وقد تفككت هذه الدولة فيما بعد إلى دول عديدة، وكان آخر من سقط منها دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى سنة ٧٠٠ هـ/ ١٣٠٠ م .

(٨) في النسخة « ع » [إلى الشام والعراق والروم] .

التتار[1] التي زالت بها الخلافة من بغداد. ثم كانت بقايا أتباع آل سلجوق بالشام، ثم كان[2] أتباع آل زنكي - بنو أيوب الأكراد[3]-، فاستكثر بنو أيوب من المماليك الأتراك ، فغلبوهم بالديار المصرية والشامية .

وكان من هؤلاء الأتراك السلطان الملك المظفر قطز [4] الذي خرج بالعساكر المصرية إلى ملاقاة التتار بالشام في الواقعة التي أشرنا إليها[5] ، ثم كانت بعدهم الدولة الجاركسية[6] ، وكانوا مماليك للأتراك المذكورين ، استكثروا منهم ، ثم غلبوهم على المملكة ، وهم الذين أخرجهم السلطان الغوري[7] ، وكانوا أيضاً من الأتراك .

---

(١) سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ .

(٢) في النسخة « ع » [كانت] .

(٣) المؤلف - رحمه الله - دمج آل زنكي مع بني أيوب ، واعتبرهم أسرة واحدة من بني أيوب كما ترى، لكن المعروف لدى المؤرخين أنهم نوعان :

١ - الأيوبيون ، وهم أسرة من أقوى الأسر في الشرق في القرون الوسطى ، حكمت مصر والشام واليمن . وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى أيوب بن شادي والد القائد صلاح الدين الأيوبي، مؤسّس الدولة الأيوبية المشهورة .

٢ - آل زنكي، وهم أسرة أتابكية، نشأت حسب نظام استحدثه السلاجقة لرعاية شؤون الأمراء الصغار من آل سلجوق، ومن كبار الأمراء الزنكيين عماد الدين زنكي وابنه محمود.

(٤) هو سلطان مصر سيف الدين قطز بن عبدالله التركي، تولى الحكم في مصر سنة ٦٥٧هـ وقد جعل الله النصر للإسلام على يديه في وقعة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ التي هزم فيها المغول، وقد مات السلطان قطز مقتولاً سنة ٦٥٨هـ (البداية والنهاية، ج ١٣ :٢٢٥).

(٥) واقعة عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ .

(٦) الدولة الجراكسية: عرفت هذه الدولة بدولة المماليك التي قامت بالديار المصرية والشام على أنقاض الدولة الأيوبية، وأشهر ملوك الدولة الجراكسية الملك الظاهر بيبرس. وكان « آيبك الجراكسي » أول ملوك هذه الدولة فمن هنا سميت بالدولة الجراكسية .

(٧) ينسب الغوريون إلى إقليم غور من أقاليم أفغانستان في جبال هندكوش ، توسعوا في مختلف الجهات ، وجعلوا عاصمتهم مدينة «دهلي» بالهند، وفتحوا البنغال ، وسيطروا على الهند كلها ، ولكن الدولة الغورية تفككت عراها بعد أيام السلطان الغوري غياث بن سام ، وظل هذا التفكك زمناً طويلاً حتى جاء المغول . (انظر : كتاب مواطن الشعوب الإسلامية في آسيا ، لمحمود شاكر ، ج ٣ : ٤٨) .

فهذه دولة الأتراك المشهورة في الإسلام ، لم يكن ملكهم ودولتهم إلا بالطريق الذي ذكرناها .

وأما التتار فهم - وإن كان قد دخل في الإسلام منهم من شاء اللّه - فلم يبق لهم على المسلمين دولة ، ولم يستقر لهم سلطنة ، بل كان آخر أمرهم الدمار والبوار .

ومنشأ غلط النصراني هو من جهة ما يقال : إن سلاطين بني عثمان[1] كانوا في الأصل من التتار، كما هو أحد الأقوال في نسبهم[2] .

وهذا وإن كان هو الأصح في نسبهم عند البعض ، لكن دولتهم لم تنشأ من جهة التتار ولا كان لهم بها [3] تعلُّق ، وإنما كان ابتداؤها في أطراف الروم مما يلي الشام [4] .

---

(١) سلاطين بني عثمان : هم الذين عرفوا في التاريخ بالدولة العثمانية ، نسبة إلى مؤسّسها السلطان عثمان بن أرطغرل ، وبعض المؤرخين يسميها الدولة التركية.
فمن نسبها إلى مؤسّسها الأول سماها الدولة العثمانية ، ومن نسبها إلى أصل سلاطينها الترك سماها الدولة التركية، والمعنى واحد. وقد نشأت هذه الدولة حوالي سنة ٧٠٠هـ الموافق ١٣٠٠م، وأخذت في النمو والتوسع حتى أصبحت إمبراطورية مترامية الأطراف تحكم جميع الديار الإسلامية، وبلغت أوجها في حكم السلطان سليمان القانوني. وعاشت أكثر من ستمائة وعشرين سنة إلى أن سقطت في عهد السلطان عبدالحميد، على يد مصطفى كمال (أتاترك) سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩١٩م. (مقدمة كتاب قيام الدولة العثمانية ، لمحمد فؤاد) .

(٢) اختلف المؤرخون في نسب سلاطين آل عثمان :
فالبعض يرى أن أصلهم عبارة عن قبيلة صغيرة وفدت إلى الأناضول في عهد السلطان علاء الدين السلجوقي، فارةً من خوارزم ، إبان زحف جنكيز خان عليها .
والبعض الآخر يرى أن قسماً صغيراً من الأتراك الغز المعروفين بـ (قابي) وفدوا على الأناضول أيام الفتوحات السلجوقية فسكنوا في أماكن مختلفة قبل غارات جنكيز خان على خوارزم .
انظر: كتاب الشعوب الإسلامية ، د. عبدالعزيز نوار ، ص ٢٨ ، وكتاب قيام الدولة العثمانية لمحمّد فؤاد كوبريلي ، ص ١٨٠ .

(٣) في النسخة « ع » [ولا كان لهم بهم] .

(٤) بدأت الدولة العثمانية إمارة صغيرة في الشمال الغربي للأناضول ، ثم أخذت في النمو والاتساع حتى عظم شأنها ، واتسعت ممتلكاتها .

وسبب ذلك أن السلطان عثمان [1] - وهو الذي ينسبون إليه - كان هو وأبوه[2] في خدمة السلطان علاء الدين السلجوقي [3] - ملك تلك الناحية - فترقت بهم [4] الأحوال في خدمته ، فتوفي السلطان السلجوقي - ، وعثمان في خدمته ، ومن أعيان دولته - ، ولم يكن بعد السلطان من أهل بيته من يقوم مقامه ، فاتفق العسكر على تولية عثمان وتقديمه ، فتم له الأمر ولأولاده من بعده ، فافتتحوا الديار الرومية ، واستقرت بها سلطنتهم ، ثم أخذوا ممالك الشام[5] ومصر[6] والحرمين[7] من الجراكسة فيما بعد العشرين وتسعمائة[8] .

---

(١) هو السلطان عثمان بن أرطغرل بن سليمان شاه، ولد سنة ٦٥٧هـ، وعمل مع والده في خدمة السلطان علاء الدين السلجوقي. ولما توفي السلطان السلجوقي تقاسم الأمراء والقادة مملكته واستقل كل أمير بما تحت يده، فأسّس عثمان سنة ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩م دولته التي عرفت فيما بعد بالدولة العثمانية التي أخذت بالتوسع والنمو ، وتوفي عثمان سنة ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦م (تاريخ الشعوب الإسلامية، لبروكلمان، ص ٤٠٧).

(٢) هو الأمير أرطغرل بن سليمان شاه أمير عشائر الغز الأتراك الذين نزحوا من خراسان أثناء غزوات جنكيز خان ، قدم أرطغرل الأناضول وعمل في خدمة السلطان علاء الدين السلجوقي، وأصبح من خواصه، وتوفي سنة ٦٨٧هـ (تاريخ الدولة العلية، ص ٣٩).

(٣) هو السلطان علاء الدين كيقباذ بن فرامر، تولى الحكم بعد وفاة السلطان غياث الدين سنة ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م، وقد انتهى حكم السلطان علاء الدين بوفاته سنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م.

(٤) في النسخة « ع » [بهما] .

(٥) استولى العثمانيون على بلاد الشام وضموها إلى دولتهم في عهد السلطان سليم الأول سنة ٩٢٢هـ.

(٦) استولى العثمانيون على مصر وضموها إلى دولتهم سنة ٩٢٣ هـ في عهد السلطان سليم الأول .

(٧) بعد الانتصارات الحاسمة التي أحرزها السلطان سليم الأول في بلاد الشام ومصر سارع شريف مكة بركات بإرسال ابنه أبي نمي إلى مصر ؛ ليقدم الطاعة والخضوع للسلطان العثماني سليم الأول ، ويسلمه مفاتيح الحرمين الشريفين . وبهذا دخلت بلاد الحرمين في طاعة الدولة العثمانية سلماً ، وأصبحت تحت ولايتها .

(٨) سنة ٩٢٢ ، ٩٢٣ هـ كما تقدم .

النوع الثاني :

قوله [1] : « وقبلوا الشريعة الموافقة لأخلاقهم بغير امتناع » .

فتَحْتَ هذا الكلام تمويه باطل، وهو خطأ ظاهر، ثم هو مناقض لما يأتي من كلامه: «أن الشريعة الإسلامية متعلقة بالكلية بالسيف والقتال»[2].

ولكنه لما سمع بدخول من دخل في الإسلام من التتار بغير إكراه ولا قتال ، حاول أن يجعل ذلك ليس من باب الاختيار الذي دعاهم إليه ما عرفوه بعقولهم من صحة دين الإسلام وشرفه ، حتى اختاروه على دينهم، وعلى اليهودية والنصرانية، فأحال ذلك على موافقة أخلاقهم.

ومن المعلوم أن من نشأ على دين وجد عليه آباءه وأسلافه والمعظمين عنده ، فإنه لا يدعه ويؤثر غيره عليه إلا أن يحمله على ذلك رغبة أو رهبة، أو يدله العقل على فضيلة ما اختاره. فأما خلقه الموافق لهواه فإنه لا يدعوه إلى اختيار دين غير دين آبائه لا سيما والدين الذي اختاره يتضمن من التكاليف الشاقة على الأنفس ما هو مضاد لهوى النفس.

ولا ريب أن الذين دخلوا في الإسلام من أولئك التتار - وقد كانوا أهل شوكة ودولة - لم يكن لهم داع إلى ذلك من رغبة ولا رهبة ، وإنما دخلوا في الإسلام لما رأوا من شرفه وفضله بعد مخالطة المسلمين .

وهذا يدل على معنى ما أشرنا إليه فيما تقدم ، ويأتي إيضاحه فيما بعد[3] - إن شاء الله - من أن من[4] الحكمة في شرع الجهاد ليس

(١) المراد صاحب كتاب "مفتاح الخزائن" الذي يرد عليه المؤلف .

(٢) في مبحث : المقام الرابع .

(٣) تحت عنوان : مشروعية القتال في الإسلام ورد شبهات النصراني حولها .

(٤) في النسخة « ع » [من أن الحكمة في شرع الجهاد] .

إجبار الناس على الدخول في الإسلام بالظاهر دون الباطن . وإنما سيف الجهاد منفذ للشريعة موصل لها إلى أسماع المكلفين ؛ حتى يصغوا إليها ، فيعلموا أنها الحق ، فيعملوا بها باطناً وظاهراً .

ولما كان هؤلاء القوم خالطوا المسلمين ، وسمعوا القرآن ، ورأوا محاسن الإسلام دعتهم عقولهم إلى استحسانه من غير داع آخر ، ولا رغبة ولا رهبة ، مع أن إسلام أكثرهم ضعيف من جهة تساهلهم في فعل المأمورات ، وترك المحظورات ، كما ذكر ذلك العلماء بأحوالهم .

واعلم أن السنة النبوية قد أشارت إلى قتال الترك وفتنتهم ، فهو من الأعلام الظاهرة على نبوة محمّد - صلى اللّه عليه وسلم -، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم -: « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر ، وحتى تقاتلوا قوماً كأن وجوههم المجان[1] المطرقة[2] ، صغار الأعين ، ذلف الأنوف[3]» . أخرجه البخاري[4] ومسلم[5] وغيرهما[6]. وفي رواية : «حتى تقاتلوا الترك صغار الأعين ، حمر الوجوه ، فطس[7] الأنوف ، كأن وجوههم المجان المطرقة » .

---

(١) المجان : جمع مجَن ، وهو الترس .

(٢) المطرقة : هي التَي ألبست العقب ، وأطرقت به طاقة فوق طاقة .

(٣) ذلف الأنوف : جمع أذلف ، والمعنى : فطس الأنوف .

(٤) صحيح البخاري ، ج ٤ : ١٧٤ ، كتاب المناقب ، باب : علامات النبوة .

(٥) صحيح مسلم ، ج ٤ : ٢٢٣٣ ، كتاب : الفتن ، تحقيق محمّد عبد الباقي .

(٦) أخرجه أبو داود في سننه ، ج ٤ : ١١٢ ، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد. وأخرجه الترمذي وابن ماجه في : الفتن .

(٧) الفطس : تطامن قصبة الأنف وانتشارها .

وفي رواية [1] للبخاري : «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزا[2] وكرمان[3] من الأعاجم ، حمر الوجوه ، فطس الأنوف ، صغار الأعين، وجوههم كالمجان المطرقة ، نعالهم الشعر». وفي لفظ: «عراض الوجوه».

وجاء عنه - صلى اللّه عليه وسلم - أنه أخبر : « بأن الترك ستغلب على العرب حتى تلحقها بمنابت الشيح [4] والقيصوم »[5] ، وورد عنه في حديثه : « اتركوا الترك ما تركوكم ، فإن أول من يسلب أمتي ملكها بنو قنطوراء [6] » [7] .

فقد ظهر مصداق ما أخبر به - صلى اللّه عليه وسلم - في هذه الواقعة كغيرها من الغيوب التي أطلعه اللّه عليها فوقعت على وفق ما أخبر.

---

(١) في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة في باب : علامات النبوة ، ج ٤ : ١٧٤ ، طبعة إستانبول .

(٢) خوزا : هم جيل من الناس ، أو اسم لجميع بلاد خوزستان .

(٣) كُرمان - بضم الكاف - : إقليم بين فارس وسجستان .

(٤) الشيح والقيصوم : نباتان بريّان .

(٥) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٥ : ٣٠٤ رواه أبو يعلى ، وفيه جماعة لم أعرفهم .

(٦) بنو قنطوراء : الترك أو السودان أو اسم جارية لإبراهيم الخليل - عليه السلام - من نسلها الترك. والله أعلم .

(٧) أخرجه أبو داود في سننه ،ج ٤ : ١١٢ ، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد . والنسائي في السنن ، ج ٦ : ٤٣ . والبيهقي في السنن الكبرى ، ج ٩ : ١٧٦ ، الطبعة الأولى .
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج ٥ : ٣٠٤) : « رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه مروان ابن سالم وهو متروك » .

المقام الثاني

قال النصراني :

رفض دعوى النصارى قتل المسيح وصلبه .

«فصل في الرد على المسلمين بحجة مأخوذة من الكتب المقدسة التي لليهود والنصارى ، وأنها لم تتغير .

من المشهور المجتمع عليه عند المسلمين ، وما قد شهد له محمّد أن اللّه بعث موسى ، ويشوع ، الذي اسمه في العربية عيسى .

وأن الذين دعوا الناس في أول الأمر إلى قبول شريعة يشوع كانوا من أهل الصلاح ، ولكن مع ذلك توجد في القرآن أخبار عدة مخالفة لما أتى[1] به موسى وتلاميذ يشوع .

ومن جملة تلك الأخبار نقتصر على ما أوتي به من أمر يشوع :

فأما [2] الذي حقق رسله وتلاميذه بإجماع منهم كلهم أنه صلب، ومات، وفي اليوم الثالث قام من بين الأموات وشاهده عدة من الناس.

وأما المسلمون يزعمون بخلاف ذلك ، أنه رفع إلى السماء خفية ، وأن المصلوب هو الشخص المشبه به ظنوه اليهود أنه هو ، وأما يشوع فلم يصلب ، ولم يقتل .

ولا سبيل إلى فك هذا الاعتراض إلا أن يقولوا - وهو قولهم - : إن كتب موسى وتلاميذ يشوع لم تبق على ما كانت عليه أولاً ، بل إنها تغيرت . وقولهم هذا مما أبطلناه فيما تقدم .

وإنما لو قال أحد : « إن القرآن قد تغيّر » لأنكر المسلمون ذلك .

---

(١) في مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن : (لما أتوا به موسى وتلاميذ يشوع) .

(٢) في مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن : (وأما) بالواو .

وقالوا : إن في إنكارهم ذلك ما يكفي رداً على من يقول : «إنه بُدِّل» ما لم يكن له حجة يستدل بها على صحة قوله . مع أنهم لا يمكنهم أن يستدلوا على صحة كتابهم بما يعادل دلالتنا على صحة كتابنا من حيث انتشار عدة نسخ منذ أول الأمر في جميع الآفاق . لا كحال كتابهم بلسان واحد ، بل بلغات عدة ، وأنها محفوظة عند الفرق المختلفة » . هذا كلامه[1] .

والجواب عنه من وجوه :

الأول :

أن هذا الاعتراض وأمثاله نظير اعتراض اليهود على نبوة عيسى - عليه السلام - واحتجاجهم بأشياء من التوراة التي بأيديهم .

كاعتراضهم في إحلال السبت بأن في التوراة الأمر بالتمسك بالسبت ما دامت السموات والأرض .

وكاعتراضهم بما في التوراة [2] من وصف زمن المسيح مثل : أنه سيسكن الذئب مع الجمل ، والنمر مع الجدي ، والأسد مع الضأن ، وأن الطفل يلاعب الحية ، وأن جبل اللّه سيعلو على سائر الجبال ، وأن غير اليهود من الأمم سيأتون ويسجدون للّه فيه ... ، إلى غير ذلك من اعتراضات اليهود على نبوة عيسى - عليه السلام - .

وليس عند النصارى جواب عن اعتراضهم إلا وعند المسلمين من

---

(١) مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن ، نسخة المكتبة البريطانية في لندن ، ص ١١٨ .

(٢) في سفر إشَعْيَاء ، الإصحاح الحادي عشر ، النص رقم ٦ - ٩ .

الأجوبة عن اعتراض الطائفتين ما هو أظهر وأوضح ، كما سيأتي ما يتيسر من ذلك مما يتعلق بغرضنا - إن شاء اللّه[1] - .

الوجه الثاني :

أن المعجزات الظاهرة والأدلة القاطعة قد قامت على نبوة محمّد - صلى اللّه عليه وسلم - وبعد ثبوت المعجزات فلا التفات إلى مثل هذه الاعتراضات .

كما قد أجاب به النصراني عن شبهات اليهود فلا يبقى إلا التسليم لخبر من قامت المعجزة على صدقه ، فلما ثبت بالأدلة القاطعة صدق محمّد - صلى الله عليه وسلم - في خبره عن اللّه علم قطعاً كذب كل خبر يخالف ما جاء به .

يوضح ذلك **الوجه الثالث :**

وهو أن دعوى النصارى قتل المسيح ، وصلبه مستندة إلى أخبار من وضع[2] الكتب التي بأيدي النصارى ، وهي غير موثوق بها ؛ لما سنبينه من أمرها ، ولأنها كانت في أول الأمر بأيدي عدد قليل لا يستبعد تواطؤهم[3] على الكذب والتبديل والتغيير ، فلا يعارض بها خبر من جاء بالمعجزات التي لا مرية معها أنه أخبر بما أخبر به عن وحي من اللّه .

(١) في النسخة « ع » [إن شاء اللّه تعالى] .
(٢) في النسخة « ع » [من وضع تلك الكتب] .
(٣) في النسخة « ع » [تواطيهم] . والصواب : تواطؤهم .

وقد قال اللّه - تعالى - في الكتاب الذي أنزل عليه فيما ذم به اليهود: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[1] .

وكان من خبر اليهود أنهم لما بعث اللّه عيسى بالبينات والهدى حسدوه على ما آتاه اللّه من النبوة والمعجزات الباهرات التي منها : أنه يبرئ الأكمه والأبرص ، ويحيي الموتى - بإذن اللّه - ، ويصور من الطين طائراً ، ثم ينفخ فيه ؛ فيكون طائراً يشاهد طيرانه - بإذن اللـه عز وجل - ... ، إلى غير ذلك من المعجزات التي أكرمه اللّه بها ؛ فأجراها على يديه .

ومع هذا كذبوه وخالفوه ورموه وأمه بالعظائم كما قال - تعالى - في الآية:

﴿ ... وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ .

قال ابن أبي طلحة [2] عن ابن عباس : « إنهم رموها بالزنا » .

---

(١) سورة النساء ، الآيات : ١٥٦ - ١٥٨ .

(٢) هو أبو الحسن علي بن أبي طلحة سالم بن المخارق مولى آل العباس من رواة الحديث ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال النسائي : « ليس به بأس » . وقال الآجري : « مستقيم الحديث - إن شاء اللّه -». وبعضهم ضعَّفه في الحديث . واللّه أعلم .
انظر : الكاشف للذهبي ، تحقيق عزت عطية ، ج ٢ : ٢٨٧ ، وتهذيب التهذيب ، لابن حجر، ج٧:٣٣٩.

وكذا قال غير واحد من السلف ، وهو ظاهر من الآية ، فجعلوها زانية قد حملت بولدها من ذلك ، زاد بعضهم : وهي حائض[1] .

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ... ﴾ .

أي : هذا الذي يدعي لنفسه هذا المنصب وقد قتلناه ، وهذا من باب التهكم والاستهزاء كقول المشركين : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾[2] . أي : يا ذا الذي يدَّعي لنفسه ذلك ، إنك لمجنون.

والمقصود أن اليهود آذوا نبي اللّه - عليه السلام - بكل ممكن حتى جعل لا يساكنهم في بلد ، بل كان يكثر السياحة هو وأمه - عليهما السلام - حتى كان آخر ذلك أن سعوا إلى ملك دمشق [3] في ذلك الزمان، وكان رجلاً مشركاً من عبدة الكواكب من اليونان ، وأنهوا إليه أن ببيت المقدس رجلاً يفتن الناس ، ويضلهم ، ويفسد على الملك رعاياه، فغضب الملك ، وكتب إلى نائب بيت المقدس [4] : « أن يحتاط على هذا المذكور ، ويصلبه ، ويضع الشوك على رأسه ، ويكف أذاه عن الناس » . فامتثل والي بيت المقدس ذلك .

وذهب هو وطائفة من اليهود إلى المنزل الذي فيه عيسى - عليه السلام - وهو في جماعة : اثنا عشر ، أو ثلاثة عشر ، وقيل : سبعة

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ، ج ١ : ٥٧٣ ، تفسير الآية (١٥٦) من سورة النساء .

(٢) سورة الحجر ، الآية : ٦.

(٣) ذكر ابن كثير أن اسم هذا الملك (داود) .

(٤) اسمه بيلاطس البنطي (إنجيل متّى ، الإصحاح ٢٧) .

عشر نفراً. وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر إقبال [1] السبت فحصروه ، فلما أحس بهم ، وأنه لا محالة من دخولهم إليه ، أو خروجه إليهم قال لأصحابه : أيكم يُلقَى عليه شبهي وهو رفيقي في الجنة ؟

فابتدر لذلك شاب[2] منهم، فاستصغره عن ذلك؛ فأعادها ثانية، فكل ذلك لا ينتدب إلا ذلك الشاب، فقال: أنت هو، وأُلقي عليه شبه عيسى حتى كأنه هو، وفتحت روزنة في سقف الباب[3]، وأخَذت عيسى - عليه السلام - سنة من النوم، فرُفِعَ إلى السماء، وهو كذلك كما قال - تعالى -: ﴿ ... إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴾[4] .

فلما دخل أولئك النفر ورأوا ذلك الشاب ظنوا أنه عيسى - عليه السلام - ؛ فأخذوه في الليل ، وصلبوه ، ووضعوا الشوك على رأسه ، وأظهر اليهود أنهم قتلوه ، وتبجحوا بذلك ، وسلَّم لهم طوائف من النصارى ، ذلك بجهلهم وقلة عقلهم ما عدا من كان في بيت المسيح ؛ فإنهم شاهدوا رفعه ، وأما الباقون فإنهم ظنوا كما ظن اليهود أن المصلوب هو المسيح ابن مريم ، حتى ذكروا أن مريم جلست تحت ذلك المصلوب وبكت . ويقال : إنه خاطبها . والله أعلم .

وهذا كله امتحان من اللّه [5] لعباده لما له في ذلك من الحكمة البالغة، وقد وضح اللّه الأمر ، وجلاه ، وبيّنه ، وأظهره في القرآن الذي

---

(١) في النسخة « ع » [إقبال ليلة السبت] .
(٢) ذكر ابن كثير أن اسم هذا الشاب (جرجس) .
(٣) في النسخة « ع » [البيت] .
(٤) سورة آل عمران ، الآية : ٥٥ .
(٥) في النسخة « ع » [تعالى] .

أنزله على رسوله المؤيد بالمعجزات، والبينات، والدلائل الواضحات، فقال - تعالى - وهو أصدق القائلين، ورب العالمين المطلع على السرائر والضمائر الذي يعلم السر في السموات والأرض، العالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون: ﴿ ... وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ... ﴾ أي : رأوا شبهه ؛ فظنوا أنه إياه ﴿ ... وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ ... ﴾[1] ؛ يعني: من ادعى قتله من اليهود ومن سلمه لهم من جهلة النصارى كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال.

قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أحمد بن سنان [2] ثنا [3] أبو معاوية [4] عن الأعمش[5] عن المنهال بن عمرو[6] عن سعيد بن جبير[7] عن ابن عباس قال : « لما أراد

(١) سورة النساء ، الآية : ١٥٧ .

(٢) هو أحمد بن سنان بن أسد بن حبان القطان الواسطي ، حافظ من علماء الحديث ، روى عنه أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي ، له مسند مخرج على الرجال ، توفي بواسط سنة ٢٥٩هـ . (تذكرة الحفاظ ، ج ١ : ٥٢١) .

(٣) في النسخة « ع » [حدثنا] .

(٤) هو أبو معاوية الضرير محمّد بن حازم ، توفي سنة ١٩٥ هـ .

(٥) هو أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي، المعروف بالأعمش، تابعي مشهور من علماء القرآن والحديث ، توفي بالكوفة سنة ١٤٨هـ. (طبقات ابن سعد ، ج ٦ : ٢٣٨).

(٦) هو المنهال بن عمرو الأسدي ، مولاهم الكوفي ، تابعي مشهور من حفاظ الحديث ، وثقه يحيى بن معين والنسائي. توفي سنة بضع عشرة ومائة ، رحمه الله. (تهذيب التهذيب ، ج ١ : ٣٢).

(٧) هو أبو عبدالله سعيد بن جبير بن هشام الأسدي بالولاء ، أحد أعلام التابعين ، من علماء الحديث والتفسير والفقه ، كان - رحمه الله - ورعاً تقياً ، وشي به لدى الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق فقتله ظلماً سنة خمس وسبعين من الهجرة . (وفيات الأعيان ، ج ٢ : ٣٧١) .

اللّه أن يرفع عيسى إلى السماء خرج عيسى على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلاً من الحواريين - يعني فخرج عليهم - من عين في البيت ورأسه يقطر ماء ، فقال : إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة.

ثم قال : أيكم يلقى عليه شبهي ؛ فيقتل مكاني ، ويكون معي في درجتي ؟ فقام شاب من أحدثهم سناً فقال : أنا ، فقال له : اجلس . ثم أعاد عليهم ، فقام الشاب فقال : أنا ، فقال : أنت هو ذاك ، فأُلقي عليه شبه عيسى ، ورُفِعَ عيسى من روزنة[1] في البيت إلى السماء ، وجاء الطلب من اليهود ، فأخذوا الشبيه ، فقتلوه ، ثم صلبوه ، فكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة من بعد أن آمن به ، وافترقوا ثلاث فرق :

فقالت طائفة : كان اللّه فينا ما شاء ، ثم صعد إلى السماء . وهؤلاء اليعقوبية[2] .

وقالت فرقة[3]: كان عبدالله ورسوله ، ثم رفعه إليه. وهؤلاء المسلمون.

وقالت طائفة : هو ابن اللّه ، كان فينا ما شاء ، ثم رفعه إليه ، فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها . فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعث اللّه محمّداً - صلى الله عليه وسلم - » . وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس[4]، قاله الحافظ ابن كثير[5] .

قال: « ورواه النسائي عن أبي كريب[6] عن أبي معاوية بنحوه » .

---

(١) الروزنة : الكوة ، وهي الخرق في الحائط .

(٢) تقدم التعريف بهذه الفرقة .

(٣) في النسخة « س » [طائفة] .

(٤) في النسخة « ع » [رضي اللّه عنهما] .

(٥) تفسير ابن كثير ، ج ١ : ٤٥٦ .

(٦) هو محمّد بن العلاء بن كريب الكوفي الحافظ ، ولد سنة ١٦١هـ من رواة الحديث ، ذكره ابن حبان في الثقات، توفي سنة ٢٤٨هـ. (تهذيب التهذيب، ج ٩ : ٣٨٥).

وكذا ذكر غير واحد من السلف أنه قال : أيكم يلقى عليه شبهي؛ فيقتل مكاني وهو رفيقي في الجنة ؟ . وللقصة طرق كثيرة ملخص الصحيح منها ما قدمنا[1] .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[2] .

قال[3] ابن عباس[4] في قوله : ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ قال : « قبل موت عيسى » .

قال العوفي[5] عنه : « عند نزول عيسى لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به » ، وقيل : « قبل موت الكتابي » . والصحيح القول الأول ؛ لأن المقصود من سياق الآية كما قال ابن كثير[6] : « تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه ، وتسليم من سلم لهم ذلك من النصارى.

فأخبر اللّه أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شُبِّهَ لهم، فقتلوا الشبيه،

---

(١) القصة التي أشار إليها المؤلف أوردها الحافظ ابن كثير في تفسيره للآية (١٥٩) من سورة النساء، ج١ : ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، طبعة دار المعرفة ، بيروت .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٥٩ .

(٣) انظر قول ابن عباس في تفسير ابن كثير ، ج ١ : ٥٧٦ .

(٤) في النسخة « ع » [رضي اللّه عنهما] .

(٥) هو أبو الحسن عطية بن سعد بن جنادة العوفي الجدلي الكوفي ، تابعي مشهور ، ضعّف حديثه الإمام أحمد والنسائي وأبو حاتم وابن حبان ، ووثّقه ابن سعد . توفي سنة ١١١ هـ . (طبقات ابن سعد ، ج ٦ : ٣٠٤) .

(٦) انظر : تفسير ابن كثير ، ج ١ : ٥٧٧ ، طبعة دار المعرفة ، بيروت .

نزول عيسى في آخر الزمان.

وأنه رفعه إليه ، وأنه باق حي ، وأنه سينزل قبل يوم القيامة . كما دلت عليه الأحاديث المتواترة [1] ، فيقتل مسيح الضلالة ، ويكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ؛ أي : لا يقبلها من أحد ، بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف .

وأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ، ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ﴾ [2] . أي : بأعمالهم التي شاهدها منهم قبل رفعه وبعد نزوله إلى الأرض » .

وفي الصحيحين [3] وغيرهما [4] عن أبي هريرة [5] قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: « والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل عيسى ابن مريم حكماً عدلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى تكون السجدة خيراً من الدنيا وما فيها».

ثم قال أبو هريرة اقرؤوا [6] : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ﴾ .

---

(١) المتواترة : من التواتر ، وهو التتابع . والحديث المتواتر : هو ما نقله عدد كثير من الرواة تحيل العادة والعقل تواطؤهم على الكذب، وذلك من ابتداء السند إلى انتهائه ، ويكون إخبارهم عن شيء محسوس عن مشاهدة أو سماع . انظر : قواعد التحديث للقاسمي ، تحقيق بهجة البيطار ، ص ١٢٨.

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٥٩ .

(٣) في صحيح البخاري ، ج ٤ : ١٤٣ كتاب : الأنبياء ، باب : نزول عيسى ابن مريم . طبعة المكتبة الإسلامية بإستانبول .

(٤) في جامع الترمذي في كتاب: الفتن، وفي سنن أبي داود في كتاب: الملاحم، ج ٤: ١١٧ .

(٥) في النسخة « ع » [رضي الله عنه] .

(٦) في النسخة « ع » [اقرؤوا إن شئتم] . فأثبت جملة (إن شئتم) .

وروى الإمام أحمد في مسنده [1] وأبو داود في سننه [2] وغيرهما[3] عن أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :

« الأنبياء إخوة العلات ، أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد . وإني أوْلى الناس بعيسى ابن مريم ؛ لأنه لم يكن نبي بيني وبينه ، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان مخضران، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ، فيقذف الصليب ، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية[4] ، ويدعو الناس إلى الإسلام ، ويهلك في زمانه المسيح الدجال، ثم تقع الأمنة في الأرض ، ثم ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، وتلعب الصبيان بالحيات ، لا تضرهم[5] ، فيمكث في الأرض أربعين سنة ، فيتوفى ، ويصلي عليه المسلمون».

والأحاديث في هذا المعنى والأخبار بنزول عيسى كثيرة مقطوع بها. وهذا كله معلوم من نعته عند أهل الكتاب .

لكن النصارى ظنوا أن نزوله ومجيئه مرة أخرى إنما يكون يوم القيامة ، فغلطوا في مجيئه الثاني ، كما غلطوا في مجيئه الأول حيث ظنوا أنه اللّه .

واليهود أنكروا مجيئه الأول وظنوا أنه غير المبشر به ، وصاروا ينتظرون غيره . وإنما بعث إليهم أولاً ، فكذبوه ، فجاء القرآن بالحق من

---

(١) مسند الإمام أحمد ، ج ٢ : ٤٠٦ ، طبعة المكتب الإسلامي بيروت .

(٢) في سنن أبي داود ج ٤ : ١١٨ ، كتاب : الملاحم باب : خروج الدجال ، تحقيق محمّد محيي الدين عبدالحميد.

(٣) في صحيح البخاري وفي صحيح مسلم وفي جامع الترمذي ، وتقدم ذكر مواضعه .

(٤) الجزية لغة : على وزن فِعْلَة من جزى يجزي إذا كافأ عما أسدي إليه . وشرعاً : مقدار من المال يدفعه المعاهد من أَهل الكتاب للمسلمين لقاء إقامته في دار الإسلام كل عام.

(٥) في النسخة « ع » [لا يضرهم] .

أمره وبقاء حياته في السماء ، وأنه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة؛ ليكذب هؤلاء ، وهؤلاء من اليهود والنصارى الذين تباينت فيه أقوالهم، وخرجوا عن الحق ، فتنقصه اليهود ، ورموه بالعظائم[1] ، وأطراه النصارى ، فادعوا فيه الربوبية - تعالى الله عن قول هؤلاء وقول هؤلاء علواً كبيراً - .

والنصارى لم يؤمنوا بنزوله قبل يوم القيامة لم ينفصلوا عن شبهة اليهود المأخوذة من نعت زمان المسيح المذكور في التوراة - كما أشرنا إليه قريباً - ، واضطروا إلى تأويل ذلك الوصف على المجاز البعيد الذي يعلم كل أحد أنه غير مراد .

قال شيخ الإسلام أبو العباس[2] :

والمسلمون واليهود والنصارى متفقون على أن الأنبياء أنذرت بالمسيح الدجال ، وعلى أن الأنبياء بشروا بالمسيح من ولد داود ، ومتفقون على أن مسيح الضلالة له آيات ، وعلى أن مسيح الهدى سيأتي أيضاً .

ثم المسلمون والنصارى متفقون على أنه عيسى ، واليهود تنكر ذلك مع إقرارهم أنه من ولد داود . قالوا : لأنه تؤمن به الأمم كلها ، والنصارى مقرون بأنه بعث ، وأنه سيأتي ، لكن يقولون : يوم القيامة ؛ ليجزي الناس بأعمالهم .

---

(١) في النسخة « س » [بالعظايم] بالياء .

(٢) ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج ٣ : ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

وأما المسلمون فآمنوا بما أخبرت به الأنبياء على وجهه . وهو موافق لما أخبر به خاتم الرسل في الأحاديث المشار إليها .

الوجه الرابع :

شك النصارى في كتبهم

ما اعترف به النصراني في المقالة الأولى من كتابه [(١)] من حصول الاختلاف بين النصارى في صحة بعض هذه الكتب التي هي عمدتهم في الدين - بزعمهم - ، وأنهم في أول الأمر شاكون فيها ، كرسالة بطرس[(٢)] الثانية ، ورسالتي يعقوب [(٣)] ويهوذا [(٤)] ، والرسالتان المنسوبتان إلى يوحنا [(٥)] ، أي : الرؤيا والرسالة إلى العبرانيين .

ولم يجب النصراني عن هذا الإيراد إلا بأنها كانت مقبولة في بعض الكنائس ، ثم بعد ذلك حصل اتفاق النصارى عليها .

---

(١) مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن ، ص ٤٩ ، نسخة المكتبة البريطانية في لندن .

(٢) بطرس : هو سمعان بن بونا الرسولي ، أحد الحواريين الاثني عشر ، ولد في صيدا ، ومات بعد عام ٥٥م. ورسالته الثانية التي أشار إليها المؤلف قصيرة تتضمن ثلاثة إصحاحات، ولا تتجاوز أربع صفحات، وقد طبعت ضمن الكتاب المقدس (الإنجيل).

(٣) هو يعقوب بن زبدي الصياد الحواري . المعروف لدى النصارى بيعقوب البار ، وقد قتله اليهود سنة ٦١ ميلادية .
ورسالته المشار إليها تتضمن خمسة إصحاحات ، ولا تتجاوز ست صفحات ، وقد طبعت ضمن الكتاب المقدس (الإنجيل).

(٤) هو يهوذا الإسخريوطي ، أحد تلاميذ المسيح الاثني عشر ، ورسالته التي أشار إليها المؤلف قصيرة جداً لا تتجاوز صفحتين، وقد طبعت ضمن الكتاب المقدس (الإنجيل).

(٥) كذا في الأصل ، والصواب : والرسالتين المنسوبتين إلى يوحنا . ويوحنا هو يوحنا بن زبدي الصياد الحواري ، أحد تلاميذ المسيح ، وصاحب الإنجيل الذي ينسب إليه (إنجيل يوحنا) ، مات في أفسس .
والرسالتان اللتان أشار إليهما المؤلف ونسبهما إلى يوحنا :
الأولى تعرف برؤيا يوحنا اللاهوتي ، وتتضمن اثنين وعشرين إصحاحاً . والثانية تعرف بالرسالة إلى العبرانيين ، وتتضمن ثلاثة عشر إصحاحاً . والرسالتان طبعتا ضمن الكتاب المقدس (الإنجيل) .

ولا ريب عند كل ذي لب صحيح أن هذا يمنع الثقة بشيء من كتبهم ، حيث قبلوا ما كان مشكوكاً فيه عند أوائلهم أو مردوداً مكذوباً، ثم عمدوا إليه ، فألحقوه بإنجيل المسيح الذي زعموا أنه لم يغير ، ولم يبدل ، فإن مثل هذا لا يرتضيه ثقات المؤرخين أن يضعوا في كتبهم ما يكون مستنداً إلى الشك وعدم الثقة ، فكيف بكتب الشريعة المنسوبة إلى الأنبياء المجعولة عمدة في الدين ؟

فهذا أوضح دليل وأظهر برهان على جهالة الأمة الضالة بالعلم الصحيح الموروث عن المسيح - عليه السلام - ، بل قد التبس عليهم الصدق بالكذب ، والصحيح بالسقيم ؛ لأنه ليس لهم من الحفاظ المتقنين الذين ينفون عن دين الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، كما لهذه الأمة الإسلامية من الأئمة العلماء والسادة الأتقياء ، والبررة النجباء ، من الجهابذة النقاد ، والحفاظ الجياد الذين دونوا الحديث ، وحرروه ، وبينوا صحيحه[1] من حسنه[2] من ضعيفه[3] ومنكره[4]

---

(١) الحديث الصحيح: عرفه ابن الصلاح بقوله: «هو الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه ، ولا يكون شاذاً ولا معللا ». (علوم الحديث لابن الصلاح، ص١٠) .

(٢) الحديث الحسن : عرفه ابن الصلاح بقوله : «أن يكون راويه من المشهورين بالصدق والأمانة غير أنه لم يبلغ درجة رجال الصحيح لكونه يقصر عنهم في الحفظ والإتقان مع سلامة الحديث أن يكون شاذاً أو منكراً . وقد سمي حسناً لحسن الظن براويه». (علوم الحديث لابن الصلاح ، ص ٢٨) .

(٣) الحديث الضعيف : عرفه الإمام النووي بقوله : « هو ما لم يوجد فيه شروط الصحة ولا شروط الحسن » . (شرح النووي على صحيح مسلم ، ج ١ : ١٩) .

(٤) الحديث المنكر : هو الحديث الفرد الذي لا يعرف متنه عن غير راويه ، وكان راويه بعيداً عن درجة الضابط . (قواعد التحديث للقاسمي ، ص ١١٢) .

ومتروكه[1] ومكذوبه[2] ، وعرفوا الوضّاعين[3] والكذابين والمجهولين[4] ، وغير ذلك من أصناف الرجال .

كل ذلك صيانة للجناب النبوي ، والمقام المحمدي خاتم الرسل وسيد البشر - صلى الله عليه وسلم - أن ينسب إليه كذب أو يُحَدَّث عنه بما ليس عنه . فضلاً عن عنايتهم بنقل القرآن وحفظه حتى لا يشك في حرف من حروفه أنه من عند الله . فرضي الله عنهم ، وأرضاهم ، وجعل جنة الفردوس مأواهم . وقد فعل .

الوجه الخامس :

إتقان علماء المسلمين لرواية الحديث عن الرسول - صلى الله عليه وسلم -

أن هذه الكتب كما يدل عليه صريح كلام النصراني لم تتلق إلا من صحف وُجدت بأيدي النصارى . لا كحال المسلمين في تلقي القرآن من أفواه الثقات المتقنين قرنا بعد قرن حتى لم يقع اختلاف بينهم في حرف واحد أنه من القرآن .

---

(١) الحديث المتروك : هو ما يرويه متهم بالكذب ، ولا يعرف إلا من جهته ، ويكون مخالفاً للقواعد المعلومة أو معروفاً بالكذب في غير الحديث النبوي أو كثير الغلط أو الفسق أو الغفلة . (قواعد التحديث ، ص١١٢) .
ولمعرفة المزيد عن أنواع الحديث انظر : كتاب علوم الحديث لابن الصلاح ، والجزء الأول من شرح الإمام النووي على صحيح مسلم ، وقواعد التحديث للقاسمي .

(٢) الحديث المكذوب : هو الحديث الموضوع ، الكذب المختلق المصنوع ، بأن يروي عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ما لم يقله ، وحكم هذا الحديث الرد فلا يجوز ذكره إلا مقروناً ببيان وضعه للتحذير منه . (قواعد التحديث للقاسمي ، تحقيق بهجة البيطار ، ص ١٣٢) .

(٣) الوضاعون : جمع واضع ، وهو الذي يضع حديثاً كذباً على النبي - صلى الله عليه وسلم - بأنه قال كذا وكذا وهو لم يقل .

(٤) المجهولون : مفرده مجهول ، وهو مجهول الحال فلا تعرف عدالته من عدمها .

ولا كنقلهم لحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وأخباره وسيرته وسيرة أصحابه ، حيث رووا ذلك كله بالأسانيد [1] الصحيحة الموثوق برجالها ، المعروفين بالصدق والأمانة وتمام الثقة ، وميزوا الصحيح [2] من المعلول [3] والمجروح [4] من المقبول [5] كما قال أبو العباس الدغولي [6] : «سمعت محمد بن حاتم بن المظفر يقول: إن الله - تعالى - قد أكرم هذه الأمة وشرَّفها وفضَّلها بالإسناد ، وليس لأحد من الأمم كلها قديمها وحديثها إسناد ، إنما هي صحف في أيديهم ، وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم ، فليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة والإنجيل ، وبين ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار التي اتخذوها عن غير الثقات .

وهذه الأمة الشريفة - زادها الله شرفا بنبيِّها - إنما تنص الحديث عن الثقة المعروف في زمانه بالصدق والأمانة عن مثله حتى تتناهى أخبارهم ، ثم يبحثون أشد البحث حتى يعرفوا الأحفظ فالأحفظ ، والأضبط فالأضبط ، والأطول فالأطول مجالسة لمن فوقه ممن هو أقصر مجالسة ، ثم يكتبون الحديث الواحد من عشرين وجهاً فأكثر ، حتى هذّبوه من الغلط والزلل ، وضبطوا حروفه ، وعدّوه عدّا» [7] .

---

(١) الأسانيد : جمع إسناد ، وهو رفع الحديث إلى قائله .

(٢) الإسناد الصحيح : ما توفر في رواته أمران : العدالة والضبط .

(٣) الإسناد المعلول : ما كان فيه علة سواء كانت خفية أو ظاهرة .

(٤) الإسناد المجروح : ما طعن في أحد رواته ؛ إما في العدالة ، وإما في الضبط .

(٥) الإسناد المقبول : ما توفرت فيه صفات القبول ، فإن كان أعلاها فالصحيح ، وإن كان أدناها فالحسن .

(٦) هو الحافظ الإمام أبو العباس محمد بن عبدالرحمن بن محمد السرخسي الدغولي ، من أئمة الحديث، له معجم في الحديث ورجاله، وتوفى سنة ٣٢٥هـ. (تذكرة الحفاظ، ج ١ : ٤١) .

(٧) انظر : كتاب شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ، ص ٢٣ ، وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ، ج ٥ : ٣٩٣ ، الطبعة الأولى .

فهذا من فضل الله على هذه الأمة ، فنستودع الله - تعالى - شكر هذه النعمة وغيرها من نعمه .

قال أبو حاتم الرازي[1] :

« لم يكن في أمة من الأمم - منذ خلق الله آدم - أئمة يحفظون آثار الرسل إلا في هذه الأمة فقال له رجل : يا أبا حاتم ربما رووا حديثاً لا أصل له ؟ فقال : علماؤهم يعرفون الصحيح من السقيم »[2] .

الوجه السادس :

أمثلة من اختلاف كتب النصارى .

أن الاختلاف والتناقض والإخبار بأشياء على غير ما هي عليه واقع في هذه الكتب ، فكان ذلك دليلاً على التغيير والتبديل ؛ فإن ما كان من عند الله لا يكون فيه اختلاف ولا تناقض .

ومن أمثلة ذلك ما وقع في "إنجيل متّى"[3] ، وهو عند النصارى أصح الأناجيل وعمدتها ؛ فإنه بعد أن ذكر فيه أن الذي دل اليهود على عيسى بما بذلوا له من الفضة ندم وطرح الفضة في الهيكل عند اليهود ومضى، وخنق نفسه ، وأن اليهود قالوا: هذه الفضة لا تحل لنا ؛ فابتاعوا بها حقل الفخاري مقبرة للغرباء .

---

(١) هو أبو حاتم الرزاي محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي ، ولد في الري سنة ١٩٥هـ من حفاظ الحديث ، له عدة مصنفات ، منها : طبقات التابعين ، وكتاب الزينة ، وتوفي في بغداد سنة ٢٧٧هـ . (تهذيب التهذيب ، ج ٩ : ٣١) .

(٢) انظر هذا القول في كتاب شرف أصحاب الحديث ، للخطيب البغدادي ، ص ٢٤ .

(٣) متّى : أحد تلاميذ المسيح الاثني عشر ، كان يعمل عشاراً للدولة الرومانية ، وبعد اتصاله بالمسيح أصبح ناشراً للديانة النصرانية حتى مات حوالي عام ٧٠م ، وله إنجيل يعرف باسمه كتبه حوالي عام ٤١م. (محاضرات في النصرانية لأبي زهرة، ص ٤٩).

قال : (حينئذ ثم ما قيل في أرميا النبي القائل : وأخذوا الثلاثين فضة ثمن المثمن الذي أثمنوه من بني إسرائيل ، وجعلوها لحقل الفخاري كما أمرني به الرب) [1] . انتهى .

وهذا المذكور لا وجود له في "صحيفة أرميا" التي بأيدي اليهود ، كما حقق ذلك من له خبرة بكتبهم . وحينئذ فلا يخلو : إما أن يكون هذا الكلام لا وجود له في "صحيفة أرميا" أصلا ، فتكون نسبته إليها من الزيادة في "إنجيل متّى" . أو أن يكون قد نقّص وحُذف من "صحيفة أرميا"، فيكون من تحريف النقصان .

فقد ثبت التحريف إما في العهد العتيق بالنقصان أو في الجديد بالزيادة . وهو المطلوب .

وعندهم مما يدل على التحريف أشياء كثيرة ، ولم ينفصلوا عن هذا الإيراد إلا باحتمال أن يكون ذلك من غلط الكاتب ، وحينئذ فنقول: إذا احتمل أن يكون من غلط الكاتب. ولم يكن في النصارى إذ ذاك من يبين الغلط، وينفي التحريف، ويصلح التصحيف دلَّ على أنهم قبلوا من ذلك الكاتب ما ألقاه إليهم من هذه الكتب من غير علم بصحتها عمن نسبت إليه ؛ فسقطت الثقة بها .

يقرر ذلك **الوجه السابع :**

وهو أن هذه الكتب لما لم تتلق إلا من الصحف التي وصفناها كما اعترف به الخصم ، وليست بيد من هو معلوم الثقة والأمانة ، ولم تنقل

(١) الإصحاح السابع والعشرون من إنجيل متّى ، النص رقم (٩) .

من طريق أهل التواتر ؛ الذي ينفي عنها تطرق التهمة ، لم يصح أن يستند إليها في دين الله وشرعه ، فكيف يعارض بها ما جاء به صاحب المعجزات القاطعة الذي ظهرت أدلة صدقه أعظم من ظهور الشمس ، فقد علم يقينا أن كل ما خالف خبر من دلت المعجزة على صدقه فهو كذب مردود .

وأما ما احتج به النصراني من انتشار نسخ هذه الكتب في الآفاق فهو غير مفيد للعلم بصحة أصلها ؛ لأنا نقول : لما خالف بعض ما فيها خبر صاحب المعجزة علمنا أن التغيير قد حصل فيها قبل الانتشار المانع من حصول التواطؤ [1] على الكذب .

القطع بصحة القرآن وأنه كما جاء عن الله .

وهذا بخلاف ما وقع في نقل القرآن العزيز، فإن الله - تعالى ، وله الحمد - قيَّض له من أسباب الحفظ والضبط ما لم يقع نظيره لغيره من الكتب ، حتى حصل تمام اليقين الذي لا يخالجه شك ، ولا يرد[2] عليه شبهة أن القرآن الذي تضمنه المصحف هو القرآن الذي جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وهذا مما يعترف به الموافق والمخالف.

والقول بخلاف ذلك قدح في الضروريات ؛ لأنه من المعلوم بالتواتر الذي لا مرية فيه أن الصحابة تلقوه عن نبيهم [3] ، وكتبوه في الصحف في حياته ، وإن لم يكن إذ ذاك مجموعاً في مصحف واحد.

---

(١) في النسختين « ع » و « س » [التواطي] . والصحيح [التواطؤ] .
(٢) هكذا في النسخ كلها ، والأصح : ترد .
(٣) في النسخة « س » [صلى الله عليه وسلم] .

وأيضاً فـقد حفظه كله عن ظهر قلب جـماعة من الصحـابة تلقوه من فم محمد - صلى اللّه عليـه وسلم - من أوله إلى آخره ، وتوفي رسول الله - صلى اللّه عليـه وسلم - وأصحابه متـوافرون ، فألهم الله خليـفة رسوله أبا بكـر الصديق [1] أن يجمع القـرآن في المصحف حداثة العـهد بوفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه مـتوافرون ، فجمعوه بحضور علمـائهم ، وسُبّاقهم من المهاجرين والأنصـار الذين عرفوا كل آية منه ، وكل سورة مـتى نزلت ، وفي أي شيء نزلت ، وتلقوه غـضا طريا عن نبيهم - صلى اللّه عليه وسلم - ، وأتقنوه علماً وعملاً .

كما قال الأعمش : عن أبي وائل[2] عن عبد الله بن مسعود[3] قال : « كـان الرجل منا إذا تعـلم عـشـر آيات لم يتـجـاوزهن حـتى يعـرف معانيهن والعمل بهن »[4] .

وقال أبو عبد الرحمن السلمي[5] :

« حدَّثنا الذين كانـوا يقرئوننا أنهم كانوا يستـقرئون من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لـم يخلفوهن

---

(١) في النسخة « ع » [رضي الله عنه] .

(٢) هو أبو وائل شقـيق بن سلمة الأسـدي الكوفي، أدرك رسول الله - صلى الله عـليه وسلم - ولم يلقه ، من رواة الحديث ، توفي سنة ٨٢ هـ. (طبقات ابن سعد ، ج ٦ : ١٨٠).

(٣) في النسخة « ع » [رضي الله عنه] .

(٤) روى هـذا الأثـر ابن جـرير الطبـري في تفسـيره ، ج ١ : ٨٢ ، تحقيـق أحمـد ومحمـود شـاكـر . قـال المحقق : « إسناده صحيح متصل » . كما ذكـره الحافـظ ابن كثير في تفسيره ج ١ : ٣ .

(٥) هو أبو عبدالرحمن عبدالله بن حبيب بن ربيـعة السلمي الكوفي مقرئ الكوفة وعالمها، توفي سنة ثلاث وسبعين من الهجرة (٧٣ هـ). (تذكرة الحفاظ، ١ : ٥٨).

حتى يعملوا بما فيها من العلم قال : فتعلمنا القرآن والعمل جميعا»[1] .

والمقصود أن القرآن نقل بالتواتر عن محمد - صلى الله عليه وسلم - من أول الأمر حتى لا يتطرق الشك إلى حرف واحد منه أنه من القرآن .

ولم يقيض لمن قبلنا من حفظ الكتب وضبطها ما يقارب ذلك ؛ فإنا قد دلّلنا على وقوع التحريف والتصحيف في كتب النصارى بما لا يمكنهم دفعة ، فضلاً عما اعترفوا به من الشك في بعضها من أصله .

وأما كتابنا فإن أحداً لو حاول أن يغيِّر حرفاً أو نقطة منه لقال له أهل الدنيا : هذا كذّاب . حتى إن الشيخ المهيب لو اتفق له تغيير في حرف منه لقال الصبيان كلهم : أخطأت أيها الشيخ ، وصوابه كذا .

ولم يتفق لشيء من الكتب مثل هذا الكتاب العزيز الذي صانه الله عن التحريف ، وحفظه عن التغيير والتصحيف ، مع أن دواعي الملحدة واليهود والنصارى متوافرة [2] على إفساده وإبطاله ، وانقضى الآن ما ينيف على ألف ومائتين وأربعين سنة [3] من أول نزوله وهو بحمد الله في زيادة من الحفظ .

---

(١) تفسير الطبري ، ج ١ : ٨٢ ، تحقيق أحمد ومحمود شاكر ، وتفسير ابن كثير ، ج ١ : ٣ ، طبعة دار إحياء الكتب ، وطبقات ابن سعد ، ج ٦ : ٢٧٢ .

(٢) في النسختين « س » و « ع » [متوفرة] بدون الألف بعد الواو .

(٣) هذا وقت تأليف هذا الرد حوالي عام ١٢٤٠هـ .

دعوى قتل المسيح وصلبه تنافي دعوى ألوهيته .

الوجه الثامن :

أن دعوى النصارى قتل المسيح وصلبه يناقض دعواهم ربوبيته ؛ حتى صاروا ضحكة للسفهاء ، ومثلة عند العقلاء في جمعهم بين النقيضين . وقد قال أبو العلاء المعري [1] :

عجبا للمسيح بين النصارى ... وإلى أي والد نسبوه !

أسلموه إلى اليهود وقالوا : ... إنهم بعد قتله صلبوه

فإن كان ما يقولون حقا ... فسلوهم [2] في أين كان أبوه؟

فإن كان ساخطا بأذاهم ... فاعبدوهم لأنهم غلبوه [3] !

هذا وقد زعموا أن كتابهم الذي بأيديهم تضمن هذين الأمرين الباطلين ، واجتماعهما أفسد شيء ببديهة العقل ، مع أن كلا منهما باطل وضلال .

فبحيث زعموا أن كتابهم تضمن هذا المحال علمنا قطعاً وقوع التغيير والتبديل فيه ، وأيضاً فدعوى إلهية [4] المخلوق محال في العقل على انفرادها .

وأما عدم قتله وصلبه فإنما علمناه بالسمع .

---

(١) هو أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي المعري ، ولد سنة ٣٦٣ هـ في معرة النعمان بالشام ، وأصيب بالجدري وهو صغير ؛ فكف بصره ، شاعر مشهور توفي سنة ٤٤٩هـ . (وفيات الأعيان ، ج ١ : ١١٣) .

(٢) في النسخة « س » [فاسئلوهم] . والصواب : فاسألوهم .

(٣) ديوان اللزوميات ، لأبي العلاء المعري ، تحقيق أمين الخانجي ، ج ٢ : ٤١٩ ، طبعة مكتبة الهلال بيروت .

(٤) في النسخة « س » [الإلهية] .

القرآن مصدق لما بين يديه من الكتب ومهيمن عليه .

الوجه التاسع :

أن القرآن جاء بموافقة التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الأنبياء في الخبر عن الله - تعالى - وعن اليوم الآخر، وزاد ذلك تفصيلا وبيانا، وبيّن الأدلة والبراهين على ذلك، وقرر نبوة الأنبياء كلهم ورسالة المرسلين، وقرر الشرائع الكلية التي بعثت بها الرسل كلهم ، وجادل المكذبين بالكتب والرسل بأنواع الحجج والبراهين ، وبيّن عقوبات الله لهم، ونصره لأهل الكتب المتبعين لها .

وهذا معنى كون القرآن مصدقاً لما بين يديه من الكتاب كما قال - تعالى - : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ... ﴾ [1] .

وقال - تعالى - : ﴿ الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ... ﴾ [2] .

والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وذلك برهان عظيم على أنه من عند الله ، وأن الرسول الذي جاء به صادق .

فإنه لما جاء بما يطابق ما جاء به من قبله من الرسل مع تباعد الزمان وشهادة أعدائه ، وإقرارهم بأنه لم يتلقه من بشر .

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٤٨ .

(٢) سورة آل عمران ، الآيات : ١ - ٤.

ولهذا يمتحنونه بأشياء كـانوا يعلمون أنه لا يخبر بها إلا نبي أو من قد أخذ عنه ، وهم يعلمون أنه لم يأخـذ عن أحد ألبتة ، ولو كان ذلك لوجد أعـداؤه السبيل إلى الطعن عليه ومـعارضته بمثل مـا جاء به . إذ من الممكن أن لو كـان ما جـاء به مأخـوذاً عن بشر أن يأخـذوا هم عن ذلك البشر أو عن نظيره ، فيعارضوا ما جاء به .

وسيأتي مزيد لهذا المعنى فيما بعد [١] - إن شاء الله تعالى - .

والمقصـود أنه لما طابق الكتب المتقدمـة وصدقهـا وشهد بصحـة ما أنزل الله فيها من غير مـواطأة ولا اقتباس منها ، دل على أن الذي جاء به رسول صـادق ، كما أن الذي جـاء بها كـذلك ، وأن مخرجـها من مشكاة واحدة .

كما قال النجاشي[٢] - ملك الحبشة وأحد علماء النصارى - حين قـرئ عليه القـرآن : « هذا والذي جاء به مـوسى [٣] يخرج من مـشكاة واحـدة »[٤]؛ يعنـي فـإذا كان موسى صـادقاً وكتابه حقاً فـهذا كذلك .

---

(١) تحت عنوان : وجوه إعجاز القرآن .

(٢) النجاشي: لقب لكل من ملك بلاد الحبشة، واسم هذا النجاشي أصحمـة بن الحر ، ذكره ابن كثير ، وتشـير بعض الروايات إلى أنه قـد أسلم وأن النبي - صلى الله عليـه وسلم - صلى عليه بالمدينة صـلاة الغائب حين مات . فقد أخـرج البخاري في صحيـحه عـن أبي هريرة - رضي الله عنه -: «أن النبي - صـلى الله عليه وسـلم - نعى النجاشـي في اليوم الذي مـات فيه، وخرج بهم إلى المصلى؛ فصف بهم ، وكبَّر عليه أربع تكبيرات».
(الجامع الصحيح ، ج ٢ : ٩١ ، ودلائـل النبـوة للبيهقـي ، ج ٢ : ٧٨ ، والبداية والنهاية ، ج ٣ : ٣٠٧).

(٣) في النسخة « ع » [عيسى] .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج ١:٢٠٢، ج ٥:٢٩١، من رواية أم سلمة أم المؤمنين - رضي الله عنهـا - في خبـرهـا الطـويل عـن الهجـرة الأولى إلى الحبشـة. قال الهيثمـي في مجمع الزوائـد، ج ٦ : ٢٤ - ٢٦ : « رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح ».

حيث أخبر بما أخبر به من غير مواطأة ولا تساعد ولا تلقي عمن أخذ عنه، ويكون ذلك دليلاً على صدق الرسول الأول أيضاً .

ونظير هذا أن يشهد رجل بشهادة فيخبر فيها بما يقطع معه بأنه صادق في شهادته صدقاً لا تتطرق إليه شبهة ، فيجيء آخر من بلاد أخرى لم يجتمع بالأول ولم يتواطأ معه ، فيخبر بمثل تلك الشهادة سواء، مع القطع بأنه لم يجتمع به ولا تلقاها من أحد اجتمع به .

فهذا يكفي في صدقه إذا تجرد الإخبار ، فكيف إذا اقترن بأدلة قُطِعَ بها بأنه صادق أعظم من الدلالة التي اقترنت بخبر الأول ، فكيف إذا بَشَّر به الأول ، فكيف إذا اقترن بالثاني من البراهين الدالة على صدقه نظير ما اقترن بالأول وأقوى منها ؟

وكثيراً ما يتكرر هذا المعنى في القرآن ، إذ في ضمنه الاحتجاج على أهل الكتابين على صحة نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - بهذا الطريق .

وهو حجة - أيضاً - على غيرهم بطريق اللزوم ؛ لأنه لما جاء بمثل ما جاؤوا به من غير أن يتعلم منهم حرفا واحدا دل على أنه من عند الله ، وحتى لو أنكروا رسالة من تقدم لكان في مجيئه بمثل ما جاؤوا به إثبات لرسالته ورسالة من تقدمه ، ودليل على صحة الكتابين ، وصدق الرسولين ، لا سيما والكتاب الثاني جاء على يد أُمِّيٍّ لم يقرأ كتابا ، ولا خطه بيمينه ، ولا عاشر أحدا من أهل الكتاب ، بل نشأ بين قوم أُمِّيِّين يشاهدون حاله حضرا وسفرا وإقامة .

فهذا من أكبر الأدلة على أن مـا جاء به ليس من عند البشر ، ولا في قدرتهم فـهو برهان أبين من الشمس ، فـقد تضمن ما جـاء به تصديق من تقدمـه ، وتصديق من تقدمت البـشارة به ، فتطـابقت حجج الله به وبيناته على يد أنبـيائه ورسله ، وانقطعت المعـذرة ، وثبت الحق، وقامت الحجة ، فلم يبق إلا العناد المحض ، والإعراض والصد .

وأما مخـالفة القرآن بعض ما تضـمنته بعض تلك الكتب فهـو غير قادح في الدليـل ، فإنه لما جاء القـرآن بما فيهـا من أصول دين الأنبـياء والشرائع الكلية ، وغير ذلك من سائر ما تضمنته من حجج الله وبيناته كان ذلك دليلاً على وقوع التغيير فيها والتبديل ، وعلمنا قطعا أن ذلك واقع في الجزء الذي خـالف ما جاء به القرآن ؛ إما بزيـادة ونقصان في الألفاظ ، وإمـا بتحـريف التأويل وإخـراج اللفظ عن مدلولـه : إما في أصل لفظ لغة ذلك الكتاب ، أو في الترجمة باللغة التي نقل إليها .

فالقـرآن هو المهيمن على تلك الكتب الشـاهد بصدقها وكـذب ما حُرِّف فيها .

مـزج أهل الكتـاب أخـبارهم بـكـتـب أنبـيائهم .

الوجه العاشر :

أن أهل الكتـاب قد مـزجوا أخـبارهم بـكتب أنبيـائهم ، كمـا هو مشاهد في الإنجيل الذي بيد النصارى ، كـقصة اليهود مع المسيح ، وما زعمه النصارى من قتله وصلبه ودفنه ، ثم قيامه من بين الأموات وغير ذلك من الأخبار التي إنما هي مـحكية عن تلاميذ عيسى وأتـباعه ، وقد خلطوها مع كـتاب الله من غـير تمـييـز بين ما هو عن الأنبـياء - عليـهم السلام - ، وبين غيره .

وأما كتابنا الذي تكفل الله بحفظه بقوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [1] ، فلم يقع فيه زيادة ولا نقص ، ولم يختلط كتاب الله بغيره بما قيض الله له من أسباب الحفظ على أيدي نقلته العلماء الأبرار والأتقياء الأخيار ؛ فقد كان من تمام اعتنائهم بحفظه أنهم تركوا تدوين أحاديث السنة وكتابتها حذر اختلاط شيء منها بالقرآن حتى انقرض العصر الأول وأمن هذا المحذور.

وإذا أردت أن تعلم سخافة علم النصارى وقلة معرفتهم فانظر إلى ما أورده هذا النصراني من الانتصار لصحة كتبهم كقوله عند ذكر قتل المسيح وصلبه : « وحيث إنا نصدِّق المؤرخين فيما أخبروا به عن الأمور التي جرت في زمان طويل قبل ميلادهم معتمدين على اجتهادهم في البحث عنها ؛ فبالحري أن يصدق هذا المؤلف الذي يدعي أنه أخذ جميع ما قال من الذين شاهدوه عيانا » . انتهى[2].

فانظر إلى سخافة هذا الانتصار لتصحيح الكتب التي جعلوها عمدة للدين أن جعلها أسوة كتب المؤرخين التي يكتب مؤلفوها ما سمعوه من صحيح وسقيم ! ، فإن العلم الحاصل بذلك لا يفيد يقينا ، وإنما يقبل من المؤرخين ما أخبروا به لكون ذلك لا يتعلق به حكم ديني، فتتلقى عنهم تلك الكتب للاطلاع على أحوال الزمان ، لا لإثبات قواعد الدين وتصحيح عقائد الملة وأحكام الشريعة .

وبمثل هذه الحجة الواهية احتج على قبول الكتب التي هي من أناجيلهم لم تنسب إلى شخص معين حين قال :

---

(١) سورة الحجر ، الآية : ٩.

(٢) من كتاب مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن، مخطوطة المكتبة البريطانية في لندن، ص٥٣.

« ولأجل هذا نقبل عـدة من كتب التواريخ مـن حيث إننا ننظر أن مؤلفيها مع أنا نجهل أسمـاءهم ، قد عاشوا في ذلك الزمان ، وشاهدوا الأمور التي أتـوا بذكرها في كتـابهم ، وكذلك إن الذين ألفـوا الكتب التي نتكلم الآن عليـها ادعـوا لأنفسـهم أنهم عاشـوا في الأزمنة الأولى، وأنهم مُنِحوا من الله المواهب الرسولية، فيجب أن يقتنع بهذا» انتهى[1] .

وله في الاحتـجاج على صـحة كـتبهم من هذا النمـط من الحجج الواهية مـا يكفي سمـاعه عن الاشـتغـال برده . وهو من أكبـر الحجج عليهم في ضد ما قصدوه ، وقد نبهنا على مقاصدها في هذا الفصل بما فيه مقنع لذوي الألباب .

والمقصـود من هذا كله أن كتب اليهود والنصـارى وما عندهم من العلم قد اختلط فيه الحق بالبـاطل ، والصدق بالكذب فلا نقبل منه إلا ما وافق الحـق الذي بأيدينا عمن شـهدت بصـدقه المعـجزات ، والأدلة القاطعات ، فما وافـقه فهو الحق ، وما خالفه فهـو الباطل ، وما أخبروا به مما لـم يشهد له بصدق ولا كذب فـهذا لا يقدم على تكذيبه ؛ لأنه قد يكون حقا ، ولا على تصـديقه ؛ فلعله أن يكون باطلا . ولكن يؤمن به إيمانا مجملا معلقا على شرط وهو أن يكون مُنزلا لا مُبدلا .

وقد أخرج البخاري في صحيحه [2] ، عن أبي هريرة [3] قال : «كان أهل الكتـاب يقرؤون التـوراة بالعبـرانية ، ويفـسرونهـا بالعربيـة لأهل

---

(١) من كتاب مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن ، مخطوطة المكتبة البريطانية في لندن ، ص ٥٠ ، ٥١.

(٢) في كـتاب : التـوحيـد ، باب : مـا يجوز تفـسيره من التـوراة ، ج ٨ : ٢١٣ ، وفي كتـاب : الشـهادات ، باب : لا يسـأل أهل الشرك عن الشـهادة وغـيرها، ج ٣ : ١٦٣ ، طبـعة المكتـبة الإسلامية بإستانبول .

(٣) في النسخة « ع » [رضي الله عنه] .

الإسلام. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لا تصدِّقوا أهل الكتـاب ، ولا تكذِّبوهـم ، وقـولوا : آمنـا بالذي أُنزل إليكـم ، وإلهنا وإلهكم واحد ، ونحن له مسلمون » .

وفي حـديث آخـر عن النبـي - صلى الله عليـه وسلم - : « إذا حـدَّثكم أهل الكتاب فـلا تصدِّقـوهم ، ولا تكذِّبوهم ، وقـولوا : آمنا بالله وكـتبه ورسلـه . فإن كان حـقا لم تكذبوهم ، وإن كـان باطلا لم تصدقوهم » . أخرجه الإمام أحمد [(١)] .

وروى ابن جرير[(٢)] عن عـبد الله بن مـسعـود[(٣)] قال : « لا تسـألوا أهل الكتاب عن شيء ؛ فإنهم لن يهـدوكم وقد ضلوا . إما أن تكذِّبوا بحق ، أو تصدِّقوا بباطل » .

وروى البـخاري [(٤)] عن ابن عـباس [(٥)] قال : « كـيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابـكم الذي أنزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحدث تقرؤونه محضـا لم يشب ، وقد حدَّثكم أن أهل الكتاب بدَّلوا كتاب الله وغيروه وكـتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا : هو من عند الله ؛ ليشتـروا به ثمنا قليلا. ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مـساءلتهم؟! لا والله ، ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل عليكم » .

---

(١) في المسند ، ج ٤ : ١٣٦ ، طبعة المكتب الإسلامي ببيروت . وأخرجه أبو داود في سننه ، في كتاب: العلم ، ج ٣ : ٣١٨، تحقيق محمـد محيي الدين عبدالحـميد، طبعـة دار إحياء السنة النبوية .

(٢) تفسيـر ابن جرير ، ج ٢١ : ٣ . وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ، ج ١ : ٣٧٨ في تفسير الآية (٨١) من سورة آل عمران ، أخرجه الحافظ أبو يعلى .

(٣) في النسخة « ع » [رضي الله عنه] .

(٤) في صحيحـه في كتـاب : الشهادات ، باب : لا يسـأل أهـل الشـرك عن الشـهادة وغيـرها ، ج ٣ : ١٦٣، طبعة المكتبة الإسلامية بإستانبول .

(٥) في النسخة « ع » [رضي الله عنهما] .



فصل

قال النصراني :

تحريف النصارى صفة محمد وأدلة رسالته

«وأما المسلمون فإنهم يدعون أن في الفصل الرابع عشر من إنجيل يوحنا الذي فيه يوعد بإرسال فرقليط قد كان مسطوراً ما وصف به نبيهم ، وأن النصارى محوه وبدلوه .

ويا ليت شعري ، هذا التغيير وقع فيما بعد ظهور [1] نبيهم أو قبل ظهوره :

أما بعد[2] ظهوره فما أمكن تغييره ، إذ وجدت - إذ ذاك - عدة نسخ في جميع آفاق الأرض باللغات المختلفة . وهذه النسخ كلها يوافق[3] بعضها بعضا في ذلك الفصل لا خلاف بينها فيه . وأما قبل ظهوره فلا كان لهم ما يدعوهم إلى التغيير والتبديل ؛ إذ لم يمكنهم - بسابق علمهم - أن يعرفوا ما كان محمد مزمعا أن يأتي به »[4] .

الجواب - وبالله نستعين - :

اعلم أن في الفصل[5] المذكور مما هو موجود بأيدي النصارى الآن من الدلالة على نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم -، والبشارة به ما هو من أوضح الأدلة . كما سنذكره إن شاء الله - تعالى - .

---

(١) في كتاب مفتاح الخزائن : (هل وقع فيما بعد ظهور نبيهم) .
(٢) في كتاب مفتاح الخزائن : (إنما بعد) .
(٣) في كتاب مفتاح الخزائن : (توافق بعضها بعضا) .
(٤) كتاب مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن، ص١١٩، نسخة المكتبة البريطانية في لندن.
(٥) في الإصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا .

وقبل ذلك فأعلم أن العلماء اختلفوا في معنى التحريف[1] الذي ذكر الله عن أهل الكتاب، فقيل: إنهم كانوا يحرفون اللفظ بلفظ آخر بدليل قوله - تعالى -: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ...﴾[2].

قال أبو العالية[3]: عمدوا إلى ما أنزل الله في كتابهم من نعت محمد - صلى الله عليه وسلم -، فحرفوه عن مواضعه[4]. وتقدم قريباً كلام ابن عباس[5] من رواية البخاري.

وروى ابن جرير[6] عن كنانة العدوي[7] عن عثمان بن عفان[8] عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ...﴾ الآية[9].

---

(١) انظر تفاصيل الخلاف في ذلك في: تفسير ابن كثير، ج ١ : ١١٧، طبعة المكتبة الشعبية عند كلامه على الآية (٧٩) من سورة البقرة. وفي: تفسير ابن جرير الطبري، ج ٢ : ٢٧١، تحقيق أحمد شاكر.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٧٩.

(٣) هو أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي، أسلم بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم -، من ثقات التابعين المشهورين بالتفسير، وثَّقه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم، توفي سنة تسعين من الهجرة (٩٠ هـ). (طبقات ابن سعد، ج ٧ : ١١٥).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير، ١ : ١١٧. وتفسير الطبري، ٢ : ٢٧١، تحقيق أحمد شاكر.

(٥) في النسخة « ع » [رضي الله عنهما].

(٦) في تفسيره للآية (٧٩) من سورة البقرة، ج ٢٧١:٢، طبعة دار المعرفة بمصر، تحقيق أحمد شاكر.

(٧) هو كنانة بن نعيم العدوي البصري قال ابن سعد: «كان معروفاً ثقة»، وقال العجلي: «بصري تابعي ثقة»، وذكره ابن حبان في الثقات. (تهذيب التهذيب، ج ٨: ٤٤٩).

(٨) هو أمير المؤمنين وثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية القرشي، أسلم في صدر الإسلام، وهاجر الهجرتين، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وزوج ابنتيه رقية وأم كلثوم. وتولى الخلافة بعد عمر بن الخطاب، وقتل شهيداً في المدينة سنة ٣٥ من الهجرة. (أسد الغابة، ج ٣ : ٣٧٦، والبداية والنهاية، ج ٧ : ١٧٠).

(٩) سورة البقرة، الآية: ٧٩.

قال : « الويل جبل في النار وهو الذي أنزل في اليهود ، وهم الذين حرفوا التوراة ؛ زادوا فيها ما أحبوا ، ومحوا منها ما يكرهون ، ومحوا اسم محمد من التوراة . ولذلك غضب الله عليهم ورفع بعض التوراة، وقال: ﴿ ... فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾».

قال ابن كثير[1]: «وهذا غريب جداً». وقال السدي[2]: «كان أناس من اليهود كتبوا كتاباً عندهم يبيعونه من العرب ، ويحدثونهم أنه من عند الله فيأخذون به ثمناً قليلا. وكلام السدي هذا يدل على أن ذلك في قوم مخصوصين كما قال تعالى في موضع آخر : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾»[3] .

قال مجاهد [4] والشعبي [5] والحسن [6] وقتادة [7] والربيع بن

(١) في تفسيره ، ج ١ : ١١٧ ، طبعة دار إحياء الكتب العربية .

(٢) هو أبو محمد إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة السدي القرشي الكوفي ، له شهرة في التفسير والحديث ، وكثيرا ما يستشهد بقوله الحافظ ابن كثير وغيره من المفسرين ، توفي سنة ١٢٧ هـ . (تهذيب التهذيب ، ج ١ : ٣١٣) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٧٨ .

(٤) هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي المخزومي ، ولد سنة ٢١ هـ ، تابعي مشهور، حجة في التفسير، توفي سنة ١٠٤ هـ . تهذيب التهذيب ، ج ١٠ : ٤٢ .

(٥) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي الحميري الكوفي قاضي الكوفة ، محدث ومفسر وفقيه، ولد سنة ٢٠هـ، وتوفي سنة ١٠٩هـ. (تهذيب التهذيب، ج ٥ : ٦٥).

(٦) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري مولى الأنصار ، ولد بالمدينة سنة ٢١ هـ ، ونشأ بوادي القرى ، كان - رحمه الله - فصيحاً ورعاً زاهداً واعظاً ، توفي بالبصرة سنة ١١٠ هـ . (تهذيب التهذيب ، ج ٢ : ٢٦٣) .

(٧) تقدمت ترجمته .

أنس[1] ﴿ ... يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ ﴾ يحرفونه [2].

وقيل : إن التحريف الذي ذكر الله عنهم هو تحريف المعنى بإلقاء الشبه الباطلة ، والتأويلات الفاسدة ، وجر اللفظ من معناه الحق إلى الباطل بوجوه من الحيل اللفظية ، كما يفعله أهل الأهواء والبدع من هذه الأمة بالآيات المخالفة لمذاهبهم ، وذلك أن النصوص التي فيها نعت النبي - صلى الله عليه وسلم - ليست ظاهرة لكل أحد ، بل هي مما يحتاج إلى التفسير والبيان من أهل العلم الذين هم أهل الخبرة بالكتاب ومعانيه .

قال وهب بن منبه[3] : « إن التوراة والإنجيل كما أنزلهما[4] الله لم يغير منهما حرف ؛ ولكنهم يضلون بالتحريف والتأويل ، وكتبٌ كانوا يكتبونها من عند أنفسهم ، ويقولون : هو من عند الله ، وما هو من عند الله ، وأما كتب الله فإنها محفوظة لا تحول ». رواه ابن أبي حاتم[5].

---

(١) هو الربيع بن أنس البكري ، ويقال : الحنفي البصري ثم الخرساني ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال العجلي وأبو حاتم : «بصري صدوق». توفي سنة ١٣٩ هـ . (تهذيب التهذيب ، ج ٣ : ٢٣٨) .

(٢) انظر قولهم في تفسير ابن كثير ، ج ١ : ٣٧٦ ، تفسير الآية (٧٨) من سورة آل عمران .

(٣) هو أبو عبدالله وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كناز اليماني الصنعاني ، ولد سنة ٣٤هـ، تابعي مشهور، روى عن عدد من الصحابة، ذو علم كثير واطلاع واسع، محيط بأخبار الماضين، توفي سنة ١١٠هـ. (وفيات الأعيان، ج ٣ : ١٨٠).

(٤) في النسخة « س » [أنزل الله] .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ، ج ١ : ٣٧٦ .

قال ابن كثير : « إنْ عنى وهب ما بأيديهم من ذلك فلا شك أنه قد دخلها التبديل ، والتحريف ، والزيادة ، والنقص ، وأما تعريب ذلك المشاهد بالعربية ففيه خطأ كبير ، وزيادات كثيرة ، ووهم فاحش ، وفهْم كثير منهم ، بل أكثرهم بل جميعهم [1] فاسد ، وأما إنْ عنى كتب الله التي هي كتبه عنده فتلك - كما قال - محفوظة لم يدخلها شيء » . انتهى[2] .

قلت : لا يخفى أن كلام وهب لا ينفي وقوع الزيادة فيها ، كما لا ينفي التفسير في التراجم باللغات التي نقلت إليها ، وإنما يدل على عدم تغيير ألفاظها الأصلية التي بها نزلت . والله أعلم .

إذا عرفت ذلك فلا يلزم من وقوع التغيير في بعض ألفاظ نصوص الإنجيل قبل ظهور نبينا [3] - صلى الله عليه وسلم - أن يكون المغيِّر قد علم ما يكون منه؛ إذ يمكن أن يقع ذلك جهلا ممن أبرز هذه الكتب إلى النصارى ، فإنه كما علمنا يقينا أنهم زادوا فيها ، فلا يستبعد أن يكونوا نقصوا منها ، وإن لم يكن ذلك منهم عن تعمد ؛ حيث غلب عليهم الجهل والضلال ، وعدم التمييز بين الصحيح والكذب ، وأما بعد مبعث نبينا - صلى الله عليه وسلم - فالتغيير ممكن أيضاً . حيث إن أمة الضلال قد بنوا دينهم على ما تهوى أنفسهم .

---

(١) هكذا في النسخة « س » ، وهو الذي في تفسير ابن كثير . وفي النسختين « ع » و « ط » الجملة هكذا: [بل جميعهم بل أكثرهم] بتقديم جميعهم على أكثرهم .
(٢) تفسير ابن كثير ، ج ١ : ٣٧٦ ، طبعة دار إحياء الكتب العربية .
(٣) في النسخة « ع » [نبينا محمد] .

وكلهم متفقون على الكفر بخاتم الرسل - إلا من هدى[1] الله منهم من خيارهم الذين أسلموا - فيمكن أن يكونوا غيَّروا نعت محمد - صلى الله عليه وسلم - ، لا سيما وكتابهم ليس انتشاره كانتشار القرآن حتى يستحيل الاتفاق على تغييره ، فيحتمل أن يكون في تلك الأعصار عند جماعة محصورين ؛ فيمكن اتفاقهم على الكذب والتبديل .

ثم إن فيما بأيديهم من نعوته - صلى الله عليه وسلم - ، ونعوت أمته مما يذكر بعضه - إن شاء الله - ما يكفي حجة على المعاند فإنها أدلة قاطعة لا محيد عنها .

وقد قال الله - تعالى - في كتابه الذي أنزله على هذا النبي الكريم: ﴿ ... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2] .

ولا ريب أنه لو لم يكن مكتوباً عندهم لكان ذكر هذا الكلام من أعظم المنفِّرات لليهود والنصارى عن قبول قوله ؛ لأن الإصرار على الكذب والبهتان من أعظم المنفرات ، والعاقل لا يسعى فيما يوجب

(١) في النسخة « ع » [هداه الله] .

(٢) سورة الأعراف ، الآيتان : ١٥٦ - ١٥٧.

نقصان حاله ، وينفر الناس عن مقاله ، فلما قال لهم - عليه السلام -[1] هذا دل على أن ذلك النعت كان مذكوراً في التوراة والإنجيل، وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته .

ولكن أهل الكتاب كما قال الله - تعالى -: ﴿ ... لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[2] و ﴿ ... يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ... ﴾[3]. وإلا فهم - قاتلهم الله - قد عرفوا محمدا - صلى الله عليه وسلم - كما يعرفون أبناءهم ، ووجدوه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، لكنهم حرفوها وبدلوها، ليطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

قال شيخ الإسلام أبو العباس[4]: وقد ناظرنا غير واحد من أهل الكتاب ، وبيّنا لهم تلك الدلائل ، فأسلم من علمائهم وخيارهم طوائف ، وصاروا يناظرون أهل دينهم ، ويبينون لهم ما عندهم من الدلائل على نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - . وهذا من الحكمة في إبقاء أهل الكتاب بالجزية ؛ إذ هم من الشواهد والدلائل على نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم -، وعندهم من الشواهد على ما أخبر به من الإيمان بالله واليوم الآخر ما يبين أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - جاء بالدين الذي بعث الله به الرسل قبله[5] .

---

(١) في النسخة « ع » [عليه الصلاة والسلام] .
(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٤٦ .
(٣) سورة المائدة ، الآية : ١٣ .
(٤) ابن تيمية ، رحمه الله .
(٥) لم أستطع معرفة موضعه من مصنفات شيخ الإسلام .

وقد روى الحافظ ابن عساكر [1] من طريق محمد بن حمزة بن عبدالله بن سلام [2] عن جده عبد الله بن سلام [3] - رضي الله عنه - أنه لما سمع بمخرج النبي - صلى الله عليه وسلم - من مكة[4] خرج فلقيه ، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : « أنت ابن سلام عالم يثرب ؟ قال : نعم . قال : ناشدتك بالله [5] الذي أنزل التوراة على موسى ، هل تجد صفتي في كتاب الله ؟

قال : انسب ربك ، يا محمد . فارتج النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال له جبرئيل : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ [6] .

قال له ابن سلام : أشهد أنك رسول الله ، وأن الله مظهرك ، ومظهر دينك على الأديان ، وإني لأجد صفتك في كتاب الله

---

(١) هو أبو القاسم الحافظ علي بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين المعروف بابن عساكر ، ولد سنة ٤٩٩هـ ، ورحل إلى عدة أقطار ، واجتهد في طلب علم الحديث وبالغ في ذلك حتى اشتهر به ، له عدة مصنفات ، منها تاريخ دمشق ، توفي سنة ٥٧١ هـ . (البداية والنهاية ، ج ١٢ : ٢٩٤ ، وفيات الأعيان ، ج ٣ : ٣٠٩) .

(٢) هو محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام ، الإسرائيلي . قال أبو حاتم : «لا بأس به» ، وذكره ابن حبان في الثقات . (تهذيب التهذيب ، ج ٩ : ١٢٧) .

(٣) هو أبو يوسف عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي ، أسلم عند مقدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة . ويعد من علماء الصحابة ومن أشهر علماء اليهود ، وقد شهد بعض المغازي، وتوفي بالمدينة سنة ٤٣ هـ . رحمه الله . (طبقات ابن سعد ، ج ٢ : ٣٥٢ ، وتهذيب التهذيب ، ج ٥ : ٢٤٩) .

(٤) في النسخة « ع » [بمكة] .

(٥) في النسخة « ع » [ناشدتك الله] .

(٦) سورة الإخلاص .

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾[1]: أنت عبدي، ورسولي سميتك المتوكل. ليس بفظٍّ، ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة مثلها، ولكن يعفو، ويصفح، ولن يقبضه الله حتى تستقيم به الملة المعْوَجّةُ حتى يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوباً غلفا »[2].

وأخرج البيهقي وأبو نعيم[3] عن أم الدرداء[4] امرأة أبي الدرداء[5] - رضي الله عنهما - قالت: « قلت لكعب: كيف تجدون صفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في التوراة؟

قال: كنا نجده موصوفاً فيها. محمد رسول الله، اسمه المتوكل ليس بفظٍّ، ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، وأُعطي المفاتيح ليبصر الله به أعينا عورا، ويسمع به آذانا صما، ويقيم به ألسنة معوجة[6]، حتى يشهدوا: أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. يعين المظلوم، ويمنعه من أن يستضعف..».

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥.
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر، ج ١: ٣٤٠.
(٣) في دلائل النبوة للبيهقي، ج ١: ٢٨٠، تحقيق أحمد صقر.
وذكره القسطلاني في المواهب اللدنية، ج ٢: ٨٠، وقال: « أخرجه البيهقي وأبو نعيم».
وأورده - أيضاً - السيوطي في الدر المنثور، ج ٣: ١٣٢، وقال: « أخرجه البيهقي وأبو نعيم معاً في الدلائل».
(٤) أم الدرداء: هي خيرة بنت أبي حدرد الأسلمي، صحابية جليلة من فضليات النساء، توفيت في الشام في خلافة عثمان بن عفان - رضي الله عنه وعنها -. (أسد الغابة، ج ٥: ٥٨).
(٥) هو أبو الدرداء عويمر بن مالك بن زيد بن قيس بن أمية الخزرجي الأنصاري، كان - رضي الله عنه - فقيهاً عاقلاً حكيما، آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سلمان الفارسي. شهد ما بعد أحد من المشاهد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وتولى القضاء في دمشق، وتوفي فيها في خلافة عثمان بن عفان - رضي الله عنهما -. (انظر: أسد الغابة، ج ٤: ١٥٩، ٥: ١٨٥).
(٦) في النسخة « ع » [ألسنة المعوجة].

وفي صحيح البخاري[1] عن عطاء بن يسار ، قال : «لقيت عبدالله ابن عمرو بن العاص[2] فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قال : أجل والله ، إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[3] وحرزا للأميين ، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل . ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر[4]، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، ويفتح به أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا ».

وفي أثر رواه ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه اليماني [5] :

«أن الله[6] أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له : (شعيا)[7] أن قم في قومك بني إسرائيل ؛ فإني منطق لسانك بوحي أو نعت [8] أمياً من أميين أبعثه ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا صخاب [9]

---

(١) صحيح البخاري، ج ٣ : ٢١، كتاب: البيوع ، باب: كراهية الصخب في السوق.

(٢) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل القرشي ، من فضلاء الصحابة وعبّادهم ، استأذن النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يكتب عنه ما يسمعه منه ، فأذن له ، فكان - رضي الله عنه - يكتب كل ما يسمعه من رسول الله . توفي بالطائف سنة ٦٥ هـ . وقيل غير ذلك ، والله أعلم . (أسد الغابة ، ج ٣ : ٢٣٤) .

(٣) هذا نص الآية الكريمة (٤٥) من سورة الأحزاب .

(٤) [يعفو أو يصفح] في جميع النسخ، ولفظ الحديث في رواية البخاري: «يعفو ويغفر».

(٥) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ، ج ٣ : ٤٩٧ ، في تفسير الآية (٤٥) من سورة الأحزاب . والمؤلف - رحمه الله - نقل عنه نصاً ، وذكره العلامة ابن القيم في كتابه « هداية الحيارى » ، تحقيق أحمد حجازي السقا ، ص ١٨٥ .

(٦) في النسخة « ع » [أن الله تعالى] .

(٧) إشعياء بن آموص ، نبي بعث إلى بني إسرائيل .

(٨) في النسختين « س » و « ع » [وانعت أميا] .

(٩) صخاب : شديد الصوت .

في الأسواق ، أبعثه مبشرا ونذيرا ، لا يقول الخنا[1] ، أفتح به أعينا كمها[2]، وآذانا صما، وقلوبا غلفا[3]، أسدده لكل أمر جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، وأجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة منطقه ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والحق شريعته ، والعدل سيرته ، والهدى إمامه ، والإسلام ملته، وأحمد اسمه ، أهدي به بعد الضلالة ، وأعلّم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة[4]، وأعرِّف به بعد النكرة ، وأكثر به بعد القلة، وأغني به بعد العيلة [5] ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين أمم متفرقة ، وقلوب مختلفة ، وأهواء متشتتة ، أستنقذ به فئاما[6] من الناس عظيمة من المهلكة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس » .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال :

«قدم الجارود [7] فأسلم ، وقال : والذي بعثك بالحق ، لقد وجدت وصفك في الإنجيل ، ولقد بشَّر بك ابن البتول ». أخرجه البيهقي[8].

---

(١) الخنا : الفحش .

(٢) كمهاً : عميا ، فالأكمه : هو الذي يولد أعمى .

(٣) غلفا : عليها غشاوة . أي : غطاء .

(٤) الخمالة : السقوط .

(٥) العيلة : الفقر والفاقة .

(٦) فئاما : جماعة من الناس .

(٧) اسمه الجارود بن بشر بن المعلى . وقدومه كان سنة تسع من الهجرة في وفد عبد القيس ، وكان نصرانيا ، فعرض عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الإسلام، ودعاه إليه ، ورغبه فيه ، فأسلم ، وأسلم أصحابه . (السيرة النبوية لابن هشام ، ج ٤ :٢٤٢، والبداية والنهاية ، ج ٥ :٤٨).

(٨) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ، ج ١ : ٤٥٩ ، تحقيق أحمد صقر .

ولنذكر من نصوص التوراة والإنجيل مما هو الآن موجود بأيدي اليهود والنصارى، مما يدل على نبوة نبينا - صلى الله عليه وسلم -، ونعوته، وصفاته ما هو دليل على ما وراءه، ومصداق ما تقدم ذكرنا له .

فمن الدلائل في "الإنجيل" على ذلك ما ورد في الفصل الذي أشار إليه النصراني وهو الفصل الرابع عشر من "إنجيل يوحنا" الذي يرويه عن المسيح - عليه السلام - قال فيه : « إن كنتم تحبوني فحافظوا على كلامي، وأنا ألتمس الآب فيرسل إليكم فارقليط[1] آخر ؛ ليمكث معكم إلى أبد الآبدين »[2].

فهذا من الأدلة على نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم -، فإنه يدل على أن الله سيبعث إليهم من يقوم مقامه، وينوب عنه في تبليغ رسالة ربه وسياسة خلقه منابه، وتكون شريعته باقية مخلدة أبدا . فهل هذا إلا محمد - صلى الله عليه وسلم -؟! .

وقد اختلف النصارى في تفسير «الفارقليط»، فقيل : هو الحامد، وقيل : المخلِّص.

فإن وافقناهم على أنه المخلِّص اقتضى أن المخلِّص رسول يأتي

---

(١) فارقليط : لفظة عبرانية معناها أحمد، وهي اللفظة التي نطق بها المسيح - عليه السلام -، وعندما تُرجم إنجيل يوحنا إلى اللغة اليونانية حُرِّفت هذه اللفظة، ثم حذفت من الترجمات، ووضع بدل عنها (المُعَزِّي) التي معناها النائب عن المسيح . ونسخ الإنجيل الموجود الآن بهذا اللفظ .

انظر : هداية الحيارى، لابن القيم، تحقيق أحمد حجازي السقا، ص ١٢٠ .

(٢) الإصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا، النص رقم ١٦، ١٧.

لخلاص العالم ، وذلك من غرضنا ؛ لأن كل نبي مخلِّص لأمته من الكفر ، ويشهد له قول المسيح - عليه السلام - في الإنجيل: « إني جئت بخلاص العالم »[1].

فإذا ثبت أن المسيح هو الذي وصف نفسه بأنه مخلِّص العالم ، وهو الذي سأل لهم فارقليط آخر ، ففي مقتضى اللفظ ما يدل على أنه قد تقدم فارقليط أول حتى يأتي فارقليط آخر .

وإن وافقناهم على القول بأنه الحامد فأي لفظ أقرب إلى أحمد ومحمد من هذا . وهو موافق لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ... ﴾[2] .

قال أبو ظفر[3]: «وفي الإنجيل مما ترجموه ما يدل على أن «الفارقليط» الرسول، فإنه قال: إن هذا الكلام الذي تسمعونه ليس هو لي ، بل الآب الذي أرسلني بهذا الكلام لكم، وأما الفارقليط روح القدس الذي يرسله أبي باسمي فهو يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم كل ما قلته لكم»[4].

فهل بعد هذا بيان ؟ أليس هذا صريحاً في أن الفارقليط رسول يرسله الله ، وهو روح القدس ، وهو يصدق بالمسيح ، ويظهر اسمه أنه

---

(١) في إنجيل يوحنا ، الإصحاح الثالث ، النص رقم (١٧).

(٢) سورة الصف ، الآية : ٦ .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن أبي محمد بن محمد بن ظفر الصقلي ، ولد بصقلية ، ونشأ بمكة المكرمة ، وتنقل في البلاد ، أديب فاضل ، له تصانيف في التفسير والأدب ، سكن في آخر حياته في حماة إحدى بلاد الشام ، وبها مات سنة ٥٦٥هـ. (وفيات الأعيان ، ج٤ : ٣٩٥).

(٤) كتاب المواهب اللدنية للقسطلاني ، ج ٢ : ٨٣ .

رسول حق من الله ، وليس بإله ، وهو يعلِّم الخلق كل شيء ، ويذكِّرهم كل ما قاله المسيح - عليه السلام - لهم ، وكل ما أمرهم به من توحيد الله.

وأما قوله : «أبي» فهذه اللفظة مبدلة محرفة ، وليست منكرة الاستعمال عند أهل الكتابين إشارة إلى الرب - سبحانه وتعالى -؛ لأنها عندهم لفظة تعظيم يخاطب بها المتعلم معلمه الذي يستمد منه العلم.

ومن المشهور مخاطبة النصارى عظماء دينهم بالآباء الروحانية ، ولم يزل بنو إسرائيل وبنو عيصو[1] يقولون : نحن أبناء الله ؛ لسوء فهمهم عن الله - تعالى - .

وأما قوله : « يرسله أبي باسمي » فهو إشارة إلى شهادة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - له بالصدق والرسالة ، وما تضمنه القرآن من مدحه وتبرئته مما افتُري في أمره .

قال في المواهب[2] : « وفي ترجمة أخرى للإنجيل في وصف الفارقليط : إذا جاء وبَّخ العالم على الخطيئة ، ولا يقول من تلقاء نفسه، بل يتكلم بكل ما يسمع يكلمهم به ، ويسوسهم بالحق ، ويخبرهم[3]

(١) بنو عيصو : هم ذرية عيسو بن نبي الله إسحاق بن إبراهيم الخليل - عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - . ولكثرة تراجم التوراة حرفت الكلمة إلى عيصو . (سفر التكوين، الإصحاح الخامس والعشرين) .

(٢) المواهب : هو كتاب المواهب اللدنية في المنح المحمدية ، لشهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني، ج ٢ : ٨٣ ، الطبعة الأولى .

(٣) في النسخة « ع » [فيخبرهم] بالفاء .

بالحوادث ». وهو عند ابن ظفر بلفظ : « فإذا جاء روح القدس ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بكل ما يسمع ، ويخبركم بكل ما يأتي ، وهو يمجدني ».

فقوله: «ليس ينطق من عنده» ، وفي الرواية الأخرى : «ولا يقول من تلقاء نفسه ، بل يتكلم بكل ما يسمع ، ويخبركم بكل ما يأتي»[1] ؛ أي: من الله الذي أرسله . وهذا كما قال الله - تعالى - في حقه - صلى الله عليه وسلم -: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[2] .

وقوله : « وهو يمجدني » فلم يمجده حق تمجيده إلا محمد - صلى الله عليه وسلم-؛ لأنه وصفه بأنه رسول الله ، وبرَّأه ، وبرَّأ أمه - عليهما السلام - مما نُسِبَ إليهما .

قال ابن ظفر : «ومن الذي وبخ العلماء على كتمان الحق ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، وبيع الدِّين بالثمن البخس ، ومن الذي أنذر بالحوادث ، وأخبر بالغيوب إلا محمداً - صلى الله عليه وسلم -؟» انتهى[3] .

و«روح القدس» من أسمائه - عليه الصلاة والسلام - وبكل منهما جاء الإنجيل . وكذلك «روح الحق» كما ذكره صاحب المواهب[4] .

---

(١) في النسخة « ع » [من الله] .

(٢) سورة النجم ، الآيتان : ٣ - ٤ .

(٣) من كتاب المواهب اللدنية ، ج ٢ : ٨٣ ، الطبعة الأولى .

(٤) المرجع السابق .

وقد سمى الله - سبحانه - الكتاب الذي أنزله عليه روحا ، فقال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1] .

وقد قيل في تفسير (الفارقليط) : معناه روح الحق .

وفي نهاية[2] ابن الأثير[3] في صفته - عليه الصلاة والسلام - : «أن اسمه في الكتب السالفة (فارقليط) ؛ أي : يفرق بين الحق والباطل قال: ومنه الحديث : « محمد فرق بين الناس » ؛ أي : يفرق بين المؤمنين والكافرين بتصديقه وتكذيبه » .

وللنصارى في تفسير روح القدس من الكلام الباطل ما هو مقتضى كفرهم بالله وشركهم به - تعالى الله عما يشركون - .

فقد عرفت بما ذكرناه من النص الذي بأيديهم في ذكر (الفارقليط) أنه من أدلة نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - لايحتمل وجها آخر. وبذلك تعلم أن إحالة النصراني صفته - صلى الله عليه وسلم - التي ادعاها المسلمون في الفصل الذي ذكره على ما قد محاه النصارى

---

(١) سورة الشورى ، الآية : ٥٢ .

(٢) كتاب النهاية لابن الأثير ، ج ٣ : ٤٣٩ ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي ، الطبعة الأولى.

(٣) هو أبو السعادات عز الدين علي ، وقيل : المبارك بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري المشهور بابن الأثير ، ولد سنة ٥٤٤ هـ ، مؤرخ كبير وإمام في علم الأنساب والآداب والحديث ، له مصنفات مشهورة ، منها : الكامل في التاريخ ، والنهاية ، وجامع الأصول في الحديث ، توفي في الموصل سنة ٦٠٦ هـ. (وفيات الأعيان ، ج ٣ : ٣٤٨) .

مـغـالطة وتعـميـة عن الدلالـة التي قررنـاها ، وهذا من تمويهـهم على ضعـفاء العقـول ، كمـا هو دأبهم في كل نص في صفتـه - صلى الله عليه وسلم - .

أدلة رسالته في الإنجيل .

ومن الأدلة في الإنجيل ما ورد في الفصل الثالث من أخبار الرسل، وهو أحد الأناجيل التي بأيدي النصارى مما يروونه عن المسيح - عليه السلام -، ولفـظه أن موسى قال : «إن الرب إلهـكم يقيم لكم نبـيا من إخوتكم مثلي، له تسمعون في كل ما يكلمكم به ، وتكون كل نفس لا تسمع ذلك النبي تستأصل من بين القوم»(١) .

وهذا النص أيضاً في "سفـر الاستثناء"(٢) من التوراة ، وهو صريح في الدلالة على نبـوة محـمد - صلـى الله عليه وسلم -، وقـد حرَّفـه اليهود والنصارى ، وتأولوه على غيـر تأويله ، فزعمت اليهود أن المراد به يوشع بن نون ، وزعمت النصارى أن المراد به المسيح .

ودعـوى الكـل واضـحـة البطـلان ؛ فـإنه قـال : «من إخــوتكم» والخطاب لبنـي إسـرائيل ، ولو كـان المراد يوشع أو عـيـسى لكان من أنفـسهم ؛ لأنهم من بني إسـحـاق ، فدل على أن هذا النبي الموعـود به ليس من أنفسهم ، بل من إخوتهم ، وهو من بني إسماعيل .

وأيضاً فـقد وصف هذا النبي بقوله : «مـثلي» ولفظ هذا النص في التوراة مما ترجـموه : «أن الله - تعالى - قـال لموسى: «وسأقيم لهم نبـياً

(١) في الإصحاح الثالث من أعمال الرسل ، النص رقم (٢٢) .

(٢) في الإصحاح الثامن عشر من سفر التثنية ، النص رقم (١٥) .

مثلك من إخوتهم ، وأجعل كلامي في فمه ، فيقول لهم كل ما أمرت بــه»[1] ، فهو صريح في أن هذا النبي الموعود به مثل موسى .

وقد قال في التوراة : « لا يقوم في بنـي إسرائيل أحد مثل موسى»، وفي ترجمة أخرى : « مثل موسى لا يقوم في بني إسرائيل أبدا »[2].

فتعين أن يكون المراد به محـمداً - صلى الله عليه وسلم -؛ لأنه كفء موسى - عـليه السلام - ؛ فـإنه ماثله في مـنصب الدعوة ، والتـحدي بالمعجزة ، وشرع الأحكام ، وإجراء النسخ على الشرائع السالفة.

وقـوله - تعـالى[3]- : «وأجـعل كـلامي في فمـه» صـريح في أن المقصـود به محـمد - صلى الله عليـه وسلم - ؛ لأن معناه أوحـي إليه بكلامي ، فـينطق به على نحو مـا سمـعه ، ولا أنزل عليـه صحـفا ولا ألواحا ؛ لأنه أمي لا يحسن أن يقرأ المكتوب .

ويدل على فـساد تأويل اليـهود - أيضـا - أن (يوشع) ليس كـفؤًا لموسى - عليـهمـا السلام - ، بل كـان خادمـا له في حيـاته ، ومؤكـدا لدعوته بعد وفـاته. فكيف يصح أن يوصف بأنه مثل موسى؟!.

وعلى فـساد [4] تأويل النصـارى قوله : « كل نفس لا تسـمع ذلك النبي تستأصل من بين القوم » ؛ فـإن الذي عليه النصارى ألاَّ يُتعـرضَ

---

(١) سفر الاستثناء من التوراة في الإصحاح الثامن عشر ، النص رقم (١٨) .

(٢) هذا النص أورده العلامـة ابن القيم في كتابه هداية الحـيارى ، تحقيـق أحمد حجازي السـقا ، ص ١٧٥ ، وذكره الزرقاني في شرح المواهب اللدنية ، ج ٦ : ٢٤٠ .

(٣) هكذا في جمـيع نسخ الكتاب، وتعبـير المؤلف - عفـا الله عنه - بقوله: «وقـوله تعالى» وهو يعرض نصوص كتاب العهد القديم من باب استدراج الخصم لإقامة الحجة عليه .

(٤) [وعلى فسـاد] هكذا في جميع النسخ ، ولـعل المؤلف - رحمه الله - يقـصد : (ويدل على فساد).

للنصراني إذا انتقل عن دينه إلى غيـره سواء إلى الإسلام أو اليهودية أو غير ذلك . وكذلك المرأة إذا زنت لا يتعرضون لها، ويزعمون أن شريعة المسيح ليس فيها إقامة الحـدود، والجهاد ليس مشروعاً في ملتهم ، بل هم به عصاة.

وهذا كله مناقض لهذا النص، فـدل على بطلان كون المراد به المسيح، بل هو مطابق لصفة محمد - صلى الله عليه وسلـم - وشريعته، فإن مخالفة بعض أوامره يوجب سفك الدم ، وإزهاق النفوس ؛ فتعين أنه هو المراد.

ومن ذلك ما ورد في "رسالة يهوذا"[1] من الإنجيل ، وهو في "صحيفة زكريا" من كتب العهد العتيق الذي عند اليهود، قال : «إن الرب قد جاء أو سيجيء بربوات مقدسة ؛ ليقضي على جميع الناس ، ويوبِّخ المنافقين لجميع أعمالهم التي نافقوا بها ، وجـميع الأقوال الصعبة التي تكلم بها عليه الخاطئون».

وهذا من الأدلة الواضحة على نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم -.

وزعـمت النصارى أن المراد به المسـيح . وهو زعم باطل ، فـإنه لا دلالة فيه على المسيح بوجه ؛ لأن هذا المنصوص عليه بالإتيان بالربوات المقدسة، والقضاء على جـميع الناس ، وتوبيخ المنافقين ينبغي أن يقوم بحـد الحديد والبـأس الشديـد ، ولا دلالة في شيء من هذه الصفـات على المسـيح - عليـه السـلام - ؛ لأنه لم يأت إلا في زيٍّ يخـالف هذا الوصف، ولم يشرع له الجهاد في ملته.

---

(١) رسالة يهوذا ، النص رقم (١٤ ، ١٥) .

وأما دلالته على نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - فواضحة لا تحتاج إلى مزيد تأمل ، فإنه هو المتصف بهذه الصفات ، كما في الحديث عن عبدالله بن عمر[1] أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يُعبد الله وحده لا شريك له ، وجُعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجُعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم ». أخرجه الإمام أحمد في المسند[2].

وهو الذي وثب بربوات العرب ، وقضى على جميع الناس بعموم رسالته ، ووبَّخ المنافقين ، وتوبيخه المنافقين - والله أعلم - يشمل توبيخه المنافقين من أتباعه ، ويشمل - أيضاً - توبيخه لليهود والنصارى ؛ فإنهم يدَّعون أنهم يؤمنون بالكتب التي بأيديهم ، ويتبعون أنبياءهم، وقد كذبوا في ذلك ، بل نقضوا العهود والمواثيق ، وكذَّبوا بالحق المصدق لما في أيديهم ، فجاء القرآن بتوبيخهم وعيبهم بالغضب والضلال واللعن: ﴿ ... فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[3].

ومن ذلك ما ورد في الفصل الحادي والعشرين من "إنجيل متّى"[4] وهو - أيضاً - في "إنجيل مرقس"[5]، قال: «ثم طفق يضرب لهم الأمثال ويقول: اغترس رجل كرما ، وحوطه بحائط ، وبحث فيه معصرة ، وبنى برجا، وأجَّره للفلاحين ، وسافر . ولما جاء الموسم أرسل إلى الفلاحين خادما ؛ لينال من ثمرة الكرم ، شيئا فأخذوه ، وضربوه، وردوه خائبا، فأرسل إليهم

(١) في النسخة « ع » [رضي الله عنهما] .

(٢) مسند الإمام أحمد ، ج ٢ : ٥٠ ، طبعة المكتب الإسلامي .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٩٠ .

(٤) الإصحاح الحادي والعشرون من إنجيل متَّى ، النص رقم (٢٣ - ٤٣) .

(٥) في الإصحاح الثاني عشر من إنجيل مرقس ، النص رقم (١ - ١١) .

خادماً ثانياً ، فـرجموه ، وشجوه ، وردوه محقـرا ، ثم أرسل ثالثاً فقتلوه، وكثيرين آخرين ضربوا بعضهم وقـتلوا بعضا ، وكان قد بقي له ابن وحيد هو محبـوبه ، فأرسله إليهم آخر الأمر . وقـال : إنهم سيكرمون ابني ، فقال الفـلاحون فيما بينهم : إن هذا الوارث ؛ فـهلموا بنا نقتله ، فيـصير الميراث لنا ، فأخذوه ، وقتلوه ، وأخـرجوه خارج الكرم . فماذا يفعل رب الكرم ؟ نعم ، إنه سيأتي ، ويهلك الـفلاحين ، ويسلم الكرم إلى آخرين . ألم تقرؤوا هذا المرقوم؟. قوله : إن الحجرة التي رفض البناؤون صارت رأس الزاوية. هذا ما وقع عند الرب، وهو في نظركم عجيب».

فسياق هذا المثل من أظهر الأمثال المـضروبة في الإنجيل لنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وهو أول الفصل [1] في "إنجيل مرقس" .

وتقرير دلالتـه أن الغارس هو الباري - تعالى - ، والمغـرسة الدنيا، والكرم بنو آدم، والحـائط النامـوس الذي جاءت بـه الرسل ، والمعصـرة الأحكام الناموسية ، والفلاحون الذيـن بلغتهم الدعوة . فالذي ضرب به المثل بالخـادم الأول يناسب حال مـوسى - عليـه السلام -، والثـاني يناسب حال يوشع بن نون ، والثالث يناسب حـال بعض أكابر الأنبياء بعده، والمجـهولون هم المتـوسطون من موسى إلى زمـان عيسى - عـليهم السلام -، والابن الوحـيد يناسب حال عيسى - علـيه السلام - ؛ لأنه آخـر أنبيـاء بني إسـرائيل ، والآخـرون الذين يسـلم إليـهم الكرم هم العرب الذين بعث فيهم محمد - صلى الله عليه وسلم -.

وفي قوله : «ويسلم الـكرم إلى آخرين» فضـيلة عظيمة لهـذه الأمة توافق قول الله - تعالى - : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ . . . ﴾[2].

---

(١) أول الإصحاح الثاني عشر من إنجيل مرقس ، النص رقم (١ - ١٢) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١١٠ .

وكما في مسند الإمام أحمد [١] وجامع الترمذي [٢] وسنن[٣] ابن ماجه [٤] ومستدرك[٥] الحاكم[٦] من رواية حكيم[٧] بن معاوية بن حيدة[٨] عن أبيه ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أنتم توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل».

وأخرج الترمذي من حديث معاذ [٩] وأبي سعيد[١٠] نحوه[١١] ، يوضح

---

(١) مسند الإمام أحمد ، ج ٤ : ٤٤٧ ، طبعة المكتب الإسلامي بيروت .

(٢) في سنن الترمذي ، ج ٨ : ١٨٣ ، تفسير سورة آل عمران ، الطبعة الأولى ، تحقيق عزت عبيد . قال الترمذي: « حديث حسن » .

(٣) في سنن ابن ماجه ، ج ٢ : ١٤٣٣ .

(٤) هو الحافظ أبو عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، أحد الأئمة في علم الحديث، ولد سنة ٢٠٧هـ، ورحل إلى البصرة وبغداد ومصر والشام والحجاز في طلب العلم، وصنف كتابه المشهور "سنن ابن ماجه" وله كتب أخرى، توفي سنة ٢٧٥هـ. (تهذيب التهذيب، ج ٩: ٥٣).

(٥) في مستدرك الحاكم ، ج ٤ : ٨٤ ، في : باب فضائل هذه الأمة ، قال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » .

(٦) هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم النيسابوري، ولد سنة ٣٢١هـ ، من مصنفاته كتابه "المستدرك على الصحيحين"، توفي سنة ٤٠٥هـ . (البداية والنهاية ، ج ١١ : ٣٥٥).

(٧) في النسخة « س » [من رواية معاوية بن حيدة] بإسقاط كلمة [حكيم] ، وهي مثبتة بالنسختين الآخريين ، وعند رواة الحديث .

(٨) حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري ، روى عن أبيه وروى عنه بنوه بهز وسعيد ومهران ، قال العجلي والنسائي: «ليس به بأس»، وذكره ابن حبان في الثقات . (تهذيب التهذيب ،ج ٢: ٤٥١).

(٩) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، ولد سنة عشرين قبل الهجرة ، صحابي جليل، أسلم وهو صغير، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، أرسله الرسول - عليه أفضل الصلاة والسلام - إلى اليمن معلما ومفقها لأهلها، مات بالطاعون سنة ثماني عشرة من الهجرة. (أسد الغابة، ج ٤ : ٣٧٦).

(١٠) هو أبو سعيد الخدري سعد بن مالك الخزرجي الأنصاري ، من مشاهير الصحابة وفضلائهم ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا وقعة الخندق وما قبلها لصغر سنه، وتوفي بالمدينة سنة أربع وسبعين من الهجرة - رضي الله عنه -. (أسد الغابة، ج ٢: ٢٨٩).

(١١) رواية أبي سعيد أخرجها الإمام أحمد في المسند ، ج ٣ : ٦١ ، وإسناده صحيح .

المعنى الذي قررناه ما ختم به المثل من قوله: «ألم تقرؤوا هذا المرقوم...» إلى آخره فإنه إشارة إلى ما ورد في الفصل الثامن والعشرين من "صحيفة إشعيا" - عليه السلام -. ولفظه كما في بعض التراجم : «أن تلك الحجرة التي رفض البناؤون صارت رأس الزاوية ، هذا هو عمل الرب ، وهو في أعيننا عجيب»[1] .

وقد ذهب النصارى إلى تأويل هذا النص في شأن المسيح - عليه السلام - ، وهي دعوى باطلة ؛ فإن سياق الكلام يأباه ، والوصف يخالفه ؛ فإن المسيح لم يكن في بني إسرائيل محتقرا ولا مرفوضا من حيث كونه من بني إسرائيل ، وإنما يدل دلالة ظاهرة على محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي هو من بني إسماعيل ، وهم كانوا مرفوضين عند بني إسرائيل مع كونهم إخوتهم ، ولا يرونهم أهلا للفضائل .

وسياق الكلام يدل على أن تلك الحجرة كانت مرفوضة في زمان موسى والأنبياء بعده ، والنصارى لا يدّعون هذه الصفة في المسيح ؛ فدل على ما قلناه .

وقيل : [2] ما عبر عنه بالحجرة المرفوضة من أجل ما جرى لسارة مع إبراهيم - عليهما السلام - في شأن إسماعيل وأمه من أجل غيرة سارة ؛ فنقلهما بأمر الله - تعالى - إلى مكة . فالله أعلم .

---

(١) لم أجد هذا النص في الإصحاح الثامن والعشرين من صحيفة إشعياء - كما ذكر المؤلف - ، بل هو في موضع آخر من كتب العهد القديم ؛ في سفر المزامير ، الإصحاح ١١٨، النص رقم (٢٢)، وهو موجود - أيضاً - في كتب العهد الجديد (الإنجيل):
في إنجيل متى ، الإصحاح الحادي والعشرين ، النص رقم (٤٢) . وفي إنجيل مرقس ، الإصحاح (١٢) ، النص رقم (١٠) . وفي إنجيل لوقا ، الإصحاح (٢٠) ، النص رقم (١٧) . وفي أعمال الرسل ، الإصحاح (٤) النص رقم (١١) .
(٢) في النسخة « س » [وقيل لما عبر عنه] .

و«رأس الزاوية» هو ملتقى الخطين فيكون هو الخاتم ؛ لأن الخطين يذهبان إلى حيثما يذهبان إليه فيكون ملتقاهما هو منتهاهما . وهذا هو محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي ختم الله به رسله .

وفي معنى هذا المثل ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة! ، فأنا تلك اللبنة ، وأنا خاتم النبيين » . أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما[1] .

وقوله: «هذا ما وقع عند الرب، وهو في نظركم عجيب»، وفي بعض التراجم «هذا هو عمل الرب» جواب سؤال مقدر تقديره : هل يمكن أن تستقر الحجرة المرفوضة في رأس الزاوية ؟ أو هل يجوز أن يقوم من أولاد الجارية هاجر نبي ؟ . فيكون الجواب : هذا هو عمل الرب.

ومما يزيد ذلك بياناً ما جاء في التوراة من بيان ما عهد الله به إلى إبراهيم - عليه السلام - في ابنه إسماعيل كما جاء في "سفر التكوين"[2]، قال فيه : «وأما إسماعيل فإني قد سمعت دعاءك له ، وها أنا ذا قد باركت فيه ، وجعلته مثمرا ، وسأكثره تكثيرا ، وسيلد اثني عشر ملكا ، وسأصيرهم أمة عظيمة».

---

(١) في صحيح البخاري في كتاب : المناقب ، ج ٤ : ١٦٢ ، ١٦٣ . وفي صحيح مسلم في كتاب : الفضائل ، ج ٤ : ١٧٩١ ، تحقيق محمد عبد الباقي .

(٢) في الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين ، النص رقم (٢٠) .

وقد ذهب اليهود والنصارى إلى أن المراد بالملوك الاثني عشر أولاد إسماعيل الاثني عشر[1] . وهو باطل ؛ لأنهم لم يتملكوا ، ولم يدّعوا الملكية .

ولكن هذا مطابق لما في الصحيحين[2] وغيرهما[3] من حديث جابر[4] بن سمرة[5] أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش».

ولا ريب أن بني إسماعيل إنما صاروا أمة عظيمة بحيث ارتفع شأنهم بين الأمم ، وظهرت فيهم الفضائل التي هي ثمرة البركة الموعودة من الله - تعالى - لإبراهيم ، إنما حصل ذلك ببعثة محمد - صلى الله عليه وسلم -.

وأيضاً فلو كان كما يدعي اليهود والنصارى - لعنهم الله - من أن العرب تابعوا متقوِّلا على الله كاذباً عليه ، وحاربوا أولياء الله وأتباع رسله ، وانتهكوا حرماتهم هذه القرون المتطاولة ، لكان ذلك مناقضاً

---

(١) ذكر الحافظ ابن كثير أسماء أولاد إسماعيل - عليه السلام - الاثني عشر في كتابه البداية والنهاية، ج ١ : ١٩٣ .

(٢) في صحيح البخاري ،كتاب : الأحكام ، باب : الاستخلاف ، ج ٤ : ١٢٧ . وفي صحيح مسلم، كتاب : الإمارة ، ج ٣ : ١٤٥٣ ، تحقيق محمد عبد الباقي .

(٣) في سنن الترمذي في كتاب : الفتن باب : ما جاء في الخلفاء ، ج ٧ : ٣ . قال الترمذي : «هذا حديث حسن صحيح غريب» . وفي سنن أبي داود في باب : المهدي ، ج ٤ : ١٠٦ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد .

(٤) هو أبو عبدالله جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب العامري ، صحابي جليل ، توفي سنة ست وستين من الهجرة . (تهذيب التهذيب ، ج ٢ : ٣٩) .

(٥) في النسخة « ع » [رضي الله عنه] .

لذلك الوعد الجميل من الله لإبراهيم - عليه السلام -[1] . فقد ظهر أن هذا النص من أوضح الأدلة على نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم -.

ومن الأدلة في الإنجيل - أيضاً - ما جاء في "رسالة بولس[2] إلى أهل رومية" ، وهو - أيضاً - في "صحيفة إشعيا"[3] من العهد العتيق ، قال : «سأدعو الذين ليسوا من شيعتي لي شيعة ، والتي ليست بمحبوبتي لي محبوبة» .

وقد ادعى النصارى أن ذلك في شأن أتباع المسيح ، وادَّعُوا أن رسالته عامة ، وهو خلاف ما تواتر عليه نص الإنجيل .

كما ورد في الفصل الخامس عشر [4] من "إنجيل متَّى" ، قال : «إني لم أرسل إلا لغنم بني إسرائيل الضالة».

وفي الفصل العاشر منه [5] - أيضاً - أن المسيح لما أرسل الحواريين للدعوة قال : « سيروا إلى غنم بني إسرائيل الضالة » .

إلى غير ذلك مما دل على أن رسالته مختصة ببني إسرائيل ، وهو موافق لما صح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة»[6] .

---

(١) في النسخة « ع » [عليه الصلاة والسلام] .

(٢) في الإصحاح التاسع من رسالة بولس إلى أهل رومية ، النص رقم (٢٥) .

(٣) لم أتمكن من معرفة موضعه في صحيفة إشعياء ، كما ذكر المؤلف - رحمه الله -. وهذا من أكبر الأدلة على تناقض كتب أهل الكتاب وتحريفها وتبديلها ، وأن كل نسخة تختلف عن النسخة الأخرى .

(٤) في الإصحاح الخامس عشر من إنجيل متى ، النص رقم (٢٤) .

(٥) في الإصحاح العاشر من إنجيل متى ، النص رقم (٦) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب : التيمم ، ج ١:٨٦ ، وأخرجه النسائي في باب : الغسل ، والدارمي في باب : الصلاة .

إذا عرفت هـذا فلا ريب أن ذلك الوصف إنما ينطبق على الـعرب، فإنهم كـانوا قبل مـبعث محـمد - صلى الله عليـه وسلم - من أجهل الخلق بالله ، وبما جـاءت به الرسل ، لا يـعرفـون كـتـابا ، ولا يؤمنون بالرسل، ولا يصدقون بالبعث . فمقتضى هذا النص أن هؤلاء الغافلين الجهـال بالله ، وما جاءت به رسله سـيجعـلهم الرب تعالى من شيـعة الحق، ويجعلهم له أهلا، وينقلهم إلى القرب منه، ويكونون له أحبابا.

ومما يوافق هذا النص ويوضح دلالته ما ورد في الفصل العاشر من "رسالة بولـس إلى أهل رومية" ، قـال : «إني سأعـيركم بأمـة أخرى ، وأغيظكم بأمة لا فهم لها» . انتهى[1] .

وهذا النص - أيضاً - في "سفر الاستثناء" من التوراة[2]. وقد ساقه بولس في جـملة ما وعظ به اليـهـود حتى يرتدعـوا عمـا كانوا عليـه ، ويذكروا يوم يعيرهم الله بأمة أخرى ، ويغيظهم بأمة لا فهم لها .

وهذا الوصف لا ينـطبق على غـيــر العـرب ألبـتــة . وإنْ حَـمَلَه النصارى عـلى من دخل في النصرانيـة من اليونان والروم فـهو باطل . فإن عند أولئك علوماً كثيرة وأفـهاما قوية ، بل هم أعلم من اليهود في جميع العلوم العقلية بكثير ، وفيهم الحكماء الذين استنبطوا فنونا كثيرة ودونوها ، وعرفت عنهم .

وأما العرب فما كانوا قبل مبعث محمد - صلى الله عليه وسلم - يتـعـاطون شـيئـا من العلوم العقليـة أو النقليـة ، وغاية مـا عندهم علم

(١) من الإصحاح العاشر من رسالة بولس إلى أهل رومية ، النص رقم (١٩) .
(٢) في الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر الاستثناء ، النص رقم (٢٥) .

الشعر والبلاغة ، وإن كانوا قد منحوا من صحة الأذهان ، وقوة العقول في أصل الجبلة ما فاقوا به غيرهم ، لكن غلبت عليهم الغفلة ، فاستولى عليهم الجهل ، فدل على أنهم المعنيون بهذا النص .

ومن هذا المعنى في صفة هذه الأمة ما جاء من حديث أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال : سمعت أبا القاسم - صلى الله عليه وسلم - يقول: « إن الله - تعالى -[1] قال لعيسى ابن مريم : إني باعث بعدك أمة إنْ أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا، ولا حلم ولا علم . قال : يارب كيف ولا حلم ولا علم؟ قال : أعطيهم من حلمي وعلمي ». أخرجه البزار في مسنده[2] وغيره[3].

وأيضاً فلم يغظ اليهود أمة كما أغاظهم [4] محمد - صلى الله عليه وسلم - وأمته .

ومن ذلك ما ورد في الفصل العاشر من رسالة بولس إلى أهل رومية[5] من كتب النصارى ، وهو - أيضاً - في "صحيفة إشعياء"[6] من كتب اليهود. «إني وجدت عند من لم يطلبني ، وظهرت عند من لم يسأل عني».

(١) في النسخة « س » [أن الله قال لعيسى] فأسقط صفة العلو لله .

(٢) ذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ، ج ١٠ : ٦٧ . وقال : « رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط » .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ، ج ٦ : ٤٥٠ . وقال الهيثمي : « رجال أحمد رجال الصحيح غير الحسن بن سوار ، وابن حليس يزيد بن مسيرة ، وهما ثقتان » .

(٤) في النسختين « س » و « ع » [غاظهم] بدون همزة .

(٥) في الإصحاح العاشر من رسالة بولس إلى أهل رومية ، النص رقم (٢٠) .

(٦) في الإصحاح الخامس والستين من صحيفة إشعياء ، النص رقم (١) .

وقد تأول النصارى هذا النص في اليونانيين الذين دخلوا في النصرانية زمن الفترة ، وهو من جنس تحريفهم للنص قبله ، وإلا فهو صريح في حق العرب كما أشرنا في الذي قبله .

وأيضاً فاليونان لهم من الكلام في الإلهيات والبحث عنها ما هو مشهور ، لكن بالطرق العقلية ، لم يأخذوا ذلك من جهة الأنبياء .

وأما العرب فكانوا في غفلة عن ذلك سوى ما بقي في فطرهم من الإقرار بالله ، وأنه خالق كل شيء .

ومما يوضح دلالة هذا النص سياقه في "صحيفة إشعياء"[1]، ولفظه : « إني أُصبت عند من لم يسأل عني ، ووُجدت عند من لم يطلبني ، وقلت لأمة لم تدع باسمي : انظري إليَّ ؛ انظري إليَّ ، لأني قد أظهرت يدي طول النهار إلى فئة طاغية سالكة في سبيل سيىء ممتثلة لأهوائها. وفئة أي فئة تغيظني أمام وجهي ، وتقرب قرابينها في البساتين ، وتبخر في مباخر الشياطين التي تسكن المقابر، وتأكل لحم الخنازير، ومرق النجاسة في أوانيها » .

فمن قوله: «أصبت» إلى قوله: «انظري إليَّ» إشارة إلى صفة العرب وبعثه محمد - صلى الله عليه وسلم - فيهم بالهدى ودين الحق.

ومن قوله: «لأني» إلى قوله : «ممتثلة لأهوائها» إشارة إلى اليهود. وقد جاء القرآن من وصفهم بما يوافق هذا كوصفهم باتباع الأهواء، وتركهم الحق على علم ، وغير ذلك من أخلاقهم الذميمة .

(١) في الإصحاح الخامس والستين من صحيفة إشعياء ، النص رقم (١ - ٤) .

ومن قوله: «وفـئة» إلى قـوله : «في أوانيها» إشـارة ظاهرة في حق النصارى متضمنة وصفهم بالضلال والجهل بما هو طبق صفتهم في القرآن.

فقد تضمن هذا النص وصف الأمم الثـلاث بمثل ما وصفهم القرآن ، وجاء به محـمد - صلى الله عليه وسلم - ، فكان دليـلا من أدلة نبوته كما هو دليل على صدق من قبله حيث تطابق الوصفان من غير تواطؤ ولا اقتبـــاس.

ومن ذلك مـا ورد في الفـصل الثـالث عـشـر من "إنجـيل مـتّى"[1] والثامن من "إنجيل لوقا"[2]: «انظروا إلى زارع خرج للزرع ، وبينما هو يزرع سقط بعض البـذر في الطريق ، فجاءت الطيور فلقطـته ، وسقط بعضــه على الصخر حـيث لم يكن التراب كثـيراً ، وفي ساعـته نبت ؛ لأنه لم يكن له في الأرض عمق ، ولما طلعت الشـمس احترق ، ويبس؛ لأنه لم يكن له أصل ، وسقط بعضه في الشـوك ، فنما الشوك وخنقه ، وسقـط بعضه فـي الأرض الطيبـة ؛ فأثمـر مائة ضعـف وبعضه سـتين وبعضه ثلاثين ، فمن كانت له أذن سامعة فليسمع ».

وهذا المثل - والله أعلم - يتـضمن وصف الأمم الثـلاث بما يظهر للمتأمل .

والمقـصود منه قـوله : «وسقط بـعضـه في الأرض الطيبـة...» إلى آخره، فإنه مـوافق لما أخبر الله به في صفة أصـحاب النبي - صلى الله

(١) في الإصحاح الثالث عشر من إنجيل متّى ، النص رقم (٣ - ٩) .
(٢) في الإصحاح الثامن من إنجيل لوقا ، النص رقم (٤ - ٨) .

عليه وسلم - في قوله - تعالى - : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1] .

فذكر صفاتهم في التوراة والإنجيل فكان في هذا أعظم البراهين على صدق ما جاء بالتوراة والإنجيل والقرآن . وأن هؤلاء هم المذكورون في الكتب المتقدمة بهذه الصفات المشهورة فيهم ، لا كما يقول الكفار عنهم إنهم متغلبون طالبو مُلْكٍ ودنيا .

ولهذا لما رآهم نصارى الشام ، وشاهدوا هديهم وسيرتهم وعدلهم ، وعملهم ورحمتهم ، وزهدهم في الدنيا ، ورغبتهم في الآخرة قالوا : « ما الذين صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء»[2] .

---

(1) سورة الفتح ، الآية : ٢٩ .

(2) ذكر هذه المقالة العلامة ابن القيم في كتابه هداية الحيارى ، ص ٢٣٧ ، وقال : « قال ابن القاسم : سمعت مالكا يقول : لما دخل أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الشام نظر إليهم رجل من أهل الكتاب ، فقال : ما كان أصحاب عيسى ابن مريم الذين قُطعوا بالمناشير وصلبوا على الخشب بأشد اجتهاداً من هؤلاء » . انتهى .

فكان هؤلاء النصارى أعرف بالصحابة وفضلهم من الرافضة[1] أعدائهم ، والرافضة تصفهم بضد ما وصفهم الله به في هذه الآية وغيرها !.

فهذه عدة أدلة مما جاء به الإنجيل في البشارة بمحمد - صلى الله عليه وسلم - وذكر صفته وصفة أمته .

وقد ذكر العلماء كثيراً في هذا المعنى ، اقتصرنا منها على ما قدمناه إيثارا للاختصار .

---

(١) الرافضة : فرقة ضالة من غلاة الشيعة ، ظهرت في أول القرن الثاني الهجري ، وقد سموا بذلك حينما رفضوا اتباع زيد بن علي بن الحسين لما سألوه عن رأيه في أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - ، وأثنى عليهما خيرا ؛ فانصرفوا عنه .
ومذهب هذه الطائفة بغض الصحابة وسبهم ، واعتقادهم بأن الإمامة في علي وذريته . وانظر تفاصيل الكلام عنهم في كتاب منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية .

فصل

ومن الأدلة الواردة في التوراة [١] :

ما ذكره غير واحد من العلماء منهم ابن قتيبة في "أعلام النبوة"[٢]:

«تجلى الله - وفي رواية : جاء الله - من طور سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران».

فسينا : هو الجبل الذي كلم الله فيه موسى - عليه السلام - .

وساعير : هو الجبل الذي أرسل الله فيه عيسى - عليه السلام - ، وظهرت فيه نبوته .

وجبال فاران : هو اسم عبراني ، وليس ألفه الأولى همزة ، وهي جبال بني هاشم التي كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتحنث[٣] في أحدها ، وفيه فاتحة الوحي .

قال ابن قتيبة : «وليس بعد هذا غموض ؛ لأن مجيء الله من سينا إنزاله التوراة على موسى - عليه السلام - بطور سيناء ، فيجب أن يكون إشراقه من ساعير إنزاله الإنجيل على المسيح - عليه السلام -[٤]، والمسيح يسكن من ساعير أرض الخليل بقرية تدعى (ناصرة)[٥]، وباسمها سُمِّي من اتبعه «نصارى» .

---

(١) في الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية ، النص رقم (١ - ٣) .

(٢) الظاهر من كلام المؤلف أن " أعلام النبوة " اسم لكتاب من تأليف ابن قتيبة . وابن معمر - رحمه الله - نقل هذه العبارة نصاً من كتاب "المواهب اللدنية" للقسطلاني، ج ٢ : ٨١.

(٣) يتحنث : يتعبد ، فقد اعتزل الرسول - صلى الله عليه وسلم - عبادة الأصنام ، ولزم هذا الموضع للعبادة قبل البعثة ونزول الوحي عليه .

(٤) في النسخة «س» [على المسيح ، والمسيح] ، فأسقط جملة (عليه السلام) ، وهي مثبتة في النسختين الأخريين .

(٥) الناصرة : بلدة في فلسطين قرب بيت المقدس ، وإليها تنسب النصارى .

وكما وجب أن يكون إشراقه من ساعير إنزاله الإنجيل على عيسى - عليه السلام -، فكذلك يجب أن يكون استعلانه من فاران بإنزاله القرآن على محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وهي جبال مكة .

وليس بين المسلمين وأهل الكتاب اختلاف أن فاران هي مكة ، وإن ادَّعى مدَّعٍ أنها غير مكة . قلنا : أليس في التوراة[1] أن الله أسكن هاجر وإسماعيل فاران ، وقلنا : دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه، واسمه فاران ، والنبي الذي أنزل عليه كتابا بعد المسيح - عليه السلام - ! ».

قال شيخ الإسلام أبو العباس [2] :

وهذه الكتب نور الله ، وهداه ، ففي الأول جاء ، والثاني أشرق ، والثالث استعلن ، فمجيء التوراة كطلوع الفجر ، والإنجيل مثل إشراق الشمس ، والقرآن بمنزلة ظهور الشمس في السماء ، فظهر به نور الله في المشارق والمغارب أعظم مما ظهر بالكتابين ، ولهذا سماه الله تعالى[3] سراجاً منيراً ، وسمى الشمس سراجاً وهاجاً ، والخلق محتاجون إلى الأول أعظم من الثاني .

وهذه الثلاثة أقسم الله بها في قوله: ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾[4] .

---

(١) في الإصحاح الحادي والعشرين من سفر التكوين ، النص رقم (١٩-٢١) .
(٢) في كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج ٣ : ٣٠١ .
(٣) في النسخة « س » [سماه الله سراجا] ، فأسقط صفة العلو لله .
(٤) سورة التين ، الآيات : ١ - ٣ .

فالأول الأرض المقدسة التي ينبت فيها ذلك - ومنها بعث المسيح -، والثاني الجبل الذي كلم الله عليه موسى ، والبلد الأمين مكة .

ولما كان ما في التوراة خبراً عنها أخبر بها على الترتيب الزماني .

وأما القرآن فأقسم بها تعظيما لشأنها ، فأتى بها على وجه التدريج درجة بعد درجة فهو من باب الترقي إلى الأعلى مما دونه .

ومن ذلك ما جاء في زبور[1] داود - عليه السلام - في مزمور أربعة وأربعين [2] : « فاضت النعمة من شفتيك ، من أجل هذا بارك الله لك إلى آخر الأبد . تقلد أيها الجبار بالسيف ؛ فإن شريعتك وسنتك مقرونة بهيبة يمينك وسهامك مسنونة ، وجميع الأمم يخرون تحتك » .

فهذا من أظهر الأدلة على نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ، فالنعمة التي فاضت من شفتيه هو القول الذي يقوله ، وهو الكتاب الذي أنزل عليه والسنة التي سنها ، وليس يتقلد بالسيف من الأنبياء بعد داود إلا محمدا - صلى الله عليه وسلم - ، وقرنت شرائعه بالهيبة كقوله - صلى الله عليه وسلم - : « نصرت بالرعب » [3] .

وهو صريح أنه صاحب شريعة وسنة ، وأنها تقوم بسيفه .

---

(١) الزبور: اسم للكتاب الذي أُنزل على داود - عليه السلام - ، وهو مائة وخمسون سورة (مزمور) ، ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام ، بل فيها تسبيح وتقديس وتحميد وثناء على الله - عز وجل - ومواعظ.

انظر : حاشية الجمل على الجلالين ، ج ١ : ٤٤٨ .

(٢) في المزمور الخامس والأربعين من سفر المزامير النص رقم (٢ - ٥) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتابي : التيمم ، ج ١ : ٨٦ ، والجهاد ، ج ٤ : ١٢، طبعة إستانبول. وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب : المساجد ، ج ١ : ٣٧٢ ، ترتيب محمد عبد الباقي .

وخاطبه بلفظ «الجبار» إشارة إلى قوته وقهره لأعداء الله ، وأنه يجبر الخلق بالسيف على الحق ، ويصرفهم عن الكفر جبرا - بخلاف المستضعف - ، فهو نبي الرحمة ، ونبي الملحمة ، وأمته أشداء على الكفار رحماء بينهم . بخلاف من كان ذليلا للطائفتين من النصارى أو عزيزا على المؤمنين من اليهود ، بل مستكبر .

وجاء في الزبور [1] - أيضاً - في صفاتهم : «يكبرون الله بأصوات مرتفعة ، ويسبحونه على مضاجعهم بأيديهم سيوف ذات شفرتين» .

قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية [2] :

وهذه الصفات إنما تنطبق على محمد - صلى الله عليه وسلم - وأمته ، فهم الذين يكبرون الله بأصوات مرتفعة ، في أذانهم ، وعلى الأماكن العالية ، كما قال جابر [3] : « كنا إذا علونا كَبَّرْنا ، وإذا هبطنا سَبَّحْنا ، فوُضِعَت الصلاة على ذلك »[4] .

وهم يكبرون بأصوات مرتفعة ، في أعيادهم ، وفي أيام منى ، وعقيب الصلوات ، وعلى قرابينهم ، وعلى الصفا والمروة وغير ذلك .

---

(١) في المزمور التاسع والأربعين بعد المائة ، النص رقم (٥ - ٧) .

(٢) في كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج ٣ : ٣١٥ ، ٣١٦ .

(٣) هو أبو عبدالله جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب الأنصاري السلمي ، صحابي جليل . جاهد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزواته كلها ليس منها وقعة بدر وأحد ، وكان - رضي الله عنه - من المحدثين الحفاظ ، روى عنه جماعة من التابعين ، وكف بصره في آخر حياته ، وتوفي بالمدينة سنع أربع وسبعين من الهجرة . (أسد الغابة ، ج ١ : ٢٥٧) .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب : الجهاد والسير ، باب : التسبيح إذا هبط واديا والتكبير إذا علا شرفا ، ج ٤ : ١٦ ، طبعة إستانبول .

وليس هذا لغيرهم ، فإن موسى يجمعهم بالبوق [1] ، والنصارى لهم ناقوس [2] ، والسيوف ذات الشفرتين هي العربية التي فتح بها الصحابة وأتباعهم البلاد .

وقوله : «يسبحون على مضاجعهم» أي : يذكرون الله حتى في هذه الحال ، ويصلون في البيوت على المضاجع [3] - بخلاف أهل الكتاب - ، والصلاة أعظم التسبيح .

واليهود لا يكبرون بأصوات مرتفعة ، ولا بأيديهم سيوف ذات شفرتين ، بل هم مغلوبون مع الأمم . والنصارى تعيب من يقاتل الكفار، وفيهم من يجعله من معايب محمد وأمته .

ومن ذلك ما جاء في كتاب إشعياء - عليه السلام - من البشارة به - صلى الله عليه وسلم - يفتح العيون العور ، والآذان الصم ، ويحيي القلوب الغلف ، وما أعطيه لا يُعطَى أحد ، مُشفَّح[4] يحمد الله حمدا جديدا » .

فمشفَّح : محمد بغير شك ، كما قال ابن القيم[5]، قال : «واعتباره أنهم يقولون : شفحا لا ها ، إذا أرادوا أن يقولوا : الحمد لله ، وإذا [6] كان الحمد شفّحا ؛ فمشفّح محمد».

---

(١) البوق - بضم الباء وسكون الواو -: آله ينفخ فيه ويزمَّر ، وجمعه أبواق وبوقات .

(٢) الناقوس : مضراب النصارى الذي يضربونه لأوقات صلاتهم ، وهو خشبة كبيرة طويلة وأخرى قصيرة واسمها الوبيل ، جمعه نواقيس ونقس .

(٣) المضاجع : جمع مضجع ، وهو الموضع الذي يضطجع فيه .

(٤) مُشفَّح : لفظة عبرانية مطابقة لاسم محمد معنى ولفظا ، قال ابن قتيبة : «مشفح محمد بغير شك». ولعل المؤلف - رحمه الله - نقل العبارة عنه .

(٥) في كتابه هداية الحيارى ، ص ١٦٠، تحقيق أحمد حجازي السقا .

(٦) في النسخة « ع » [وإن كان] .

والأدلة على نبوته - صلى الله عليه وسلم - من الكتب التي بأيدي اليهود والنصارى أكثر مما ذكرناه ، فلو أنهم تركوا الهوى ، واتبعوا الهدى ، وصدَّقوا كتب الله لعرفوا أن محمداً رسول الله ، وأن نعوته وصفاته وصفات أمته مسطرة في الكتب التي بأيديهم ، وأنه لا عذر لهم في إصرارهم على الكفر به ومخالفته . ﴿ ... مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [1] .

على أنا لو لم نأت بهذه الأنباء والقصص من كتبهم [2] ، ألم يك فيما أودع الله - عز وجل - [3] القرآن دليل على ذلك؟ ، وفي تركهم جحد ذلك وإنكاره وهو يقرعهم به دليل على اعترافهم له فإنه يقول : ﴿ ... الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ... ﴾ [4] .

ويقول حكاية عن المسيح - عليه السلام -: ﴿ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [5] .

ويقول : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [6] .

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ١٧ .

(٢) لم يأت المؤلف - عفا الله عنه - بجواب (لو) الشرطية ، وقد وجد النص هكذا في جميع النسخ .

(٣) في النسخة « ع » [فيما أودع الله القرآن] فأسقط جملة [عز وجل] .

(٤) سورة الأعراف ، الآية : ١٥٧ .

(٥) سورة الصف ، الآية : ٦ .

(٦) سورة آل عمران ، الآية : ٧١ .

ويقول: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ... ﴾[1].

وكما قد كان - صلى الله عليه وسلم - يدعوهم إلى اتباعه وتصديقه فكيف يجوز أن يحتج بباطل من الحجج ، ثم يحيل ذلك على ما عندهم وما في أيديهم ، ويقول : من علامة نبوتي وصدقي أنكم تجدوني عندكم مكتوبا ، وهم لا يجدونه كما ذكر؟!، أو ليس ذلك مما يزيدهم عنه بعدا ، وقد كان غنيا عن أن يدعوهم بما ينفرهم ، ويستميلهم بما يوحشهم؟!. ولو أنهم وجدوا خلاف قوله لكان إظهاره أهون عليهم من إتلاف النفوس والأموال ، وتخريب الديار!.

اعتراف أهل الكتاب برسالته

وكم أسلم من علمائهم، كعبد الله بن سلام [2]، وابني سعنة[3]، وابن يامين[4] ، ومخيريق [5] ، وكعب الأحبار [6] ، وأشباههم من علماء

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٤٦ .

(٢) تقدمت ترجمته في ص (٢٥٤) .

(٣) [سعنة] هكذا في جميع النسخ ، وصوابه (سعية) بالياء، وابناه هما : ثعلبة وأسيد من بني هَدَل إخوة بني قريظة، أسلما سنة خمس من الهجرة بعد وقعة الأحزاب. (دلائل النبوة للبيهقي ، ج ١ : ٤٣١ ، تحقيق أحمد صقر) .

(٤) هو يامين بن عمير أبو كعب بن عمرو بن جحَّاش النضري ، من يهود بني النضير . أسلم سنة أربع من الهجرة بعد غزوة يهود بني نضير . (السيرة النبوية لابن هشام ، ج ٢ : ١٩٤ ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد).

(٥) هو مخيريق بن ثعلبة بن الغيطون ، والغيطون كلمة عبرانية ، وهي عبارة عن لقب لكل من ولي أمر اليهود . أسلم في وقعة أحد سنة ثلاث من الهجرة وقتل فيها ، قال السهيلي : وكان مخيريق حبراً عالماً وغنياً كثير المال ، وقد عرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في صفته في التوراة . (السيرة النبوية لابن هشام ، ج ٢: ١٤٠ ، ج ٣: ٣٨ ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد) .

(٦) هو كعب بن نافع، وقيل: ابن مانع الحميري ، ويكنى بأبي إسحاق ، من كبار علماء اليهود وأحبارهم، أسلم في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وقيل : أسلم في خلافة أبي بكر، وقيل : في خلافة عمر، وسكن بلاد حمص بالشام، وتوفي بها سنة اثنتين وثلاثين ، وله من العمر مائة وأربعون سنة. (تهذيب التهذيب، ج ٨ : ٤٣٨).

اليهود ، وبحيرى[1] ، ونسطور ، وصاحب بصرى[2]، وأسقف الشام ، والجارود العبدي[3] ، وسلمان الفارسي[4] ، ونصارى الحبشة ، وأساقف نجران ، وغيرهم ممن أسلم من علماء النصارى ، وكلهم قد وقفوا منه على مثل هذه الدعاوى .

فلولا أنهم يعلمون صدقه فيما قال ، ويجدون صفته في الكتب التي بأيديهم ، وإلا لكان ذلك مما ينفرهم ، ويبعدهم عنه .

وقد اعترف بنبوته هرقل[5]، وصاحب دومة[6] عالما النصارى

---

(١) بحيرى : بالألف المقصورة ، واسمه جرجيس ، أحد علماء النصارى كان يسكن في صومعة له في بصرى إحدى بلاد الشام ، وسيأتي - إن شاء الله - تفصيل قصة رؤيته للنبي - صلى الله عليه وسلم - في مبحث : الإرهاصات التي ظهرت على يد محمد - صلى الله عليه وسلم - قبل البعثة .

(٢) بُصرى - بضم الباء مع القصر في آخره - : مدينة في الشام ، وتعرف الآن باسم حوران ، وصاحب بصرى هو الحارث بن أبي شمر الغساني .

(٣) تقدمت ترجمته في ص (٢٥٧) .

(٤) هو أبو عبدالله مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، أصله من فارس، وكان مجوسيا فتنصر، وعندما قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة أسلم سلمان على يده ، وكان اسمه قبل الإسلام مابه بن يوذخشان بن مورسلان بن يهوذان بن فيروز. وبعد إسلامه عرف بسلمان الفارسي.
وآخى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بينه وبين أبي الدرداء ، وقال - صلى الله عليه وسلم - : «سلمان منا أهل البيت» ، وتوفي بالعراق سنة خمس وثلاثين من الهجرة - رضي الله عنه -. (أسد الغابة، ج ٢:٣٣٢، ودلائل النبوة للبيهقي، ج ١ : ٤٣٣).

(٥) هرقل: لقب يطلق على كل من ملك بلاد الروم، وهرقل هذا هو ملك بيت المقدس، وقد بعث الرسول - صلى الله عليه وسلم - إليه بكتاب يدعوه إلى الإسلام مع دحية الكلبي، فاعترف بنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم -. وانظر تفاصيل قصته في صحيح البخاري في كتاب: الجهاد والسير، باب : دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الإسلام والنبوة ، ج ٤ : ٢ ، طبعة إستانبول ، وفي صحيح مسلم في كتاب : الجهاد والسير ، باب : كتاب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ج ٣ : ١٣٩٣، ترتيب محمد عبد الباقي.

(٦) صاحب دومة : هي دومة الجندل ، بلدة تقع الآن في شمال المملكة العربية السعودية في منطقة الجوف. وصاحب دومة هذا اسمه أكيدر بن عبدالملك ، أرسل إليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - خالد بن الوليد فأسره ، وأحضره عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فصالحه على الجزية ، ورده إلى بلده.

ورئيساهم، والمقوقس[1] صاحب مصر، وابن صورى[2]، وابن أخطب[3]، وأخوه[4]، وكعب بن أسد[5]، والزبير بن باطيا[6]، وغيرهم من علماء أهل الكتاب ممن حمله حب الرئاسة أو الحسد[7] والنفاسة[8] على البقاء على الشقاء.

والأخبار في هذا كثيرة لا تنحصر.

---

(١) واسمه جريج بن مينا القبطي، وقد بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - إليه كتاباً مع حاطب بن أبي بلتعة، فمضى حاطب بالكتاب إليه، فلما سلمه له قبّل المقوقس الكتاب، وأكرم حاطبا، وأرسل معه هدايا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - منها الجارية مارية القبطية أم إبراهيم ابن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. (البداية والنهاية، ج ٤ : ٢٧٢).

(٢) هو عبدالله بن صورى الملقب بالأعور، أحد أحبار اليهود وأعلمهم بالتوراة. قيل: إنه أسلم لما تحقق صفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في التوراة ذكره السهيلي نقلا عن النقاش. والله أعلم. (السيرة النبوية لابن هشام، ج ٢ : ١٣٦).

(٣) هو حيي بن أخطب بن شعبة بن ثعلبة، زعيم يهود بني النضير، وأبو صفية زوج النبي - صلى الله عليه وسلم -، قتل صبرا مع يهود بني قريظة سنة خمس من الهجرة.

(٤) هو أبو ياسر بن أخطب بن شعبة اليهودي النضري. قالت أم المؤمنين صفية - رضي الله عنها -: سمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو؟ قال نعم والله. قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم. قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت. (انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ج ٢ : ١٣٦، ١٤٠).

(٥) كعب بن أسد من يهود بني قريظة الذين أسلموا.

(٦) [ابن باطيا] هكذا في جميع نسخ الكتاب. وفي سيرة ابن هشام والبداية والنهاية لابن كثير اسمه: (الزبير بن باطا بن وهب القرظي) من يهود بني قريظة، وقد قتل مع من قتل من يهود بني قريظة سنة خمس من الهجرة. (السيرة لابن هشام، ج ٢ : ١٣٧، ج ٣ : ٢٦١، والبداية والنهاية لابن كثير، ج ٤ : ٨٠، ط ٢).

(٧) في النسخة «ع» [والحسد].

(٨) النفاسة: الرغبة في الشيء.

وقد قال الحارث بن عوف [1] لعيينة بن حصن [2] - ورآه جادا في عداوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يحصل على شيء -: «ألم أقل لك إنك توضع في غير شيء. والله ، ليظهرن محمد على ما بين المشرق والمغرب ، يهود كانوا يخبروننا بهذا ، أشهد لسمعت أبا رافع سلام بن أبي الحقيق [3] يقول : إنا نحسد محمدا على النبوة ؛ حيث خرجت من بني هارون [4] ، وهو نبي مرسل ، ويهود لا تطاوعني على هذا ، ولنا منه ذبحان [5]: واحد بيثرب [6] وآخر بخيابر [7] .

قال الحارث قلت لسلام : يملك الأرض جميعا ؟ قال : نعم ، والتوراة التي أنزلت على موسى ، وما أحب أن تعلم بقولي فيه » .

ومن هذا استفتاح اليهود على مخالفيهم عند القتال بمجيئه كما قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ

---

(١) هو أحد يهود بني قريظة الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري ، قائد بني مرة في وقعة الأحزاب .

(٢) هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر من بني فزارة الغطفاني ، وهو قائد غطفان في غزوة الأحزاب سنة خمس من الهجرة .

(٣) هو أبو رافع سلام بن أبي الحقيق الأعور ، من يهود بن النضير الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في وقعة الأحزاب ، وقد قتله أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عبدالله بن عتيك ورفاقه في خيبر لشدة أذيته لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - .
(السيرة لابن هشام ، ج ٣ : ٣١٤) .

(٤) في النسختين « س » و « ع » [هرون] بدون ألف .

(٥) ذبحان : أي حربان .

(٦) قتال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليهود بني قريظة سنة خمس من الهجرة .

(٧) بخيابر : خيبر بلدة شمال المدينة معروفة الآن ، وبها حصلت الوقعة المشهورة سنة سبع من الهجرة . وتفاصيل ذلك في كتب المغازي والسير.

اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [1] .

قال محمد بن إسحاق[2] عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري[3] عن أشياخ منهم قالوا : «فينا - والله - وفيهم - يعني اليهود الذي كانوا جيرانهم - نزلت هذه القصة : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ إلى قوله : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ .

قالوا : كنا قد علوناهم دهرا في الجاهلية ، وكنا أهل شرك ، وهم أهل كتاب ، فكانوا يقولون : إن نبيا سيبعث الآن نتبعه قد أظل زمانه، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فلما بعث الله رسوله من قريش واتبعناه كفروا به ، يقول الله - تعالى - : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ » .

وقال ابن إسحاق [4] :

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان : ٨٩ ، ٩٠.

(٢) كتاب السيرة النبوية لابن هشام، ج ١ : ٢٣١، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

(٣) هو أبو عمرو ، وقيل : أبو عمر عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد ابن كعب الأنصاري الظفري المدني . وثّقه ابن معين وأبو زرعة والنسائي وابن سعد ، توفي سنة عشرين ومائة من الهجرة النبوية . (تهذيب التهذيب ، ج ٥ : ٥٣).

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ، ج ٢ : ١٧٣ ، ١٧٤ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

أخبرني محمد بن أبي محمد[1] عن عكرمة[2]، أو سعيد بن جبير عن ابن عباس[3] أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء ابن معرور[4] وداود بن سلمة[5]: يا معشر يهود ، اتقوا الله ، وأسلموا ؛ فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك ، وتخبروننا بأنه مبعوث ، وتصفونه بصفته، فقال بشر[6] بن مشكم - أخو بني النضير -: ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكره[7] . فأنزل الله في ذلك حين[8] قولهم : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ . . . ﴾ الآية.

(١) هو محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت ، مدني تابعي ، روى عنه محمد بن إسحاق، وذكره ابن حبان في الثقات. (تهذيب التهذيب، ج ٩ : ٤٣٣).

(٢) هو أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله مولى عبد الله بن عباس ، تابعي جليل ومفسر مشهور ، روى عن ابن عباس وعن عدد من الصحابة ، توفي عكرمة بالمدينة سنة خمس ومائة من الهجرة. رحمه الله . (وفيات الأعيان ، ج ٣ : ٢٦٥).

(٣) في النسخة « ع » [رضي الله عنهما] .

(٤) هو بشر بن البراء بن معرور الأنصاري الخزرجي من بني سليمة ، شهد العقبة وأحداً مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وآخى بينه وبين واقد بن عمرو التميمي ، وتوفي - رضي الله عنه - في خيبر سنة سبع من الهجرة. (أسد الغابة ، ج ١ : ١٨٣).

(٥) قوله : (داود بن سلمة) هكذا في جميع النسخ ، وهو خطأ لفظي ، صوابه (أخو بني سلمة) . قال ابن هشام: «فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور أخو بني سلمة: يا معشر يهود...» إلخ . (السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج ٢ : ١٧٣) . وقال ابن جرير : «وبشر بن البراء ابن معرور أخو بني سلمة» . (تفسير ابن جرير الطبري ، ج ٢ : ٣٣٣ ، تحقيق أحمد شاكر).

(٦) في سيرة ابن هشام ، ج ٢ : ١٧٣، وتفسير ابن كثير، ج ١ تفسير الآية رقم (٨٩) من سورة البقرة اسمه (سلام بن مشكم) ، أخو يهود بني النضير وسيدهم ، وصاحب كنزهم ، ومن أشدهم عداوة للرسول - صلى الله عليه وسلم - .

(٧) في النسخة « ع » [نذكر] بحذف الضمير .

(٨) في النسختين « س » و « ع » [من قولهم] .

إذا عـرف ذلك فـهو من أوضـح الأدلة وأكبـر الحـجج على نبـوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ؛ لأنهم ما كـانوا يستفتحون به إلا لما يعلمـون من نعتـه وصفاته وزمـانه ، فـلما ظهـر[1] - صلى الله عليـه وسلم - كفروا به حسداً وبغياً ، وجحدوا نبوته .

ولا ريب أن استـفتاحَهم به وجـحدَ نبوته لا يجـتمعان ؛ فـإن كان استفتاحهم بـه لأنه نبي كان جحد نبـوته محالا ، وإن كان جحد نبـوته - كما يزعمون - حقا كان استفتاحهم به باطلا .

وهذا مما لا جواب لأعداء الله عنه ألبتة ، سوى أن يقولوا : إن هذا الموجود ليس بالذي[2] كنا نستفـتح به . وهذا من أعظم الجحد والعناد فإن الصفات والعلامات التي فيه طابقت ما كان عندهم مطابقة المعلوم لعلمه ، فإنكارهم أن يكون هو هذا جحـد باللسان مع أن القلب يعرفه معرفة تامة .

ولهذا قال - تعالى - : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ .

ثم قال - تـعالى - : ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ . . . ﴾ .

قال السدي[3] : « ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ . . . ﴾ يقول : بئسما باعوه به أنفسهم ، يقول : بئسمـا اعتاضوا لأنفسهم ، ورضوا به ، وعدلوا

---

(١) في النسخة « ع » [فلما ظهر محمد صلى الله عليه وسلم] .
(٢) في النسخة « ع » [ليس الذي] .
(٣) تفسير ابن كثير ، ج ١ : ١٢٥ .

إليه من الكفر بما أنزل الله على محمـد من تصديقه ومؤازرته ونصرته . وإنما حملهم على ذلك البغي والحسد والكراهية أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ، ولا حسد أعظم من هذا ﴿ . . .فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ . . . ﴾ » .

قال ابن عباس [1]: «غضب بما كانوا ضيعـوا من التوراة وهي معهم ، وغـضب بـكفـرهم بهــذا النبي الذي أحــدث الله إليـهـم . ثم قـال: ﴿ . . .وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ لما كان كفرهم سببه البغي - ومنشأ ذلك الكبر - قوبلوا بالإهانة ، والصغار في الدنيا والآخرة[2] .

ثم قال تـعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [3] » .

قال أبو عبد الله ابن القيم في هذه الآية :

« هذه حكاية مناظرة بين الرسول وبين اليهود لما قال لهم : آمنوا بما أنزل اللـه ، فـأجـابوه بـأن قـالـوا : نؤمن بما أنزل علـينا . ومــرادهم التـخصـيص ؛ أي : نؤمن بالمـنزل علينا دون غـيره ، فظهـرت عليـهم الحجة بقولهم هذا من وجهين :

---

(١) في النسخة « ع » [رضى الله عنهما] .
(٢) تفسير ابن كثير ، ج ١ : ١٢٥ .
(٣) سورة البقرة ، الآية : ٩١.

أحدهما :

أنه إن كـان إيمانكم به لأنه حق فقـد وجب [1] عليكم أن تؤمنوا بما أنزل على محـمد ؛ لأنه حق مصـدق لما معكم ، وحكمُ الحقِّ الإيمانُ به أين كـان ، ومع من كان . فـلزمكم الإيمان بالحـقين جمـيـعا أو الكفـر الصريح[2] ، فـفي ضمن هذا الشـهـادة عليهم بـأنهم لم يؤمنوا بالحق الأول ، ولا بالثاني .

وهذا الحكم في كل من فَرَّق الحق ، فآمن ببعضـه ، وكفر ببعضه ، كمن آمن ببعض الكتاب ، وكفر بـبعض ، وكمن آمن ببعض الأنبياء ، وكفر ببعض ، لم ينفعه إيمانه حتى يؤمن بالجميع .

ونظير هذا التفريق تفريق من يرد آيات الصفات وأخبارها ، ويقبل آيات الأوامر والنواهي ، فإن ذلك لا ينفـعه ؛ لأنه آمن ببعض الرسالة ، وكفر ببعض ، فـإن كانت الشبهة التي عرضت لمن كفـر ببعض الأنبياء غير نافعة ، فالشبهة التي عرضت لمن رد بعض ما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - أولى ألاَّ تكونَ نافـعة ، وإن كانت هذه عذرا فشـبهة من كذب ببعض الأنبياء مثلها .

وكما أنه لا يكون مؤمناً حتى يؤمن بجميع الأنبياء ، ومن كفر بنبي من الأنبيـاء فهو كمن كـفر بجمـيعهم ؛ فكذلك لا يكون مـؤمناً حتى يؤمن بجميع ما جاء به الرسول ، فإذا آمن بـبعضه ورد بعضه فهو كمن كفر به كله .

---

(١) في النسخة « ع » [فوجب] .

(٢) في النسخة « ع » [الصراح] .

فتأمل هذا الموضع ، واعتبر به الناس على اختلاف طرائقهم[1] يتبين لك أن أكثر من يدَّعي الإيمان بريء من الإيمان - ولا حول ولا قوة إلا بالله - .

الوجه الثاني من النقض :

قوله : ﴿ ... فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ .

ووجه النقض أنكم تزعمون أنكم تؤمنون بما أنزل إليكم وبالأنبياء الذين بعثوا فيكم ؛ فلم قتلتموهم ، وفيما أنزل إليكم الإيمان بهم وتصديقهم؟ فلا آمنتم بما أنزل إليكم ، ولا ما أنزل على محمد .

ثم كأنه توقع منهم الجواب بأنا لم نقتل من ثبتت نبوته ، ولم نكذِّبه ، فأجيبوا على تقدير هذا الجواب الباطل منهم بأن موسى قد جاءكم بالبينات وما لا ريب معه في صحة نبوته ، ثم عبدتم العجل بعد غيبته عنكم ، وأشركتم بالله ، وكفرتم به ، وقد علمتم نبوة موسى وقيام البراهين على صدقه ، فقال : ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾[2] .

فهكذا تكون الحجج ، والبراهين ، ومناظرة الأنبياء لخصومهم » . انتهى[3].

---

(١) في النسخة « س » [طرايقهم] بالياء .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٩٢.

(٣) كلام ابن القيم - رحمه الله - .

قال محمد بن إسحاق [1] :

«حدثني صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف[2] عن محمود ابن لبيد[3] - أخي بني عبد الأشهل - عن سلمة بن سلامة بن وقش[4] - وكان سلمة من أصحاب بدر - ، قال : كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل ، قال : فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف على بني عبد الأشهل ، قال سلمة : وأنا يومئذ أحدث من فيهم سنا ، فذكر القيامة ، والبعث والحساب ، والميزان ، والجنة ، والنار ، قال : فقال ذلك لقوم أهل شرك وأصحاب أوثان لا يرون أن بعثا كائن بعد الموت ، فقالوا له : ويحك - يا فلان - أو تراها كائنة أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ، ويجزون فيها بأعمالهم ؟ قال : نعم ، والذي يحلف به ، ولودَّ أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدنيا

---

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج ١ : ٢٣١ ، ٢٣٢ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، وذكره أيضاً البيهقي في دلائل النبوة ، ج ١ : ٣٤٦ .

(٢) هو أبو عمران صالح بن إبراهيم بن عوف الزهري المدني ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال العجلي: «مدني تابعي ثقة» . توفي سنة سبع وعشرين ومائة من الهجرة في المدينة . رحمه الله . (تهذيب التهذيب ، ج ٤ : ٣٧٩) .

(٣) هو أبو نعيم محمود بن لبيد بن عقبة بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبدالأشهل الأوسي الأنصاري الأشهلي المدني . ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين . توفي بالمدينة سنة ست وتسعين ، وكان ثقة قليل الحديث ، وثَّقه يعقوب بن سفيان. (طبقات ابن سعد ، ج ٥ : ٧٧) .

(٤) هو أبو عوف سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء الأشهلي الأنصاري البدري المدني ، من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، شهد العقبة الأولى والثانية ، وشهد المواقع كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، واستعمله عمر على اليمامة ، توفي سنة خمس وأربعين من الهجرة في المدينة . (طبقات ابن سعد ، ج ٣ : ٤٣٩) .

يحمونه ، ثم يدخلونه إياه ، فيطبقـونه عليه بأن ينجو من تلك النار غدا. قالوا له : ويحك - يا فلان - فما آية ذلك ؟

قـال: نبي مـبعـوث من نحـو هذه البـلاد - وأشـار بيـده إلى مكة واليمن -. قالوا : ومتى نراه ؟

قال : فنظر إليّ وأنا من أحدثهم سناً ، فقال : إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه .

قال سلمة : فوالله ، ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله ، وهو حي بين أظهرنا فآمنا به ، وكَفَرَ به بغيا وحسداً .

قال : فـقلنا له : ويحك - يا فلان - ألـست بالذي قلت لنا فيـه ما قلت ؟ قال : بلى ، ولكن ليس به ».

وأخرج ابن إسحاق [1] أيضاً قصة ابن الهيبان ، وهو رجل من أهل الشام من اليـهود ، قدم المـدينة على بني قريظة في الجـاهلية ، ووصف الراوي من فضله ، وأنهم كانوا يستسقون به المطر .

قال : ثم حضرته الوفاة عندنا ، فلما عـرف أنه ميت قال : يا معشر اليـهـود ، ما ترونه أخـرجني من أرض الخـمـر والخـميـر[2] إلى أرض البؤس والجوع[3] ؟

قال : فقلنا : أنت أعلم . قـال : فإني إنما قدمت هذه البلدة أتوكف[4] خروج نبي قد أظل زمانه وهذه البلدة مـهاجره ، وكنت أرجو أن يبعث

(١) السيـرة النبوية لابن هشام ، ج ١ : ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، تحـقيق محـمد محيي الديـن عبدالحمـيد ، وكتاب دلائل النبوة للبيهقي ، ج ١ : ٤٣١ .

(٢) في النسخة « س » [الخمير والخمر] بتقديم كلمة الخمير على الخمر .

(٣) يقصد هذا اليهـودي بأرض الخمر والخمير: أرض فلسطين، ويقـصد بأرض البؤس والجوع: أرض العرب.

(٤) في الروايات الأخرى : (أتوقع) .

فأتبعه، وقد أظلكم زمانه فلا تُسبقن إليه، يا معشر يهود ؛ فإنه يبعث بسفك الدماء وبسبي الذراري والنساء ممن خالفه ، فلا يمنعكم ذلك منه .

فلما بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحاصر بني قريظة[1] قال هؤلاء الفتية ، وهم ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعنة[2] وأسد بن عبيد[3] - وكانوا شبابا أحداثا -: يا بني قريظة ، والله ، إنه للنبي الذي كان عهد إليكم ابن الهيبان. قالوا: ليس به . قالوا: بلى والله ، إنه لهو بصفته ؛ فنزلوا ، فأسلموا ، فأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم.

وأخرج الحاكم - صاحب المستدرك -، والبيهقي في "دلائل النبوة"[4] من طريقه بسند لا بأس به كما قال ابن كثير[5]، عن

---

(١) في شهر شوال سنة خمس من الهجرة ، فقد حاصر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمسلمون يهود بني قريظة بعد وقعة الأحزاب حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ ، فحكم فيهم بأن تقتل مقاتلتهم ، وتسبى ذراريهم ونساؤهم . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «أصبت حكم الله فيهم» . وانظر تفاصيل ذلك في صحيح البخاري ، كتاب : المغازي ، ج ٥ : ٤٩ ، طبعة إستانبول ، وفي البداية والنهاية لابن كثير ، ج ٤ : ٩٢ - ١٢٢ ، وفي السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج ٣:٥٢٢-٢٦٠ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد .

(٢) تقدم التعريف بهما، وبإسلامهما وتصحيح اسم أبيهما وهو (سعية) بالياء في ص (٢٨٥).

(٣) أسد بن عبيد بن بني هَدَل إخوة بني قريظة ، أحد الفتية الذين أسلموا في الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في السنة الخامسة من الهجرة .

(٤) كتاب دلائل النبوة للبيهقي ، ج ١ : ٢٨٩ - ٢٩١ ، وذكره - أيضاً - ابن القيم في كتابه هداية الحيارى، تحقيق أحمد حجازي السقا ، ص ١٩٨ ، والقسطلاني في كتابه المواهب اللدنية ، ج ٢ : ٨٤ .

(٥) في التفسير لابن كثير، ج ٢ : ٢٥٣، فذكر القصة بكاملها وبكامل سندها ، وقال: « وهكذا أورده الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي - رحمه الله - في كتاب دلائل النبوة عن الحاكم إجازة فذكره، وإسناده لا بأس به ». كما أورده ابن كثير - أيضاً - في البداية والنهاية ، ج ٦ : ٦٤.

أبي أمامـة الباهلي [١] عن هشام بن العـاص الأموي [٢] قال: بُعثت أنا ورجل آخر إلى هرقل - صاحب الروم - ؛ ندعوه إلى الإسلامَ . فذكر الحديث ، وأنه أرسل إليهما ليلا .

قال : فدخلنا عليه ، فدعا بشيء كهيئة الربعة[٣] العظيمة مذهبة، فيها بيوت صغار عليها أبواب ، ففتح ، واستخرج حريرة سوداء ، فنشرها ، فإذا صورة حمراء ، وإذا رجل ضـخم العينين عظيم الإليتين لم أر مثل طول عنقه ، وإذا له ضفـيرتان أحسن ما خلق الله . قـال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا آدم - عليه السلام - .

ثم فتح بابـاً آخر ، فاسـتخرج منه حـريرة سوداء فـإذا فيهـا صورة بيـضاء، وإذا رجل أحـمر العـينين ضخم الهـامة حـسن اللحيـة . فقـال: أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا نوح - عليه السلام - .

قال : ثم فتح باباً آخر ، وأخرج حريرة فيه صورة بيضاء ، وإذا فيها - والله - رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، محمـد رسول الله ، وبكينا . قال : والله إنه

---

(١) هو أبو أمامـة صدى بن عجـلان بن الحارث ، وقيل : ابن وهب السـهمي الباهلي ، صـحابي جليل روى عن النبي - صلـى الله عليه وسلـم - أحاديث كـثيـرة ، وتوفي في حـمص سنة إحـدى وثمانين من الهـجرة ، وقـيل : سنة ست وثمـانين . (أسد الغـابة ، ج ٣ : ١٦ ، ٥ : ١٢٨) .

(٢) هو هشام بن العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم القرشي السهمي ، صحابي جليل ، أسلم قديماً بمكة ، وهاجر الهـجرة الأولى إلى الحبشة ، ثم قـدم مكة ، فحبسته قريش وفتنوه عن دينه . ثم هاجر إلى المـدينة بعد الخندق ، وكان - رضي الله عنه - فـارسا مغـوارا ، قُتِل شهيداً في وقعة (أجنادين) سنة ثلاث عشرة من الهجرة . (أسد الغابة ، ج ٥ : ٦٢) .

(٣) الربعة: إناء مربع أو مستدير كالجونة التي تكون مع العطارين لحفظ الطيب وإصلاحه.

قام قائما ، ثم جلس ، وقال : إنه لهو. قلنا: نعم ، إنه لهو كأنك تنظر إليه . فأمسك ساعة ينظر إليها ، ثم قال : أما والله إنه آخر البيوت ؛ ولكني عجلته لأنظر ما عندكم ... الحديث ، وفيه ذكر صور الأنبياء إبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، وسليمان ، وغيرهم .

قال : فقلنا له : من أين لك هذه الصور ؟ قال : إن آدم سأل ربه أن يريه الأنبياء من ولده ، فأنزل عليه صورهم . فكان في خزانة آدم - عليه السلام - عند مغرب الشمس ، فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس ، فدفعها إلى دانيال .

ثم قال : أما والله إن نفسي طابت بالخروج من ملكي ، وإني كنت عبداً لأشرِّكم ، مُلْكه حتى أموت .

ثم أجازنا ، فأحسن جوائزنا ، فسرَّحنا . فلما أتينا أبا بكر الصديق فحدثناه بما رأينا وبما قال لنا وبما أجازنا ، قال : فبكى أبو بكر ، وقال : مسكين ، لو أراد الله به خيرا لفعل .

ثم قال : أخبرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنهم[1] واليهود يجدون نعت محمد - صلى الله عليه وسلم - عندهم .

وبالجملة ، فالأخبار باعتراف كثير من اليهود ، والنصارى بنبوته والإقرار بصدقه ممن قدمنا ذكرهم ، وغيرهم كثيرة مشهورة في كتب الأحاديث والسير . تركنا إيرادها قصد الاختصار .

---

(١) أنهم : أي النصارى .

المقام الثالث

دفع شبه النصارى حول تفضيل عيسى على محمد - عليهما السلام -

قال النصراني:

«فصل في الترجيح بين المسيح ومحمد.

ولنقيس الآن الخصال ، والأحوال المتعلقة بالشريعتين ؛ لننظر أيهما أشرف ، وأولى بأن تتبع [1].

ووجه امتحان ذلك هو اعتبار كمال ذلك الشخص ، وتعقُّب أفعاله، وتأمُّل سيرته ، وأكبر علاماتك اطراح اللذات البدنية ، والتهاون بها. فإن هذا أول درجات أهل العلم ، فناهيك الأنبياء ، وبخاصة[2] التي هي عار علينا كما ذكر أرسطو [3] ، ولا سيما قذارة النكاح.

ولذلك فضح الله بها كل مدّعٍ ؛ ليتبين الحق للمحققين ، ولا يضلوا ، ولا يغلطوا.

وإنما يشوع فهو على ما يعترف به المسلمون المسيح الموعود به في التوراة وكتب الأنبياء ، ويسميه محمد بكلمة الله وروحه ، ويقول :

---

(١) في كتاب مفتاح الخزائن النص هكذا : (لننظر أيهما أشرف وأولى بأن تتبع ، نبحث أولاً عن صاحبيهما ، ووجه امتحان ذلك...). فأسقط المؤلف - رحمه الله - جملة (نبحث أولاً عن صاحبيهما) .

(٢) في كتاب مفتاح الخزائن : (وبخاصة الحاسة التي هي) .

(٣) وهو أرسطو طاليس بن نيقوما خوس ، ولد سنة ٣٨٤ قبل الميلاد، وتتلمذ على أفلاطون في أثينا. فيلسوف وحكيم مشهور ، له كتب كثيرة في مختلف الفنون في المنطق والطبيعيات والإلهيات والأخلاق . مات سنة ٣٢٢ قبل الميلاد . (الملل والنحل للشهرستاني ، ج ٢: ٣٦٢).

إنه لم يكن له أب من البشر. وأما محمد فهو مولود على الطريق المعتاد به في الطبيعة.

وكان يشوع ذا صلاح تام في سيرته، حتى لم يطعن في عرضه بشيء. أما محمد فهو صاحب الغزاة والقتال، مغرمًا بالنساء، كثير النكاح. وكان يشوع قد ارتفع إلى السماء. وأما محمد فهو بقي محبوسًا في القبر.

فمن ذا الذي لا ينظر أيهما أولى بأن يتبع». هذا كلامه [1].

فنقول [2] - وبالله التوفيق -:

ما فُضِّل به محمد - صلى الله عليه وسلم-

لا ريب أن النظر في التفضيل إنما يكون بين شيئين متقاربين في الفضل مع ثبوت الفضل في كل منهما، فيكون النظر حينئذ نظر ترجيح، بحسب كثرة الفضائل والمحاسن في أحد الشقين.

ومعلوم أنه لا نسبة بوجه من الوجوه بين أنبياء الله ورسله وبين الكذبة على الله المتقولين، ولا بين الشرائع التي شرعها الله - تعالى -، وفرض فرائضها وحدودها على أكمل وجوه الحكمة والمصلحة، وبين مخترعات المخلوقين ومبتدعاتهم، إلا عند أهل الضلالة والجهالة، كهؤلاء النصارى الذين اتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل، وأضلوا كثيرًا، وضلوا عن سواء السبيل.

(١) كتاب مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن، ص ١٢٠، نسخة المكتبة البريطانية في لندن.
(٢) في النسخة «س» [ونقول] بالواو.

والمقصود أن نصبه [1] الترجيح بين محمد والمسيح -عليهما الصلاة والسلام - وشريعتيهما [2] دليل على اعترافه بفضل محمد -صلى الله عليه وسلم - وشريعته ، وهذا يلزم منه أن محمداً حق ، ودينه حق ، وإلا فأين النسبة بين الحق والباطل ، والصدق والكذب؟!.

فهذا الطريق في الترجيح إنما يتوجه مع الاعتراف بحقية [3] كل من الشريعتين ، كأن يرجح المسلمون ما هو الحق من أفضلية محمد - صلى الله عليه وسلم - على من سواه من الرسل ، وشريعته على ما عداها من شرائع الأنبياء [4] ، مع الإيمان بأن كلا منهما من عند الله ، وأن الله -تعالى- هو الذي فضل من شاء بما شاء ، ورفع بعض الرسل فوق بعض درجات.

ولكنه لما كانت شريعة محمد -صلى الله عليه وسلم- شريعة باهرة ، وفضائلها ظاهرة ، لم يمكن الخصوم إلا الاعتراف بفضلها ، وفضل من جاء بها؛ لما بهرهم من أنوار النبوة ، وبهتهم من عظمة نواميس هذه الشريعة الكاملة التي اختارها الله لخيرته من خلقه ولأمته - خير أمة أخرجت للناس - ، وجعلها حجة باقية إلى قيام الساعة ، لا يتطرق إليها النسخ ، ولا يعتريها التبديل والتغيير الذي وقع في الشرائع قبلها فلا تجتمع هذه الأمة على ضلالة ، بل لا تزال فيها طائفة على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك.

---

(١) هكذا في «س» . وفي النسختين «ع» و «ط» [نسبة].

(٢) في النسخة «ع» [وشريعتهما] .

(٣) في النسخة «ط» [بحقيقة] .

(٤) في النسخة «س» [من شرائع الأنبياء الإيمان] . فأسقط كلمة (مع) .

ولهذا المعنى الذي ذكرناه ؛ كان كل عاقل من اليهود والنصارى - كما قال شيخ الإسلام أبو العباس[1] - يعترف بأن دين الإسلام حق ، وأن محمدًا رسول الله ، وأن من أطاعه منهم دخل الجنة ، بل كثير منهم يعترفون أن دين الإسلام خير من دينهم . كما أطبقت على ذلك الفلاسفة ، كما قال ابن سينا[2] وغيره : أجمع فلاسفة العالم على أنه لم يطرق العالم ناموس أعظم من هذا الناموس. انتهى[3].

إذا عُرف هذا فالله - سبحانه وتعالى - اختار الأنبياء من ولد آدم وهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا.

واختار الرسل منهم ، وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر ، على ما دل عليه من عددهم حديث أبي ذر[4] الذي رواه الإمام أحمد[5] وابن

---

(١) ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج ٣: ٢٤٥.

(٢) هو أبو علي شرف الدين الحسين بن عبدالله بن سينا ، ولد في إحدى قرى بخارى سنة سبعين وثلاثمائة من الهجرة ، ونشأ وتعلم في بخارى ، ورحل إلى كثير من الأقطار ، وناظر العلماء، وظهرت شهرته حتى لقب بالشيخ الرئيس ، صنف نحو مائة كتاب في الفلسفة ، والحكمة ، والطب ، والمنطق ، واللغة ، من أشهرها : كتاب "القانون" ، و "الشفاء" ، مات سنة ٤٢٨هـ . (وفيات الأعيان ، ج ٢: ١٥٧) .

(٣) نقل هذا الكلام عن ابن سينا شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح ، ج ٣: ٢٤٥.

(٤) هو أبو ذر جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو الغفاري، من بني غفار، من كبار الصحابة وفضلائهم، ومن أوائل المسلمين في مكة، قال فيه الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «يرحم الله أبا ذر؛ يمشي وحده ، ويموت وحده، ويحشر وحده»، توفي بالربذة سنة إحدى وثلاثين من الهجرة. (أسد الغابة ، ج ٥ : ١٨٦، والبداية والنهاية، ج ٧: ١٦٤) .

(٥) انظر : مسند الإمام أحمد ، ج ٥: ١٧٨ ، والسنن الكبرى للبيهقي ، ج ٩: ٤ ، الطبعة الهندية .

حبان[1] في صحيحه[2].

ثم اختار منهم أولي العزم الخمسة، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ...﴾[3]. وذكرهم - أيضًا - في سورة الشورى[4].

ثم اختار منهم الخليلين: إبراهيم، ومحمدًا - صلى الله عليهما وسلم -.

واختار منهما محمدًا - صلى الله عليه وسلم -.

وهو[5] سيد ولد آدم، وهو إمام الأنبياء إذا اجتمعوا، وخطيبهم إذا وفدوا، وصاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون، وصاحب لواء الحمد، وصاحب الحوض المورود، وشفيع الخلائق يوم القيامة، وصاحب الوسيلة والفضيلة الذي بعثه الله بأفضل كتبه، وشرع له أفضل شرائع دينه، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، وجمع له ولأمته من الفضائل والمحاسن ما فرقه فيمن قبلهم، وهم آخر الأمم خلقًا، وأولهم بعثًا، فهم كما قال - صلى الله عليه وسلم - في

---

(١) هو أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي البستي، ولد في بست من بلاد سجستان، وتنقل بين الأقطار، محدث ومؤرخ، من مؤلفاته "المسند الصحيح" في الحديث، و "الثقات والضعفاء" في رجال الحديث، توفي في بست سنة أربع وخمسين وثلاثمائة. (تذكرة الحفاظ، ج ٢: ٩٢٠، وطبقات السبكي، ج ٢: ١٤١).

(٢) انظر كتاب موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، للحافظ نور الدين الهيثمي، تحقيق محمد عبدالرزاق حمزة، ص ٥٢، ٥٠٨.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٧.

(٤) الآية: ١٣.

(٥) في النسخة «ع» [فهو] بالتاء.

الحديث الصحيح [1]: « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة. بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه من بعدهم. فهذا - يعني يوم الجمعة - يومهم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له ، فالناس فيه تبع ، غدا لليهود وبعد غد للنصارى » .

وقال - صلى الله عليه وسلم -: «أنا أول من تنشق عنه الأرض»[2].

وقال: « آتي باب الجنة ، فأستفتح ، فيقول الخازن : من أنت؟ فأقول: محمد ، فيقول : بك أمرت ألاَّ أفتح لأحد قبلك » [3].

وفضائله وفضائل أمته كثيرة دل عليها خبر صاحب المعجزات الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى.

ونطقت بها الكتب السالفة ، وأخبر بها الأنبياء الأقدمون ، ودل عليها استقراء سيرهم وأخبارهم .

وهذه الجملة مجمع عليها بين المسلمين ، وهي أن الله فضّل بعض الرسل على بعض ، وفضّل على الجميع محمداً - صلى الله عليه وسلم -، كما قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾[4].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب : الجمعة ، ج ١: ٢١١ ، ٢١٢ ، طبعة إستانبول . وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب : الجمعة ، ج ٢: ٥٨٦ ، تحقيق محمد عبدالباقي .

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب : الخصومات ، ج ٣: ٨٩ .

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب: الإيمان، ج ١ : ١٨٨، تحقيق محمد عبدالباقي.

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٣.

وكذلك أجمعوا على محبتهم وموالاتهم ، والإيمان بهم كلهم ، لا يفرقون بين أحد منهم ؛ فيؤمنون ببعض ، ويكفرون ببعض كحال أهل الكتاب الذين يدّعون الإيمان ببعض الرسل ، ويكفرون ببعض ، ويعظمون بعضهم حتى يجعلوهم آلهة مع الله ، ويتنقصون بعضهم ، كما فعل هذا النصراني فيما تقدم من كتابه.

حيث لم يقتصر على الطعن في سيد المرسلين ، إذ كفره سابق على ذلك.

بل اعترض - أيضًا - على موسى - كليم الرحمن - ، ونسبه إلى الشك فيما جاءه من الحق ، وارتكاب ما يستحق عليه اللوم ، مع اعترافه بأنه رسول الله .

فليعتبر الموقن بالله أيَّ الفريقين أولى بالله وبرسله.

وقد أجمع المسلمون على أن الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - معصومون فيما يخبرون به عن الله وفي تبليغ رسالاته ، لا خلاف بينهم في ذلك ، وإن وقع خلاف فيما دونه.

والذي عليه الجمهور من المتقدمين والمتأخرين أنهم معصومون - أيضًا - من الإقرار على الذنوب مطلقًا ، والمسألة طويلة الأذيال فلا نطيل بذكرها.

خُلُق رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

والمقصود أن الله - تعالى - كما اختار الأنبياء على من سواهم اصطفى لهم من الأخلاق أزكاها ، واختار لهم أفضلها وأولاها ، وجمع الفضائل التي فرقها فيهم لخاتمهم وسيدهم وأفضلهم محمد

- صلى الله عليه وسلم - ، كما قال - تعالى - في خطابه له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

قال ابن عباس[2] وغيره[3]: أيْ على دين عظيم ، وسمَّى الدين خلقًا ؛ لأن الخلق هيئة مركبة من علوم صادقة ، وإرادة زاكية ، وأعمال ظاهرة وباطنة ، موافقة للعدل والحكمة والمصلحة ، وأقوال مطابقة للحق ، تصدر تلك الأقوال والأعمال عن تلك العلوم والإرادات ، فتكتسب النفس بها أخلاقًا هي أزكى الأخلاق وأشرفها وأفضلها.

وهذه كانت أخلاقه - صلى الله عليه وسلم - المقتبسة من القرآن. وهذا من أعظم آيات نبوته ، وأدلة رسالته .

ولما سئلت عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - عن خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالت: « كان خلقه القرآن ، أما تقرأ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾»[4].

فكان كلامه مطابقًا للقرآن تفصيلاً وتبيينًا ، وعلومه علوم القرآن ، وإرادته وأعماله ما أوجبه وندب إليه القرآن ، وإعراضه وتركه لما منع منه القرآن ، ورغبته فيما رغب فيه ، وزهده فيما زهد فيه ، وكراهته لما كرهه ، ومحبته لما أحبه ، وسعيه في تنفيذ أوامره .

---

(١) سورة القلم ، الآية : ٤.

(٢) في النسخة «ع» [رضي الله عنهما].

(٣) يقصد المؤلف - رحمه الله - قول مجاهد وأبي مالك والسدي والربيع بن أنس في تفسير هذه الآية . انظر: تفسير ابن كثير ، ج ٤: ٤٠٢.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، ج ١: ٥١٣ ، تحقيق محمد عبدالباقي . وأخرجه الإمام أحمد في المسند ، ج ٦: ٩١.

فتـرجمت أم المؤمنين لكمال مـعرفتـها بالقرآن وبالرسـول ، وحسن تعبيرها عن هذا كله بقولها: « كـان خلقه القرآن » . وفهم السائل عنها هذا المعنى ؛ فاكتفى به ، واشتفى.

فهـو - صلى الله عليه وسلم - في جـميع أموره على الطاعـة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه ، لا من الأولين ولا من الآخرين.

وقد خرج الإمام أحـمد في مسنده [1] من حديث أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « بعثت لأُتَمِّمَ صالح الأخلاق » .

واعلم أن خصال الفضل والكمال في البـشر نوعان ، كما قال بعض العلمـاء :

أحدهما : ضروري دنيوي ، اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا.

والثاني : مكتسب ديني ، وهو ما يحمد فاعله ويقرب إلى الله زلفى.

ثم هي على قسمين :

منها ما يتخلص لأحد الوصفين .

ومنها ما يتداخل ويتمازج .

فأمـا الضروري المحض فما ليس لـلمرء فيه اخـتيار ، ولا اكتـساب ككمـال الخلقـة ، وجمـال الصـورة ، وقوة العـقل ، وصـحة الفـهم ، وفصـاحة اللسـان ، وقوة الحـواس والأعضاء ، واعـتدال الحـركات ، وشرف النسب ، وعزة العشيرة ، وكرم الأرض .

---

(١) في مسند الإمام أحمـد ، ج ٢ : ٣٨١ ، وقال ابن عبدالبر : « هو حديث مدني صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره » .

ويلحق بذلك ما تدعو ضرورة الحياة إليه من غذائه ، ونومه ، وملبسه ، وسكنه ، ومنكحه ، وماله ، وجاهه.

وقد تلحق هذه الخصال الآخرة بالأخروية إذا قصد بها التقوى ، ومعونة البدن على طريقها ، وكانت على قوانين الشريعة.

وأما الخصال المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق العلية ، والآداب الشرعية من الدين ، والعلم ، والحلم ، والصبر ، والشكر ، والعدل ، والزهد ، والتواضع ، والعفو ، والعفة ، والجود ، والشجاعة ، والحياء ، والمروءة ، والصمت ، والتؤدة ، والوقار ، والرحمة ، وحسن الأدب والمعاشرة ، ونحوها من الخصال التي جماعها حسن الخلق.

وتكون هذه الأخلاق دنيوية إذا لم يرد بها وجه الله والدار الآخرة ، ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق أصحاب العقول السليمة.

وإذا نظرت في جميع هذه الخصال بنوعيها وجدت نبينا محمداً - صلى الله عليه وسلم - حائزًا لجميعها محيطًا بشتات محاسنها من غير خلاف بين نقلة الأخبار بل قد بلغ مبلغ القطع من طرق التواتر الذي لا يمكن القدح فيه.

كما نقلت - أيضًا - معجزاته -صلى الله عليه وسلم- النقل المتواتر الذي هو الطريق الذي علمت به نبوة موسى وعيسى ومعجزاتهما ، وما كان من أخبارهما.

فالذي عند المسلمين من العلم بنبيهم - صلى الله عليه وسلم - ،

وشمائله ومعجزاته وسيرته قد حصل عندهم من طريق القطع ، فلا يمكن المعارض أن يقدح في ذلك إلا بالقدح في جميع ما جاء عن الأنبياء عليهم السلام.

وأما ما فضله الله به من الفضائل التي لا تنال بالاكتساب ، ولا تحصل إلا بتخصص منزل الكتاب من فضيلة ختم الأنبياء ، ومن الخلة ، والمحبة ، والاصطفاء ، والإسراء ، والرؤية ، والقرب ، والدنو ، والوحي ، والشفاعة ، والوسيلة ، والفضيلة ، والدرجة الرفيعة ، والمقام المحمود ، والبراق ، والمعراج ، والبعث إلى الأحمر والأسود ، والصلاة بالأنبياء ، والشهادة بين الأنبياء والأمم ، وسيادة ولد آدم ، ولواء الحمد ، والبشارة ، والنذارة ، والمكانة عند ذي العرش ، والأمانة ، والهداية ، وكونه رحمة للعالمين ، وإعطاء الرضى والسؤال والكوثر ، وسماع القول ، وإتمام النعمة ، والعفو عما تقدم وتأخر ، وشرح الصدر ، ووضع الوزر ، والتأييد بالملائكة ، وإيتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم ، وتزكية الأمة ، والدعاء إلى الله ، وصلاة الله والملائكة ، والحكم بين الناس بما أراده الله ، ووضع الإصر والأغلال عنهم ...

إلى ما لا يحويه كتاب ، ولا يحيط به إلا مانحة ذلك ومفضله به - لا إله غيره - ، إلى ما أعد له في الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة.

فكل ذلك إنما علمناه من طريقه ، حيث بلَّغه عن الله مخبراً ومؤدياً لأمانته لا مفتخراً.

وطريق إثباته أدلة الرسالة وأعلام النبوة ، إذ هو من علم الغيب الذي لا يعلم إلا من طريق الوحي على ألسنة الرسل.

ولولا خوف الإطالة لذكرنا من تفاصيل ما أجملناه من أخلاقه الزاكية ما تنشرح به صدور أهل الإيمان ، وترغم به أنوف عبدة الصلبان.

ولكنا قد بنينا هذا الكتاب على الاختصار ، وقصدنا به تحصيل المراد من غير إكثار ، فمن أراد التفصيل لهذه الخصال السنية فعليه بمظانها من كتب الشمائل والسير النبوية.

ولكنا نذكر من ذلك ما يختص وما تدعو ضرورة الحياة إليه مما يقال: إنه من باب اللذات البدنية ؛ ليتبين أنه - صلى الله عليه وسلم - في هذا الباب - كما هو في غيره - على وفق الكمال البشري المرضي من جميع الوجوه.

ترفعه عن ملاذ الدنيا

فاعلم أن الذي تدعو ضرورة الحياة إليه مما أشرنا إليه قبل ثلاثة أقسام:

قسمٌ الفضل في قلَّته.

وقسمٌ الفضل في كثرته.

وقسمٌ تختلف الأحوال فيه.

فأما [1] ما المدح والكمال في قلته اتفاقًا عادة وشريعة ؛ كالغذاء ،

---

(١) هكذا نص الجملة في جميع النسخ ، ولعل المؤلف - رحمه الله - قصد (فأما الذي المدح والكمال في قلته).

والنوم ، فلم تزل العلماء والحكماء والعرب تتمادح بقلتهما ، وتذم بكثرتهما ؛ لأن كثرة الأكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة ، وسبب لمضار [1] في الدنيا والدين . وقلته دليل على القناعة وملك النفس ، وقمع الشهوة سبب لحفظ الصحة ، وصفاء الخاطر وحدة الذهن.

كما أن كثرة النوم دليل على الضعف ، وقلة الذكاء والفطنة ، سبب للكسل والعجز، وتضييع العمر في غير نفع، وقساوة القلب وغفلته وموته.

وكان نبينا - صلى الله عليه وسلم - قد أخذ من هذين الفنين بالأقل.

هذا ما لا يدفع من سيرته وهو الذي أمر به ، وحض عليه ، وعلى ذلك كان أصحابه - رضي الله عنهم - والصدر الأول من أمته.

ولهذا قال العلماء : « إن الشبع بدعة ظهرت بعد القرن الأول ، وقد وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- الخلف بعد القرون الفاضلة من أمته بأنه يظهر فيهم السمن » [2].

---

(١) في النسخة «س» [المضار].

(٢) عن عمران بن الحصين - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: « خيركم قرني ، ثم الذي يلونهم ، ثم الذين يلونهم - قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة - ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن » .

أخرجه البخاري في أربعة مواضع من صحيحه في كتاب : الشهادات ، ج ٣: ١٥١ ، وفي كتاب : فضائل أصحاب النبي ، ج ٤ : ١٨٩ ، وفي كتاب : الرقاق ، ج ٧ : ١٧٣ ، وفي كتاب : الإيمان ، ج ٧: ٢٣٣.

وأخرجه - أيضًا - أصحاب السنن ، أبو داود في: السنة، والترمذي في : الفتن، والنسائي: في الإيمان.

وروى الإمام أحمد [1] والنسائي [2] والترمذي [3] ، وصححه الحاكم [4] ، من حديث المقدام بن معديكرب [5] أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: « ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًّا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه . فإن كان فاعلاً لا محالة: فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنَفَسه » . وقال الترمذي: « حديث حسن » .

قال القرطبي [6]: « لو سمع "بقراط" [7] بهذه القسمة لعجب من هذه الحكمة » .

---

(١) في المسند ، ج ٤ : ١٣٢.

(٢) سنن النسائي ، ج ٤ : ١٧٧ ، كتاب : آداب الأكل ، باب : ذكر القدر الذي يستحب للإنسان من الأكل .

(٣) سنن الترمذي في كتاب : الزهد ، ج ٧ : ١١٢ ، وقال : « حديث حسن صحيح » .

(٤) في مستدرك الحاكم كتاب : الأطعمة ، ج ٤: ١٢١ ، ط ١ ، ١٣٤٠هـ . قال الحاكم: « حديث صحيح » .

(٥) هو المقدام بن معديكرب بن عمرو بن يزيد بن معديكرب بن يسار بن عبدالله بن وهب الكندي ، صحابي جليل ، أحد الوفد الذين وفدوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من كنده ، سكن حمص ، وتوفي بالشام سنة سبع وثمانين ، وله من العمر إحدى وتسعون سنة - رضي الله عنه -. (أسد الغابة ، ج ٤ : ٤١١).

(٦) في تفسير القرطبي ، ج ٧ : ١٩٢ ، تفسير الآية (٣١) من سورة الأعراف : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ .

(٧) هو بقراط الحكيم ، طبيب مشهور ، ألف فيه الكتب الكثيرة من أشهرها : كتاب « الفصول » ، و « الجبر والخلع » ، و «طبيعة الإنسان». وكان يعالج المرضى بالمجان ، توفي سنة سبع وخمسين وثلاثمائة قبل الميلاد.
(طبقات الأطباء لابن جلجل ، ص ١٦ ، ودائرة المعارف الإسلامية ، مادة قرط).

وروى [1] الطبراني[2] عن ابن عباس[3] أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن أكثر الناس شبعًا في الدنيا أطولهم جوعًا في الآخرة».

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : « ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام تباعًا حتى قبض». رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما[4].

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : « كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه نارًا ، إنما هو التمر والماء . إلا أن نؤتي باللُّحَيم » . أخرجه البخاري[5] ومسلم[6] وغيرهما[7].

وفي رواية : « ما شبع آل محمد من خبز البر ثلاثًا حتى مضى لسبيله »[8].

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج ٥ : ٣١) : « رواه الطبراني في الأوسط والكبير بأسانيد ، وفي أحد أسانيد الكبير محمد بن خالد الكوفي ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات » .

(٢) هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الطبراني ، ولد سنة ٢٦٠هـ من كبار المحدثين ، له ثلاثة معاجم في الحديث: الكبير والصغير والأوسط، توفي بأصبهان سنة ٣٦٠هـ . (تذكرة الحفاظ ، ج ٢٢: ٩١٢) .

(٣) في النسخة «ع» [رضي الله عنهما] .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب : الأطعمة ، ج ٦ : ٣٠٥ ، وفي كتاب : الرقاق ، ج ٧ : ١٨٠ ، طبعة إستانبول. وأخرجه الإمام مسلم في كتاب : الزهد والرقائق ، ج ٤: ٢٢٨١ ، تحقيق محمد عبدالباقي.

(٥) في صحيح البخاري في كتاب : الرقاق ، باب : عيش النبي - صلى الله عليه وسلم -، ج ٧: ١٨١، طبعة إستانبول.

(٦) صحيح مسلم في كتاب : الزهد والرقائق ، ج ٤: ٢٢٨٣ ، ترتيب محمد عبدالباقي.

(٧) رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد.

(٨) أخرج هذه الرواية مسلم في صحيحه عن عائشة - رضي الله عنها - في كتاب : الزهد والرقائق ، ج ٤: ٢٢٨٢ ، ترتيب محمد عبدالباقي.

وفي أخرى: «ما أكل آل محمد أكلتين في يوم واحد إلا إحداهما تمر»[1].

وعن النعمان بن بشير[2] - رضي الله عنهما - قال : ذكر عمر[3] ما أصاب الناس من الدنيا ، فقال : « لقد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يظل اليوم يلتوي من الجوع ، ما يجد من الدقل[4] ما يملأ بطنه » . أخرجه مسلم[5].

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: «مشيت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بخبز شعير وإهالة[6] سنخة[7]. ولقد سمعته يقول[8]: ما أمسى عند آل محمد صاع تمر ، ولا صاع حب ، وإن عنده يومئذ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، ج ٧ : ١٨٠. ومسلم في كتاب : الزهد والرقائق ، ج ٤: ٢٢٨٢ ، ترتيب محمد عبدالباقي.

(٢) هو أبو عبدالله النعمان بن بشير بن ثعلبة بن سعد الخزرجي الأنصاري ، ولد قبل وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - بثماني سنين ، واستعمله معاوية على حمص وعلى الكوفة ، ومات - رضي الله عنه - مقتولاً سنة أربع وستين من الهجرة. (أسد الغابة ، ج ٥: ٢٣).

(٣) هو أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى القرشي العدوي. ولد بعد وقعة الفيل بثلاث عشرة سنة ، وأسلم قديمًا بمكة قبل الهجرة ، وهاجر إلى المدينة ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. وكان - رضي الله عنه - شجاعًا مقدامًا ذا رأي صائب كثيراً ما يوافق القرآن رأيه. وتولى الخلافة الإسلامية بعد أبي بكر سنة ١٣هـ ، فكان قويًا عادلاً ، ومات شهيداً سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ، وله من العمر ثلاث وستون سنة - رضي الله عنه وأرضاه -. (البداية والنهاية ، ج ٧ : ١٨ ، وأسد الغابة ، ج ٤: ٥٢).

(٤) الدقل : التمر الرديء.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب : الزهد والرقائق ، ج ٤: ٢٢٨٥ ، تحقيق محمد عبدالباقي.

(٦) الإهالة : هو الشحم المذاب.

(٧) سنخة : متغيرة.

(٨) القائل : أنس بن مالك ، والناقل لهذا القول : قتادة الراوي عن أنس .

لتسع نسوة » أخرجه البخاري[1] والنسائي[2] والترمذي[3].

وفي الصحيحين [4] عن عروة عن عائشة [5] قالت: « إنْ كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال وما أُوقد في أبيات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نار . قال : فقلت : يا خالة ، فما كان يعيشكم؟ قالت : الأسودان : التمر والماء » .

وقال أنس - خادمه - : « ما أعلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى رغيفًا مرققًا[6] حتى لحق بالله ، ولا رأى شاة سميطًا[7] بعينه حتى لحق بالله » . رواه البخاري[8].

وعن عائشة - أم المؤمنين[9]- قالت: « توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وليس عندي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رفٍّ

---

(١) في كتاب : البيوع ، باب : شراء النبي - صلى الله عليه وسلم - بالنسيئة ، ج ٣ : ٨ ، طبعة المكتبة الإسلامية .

(٢) أخرجه النسائي في : الرهن . انظر سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي ، ج ٧ : ٢٨٨ ، طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

(٣) أخرجه الترمذي في السنن في : البيوع ، ج ٤ : ٢١١ ، تحقيق عزت عبيد. قال الترمذي : « حديث حسن صحيح » .

(٤) في صحيح البخاري في كتاب : الرقاق ، باب : عيش النبي ج ٧: ١٨١ ، طبعة المكتبة الإسلامية ، وفي صحيح مسلم في كتاب: الزهد والرقائق ، ج ٤ : ٢٢٨٣ ، تحقيق محمد عبدالباقي.

(٥) في النسخة «ع» [رضي الله عنها].

(٦) مرققًا: في مختار الصحاح : « الرُّقاق - بالضم - : الخبز الرقيق ، قال ثعلب : تقول : عندي غلام يخبز الغليظ والرقيق » .

(٧) سميطًا: أي مشويًا ، وفي مختار الصحاح : وسمطَ الجديَ نظفه من الشعر بالماء الحار؛ ليشويه.

(٨) أخرجه البخاري في كتاب : الرقاق ، باب : كيف كان عيش النبي ، ج ٧ : ١٨١ ، طبعة إستانبول.

(٩) في النسخة «ع» [رضي الله عنها] .

لي فـأكلت منه حـتى طال عليَّ ، فكِلْتُـه فـفني » . رواه البـخـاري[1] ومسلم[2].

ولهمـا[3] أيضا عـنها ، قالــت : « توفي رسـول الله - صلى اللـه عليـه وسـلم - ودرعـه مـرهـونـة عنـد يهـودي في ثـلاثين صـاعًا مـن شـعير ».

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدًا ، وهي تدل دلالة واضحة على تقلُّله - صلى الله عليـه وسلم - من تناول الطعام سـوى ما تدعـو إليه ضرورة البشرية.

وكذلك نومه - صلى الله عليه وسلم - كـان قليلاً ، شهدت بذلك الآثار الصحيحة[4].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: فضل الفقر، ج ٧ : ١٧٩، طبعة إستانبول.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب : الزهد والرقائق ، ج ٤ : ٢٢٨٢ ، ترتيب محمد عبدالباقي.

(٣) أي : البخـاري ومـسلم. أمـا البخاري فـقد أخرجه في كـتاب : الجهاد ، باب : مـا قيل في درع النبي، ج ٣ : ٢٣١، وفي كتاب: المغازي ، ج ٥ : ١٤٥، طبعة إستانبول.
أما مسلم فـقد خرج أربع روايات في هذا الباب كلها عن عـائشة - رضي الله عنها - ، ولم يذكر فيها وفـاة النبي ولا مقـدار الطعام ونوعه ، ولفـظ الروايات عنـد مسلم : « أن الرسول - صلى الله عليـه وسلم - اشتـرى من يهـودي طعامًـا إلى أجل، ورهنه درعًا من حـديد» .
صحيح مسلم، باب: الرهن وجوازه، ج ٣ : ١٢٢٦، ترتيب محمد عبدالباقي.

(٤) هذه الجملة نقلها المؤلف - رحمـه الله - حرفيًا من كلام القاضي عياض في كـتابه «الشفا» ، وقد استشهد القاضي عليها بقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: « إن عيني تنامان ، ولا ينام قلبي». رواه مسلم وأبو داود.
وقـال عيـاض : « وكـان نومـه على جـانبه الأيمـن استـظهـاراً على قلـة النـوم » . (الشفا ، ج ١ : ١٧٥).

وكان - صلى الله عليه وسلم - ينام أول الليل ، ويستيقظ في أول النصف الثاني ، فيقوم ويتوضأ [(١)].

ولم يكن يأخذ من النوم فوق القدر المحتاج إليه ، ولا يمنع نفسه من القدر المحتاج إليه منه تشريعًا للأمة ؛ ليقتدوا به ، ولا يكلفوا من العمل ما لا يطيقون ، أو يشق عليهم مشقةً تحملهم على السآمة من العمل.

وكان يحب من العمل ما داوم عليه صاحبه وإن قلَّ ، وعلى ذلك حث أمته [(٢)].

وكان ينهاهم عن التشديد على أنفسهم.

وفي السنن والمسانيد عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «بعثت بالحنيفية السمحة» [(٣)].

وكان يقول: « يسروا ولا تعسروا » [(٤)].

وعنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إنكم أمة أُريد بكم

---

(١) روي عن الأسود بن يزيد قال : سألت عائشة - رضي الله عنها - كيف كانت صلاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالليل؟ قالت: «كان ينام أوله ، ويقوم آخره فيصلي، ثم يرجع إلى فراشه، فإذا أذن المؤذن وثب، فإن كان به حاجة اغتسل، وإلا توضأ وخرج».
أخرجه البخاري في كتاب: التهجد، باب: من نام أول الليل، ج ٢: ٤٧، طبعة إستانبول.
وأخرجه مسلم في كتاب: المسافرين باب: صلاة الليل، ج ١: ٥١٠ ، ترتيب محمد عبدالباقي.

(٢) عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يا أيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون ؛ فإن الله لا يمل حتى تملوا ، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل». رواه البخاري في كتاب : اللباس ، ج ٧: ٥٠. ومسلم ، ج١ : ٥٤٠ ، ترتيب محمد عبدالباقي.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ، ج ٥ : ٢٦٦ ، عن أبي أمامة الباهلي .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب : الأدب ، ج ٧ : ١٠١ ، عن أنس بن مالك .

اليسر» أخرجه الإمام أحمد [1]. وقال الله تعالى: ﴿... يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ...﴾ [2].

وقد أنكر النبي - صلى الله عليه وسلم - على من عزم على التبتل، والاختصاء، وقيام الليل، وصيام النهار، وقراءة القرآن كل ليلة، كعبدالله ابن عمرو بن العاص [3]، وعثمان بن مظعون [4]، والمقداد [5] وغيرهم.

وقال: «لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء. فمن رغب عن سنتي فليس مني» [6].

وأما لباسه - صلى الله عليه وسلم - فهو كما قال القاضي عياض [7]: «كان قد اقتصر منه ما تدعو ضرورته إليه، وزهد فيما سواه. فكان يلبس ما وجد، فيلبس في غالب أحواله الشملة [8]

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ج ٥: ٣٢، طبعة المكتب الإسلامي.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٣) تقدم التعريف به في ص (٢٥٦).

(٤) هو أبو السائب عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة الجمحي، أسلم في أول الإسلام بمكة، وهاجر الهجرة الأولى إلى الحبشة، وهو من أشد الصحابة اجتهاداً في العبادة، يصوم النهار، ويقوم الليل، ويجتنب الشهوات، وتوفي بالمدينة سنة اثنتين من الهجرة، وقد شهد بدراً مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. (أسد الغابة، ج ٣: ٣٨٦).

(٥) هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة، المعروف بالمقداد بن الأسود نسبة إلى الأسود ابن عبد يغوث الزهري؛ لأن المقداد حالفه، فتبناه الأسود فنسب إليه. ويعد المقداد من السابقين الأولين إلى الإسلام، فقد هاجر الهجرة الأولى إلى الحبشة، وشهد المشاهد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. وتوفي في المدينة في خلافة عثمان -رضي الله عنهما-. (أسد الغابة، ج ٤: ٤٠٩).

(٦) متفق عليه، في صحيح البخاري في كتاب: النكاح، ج ٦: ١١٦، طبعة المكتبة الإسلامية. وفي صحيح مسلم في كتاب: النكاح، ج ٢: ١٠٢٠، تحقيق محمد عبدالباقي.

(٧) في كتاب الشفا، للقاضي عياض، ج ١: ٢٠٤ تحقيق محمد أمين قره وآخرين، طبعة دار الوفاء للطباعة والنشر، دمشق.

(٨) الشملة: شبه العباءة، وهي أكسية فيها خطوط سود.

والكساء[1] والأردية [2] والإزار [3] ، ويُقسّم على من حضره أقبية[4] الديباج المخوَّصة [5] بالذهب ، ويرفع لمن لم يحضر [6].

إذ المباهاة في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة ، بل هي من سمات النساء.

والمحمود منها نقاوة الثوب ، والمتوسط في جنسه ، وكون لبس مثله غير مسقط لمروءة جنسه » . انتهى [7].

وكان - صلى الله عليه وسلم - ينام على الفراش تارة ، وعلى النطع تارة ، وعلى الحصير تارة ، وعلى الأرض تارة.

وفي الصحيحين [8] : «أنه كان فراشه أدمًا [9] حشوه ليف».

وفي الصحيح [10]: «أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - دخل

---

(١) الكساء بالمد : صنف من الثياب وجمعه أكسية ، وقيل: هو شبه العباءة أكسية فيها خطوط سود.

(٢) الأردية : نوع من اللباس.

(٣) الإزار: هي الملحفة نوع من اللباس.

(٤) الأقبية: جمع قباء ، وهو صنف من الثياب تنسج من الحرير وغيره.

(٥) المخوَّصة - بتشديد الواو المفتوحة - : أي المنسوجة بالذهب ؛ أي بمثل خوص النخل ، وقيل : فيه طرائق من ذهب مثل خوص النخل.

(٦) قوله: ويرفع لمن لم يحضره : أي لمن يغيب من أصحابه المستحقين.

(٧) يعني كلام القاضي عياض ، وتقدم ذكر مصدره.

(٨) في صحيح البخاري ، كتاب : الرقاق ، باب : كيف كان عيش النبي ، من رواية عائشة - رضي الله عنها - ، ج ٧: ١٨١ ، طبعة إستانبول . وفي صحيح مسلم في كتاب : اللباس والزينة ، ج ٣: ٦٥٠ ، تحقيق محمد عبدالباقي.

(٩) أُدمًا: جمع أديم ، وهو الجلد المدبوغ.

(١٠) في صحيح البخاري في كتاب : المظالم ، ج ٣ : ١٠٥ ، وفي كتاب : اللباس ، ج ٧ : ٤٧ ، طبعة إستانبول . وفي صحيح مسلم في كتاب : الطلاق ، باب : الإيلاء واعتزال النساء ، ج ٢ : ١١١٢ ، ١١١٣ ، تحقيق محمد عبدالباقي.

على رسـول الله - صلى الله عليه وسلم - في تلك المـشربة [(١)] ، فـرآه متوسدًا مضطجعًـا على رمال حصير [(٢)] وليس في البيت إلا صبرة من قـرظ[(٣)] واهيـة معلقة ، فابتدرت عينا عمر بالبكاء . فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ما يبكيك ؟ » فـقال : يا رسول الله ، إن كسرى[(٤)] وقيصر[(٥)] فيما[(٦)] هما فيه ، وأنت صفوة الله من خلقه!. فقال : « أو في شك أنت يا بن الخطاب؟ أولئك قوم عُـجِّلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا ».

فكان - صلى الله عليـه وسلم - أزهد الناس في الـدنيا مع القـدرة عليهـا ينفقهـا هكـذا وهكـذا في عبـاد اللـه ، ولم يدخـر لنفسـه شـيئًا لغــد.

وخرّج الترمذي [(٧)] وصححه عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: « دخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد نام على رمال حصير وقد أثّر في جنبـه ، فقلت : يا رسول الله : «لو اتخذنا لك وطاء

---

(١) المشربة : الغرفة العالية.

(٢) رمـال حصيـر - بكسر الراء ، ويجـوز ضمهـا - : يقال : رمـل الحصير إذا نسجه ، والمراد : ضلوعه المتداخلة بمنزلة الخيوط في الثوب المنسوج.

(٣) القرظ: ورق شجر السَّلم يدبغ به الجلود.

(٤) كسرى: لقب لكل من تملك على بلاد الفرس.

(٥) فيصر: لقب لكل من تملك على بلاد الروم.

(٦) في النسخة «ع» [فيما هما فيه].

(٧) في صحيح الترمذي في كتـاب : الزهـد ، ج ٧ : ١١٠ ، تحقيق عـزت عبيـد . قال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » .

تجعله بينك وبين الحصير يقيك منه؟ فقال: «مالي وللدنيا ، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم راح وتركها ».

ولما بنى - صلى الله عليه وسلم - مسجده ومساكن أزواجه ، قالوا: ألا تسقفه ؟ فقال: « عريشًا كعريش موسى خشبات ، وتمام الأمر أعجل من ذلك »[١].

فكان حاله - صلى الله عليه وسلم - في مأكله ومشربه ولباسه ومساكنه حال مسافر يقنع في مدة سفره بمثل زاد الراكب من الدنيا ، ولا يلتفت إلى فضولها.

وحسبك من تقلُّله منها وإعراضه عن زهرتها وقد سيقت إليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها أن توفي - صلى الله عليه وسلم - ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله كما تقدم الحديث بذلك[٢]، وتقدم - أيضًا - قول عائشة - رضي الله عنها - : « لقد توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رفٍّ لي ». وقالت أيضًا: « ما ترك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دينارًا ولا درهمًا ولا شاة ولا بعيرًا »[٣].

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه ، ج ١: ١٨.

(٢) يريد بذلك حديث عائشة الذي تقدم . وانظر تخريجاته في صحيح البخاري ، ج ٣: ٢٣١ ، وفي صحيح مسلم ، ج ٣: ١٢٢٦ ، تحقيق محمد عبدالباقي.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب : الوصية ، باب : الوصية لمن ليس له شيء ، ج ٣: ١٢٥٦ ، تحقيق محمد عبدالباقي.

القسم الثاني :

هديه - صلى الله عليه وسلم - في النكاح

ما اتفق على التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه.

أما النكاح فمتفق عليه شرعًا وعادة ؛ فإنه دليل الكمال ، وصحة الذكورية . ولم يزل التفاخر عادة معروفة ، والتمادح به سيرة ماضية.

وأما في الشرع فسنة مأثورة من سنن المرسلين ، معلومة من سيرتهم عند المتقدمين والمتأخرين من الموافقين والمخالفين.

وله مصالح عديدة لأجلها شرعه الله -تعالى- ، ومقاصده الأصلية ثلاثة:

أحدها : حفظ النسل ، ودوام النوع الإنساني إلى أن تتكامل المدة التي قدر الله -تعالى- بروزها إلى هذا العالم.

وهذه مصلحة عظيمة دالة على فضيلة النكاح ، والشرائع جاءت بتحصيل المصالح.

الثاني : إخراج الماء الذي يضر احتقانه واحتباسه بجملة البدن . وهذا فيه من حفظ الصحة ما تقتضي الحكمة مشروعيته ، واستحسانه من أجله.

الثالث : قضاء الوطر ، ونيل اللذة ، والتمتع بالنعمة .

وهذه هي الفائدة التي في الجنة ؛ إذ لا تناسل هناك يستفرغه الإنزال.

لكن النصارى ينكرون النعيم الجسماني في الجنة ، وما أخبرت به الأنبياء من المآكل والمشارب والملابس والمناكح.

فحقيقة قولهم إنكار المعاد الذي أخبرت به الرسل ، فقد كفروا بالله وبرسله وباليوم الآخر.

والمقصود التنبيه على فضيلة النكاح . وكان فضلاء الأطباء يرون أن الجماع أحد أسباب حفظ الصحة ، وقد قالوا: إن المني إذا دام احتقانه أحدث أمراضًا رديئة ، منها : الوسواس ، والجنون ، والصرع وغير ذلك . وقد يبرئ استعماله من هذه الأمراض كثيراً ؛ فإنه إذا طال احتباسه فسد ، واستحال إلى كيفية رديئة توجب أمراضًا رديئة ، ولذلك تدفعه الطبيعة إذا كثر عندها من غير جماع .

وقال محمد بن زكريا [١] :

« من ترك الجماع مدة طويلة ضعفت قوى أعصابه ، واستدت[٢] مجاريها ، وتقلص ذكره » ، قال : « ورأيت جماعة تركوه لنوع من التقشف ؛ فبردت أبدانهم ، وعسرت حركاتهم ، ووقعت عليهم كآبة بلا سبب ، وقلت شهواتهم وهضمهم » انتهى[٣].

ومن منافعه غض البصر ، وكف النفس ، والقدرة على العفة عن الحرام ، وتحصيل ذلك للمرأة . فهو ينفع نفسه في دنياه وآخرته ،

---

(١) هو أبوبكر محمد بن زكريا الرازي ، ولد بالري سنة ٢٥١هـ ، من أئمة الطب ، له مصنفات فيه عديدة مشهورة . منها المطبوع والمخطوط ، وقد كف بصره في آخر حياته ، ومات في بغداد سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة من الهجرة. (طبقات الأطباء، لابن جلجل ، والفهرست ، لابن النديم ، ج ١ : ٣٩٩).

(٢) في النسخة «ع» [واشتدت].

(٣) هذا القول نقله عن محمد بن زكريا ، العلامة ابن القيم في كتابه زاد المعاد في هدي خير العباد ، ج٣: ١٤٦ ، طبعة دار الفكر ، كما ذكره القسطلاني في كتابه المواهب اللدنية ، ج١: ٣٤١ .

وينفع المرأة ، فمشروعيته للأنبياء ومحبتهم له يحمل المقتدي بهم على تحصيله ، فيترتب عليه ما ذكرنا من المصالح وغيرها.

فقد ظهر بما قررناه أن النكاح فضيلة يرغب فيها الأفاضل ، ولا يقدح في فضله إلا غبي جاهل ؛ ولذلك كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتعاهده ، ويحبه ، ويقول: «حُبِّب إليّ من دنياكم النساء والطيب ، وجُعِلت قرة عيني في الصلاة» (١).

وحث على التزويج أمته فقال: «تزوجوا ؛ فإني مكاثر بكم الأمم»(٢).

وأنكر على النفر من أصحابه الذين قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدًا ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ، ولا أفطر ، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء ، ولا أتزوج أبدًا. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، ولكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتي فليس مني» . أخرجه البخاري (٣) ومسلم (٤).

وقال لعثمان بن مظعون: «أرغبةً عن سنتي؟ قال : لا والله ، يا رسول

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ، ج ٣ : ١٢٨ ، ١٨٥ ، ١٩٩ ، طبعة المكتب الإسلامي . وأخرجه النسائي في السنن بشرح السيوطي وحاشية السندي ، ج ٣ : ٦١ ، باب : حب النساء ، والحاكم في المستدرك ، ج ٢: ١٦٠ ، طبعة دائرة المعارف النظامية بالهند.

(٢) أخرجه النسائي في سننه في باب : كراهية تزوج العقيم ، عن معقل بن يسار ، ج ٦ : ٦٦. وأبوداود في سننه ، ج ٢ : ٢٢٠ ، في : باب : النهي عن تزوج من لم يلد من النساء ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، والإمام أحمد في المسند ، ج ٣ : ١٥٨ ، عن أنس بن مالك.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب : النكاح ، باب : الترغيب في النكاح ، ج ٦ : ١١٦ ، طبعة إستانبول.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب : النكاح ، ج ٢ : ١٠٢ ، تحقيق محمد عبدالباقي.

الله ، ولكن سنّتَك أطلب. فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «فإني أنام وأصلي ، وأصوم ، وأفطر ، وأنكح النساء . فاتق الله يا عثمان ؛ فإن لأهلك عليك حقًا ، وإن لضيفك عليك حقًا ، وإن لنفسك عليك حقًا. فصم وأفطر ، وصلِّ ونم » . أخرجه أبو داود [1].

فحبُّ النساء والنكاح من كمال الإنسان ، ولو كان نقيصة أو قدحًا في الفضيلة لصان الله عنه أنبياءه ورسله الذين اصطفاهم على العالمين.

هذا خليل الله إبراهيم - إمام الحنفاء - كانت عنده سارة [2] أجمل نساء العالمين ، وأحب هاجر [3] ، وتسرَّى بها .

وهذا داود - عليه السلام - على زهده وأكله من عمل يده - كان عنده تسع وتسعون امرأة ، فأحب تلك المرأة[4]، وتزوج بها ، فكمّل المائة[5].

---

(١) في سنن أبي داود من رواية عائشة، ج ٢:٤٨، في باب: القصد في الصلاة. وأخرجه - أيضًا - الدارمي في سننه في باب: النهي عن التبتل، من رواية سعد بن أبي وقاص.

(٢) سارّة - بتشديد الراء - : هي زوج نبي الله ورسوله إبراهيم الخليل - عليه السلام - وهي أم ولده إسحاق. وكانت عقيمًا لا تلد ، فقدَّر الله لها أن تلد وهي عجوز ، فولدت نبي الله إسحاق - عليهما السلام -.

(٣) هاجر: هي أم نبي الله إسماعيل - عليه السلام - ، كانت جارية مملوكة لسارة زوج إبراهيم ، وهبها لها ملك مصر الجبار ، فوهبتها سارة لإبراهيم ، فتسرى بها ، فولدت له ابنه إسماعيل - عليه السلام -.

(٤) في كتاب الشفا للقاضي عياض اسمها (أوربا).
وهذه القصة ترجع إلى أقوال غير صحيحة. قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (ج ٤ : ٣١) : « قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ».

(٥) أخرج الحاكم في المستدرك (ج ٤: ٥٨٦) عن السدي : «كان لداود تسع وتسعون امرأة» . وقال القاضي عياض في كتابه الشفا (ج ١: ١٩٧) «وكان لداود - عليه السلام - على زهده وأكله من عمل يده تسع وتسعون امرأة، وتمت بزواج أوربا مائة».

وهذا سليمان ابنه - عليه السلام - كان يطوف في الليلة على تسعين امرأة [1].

قال ابن عباس: « كان في ظهر سليمان [2] ماء مائة رجل ، وكان له ثلاثمائة امرأة وثلاثمائة سرية »[3].

وحكى النقاش[4] وغيره: « سبعمائة امرأة وثلاثمائة سرية » . ذكره القاضي عياض[5].

ولكون النكاح بهذه المثابة من الفضيلة ؛ قال بعض العلماء: إن ثناء الله على يحيى - عليه السلام - بأنه حصور ليس كما قال بعضهم : إنه كان هيوبًا ، لا ذكر معه .

قال عياض[6]: «أنكر هذا حُذَّاق[7] المفسرين ، ونُقَّاد[8] العلماء ، وقالوا: هذه نقيصة وعيب ، ولا تليق بالأنبياء . وإنما معناه أنه معصوم

---

(١) رواه أبو هريرة ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب : الأيمان ، ج ٣: ١٢٧٦ ، ترتيب محمد عبدالباقي.

(٢) في النسخة «س» [عليه السلام].

(٣) ذكر هذا القول عن ابن عباس القاضي عياض في كتابه الشفا ، ج ١ : ١٩٧ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين.

(٤) هو أبوبكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون النقاش الموصلي البغدادي ، ولد سنة ٢٦٦هـ ، ونشأ ببغداد . وقد لُقِّب بالنقاش ؛ لأن مهنته في أول حياته ينقش السقوف والحيطان ، فعرف بهذا الاسم . عالم بالقرآن والتفسير ، توفي سنة ٣٥١ هـ . رحمه الله. (وفيات الأعيان ، ج ٤ : ٢٩٨).

(٥) في كتاب الشفا ، ج ١ : ١٩٧ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين ، طبعة دار الوفاء للطباعة ، دمشق.

(٦) في كتاب الشفا ، ج١ : ١٩٣ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين.

(٧) حذّاق: جمع حاذق ، وهو الماهر في الصنعة ، والمراد هنا المتمكن في علم التفسير .

(٨) نقّاد: جمع ناقد ، وهو الذي يميِّز جيِّد النقدين من رديئهما .

من الذنوب ، أي : لا يأتيها ، كأنَّه حُصِرَ عنها. وقيل: مانعًا نفسه من الشهوات ، وقيل: ليس له شهوة في النسَاء » . انتهى [1].

وأما ما أشار إليه النصراني من ترك عيسى - عليه السلام - للتزويج فليس فيه دلالة على أن ذلك أفضل ؛ لأنا قد بيَّنا بالأدلة الواضحة شرعًا وعقلاً أفضلية التزويج ، وأن عدم القدرة على النكاح ليس فضيلة ؛ فالفضل في كونها موجودة .

ثم يختلف حال الشخص فمن يتسع وقته للقيام بحقوق الزوجية فقمع نفسه إما بالمجاهدة كعيسى - عليه السلام - أو بكفاية من الله - تعالى - كيحيى بن زكريا - عليهما السلام - فذلك فضيلة من هذا الوجه ؛ لكون التزويج شاغلاً في كثير من الأوقات حاطًّا إلى الدنيا ، أو معرضًا لتضييع الحقوق الواجبة فيه.

ثم هو في حق من قدر عليه وقام بالواجب فيه ولم يشغله عن ربه درجةٌ عليا وهي درجة نبينا محمد [2] - صلى الله عليه وسلم - الذي لم تشغله كثرة النساء عن عبادة ربه - عز وجل - ، بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن ، وقيامه بحقوقهن ، واكتسابه لهن ، وهدايته إياهن ، ونقلهن للأمة محاسنه الباطنة . بل صرَّح أنها ليست من حظوظ دنياه هو وإن كانت من حظوظ دنيا غيره ، فقال :

---

(١) انظر تفاصيل الخلاف في هذه المسألة في تفسير قوله تعالى: ﴿ ... أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ... ﴾ سورة آل عمران ، الآية : ٣٩ . في التفاسير التالية :

١ - تفسير ابن جرير ، ج ٦: ٢٧٦ ، تحقيق محمود شاكر.

٢ - تفسير القرطبي ، ج ٣: ٧٧ ، طبعة دار الكتب المصرية.

٣ - تفسير ابن كثير ، ج ١ : ٣٦١ ، طبعة المكتبة الشعبية.

(٢) في النسخة «س» [نبينا صلى الله عليه وسلم] بدون كلمة (محمد) .

«حُبِّب إليَّ من دنياكم النساء والطيب، وجُعِلت قرة عيني في الصلاة»[1].

فدل على أن حبه للنساء والطيب اللذين هما من أمور دنيا غيره، واستعماله لذلك ليس لدنياه بل لآخرته؛ للفوائد التي ذكرناها في التزويج، وللقاء الملائكة في الطيب، ولغير ذلك.

وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه، ومناجاته؛ ولذلك ميَّزَ بين الحبين، وفصل بين الحالتين، فقال: «وجعلت قرة عيني في الصلاة».

فقد ساوى يحيى وعيسى في كفاية فتنتهن، وزاد فضيلة في القيام بهن.

وأما الجاه - فهو كما قال القاضي أبو الفضل[2] - « محمودٌ عند العقلاء عادة، وبقدر جاهه تكون عظمته في القلوب. لكن آفاته كثيرة، فهو مضر لبعض الناس لعقبى الآخرة؛ فلذلك ذمَّه من ذمَّه، ومدح ضده. وورد في الشرع مدح الخمول[3]، وذم العلو في الأرض.

وكان - صلى الله عليه وسلم - قد رُزِقَ من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند أهل الجاهلية وبعدها، وهم يكذبونه

---

(١) تقدم تخريج هذا الحديث قريبًا.

(٢) عياض اليحصبي في كتابه الشفا، ج ١: ١٩٨-٢٠٠، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين.

(٣) المقصود بالخمول هنا: كراهية الظهور والاستعلاء على الناس. أما الكسل والدعة وترك العمل فمذموم.

ويؤذون أصحابـه ، ويقصدون أذاه في نفسـه خفية ، حتـى إذا واجههم أعظموا أمره وقضوا حاجته . وأخباره في ذلك معروفة .

وقد كـان يبهت ، ويفرق لرؤيتـه من لم يره . كمـا روي عن قيلة [١] أنهـا لما رأته أرعـدت[٢] من الفـرق[٣] ، فـقـال: « يا مـسكيـنة ، عليك السكينة »[٤].

وفي حـديث ابـن مـسـعـود[٥]: أن رجـلاً قـام بين يـديه فـأرعـد ، فقـال - صلى الله عليه وسلم -: «هوِّنْ عليك ؛ فإني لست بملك . إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد [٦]»[٧].

وأما عـظيم قدره بالنبـوة ، وشريف منزلتـه بالرسالة ، وأنـافة رتبـته بالاصطفـاء والكرامـة في الدنيـا ، فـأمـر هو مـبلغ النهـاية ، ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم » . انتهى[٨].

---

(١) هي قيلة بنت مخرمة العنبرية.

(٢) أرعدت: ارتعدت واضطربت من الخوف.

(٣) الفرق: الخوف والاضطراب.

(٤) رواه الترمذي في الشمائل في باب : مـا جاء في جلسة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ص ٩ ، الطبعة الهندية . وقد أورده القاضي عياض في كتابه الشفا ، ج ١ : ١٩٩ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين.

(٥) في النسخة «ع» [رضي الله عنه].

(٦) القديد: اللحم المجفَّف بالملح وغيره.

(٧) أخرجه ابن ماجه في سننه في باب : الأطعمة ، ج٢ : ١١٠١ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج ٩ : ٢٠) : « إسناده صحيح ، ورجاله ثقات » ، وقال السيوطي: « قال ابن عساكر : هذا الحديث معدود في أفراد ابن ماجه » .

(٨) انتهى كلام القاضي في كتاب الشفا ، ج ١: ١٩٨ - ٢٠٠.

وكان - صلى الله عليه وسلم - على ما أعطاه الله من الجاه العريض ، ونفوذ الكلمة ، وعلو المنصب ، ورفعة الرتبة في غاية التواضع لربه - تعالى -.

وكان ينهى أصحابه أن يقوموا له ، ويقول: « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظِّم بعضها بعضًا »[1].

وقال - صلى الله عليه وسلم -: « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد»[2].

وكان يركب الحمار ، ويردف خلفه ، ويعود المساكين ، ويجالس الفقراء ، ويجيب دعوة العبد ، ويجلس بين أصحابه مختلطًا بهم ، حيثما انتهى به المجلس جلس.

وعن عائشة والحسن [3] وأبي سعيد وغيرهم في صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - وبعضهم يزيد على بعض :

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند عن أبي أمامة ، ج ٥: ٢٥٣ ، طبعة دار صادر ، بيروت. ورواه أبوداود في السنن في كتاب : الأدب ، باب : قيام الرجل للرجل ، ج ٤ : ٣٥٨ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

(٢) هذا الحديث ذكره الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد ، ج ٩: ٢١ ، ط٣ ، وقال: « رواه البزار ، وفيه حفص بن عمارة الطاحي ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله وثِّقوا » . وذكره - أيضًا - القاضي عياض في الشفا ، ج ١: ٢٦٣ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين.

(٣) هو الحسن بن علي بن أبي طالب وأمه فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. ولد سنة ثلاث من الهجرة بالمدينة ، وبويع بالخلافة بعد وفاة أبيه في شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة ، وتنازل عنها لمعاوية بن أبي سفيان سنة إحدى وأربعين تورعًا وحقنًا لدماء المسلمين . كان - رضي الله عنه - عابدًا تقيًا ، حج أكثر من عشرين حجة. وتوفي بالمدينة سنة تسع وأربعين من الهجرة . (أسد الغابة ، ج ٢ : ٩ ، والبداية والنهاية ، ج ٨: ٢٤) .

« كان في بيته في مهنة أهله : يفلي ثوبه ، ويحلب شاته ، ويرقع ثوبه ، ويخصف[1] نعله ، ويخدم نفسه ، ويعلف ناضحه ، ويقمُّ البيت ، ويعقل البعير ، ويأكل مع الخادم ، ويحمل بضاعته من السوق»[2].

وستأتي الإشارة إلى حلمه واحتماله ، وعفوه بعد القدرة - فيما بعد[3] إن شاء الله -[4].

القسم الثالث :

وهو ما تختلف الحال في التمدح به ، والتفاخر بسببه ، والتفضيل لأجله .

ككثرة المال : فمتى كان صاحبه منفقًا له في مهماته ، مشتريًا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة في القلوب كان فضيلة في صاحبه عند أهل الدنيا.

وإذا صرفه في وجوه البر وقصد به وجه الله والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل .

ومتى كان صاحبه ممسكًا له عاد كثره كالعدم ، وكان منقصة في صاحبه ، يشبه خازن المال ولا مال له.

---

(١) يخصف نعله: يخرزها.

(٢) جملة هذه الأوصاف التي ذكرها المؤلف من قوله : « وعن عائشة والحسن » إلى قوله : «ويحمل بضاعته من السوق» أثبتها القاضي عياض في كتابه الشفا ، ج ١: ٢٦٦ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين في باب : تواضع النبي - صلى الله عليه وسلم - .
ورواية عائشة - رضي الله عنها - في صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - : «كان يخصف نعله ، ويرقع ثوبه » . وفي رواية : « يرقع الثوب ، ويخصف النعل » . أخرجهما الإمام أحمد في المسند ، ج ٦: ١٠٦ ، ١٤٢.

(٣) في فصل : مشروعية القصاص في الإسلام.

(٤) في النسخة «ع» [إن شاء الله تعالى] ، فأضاف صفة العلو لله.

فانظر سيرة نبينا - صلى الله عليه وسلم - في المال تجده قد أوتي خزائن الأرض ومفاتيح البلاد ، وأُحِلَّت له الغنائم ، وفُتِح عليه - صلى الله عليه وسلم - بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق ، وجُبِيَ إليه من جزيتها وأخماسها وصدقاتها ما لا يُجْبَى للملوك إلا بعضه ، وهادته جماعة من ملوك الأقاليم فما استأثر بشيء منه ، ولا أمسك منه درهمًا ، بل صرفه في مصارفه ، وأغنى به غيره ، وقوَّى به المسلمين.

وقال - عليه الصلاة والسلام -: « ما يسرني أن لي أُحُدًا ذهبًا يبيت عندي منه دينار إلا دينارًا أرصده لدين » [1].

وأتته دنانير فقسمها ، وبقيت منها ستة ، فدفعها لبعض نسوته ، فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها. وقال: «الآن استرحت» [2].

وبالجملة ، فتفاصيل أخلاقه الكريمة وأوصافه العظيمة تقصر دونها الأفهام ، وتكلُّ عن تدوينها الأقلام . وإنما أثبتنا في هذا الفصل ما اقتضاه الحال على سبيل الاختصار في المقال جوابًا عن قول المعترض : « وأكبر علاماتك اطراح اللذات البدنية » بما فيه مقنع لذوي الفطن والعقول الزكية.

---

(١) متفق عليه في صحيح البخاري في كتاب : الاستقراض ، باب : أداء الديون ، ج ٣: ٨٢ ، طبعة إستانبول . وفي صحيح مسلم في كتاب : الزكاة ، باب : تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة ، ج ٢ : ٦٨٧ ، ترتيب محمد عبدالباقي.

(٢) ذكره ابن سعد عن عائشة - رضي الله عنها -. وذكره القاضي عياض في كتاب الشفا ، ج ١: ٢٠٣ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين.

فصل

مَنْ وُلِدَ من غير أب أو أم لا يكون أفضل من غيره .

وأما قول النصراني: « إن يشوع هو على ما يعترف به المسلمون المسيح الموعود به في التوراة وكتب الأنبياء ، ويسميه محمد بكلمة الله وروحه ، ويقول: إنه لم يكن له أب من البشر . وأما محمد فهو مولود على الطريق المعتاد في الطبيعة »[1].

فالجواب عنه - ومن الله التأييد - أن نقول:

أما الثناء على عيسى - عليه السلام - وتنزيهه وتنزيه أمه - عليهما السلام - عن فرية المفترين وكذب الكاذبين فقد جاء بذلك نبينا - صلى الله عليه وسلم - ، وذلك تصديق نص الإنجيل[2] الذي قدمنا ذكره[3] في وصف الفارقليط ، حيث قال: «وهو يمجِّدني».

فلم يمجِّده تمجيده الحق إلا محمد - صلى الله عليه وسلم -؛ فإنه جاء بتنزيه أخيه المسيح عن فرية المكذبين له وفرية المغالين فيه ، وأتى فيه بالقول الحق والمذهب الوسط بين غلو النصارى وإطرائهم ، وبين تكذيب اليهود وجفائهم.

قال الله - تعالى - في كتابه : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ

(١) كتاب مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن ، ص ١٢٠ ، نسخة المكتبة البريطانية لندن.

(٢) إنجيل يوحنا ، الإصحاح الرابع عشر.

(٣) تقدم ذكره في مبحث : صفة محمد - صلى الله عليه وسلم - في الإنجيل.

الصَّالحينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[1].

وقال - تعالى -: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴿١٧١﴾ لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ... ﴾[2].

وقال - تعالى - : ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[3] . والآيات في هذا المعنى كثيرة معلومة.

وفي الصحيحين[4] عن عبادة بن الصامت[5] - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: « من شهد أن لا إله

---

(١) سورة آل عمران ، الآيات : ٤٥ -٤٧.

(٢) سورة النساء ، الآيتان : ١٧١ - ١٧٢.

(٣) سورة الزخرف ، الآية : ٥٩.

(٤) في صحيح البخاري في كتاب : الأنبياء ، ج ٤ : ١٣٩ ، طبعة إستانبول. وفي صحيح مسلم في كتاب : الإيمان ، ج ١ : ٥٧ ، ترتيب محمد عبدالباقي.

(٥) هو أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي ، صحابي جليل ، شهد العقبة الأولى والثانية ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، واستعمله على الصدقات . وأرسله عمر إلى حمص قاضياً ومعلماً للقرآن والدين. وتوفي بالرملة . وقيل : في بيت المقدس سنة أربع وثلاثين من الهجرة . (أسد الغابة، ج ٣: ١٠٦).

إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل ».

فهذا ما يعترف به المسلمون من أمر المسيح - عليه السلام -.

وأما كون ذلك يقتضي تفضيله على خاتم الأنبياء وسيد ولد آدم فكلاً ولَمَّا. ولكنه آية من آيات الله الدالة على قدرته على ما يشاء ، حيث أوجده من أم بلا أب ، بل خلقه بكلمة «كن» كما قال - تعالى -: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[1].

فالله - تعالى - خلق البشر على أربعة أنواع من الخلق: فخَلَقَ آدم - عليه السلام - من تراب من غير أب ولا أم ، وخلق حواء من أب لا أم ، حيث خلقها من ضلع آدم ، وخلق عيسى - عليه السلام - من أم بلا أب ، وخلق سائر البشر من بين الأم والأب - فتبارك الله أحسن الخالقين - .

وهذا التنويع في الخلق دال على قدرة الخلاق وكمال ربوبيته ، وأنه ما شاء كان ، وأنه المستحق لأن يعبد وحده لا شريك له ، وألَّا يُجْعَل له ندٌّ من خلقه - تعالى الله عما يشركون -.

وليس في خلق عيسى - عليه السلام - من أم بلا أب ما يقتضي

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٥٩.

تفضيله على إبراهيم - إمام الحنفاء وخليل الرحمن - ، ولا على موسى - كليم الله ونجيّه - ، فضلا عن أن يدل على تفضيله على خاتم الأنبياء وسيد الخلق في الدنيا والآخرة.

وكما أن تخصيص آدم بخلقه من تراب لا يقتضي تفضيله على غيره ، فكذلك عيسى - عليه السلام -.

وأيضًا فخلق حواء - عليها السلام - من غير أم لا يقتضي تفضيلها على مريم بنت عمران[1]، وفاطمة[2] بنت محمد ، وأمها خديجة[3]،

---

(١) هي الصديقة البتول مريم بنت عمران أحد علماء وعُبَّاد بني إسرائيل ، وأمها حنة بنت فاقوذ امرأة عمران ، مات أبو مريم وهي صغيرة ، فكفلها زكريا زوج خالتها. ولما بلغت مبلغ النساء حملت بنبي الله وعبده ورسوله عيسى - عليه السلام - على صفة لم تكن على عادة النساء ؛ بأن حملت به من دون أن يمسها ذكر.

(٢) هي فاطمة بنت محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وأمها خديجة بنت خويلد ، ولدت في مكة قبل البعثة النبوية بحوالي أربع سنين ، وتزوجها علي بن أبي طالب بعد وقعة أحد ، فولدت له الحسن والحسين ومحسن وزينب وأم كلثوم ، وتوفيت بالمدينة سنة إحدى عشرة من الهجرة بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بستة أشهر ، ولها من العمر ثماني وعشرون سنة . - رضي الله عنها وأرضاها - . (أسد الغابة ، ج ٥ : ٥١٩ ، وتهذيب التهذيب ، ج ١٢ : ٤٤٠).

(٣) هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشية ، ولدت في مكة سنة ثمان وستين قبل الهجرة ، وتزوجها أولاً أبو هالة بن زرارة التميمي ، فمات عنها ، ثم تزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل البعثة ، فولدت له القاسم وعبدالله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة . كانت - رضي الله عنها - امرأة عاقلة صالحة، لما بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - صدقته، وأسلمت ، وآزرته. توفيت في مكة قبل الهجرة بثلاث سنين . (طبقات ابن سعد ، ج ٨ : ٥٢ ، أسد الغابة ، ج ٥ : ٤٣٤).

وعائشة[1] ، وآسية امـرأة فرعون[2] ؛ فقد جـاءت الأحاديث بفضلهن على سائر النساء .

فعـرفت أنه ليس في ولادة محـمد - صلى الله عليـه وسلم - على الطريق المعتاد في الطبيعة ما يحط رتبـته أو يقدح في فضيلته أو يقتضي تفـضيل مـخلوق عليـه ، فـإن الكل اشـتركـوا في أن الله - تعـالى - أوجدهم من العدم ، وخلقهم بعد أن لم يكونوا على مـا اقتضته حكمته ، ثم اخـتص من شاء منهم بما شـاء ، وفـضَّل بعضـهم على بعض ، ورفع بعضهم فـوق بعض درجات على وفق ما قـضاه في الأزل ، وجرى به قلم التقـدير ، واقتـضـاه اختيـار الرب - تعالى- اصطفاؤه . كـما قال - تعالى -: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾[3] .

وأيضًا فـعيسى - عليه السـلام - حملت به أمه ، وتقلَّب في رحـمها ، ووضعـته على الطريق المعتـاد في حمل النساء وولادتهن ، فـهل كان ذلك نقصاً في حقه وحطاً لرتبته؟ ! .

وإذا لم يكن كذلك تحقَّق أن ميلاد مـحمد - صلى الله عليه وسلم - بين أبوين لا نقص فيـه ؛ إذ خصائص البـشرية من خلقتـه من ضعف ، ثم حاجته إلى الطعام والشراب أمر لا ينفك منه بشر.

---

(١) تقدمت ترجمتها في أول الكتاب في مبحث : فتاوى المؤلف ، ص ٣٣ .

(٢) هي آسية بنت مـزاحم ، زوج فرعون، آمنت بالله وصدقت برسالة مـوسى - عليه السلام -، فأسكنها الله الجنة ، وضرب بها المثل في الإيمان ، قال الله - تعالى - : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ . سورة التحريم ، الآية : ١١.

(٣) سورة القصص ، الآية : ٦٨.

وهذا برهان قاطع على بطلان ربوبية المسيح وأمه . كما نبه - تعالى - على ذلك في قوله: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[1].

فليس من تعظيم الأنبياء الغلو فيهم ومجاوزة الحد برفعهم عن منزلة العبودية إلى منزلة الألوهية والربوبية ، كما هو مذهب النصارى ، فإنهم تجاوزوا الحدَّ في عيسى ، حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها ، بل غلوا في أتباعه ، وادعوا فيهم العصمة ، واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقاً أو باطلاً ، أو ضلالاً أو رشاداً ، أو صدقاً أو كذباً. ولهذا قال - تعالى -: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2].

وفسر النبي - صلى الله عليه وسلم - لعدي بن حاتم[3] عبادتهم

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٧٥.

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٣١ .

(٣) هو عدي بن حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج الطائي ، وأبوه هو حاتم الموصوف بالكرم والحلم والشجاعة . وفد عدي على النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وكان نصرانياً فأسلم ، وكان عدي شريفاً في قومه كريماً ، وتوفي بالكوفة سنة سبع وستين من الهجرة . (أسد الغابة ، ج ٣ : ٣٩٤).

إياهم : بأنهم كانوا يحلون لهم ما حرم الله فيستحلونه ، ويحرمون عليهم ما أحل الله فيحرمونه[1].

وقال الله - تعالى -: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ . . . ﴾ الآية[2].

وقال - تعالى -: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾[3].

ومعنى الآية : لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ، ولا تطروا ابن مريم حتى تبالغوا في تعظيمه ، حتى تخرجوه من حيز النبوة إلى مقام الإلهية ، وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلهاً من دون الله ، وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخ الضلال الذين هم سلفكم ممن ضلَّ قديماً ، وأضلوا كثيراً ، وضلوا عن سواء السبيل ؛ أي : وخرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال إلى طريق الغواية والضلال.

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن عن عدي بن حاتم ، ج ٨ : ٣٤٨. وقال : « هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبدالسلام بن حرب ، وغطيف بن أيمن ليس بمعروف الحديث ». وأخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ، ج ٤ : ٢٠٩ ، تحقيق أحمد شاكر. وأورده ابن كثير في التفسير ، ج ٤ : ٧٧، تفسير الآية (٣١) من سورة التوبة .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٧١ .

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٧٧.

وقـد حـذّر النبي - صلى الله عليـه وسلم - أمتـه من الغلو ، وأن يصنعوا مثل صنيعهم . ففي مسند الإمام أحمد[١] وصحيح البخاري[٢] عن ابن عـباس[٣] عن عـمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن رسـول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا تطروني كـما أطرتْ النصارى عيسى ابن مريم ؛ فإنما أنا عبد الله ورسوله».

ولفظ البخاري : «فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبدالله ورسوله».

وقال الإمـام أحمـد[٤]: ثنا حسـن بن موسى[٥] حدثنا[٦] حمـاد بن سـلمة[٧] عن ثابت البنـاني[٨] عـن أنـس[٩] أن رجـلاً قال: يا محمـد ،

---

(١) في مسند الإمام أحمد ، ج ١ : ٢٢٦ ، الحديث رقم ١٦٤ ، تحقيق أحمد شاكر. قال المحقق : « إسناده صحيح ».

(٢) في صحيح البخاري كتاب : الأنبياء ، ج ٤ : ١٤٢ طبعة إستانبول.

(٣) في النسخة «ع» [رضي الله عنهما] .

(٤) في مسند الإمام أحمد ، ج ٣ : ١٥٣ ، طبعة المكتب الإسلامي.

(٥) هو أبو علي الحسن بن مـوسى الأشيب البغدادي قـاضي طبرستان والموصل وحـمص. وثَّقه ابن مـعين وابن سعـد ، وذكره ابن حـبـان في الثقـات ، وتوفي بالري سنة تسع ومـائتين من الهجرة - رحمه الله-. (طبقات ابن سعد ، ج ٧ : ٣٣٨).

(٦) في النسخة «س» [ثنا] بالاختصار ، والمعنـى: حدثنا ، وقد اصطلح المحدثون على هـذا.

(٧) هو أبو سلمة حماد بن سلمة بن دينار البصري ، تابعي مشهور. وثّقه الإمام أحمد وابن معين والنسائي ، كان - رحـمه الله - تقياً ديِّناً عـابداً ، توفي سنة سبع وستين ومائـة من الهجرة. (تذكرة الحفاظ للذهبي ، ج ١ : ٢٠٢).

(٨) هو أبو محمد ثابت بن أسلم البناني البصري ، وثَّقـه العجلي والنسائي وأبو حاتم وابن حبان ، وتوفي سنة سبع وعشـرين ومائة من الهجرة. كان - رحمه الله - مـن أهل العبادة والصلاح والتقى . (طبقات ابن سعد ، ج ٧ : ٢٣٢).

(٩) في النسخة «ع» [رضي الله عنه].

يا سيدنا وابن سيدنا ، وخيرنا وابن خيرنا. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

« يا أيهـا الناس ، عليكم بقولـكم ، ولا يستـهوينكم الشـيطان ، أنا محمد بن عبدالله ، عبـدالله ورسوله ، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل » .

فصل

عقيدة المسلمين في عيسى - عليه السلام -

وأما ما وصف الله به المسيح في قوله تعالى: ﴿ ... إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ... ﴾[1] فمعناه إنما هو عبد من عباد الله ، وخلق من خلقه ، قال له : كن فيكون ، فكان رسولاً من رسله.

ومعنى قوله : ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ أي : خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبرئيل - عليه السلام -، فنفخ فيها من روحه بإذن ربه - عز وجل - ، وكانت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها ، فنزلت حتى ولجت الفرج ، فكانت بمنزلة لقاح الأب والأم ، والجميع مخلوق لله - عزوجل -.

ولهذا قيل لعيسى : إنه كلمة الله وروح منه ؛ لأنه لم يكن له أب تولَّد منه ، إنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال الله بها : كن ، فكان ، والروح التي أرسل بها جبرئيل[2].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[3].

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١٧١.

(٢) في النسخة «ع» [عليه السلام] .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٥٩.

وقال عبدالرزاق[1] عن معمر[2] عن قتادة[3]: « ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾. هو قوله : " كن " فكان » .

وعن بعض السلف قال : « ليست الكلمة صارت عيسى ، ولكن بالكلمة صار عيسى »[4].

قال ابن كثير: « وهذا أحسن مما ادعاه ابن جرير في قوله : ﴿أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ أي : علَّمها بها[5]، كما زعمه في قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ...﴾[6] ؛ أي : يعلِّمك بكلمة منه ، ويجعل ذلك كقوله : ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾[7]. بل الصحيح أنها الكلمة التي جاء بها جبرئيل إلى مريم ، فنفخ فيها بإذن الله ، فكان عيسى - عليه السلام -» انتهى[8].

---

(١) هو أبوبكر عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم الصنعاني ، ولد سنة ست وعشرين ومائة. وثَّقه أبو زرعة الدمشقي وابن معين والإمام أحمد . وفيه تشيُّع ، توفي سنة إحدى عشرة ومائتين من الهجرة . (تهذيب التهذيب لابن حجر ، ج ٦ : ٣١٠) .

(٢) هو أبو عروة معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم البصري ، من أهل البصرة ، ثم انتقل إلى اليمن ، من حفاظ الحديث . وثَّقه العجلي والنسائي وأحمد ، وذكره ابن حبان في الثقات ، توفي في رمضان سنة اثنتين أو ثلاث وخمسين ومائة من الهجرة ، وهو ابن ثمان وخمسين سنة - رحمه الله -. (طبقات ابن سعد ، ج ٥ : ٢٤٦).

(٣) تقدم التعريف به.

(٤) انظر تفسير ابن كثير ، ج ١: ٥٩٠ ، تفسير الآية (١٧١) من سورة النساء.

(٥) تفسير ابن جرير ، ج ٦ : ٤١٢ ، تحقيق محمود شاكر.

(٦) سورة آل عمران ، الآية : ٤٥.

(٧) سورة القصص ، الآية : ٨٦.

(٨) كلام ابن كثير في التفسير ، ج ١ : ٥٩٠ ، تفسير الآية (١٧١) من سورة النساء.

فإن قيل : الكون بكلمة «كن» ليس مختصاً بعيسى ، بل هو عام في كل مخلوق ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[1].

أُجيبَ بأنه لما كان السبب المتعارف مفقوداً في حق عيسى - وهو الأب - كان اتصاف حدوثه بالكلمة أكمل وأتم ، فجعل بهذا التأويل كأنه نفس الكلمة.

كما أن من ظهر عليه الجود والكرم والإقبال يقال فيه على سبيل المبالغة: إنه نفس الجود ، ومحض الكرم ، وصريح الإقبال ، فكذا هاهنا.

وأما « مِنْ » في قوله : ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ فليست للتبعيض كما تقوله النصارى. بل لابتداء الغاية ، كما في قوله[2] : ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ...﴾[3]؛ أي : من خلقه ومن عنده ، فهو مخلوق من روح مخلوق.

وأضيفت الروح إلى الله - عز وجل - على وجه التشريف ، كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله في قوله : ﴿...هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾[4] ، وفي قوله : ﴿...وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ...﴾[5].

---

(١) سورة يس ، الآية : ٨٢ .

(٢) في النسخة «س» [في قوله تعالى] .

(٣) سورة الجاثية ، الآية : ١٣ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية : ٧٣ .

(٥) سورة الحج ، الآية : ٢٦ .

وكما في الحديث الصحيح : « وأدخل على ربي في داره »[1]، أضافها إليه إضافة تشريف لها.

وهذا كله من قبيل واحد ونمط واحد. قاله ابن كثير[2] .

وقال غيره : قد جرت عادة الناس أنهم إذا وصفوا شيئًا بغاية الطهارة والنظافة قالوا: إنه روح. فلما كان عيسى لم يتكون عن نطفة الأب ، وإنما تكوَّن عن نفخة جبرئيل ، لا جرم وُصِف بأنه روح.

وقيل: وُصف بأنه روح لأنه كان سبباً لإحياء الخلق في أديانهم ، ومن كان كذَلك وصف بأنه روح ، كما قال - تعالى - في صفة القرآن ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ... ﴾[3].

وقيل : روح منه ، أي : رحمة منه ، كما قيل في تفسير قوله - تعالى - : ﴿ ... وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ... ﴾[4]؛ أي : رحمة منه.

وفي الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إنما أنا رحمة مهداة»[5].

فلما كان عيسى - عليه السلام - رحمة من الله على الخلق من حيث إنه كان يرشدهم إلى مصالحهم في دينهم ودنياهم لا جرم سماه روحاً منه.

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ، ج ١ : ٥٩٠ ، وقال : « حديث صحيح » .

(٢) تفسير ابن كثير ، ج١ : ٥٩٠.

(٣) سورة الشورى ، الآية : ٥٢.

(٤) سورة المجادلة ، الآية : ٢٢ .

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك ، عن أبي هريرة ، ج ١ : ٣٥ ، الطبعة الأولى ، قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرطهما » . وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير ، ج ١ : ٩٥ .

قال ابن كثير[1] : والأول أظهر. يعني أنه مخلوق من روح مخلوق ، وأن الإضافة للتشريف ، وتقدمت شواهده.

فهذا مذهب الحق واعتقاد المسلمين في وصف المسيح بأنه كلمة الله وروح منه.

عقيدة النصارى في عيسى

وأما مذهب النصارى المبدِّلين فقد حكى الله عنهم في كتابه ثلاث مقالات من الكفر.

فقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

وقال - تعالى - في خطاب أهل الكتاب: ﴿...وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ...﴾[3].

وقال - تعالى -: ﴿...وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ...﴾[4] في آيات معلومة في هذا المعنى.

---

(١) في التفسير ، ج ١: ٥٩٠ ، طبعة دار إحياء الكتب العربية.
(٢) سورة المائدة ، الآيتان : ٧٢ - ٧٣.
(٣) سورة النساء ، الآية : ١٧١.
(٤) سورة التوبة ، الآية : ٣٠.

قال شيخ الإسلام أبو العباس[1]:

واعلم أن من الناس من يزعم أن هذه الأقوال الثلاثة التي ذكرها الله - تعالى -[2] عن النصارى هي قول الأصناف الثلاثة:

"اليعقوبية"[3] - وهم شرهم - وهم السودان من الحبشة والقبط.

ثم "الملكية"[4] وهم أهل الشمال من الشام والروم.

ثم "النسطورية"[5] وهم نشؤوا في دولة الإسلام في زمن المأمون[6] وهم قليل.

فاليعقوبية تزعم أن اللاهوت[7] والناسوت[8] اتحدا، وامتزجا كامتزاج الماء واللبن ، فهما جوهر واحد ، وأقنوم[9] واحد ، وطبيعة واحدة ، فصار عين الناسوت عين اللاهوت ، وأن المصلوب هو عين اللاهوت.

---

(١) ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج٢: ٣٠٩ - ٣١٩.

(٢) في النسخة «س» [التي ذكرها الله عن النصارى] فأسقط صفة العلو لله.

(٣) تقدم التعريف بهذه الفرقة في ص (١٥١).

(٤) تقدم التعريف بهذه الفرقة في ص (١٥١).

(٥) تقدم التعريف بهذه الفرقة في ص (١٥١).

(٦) الخليفة العباسي أبو جعفر عبدالله المأمون ابن هارون الرشيد العباسي القرشي الهاشمي ، ولد سنة سبعين ومائة من الهجرة ، تولى الخلافة بعد أخيه الأمين سنة ثمان وتسعين ومائة من الهجرة ، واستمر حكمه إلى أن توفي في طرسوس في شهر رجب سنة ثماني عشرة ومائتين، وكانت مدة خلافته عشرين سنة وأشهر. (البداية والنهاية ج١٠: ٢٧٤ ، وتاريخ بغداد ، ج١٠: ١٨٣).

(٧) اللاهوت في اصطلاح النصارى: هو الجزء الإلهي في المسيح كما يدَّعون. والحقيقة أنه ليس فيه شيء من الإلهية ، فدعواهم باطلة ، بل هو عبدالله ورسوله.

(٨) الناسوت في اصطلاح النصارى: هو الجزء البشري في المسيح. والحقيقة أنه بشر كله.

(٩) سيعرِّف المؤلف - رحمه الله - الأقنوم بأنه : كلمة يونانية ، والمراد بها في تلك اللغة أصل الشيء. ويعني بها النصارى : الأصل الذي كانت عليه حقيقة إلههم. وقد تقدم تعريفها في مبحث : مجامع النصارى.

والملكية تزعم أنهما صارا جوهراً واحداً ، له أقنومان ، وقيل : أقنوم واحد ، له جوهران.

والنسطورية يقولون: هما جوهران أقنومان ، وإنما اتحدا في المشيئة ، وهذا قول من يقول بالاتحاد.

وأما القول بالحلول فمن المتكلمين كأبي المعالي(١) من يذكر الخلاف فيه عن فرقهم الثلاث.

وذكر طوائف من المتكلمين كابن الزاغوني(٢) عنهم أنهم جميعاً يقولون بالاتحاد والحلول ، لكن الاتحاد بالمسيح ، والحلول في مريم ، فقالوا: اتفقت طوائف النصارى على أنّ الله جوهر واحد ، له ثلاثة أقانيم ، وأن كل واحد من الأقانيم جوهر خاص يجمعها الجوهر العام ، وذكروا اختلافاً بينهم. ثم ذكروا اليعقوبية والنسطورية والملكية.

قال الناقلون عنهم(٣): واختلفوا في الكلمة الملقاة إلى مريم ، فقالت طائفة منهم : إن الكلمة حلت في مريم حلول الممازجة ، كما يحل الماء

---

(١) هو أبو المعالي عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن عبدالله الجويني، ولد سنة ٤١٩هـ في جوين بنيسابور ، واشتهر بلقب إمام الحرمين ، وصنف في أكثر الفنون منها كتابه "الشامل" في أصول الدين على مذهب الأشاعرة ، وتوفي في قرية من قرى نيسابور سنة ٤٧٨هـ. (وفيات الأعيان ، ج٣: ١٦٧).

(٢) هو أبو الحسن علي بن عبدالله بن نصر بن السري بن الزاغوني البغدادي ، ولد سنة ٤٥٥هـ ، كان محدثاً فقيهاً واعظاً ، واشتهر بالصلاح ، والديانة ، والورع ، وله مصنفات كثيرة ، وتوفي سنة سبع وعشرين وخمسمائة من الهجرة. (الذيل على طبقات الحنابلة ، ج١: ١٨٠).

(٣) كلام أبي المعالي وابن الزاغوني عن هذه الطوائف ومقولاتهم. ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح ، ج٢: ٣١٠ - ٣١١.

في اللبن ، فيمازجه ، ويخالطه ، وقالت طائفة منهم: إنما حلت في مريم من غير ممازجة ، كما أن شخص الإنسان يحل في المرآة وفي الأجسام الصقيلة من غير ممازجة.

وزعمت طائفة أن اللاهوت مع الناسوت كمثل الخاتم مع الشمع يؤثر فيه بالنقش ، ثم لا يبقى فيه شيء إلا أثر فيه . ثم ذكر هؤلاء عنهم في الاتحاد نحو ما حكى الأولون ، فقالوا : قد اختلف قولهم في الاتحاد اختلافاً متبايناً :

فزعم قوم منهم أن الاتحاد هو أن الكلمة التي هي الابن حلت جسد المسيح ، وهذا قول الأكثرين منهم.

وزعم قوم منهم أن الاتحاد هو الاختلاط والامتزاج.

وقال قوم من اليعقوبية: هو أن كلمة الله انقلبت لحماً ودماً بالاتحاد[1].

وقال كثير من اليعقوبية والنسطورية: الاتحاد هو أن الكلمة والناسوت اختلطا فامتزجا كاختلاط الماء بالخمر.

وقال قوم منهم : إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح على معنى أنها حلته من غير مماسة ولا ممازجة ، كما نقول : إن الله في السماء وعلى العرش من غير مماسة ولا ممازجة.

---

(١) في الجواب الصحيح ، لابن تيمية ، ج٢: ٣١١ (بالاختلاط).

وقالت الملكية[1]: الاتحاد هو الاثنين صارا واحداً، وصارت الكثرة قلة[2].

فزعم بعض الناس أن الذين قالوا: هو المسيح ابن مريم هم الذين قالوا: اتحدا حتى صارا شيئاً واحداً، والذين قالوا: هما جوهر واحد له طبيعتان يقولون: هو وولده بمنزلة الشعاع المتولد عن الشمس، والذين قالوا: بجوهرين وطبيعتين وأقنومين مع الرب قالوا: ثالث ثلاثة.

وهذا الذي قاله هؤلاء ليس بشيء؛ فإن الله أخبر أن النصارى يقولون: إنه ثالث ثلاثة، وأنهم يقولون: إنه الله، وأنهم يقولون: إنه ابن الله. وقال لهم: لا تقولوا ثلاثة.

مع إخباره أن النصارى افترقوا، وألقى بينهم العداوة والبغضاء بقوله: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ...﴾[3].

وقد ذكر هذا إخباراً بتفرقهم إلى هذه الأصناف الثلاثة وغير ذلك.

وقد أخبر - سبحانه - عقب قولهم: ثالث ثلاثة بما يقتضي أن هؤلاء اتخذوا له ولداً، فقال: ﴿... وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ...﴾[4].

---

(١) في الجواب الصحيح، لابن تيمية، ج٢: ٣١١ (الملكانية).

(٢) إلى هنا انتهى كلام ابن تيمية.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١٤.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٧١.

وقد ذكر - أيضًا - ما يقتضي أن قولهم: إن الله هو المسيح ابن مريم من الشرك ، فقال - تعالى-: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[1] .

فهذا يقتضي أن هذا القول من الشرك ؛ وذلك لأنهم مع قولهم : إن الله هو المسيح ابن مريم لا يخصونه بالمسيح ، بل يثبتون أن له موجدًا وهو الأب ، وليس هو الكلمة التي في المسيح ، فعبادتهم إياه معه إشراك ، وذلك مضموم إلى قولهم : إنه هو ، وقولهم : إنه ولده.

وقد نزه الله - تعالى - نفسه عن هذا وهذا في غير موضع من القرآن ، كما قال - تعالى - ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[2] .

وأيضاً فهذه الأقوال لا تنطبق على ما ذكر فإن الذين يقولون: إنهما اتحدا وصارا شيئاً واحداً يقولون أيضاً: إنما اتحد به الكلمة التي هي الابن . والذين يقولون: هما جوهر واحد له طبيعتان يقولون: إن المسيح إله وأنه الله . والذين يقولون : إنه حل فيه يقولون: حلت فيه الكلمة التي هي الابن وهي الله - أيضًا - بوجه آخر كما سنذكره.

وأيضاً فقولهم : ثالث ثلاثة ليس المراد به الله ، واللاهوت الذي في

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٧٢ .

(٢) سورة الفرقان ، الآيتان : ١ - ٢ .

المسيح ، وجسد المسيح ؛ فإن أحداً من النصارى لا يجعل لاهوت المسيح وناسوته إلهين ، ويفصل الناسوت عن اللاهوت ، بل سواء قال بالاتحاد أو بالحلول فهو تابع للَّاهوت.

وأيضاً فقوله - تعالى - عن النصارى: ﴿ ... وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ ... ﴾، و ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ ... ﴾[1].

قد قيل: إن المراد به قول النصارى: باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد ، وهو قولهم بالجوهر الواحد الذي له ثلاثة أقانيم ، أي ثلاث صفات وخواص.

وقولهم: إنه هو الله ، وابن الله ، هو الاتحاد والحلول.

فعلى هذا تكون تلك الآية على قولهم بتثليث الأقانيم ، وهاتان في قولهم بالحلول والاتحاد.

فالقرآن على هذا القول رد في كل آية بعض قولهم : كما أنه[2] على القول الأول رد في كل آية على صنف منهم.

وقيل: إن المراد بذلك جعْلهم المسيح إلهاً وأمه إلهاً مع الله كما ذكر الله ذلك في قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[3].

(١) سورة المائدة ، الآية : ٧٣ .
(٢) في النسختين «س» و «ع» [كما أن].
(٣) سورة المائدة ، الآيتان : ١١٦ - ١١٧ .

ويدل على ذلك قوله - تعالى -: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ ...﴾[1].

فقوله : ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ...﴾ عقب قوله : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ يدل على أن التثليث الذي ذكره الله عنهم اتخاذ المسيح ومريم إلهين.

وهذا واضح على قول من حكى عن النصارى أنهم يقولون بالحلول في مريم والاتحاد بالمسيح ، وهو أقرب إلى تحقيق مذهبهم.

وعلى هذا فتكون كل آية مما ذكره الله في أقوالهم تعم جميع طوائفهم ، وتعم - أيضاً - قولهم بتثليث الأقانيم ، والاتحاد والحلول ، فتعم أصنافهم وأصناف كفرهم ، ليس يختص كل آية بصنف ، كما قال من يزعم ذلك.

ولا تختص آية بتثليث الأقانيم ، وآية بالحلول والاتحاد ، بل هو - سبحانه - ذكر في كل آية كفرهم المشترك ؛ ولكن وصف كفرهم بثلاث صفات ، وكل صفة تستلزم الأخرى ؛ إنهم يقولون :

---

(١) سورة المائدة ، الآيات : ٧٣ - ٧٥ .

المسيح هو الله ، ويقولون: هو ابن الله ، ويقولون: إن الله ثالث ثلاثة ، حيث اتخذوا المسيح وأمه إلهين من دون الله ، هذا بالاتحاد ، وهذا بالحلول.

ويبين بذلك إثبات ثلاثة آلهة منفصلة غير الأقانيم ، وذلك يتضمن جميع كفر النصارى ، وذلك أنهم يقولون: الإله جوهر واحد له ثلاثة أقانيم.

وهذه الأقانيم يجعلونها تارة جواهر وأشخاصاً وتارة صفات وخواصّ، فيقولون: الوجود الذي هو الآب ، والابن الذي هو العلم ، وروح القدس التي هي الحياة عند متقدميهم ، والقدرة عند متأخريهم . لكن يقولون - أيضاً -: إن الوجود الذي هو الآب جوهر، والكلمة التي هي الابن جوهر ، وروح القدس - أيضاً - جوهر. وأن المتحد بالمسيح هو جوهر الكلمة دون جوهر الأب وروح القدس. وهذا مما لا نزاع بينهم فيه.

قلت: وبيان هذا الاعتقاد بعبارة أخرى من كلام بعض المحققين أن النصارى اعتقدوا أن معبودهم جوهر - أي : أصل للأقانيم - ، وذلك أن له عندهم ثلاثة أقانيم :

أقنوم الوجود ، ويعبرون عنه بالآب.

وأقنوم العلم ، ويعبرون عنه بالابن والكلمة.

وأقنوم الحياة ، ويعبرون عنه بروح القدس.

ثم قالوا: مجموع الثلاثة إله واحد.

والأقنوم : كلمة يونانية ، والمراد بها في تلك اللغة أصل الشيء، ويعني بها النصارى : الأصل الذي كانت عليه حقيقة إلههم .

وقد طولبوا في دليل الحصر في الثلاثة ، فقالوا: لأن الخلق والإبداع لا يتأتى إلا بها. فقيل لهم: والإرادة، والقدرة لا يتأتى الخلق إلا بهما؛ فيلزم الحكم بأن الأقانيم خمسة ، وهو باطل ، فكذا التثليث... والله أعلم.

قال أبو العباس[1]: ومن ها هنا[2] قالوا كلهم: المسيح هو الله ، وقالوا كلهم: هو ابن الله؛ لأنه من حيث إنّ الآب والابن وروح القدس إله واحد ، وقد اتحد بالمسيح كان المسيح هو الله ، ومن حيث إنّ الأب جوهر والابن جوهر وروح القدس جوهر ، والذي اتحد به هو جوهر الابن الذي هو الكلمة كان المسيح هو ابن الله عندهم.

ولا ريب أن هذين القولين وإن كان كل منهما متضمناً لكفرهم - كما ذكره الله - فإنهما متناقضان؛ إذ كونه هو ينافي كونه ابنه ، لكن النصارى يقولون هذا كلهم ، ويقولون هذا كلهم ، كما ذكر الله ذلك[3] عنهم ؛ ولهذا كان قولهم معلوم التناقض في بديهة العقول عند كل من تصوره ، فإن هذه الأقانيم إذا كانت صفات أو خواصّ ، وقدر أن الموصوف له بكل صفة اسم كما مثلوه بقولهم: زيد الطبيب، وزيد الحاسب ، وزيد الكاتب ، لكن لا يمكن أن بعض هذه الصفات يتحد بشيء دون الجوهر ، ولا أن بعض هذه يفارق بعضاً ، فلا يتصور مفارقة بعضها بعضاً ، ولا مفارقة شيء منها للموصوف ، حتى يقال:

---

(١) يعني شيخ الإسلام ابن تيمية.

(٢) في النسخة «س» [ومن هنا].

(٣) في النسخة «س» [كما ذكر الله عنهم] فأسقط اسم الإشارة (ذلك) ، وهو مثبت في النسختين الأخريين.

المتحد بالمسيح بعض هذه الصفات ، وهم لا يقولون ذلك - أيضاً - ، بل هم متفقون على أن المتحد به جوهر قائم لنفسه: فإن لم يكن جوهراً إلا جوهر الآب كان جوهر الآب هو المتحد ، وإن كان جوهر الابن غيره فهما جوهران منفصلان. وهم لا يقولون بذلك.

والموصوف - أيضاً - لايفارق صفاته كما لا تفارقه فلا يمكن أن يقال: اتحد الجوهر بالمسيح بأقنوم العلم دون الحياة ، إذ العلم والحياة لازمان للذات لا يتصور أن تفارقهما الذات ، ولا أن يفارقها واحد منهما. ومن هنا قيل: النصارى غلطوا في أول مسألة من الحساب الذي يعلمه كل أحد ، وهو قولهم: الواحد ثلاثة.

وأما قول بعضهم : « أُحدي الذات ثلاثي الصفات » فهم لا يكتفون بذلك كما تقدم ، بل يقولون : الثلاثة جواهر ، والمتحد بالمسيح واحد منها دون الآخر.

وبهذا يتبين أن كل من أراد أن يذكر قولهم على وجه يعقل فقد قال الباطل كقول المتكايسين[1] منهم : هذا كما تقول : زيد الطبيب ، وزيد الحاسب ، وزيد الكاتب ، فهم ثلاثة رجال باعتبار الصفات ، وهم رجل واحد باعتبار الذات . فإنه يقال: من يقول هذا لا يقول بأن زيداً الطبيب فعل كذا أو اتحد بكذا ، أو حل به دون زيد الحاسب والكاتب ، بل أي شيء فعله أو وُصفَ به زيد الطبيب في هذا المثال فهو الموصوف به زيد الحاسب الكاتب.

---

(١) الذين يدعون الكياسة.

قلت : ونظير هذا المثل ما قاله بعضهم: إنك إذا فرضت مثلثاً متساوي الأضلاع. كانت الأضلاع ثلاثة والمثلث واحد ، وكان للمثلث الواحد ثلاثة أضلاع.

وهذا من نمط ما قبله في الفساد ، وذلك أن كل واحد من الأضلاع على انفراده ليس هو المثلث المفروض ، بل إن اعتبرت الأضلاع الثلاثة شيئاً واحداً انتفى التثليث؛ لأن الواحد لا يكون ثلاثة ، وإن اعتبر أحد الأضلاع على انفراد انتفت الوحدة ، فالجمع بينهما جمع بين النقيضين. والله أعلم.

قال: والنصارى يثبتون هذا المثلث في الأقانيم مع قولهم : إن المتحد هو الواحد ، فيجعلون المسيح هو الله؛ لأنهم يقولون الموصوف اتحد به، ويجعلون المسيح هو ابن الله ؛ لأنهم يقولون: إنما اتحد به الجوهر الذي هو الكلمة ، أو إنما اتحد به الكلمة دون الآب الذي هو الوجود ، ودون روح القدس ، وهما - أيضاً - جوهران.

فقد تبين أن قول النصارى بهذا وبهذا جمع بين النقيضين ، وهو من أفسد شيء في بداية العقول وكل منهما كفر ، كما كفرهم الله.

وأما قولهم: « ثالث ثلاثة » فإنهم مع ذلك يعبدون الأم التي هي والدة الإله عندهم. وهذا كفر آخر مستقل بنفسه غير تثليث الأقانيم والاتحاد بالمسيح. فالقرآن يتناول جميع أصناف كفرهم في هذا الباب تناولا تاماً. انتهى[1].

---

(١) يعني كلام ابن تيمية.

دعوى النصارى أن المسيح ابن الله والرد على ذلك

فصل

وقد أقام الله - تعالى - أنواع الأدلة والبراهين على بطلان دعوى هؤلاء الجهلة الضلال واعتقادهم في المسيح ، وبين ذلك في كتابه العزيز في مواضع كثيرة بطرق عقلية ، وحجج واضحة جلية ، فنذكر منها أنموذجاً يدل على ما وراءه.

فمن ذلك قوله - تعالى -: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[1].

فاشتملت هاتان الآيتان على الرد عليهم دعواهم الولد له ، ونزه نفسه عنه ، فقال : ﴿ سُبْحَانَهُ﴾ أي : تعالى وتقدّس وتنزه عن ذلك، ثم ذكر عدة حجج على استحالة اتخاذه الولد:

إحداها :

كون ما في السموات والأرض ملكاً له ، وهذا ينافي أن يكون فيهما ولد له ؛ لأن الولد بعض الوالد وشريكه ، فلا يكون مخلوقاً له مملوكاً ؛ لأن المملوك مربوبٌ عبدٌ من العبيد ، والابن نظير الأب ، فكيف يكون عبده ومخلوقه ومملوكه بعضه ونظيره؟ فهذا من أبطل الباطل.

وأكد مضمون هذه الحجة بقوله : ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ ، فهذا تقرير

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان : ١١٦ - ١١٧ .

لعبوديتهم له ، وأنهم مملوكون مربوبون ، ليس فيهم شريك ولا نظير ولا ولد ، فإثبات الولد له من أعظم الإشراك به.

فإن المشرك به جعل له شريكاً من مخلوقاته مع اعترافه بأنه مملوكه، كما كان المشركون من العرب يقولون في تلبيتهم : «لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك».[1] ، فكانوا يجعلون ما أشركوا به مملوكاً له عبداً مخلوقاً.

والنصارى جعلوا له شريكاً هو نظير وجزء من أجزائه ، كما جعل بعض المشركين الملائكة بناته ، فقال - تعالى - : ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ...﴾[2] ، فإذا كان له ما في السموات وما في الأرض وهم عبيده قانتون مملوكون استحال أن يكون له منهم شريكاً.

وكل من أقر بأن لله ما في السموات وما في الأرض يلزمه أن يقر بالتوحيد ولا بد.

الحجة الثانية :

قوله : ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ، وهذه من أبلغ الحجج على استحالة نسبة الولد إليه؛ ولهذا قال في سورة الأنعام: ﴿بَدِيعُ

---

(١) أخرج الإمام مسلم في صحيحه في كتاب : الحج ، باب : صفة التلبية ، ج ٢ : ٨٤٣ ، ترتيب محمد عبدالباقي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : « كان المشركون يقولون : لبيك لا شريك لك ، قال : فيقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ويلكم قد قد» . فيقولون : إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك . يقولون : هذا وهم يطوفون بالبيت ».

(٢) سورة الزخرف ، الآية : ١٥.

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ ...﴾[1]؛ أي : من أين يكون لبديع السموات والأرض ولد؟!

ووجه هذه الحجة أن من اخترع السموات والأرض مع عظمهما وآياتهما وفطرهما وابتداعهما ، فهو قادر على اختراع ماهو دونهما ولا نسبة له إليهما ألبتة.

فكيف يخرجون هذا الشخص عن قدرته وإبداعه ، ويجعلونه نظيراً وشريكاً وجزءًا من الله بديع العالم العلوي والسفلي فاطره ومخترعه وباريه!! ، فكيف يعجزه أن يوجد هذا الشخص من غير أب حتى يقولوا: إنه ولده؟

فمن نسب الولد لله فما عرف الرب ولا آمن به ولا عبده.

فظهر أن هذه الحجة من أبلغ الحجج على استحالة نسبة الولد إليه.

وبهذا الوجه قرر الاستدلال بهذه الحجة غير واحد من المفسرين ، قال ابن القيم:

وإن شئت تقرير الاستدلال بوجه آخر ، وهو أن يقال: إذا كان نسبة السموات والأرض وما فيهما إليه إنما هي بالاختراع والخلق والإبداع ، أنشأ ذلك وأبدعه من العدم إلى الوجود. فكيف يصح نسبة شيء من ذلك إليه بالنبوة ، وقدرته على اختراع العالم وما فيه لم يزل ، ولم يحتج فيه إلى معاون ولا صاحب ولا شريك؟!

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٠١.

وإن شئت أن تقريرها بوجه آخر ، فتقول: النسبة إليه بالنبوة مستلزمة حاجته وفقره إلى محل الولادة ، وذلك ينافي غناه وإفراده بإبداع السموات والأرض.

وقد أشار - تعالى - إلى هذا المعنى بقوله: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ...﴾[1].

فكمال قدرته وكمال غناه وكمال ربوبيته يحيل نسبة الولد إليه ، ونسبته إليه يقدح في كمال ربوبيته ، وكمال غناه ، وكمال قدرته.

ولهذا كان نسبة الولد إليه مسبة له - تبارك وتعالى - كما في الحديث الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، قال: «قال الله - تعالى-: كذّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ؛ فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان ، وأما شتمه إياي فقوله : إن لي ولداً ، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً!».أخرجه في الصحيحين ، واللفظ للبخاري[2].

---

(١) سورة يونس ، الآية : ٦٨.

(٢) في صحيح البخاري في كتاب : التفسير ، باب : تفسير سورة البقرة، ج ٥ : ١٤٩، وباب : تفسير سورة الإخلاص ، ج٦: ١٦٠ ، طبعة إستانبول . هذا ما في صحيح البخاري.
أما في صحيح الإمام مسلم فقد بحثت عن هذه الرواية في مظانها فلم أتمكن من معرفة موضعها . وقد أوردها الحافظ ابن كثير في تفسيره ، ج١: ١٦٠ ، وقال : «انفرد به البخاري من هذا الوجه» . والله أعلم.

وقال عمر بن الخطاب في النصارى: «أذلوهم ، ولا تظلموهم ؛ فلقد سبوا الله مسبةً ما سبَّه إياها أحد من البشر»[1].

وقال - تعالى -: ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[2].

وأخبر - تعالى - أن السموات كادت تنفطر من قولهم ، وتنشق الأرض منه ، وتخر الجبال هداً ، وما ذاك إلا لتضمنه شتم الرب - تعالى - والتنقص به ، ونسبة ما يمنع كمال ربوبيته وقدرته وغناه إليه.

الحجة الثالثة :

قوله: ﴿ ... وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[3].

وتفسير هذه الحجة: أن من كانت قدرته كافية في الإيجاد بمجرد أمره وقوله : «كن» فأي حاجة به إلى الولد وهو لا يتكثر به من قلة ، ولا يتعزز به من ذلة ، ولا يستعين به من عجز ، وإنما يحتاج إلى الولد من لا يخلق ، ولا إذا أراد شيئًا يقول له : كن فيكون ، وهو المخلوق العاجز المحتاج الذي لا يقدر على تكوين ما أراد.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[4].

---

(١) ذكره العلامة ابن القيم في كتابيه إغاثة اللهفان ، ج٢: ٢٨٣ ، تحقيق محمد حامد الفقي ، وكتابه هداية الحيارى ، تحقيق أحمد حجازي السقا ، ص ٢٦٢ . والمؤلف نقله عن أحدهما.

(٢) سورة الكهف ، الآيتان : ٤ - ٥.

(٣) سورة البقرة ، الآية : ١١٧ .

(٤) سورة الأنعام ، الآية : ١٠١ .

فـفي هذه الآية أربع حـجج تدل على استـحـالة نسـبة الولد إليـه ، ومنافاتها كماله المقدس.

الحجة الأولى:

ما تضـمنه قوله : ﴿ ... بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ... ﴾ ، وتقدم تقريرها قريباً.

الثانية:

قوله : ﴿ ... وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ... ﴾ ، والمعنى أنه يلزم من نسبة الولد إليه نسبة الصاحبة إليه - أيضاً - ، وهو محال ؛ فنسبة الولد كذلك.

ووجه التلازم ظاهر؛ لأن الولد إنما يتولد من أصلين: فاعل ، ومحل قابل، يتصلان اتصالاً خاصاً، فـينفصل عن أحدهما جزء في الآخر يكون منه الولد. واللهِ - تعالى- ليس له صاحبة ، فكيف يكون له ولد؟

قال ابن الـقيم[1]: ولذلك لما فـهم عوام النـصارى أن الابن يسـتلزم الصاحـبة لم يسـتنكفوا من دعوى كـون مريم إلهـاً ، وأنها والدة الإله عيسى ، فيـقول عوامهم: يا والدة الإله ، اغفري لي ، ويـصرح بعضهم بأنهـا زوجـة الرب . ولا ريب أن القـول بالإيلاد يسـتلزم ذلك إثبـات إيلاد لا يعقل ، ولايتوهم محال.

فخـواص النصارى في حيرة وضـلال ، وعوامهم لا يسـتنكفون أن يقولوا بالزوجة والإيلاد ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

---

(١) في النسخة «ع» [رحمه الله تعالى].

والقوم في هذا المذهب الخبيث أضل خلق الله، فهم كما وصفهم الله بأنهم قد ضلوا من قبل، وأضلوا كثيراً، وضلوا عن سواء السبيل[1].

وقال غيره : إن النصارى يقولون : إن الآب ولدت منه الكلمة ، ومريم ولد منها الناسوت ، فاتحد الناسوت باللاهوت ؛ فكان المسيح . فالمسيح عندهم إله تام ، وإنسان تام ، فلاهوته من الله وناسوته من مريم ، فهو من أصلين لاهوت وناسوت ، فإذا كان أحد الأصلين أباه، والآخر أمه ؛ فلم لا تكون أمه زوجة أبيه؟، وإذا اتحد اللاهوت بناسوت المسيح مدة طويلة فلماذا يمتنع أن يجتمع اللاهوت بناسوت مريم مدة قصيرة ؟، وإذا جعل الناسوت الذي ولدته ابناً للاهوت فلأي شيء لا تجعل صاحبة وزوجة للاهوت؟!.

تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً.

الحجة الثالثة :

قوله - تعالى -: ﴿ ... وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ... ﴾ ، وتقرير الحجة أنه قد ثبت بالبراهين القاطعة أنه - تعالى - خلق كل شيء ، فنسبة الولد إليه تنافي عموم خلقه ، فإنه لو كان له ولد لم يكن مخلوقاً له ، بل جزءاً منه. وهذا ينافي كونه خالق كل شيء.

وبهذا يعلم أن الفلاسفة الذين قالوا بتولد العقول والنفوس عنه بواسطة أو بغير واسطة شر من النصارى.

---

(١) انتهى كلام ابن القيم ، وقد ذكر هذه المسألة في كتابه هداية الحيارى ، ص ١٩٢، مراجعة سيف الدين الكاتب.

وأن من زعم أن العالم قديم فقد أخرجه عن كونه مخلوقاً لله. والنصارى لم يصل كفرهم إلى هذا الحد ، قاله ابن القيم.

الحجة الرابعة:

قوله تعالى: ﴿ ... وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ، وتقرير الدلالة أنه - تعالى - لا يعلم له ولداً ، فيستحيل نسبته إليه ، فإنه لو كان له ولد لعلمه؛ لأنه بكل شيء عليم. ونظير هذا قوله - تعالى -: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1].

فهذا نفي لما ادعوه من الشفعاء ينفي علم الرب بهم المستلزم لنفي المعلوم.

ومن ذلك قوله - تعالى -: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[2].

وهاتان الآيتان ذكرهما الله[3] - تعالى - بعد إكفاره النصارى في

(١) سورة يونس ، الآية : ١٨.

(٢) سورة المائدة ، الآيتان : ٧٥ - ٧٦ .

(٣) في النسخة «س» [ذكرهما تعالى بعد] فأسقط لفظ الجلالة.

قـولهم : ﴿ ... إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ... ﴾[1]، وقـولهم : ﴿ ... إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ ... ﴾[2].

وأبطل فيهما قولهم بعدة من الأدلة:

الأول : التنبيه على أن المسيح - عليه السلام - رسول الله من جنس الرسل الذين خلوا من قبل، جاء بآيات من الله كما أتوا بأمثالها ، فإن الذي أبرأ الأكمه والأبرص ، وأحيا الموتى على يده هو الذي أحيا العصا ، وجعلها حية تسعى ، وفلق البحر على يد موسى ، إلى غير ذلك من آياته ، وهو الذي أخرج الناقة لصالح من صخرة صماء.

والذي خلق المسيح من غير ذكر هو الذي خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى ، فكما لم يكن إتيانهم بالآيات دالاً على آلهتهم[3] فكذلك عيسى.

الثاني : أن من له أم فقد حدث بعد أن لم يكن ، وكل من كان كذلك كان مخلوقاً ، والمخلوق لا يكون إلهاً.

الثالث : أنهما كانا محتاجين ؛ لأنهما كانا يحتاجان إلى الطعام والشراب أشد الحاجة. والإله هو الذي يكون غنياً عن جميع الأشياء ، فكيف يعقل أن يكون المسيح إلهاً مع حاجته؟.

الرابع : قال بعض العلماء إن قوله: ﴿ ...كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ ... ﴾ كناية عن الحدث[4]؛ لأن من أكل الطعام فلا بد أن يحدث ، فهذا أبلغ في إبطال إلهيته.

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٧٢ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٧٣ .

(٣) [آلهتهم] هكذا في جميع النسخ . ولعل الصواب في تقديري : «ألوهيتهم» أو «إلهيتهم».

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره ، ج٦: ٢٥٠.

الخامس : أن الإله لا بد أن يكون قادراً على الخلق والإيجاد ، فلو كان المسيح إلهاً لقدر على دفع الجوع عن نفسه بغير الطعام ، فلما لم يقدر على دفع الضرر عن نفسه كيف يعقل أن يكون إلهاً للعالمين؟ .

ولما كانت هذه الحجج في غاية الجلاء ونهاية الظهور قال - تعالى -: ﴿ ... انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ... ﴾ ؛ أي : نظهرها ﴿ ... ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ... ﴾[1] ؛ أي : ثم انظر بعد هذا البيان والوضوح والجلاء أين يذهبون وبأي شيء يتمسكون؟ .

السادس : أن اليهود كانوا يعادون المسيح ، ويقصدونه بالسوء ، فما قدر على الإضرار بهم ، وكان أنصاره يحتاجون إلى النفع ، فما قدر على إيصال نفع من منافع الدنيا إليهم ، والعاجز عن الضر والنفع كيف يجوز أن يكون إلهاً؟ .

ولهذا قال - تعالى - : ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا ... ﴾[2] .

السابع : أن مذهب النصارى أن اليهود صلبوه ، ومزقوا أضلاعه ... إلى غير ذلك من زعمهم. ومن كان في الضعف هكذا كيف يعقل أن يكون إلهاً؟ ! .

الثامن : إن إله العالم يجب أن يكون غنياً عن كل ما سواه ، وكل ما

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٧٥ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٧٦ .

سواه يكون[1] محتاجاً إليه ، فلو كان إلهاً لامتنع أن يكون مشغولاً بعبادة الله؛ لأن الإله لا يعبد شيئًا، إنما العبد هو الذي يعبد الإله.

فلما عرف بالتواتر كون عيسى مواظباً على الطاعات والعبادات ، دل على أنه إنما كان يفعلها لكونه محتاجاً إلى تحصيل المنافع ودفع المضار. وإذا كان كذلك كان عبداً كسائر العبيد.

ثم قال تعالى: ﴿ ... وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[2] ، أي : فلِمَ عدلتم عن السميع لأقوال العباد[3] العليم بكل شيء إلى عبادة عبد من العباد لا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً ولانفعاً؟! .

وقد كان المسيح - عليه السلام - لم يسمع أقوال الذين تمالؤوا عليه، ولم يعلم بهم حتى وصلوا إليه فكيف تجعلونه إلهاً مع الله - تعالى الله عما يشركون؟ -.

ومن ذلك ما تضمنه صدر سورة آل عمران فإنه كان سبب نزوله في وفد نجران[4] النصارى حين قدموا[5] على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فجعلوا يحاجون في عيسى ، ويزعمون فيه ما يزعمون من البنوة والإلهية ، فأنزل الله - تعالى - صدر السورة إلى آية المباهلة[6]

---

(١) في النسخة «س» [وكل ما سواه محتاجاً إليه] فأسقط (يكون) ، وذلك مثبت بالنسختين الأخريين.

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٧٦ .

(٣) في النسخة «س» [عباده].

(٤) نجران: المدينة المعروفة في جنوب الجزيرة العربية.

(٣) قدم وفد نصارى نجران في السنة التاسعة من الهجرة.

(٦) سورة آل عمران ، الآية : ٦١ ، قال - تعالى -: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ .

رداً عليهم ، كما ذكره الإمام محمد بن إسحاق بن يسار وغيره ، فنذكر طرفاً من قصتهم ، ثم نتبعه ببعض ما تضمنه صدر السورة من الحجة - إن شاء الله تعالى -.

قال ابن إسحاق في سيرته[1] المشهورة وغيره:

وقدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفد نصارى نجران ستون راكباً ، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم ، في الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول[2] أمرهم: العاقب أمير القوم ، وذو رأيهم وصاحب مشورتهم ، الذي لا يصدرون إلا عن رأيه ، واسمه عبدالمسيح، والسيد ثمالهم[3] ، وصاحب رحلهم ومجتمعهم ، واسمه الأيهم ، وأبو حارثة بن علقمة - أحد بني بكر بن وائل -، أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم.

وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم ، حتى حسن عمله في دينهم ، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرّفوه، ومولوه، وأخدموه، وبنوا له الكنائس ، وبسطوا له[4] الكرامات ؛ لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم ، فلما وجهوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من نجران جلس أبو حارثة على بغلة له موجهاً ، وإلى جنبه أخ

---

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج٢: ٢٠٤ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

(٢) وفي النسختين «س» و «ع» بواو واحدة.

(٣) ثمالهم : ثمال القوم هو أصلهم الذي يرجعون إليه ، ويقوم بأمورهم وشؤونهم .

(٤) في النسخة «س» [وبسطوا عليه الكرامات].

له - يقال له: كوز بن علقمة -، فعثرت بغلة أبي حارثة ، فقال كوز: تعس الأبعد - يريد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال أبو حارثة: بل أنت تعست. قال: ولم يا أخي؟ قال: والله ، إنه للنبي الذي كنا ننتظر. فقال له كوز: وما منعك منه وأنت تعلم هذا؟ قال: ما صنع بنا هؤلاء القوم ، شرفونا ، ومولونا ، وأكرمونا ، وقد أبوا إلا خلافه ، فلو فعلت نزعوا منا عوامنا كما ترى، فأضمر عليها منه أخوه كوز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك. فهو كان يحدث عنه هذا الحديث فيما بلغني.

قال[1]: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير[2] قال: قدموا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة ، فدخلوا عليه في مسجده حين صلى العصر ، عليهم ثياب الحبرات[3]: جبب[4] وأردية[5]، في جمال رجال بني الحارث بن كعب.

قال: يقول بعض من رآهم من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - يومئذ ما رأينا بعدهم وفداً مثلهم ، وقد حانت صلاتهم، فقاموا في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلون ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «دعوهم»، فصلوا إلى المشرق.

---

(١) يعني ابن إسحاق . وانظر قوله في السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج٢: ٢٠٦ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

(٣) هو محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام الأسدي ، المدني ، من حفاظ وفقهاء أهل المدينة. وثقه الدارقطني، وتوفي ما بين سنة عشر وعشرين بعد المائة من الهجرة (تهذيب التهذيب، ج٩: ٩٣).

(٣) الحبرات: نوع من البرود اليمانية جديدة ناعمة فيها توشية وخطوط.

(٤) الجبة: ضرب من مقطعات الثياب تلبس ، وجمعها: جُبَب وجِبابٌ.

(٥) الأردية: نوع من الثياب تلبس ، مفردها رداء.

قـال ابن إسـحـاق : وكـان من دين النصـرانيـة عـلى دين الملك مع الاخـتلاف من أمـرهم : يقـولون : هو الله ، ويقـولون : هو ولد الله ، ويقولون: هو ثالث ثلاثة ، وكذلك قول النصرانيـة . فهم يحتجون في قـولهم : هو الله بأنه كـان يحـيي الموتي ، ويبـرئ الأسـقام ، ويخـبـر بالغيوب ، ويخلق من الطين كهيئـة الطير ، ثم ينفخ فيه فيكون طائراً ، وذلك كله بأمر الله - تبارك وتعالى -، وليجعله آية للناس.

ويحتجون في قـولهم: إنه ولدُ الله بأنهم يقولون: إنه لم يكن له أب يعلم ، وقد تكلم في المهد، وهذا شيء لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله.

ويحـتجـون في قـولهم: إنه ثالث ثلاثة بقـول الله: فـعلنا ، وأمـرنا وقضينا، فيـقولون: لو كان واحداً ما قال إلا فـعلت وأمرت وقضيت[١] وخلقت. ولكنه هو وعيـسى ومريم . ففي كل ذلك من قـولهم قد نزل القرآن.

فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أسلما » قالا : قد أسلمنا . قال : « إنكمـا لم تسلما ؛ فأسلما » قالا : بلى قد أسلمنا قبلك . قال : « كذبتمـا ، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولـداً ، وعبادتكما الصليب ، وأكلكما الخنزير » ، قالا : فمن أبـوه يـا محمد ؟ فصمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عنهما ، فلم يجبهما. فأنزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم كله صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها.

---

(١) في النسخة «س» [وقضيت وأمرت] بتقديم قضيت على أمرت.

ثم تكلم ابن إسحاق على تفسيرها[1] ، إلى أن قال:

فلما أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الخبر من الله - عز وجل - ، والفصل من القضاء بينه وبينهم ، وأمر بما أمر به من ملاعنتهم إن ردوا ذلك عليه دعاهم إلى ذلك. فقالوا: يا أبا القاسم، دعنا ننظر في أمرنا، ثم نأتيك بما تريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه.

ثم انصرفوا عنه ، وخلوا بالعاقب وكان ذا رأيهم ، فقالوا : يا عبد المسيح ، ما ترى؟ فقال : والله - يا معشر النصارى -، لقد عرفتم أن محمداً لنبيٌّ مرسل ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ، ولقد علمتم ما لاعن قومٌ نبياً قط ، فنما كبيرهم ، ولا نبت صغيرهم، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم . فإن أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم ، فواعدوا الرجل ، ثم انصرفوا إلى بلادكم.

فأتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: يا أبا القاسم ، قد رأينا ألَّا نلاعنك ، ونتركك على دينك ، ونرجع على ديننا. ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا ، فإنكم عندنا رضا.

قال محمد بن جعفر: فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ائتوني[2] العشية ؛ أبعث معكم القوي الأمين».

---

(١) انظر السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج٢ : ٢٠٧ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

(٢) في النسخة «س» [ايتوني] بالياء.

قـال : فكان عمـر بن الخطاب يقول : مـا أحـببت الإمارة قـط حبي إياها يومئذ ؛ رجاء أن أكون صاحبها ، فرحت إلى الظهر مهجراً . فلما صلى بنا رسول الله - صلى الله عليـه وسلم - الظهـر سلم ، ثم نظـر عـن يمينـه ويساره ، فجـعلت أتطـاول لـه ؛ ليـراني ، فلم يـزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجـراح ، فدعاه ، فقال : اخـرج معهـم ، فـاقض بينهـم بالحق فيمـا اخـتلفـوا فيــه . قـال عمـر : فـذهـب بهـا أبـو عبيـدة[1] .

وقـد رويت هذه القصـة بالأسـانيد من وجـوه أخـر بأطول من هذا السياق، أضربنا عن ذكرها خوف الإطالة.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما[2] عن حذيفة[3] - رضي الله عنه - قال: جـاء العاقب والسيـد - صاحبا نجـران - إلى رسول الله - صلى الله عـليـه وسلم - يريدان أن يـلاعناه. قـال: فـقـال أحــدهمـا لصاحبه: لا تفعل ؛ فوالله ، إن كـان نبياً فلاعناه لانفلح نحن ولا عقبنا

---

(١) ذكـره ابن هشـام في السـيرة من روايـة ابن إسحاق ، ج ٢ : ٢٠٦ ، وابن كثيـر في التفسير ، ج ١ : ٣٦٨، طبعة مكتبة الشعب.

(٢) في صحيح البخاري كتاب : المغازي ، باب : قصة أهل نجران ، ج٥: ١٢٠ ، طبعة إستانبول. وفي صحـيح مسلم كتـاب : فضائل الـصحابة ، باب : فـضائل أبي عبـيدة ، ج٤: ١٨٨٢ ، تحقيق محمد عبدالباقي.

(٣) هو حذيفة بن اليمان حسل بن جابر بن عمـرو بن ربيعة العبسي ، واليمان لقب لوالده حسل ، صحـابي جليل. وصـاحب سر رسـول الله - صلى الله عليه وسلـم - ، استعـمله عمـر بن الخطـاب على المدائن ، وتوفـي سـنة ست وثلاثين من الهـجرة - رضي الله عنـه -. (أسـد الغابة ، ج ١: ٣٩٠، وتهذيب التهذيب ، ج ٢: ٢١٩) .

من بعدنا . قالا: إنا نعطيك ما سألتنا ، وابعث معنا رجلاً أميناً. فقال: لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين ، فاستشرف لها أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح[1]، فلما قام قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «هذا أمين هذه الأمة».

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «لو خرج الذين يباهلون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً»[2]. رواه أحمد في مسنده[3] والبخاري في صحيحه[4].

رجعنا إلى ماوعدنا به من التنبيه على بعض ما في صدر سورة آل عمران من الحجة على بطلان قول النصارى، وما في ضمنه من تقرير نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - مما استنبطه العلماء من بعض أسرار هذه الآيات وما فيها من العلم.

وبسط الكلام على المواضع الدالة يستدعي طولاً ، فلنقتصر على بعض ما في فاتحة السورة وخاتمة القصة .

---

(١) هو أبو عبيدة عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أهيب القرشي الفهري ، صحابي جليل ، من السابقين إلى الإسلام ، أسلم في مكة ، وهاجر الهجرة الثانية إلى الحبشة ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، من العشرة المبشرين بالجنة. وتوفي بالطاعون في عمواس من بلاد الشام سنة ثماني عشرة من الهجرة ، رضي الله عنه . (أسد الغابة ، ج٣: ٨٥).

(٢) في النسخة «س» [مالا ولا أهلاً] بتقديم مال على أهل.

(٣) في مسند الإمام أحمد ، ج١: ٢٤٨ ، طبعة المكتب الإسلامي.

(٤) ذكره السيوطي في الدرر المنثور ، ج ٢: ٣٩ ، وابن كثير في التفسير ، ج ١: ٣٦٩ ، قالا: وقد رواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث عبدالرزاق عن معمر عن عبدالكريم به ، وقال الترمذي: «حسن صحيح» . وقد بحثت عنه في صحيح البخاري ، ولم أتمكن من معرفة موضعه.

قال الله - تعالى -: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾[1].

ففي مطلع هـذه السـورة الكريمـة من إقـامة البرهـان على وحـدانية الله - تعالى- ونفي الولد عنه ، وعلى بطلان[2] ربوبية المسيح ، وعلى تحقيق نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ما هو من الحجج القواطع لشبه المبطلين والأدلة المنادية بجهالة المجادلين؛ وذلك أن أولئك النصارى الذين جادلوا رسول الله - صلى الله عليـه وسلم - كأنه قيل لهم: إما أن تجادلوه في معرفة الإله أو في النبوة :

---

(١) سورة آل عمران ، الآيات : ١ - ٧ .

(٢) في النسخة «س» [إبطال].

(٣) في النسخـة « س » [فإن كان النزاع فـي الإله] ، فأسقط كلمـة (معرفـة) ، وهي مثبـتة في النسختين الأخريين.

فإن كـان النزاع في معـرفة[3] الإله ، وتقولون: إن المسيـح ابن الله ، وتقولون : إنه الله ، وتقـولون: إن الله ثالث ثلاثة فالحق مـعه بالدلائل القطعية[1]، فإنه قـد ثبت بالبرهان أنه حي قيـوم، والحي القيوم يستـحيل نسبة الولد والشريك إليه؛ لأن ذلك يقدح في حياته وقيوميته.

وإن كان النزاع في النبـوة فهذا - أيضـاً - باطل ؛ لأن الطريق الذي عرفـتم به أن الله أنزل التوراة والإنجيل عـلى موسى وعيـسى هو بعينه قائم في محمد - صلى الله عليه وسلم -.

وما ذاك إلا[2] مـا اقتـرن به من الدلائل والمعـجزات ، وهو حـاصل ههنا[3] ، فكيف يمكن منازعته في صحة نبوته؟!

والحاصل أن هذه الآيات الكريمات تضمنت إقامة الحجة في أصلين:

الأول: في الإلهيات.

والثاني: في النبوات.

وتقـرير الأول: أنـه[4] حي قيـوم ، ومـا[5] كان حـيا قـيومـاً يمتنع أن يكون له ولد أو مـشارك؛ لأن الحي القـيوم هو واجب الوجـود لذاته ، وحياته وقـيوميته لا ابتـداء لها ولا انتهاء ، فهـو الأول فلا شيء قبله ، والآخر فلا شيء بعده.

---

(١) في النسخة «س» [بالدلائل العقلية].

(٢) [إلاما] هكذا في جميع النسخ ، والأولى أن تكون (إلالما).

(٣) [ههنا] هكذا رسمت في جميع النسخ ، والأولى أن تكتب هكذا (ها هنا).

(٤) في النسخة «س» [أنه تعالى حي قيوم] فأضاف صفة العلو لله.

(٥) في جميع النسخ [وما كان حياً] ، والأولى [ومن كان حياً].

وأما ما عداه فإنه ممكن الوجود لذاته ، حدث بتخليق الحي القيوم وإيجاده وتكوينه ، وما كان محدثاً مخلوقاً لا يكون إلهاً.

وأيضًا فنسبة الولد إليه[1] تنافي كمال حياته وقيوميته ؛ وذلك لأن الولد جزء الوالد ، وفرع عنه ، والولد حادث بعد أن لم يكن ؛ لأنه - بالضرورة - لابد أن يكون مسبوقاً بالأب ، فيلزم من ذلك حدوث الأب - أيضاً - بالضرورة ، للارتباط الذي بين الأب والابن من المشابهة. وهذا هو التعطيل الصرف. فثبت أن دعوى الولد لله تنافي ربوبيته للعالمين .

وأيضاً لما ثبت أن الإله يجب أن يكون حياً قيوماً ، وثبت أن عيسى لم يكن حياً قيوماً؛ لأنه ولد ، وكان يأكل ، ويشرب ، ويحدث. والنصارى زعموا أنه قُتلَ وصُلبَ ، وما قدر على الدفع عن نفسه ، فثبت أنه ما كان حياً قيوماً ، وذلك يقتضي القطع والجزم بأنه ما كان إلهاً.

فهذه الكلمة ، وهي قوله - تعالى - : ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ جامعة لجميع وجوه الدلائل على بطلان قول النصارى بالتثليث.

وأما الأصل الثاني: وهو إثبات النبوة ، فقد ذكر الله - تعالى - تقريره ها هنا في غاية الحسن ونهاية الجودة ، وذلك أنه قال : ﴿ . . .أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ . . . ﴾ ، وهذا يجري مجرى الدعوى. ثم إنه - تعالى - أتبع ذلك بأدلة تدل على صحتها.

---

(١) في النسخة «س» [فنسبة الولد له].

الدليل الأول :

ما دل عليه قوله ﴿ بِالْحَقِّ ﴾، وقد قال المفسرون فيه أقوالاً ، كلها مطابقة لوصف القرآن دالة على المقصود.

فقيل : وصفه بقوله بالحق ؛ لأنه يحمل المكلف على ملازمة الطريق الحق في العقائد والأعمال ، ويمنعه عن سلوك طريق الباطل.

وقيل: لأنه قول فصل ، وليس بالهزل.

وقيل: لأنه - تعالى - أنزله بالحق الذي يجب له على خلقه من العبودية وشكر النعمة وإظهار الخضوع ، وما يجب لبعضهم على بعض من العدل والإنصاف في المعاملات ؛ ولأنه أنزله يصدق بعضه بعضاً ، ولا يتناقض. كما قال - تعالى -: ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ﴾[1]. وقال: ﴿ ... ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾[2].

وهذا كله من صفات القرآن فدل على أنه من عند الله.

الدليل الثاني :

قوله تعالى: ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾[3] ، والمعنى أنه مصدِّقٌ لكتب

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ١ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٨٢ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٣ .

الأنبياء - عليهم السلام - فيما أخبروا به عن الله - تعالى -[1]، فدل على أنه من عند الله من وجهين:

الأول:

أن الذي جاء به رجل أُمِّي لم يقرأ شيئا من الكتب، ولا أخذ عن أحد من العلماء، ومع ذلك جاءت أخباره مطابقة لأخبار الأنبياء فيما تضمنه من القصص، ومن الخبر عن الله. وهذا برهان قاطع على أنه لم يعلم ذلك إلا بوحي من الله - تعالى -[2].

الوجه الثاني:

أن الله - تعالى - لم يبعث نبياً قط إلا بالدعوة إلى توحيده، والإيمان به، وتنزيهه عما لا يليق به، والأمر بالعدل والإحسان، وبالشرائع التي هي صلاح كل زمان.

والقرآن جاء بهذه المطالب على أكمل الوجوه وأحسنها، فهو مصدق لتلك الكتب في كل ذلك، فدل على أنه من عند الله.

الدليل الثالث:

قوله - تعالى -: ﴿ ... وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾[3]. وتقرير الدلالة أن يقال: وافقتمونا - أيها اليهود والنصارى - على أنه - تعالى - أنزل التوراة والإنجيل كتابين إلهيين، وأنه - تعالى - قرن بإنزالهما المعجزة والدلالات الدالة على الفرق بينهما وبين أقوال الكاذبين، فإنه لولا المعجزة لما حصل الفرق بين قول المحق وقول المبطل.

---

(١) في النسخة «ع» [عز وجل] بدل - تعالى -.

(٢) في النسخة «ع» [بوحي من الله] فأسقط كلمة - تعالى -.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ٣ - ٤.

ثم إن تلك المعجزات والأدلة كما حصلت في كون التوراة والإنجيل نازلين من عند الله[1] ، فذلك - أيضاً - حاصل في كون القرآن نازلاً من عند الله . وإذا كان الطريق مشتركاً : فإما أن يكون الواجب تكذيب الكل - كما هو قول البراهمة[2] ومن ضاهاهم -، أوتصديق الكل - كما هو قول المسلمين -، وهو الحق الواضح المبين ، فأما قبول البعض ورد البعض فذلك جهل وضلال.

ولما قرر - تعالى - هذه الدلالات القاطعات في شأن الإلهيات والنبوات أتبع ذلك بالوعيد لمن أعرض عنها وكفر بها ، فقال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾[3].

واعلم أن النصارى لما ادعوا الإلهية في المسيح تعلقوا في دعواهم بشبهات أربع ، فلما قرر - تعالى - بطلان قولهم في إلهية عيسى وفي

(١) في النسخة «س» [من عند الله تعالى] فأضاف صفة العلو لله.

(٢) البرهمية أو البراهمة كما يسميها البعض : من الديانات القديمة في الهند ، وهي تنسب إلى (براهما) ، ومنشأ عقيدتهم أنهم كانوا يعبدون القوى التي - يزعمون أنها - تؤثر في الكون ، ثم لم يلبثوا أن جسدوا تلك القوى ، وأحلوها في بعض الأجسام ، فعبدوا الأصنام لحلولها فيها، فتعددت آلهتهم حتى وصلت إلى ثلاثة وثلاثين إلهاً ، ثم حصل على عقائدهم التغيير والتبديل، فانحصرت الآلهة عندهم في ثلاثة أقانيم هي: ١- (براهما). ٢- (سيفا). ٣- (ويشنو) . وهذه الآلهة الثلاثة أقانيم لإله واحد في زعمهم الذي هو الروح الأعظم ، واسمه بلغتهم (آتما).

انظر : كتاب الديانات القديمة ، لمحمد أبو زهرة ، ص ٢٧ ، طبعة دار الفكر العربي. والأديان والفرق ، لعبد القادر شيبة الحمد ، ص ٥٨.

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٤ .

التثليث بقوله : ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[1] أتبع ذلك بإبطال شبههم.

فالشبهة الأولى - تتعلق بالعلم :

وهو أن المسيح - عليه السلام - كان يخبر بالغيوب . قالوا: فوجب أن يكون إلهاً ، فأجاب الله - تعالى - عنه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾[2].

وتقرير الجواب أنه لا يلزم من كونه عالماً ببعض المغيبات أن يكون إلهاً ؛ لأن ذلك إنما كان بوحي من الله إليه وإطلاعه على ذلك دلالة على نبوته ، لكن عدم إحاطته ببعض المغيبات دليل قاطع على أنه ليس بإله ؛ لأن الإله هو الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

فإن الإله هو الذي يكون خالقاً ، والخالق لا بد أن يكون عالماً بمخلوقه ، وما ذاك إلا الله وحده ، كما قال - تعالى -: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[3].

ومن المعلوم - بالضرورة - أن عيسى ما كان عالماً بجميع المعلومات والمغيبات ، كيف والنصارى يزعمون أنه أظهر الجزع من الموت ، فلو كان عالماً بالغيب كلّه لعَلمَ أن القوم يريدون أخذه وقتله ، وأنه يتأذى بذلك ، ويتألم ، وكان يَفر منهم قبل وصولهم ، فلما لم يعلم هذا الغيب ظهر أنه ما كان عالماً بجميع المعلومات والمغيبات.

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٢ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٥ .

(٣) سورة الملك ، الآية : ١٤ .

والإله هو الذي لا يخفى عليه شيء من المعلومات ، فوجب القطع بأن عيسى ما كان إلهاً.

الشبهة الثانية:

قالوا : لما ثبت أنه كان يحيي الموتى ، ويبرئ الأكمه والأبرص ، ويخلق من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفخ فيه فيكون طيراً وجب أن يكون إلهاً.

فأجاب الله - تعالى -[1] عنها بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ...﴾[2]. والمعنى أن حصول الإحياء والإماتة على وفق قول عيسى في بعض الأحوال لا يدل على كونه إلهاً ؛ لأنا نقول : إن ذلك وقع بإذن الله - تعالى - معجزة دالة على نبوته ، لكن عجزه عن الإحياء والإماتة في بعض الصور يدل على عدم إلهيته.

وذلك أن الإله هو الذي يكون قادراً على أن يصوِّر في الأرحام من قطرة صغيرة من النطفة هذا التركيب العجيب والتأليف الغريب ، ومعلوم أن عيسى - عليه السلام - ما كان قادراً على خلق الإحياء والإماتة على هذا الوجه.

كيف ولو قدر على ذلك لأمات أولئك الذين زعم النصارى أنهم أخذوه ، وقتلوه ، فظهر أن حصول الإحياء والإماتة في بعض الصور على وفق قوله لا يدل على كونه إلهاً

---

(١) في النسخة «س» [فأجاب الله سبحانه].

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٦ .

وأيضًا فعيسى - عليه السلام - صُوِّر في الأرحام ، وتقلَّب فيها كسنة الله في غيره من ذرية آدم ، فعلم أنه معلوم[1] كسائر الخليقة ، فبطل أن يكون إلهاً.

الشبهة الثالثة:

أن النصارى يقولون: إنكم أيها المسلمون توافقوننا على أنه ما كان له أب من البشر ؛ فوجب أن يكون ابناً لله - تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً -.

فأجاب الله - تعالى - عنها أيضاً بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ...﴾[2] ؛ لأن هذا التصوير لما كان من الله - تعالى-: فإن شاء صوره من نطفة الأب ، وإن شاء صوره ابتداء من غير الأب. كيف وقد خلق - تعالى- آدم من تراب من غير أب ولا أم، فلما كان مقتدراً على ما شاء من التصوير بطل ما تعلقوا به في ذلك.

الشبهة الرابعة:

أنه ورد في بعض الروايات أن أولئك النصارى[3] قالوا للرسول[4] - صلى الله عليه وسلم -: ألست تقول: إن عيسى كلمة الله وروحه؟، فهذا يدل على أنه ابن الله . وفي بعض الروايات[5]: أنهم احتجوا على التثليث بقول الله - تعالى -: قضينا ، وأمرنا ونحوه . فأجاب الله

---

(١) [معلوم] هكذا في جميع النسخ. ولعل المصنف - رحمه الله - قصد (أنه مخلوق)؛ فهذا هو المناسب لسياق الكلام.

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٦ .

(٣) أي : وفد نصارى نجران.

(٤) في النسخة «ع» [قالوا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -] فأضاف لفظ الجلالة.

(٥) انظر السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج٢: ٢٠٦.

- تعالى - بقوله : ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ . . . ﴾[1].

والمعنى - كما قال محمد بن إسحاق[2] - ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾ فيهن حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل ، ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه. ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ لهن تصريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد ، كما ابتلاهم في الحلال والحرام أن لايصرفن إلى الباطل، ولا يحرفن عن الحق. يقول الله - عز وجل -: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي : ميل عن الحق إلى الهوى ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ أي : ما تصرف ليصدقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا ليكون لهم حجة ولهم على ما قالوا شبهة. ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ أي : اللبس ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ على ماركبوا من الضلالة في قوله : خلقنا وقضينا. يقول الله - تعالى -: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ فكيف يختلف وهو قول واحد من رب واحد؟!.

ثم ردوا تأويل المتشابه على ما عرفوا من تأويل المحكمات التي لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد ، فاتسق بقولهم الكتاب ، وصدّق

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٧ .

(٢) انظر كتاب السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج٢: ٢٠٨ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

بعضه بعضاً ، فنفذت به الحجة ؛ وظهر به العذر ، وانزاح به الباطل ، ودمغ به الكفر، يقول الله -تعالى-: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾.

وهذا الكلام من ابن إسحاق من أحسن ما قيل في الآية وأبينه.

وحاصل الجواب عن الشبهة أن النصارى تعلقوا بظاهر لفظ من القرآن يحتمل عدة معان من الحقيقة والمجاز؛ فهو من المتشابه الذي يجب رده إلى المحكم الذي لا يحتمل غير معناه الظاهر لكل أحد. فتعلقوا بقوله: ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[1]، وغفلوا عن قوله في عيسى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ... ﴾[2] ، وقوله: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ... ﴾[3] ، وقوله : ﴿ ... أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ... ﴾[4].

فأخبر الله – تعالى – أن ذلك لما في قلوبهم من الزيغ.

وهكذا من شابههم من هذه الأمة ، كما ثبت في الصحيحين[5] وغيرهما[6] عن عائشة [7] عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في هذه

(١) سورة النساء ، الآية : ١٧١.

(٢) سورة الزخرف ، الآية : ٥٩ .

(٣) سورة مريم ، الآية : ٣٠ .

(٤) سورة المائدة ، الآية : ١١٧ .

(٥) في صحيح البخاري في كتاب : التفسير ، باب : تفسير سورة آل عمران ، ج٥: ١٦٦ ، طبعة إستانبول. وفي صحيح مسلم في كتاب : العلم ، باب : النهي عن اتباع المتشابه من القرآن ، ج٤: ٢٠٥٣ ، ترتيب محمد عبدالباقي.

(٦) في سنن الترمذي ، باب : تفسير سورة آل عمران ، ج٨: ١٧٨ ، تحقيق عزت عبيد ، قال الترمذي: « حديث حسن صحيح ». وفي سنن الدارمي ، ج١: ٥٥. وفي سنن أبي داود ، ج٤: ١٩٨ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

(٧) في النسخة «ع» [رضي الله عنها].

الآية قال : « فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى الله فاحذروهم » . هذا لفظ البخاري.

وقد كان[1] الذين أنكروا الحلول والاتحاد من النصارى الذين يصدقون بلفظ الآب والابن وروح القدس ، وأن تلك العبارة مأخوذة عن إنجيل المسيح يقولون - مع ذلك -: إن المسيح عبد مرسل كسائر الرسل ، فوافقوهم على اللفظ ، ولم يفسروا ذلك بما يقوله منازعوهم من الحلول والاتحاد.

كما أن النسطورية يوافقونهم - أيضاً - على هذا اللفظ ، وينازعونهم في الاتحاد الذي يقوله اليعقوبية والملكية[2].

فلما كانوا متفقين على اللفظ ، متنازعين في معناه علم أنهم صدقوا باللفظ أولاً لأجل اعتقادهم مجيء الشرع ، ثم تنازعوا بعد ذلك في تفسيره ، كما يختلفون هم وسائر أهل الملل في تفسير بعض الكلام الذي يعتقدون أنه منقول عن الأنبياء -عليهم السلام-.

وكل ما صح عنهم أنهم قالوه فهو حق ؛ لأنهم لا يقولون إلا الحق ، ولا بد له - إذا كان صحيحاً عنهم - من معنى صحيح يوافق اللفظ المحكم الذي لا يحتمل غير معناه الظاهر لكل أحد.

فظهر بما قرر من قوله : ﴿ ... الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ إشارة إلى ما يدل على أن المسيح ليس بإله ، ولا ابن للإله ، وأن قوله: ﴿ ... لا يَخْفَىٰ

(١) في النسخة «س» [وقد كان من الذين] فأضاف (من).

(٢) تقدم التعريف بهذه الفرق في ص (١٥١ ، ١٥٣) .

عَلَيه شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ﴾[١] جواب عن الشبهة المتعلقة بالعلم. وقوله : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ... ﴾[٢] جواب عن تمسكهم بقدرته على الإحياء والإماتة ، وعن تمسكهم بأنه ما كان له أب من البشر ، فيجب أن يكون ابناً لله. وأن قوله: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ... ﴾ الآية[٣] جواب عن تمسكهم بما ورد في القرآن من الألفاظ المحتملة لعدة من المعاني.

ومن تأمل ما ذكرناه علم أنه ليس في المسألة حجة ولا شبهة ولا سؤال ولا جواب إلا وقد اشتملت عليه هذه الآيات ، فالحمد لله الذي أغنى عباده المؤمنين بكتابه ، وما أودعه من حججه ، وبيناته عن شقائق[٤] المتكلمين ، وهذيانات المنهوكين[٥]، فلقد عظمت نعمة الله على عبد أغناه بفهم كتابه عن الفقر إلى غيره ﴿ أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾[٦]، ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾[٧].

ثم ذكر - تعالى - أنواعاً من الحجج ، وشرح قصة مريم وعيسى

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٥ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٦ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٧.

(٤) في جميع النسخ [شقائق] . ولعل المصنف - رحمه الله - قصد (شقاشق المتكلمين) من شقشق البعير إذا هدر وهاج .

(٥) النهك في اللغة: المبالغة في كل شيء .

(٦) سورة العنكبوت ، الآية : ٥١ .

(٧) سورة آل عمران ، الآية : ٨ .

- عليهما السلام - شرحاً جلياً متضمناً لأنواع من الأدلة على بطلان قول النصارى بما لا يتسع هذا المختصر لشرحه إلى أن قال - تعالى -: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[1]، وفي هذه الآية إبطال شبهة النصارى في قولهم: لما لم يكن له أب من البشر وجب أن يكون أبوه هو الله - تعالى -.

فبيَّن - تعالى - أنه خلق آدم من تراب، ولم يكن له أب ولا أم، ولم يلزم من ذلك أن يكون ابناً لله، فكذا القول في عيسى.

وأيضاً فلما جاز أن يخلق الله آدم من التراب فلم لا يجوز أن يخلق عيسى من دم مريم؟ بل هذا أقرب إلى العقل؛ فإن تولد الحيوان من الدم الذي يجتمع في رحم المرأة أقرب من تولّده من التراب اليابس.

ولكن الرب - جل جلاله - أراد أن يظهر قدرته لخلقه في تنويع التخليق، فيعلموا أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً.

وبعد أن بين -تعالى- أنواع الأدلة القاطعة في صدر السورة، وأجاب عن شبه النصارى على أكمل الوجوه وأحسنها، وكان من أنصف وطلب الحق علم أن البيان قد بلغ الغاية القصوى لا جرم، قال - تعالى - - بعد ذلك -: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

يعني فبعد هذه الدلائل الواضحة والجوابات اللائحة فاقطع الجواب معهم وعاملهم بهـا بما يعامل به المعاند، وهو أن تدعوهم إلى الملاعنة ، وقـد فعـل رسول الله - صلـى الله عليـه وسلم - ، ودعاهم إلـيهـا ، فنكصوا ، ورجعوا إلى الصلح ، وأقروا بالصغار ، وبذلوا الجزية ، كما تقدم في القـصة[1]. فكان ذلك دليلاً على نبـوة محمـد - صلى الله عليه وسلم - من وجهين :

أحدهما :

أنه - عليه الصـلاة والسلام - خوَّفهـم بنزول العذاب . فلو لـم يكن واثقاً بذلك لكان ذلك منه سعياً في إظهار كذب نفسه ؛ لأنه بتقدير أن يرغبوا في المباهلة ، ثم لا ينزل العذاب يكون ذلك تكذيباً له.

ومعلوم أنه كان - صلى الله عليه وسلم - من أعقل الناس ، بل هو أعـقلهم على الإطلاق ، ولا يليق بالعـاقل أن يعمل عـملاً يفـضي إلى ظهور كذبه ، فلما أصر عـلى ذلك علمنا أنه إنما أصر عليه لكونه واثقاً بنزول العذاب عليهم لو فعلوا.

الثاني :

أن القوم تركـوا المباهلة ، وأعطوا الصـغار من أنفسـهم. فلولا أنهم علموا من التـوراة والإنجيل ما يدل على نبوته لما أحـجموا عن مبـاهلته ورضـوا لأنفسـهم بالذل والصـغار ، بـل قد تقـدم في القـصة مـا يدل صريحاً على معرفتهم به ، وأنه النبي المبشِّر به في كتب الأنبياء.

---

(١) يقصد المؤلف - رحمه الله - قصة وفد نصارى نجران ، وقد تقدم الكلام عنها.

فصل

ولا بأس بذكر مناظرة حكاها بعض العلماء[1] جرت بينه وبين بعض النصارى ممن يدعي التحقيق والتعمق في مذهبه.

قال: قال لي[2] النصراني: ما الدليل على نبوة محمد؟

فقلت له : كما نُقِلَ إلينا ظهور الخوارق على يد موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء نُقِلَ إلينا ظهور الخوارق على يد محمد - صلى الله عليه وسلم - [فإن رددنا التواتر أو قبلناه ، لكن قلنا : إن المعجزة لا تدل على الصدق فحينئذ تبطل نبوة سائر الأنبياء ، وإن اعترفنا بصحة التواتر، واعترفنا بدلالة المعجزة على الصدق. ثم إنهما حاصلان في حق محمد - صلى الله عليه وسلم - وجب الاعتراف قطعاً بنبوته ضرورة أن عند الاستواء في الدليل لا بد من الاستواء في حصول المدلول][3].

فقال النصراني:

إني لا أقول في عيسى : إنه كان نبياً ، بل أقول : كان إلهاً .

---

(١) لم أعثر على من ذكر هذه المناظرة رغم طلبي لها في مظانها. وفي تقديري أنها لشيخ الإسلام ابن تيمية أو لتلميذه العلامة ابن القيم ؛ لأن مضمون الكلام يدل على ذلك. والله أعلم.

(٢) في النسخة «س» [قال النصراني].

(٣) ما بين القوسين هكذا ورد النص في جميع نسخ الكتاب . وفي نظري أن فيه اضطرابا ، ولعل ضبطه هكذا :

(فإن رددنا التواتر قلنا : إن المعجزة لا تدل على الصدق ، فحينئذ تبطل نبوة سائر الأنبياء ، وإن اعترفنا بدلالة المعجزة على الصدق وجب الاعتراف قطعاً بنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ضرورة ؛ لأنه عند الاستواء في الدليل لا بد من الاستواء في حصول المدلول).

فقلت له :

هذا الذي تقوله باطل ؛ لأن الإله هو واجب الوجود لذاته ، وعيسى هو هذا الشخص البشري الذي وُجِدَ بعد أن كان معدوماً ، وقُتِلَ - على قولك - بعد أن كان حياً ، فكان أولاً طفلاً ، ثم صار مترعرعاً ، ثم صار شاباً ، وكان يأكل ويشرب ويحدث وينام ويستيقظ.

وقد تقرر في بداية العقول أن المحدَث لا يكون قديماً ، والمحتاج لا يكون غنياً ، والممكن لا يكون واجباً ، والمتغير لا يكون دائماً.

هذا وجه .

والوجه الثاني في إبطال هذه المقالة: أنكم معترفون بأن اليهود أخذوه، وصلبوه ، وتركوه حياً على الخشبة ، وفعلوا معه من الإهانة والأذى ما تدّعونه ، وأنه كان يحتال في الهرب منهم وفي الاختفاء عنهم ، وحين عاملوه بتلك المعاملات أظهر الجزع الشديد . فلو كان إلهاً ، أو كان الإله حالاً فيه ، أو كان جزءًا من الإله حالاً فيه فلِمَ لم[1] يدفعهم عن نفسه؟ ولم يهلكهم بالكلية؟ وأي حاجة به إلى إظهار الجزع والاحتيال في الفرار منهم؟.

الوجه الثالث:

وهو أنه إما أن يقال بأن الإله هو هذا الشخص الجسماني المشاهد ، أو يقال حل الإله بكليته فيه ، أو حل بعض الإله وجزء منه فيه. والأقسام الثلاثة باطلة :

---

(١) في النسخة «ع» [فلم لا].

أما الأول فلأن إله العالم لو كان هو ذلك الجسم فحين قتلته اليهود كان ذلك قولاً بأن اليهود قتلوا إله العالم فكيف بقي العالم بعد ذلك بغير إله؟.

ثم إن أشد الناس ذلاً ودناءة اليهود ، فالإله الذي يقتله اليهود إله في غاية العجز!.

وأما الثاني - وهو أن الإله بكليته حل في هذا الجسم - فهو-أيضاً- فاسد؛ لأن الإله إن لم يكن جسماً ولا عرضاً امتنع حلوله في الجسم.

وإن كان جسماً فحينئذ يكون حلوله في الجسم(١) عبارة عن اختلاط أجزائه بأجزاء ذلك الجسم. وذلك يوجب وقوع التفرق في أجزاء ذلك الإله.

وإن كان عرضاً كان محتاجاً إلى غيره . وذلك محال في حق الإله.

وأما الثالث - وهو أنه حل فيه بعض من أبعاض الإله وجزء من أجزائه - فذلك - أيضاً - محال ؛ لأن ذلك الجزء إن كان معتبراً في الإلهية فعند انفصاله عن الإله وجب أن لا يبقى الإله إلهاً ، وإن لم يكن معتبراً في تحقيق الإلهية لم يكن جزءاً من الإله.

فثبت فساد هذه الأقسام ؛ فكان قول النصارى باطلاً.

---

(١) في النسخة «س» [يكون حلوله في ذلك الجسم]. وفي النسخة «ط» [يكون حلولا في الجسم].

الوجه الرابع :

في بطلان قول النصارى ما ثبت بالتواتر أن عيسى -عليه السلام- كان عظيم الرغبة في العبادة والطاعة لله -تعالى- . فلو كان إلهاً لاستحال ذلك؛ لأن الإله لا يعبد نفسه.

فهذه وجوه في غاية الجلاء والظهور دالة على فساد قولهم . انتهى[1] .

وبالجملة ، فالأمر كما قال أبو عبدالله ابن القيم[2]: إن دين الأمة الصليبية بعد أن بعث الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - ، بل قبله بنحو من ثلثمائة سنة مبني على معاندة العقول والشرائع وتنقُّص إله[3] العالمين ورميه بالعظائم ، فكل نصراني لا يأخذ بحظه من هذه البلية فليس بنصراني على الحقيقة.

أفليس هو الدين الذي أسسه أصحاب المجامع[4] المتلاعنين على أن الواحد ثلاثة ، والثلاثة واحد؟

فيا عجباً! كيف يرضى العاقل أن يكون هذا مبلغ علمه ومنتهى عقله؟ أترى لم يكن في هذه الأمة من يرجع إلى عقله وفطرته ، ويعلم أن هذا عين المحال ، وإن ضربوا له الأمثال ، واستخرجوا له الأشباه ، فلا يذكرون مثالاً ولا شبهاً إلا وفيه بيان خطئهم وضلالهم كتشبيه

---

(١) يقصد كلام المناظر.

(٢) في كتابه إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، ج٢: ٢٨٩ - ٢٩١ ، تحقيق محمد حامد الفقي.

(٣) في النسخة «ع» [الله رب العالمين].

(٤) تقدم الكلام على مجامع النصارى في أول الكتاب.

بعضهم اتحاد اللاهوت بالناسوت وامتزاجه به باتحاد النار والحديد، وتمثيل بعضهم ذلك باختلاط الماء باللبن، وتشبيه آخرين ذلك بامتزاج الغذاء واختلاطه بأعضاء البدن... إلى غير ذلك من الأمثال والمقاييس التي تتضمن امتزاج حقيقتين واختلاطهما حتى صارتا حقيقة أخرى، تعالى الله عن كذبهم وإفكهم[1].

ولم يقنعهم هذا القول في رب السموات والأرض حتى اتفقوا بأسرهم على أن اليهود أخذوه، وساقوه بينهم ذليلاً مقهوراً، وهو يحمل خشبته التي صلبوه عليها، وأن اليهود يبصقون في وجهه، ويضربونه، ثم صلبوه، وطعنوه بالحربة حتى مات، وتركوه مصلوباً حتى التصق شعره بجلده لما يبس دمه بحرارة الشمس، ثم دُفِنَ، وأقام تحت التراب ثلاثة أيام، ثم قام بلاهوتيته من قبره.

هذا قول جميعهم ليس فيهم من ينكر منه شيئاً فيا للعقول! كيف كان حال هذا العالم الأعلى والأسفل في هذه الأيام الثلاثة؟ ومن كان يدبر السموات والأرض؟ ومن[2] الذي خلف الرب - سبحانه - في هذه المدة، ومن كان الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض وهو مدفون في قبره؟.

ويا عجباً! هل دُفِنَت الكلمة معه بعد أن قُتِلَت وصُلِبت أم فارقته وخذلته أحوج ما كان إلى نصرها له كما خذله أبوه وقومه؟؛ فإن

(١) في النسخة «س» [عن إفكهم وكذبهم].
(٢) في النسخة «س» [ومن ذا الذي].

كانت فارقته وتجرد منها فليس هو حينئذ المسيح ، وإنما هو كغيره من آحاد الناس ، وكيف يصح مفارقتها له بعد أن اتحدت به ، ومازجت لحمه ودمه؟! وأين ذهب الاتحاد والامتزاج؟ ، وإن كانت لم تفارقه وقتلت وصلبت ودفنت معه فكيف وصل المخلوق إلى قتل الإله وصلبه ودفنه؟.

ويا عجباً! أي قبر يسع إله السموات والأرض؟.

هذا وهو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون!.

أعُبَّادَ المسيح لنا سؤال ... نريد جوابه ممن وعاه[١]
إذا ماتَ الإلهُ بفعلِ قومٍ ... أماتوه فما هذا الإله؟
وهل أرضاه ما نالوه منهُ ... فبشراهم إذا نالوا رضاه
وإن سخط الذي فعلوه فيه ... فقوتُهم إذاً أوهتْ[٢] قواه
وهل بقي الوجود بلا إله ... سميع يستجيب لمن دعاه؟
وهل خلت الطباق السبع[٣] لما ... ثوى[٤] تحت التراب وقد علاه
وهل خلت العوالم من إله ... يدبرها وقد شدت يداه؟
وكيف تخلت الأملاك عنه ... بنصرهم وقد سمعوا بكاه؟
وكيف أطاقت الأخشاب[٥] حمل ... إله الحق مشدوداً قفاه؟

(١) وعاه: عقله.

(٢) أوهت : أضعفت .

(٣) الطباق السبع: السموات والأرض.

(٤) ثوى : مات أو هلك .

(٥) المقصود بها آلة الصلب.

وكـيف دنا الحـديد إليـه حـتى ... يخـالطه ويلحـقـه أذاه؟
وكـيف تمكنت أيدي عـداه ... وطالت حيث قد صفعوا قفاه؟
وهل عـاد المسيح إلى حـيـاة ... أم المحـيي لـه رب سـواه؟
ويا عـجـبـا لقـبـر ضم ربًّا ... وأعـجب منه بطن[1] قـد حـواه!
أقـام هنـاك تسعـاً من شـهـور[2] ... لدى الظلمات[3] من حيض غذاه
وشق الفـرج مـولوداً صـغـيـراً ... ضـعـيـفـاً فـاتحـاً للثدي فـاه
ويـأكل ثـم يشـرب ثـم يأتـي ... بـلازم ذاك[4] هـل هـذا إلـه؟
تعـالـى الله عن إفك الـنصـارى ... سـيسـأل كلهم عـمـا افـتـراه
فـيـا عـبـد المسيح أفق فـهـذي ... بدايتـه وهذا منتـهـاه[5]

---

(١) بطن أمه مريم.
(٢) وهي مدة الحمل الطبيعي.
(٣) المراد بالظلمات هنا : ظلمات الرحم.
(٤) بلازم ذاك : المراد البول والغائط.
(٥) الناظم لهذه الأبيات هو العلامة شمس الدين ابن القيم - رحمه الله - ، وقد ذكرها في كتابه إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، ج٢ : ٩٠ ، تحقيق محمد حامد الفقي.
والناظم - رحمه الله - يذكر ذلك تنزلاً لدعوى النصارى في صلب المسيح - عليه السلام - وقتله ودفنه. وإلا فعقيدة الناظم في المسيح: أنه لم يصلب ، ولم يقتل ، ولم يدفن ، بل رفعه الله حياً إلى السماء ، كما دل على ذلك صريح القرآن وصحيح السنة النبوية.

فصل

وأما قول النصراني:

شبهة النصارى حول مشروعية الجهاد في الإسلام والرد عليها

«وكان يشوع ذا صلاح تام في سيرته حتى لم يطعن في عرضه بشيء.

أما محمد فهو صاحب الغزاة والقتال، مغرماً بالنساء، وكثير النكاح»[(١)].

فالجواب - وبالله التوفيق -:

أما عيسى - عليه السلام - فهو عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وهو أحد الخمسة أولي العزم من الرسل، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد - صلى الله عليهم وسلم تسليما-.

وحاشا رسل الله وأنبيائه أن يُطعن عليهم في أعراضهم بشيء، كيف وهم الذين اصطفاهم الله لرسالاته، وجعلهم سفراء بينه وبين عباده، فاعتقاد المسلمين في المسيح كغيره من الرسل هو ما جاء به نبيهم - صلى الله عليه وسلم -، وهو إنزالهم المنزلة التي أنزلهم الله إياها، فلا يغلون غلو النصارى، ولايجفون جفاء اليهود. فـ (كلا طرفي قصد الأمور ذميم)[(٢)].

---

(١) كتاب مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن، ص ١٢١، نسخة المكتبة البريطانية في لندن.

(٢) هذا شطر من بيت لأبي الفتح البستي المتوفى في بخارى سنة ٤٠٠هـ، يقول فيه:

فسامِحْ ولا تستوف حقَّك كلَّه ... وأبقِ فلم يستقصِ قط كريم

ولا تغلُ في شيء مِن الأمر واقتصد ... كلا طَرفي قصد الأمور ذميم

انظر ذلك في كتاب: جواهر الأدب، للسيد أحمد الهاشمي، ج٢: ٤٧٤.

وأما فضائل نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وصلاح سيرته وعظم أخلاقه وزهادته في الدنيا وإعراضه عن زهرتها فقد قدمنا إشارة يسيرة إلى ذلك[١] ، وهو غيض من فيض[٢] ، ونقطة من بحر؛ لأنا قد بنينا كتابنا هذا على الاختصار ، والتنبيه على مقاصده بأدنى إشارة ، فلو تتبعت فضائله ، وفصَّلْتُ شمائله ، وشرحت أخلاقه لكان ذلك في مجلدات كثيرة - فصلى الله وملائكته وأنبياؤه ورسله وعباده المؤمنون عليه دائماً إلى يوم الدين وأبد الآبدين - .

وقوله : « فهو صاحب الغزاة ... » إلى آخره.

جوابه : أما النكاح ومحبة النساء فقد قدمنا فيها ما يكفي[٣] ، وبينا أن ذلك من الفضائل لا من الرذائل ، ومن المناقب لا من المثالب ، وأنه من سنن الأنبياء والمرسلين ، ومن طريق عباد الله الصالحين ، فلا يتأتى الطعن بالنكاح وملابسة النساء إلا بتنقُّص الأنبياء والمرسلين كنوح ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، وموسى ، وهارون ، وداود ، وسليمان ، وغيرهم من أنبياء الله ورسله . وكفى بذلك عماية قلب وسخافة عقل وسمة ضلالة وقبيح جهالة.

---

(١) تحت عنوان: ما فضل به محمد - صلى الله عليه وسلم - .

(٢) غيض من فيض: معناها قليل من كثير.

(٣) تحت عنوان: هديه - صلى الله عليه وسلم - في النكاح .

وأما اعتراضه بالغزو والقتال فهو اعتراض باطل من وجوه:

الأول :

أن الغزو والقتال للأعداء فضيلة متنافس فيها على الجملة ، دالة على شرف النفس ، وعلو الهمة ، ولم يزل التمادح به مشهوراً في القديم والحديث.

وإنما يذم ما كان منه ظلماً وعدواناً ، وليس كذلك قتال نبينا - صلى الله عليه وسلم - لما نبينه في **الوجه الثاني**.

وهو أن قتاله - صلى الله عليه وسلم - إنما هو عن أمر الله - تعالى - وشرعه لإقامة دين لله وإبطال عبادة من سواه من الأنداد والأصنام.

وهذا من أعظم الفضائل ، وأكبر المناقب ، وأرفع الرتب ، وهو قتال الأنبياء وأتباعهم ، ولنبينا - صلى الله عليه وسلم - وأتباعه من هذه الفضيلة أوفر حظ ، وأكمل نصيب.

الوجه الثالث :

أن قتاله - صلى الله عليه وسلم - من أعلام نبوته ، وأدلة رسالته ؛ لأنه مطابق لما جاء من نعته في كتب الأنبياء - عليهم السلام - كما قدمنا من نص الزبور في قوله:

(تقلَّدْ - أيها الجبار - بالسيف ، فإن شريعتك وسنتك مقرونة بهيبة يمينك وسهامك مسنونة).

وفي النص الآخر في صفته - صلى الله عليه وسلم -، وصفة أمته: (بأيديهم سيوف ذات شفرتين).

إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على أنه يبعث بالسيف والقتال.

وتقدم في قصة ابن الهيبان الحبر في وصيته لليهود باتباعهم محمداً - صلى الله عليه وسلم - قوله: (لا تسبقن عليه يا معشر اليهود ؛ فإنه يبعث بسفك الدماء ، وبسبي الذراري والنساء ممن خالفه ، فلا يمنعكم ذلك منه)[1].

الوجه الرابع :

أن القتال ليس مختصاً بشريعته - صلى الله عليه وسلم - ، فقد قاتل كثير من الأنبياء - عليه السلام - بإذن الله لهم في ذلك وأمره ، وقد أمر الله بني إسرائيل بقتال الجبارين ، ودخول الأرض المقدسة مع موسى - عليه السلام - . فلما عصوا أمر الله عاقبهم بالتيه أربعين سنة ، وبعد خروجهم منه توجهوا لقتال الجبارين مع يوشع بن نون[2] -عليه السلام - ، ففتح الله عليهم ، ولم يزل الجهاد والقتال مشهوراً في بني إسرائيل ، ومعهم الأنبياء ، كما قال الله - تعالى -:

---

(١) ذكره ابن إسحاق ، ونقله عنه ابن هشام في السيرة النبوية ، ج١: ٢٣٣ ، تحقيق محيي الدين عبدالحميد وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ، من حديث عاصم بن عمر عن شيخ من بني قريظة ، ج٢: ٤٣١ ، تحقيق أحمد صقر.

(٢) هو نبي الله يوشع بن نون بن أفراثيم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل. وهو فتى موسى المشار إليه في القرآن في سورة الكهف. وقد تولى أمر بني إسرائيل بعد موسى وهارون مدة سبع وعشرين سنة ، ومات وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة. (انظر: البداية والنهاية ، لابن كثير، ج١: ٣١٩ ، الطبعة الثالثة) .

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾[1] .

وأما كون القتال غير مشروع لعيسى - عليه السلام - فذلك لا يدل على أن تركه أفضل مطلقاً ، بل هـذا من اخـتـلاف الشرائع ، كما قال -تعالى -: ﴿ ... لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ... ﴾[2] .

الوجـه الخامس :

أن في الجهاد من المصالح العظيمة ، والحِكَم البـاهرة فيما يتعلق بأمر الدنيا والآخرة ما لا يحصى:

فـمنها مـا يتـرتـب عليه مـن إعلاء كلمـة الله ، وإقـامة دينه ، وعـزة أنصـاره ، وإنفاذ أحكامه ، وقـد حـصـل بـه من ذلك على يـد محمـد - صلى الله عليه وسلـم - وأصحابه وأتباعـه ما شتت شـمل الكفر ، وفرَّق كلمة الإشراك ، وأرغم[3] أنف الشيطان اللعين.

ومنهـا : إنقاذ الهـالكين في الكفـر ، والضـلالة ، وعبـادة الأصنام ، والأنداد ، وإخراجـهم من ظلمات الكفـر إلى نور الإيمان ، ومن طريق النار إلى سبيل الجنان ، ومن رقِّ الشيطان إلى عبادة الرحمن.

وقد أنقذ بهذه الأمة ، وجهادها من شاء الله من الأمم الهالكين.

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٤٦ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٤٨ .

(٣) في النسخة «ع» [ورغم] .

وفي هـذا المعنى مـا رواه البخاري في صـحيحـه [1] عن أبي هـريرة - رضي الله عنه - في قول الله - تعالى -: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ... ﴾ [2] قال: « خيـر الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم ؛ حتى يدخلوا في الإسلام » .

ومنها ابتـلاء الله - تعالى - عباده ، واختـبارهم بتكليفـهم القتال ، وبذلهم - في طاعته - النفوس والأموال ، كما قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [3] . وقـال - تعالى -: ﴿ ... وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ [4] ، وقــال - تعالى -: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [5] .

ومنها مـا يترتب على ذلك من عظيم المثـوبات ورفعـة الدرجات بما بذلوا من مـهجهم وأمـوالهم في طاعة الـله ونصرة دينه ، فـالمجاهدون أرفع الناس درجة في الدنيا والآخرة.

---

(١) في صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : كنتم خير أمة أخرجت للناس ، ج٥: ١٧٠ ، طبعة إستانبول.

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١١٠ .

(٣) سورة محمد ، الآية : ٣١ .

(٤) سورة محمد ، الآية : ٤ .

(٥) سورة الحديد ، الآية : ٢٥ .

الوجه السادس :

أنه إذا كان قتاله - صلى الله عليه وسلم - عن أمر الله لثبوت رسالته ، فالاعتراض عليه في شيء من أمره اعتراض على الله ؛ لأنه الذي شرع وأمر.

وهذا نظير اعتراض من يعترض من المكذبين للرسل على ذبح الحيوان للأكل بأن هذا تعذيب للحيوان لا يأذن الله فيه.

وإذا كانت شرائع الأنبياء جاءت بذبح بعض الحيوانات للأكل وقتل بعضها دفعاً للأذى ، مع أنه لا تكليف عليها ولا ذنب لها ؛ فكيف يكون الأمر في قتال أعداء الله الكافرين به المكذبين رسله العابدين معه آلهة أخرى؟. لا جرم أن قتالهم وغزوهم وجهادهم حتى يؤمنوا بالله ، ويتابعوا رسوله لفي غاية الصلاح ونهاية السداد وتمام الحكمة.

وبالجملة ، ففضائل الجهاد في سبيل الله أكثر من أن يأتي عليها الوصف ، وما كان هذا شأنه فلا شك أن المتصف به قد حاز فضلاً عظيماً ، واقتنى خيراً كثيراً ، وأن مشروعيته في هذه الملة من محاسنها ومحاسن من جاء بها وفضائل أتباعه الذين هم خير أمة أخرجت للناس.



فصل

رفع عيسى إلى السماء لا يؤدي إلى تفضيله على محمد

وأما قول النصراني:

« وكان يشوع قد ارتفع إلى السماء ، وأما محمد فهو بقي محبوساً في القبر » .

فجوابه أن الله - تعالى - خص من شاء[1] من رسله بما شاء من الخصائص ، وخص نبينا محمداً - صلى الله عليه وسلم - بخصائص كثيرة لم يشاركه فيها أحد من الأنبياء ، وشارك الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - في خصائص كثيرة. بل قال بعض العلماء: « إنه ما خُصَّ نبي بشيء إلا كان لنبينا - صلى الله عليه وسلم - مثله زيادة ما اختص به عن جميعهم ».

وقد بسط العلماء ذلك بما يبين للمتأمل صحته . ولسنا بصدد تفصيل ذلك خوف الإطالة ، فمن ذلك ما ذكر من رفع عيسى - عليه السلام - إلى السماء. فإن نبينا - صلى الله عليه وسلم - قد أعطي ذلك ليلة المعراج[2] إلى السموات ، وزاد في الترقي لمزيد الدرجات ، وحظي بسماع المناجات ، ومشاهدة الكبرى من الآيات ، والوصول إلى

---

(١) في النسخة «س» [خص من شاء من أنبيائه ورسله] فزاد كلمة (أنبيائه).

(٢) قصة الإسراء والمعراج: وقعت لنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- قبل الهجرة النبوية بنحو سنة تقريباً. وقد رواها عدد من الصحابة - رضي الله عنهم - ، منهم : عمر بن الخطاب وأنس ابن مالك وأبو هريرة وعائشة ، ورواياتهم مخرجة في كتب الصحاح والمسانيد والسنن . وهي في صحيح البخاري ، ج٤: ٢٤٨ ، طبعة إستانبول ، وفي صحيح مسلم ، ج١: ١٤٥ ، ترتيب محمد عبدالباقي.

ذلك المقام الذي سمع فيه صريف[1] الأقلام، وفرضت عليه هناك الصلوات، وخلعت عليه خلع الكرامات.

وهذه فضيلة لم تجئ لأحد من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام-.

وأيضاً فلو لم تجئ هذه الفضيلة لنبينا - صلى الله عليه وسلم - لم يكن عدمها دالاً على تفضيل[2] عيسى - عليه السلام - عليه؛ لأن لنبينا - صلى الله عليه وسلم - من الفضائل والخصائص ما هو مقتضى سيادته لولد آدم، فتخصيص المفضول بخصيصة ليست للفاضل أمر معلوم، كما خُصَّ داود - عليه السلام - بإلانة الحديد، وتأويب الجبال والطير معه، وسليمان بتسخير الجن والشياطين، وتسخير الريح، غدوها شهر، ورواحها شهر، والملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده، وكرفع إدريس - عليه السلام - إلى السماء. وأمثال ذلك.

وكل هذا لا يدل على تفضيل هؤلاء الأنبياء - عليهم السلام - على الخمسة أولي العزم الذين هم أفضل الرسل، وإن لم تكن لهم تلك الخصائص، فإن الذي أوتوه من الفضائل والخصائص من وجوه أخر أعظم وأفضل.

وقد روى جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «وأعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود. وأُحلَّت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي. وجُعِلت لي الأرض مسجداً

---

(١) صريف الأقلام: صوت جريانها بما تكتبه من أقضية الله ووحيه، وما ينسخ من اللوح المحفوظ.

(٢) في النسخة «ع» [فضيلة].

وطهوراً ؛ فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ حيث كان . ونُصرْتُ بالرعب مسيرة شهر . وأُعطيتُ الشفاعة...» أخرجه البخاري[(١)] وغيره.

وفي رواية : «... وبعثت إلى الناس كافة » .

وليس المراد حصر خصائصه - صلى الله عليه وسلم - في هذه الخمس المذكورة ، فقد روى مسلم في صحيحه[(٢)] عن أبي هريرة[(٣)] عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال:

« فُضِّلت على الأنبياء بست: أُعطيت جوامع الكلم ، ونُصرت بالرعب ، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأُرْسِلْتُ إلى الخلق كافة ، وخُتِمَ بي النبيون ». فذكر الخمس المذكورة في حديث جابر، وزاد خصلتين ، وهما: أعطيت جوامع الكلم ، وختم بي النبيون.

وله - صلى الله عليه وسلم - من مشاهير الخصائص غير هذا كتخصيص أمته بوضع الآصار ، وحط الأثقال التي كانت على من قبلهم ، ورفع تحميلهم ما لايطاق ، ورفع الخطأ والنسيان عنهم ، وتسميته - صلى الله عليه وسلم - أحمد ، وإعطائه مفاتيح خزائن الأرض ، وجعل أمته خير الأمم ، وغفران ذنبه ماتقدم وما تأخر ، وبقاء معجزة القرآن الذي أنزل عليه إلى يوم القيامة ، وإعطائه الكوثر، وإعطائه لواء[(٤)] الحمد يوم القيامة ، وأن آدم ومن دونه تحت لوائه.

---

(١) في صحيح البخاري في كتاب : التيمم ، ج١ : ٨٦ ، طبعة إستانبول.

(٢) في صحيح مسلم في كتاب : المساجد ، ج١ : ٣٧١ ، ترتيب محمد عبدالباقي.

(٣) في النسخة «ع» [رضي الله عنه] .

(٤) اللواء: الراية ، وجمعه ألوية.

وبعض العلماء عدَّ خصائصه ستين خصلة . وليس غرضنا استقصاء ذلك ؛ فاكتفينا بالتنبيه عليه رداً لكلام المبطل ، ونقضاً لاعتراضه. وطريق إثبات هذه الخصائص هو طريق إثبات المعجزات كما سيأتي - إن شاء الله تعالى -.

فصل

وجوب اتباع ما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم -

وأما قول النصراني :

«فمن ذا الذي لا ينظر أيهما أولى أن يتبع »[1].

فالجواب :

أن من نظر لنفسه ، ونصحها ، ونظر بعين البصيرة والعقل الصحيح - في دلائل نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - وكثرة فضائله ، وظهور معجزاته ، وشواهد نبوته ، وشهادة الله له بالصدق ، بما[2] أيده به من عظيم الآيات - لا يعتريه شك ، ولا يخالجه ريب ، ولايقف أدنى وقفة في وجوب اتباعه - صلى الله عليه وسلم -، والدخول في دينه ، والسلوك على منهاجه. وذلك هو حقيقة اتباع المسيح - عليه السلام - ، والإيمان به ؛ لأنه بَشَّر به ، وعهد إلى اتباعه بالإيمان به ونصرته ، كما أخذ الله الميثاق بذلك على النبيين ، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[3].

(١) كتاب مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن ، ص ١٢١ ، نسخة المكتبة البريطانية في لندن.

(٢) في النسخة «س» [فيما أيده به].

(٣) سورة آل عمران ، الآيتان : ٨١ - ٨٢ .

قال علي بن أبي طالب ، وابن عمه عـبدالله بن عباس[1] : « ما بعث الله نبياً من الأنبـياء إلا أخذ الله عليه الميثاق : لئن بعث الـله محمداً[2] وهو حي ليؤمنن به ، ولينصرنه »[3].

وأيضاً فالنظر في أيهما أولى أن يتبع فاسد[4] بعد ظهور دلائل نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ظهوراً أظهر من شمس الظهيرة.

وقد دعـا الناس جمـيعـا إلى اتباعـه ، وأخبـر أنه رسول الله إليـهم جميعاً ، وأن شرائع الأنبياء منسوخة بشرعه ، وأن من سمع به من هذه الأمة يهودي أونصراني ثم لم يؤمن به فهو من أهل النار.

وقـد قـال اللــه - تعـالى - : ﴿وقـالـوا كونـوا هـوداً أو نصارى تهتدوا ...﴾ . فأجـيبوا عن هذه الدعـوى بقوله : ﴿ ... قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[5].

وهذا الجواب مع اختصاره قد تضمن المنع والمعارضة :

أما المنع فما تضمنه حرف "بل" من الإضراب ، أي : ليس الأمر كما قـالـوا.

وأما المعارضة ففي قوله: ﴿ ... مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ...﴾ ؛ أي : نتبع أو اتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً .

---

(١) في النسخة «ع» [رضي الله عنهم].

(٢) في النسخة «س» [لإن بعث محمد].

(٣) ذكرها الحافظ ابن كثير في التفسير ، ج ١ : ٣٧٨ .

(٤) يقصد المؤلف - رحمه الله -: أنه قول فاسد.

(٥) سورة البقرة ، الآية : ١٣٥ .

وفي ضمن هذه المعارضة إقامة الحجة على أنها أَوْلى بالصواب مما دعوتم إليه من اليهودية أو النصرانية ؛ لأن وصف صاحب الملة بأنه حنيف غير مشرك. ومن كانت ملته الحنيفية والتوحيد فهو أَوْلى بأن يتبع ممن ملته اليهودية أو النصرانية ؛ فإن الحنيفية والتوحيد دين جميع الرسل الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه ، وهو الفطرة التي فطر الله عليها عباده ، فمن كان عليها فهو المهتدي لا من كان يهودياً أو نصرانياً؛ فإن الحنيفية تتضمن الإقبال على الله بالعبادة ، والإجلال ، والتعظيم ، والمحبة ، والذل . والتوحيد يتضمن إفراده بهذا الإقبال دون غيره ، فيعبد وحده ، ويحب وحده ، ويطاع وحده ، ولا يجعل معه إله آخر ، فمن أولى بالهداية ؟ صاحب هذه الملة أو ملة اليهودية والنصرانية ؟

ولم يبق بعد هذا للخصوم إلا أن يقولوا : فنحن على ملته - أيضاً - لم نخرج عنها ، وإبراهيم وبنوه كانوا هوداً أو نصارى . فأُجيبوا عن هذا السؤال بأنهم كاذبون فيه ، وأن الله - تعالى - قد علم أنه لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ، فقال: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1] .

وقرر - تعالى - هذا الجواب في سورة آل عمران في قوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٤٠ .

(٢) سورة آل عمران ، الآيتان : ٦٧ - ٦٨.

أو أن يقولوا: نحن وإن انتحلنا هذا الاسم فنحن على ملته ، فأجيبوا عن هذا بقوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1]، فهذه للمؤمنين.

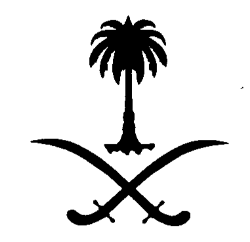
ثم قال - تعالى - : ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا ...﴾ أي : فإن أتوا من الإيمان بمثل ما أتيتم به فهم على ملة إبراهيم ، وهم مهتدون ، وإن لم يأتوا بإيمان مثل إيمانكم فليسوا من إبراهيم وملته في شيء ، وإنما هم في شقاق وعداوة؛ لأن ملة إبراهيم الإيمان بالله وكتبه ورسله ، وألاَّ يفرقَ بين أحد منهم ؛ فيؤمن ببعضهم ، ويكفر ببعضهم. فإذا لم يأتِ بهذا الإيمان فهم بريئون من ملة إبراهيم مشاقون لمن هو على ملته.

ثم قال : ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[2]، فهذا من أعلام نبوته - صلى الله عليه وسلم - ، فإنه أخبر بكفاية الله له شقاق اليهود والنصارى وعداوتهم ، فوقع كما أخبر ، ومكَّنه الله من ديارهم وأموالهم حتى صاروا أذلاء تحت أمره وأمر أتباعه ، فلله الحمد كما هو أهله.

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٣٦.

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٣٧ .







منحة القريب المجيب

في الرد على عباد الصليب

تأليف

الشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن مُعَمَّر

١٢٠٣-١٢٤٤هـ

تحقيق

الدكتور محمّد بن عبد الله بن حمد السَّكاكر

المجلد الثاني

هذا الكتاب سبق طبعه على نفقة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

وأعيد طبعه بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تاسيس المملكة على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

ⓒ الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس
المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
ابن معمر ، عبد العزيز بن حمد بن ناصر
منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب / تحقيق محمد بن عبدالله بن حمد السكاكر- الرياض
٤٢٧ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك : ٤-٤٩-٦٦٠-٩٩٦٠ (مجموعة)
٦-٥١-٦٦٠-٩٩٦٠ (ج ٢)
١ - الإسلام والمسيحية ٢ - الإسلام - دفع مطاعن ٣ - الديانات المقارنة
أ - السكاكر ، محمد بن عبدالله بن حمد (محقق) ب - العنوان
ديوي ٢١٤,٢٧ ٣٢٣٦ / ١٩

رقم الإيداع : ٣٢٣٦ / ١٩
ردمك : ٤-٤٩-٦٦٠-٩٩٦٠ (مجموعة)
٦-٥١-٦٦٠-٩٩٦٠ (ج ٢)

فصل

ثبوت وقوع معجزات محمد - صلى الله عليه وسلم - وأدلة صحة رسالته

قال النصراني :

«ولنقيس[1] أيضاً أفعال كل منهما. فإن يشوع قد أبرأ الأكمه والأبرص ، وأنهض المقعدين ، وأحيا الموتى. وأما محمد فهو لم يأت بالمعجزات ، بل بالسيف ، ولكن نقلت عنه المعجزات - أيضاً - ، ولكنها أي معجزات ، وإنما كانت إما مما أمكن فعله بحيلة مما تقوم به القوة البشرية ، أو مما لم يكن عليه شهود ، أو من المحال يستفظعه العقل ، مثل : ما حكي عن انشقاق القمر ، وهي كلها على حالة لا يعتمد عليها.

وإذ قد أشكل الأمر فالواجب أن يفزع إلى الشريعة التي شهاداتها المدلة على أنها مرضاة لله أقوى في باب اليقين »[2].

الجواب - وبالله نستعين[3] -:

ليس الأمر مشكلا ، بل هو بحمد الله واضح جلي ، ودلائل نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم - ، ومعجزاته ، وشواهد رسالته أظهر من كل دلالة ، وأوضح من كل معجزة ، وأكثر من كل شاهد اقترن برسالة غيره من المرسلين.

---

(١) [ولنقيس] كذا في جميع النسخ . الصواب [ولنقس] بحذف الياء.

(٢) كتاب مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن ، ص ١٢١ ، نسخة المكتبة البريطانية في لندن.

(٣) في النسخة «س» [وبالله التوفيق] .

فقول النصراني: « إنه لم يأتِ بالمعجزات » جحد عناد اقتضاه الكفر واتباع الهوى ، وإلا فقد علموا أنه - صلى الله عليه وسلم - أتى بالمعجزات ، والأدلة القاطعات التي لاعذر لأحد في الإعراض بعدها ، هذا ما يجدونه مكتوباً عندهم من صفته في التوراة ، والإنجيل... ﴿ ... يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[1].

ثم هذا النصراني حين أنكر الحق والرسالة بقي في الحيرة والضلالة ، وزعم أن الأمر مشكل ، فصار منتهى قصده ، ونهاية رشده أن وقف حيران في ظلمة الإشكال ، وسقط في هوة الجهالة والضلال. ﴿ ... فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[2].

وأهل الأرض كلهم في ظلمات الجهل والغي إلا من أشرق عليه نور النبوة ، كما في مسند الإمام أحمد[3] وغيره[4] من حديث ابن عمر[5] عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

« إن الله خلق خلقه في ظلمة ، وألقى عليهم من نوره ، فمن أصابه من ذلك النور شيء اهتدى ، ومن أخطأه ضل » .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٤٦ .

(٢) سورة الصف ، الآية : ٥ .

(٣) في مسند الإمام أحمد ، ج٢: ١٧٦ ، طبعة المكتب الإسلامي.

(٤) في سنن الترمذي ، ج ٧ : ٢٩٨ ، تحقيق عزت عبيد ، الطبعة الأولى . قال الترمذي: «هذا حديث حسن».

وفي سنن البيهقي ، ج ٩ : ٤ ، من رواية عبدالله بن عمرو بن العاص.

(٥) في النسخة «ع» [رضي الله عنه].

فلهذا[1]: أقول جفَّ القلم على علم الله . ولذلك بعث الله رسله ؛ ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور فمن أجابهم خرج إلى الفضاء والنور ، ومن لم يجبهم بقي في الضيق والظلمة التي خلق فيها، وهي : ظلمة الطبع ، وظلمة الجهل ، وظلمة الهوى ، وظلمة الغفلة عن نفسه وكمالها وما تسعد به في معاشها ومعادها ، فهذه كلها ظلماتٌ خُلِقَ فيها العبد ، فبعث الله رسله لإخراجه منها إلى نور العلم ، والمعرفة ، والإيمان ، والهدى الذي لا سعادة للنفس - ألبتة - إلا به .

فمن أخطأه هذا النور أخطأه حظه ، وكماله ، وسعادته ، وصار يتقلب في ظلمات بعضها فوق بعض: ﴿ ... وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[2] .

واعلم أن الله - تعالى - أيد الأنبياء بالمعجزات دلالة على صدقهم في دعوى الرسالة ، فيجب تصديقهم في جميع ما جاءوا به ؛ لأن المعجزة مع التحدي من النبي قائم مقام قول الله -تعالى-: صدق عبدي فأطيعوه ، واتبعوه ، وشاهد على صدقه فيما يقوله .

ولما كان كلامنا مع من يثبت معجزات الأنبياء ، وأنها تدل على صدقهم اكتفينا بهذه الإشارة في هذا المقام.

---

(١) في النسخة «س» [فلذلك أقول].

(٢) سورة النور ، الآية : ٤٠ .

وليست أدلة الرسالة منحصرة في المعجزة، بل لها أدلة كثيرة، يعرف بها صدق الرسول غير المعجزات، كما سيأتي إيضاحه - إن شاء الله تعالى -[1].

وأعلم أن المعجزة على قسمين:

قسم هو[2] من نوع قدرة البشر، فعجزوا عنه، فتعجيزهم عنه فعل الله دال على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت، وتعجيزهم عن الإتيان بمثل القرآن على قول من قال بالصرفة[3]، وهو قول مرجوح[4]، - كما سيأتي - أن[5] القرآن في نفسه معجز لا يستطيعه البشر.

وقسم هو خارج عن قدرتهم، فلم يقدروا على الإتيان بمثله كإحياء الموتى، وقلب العصا حية، وإخراج ناقة من صخرة، وكلام شجرة، ونبع الماء من بين الأصابع، وانشقاق القمر... مما لا يمكن أن يفعله أحد إلا الله - تعالى -.

وكانت معجزات نبينا - صلى الله عليه وسلم -، ودلائل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معاً، سوى ما اقترن بهما من أدلة أخر.

---

(١) تحت عنوان: الكلام في النبوة من جنس الكلام في الخبر.

(٢) في النسخة «س» [قسم من نوع].

(٣) القول بالصرفة: أي بصرف العرب الفصحاء عن معارضة القرآن مع تحديه لهم وتقريعهم بذلك علناً.

(٤) هو قول النظّام وبعض المعتزلة والشيعة.

(٥) في النسخة «س» [لأن القرآن].

وبالجملة ، فمعجزاته وأدلة رسالته لا يحيط بها ضبط ؛ فإن القرآن - وهو معجزة من معجزاته - قد احتوى من الإعجاز على ما لا يحصى كثرة ، حتى بلغها العلماء إلى ألوف كثيرة.

قالوا: وأقصر السور: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾[1] فكل آية أو آيات منه بعددها وقدرها معجزة ، ثم فيها نفسها معجزات ، وقد فصلوا ذلك وبينوه.

(١) سورة الكوثر ، الآية : ١.



فصل

وجوه إعجاز القرآن الكريم

ومعجزة القرآن هي المعجزة العظيمة، والآية الباقية ما بقيت الدنيا، ولا يشك الموافق والمخالف في مجيء محمد - صلى الله عليه وسلم - به وظهوره من قبله ، وإن أنكر هذا معاند جاحد فهو كإنكار وجود محمد - صلى الله عليه وسلم - في الدنيا.

وإنما جاء اعتراض الجاحدين في إعجازه وظهور الحجة به.

ومن المعلوم بالضرورة أنه - صلى الله عليه سلم - تحدَّى العرب بما فيه من الإعجاز ، ودعاهم إلى معارضته ، وأن يأتوا بسورة من مثله ، فعجزوا عن معارضته ، وأحجموا عن مساجلته ، وهم - كما قال بعض العلماء[1] في وصفهم - كانوا أرباب هذا الشأن ، وفرسان الكلام ، قد خصوا من البلاغة والحكم ما لا يخص[2] به غيرهم من الأمم ، وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت إنسان؛ يأتون من ذلك على البديهة بالعجب ، ويدلون به إلى كل سبب ، فيخطبون بدهياً في المقامات ، وشدة الخطب ، ويرتجزون[3] به بين الطعن والضرب ، ويمدحون ، ويقدحون ، ويتوسلون، ويتوصلون، ويرفعون ، ويضعون، فيأتون من ذلك بالسحر الحلال[4]، ويطوقون من أوصافهم أجمل سمط اللآل[5]،

---

(١) هو أبو الفضل القاضي عياض ، قال ذلك في كتابه الشفا ، ج١: ٥٠٠ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين.

(٢) في النسخة «س» [ما لم يخص].

(٣) أي : ينشدون شعراً على وزن بحر الرجز في وقت الحرب.

(٤) هو الكلام البليغ الذي يبهر العقول لفصاحته وظهور معناه. وفيه قال الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «إن من البيان لسحرا». رواه مسلم ١٤٣٧، وأحمد، الحديث رقم ٢٢٩٨.

(٥) سمط اللآل: هو العقد المنظوم من حبات اللؤلؤ أو غيره من المجوهرات ، تضعه المرأة حول عنقها للتحلي به.

فيخدعون الألباب ، ويذللون الصعاب ، لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم ، والبلاغة ملك قيادهم ، قد حووا فنونها ، واستنبطوا عيونها.

فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، أُحكمت آياته ، وفُصِّلت كلماته ، وبهرت بلاغته العقول ، وظهرت فصاحته على كل مقول. وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالاً ، وأشهر في الخطابة رجالاً ، صارخاً بهم في كل حين ، ومقرِّعاً لهم بضعة وعشرين عاماً على رؤوس الملأ أجمعين: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا ...﴾[2].

﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[3].

﴿... قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[4].

فلم يزل - صلى الله عليه وسلم - يقرِّعهم أشد التقريع ، ويوبِّخهم غاية التوبيخ ، ويسفِّه أحلامهم ، ويحط أعلاهم ، ويشتت نظامهم ،

---

(١) سورة يونس ، الآية : ٣٨ .
(٢) سورة البقرة ، الآيتان : ٢٣ - ٢٤ .
(٣) سورة الإسراء ، الآية : ٨٨ .
(٤) سورة هود ، الآية : ١٣ .

ويذم آلهتهم وآباءهم ، ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم ، وهم في كل هذا ناكصون[1] عن معارضته ، محجمون عن مماثلته ، مخادعون أنفسهم بالتشغيب[2] بالتكذيب والاغتراء[3] بالافتراء.

وقولهم: ﴿ ... إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾[4] و ﴿ ...سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾[5] و ﴿ ... إِفْكٌ افْتَرَاهُ ... ﴾[6] و ﴿ أساطير الأولين... ﴾[7].

والمباهتة[8] ، والرضا بالدنية كقولهم: ﴿ ...قُلُوبُنَا غُلْفٌ... ﴾[9]، و﴿ ... فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ... ﴾[10]. و ﴿ ... لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾[11].

والادعاء مع العجز بقولهم ﴿ ... لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا ... ﴾[12]. وقد قال الله[13]: ﴿ ... وَلَن تَفْعَلُوا ... ﴾[14]. فما فعلوا ، وما قدروا ،

---

(١) ناكصون : من النكوص ، وهو الإحجام عن الشيء.
(٢) التشغيب : تهييج الشر.
(٣) الاغتراء : من الغرور ، وهو الخداع.
(٤) سورة المدثر ، الآية : ٢٤ .
(٥) سورة القمر ، الآية : ٢ .
(٦) سورة الفرقان ، الآية : ٤ .
(٧) سورة الأنعام ، الآية : ٢٥ ، وقد ورد هذا النص في تسع سور من القرآن.
(٨) المباهتة : من البهت ، وهو الافتراء.
(٩) سورة البقرة ، الآية : ٨٨ ، سورة النساء ، الآية : ١٥٥ .
(١٠) سورة فصلت ، الآية : ٥ .
(١١) سورة فصلت ، الآية : ٢٦ .
(١٢) سورة الأنفال ، الآية : ٣١ .
(١٣) في النسخة «س» [وقد قال الله تعالى]
(١٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٤ .

ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة[1]، كشف عواره[2] لجميعهم، وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم ، وإلا فلم يخف على أهل الميز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم. انتهى ملخصاً[3].

وقد جاء في الأخبار من اعتراف عقلائهم وفصحائهم بالعجز عن معارضته عند سماعه جملٌ كثيرة.

ففي قصة عتبة بن ربيعة[4] حين قرأ عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - : حم. فصلت ، ورجع عتبة إلى قريش ، وقال لهم :

« إني - والله - قد سمعت قولاً ، والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا السحر ، ولا الكهانة .

يا معشر قريش ، أطعيوني ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فوالله ، ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ ، أجابني بشيء ، والله ما هو بسحر ، ولا شعر ، ولا كهانة ، إنه قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) هو مسيلمة الكذاب ابن ثمامة بن كثير بن حبيب بن الحارث ، من بني حنيفة ، ولد ونشأ باليمامة ، ووفد على الرسول - صلى الله عليه وسلم - مع وفد بني حنيفة ، ولم يسلم ، وبالغ في الكفر والطغيان حتى ادعى النبوة وأنه يوحى إليه ، فقد نظم شيئاً من الهذيان يزعم أنه قرآن. وقتل في وقعة اليمامة المشهورة في أول خلافة أبي بكر الصديق.

(٢) في النسخة «ع» [عوراه].

(٣) من كتاب الشفا ، للقاضي عياض ، ج١: ٥٠٠ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين.

(٤) هو عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبدمناف القرشي الهاشمي. وقد قتل مشركاً في وقعة بدر سنة اثنتين من الهجرة. (السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج٢: ٣٥٦).

﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾[1] ، حتى بلغ : ﴿ ... فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾[2] ، فأمسكت ، وناشدته الرحم أن يكف.

وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب ، فخفت أن ينزل عليكم العذاب» . رواه البيهقي[3] وغيره في خبر طويل[4].

وفي حديث إسلام أبي ذر ، ووصف أخاه أنيساً[5] ، فقال:

«والله ، ما سمعت بأشر من أخي أنيس ، لقد ناقض اثني عشر شاعراً في الجاهلية ، أنا أحدهم ، وأنه انطلق إلى مكة ، وجاء إلى أبي ذر بخبر النبي - صلى الله عليه وسلم -. قال : قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر ، كاهن ، ساحر . لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ، ولقد وضعته على أقراء الشعر فلم يلتئم ، ولا يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر ، وإنه لصادق وإنهم لكاذبون». رواه مسلم والبيهقي[6].

---

(١) سورة فصلت ، الآيتان : ١ - ٢ .

(٢) سورة فصلت ، الآية : ١٣ .

(٣) رواه البيهقي في دلائل النبوة ، ج١: ٤٥٠ - ٤٥١ ، تحقيق عبدالرحمن عثمان ، الطبعة الأولى.

(٤) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية، ج١: ٣١٣، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

(٥) هو الصحابي أنيس بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار الغفاري ، أخو أبي ذر الغفاري الصحابي المشهور. (أسد الغابة ، ج١: ١٣٣).

(٦) في صحيح مسلم في كتاب : فضائل الصحابة ، ج٤: ١٩٢٠ ، ترتيب محمد عبدالباقي. وفي دلائل النبوة للبيهقي ، ج١: ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، تحقيق عبدالرحمن عثمان ، الطبعة الأولى ، وهو - أيضاً - في مسند الإمام أحمد ، ج٥: ١٧٤ ، طبعة المكتب الإسلامي.

وعن عكرمة في قصة الوليد بن المغيرة[1] - وكان زعيم قريش في الفصاحة - أنه قال للنبي - صلى الله عليه وسلم -: اقرأ عليّ. فقرأ عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2]. قال: أعِدْ. فأعاد - صلى الله عليه وسلم -، فقال: «والله، إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة[3]، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق[4]، وما يقول هذا بشر».

ثم قال لقومه: « والله ، ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا بأشعار الجن ، والله ، ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، والله ، إن لقوله الذي يقول لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو وما يعلى »[5].

وفي خبره الآخر حين جمع قريشاً عند حضور الموسم ، وقال: إن وفود العرب ترد فأجمعوا فيه رأياً لا يكذب بعضكم بعضاً. فقالوا: نقول : كاهن . فقال : والله ، ما هو بكاهن ، ما هو بزمزمته[6]

---

(١) هو الوليد بن المغيرة بن عبدالله المخزومي، من بني مخزوم، زعيم قريش وكبيرها، وهو والد الصحابي الجليل والقائد الفذ خالد بن الوليد. مات الوليد كافراً في غزوة بدر سنة اثنتين من الهجرة، وقطعت أنفه. (السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج١ : ١٧٧).

(٢) سورة النحل ، الآية : ٩٠ .

(٣) الطلاوة : الرونق والحسن الفائق.

(٤) المغدق : كثير الماء.

(٥) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ، ج١ : ٤٤٦ ، تحقيق عبدالرحمن عثمان ، الطبعة الأولى. وذكره القاضي عياض في كتابه الشفاء ، ج١ : ٥٠٦ ، تحقيق محمد أمين قره وآخرين.

(٦) زمزمة الكاهن : كلامه بصوت خفي لا يستعمل فيه اللسان والشفة ، وإنما يتكلم بخياشيمه وحلقه.

ولا سجعه. قالوا: فنقول: مجنون. قال: والله، ما هو بمجنون، ولا بخنقه، ولا بوسوسته . قالوا: فنقول: شاعر . قال: ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه[1] ، وهزجه[2] ، وقريضه[3] ، ومبسوطه[4] ، ومقبوضه[5]؛ ما هو بشاعر. قالوا: فنقول: ساحر . قال: ما هو بساحر ولا نفثه[6] ولا عقده[7]. قالوا: فما نقول؟ قال: ما أنتم قائلون من هذا شيئاً إلا وأنا أعرف أنه باطل ...، إلى آخر القصة. رواه ابن إسحاق[8] والبيهقي[9].

وما أحسن ما قيل: إن هذا القرآن لو وُجِدَ مكتوباً في مصحف في فلاة من الأرض ، ولم يعلم من وضعه هناك ، لشهدت العقول السليمة أنه منزَّل من عند الله ، وأن البشر لا قدرة لهم على تأليف ذلك. فكيف إذا جاء على يد أصدق الخلق ، وأبرهم ، وأتقاهم ، وقال: إنه كلام الله ، وتحدَّى الخلق كلهم أن يأتوا بسورة من مثله ، فعجزوا؟ فكيف يبقى مع هذا شك؟!.

---

(١) ما نظم على بحر الرجز المعروف من أبحر الشعر.

(٢) في النسخة «س» [هجزه].

(٣) قريضه: من القرض ، وهو القطع ، ومعناه نظم الشعر.

(٤) مبسوطة: مطولات قصائده.

(٥) مقبوضة: مختصر أوزانه كالمجزوء أو المنهوك.

(٦) النفث: النفخ مع الريق.

(٧) عقده: جمع عقدة، وهو ما يفعل الساحر؛ ليؤثر في أمور خارقة للعادة. وفعله كفر.

(٨) انظر السيرة النبوية، لابن هشام، ج١ : ٢٨٢، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

(٩) في دلائل النبوة، للبيهقي، ج١ : ٤٤٧ ، عن ابن عباس، تحقيق عبدالرحمن عثمان.

واعلم أن وجوه الإعجاز في القرآن كثيرة ، وبينها بعض العلماء[1] بما حاصله أنه ينحصر مقصود إعجازه في أمور أربعة ، وعدها بعضهم أكثر من ذلك ، وهو يرجع[2] إلى ما قلناه.

الأول :

ما فيه من الإيجاز والبلاغة وحسن التركيب ، بحيث وصل في كل منها إلى الرتبة العليا لفظاً ومعنى ؛ ولهذا اعترف عقلاؤهم وفصحاؤهم أنه لايقوله بشر. وذكر أبو عبيد[3] أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[4]، فسجد، وقال: سجدت لفصاحته.

وسمع آخر رجلاً يقرأ: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ...﴾[5]، فقال: أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام[6].

والأخبار عنهم بمثل هذا كثيرة.

ولما سمع نصراني قوله - تعالى -: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[7]. قال : جمعت هذه الآية ما أنزل

---

(١) منهم القاضي عياض في كتابه الشفا ، ج١: ٥٠٠ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين.

(٢) في النسخة «ع» [ويرجع].

(٢) أبو عبيد: اسمه القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي ، ولد سنة ١٥٧هـ. من كبار علماء الحديث والأدب والفقه ، تولى القضاء بطرسوس ، ثم رحل إلى مصر ، ثم إلى مكة ، وتوفي بها سنة ٢٢٤هـ. (تذكرة الحفاظ ، ج١: ٤١٧ ، تهذيب التهذيب ، ج٨: ٣١٥) .

(٤) سورة الحجر ، الآية : ٩٤ .

(٥) سورة يوسف ، الآية : ٨٠ .

(٦) انظر كتاب الشفا ، للقاضي عياض ، ج١: ٥٠٧ ، تحقيق محمد أمين وآخرين.

(٧) سورة النور ، الآية : ٥٢ .

على عيسى من أمر الدنيا والآخـرة[1].

ولقد رام بعض سخفاء العقول مـحاكاة بعض قصار المفصل ، فأتى من الهذيان بالعـجب العجاب كـقول مسـيلمة الكذاب[2] اللعين: « يا ضفدع كم تنقين ، أعـلاك في الماء، وأسفلك في الطين ، لا الماء تكدرين، ولا الشراب تمنعين » . فلمـا سـمع أبـو بكر[3] الصديق[4] هـذا الكلام قال : « إنـه كلام لم يخرج مـن إل[5]» . قيـل : "الإل" بالكسر هو الله - تعـالى -. وقـيل: "الإل" بالأصل الجـيـد. أي : لم يجئ من الأصل الذي جاء منه القرآن.

ولما سمع مسيلمة ﴿ والنازعات ﴾ قال: « والزارعات زرعا ، والحاصدات حـصدا ، والذاريات قـمحـا ، والطاحنات طحنا ، والخـابزات خبـزا ،

---

(١) كتاب الشفا ، للقاضي عياض ، ج١: ٥٠٧ ، تحقيق محمد أمين وآخرين.

(٢) تقدم التعريف به ص (٤٢٨) .

(٣) هو أبو بكر الصـديق عبداللـه ابن أبي قحافـة عثـمان بن عامـر بن عمـرو بن كعب بن سـعد القرشي. صـاحب رسول الله - صلى الله علـيه وسلم - في الشدة والرخـاء ، وخليفـته من بعده ، أول من أسلم من الرجال فـي مكة ، ورفيقه في الغار وفي الهـجرة، كان - رضي الله عنـه - في الجـاهليـة من رؤسـاء قـريش ، ولما أسلم زاده الله رفعة وشرفاً ، شهد له الرسول - صـلى اللـه عليـه وسـلم - بالجنـة ، وتـولى الخـلافـة بعـد وفـاتـه . وتوفي بـالمدينـة في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة - رضي الله عنه وأرضاه -. (تهذيب التهذيب ، ج٥: ٣١٤).

(٤) في النسخة «ع» [رضي الله عنه].

(٥) ذكره الحـافظ ابن كثير في (البـداية والنهاية ، ج ٦: ٣٢٦) ، والقسطلاني في كـتابه (المواهب اللدنية، ج١: ٤٦٠ ، الطبعة الأولى) والباقلاني في كـتابه (إعجاز القرآن ، ص ١٥٨ ، تحقيق الأستاذ أحمد صقر) .

والشاردات ثردا ، واللاقمات لقما ، لقد فضلتم على أهل الوبر[١] ، وما سبقكم أهل المدر »[٢] .

وقال: معـارضاً لسورة الكوثر: «إنا أعطيناك الجـواهر ، فصل لربك وجاهر ، إن مبغضك رجل كافر».

وكقـول الآخر[٣] : « ألم تر كيف فـعل ربك بالحبلى ، أخـرج منها نسمة تسعى ، من بين شراسيف[٤] وحشا ».

وقال آخـر: « الفيل وما الفـيل ، وما أدراك ما الفـيل ، له ذنب وثيل[٥] ، وشفر طويل ، وإن ذلك من خلق ربنا لقليل »[٦] .

وهذا كلام فيـه من السخافة ما لا خفـاء به على من لا يعلم ، فضلاً عمن يعلم.

ثم جاء جماعة من المتأخرين ممن انتهت إليهم الرياسة في الفصاحة،

---

(١) الوبر: شعر البعير . والمقصود أهل البادية.

(٢) المدر: جمع مدرة ، وهي القرية . والمقصود أهل المدن والقرى.

(٣) الآخر : هو مسيلمة ، ذكر ذلك الباقـلاني في كتابـه إعجاز القرآن ، ص ١٥٧ ، تحقيق أحمد صقـر .

(٤) الشـراسيف : جمع شـرسوف ، وهو غضروف معلق بكل ضلـع أو مقط الضلع من الإنسان والحيـوان .

(٥) الوثيل: من الوثل ، وهو الحبل من الليف.

(٦) ذكـر هذا الهـذيان عن مسـيلمـة الحـافظ ابن كـثيـر في كـتابه البـداية والنهـاية ، ج٦: ٣٢٦، والباقلاني في كتابه إعجاز القرآن ، ص ١٥٧ ، تحقيق أحمد صقر.

فتعـرضوا لمعارضتـه كابن المقفع[1] والمعري[2] والمتنبي[3]، ونظراء لهم، فلم يأتوا إلا بما تمـجُّه الأسـمـاع ، وتنبـو عـنه الطبـاع ، ونادى عليـهم بالخـزي والانقطاع ، وصيَّـرهم مـثلة وسخـرية وضـحكة إلى أن تاب أكثرهم ، وأظهر ندمه ونسكه.

والثاني :

أنه مع كـونه من جنس كـلام العـرب قـد جـاء في نظمـه وأسلوبه مخالفاً لسائر فنونه من النظم والنثـر والخطب والشعر والرجز والسجع ؛ فـحيَّـر عقـولهم ، حـتى لم يهتـدوا إلى مـثل شيء منه ؛ إذ لا مثـال له يحتـذى عليه ، ولا إمام يرجع عند الاشتـباه إليه ، وقد حكي عـن غير واحد ممن تصدى لمعارضته أنه اعترته روعة وهيبة كفَّته عن ذلك.

كما حكي عن يحـيى بن حكم الغزال[4] - وكان بليغ الأندلس في زمانه - أنه قـد رام شيئـاً من هذا ، فنظر في سورة الإخلاص ؛ ليـحذو

---

(١) اسمه عبدالله ، أصله من الفرس ، وولد في العـراق سنة ١٠٦هـ ، وكان مجوسياً ، فأسلم ، وترجم العديـد من الكتب ، واتهم في آخر حـياته بالزندقة ؛ فـقتله أمـير البصـرة سفـيان بن معاوية المهلبي سنة ١٤٢هـ. (البداية والنهاية ، ج١: ٩٦).

(٢) تقدم التعريف به ص (٤٣٥).

(٣) هو أحمد بن الحـسين بن الحسن بن عبدالصمد الكوفي الـكندي ، أبو الطيب المتنبي، شاعر مطبوع ، يمتاز شعره بالحكمة والأمثال السـائرة والمعاني البليغة ، ولد بالكوفة ، ونشأ بالشام ، وانتقل في البـادية لطلب اللغة والأدب ، وفي بادية السـماوة بين الكوفة والشـام تنبأ ، فتبـعه كثيرون ، فـخرج إليه أمير حمص لؤلؤة ، فأسـره ، وسجنه حتى تاب ، ورجع عن دعواه ، له ديوان شعر (وفيات الأعيان، ج١: ١٢٠).

(٤) هو يحيـى بن الحكم الجياني المـعروف بالغزال ، شـاعر مطبـوع من أهل الأندلس ، ولد سنة ١٥٦هـ ، امـتاز بحـدة خاطره وبصـواب رأيه وحسن جـوابه ، توفي سنة ٢٥٠هـ ، له ديوان شعر مطبوع. (نفح الطيب ، ج١: ٤٤٩).

على مثالها ، وينسج بزعمه على منوالها ، فاعترته منه خشية حملته على التوبة والإنابة[1].

وحكي - أيضاً - أن ابن المقفع - وكان أفصح أهل زمانه - طلب ذلك ، ورامه ، ونظم كلاماً ، وجعله مفصلاً ، وسماه سوراً ، فاجتاز يوماً بصبي يقرأ في مكتب: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[2].

فرجع ، ومحا ما عمل ، وقال: أشهد أن هذا لا يعارَض أبداً ، وما هو من كلام البشر[3].

الثالث:

تأثيره في النفوس والقلوب ، بحيث تجد من اللذة والحلاوة عند سماعه ما لا تجد عند سماع غيره ، ولذلك كان قارئه[4] لا يمله ، وسامعه لا يمجه ، بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة ، وترديده يوجب له محبة وطلاوة.

---

(١) انظر كتاب الشفا ، للقاضي عياض ، ج١: ٥٣٢ ، تحقيق محمد أمين وآخرين ، والمواهب اللدنية ، ج١: ٤٦٠، للقسطلاني.

(٢) سورة هود ، الآية : ٤٤ .

(٣) انظر كتاب الشفا ، للقاضي عياض ، ج ١ : ٥٣٢ ، تحقيق محمد أمين وآخرين . وذكره - أيضاً - القسطلاني في كتابه المواهب اللدنية ، ج ١: ٤٦٠ ، الطبعة الأولى.

(٤) في النسختين «ع» «س» [قارية] بالياء.

قال القاضي عياض[1] :

وأما غيره من الكلام - ولو بلغ من الحسن والبلاغة ما بلغ - يملُّ مع الترديد، ويعادى إذا عـيد، وكتابنا يسـتلذُّ به في الخلوات، ويؤنس بتلاوته في الأزمات ، وسـواه من الكتب لا يوجد فيـها ذلك حتى أحـدث لها أصحابها لحوناً وطرقاً، يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها.

ولهذا وصف النبي - صلى الله عليـه وسلم - القرآن: بأنه « لايخلق[2] على كثرة[3] الرد ، ولا تنقضـي عبره ، ولا تفنى عـجائبـه ، هو الفصل وليس بالهزل ، لا تشبع منه العلماء ، ولا تزيغ به الأهواء»[4].

الرابع :

ما فـيه من الإحـاطة بعلوم الأولين والآخرين ، والإخـبار بالغـيوب الماضيـة والآتية ، وجمعـه لعلوم كثيرة لم تتـعاط العرب الكلام فيـها ،

(١) في كتابه الشفا ، ج١: ٥٣٥ - ٥٣٦ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين.

(٢) لا يخلق : لا يبلى ، ولا تتغير حاله بمرور الزمان.

(٣) في النسختين «ع» و «س» [عن كثرة الرد].

(٤) هذا الحديث من رواية الحارث بن عـبدالله الأعور ، وقد أخرجه الإمـام الترمذي في سننه في كتـاب: ثواب القرآن ، باب : فـضل القرآن ، ج٨: ١١٣ ، تحـقيق عـزت عبـيد دعـاس. قال الترمذي: «هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وإسناده مجهول ، وفي الحارث مقال ».
وأخـرجـه الإمام أحمـد في المسند ، ج ٢ : ٨٨ ، تحقيـق أحمد محمـد شاكر . قال المحقق : « إسناده ضـعـيف جداً من أجل الحـارث الأعـور» وأخرجـه الدرامي في سننـه في كتـاب : فضائل القرآن ، باب : فضل من قرأ القرآن عن الحارث الأعور ، ج ٢ : ٤٣٥.
وقد ضـعَّف الحافظ ابن حجـر حديث الحارث الأعور ، وسـاق أقوال أصحـاب الحديث في ذلك. (تهذيب التهذيب ، ج٢: ١٤٥ ، الطبعة الأولى).
وقد نقل هذا الحديث موقوفاً على علي - رضي الله عنه - ، ومعناه صحيح.

ففيه من الإخبار بالغيوب الآتية شيء كثير ، فوقع على ما أخبر كقوله: ﴿ ... لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ... ﴾[1]. وقوله : ﴿ ... وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾[2]. وقوله : ﴿ ... لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ... ﴾[3]. والآيات في هذا كثيرة.

وفيه - أيضاً - من أخبار الأمم السالفة والقرون الخالية مما لم يكن يعلم القصة الواحدة منه إلا الفرد من أحبار أهل الكتاب ، فيأتي به على وجهه ، ويعترف العالم بذلك بصحته وصدقه ، كقصص الأنبياء مع قومهم ، وخبر موسى والخضر ، ويوسف وإخوته ، وأصحاب الكهف ، وذي القرنين ، ولقمان ، وأشباه ذلك من الأنبياء.

قال القاضي عياض[4]:

« ولم يحك عن واحد من اليهود والنصارى - على شدة عداوتهم له ، وحرصهم على تكذيبه ، وطول احتجاجه[5] عليهم بما في كتبهم ، وكثرة سؤالهم له - عليه الصلاة والسلام -، وتعنتهم إياه عن أخبار أنبيائهم ، وأسرار علومهم ، وإعلامه لهم بمكتوم شرائعهم ، مثل : سؤالهم عن الروح ، وذي القرنين ، وأصحاب الكهف ، وعيسى ، وحكم الرجم ، وما حرم إسرائيل على نفسه ، وغير ذلك من أمورهم

---

(١) سورة الفتح ، الآية : ٢٧ .
(٢) سورة الروم ، الآية : ٣ .
(٣) سورة الصف ، الآية : ٩ .
(٤) في كتاب الشفا ، ج ١: ٥٢٣ - ٥٢٤ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين.
(٥) في النسخة «س» [احتجاجهم] بالجمع.

التي نزل فيها القرآن ، فأجابهم بما أُوحي إليه من ذلك - أنه أنكر ذلك أو كذبه ، بل أكثرهم صرح بصدق نبوته ، وصدق مقالته ، واعترف بعناده وحسدهم إياه كأهل نجران[1] وابن صوريا[2] وابني أخطب[3] وغيرهم ». انتهى[4].

ولا يرد على هذا ما قدمناه[5] من خبر عيسى ، وما في القرآن من مخالفة ما عند النصارى ، وفي أنه ما قُتل وما صُلب؛ لأن الذي عندهم من خبر قتله وصلبه لايدعون أنه من أَخبار الأنبياء ، وإنما يعزونه إلى تلاميذ عيسى ، وأنهم نقلوا ذلك عمن شاهده ، وهم ليسوا بأنبياء ، ولا معصومين عن الخطأ.

هذا لو صح أن هذه الكتب محفوظة عنهم، وأنى يعلم ذلك؟ بل فيها من الكذب والتغيير ما أقمنا برهانه فيما تقدم - ولله الحمد - .

وأما ما في القرآن من العلوم والمعارف - سوى ما تقدم -، مما لم تعهده العرب عامة ، ولا سيدنا محمد - صلي الله عليه وسلم - خاصة قبل نبوته ، فشيء هو مبلغ النهاية ، كما قال الله - تعالى -: ﴿ ... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ... ﴾[6]. وقال عز

---

(١) هم وفد نصارى نجران الذين قدموا على رسول الله - صلى الله عليه وسل - . وقد تقدم ذكر قصتم.

(٢) تقدم التعريف بابن صورى في ص (٢٨٧).

(٣) هما حيي ، وأبو ياسر ابنا أخطب اليهودي ، وقد تقدم التعريف بهما في ص (٢٨٧).

(٤) كلام القاضي عياض.

(٥) سابقاً تحت عنوان : رفض دعوى النصارى قتل المسيح وصلبه.

(٦) سورة النحل ، الآية : ٨٩ .

من قائل: ﴿ ... مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ... ﴾[1]. وقال: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[3]:

ومن تأمل ما تكلم به الأولون والآخرون في أصول الدين ، والعلوم الإلهية ، وأمور المعاد ، والنبوات ، والأخلاق ، والسياسات ، والعبادات ، وسائر ما فيه كمال النفوس ، وصلاحها وسعادتها ونجاتها، لم يجد عن الأولين والآخرين من أهل النبوات ، ومن أهل الرأي كالمتفلسفة[4] وغيرهم إلا بعض ما جاء به القرآن.

ولهذا لم تحتج الأمة مع رسولها وكتابها إلى نبى آخر وكتاب آخر، فضلاً عن أن تحتاج إلى المُحَدثين المهلمين ، أو إلى أرباب النظر والقياس الذين لا يعتصمون مع ذلك بكتاب منزل من السماء ؛ ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الصحيح:

« إنه كان في الأمم قبلكم مُحَدَّثون[5] ، فإن يكن في أمتي أحد فعمر»[6]، فعلق ذلك تعليقاً في أمته ، مع جزمه به فيمن تقدم؛ لأن

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٣٨ .

(٢) سورة الزمر ، الآية : ٢٧ .

(٣) لم أتمكن من معرفة موضوع هذا الكلام في مصنفات شيخ الإسلام رغم طلبي له في مظانه.

(٤) المتفلسفة: هم الذين يدعون الفلسفة ، وهي محبة الحكمة.

(٥) المُحَدَّثون - بضم الميم وفتح الحاء وتشديد الدال مع الفتح - : قيل: الملهمون ، وقيل: المصيبون إذا ظنوا فكأنهم حدثوا بشيء ، فظنوه ، وقيل: من يجري الصواب على ألسنتهم.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب : فضائل الصحابة ، باب : فضائل عمر ، ج٤: ٨٦٤ ، ترتيب محمد عبدالباقي.

الأمم قبلنا كانوا محتاجين إلى المحدَّث ، كما كانوا محتاجين إلى نبي بعد نبي ، وأما أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - فأغناهم الله برسولهم وكتابهم عن كل ما سواه ، حتى إن المحدَّث منهم كعمر إنما يؤخذ عنه ما وافق الكتاب والسنة ، وإذا حدث شيء في قلبه لم يكن له أن يقبله حتى يعرضه على الكتاب والسنة ، فلا يقبله إلا إذا وافقهما.

وهذا باب واسع في فضائل القرآن الذي جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - على ما سواه.

هذا وهو - صلى الله عليه وسلم - رجل أُمِّي لا يخط كتاباً ، ولا يقرؤه ، ولد في قوم أُمِّيِّين ، ونشأ بين أظهرهم في بلد ليس به عالم يعرف أخبار الماضين ، ولا خرج في سفر ضارباً إلى عالم ، فيعكف عنده ، فجاءهم بأخبار التوراة والإنجيل ، وعلم الأولين والآخرين ، والسابقين واللاحقين.

وهذا أدل دليل على أنه أمر جاءه من عند الله ؛ ولهذا احتج عليهم بذلك في قوله - تعالى -:

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾[1]. وقال - تعالى -: ﴿ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[2].

---

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٨ .

(٢) سورة يونس ، الآية : ١٦ .

وهذا من أبلغ الحجج وأظهرها ؛ أي : هذا الكلام ليس من قبلي ، ولا من عندي ، ولا أقدر أن أفتريه على الله ، ولو كان ذلك مقدوراً لي لكان مقدوراً لمن هو من أهل العلم والكتابة ومخالطة العلماء والتعلم منهم.

ولكن الله بعثني به ، ولو شاء - سبحانه - لم ينزله عليّ ، ولم ييسره بلساني ، ولا لسان غيري ، ولكنه أوحاه إليَّ ، وأذن لي في تلاوته عليكم ، ولا أدراكم[1] به بعد أن لم تكونوا دارين به ، فلو كان كذباً وافتراءً - كما تقولون - لأمكن غيري أن يتلوه عليكم ، وتدرون به من جهته ؛ لأن الكذب لا يعجز عنه البشر . وأنتم لم تدروا بهذا ، ولم تسمعوه إلا مني ، ولم تسمعوه من بشر غيري.

ثم أجاب عن سؤال مقدر ، وهو أنه تعلمه من غيره ، وافتراه من تلقاء نفسه ، فقال : ﴿ ... فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ ... ﴾ ؛ أي : تعلمون حالي ، ولا تخفى عليكم سيرتي ومدخلي ومخرجي وصدقي وأمانتي ، وتعلمون أني ما طالعت كتاباً ، ولا تتلمذت لأستاذ ، ولا تعلمت من أحد ، ثم بعد انقراض أربعين سنة من عمري جئتكم بهذا الكتاب العظيم المشتمل على العلوم الكثيرة في الأصول والأحكام، ولطائف علم الأخلاق ، وأسرار قصص الأولين ، وقد عجز عن معارضته الفصحاء والبلغاء والعلماء.

---

(١) في النسختين «ع» و «س» [وأدراكم] بدون "لا".

فكل ذي عقل سليم يعرف أن هذا لا يحصل إلا بالوحي من الله - تعالى -.

ولما كان علم ذلك ضرورياً ، وكان إنكار المعلوم بالضرورة يقدح في صحة العقل قال - تعالى -: ﴿ ... أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾.

فتأمل صحة هذا الدليل ، وحسن تأليفه ، وظهور دلالته.

قال القاضي أبو الفضل[1]:

« كون القرآن من قبل النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وأنه أتى به معلوم ضرورة ، وكونه متحدياً به معلوم ضرورة ، وعجز العرب عن الإتيان بمثله معلوم ضرورة ، وكونه في فصاحته خارقاً للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ، ووجوه البلاغة ، وسبيل من ليس من أهلها ، علم ذلك بعجز المنكرين من أهلها عن معارضته ، واعتراف المقرين بإعجاز بلاغته ». انتهى[2].

فعجز العرب عن معارضته حجة قاطعة ، ومحجة ساطعة ، ومحال أن يلبثوا ثلاثاً وعشرين سنة على السكوت عن معارضة آية منه ، تستلزم تلك المعارضة نقض أمره ، وتفريق أتباعه ، وزوال شوكته ، وحيازة مرتبته ، مع قدرتهم عليها ، وطلبها منهم ، وقتل أكابرهم ، وسبي ذراريهم ، وهو لا يزداد إلا تقريعاً لهم بعجزهم عن المعارضة ، ويقول لهم: إن زعمتم أني افتريته لعلمي بأخبار الأمم فأتوا بمفترى مثله .

---

(١) هو القاضي عياض في كتابه الشفا ، ج١ : ٥٠٨-٥٠٩ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين.
(٢) كلام القاضي عياض.

فلم يرم ذلك خطيب ، ولا طمع فيه شاعر ، ولاتكلفه مصقع ، وإلا لظهر، ووجد من يستجيده ، ويحامي عليه ، ويزعم بمجرد الدعوى أنه عارض وناقض ، فلما لم يوجد ذلك - مع أن كثيراً منهم هجاه، وعارض شعراء أصحابه وخطباء أمته - قُطِعَ بعجزهم وتحيُّرهم وانقطاعهم.

قال أبو سليمان الخطابي[1]:

« وقد كان - صلى الله عليه وسلم - أعقل خلق الله ، وقد قطع القول بأن ما أتى به من عند ربه ، وأنهم لا يأتون بمثل أقصر سورة منه. فلولا أنه على بيِّنة واضحة من ربه - علام الغيوب - ، وأنه لا يقع فيما أخبر به خلف ، وإلا لم يأذن له عقله أن يقطع القول في شيء بأنه لا يكون وهو يمكن أن يكون » . انتهى[2].

قال بعض العلماء :

إن الذي أورده - صلى الله عليه وسلم - على العرب من الكلام الذي أعجزهم عن الإتيان بمثله أعجب في الآية وأوضح في الدلالة من إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص؛ لأنه أتى أهل البلاغة وأرباب البيان والتقدم في اللسن بكلام مفهم المعنى عندهم ، فكان عجزهم عنه

---

(١) هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي ، ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل زيد بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما -. ولد الخطابي سنة ٣١٩هـ ، فقيه محدث ، له تصانيف عديدة ، منها : معالم السنن في شرح سنن أبي داود ، وبيان إعجاز القرآن، وإصلاح غلط المحدثين. توفي في بست سنة ٣٨٨هـ ، رحمه الله. (تذكرة المناظر، للذهبي ، ج٣: ١٠١٨).

(٢) كلام الخطابي ، وانظر ذلك في كتاب المواهب اللدنية ، للقسطلاني ، ج١: ٤٥٧، الطبعة الأولى.

أعجب من عجز من شاهد المسيح عند إحياء الموتى؛ لأنهم لم يكونوا يطمعون فيه ، ولا في إبراء الأكمه والأبرص ، ولا يتعاطون علمه . وقريش كانت تتعاطى الكلام الفصيح والبلاغة والخطابة ، فدل أن العجز عنه إنما كان ليكون علماً على رسالته وصحة نبوته.

واعلم أن جمهور العلماء وأهل السنة على أن القرآن معجز بذاته ، لا يصح أن يكون مقدوراً للبشر ، وأنه من باب الخوارق الممتنعة عن اقتدار الخلق عليها كإحياء الموتى ، وقلب العصا ، وتسبيح الحصى.

ومن قال: إنه مما تمكن مماثلته ، وأنه لا يمتنع أن تأتي به القوة البشرية فهو يقول: إن الله - تعالى - صرف الناس عن معارضته ، فالإعجاز في هذا ظاهر - أيضاً -؛ لأن الله - تعالى - لما دعا أهل الخطابة والفصاحة الذين يهيمون في كل واد من المعاني بسلاطة لسانهم إلى معارضة القرآن ، فعجزوا عن الإتيان بمثله ، لم يخف على أولي الألباب أن صارفاً إلهياً صرفهم عن ذلك.

وعلى الطرفين فعجز العرب عنه ثابت ، فالإعجاز به حاصل.

ولكن الصحيح هو الأول.

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[1].

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٨٨ .



القرآن الكريم آية باقية ما بقيت الدنيا

فصل

ومن وجوه إعجازه كونه آية باقية ما بقيت الدنيا ، محفوظاً من التغيير والتبديل الواقعين في الكتب قبله ، كما قال - تعالى -: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1]. وقال: ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ ﴾[2].

وسائر معجزات الأنبياء انقضت بانقضاء أوقاتها ، ولم يبق إلا خبرها. والقرآن العزيز ، الباهرة آياته ، الظاهرة معجزاته ، الذي هو أعظم من كل معجزة ، وأبهر من كل آية باقٍ على ما كان غضاً طرياً ، لم يتغير منه شيء ، بل كأنه منزل الآن ، وجميعٌ وجوه إعجازه التي ذكرناها ثابتة إلى يوم القيامة ، بينة الحجة لكل أمة تأتي.

لا يخفى وجه ذلك على من نظر إليه[3] ، وتأمل وجوه إعجازه.

وما أخبر به من الغيوب يقع كل وقت على الوجه الذي أخبر به ، حتى كأنه يشاهد عياناً ، فيتجدد الإيمان ، ويتظاهر البرهان ، وليس الخبر كالعيان.

والنفس أشد طمأنينة إلى عين اليقين منها إلى علم اليقين ، وإن كان كلٌّ عندها حقا .

---

(١) سورة الحجر ، الآية : ٩ .

(٢) سورة فصلت ، الآية : ٤٢ .

(٣) في النسختين «ع» و «س» [من نظر فيه].

وإلى هذا المعنى - كما قال القاضي عياض[1] - أشار النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما ثبت عنه في الصحيحين[2] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «ما من الأنبياء نبي إلا قد أعطى من الآيات ما آمن على مثله البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة ». وهذا لفظ مسلم.

ومما يلحق بإعجازه إخباره بتعجيز قوم في قضايا ، وإعلامهم أنهم لا يفعلونها ، فما فعلوا ، ولا قدروا على ذلك ، كقوله لليهود: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[3].

والإعجاز في هذا من وجهين:

من جهة إخباره بأنه لا يكون أبداً ، فلم يكن . وهذا أدخل في باب الإخبار بالغيب .

ومن جهة صرف دواعيهم.

---

(١) في كتابه الشفا ، ج١: ٧٣٩ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين.

(٢) في صحيح البخاري في كتاب : الاعتصام ، باب : قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: بعثت بجوامع الكلم ، ج ٨: ١٣٨ - ١٣٩ ، طبعة إستانبول. وفي صحيح مسلم في كتاب : الإيمان، باب : وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - ، ج١: ١٣٥ ، ترتيب محمد عبدالباقي.

(٣) سورة البقرة ، الآيتان : ٩٤ - ٩٥ .

وهذا من أعجب الخوارق ؛ أنهم مع حرصهم على تكذيبه لم تنبعث دواعيهم لإظهار تكذيبه بالتمني ، بل صرفهم الله عن تمنيه ؛ ليظهر صدق رسوله ، وصحة ما أوحي إليه.

قال أبو محمد الأصيلي[1]:

من أعجب أمرهم أنه لا توجد منهم جماعة ولا واحد من يوم أمر الله بذلك نبيه - عليه السلام - يقدم عليه ، ولا يجيب إليه ، وهذا موجود مشاهد لمن أراد أن يمتحنه منهم.

وكذلك آية المباهلة التي نزلت في قصة وفد نجران ، حيث نكلوا عن المباهلة ، ورجعوا إلى الصلح ، وبذلوا الجزية.

وكذلك قوله - تعالى -: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا ...﴾[2]، فما فعلوا ، ولا قدروا ، ولايفعلون أبداً[3].

واعلم أن آية التمني - على ما قرره الحافظ ابن كثير[4] - هي من باب المباهلة ، على معنى أنها تضمنت الدعاء بالموت على أي الفريقين أكذب : من اليهود ، ومن المسلمين ، فقال:

«قال ابن إسحاق[5] عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة ، أو سعيد

---

(١) هو أبو محمد عبدالله بن إبراهيم بن محمد الأصيلي الأندلسي ، من حفاظ مذهب الإمام مالك ، ومن العالمين بالحديث ، رحل إلى المشرق ، وحج سنة ٣٥٣هـ. (تذكرة الحفاظ ، ج٢: ١٠٢٤).

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٤ .

(٣) نقل هذا القول عن الأصيلي القاضي عياض في كتابه الشفا ، ج١: ٥٢٧ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين.

(٤) في التفسير ، ج١: ١٢٧ ، تفسير الآية (٩٤) من سورة البقرة.

(٥) انظر السيرة النبوية، لابن هشام، ج٢: ١٦٧، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

ابن جبيـر عن ابن عباس[1] يقول لله لنبيـه - صلى الله عليه وسلم -: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2]؛ أي : ادعـوا بالموت على أي الفـريقين أكذب ، فأبوا ذلك على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[3]؛ أي : لعلمهم بما عندهم من العلم بك والكفر بذلك ، ولو تمنوه يوم قال لهم ذلك ما بقي على وجه الأرض يهودي إلا مات.

قـال ابن كـثـير: وهـذا في الآية هو المتـعين ، وهو الدعـاء على أي الفريقين أكذب. ونقله ابن جرير[4] عن قتادة ، وأبي العالية ، والربيع بن أنس - رحمهم الله تعالى -.

والمعنى: إن كنتم تعتـقدون أنكم أولياء الله وأحـباؤه من دون الناس، وأنكم أهل الجـنة ومن عـداكم من أهل الـنار ، فـبـاهلـوا على ذلك ، وادعـوا عـلى الكاذبين منكم أو مـن غـيـركـم ، واعلمـوا أن المبـاهلة لتستأصل الكاذب لا محالة.

فلما تيقنوا ذلك ، وعرفوا صـدقه نكلوا عن المباهلة ؛ لما يعلمون من كذبهم ، وافـترائهم ، وكـتمانـهم الحق من صفة الرسـول - صلى الله عليه وسلم - ونعته ، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم .

---

(١) في النسخة «ع» [رضي الله عنهما].

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٩٤ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٩٥ .

(٤) انظر تفسير ابن جرير الطبري ، ج٢: ٣٦٧ ، تحقيق محمود وأحمد شاكر.

فعلم كل أحد باطلهم وخزيهم وضلالهم وعنادهم - عليهم لعائن[1] الله المتتابعة إلى يوم القيامة -.

وسُمِّيت هذه المباهلة تمنياً؛ لأن كلَّ محقٍّ يتمنى لو أهلك الله المبطل المناظر له ، ولاسيما إذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره . انتهى[2].

واعلم أن النصراني - فيما تقدم من كلامه - قسَّم معجزات نبينا[3] - صلى الله عليه وسلم - إلى ثلاثة أقسام:

قسمٌ زعم أنه مما أمكن فعله بحيلة مما تقوم به القوة البشرية ، وأراد أن القرآن من ذلك.

وقسمٌ زعم أنه من المحال كانشقاق القمر.

وقسمٌ زعم أنه ليس عليه شهود.

وقد عرفت بما قدمناه الجواب عن القسم الأول ، وأن البراهين القوية، والأدلة الصحيحة العقلية شاهدة أن القرآن غير مقدور للبشر ، وأنه مما لا يمكن الإتيان به إلا بالوحي من الله - عزوجل -.

وعلى التنزل إلى أنه مما يمكن البشر الإتيان به فقد ثبت عجزهم عنه وظهر انقطاعهم ، ويكون ذلك على هذا القول بصرف الله إياهم عن معارضته ، كما صرف اليهود عن تمني الموت تصديقاً لنبيه - صلى الله عليه وسلم - في إخباره أنهم لن يتمنوه أبداً. وكما صرف النصارى عن المباهلة ، فقامت الحجة ، وانقطعت المعذرة ، وجاء الحق ، وزهق الباطل ؛ إن الباطل كان زهوقاً.

---

(١) في النسخة «س» [لعاين الله] بالياء.

(٢) كلام الإمام الطبري ، رحمه الله.

(٣) في النسخة «س» [نبينا محمد صلى الله عليه وسلم].



فصل

انشقاق القمر

وأما معجزة انشقاق القمر فهي - كما قال الخطابي[1]- آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء ، وذلك أنه ظهر في ملكوت السموات خارجًا عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع ، فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة ؛ فلذلك صار البرهان به أظهر. انتهى[2].

وهذه المعجزة دل عليها القرآن قال الله - تعالى -: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾[3]. والمراد وقوع انشقاقه . ويؤيده قوله - تعالى - بعد ذلك: ﴿ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾[4] ؛ فإن ذلك ظاهر في أن المراد بقوله : ﴿ انشَقَّ ﴾ وقوع انشقاقه ؛ لأن الكفار لا يقولون ذلك يوم القيامة ، فدل على أن المراد بالآية وقوع انشقاقه في الدنيا ، كما دل عليه صريح الأحاديث الآتية.

وقد أجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه لأجل نبينا - صلى الله عليه وسلم - ، فإن كفار قريش لما كذبوه ، ولم يصدقوه أعطاه الله - تعالى - هذه الآية العظيمة المتضمنة لثلاث حكم :

الأولى : دلالتها على وحدانية الله - تعالى - ، وأنه المتفرد بالربوبية

---

(١) نقل عنه هذا القول القسطلاني في كتابه المواهب اللدنية ، ج١ :٤٦٦ ، الطبعة الأولى.
(٢) كلام الخطابي ، رحمه الله.
(٣) سورة القمر ، الآية : ١ .
(٤) سورة القمر ، الآية : ٢ .

والإلهية ، وأن هذه الآلهة التي يعبدونها من دونه باطلة ؛ لا تنفع ولا تضر ، وأن العبادة إنما تكون لله وحده.

وهذا على طريق القرآن من الاستدلال بتفرده -تعالى- بالخلق والتدبير على أنه هو المعبود وحده.

الثانية : دلالتها على نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - وصحة رسالته حيث أراهم هذه الآية جوابًا لاقتراحهم.

الثالثة : أنها دلت على ما أخبرت به الأنبياء من انشقاق السموات يوم القيامة.

قال بعض الأئمة : وجعل الآية فيه دون الشمس والنجوم ؛ لأنه أقرب إلى الأرض ، وكان فيه دون سائر أجزاء الفلك ، إذ هو الجسم المستدير الذي يظهر فيه الانشقاق ، فقبول محله أولى.

وقد جاءت أحاديث الانشقاق في روايات صحيحة عن جماعة من الصحابة - رضي الله عنهم - منهم : أنس بن مالك ، وعبدالله ابن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وعلي بن أبي طالب ، وحذيفة بن اليمان ، وجبير بن مطعم [1] ، وعبد الله بن عمر ، وغيرهم.

---

(١) هو أبو محمد جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي النوفلي ، صحابي جليل ، من سادات قريش ، كان حليمًا وقورًا عالمًا بالأنساب ، أسلم بعد الحديبية ، وتوفي سنة سبع وخمسين ، وقيل : ثمان وخمسين ، وقيل : تسع وخمسين من الهجرة - رضي الله عنه -. (أسد الغابة ، ج ١ : ٢٧١) .

ففـي الصحيـحين[1] من حديث أنس: « أن أهل مكة سـألوا رسول الله - صلى الله عـليه وسلـم - أن يريهم آية فـأراهم انشـقاق القـمـر شقتين ، حتى رأوا حراء[2] بينهما » .

وفي الصحـيحين[3] - أيضًا - من حـديث ابن مسعـود قال: «انشق القمـر على عهد رسول الله - صلى الـله عليه وسلم - فرقتين: فـرقة فوق[4] الجبل ، وفرقة دونه ، فـقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: اشـهدوا ».

وروى الإمام أحـمد[5] من حـديث جبـير بن مطعم ، قـال: «انشق القمر على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؛ فرقة على هذا الجبل ، وفـرقة على هذا الجـبل ، فقـالوا: سحـرنا محـمد. فـقالوا: إنْ سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس ».

(١) في صحيح البـخاري ، كتاب : المناقب ، باب : سـؤال المشركين أن يريهم آية ، ج ٤: ١٨٦ ، طبعـة إسـتانبول . وفي صحيح مسلم في كتاب : صفـات المنافقين ، باب : انشقاق القمـر ، ج ٤: ٢١٥٩، تحقيق محمد عبدالباقي.

(٢) حراء - بالكسر والتخفيف والمد -: جبل من جبال مكة على بعد ثلاثة أميال منها ، وفيه الغار الذي كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يتعبد فيه قبل البعثة.

(٣) في صحيـح البخاري في كتاب : التـفسـير ، باب : تفسـير سورة ﴿ اقتربت السـاعة وانشق القمر ﴾ ، ج ٦: ٥٢ ، طبعة إستانبول.
وفي صـحيح مسـلم في كتـاب : صفات المنـافقين ، باب : انشـقاق القـمر ، ج ٤: ٢١٥٨ ، تحقيق محمد عبدالباقي.

(٤) في النسـخـة «س» [على الجـبل] ، ولفـظ الحديـث : «وراء الجبـل» . وفي بعض الروايات : «فلقة» .

(٥) في مسند الإمام أحمد ، ج ٤: ٨٢ ، طبعة المكتب الإسلامي .

وعند أبي داود الطيالسي[1] عن ابن مسعود في حديثه قال: «فقالوا: انظروا ما يأتيكم به السفار »[2] ؛ فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم ، قال: فجاء السفار ، فأخبروهم بذلك ».

وبالجملة ، فالروايات بهذه الواقعة متعددة ، وطرقها متعددة[3] ، وعلى وقوعها أجمع علماء الأمة وحفاظها ، وتلقاه الخلف عن السلف. قال ابن عبدالبر[4]:

« قد روي هذا الحديث - يعني حديث الانشقاق - عن جماعة كثيرة من الصحابة ، وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين ، ثم نقله عنهم الجم الغفير إلى أن انتهى إلينا ، وتأيد بالآية الكريمة »[5].

وقال غيره : إن لهذا الحديث طرقًا شتى بحيث لا يمترى في تواتره.

وأما قول النصراني: «... إنه من المحال يستفظعه العقل...» فجوابه أن العقل الصحيح المؤيد بنور الإيمان بالله ، ورسوله ، وأن الله على كل شيء قدير ، لا يحيل ذلك ، ولا يستبعده ؛ فإن الله - تعالى - هو الذي خلق القمر وجميع المخلوقات ، وهي في قبضته وتحت تصرفه ،

---

(١) في مسند أبي داود الطيالسي ، ج ١ : ٣٨ ، الطبعة الأولى.

(٢) السفار: المسافرون.

(٣) في النسخة «س» [متنوعة].

(٤) هو أبو عمر جمال الدين يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي ، ولد بقرطبة سنة ٣٦٨هـ ، من كبار الحفاظ ، وهو مؤرخ وأديب ، له رحلات طويلة. تولى منصب القضاء في الأندلس ، له عدد من المصنفات ، من أشهرها الاستيعاب ، توفي سنة ٤٦٣هـ.

(٥) ذكر هذا القول عنه القسطلاني في كتابه المواهب اللدنية ، ج ١ : ٤٦٦ ، الطبعة الأولى.

أوجدها من العدم ، وسيعيدها إليه ، فلا يستبعد أن يخرق العادة فيها معجزة لرسوله ، ودلالة على صدقه ، كما جعل العصا حية ، وأخرج الناقة من صخرة .

واعلم أن شبهة القائلين باستحالة الانشقاق دعواهم أن الأجرام العلوية لا يتهيأ فيها الانخراق والالتئام . وكذا قالوه في إنكارهم فتح أبواب السماء لنبينا - صلى الله عليه وسلم - ليلة المعراج . وما ذكرناه من عموم قدرة الله - تعالى - على جميع الممكنات دليل على عدم الإحالة.

وبمثل هذا أجاب العلماء ، كقول أبي إسحاق[1] الزجاج - وهو من متقدمي العلماء -: أنكر بعض المبتدعة - الموافقين لمخالفي الملة - انشقاق القمر ، ولا إنكار للعقل فيه؛ لأن القمر مخلوق لله ، يفعل فيه ما يشاء ، كما يكون يوم القيامة ، ويفنيه . انتهى.[2]

ويكفي في الحجة على النصارى في ذلك رفع عيسى - عليه السلام- إلى السماء ؛ فإنهم يعترفون أنه رفع بجسمه فقد حصل برفعه الانخراق والالتئام الذي أنكروه ، فبطل قولهم في إحالة الانشقاق ، وبقي ثبوته من جهة النقل.

---

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزَّجَّاج - بفتح الزاي وتشديدها - ؛ نسبة إلى خرط الزجاج ؛ لأنها كانت مهنته في أول حياته ، وهو من أئمة النحو واللغة ، ولد في بغداد سنة ٢٤١هـ. من شيوخه المبرد وثعلب ، له مصنفات في اللغة ومعاني القرآن. توفي سنة ٣١١هـ . (وفيات الأعيان ، ج ١: ٤٩).

(٢) ذكر هذا القول عنه القسطلاني في كتابه المواهب اللدنية ، ج ١: ٤٦٧ ، الطبعة الأولى.

وقد قـدَّمنا أنه بلغ مبلغ الـتواتر الذي لا يشك فيـه ، وإن أنكره أهل الكفر والعناد.

وأما قول بـعض الملاحدة: لو وقع هذا لَنُقِلَ متواترًا ، واشـترك أهل الأرض كلهم في معـرفته ، ولم يخـتص بها أهل مكة؛ لأنه أمـرٌ صدر عن حس ومـشاهدة ، فـالناس فيـه شـركاء ، والدواعي مـتوافـرة على رواية كل غـريب ، ونقل مـا لم يعهـد. ولو كـان لذلك أصل لَخُلِّدَ في كتب السـير والتنجـيم ؛ إذ لا يجوز إطباقـهم على تركه وإغـفاله ، مع جلالة شأنه ووضوح أمره.

فأجـاب عنه الخطابي[1] وغيـره بأن هذه القصة خـرجت عن الأمور التي ذكروها؛ لأنه شيء طلبه خاص من الناس ، فوقع ليلاً ؛ لأن القمر لا سلطان له بـالنهـار ، ومن شـأن اللـيل أن يكون الناس فـيــه نيـامـا ومـستكنين في الأبنـية ، والبـارز منهم بالصـحراء - إن كـان يقظانًا - يحتـمل أنه اتفق أنه كـان في ذلك الوقت مشـغولاً بما يلهـيه من سـمر وغيــره.

ومن المستبـعد أن يقصدوا إلى مـراكز القمر ناظرين إليـه لا يغفلون عنه ، فيـجوز أنه وقع ولم يشعـر به أكثـر الناس ، وإنما رآه من تصدى لرؤيته ممن اقترح وقوعه ، ولعل ذلك إنما كان في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر.

وقد يكون القـمر حينئـذ في بعض المنازل التي يظهر لبـعض الآفاق

(١) انظر كتاب المواهب اللدنية ، للقسطلاني ، ج ١ : ٤٦٨ ، الطبعة الأولى.

دون بعض . كما يكون ظاهراً لقـوم غائبًا عن قوم كمـا يجد الكسوف أهل بلد دون أهل بلد آخر.

وكـثيـراً ما يحـدِّث الثقـات بعـجائب يشـاهدونها من أنوار ونجـوم طوالع عظام ، تظهر في الأحيان بالـليل في السماء ، ولا علم عند أحد منها.



إخباره ببعض المغيبات

فصل

وأما ما عدا ما تقدم من معجزاته - صلى الله عليه وسلم - ودلائل نبوته فكثيرة [1] جدًا ، وبسطها يحتمل مجلدات ، ولكننا نذكر من عيونها ومشهورها ما هو اللائق بما قصدناه من الاختصار.

فمن ذلك ما أخبر به من المغيبات المستقبلة في القرآن ، من ذلك شيء كثير كقوله: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ [2] .

وقوله - تعالى -: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ...﴾ [3] الآية.

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [4] .

وقوله : ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ...﴾ [5] الآية .

---

(١) في النسخة «س» [فكثير].
(٢) سورة الروم ، الآيات : ١ - ٤ .
(٣) سورة النور ، الآية : ٥٥ .
(٤) سورة الصف ، الآية : ٩ .
(٥) سورة الإسراء ، الآية : ٨٨ .

وقال: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا ... ﴾[1] الآية .

وقال للمسيح : ﴿ ... وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ... ﴾[2].

وقال: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾[3].

وقال: ﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ... ﴾[4].

وقال: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ... ﴾[5].

وقال في اليهود: ﴿ ... وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ... ﴾[6] الآية.

وقال : ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ ... ﴾[7] الآية.

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٤ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٥٥ .

(٣) سورة القمر ، الآية : ٤٥ .

(٤) سورة الفتح ، الآية : ٢٢ .

(٥) سورة المائدة ، الآية : ١٤ .

(٦) سورة المائدة ، الآية : ٦٤ .

(٧) سورة آل عمران ، الآيتان : ١١١ - ١١٢ .

وقال: ﴿قُلْ إن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عندَ اللَّه خَالصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إن كُنتُمْ صَادقِينَ (٩٤) ولَن يَتمنَّوْهُ أَبَدًا ...﴾[١] الآية. وتقدمت القصة[٢].

وقال في الوليد بن المغيرة: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ ... إلى قوله: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[٣]. وقال عن أبي لهب[٤]: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ...﴾[٥]. فماتا كافرين.

وقال - تعالى -: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ...﴾[٦].

وقال: ﴿... لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ...﴾[٧].

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان : ٩٤ - ٩٥ .

(٢) تقدمت هذه القصة قريبًا في مبحث : إعجاز القرآن.

(٣) سورة المدثر ، من الآية رقم : ١١ ، إلى نهاية الآية رقم : ٢٦.

(٤) هو أبو لهب عبدالعزى بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي ، من زعماء قريش ، وهو عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ومن أشد المعادين له ، كان هو وزوجته يؤذيان رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فأنزل الله فيه وفي زوجته أم جميل بنت حرب بن أمية سورة "المسد". أصاب أبا لهب قرحة أهلكته ؛ فمات كافراً بعد سبع ليال من وقعة بدر. (السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج ١: ١١٩).

(٥) سورة المسد ، الآيات : ١ - ٣ .

(٦) سورة الفتح ، الآية : ٢٠ .

(٧) سورة الفتح ، الآية : ٢٧.

وقال: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ...﴾[1].

وهذا كله وقع ، وحصلت[2] الغنائم الكثيرة ، ودخلوا المسجد آمنين ودعيت الأعراب إلى قتال الروم وفارس.

وقال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[3].

وكان ذلك إخباراً من الله لرسوله باقتراب أجله حينئذ ، وكذلك وقع ، فما مات - صلى الله عليه وسلم - حتى دخل الناس في دين الله أفواجا ، ولم يبق في بلاد العرب موضع لم يدخله الإسلام.

وقال عن المنافقين في أمرهم مع اليهود فيما وعدهم به من أنفسهم: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لا يَنصُرُونَهُمْ ...﴾[4] الآية. وكذلك كان.

وضرب الله لهم المثل بالشيطان: ﴿... إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ ...﴾[5]. وقصتهم مشهورة في التفاسير والسير.

وفي الأحاديث الصحيحة مما أخبر بوقوعه فكان ما لا يحصى كثرة.

---

(١) سورة الفتح ، الآية : ١٦.
(٢) في النسخة «س» [حصلت].
(٣) كامل سورة النصر.
(٤) سورة الحشر ، الآية : ١٢.
(٥) سورة الحشر ، الآية : ١٦.

كمـا في صحيح البـخاري[1] عن عدي بن حاتم - رضي الله عنه - قال: «بينمـا أنا عند رسول الله - صلى الله علـيه وسلم - إذ أتاه رجل، فشكى إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر، فشكـى إليه قطع السبيل ، فقال: يا عدي ، هل رأيت الحيرة [2] ؟قلت: لم أرها وقد أنبـئت عنها . فـقال: إن طالت بك حياة لترين الظعينة[3] ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدًا إلا الله. - قلت في نفسي: فأين ذعارطي[4] الذين سعروا البلاد -. ولئن طالت بك حـياة لتـفتـحن كنوز كسـرى. قلت: كنوز كسـرى ابن هرمز؟! قال : كـسرى بن هرمز[5]، ولئن طالت بك حيـاة لترين الرجل يُخْرِج ملءَ كـفه ذهبًا أو فضة يـطلب من يقبله منه، فلايجد أحـدًا يقبله منه». قال عدي: «فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالبيت لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتـتح كنوز كسرى ابن هرمز. ولئن طالت بكم حـياة لتـرون مـا قال أبو القـاسم - صلى الله علـيه وسلم - يُخْـرِج الرجل ملء كفه ذهبًا أو فضة فلا يجد من يقبله منه».

---

(١) في صـحـيح البخـاري في كـتـاب : المناقب ، باب : عـلامـات النبوة ، ج ٤: ١٧٥ ، طـبعـة إستانبول.

(٢) الحيرة - بكسر الحاء - : مدينة بقرب الكوفة من أرض العراق.

(٣) الظعينة : الهودج الذي تركب فيه المرأة ، ويحمل على البعير في السفر.

(٤) ذعارطي : هم قطاع الطرق.

(٥) كسْـرى - بكسر الكاف -: لقب لكل من تملك على بلاد الفرس. وكـسرى هذا هو (أبرويز ابَن هرمز بن أنو شروان) ، وقد أرسل إليه النبي - صلى الله عليـه وسلم - كتابًا مع عبدالله ابن حذافـة السهمي سنة سبع من الهـجرة في وقت الهدنة مع قـريش، فمزق كسـرى كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فلمـا بلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : «مزق الله ملكه» . فقتله ابنه شيرويه في العـاشر من شهر جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة . (البداية والنهاية ، ج ٤: ٢٦٨).

وفي صحيح مسلم[1] عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: « وستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط[2] ، فاستوصوا بأهلها ؛ فإن لهم ذمة ورحما ».

وأخرج مسلم[3] وأبو داود[4] والترمذي[5] عن ثوبان[6] - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: « إن الله زوى لي الأرض[7]، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وأن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها ، وأعطيت الكنزين ، الأحمر والأبيض[8]، وإني سألت ربي ألاَّ يهلك أمتي بسنة عامة[9]، ولا يسلط عليهم عدوًا من سوى

---

(١) في صحيح مسلم في كتاب : فضائل الصحابة ، باب : وصية النبي - صلى الله عليه وسلم - بأهل مصر ، الحديث ، رقم ٢٢٦ ، ج ٤: ١٩٧٠ ، ترتيب محمد عبدالباقي.

(٢) القيراط : جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما ، وكان أهل مصر يكثرون من التعامل به.

(٣) في صحيح مسلم في كتاب : الفتن ، باب : هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ، ج ٤: ٢٢١٥ ، تحقيق محمد عبدالباقي.

(٤) في سننه في كتاب : الفتن ، ج ٤: ٩٧ ، ٩٨ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

(٥) في سننه في : الفتن ، ج ٦: ٣٤٠ ، تحقيق عزت عبيد ، الطبعة الأولى. قال الترمذي : «حديث حسن صحيح» .

(٦) هو أبو عبدالله مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثوبان بن بجدر ، وقيل : ابن حجدر ، من حمير من أهل اليمن ، أصابه سبي فاشتراه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فأعتقه ، ولم يزل معه حضرًا وسفرًا إلى أن توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. روى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عددًا من الأحاديث ، وتوفي في حمص سنة أربع وخمسين من الهجرة - رضي الله عنه -. (أسد الغابة . ج ١: ٢٤٩).

(٧) زوى لي الأرض: جمعها.

(٨) الأحمر والأبيض: الذهب والفضة .

(٩) بسنة عامة: بقحط عام.

أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم[1]، وأن ربي قال: يا محمد ، إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد ، وإني أعطيتك لأمتك أني لا أهلكهم بسنة عامة ، ولا أُسلِّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا » .

وهذا أخبر به - صلى الله عليه وسلم - في أول الأمر وأصحابه في غاية القلة قبل فتح مكة ، فكان كما أخبر ، فإن ملكهم انتشر في المشرق والمغرب ما بين أرض الهند - أقصى المشرق - إلى بحر طنجة[2] في المغرب ، حيث لا عمارة وراءه.

وذلك ما لم تملكه أمة من الأمم ، ولم ينتشر في الجنوب والشمال كانتشاره في المشرق والمغرب.

قال بعض العلماء:

لما كانت أمته أعدل الأمم انتشرت دعوته في الأقاليم التي هي وسط المعمور من الأرض.

وفي حديث جابر بن سمرة[3] قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر

---

(١) بيضتهم: أي عزهم وملكهم.

(٢) طنجة: مدينة مغربية ، تقع في جنوب مضيق جبل طارق الذي يربط بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي ، وتتقارب حول هذا المضيق قارتا إفريقيا وأوربا (معجم البلدان ، لياقوت الحموي، ج ٤: ٤٣).

(٣) في النسخة «ع» [رضي الله عنه].

فلا قيصر بعده ، والذي نفسي بيده لينفقن كنوزهما في سبيل الله». أخرجاه في الصحيحين[1].

وملك كسرى وقيصر أعز ملك في الأرض ، فلم يبق للفرس ملك ، وهلك قيصر الذي بالشام وغيرها ، فلم يبق من وقت الفتوح العمرية من هو ملك على الشام ولا مصر ولا الجزيرة من النصارى ، وهو الذي يدعى قيصر.

وقال في قيصر: «ثَبَّتَ الله ملكه »[2]، فثبت ببلاد الروم ، وفي كسرى: «مَزَّقَ الله ملكه»[3] ، فلم يبق له ملك.

وهذا كله يصدق بعضه بعضا .

وفي الصحيحين[4] عنه - صلى الله عليه وسلم -: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين...» الحديث.

وهذا أخبر به حين كانت أمته أقل الأمم ، ثم انتشرت في المشارق والمغارب ، وكان كما أخبر ، فإنه - ولله الحمد[5]- لم تزل فينا

---

(١) في صحيح البخاري في كتاب : المناقب ، باب : علامات النبوة ، ج ٤: ١٨٢ ، طبعة إستانبول.

وفي صحيح مسلم في كتاب : الفتن ، ج ٤: ٢٢٣٧ ، ترتيب محمد عبدالباقي.

(٢) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية عن ابن إسحاق ، ج ٤ : ٣٨ ، تحقيق مصطفى عبدالواحد. وابن كثير في البداية والنهاية، ج ٤: ٢٧١، وفي الشمائل ، ص ٣٧٤.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ، ج ٣ : ٤٤٢. وذكره الحافظ ابن كثير في الشمائل ، ص ٣٧٤ ، والحافظ بن حجر في فتح الباري ، ج ١: ٤٩.

(٤) في صحيح البخاري في كتاب : الاعتصام ، ج ٨: ١٤٨ ، طبعة إستانبول.

وفي صحيح مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : نزول عيسى ، ج١: ١٣٧ ، تحقيق محمد عبدالباقي.

(٥) في النسخة «س» [الحمد والمنة].

طائفة ظاهرة بالعلم والدين والسيف ، فلم يصب هذه الأمة ما أصاب من قبلها من بني إسرائيل وغيرها[١]، حيث كانوا مقهورين مع الأعداء ، بل إن غُلبت في قطر كان في قطر آخر طائفة ظاهرة لم يسلط على مجموعها عدو من غيرهم ، ولكن وقع بينهم اختلاف وفتن.

وفي الصحيحين[٢] عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببُصْرى»[٣] ، فظهرت نار عظيمة على نحو مرحلة من المدينة سنة أربع وخمسين وستمائة ، ودامت نحو أربعة وأربعين يومًا، وكانت تحرق الحجر ، ولا تنضج اللحم، ورؤيت منها أعناق الإبل ببُصْرى.

وقد أطال المؤرخون في أخبارها بما لا يتسع[٤] له هذا الموضع .

وصح عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه أخبر بموت النجاشي[٥] يوم موته بالحبشة[٦] ، وصلى عليه بأصحابه .

---

(١) في النسخة «س» [وغيرهم].

(٢) في صحيح البخاري في كتاب : الفتن ، باب : لا تقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور، ج ٨: ١٠٠ ، طبعة إستانبول . وفي صحيح مسلم في كتاب : الفتن وأشراط الساعة ، باب : لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز ، ج ٤ : ٢٢٢٨ ، تحقيق محمد عبدالباقي.

(٣) بُصْرى - بضم الباء - مدينة معروفة بالشام ، وهي مدينة حوران ، بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل.

(٤) في النسخة «س» [ما لا يستطيع].

(٥) النجاشي : ملك الحبشة ، واسمه أصحمة بن الحر. كان رجلاً صالحًا عادلاً. قال السهيلي: « توفي النجاشي في شهر رجب سنة تسع من الهجرة » .

(٦) أخرج البخاري في صحيحه في كتاب : مناقب الأنصار ، باب : موت النجاشي ، عن جابر بن عبدالله (رضي الله عنه) قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم - حين مات النجاشي: «مات اليوم رجل صالح ؛ فقوموا ، فصلوا على أخيكم أصحمة» ج ٤ : ٢٤٦ ، طبعة إستانبول.

وأنه وأبا بكر وعمر وعثمان صعدوا أحدًا، فتحرك الجبل، فضربه برجله، وقال له: «اثبت أحد ؛ فإنما عليك نبي وصديق وشهيد»[(١)]، فاستشهدوا.

وأنه قال لسراقة بن جعشم[(٢)]: «كيف بك إذا لبستَ سواري[(٣)] كسرى؟»[(٤)]. فألبسهما عمر له لما زال ملك كسرى في زمنه.

وأخبر بأن ابنته فاطمة - رضي الله عنها - أول أهله لحوقًا به[(٥)]، فكان كذلك.

وأخبر بأن أشقى الأولين عاقر الناقة ، والآخرين قاتل علي يضربه في يافوخة[(٦)]، فتبتل من دمها لحيته[(٧)]. فضربه الشقي ابن ملجم[(٨)] ضربة كذلك ؛ فمات منها - رضي الله عنه -.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري عن أنس ، في كتاب : فضائل الصحابة ، باب : فضل أبي بكر ، ج٤: ١٩٧، طبعة إستانبول.

(٢) هو سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن تميم المدلجي. صحابي جليل ، أسلم في غزوة الطائف ، له قصة معروفة حينما لحق النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو في طريقه مهاجرًا إلى المدينة ، وتوفي سنة أربع وعشرين من الهجرة . رضي الله عنه .

(٣) سواري - بضم السين وكسرها -: وهو ما يتزين به ملوك العجم.

(٤) رواه البيهقي ، وذكره القاضي عياض في كتابه الشفا ، ج ١: ٦٧٤ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين.

(٥) أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة في صحيح البخاري في كتاب: المناقب ، باب : علامات النبوة، ج ٤: ١٨٣ ، طبعة إستانبول.
وفي صحيح مسلم في كتاب : فضائل الصحابة ، باب : فضائل فاطمة ، ج ٤: ١٩٠٤، ترتيب محمد عبدالباقي.

(٦) يافوخة: اليافوخ فجوة مغطاة بغشاء تكون عند تلاقي عظام جمجمة الرأس.

(٧) أخرجه الإمام أحمد عن عمار بن ياسر ، ج ٤: ٢٦٣ ، طبعة المكتب الإسلامي ببيروت . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج ٩: ١٣٦، ط٣) : « رواه أحمد والطبراني والبزار باختصار ، ورجال الجميع موثقون».

(٨) هو عبدالرحمن بن عمرو، المعروف بابن ملجم الحميري الكندي.

وبأن عثمان يقتل ظلمًا[1]، وبأن المدينة ستغزى، فكانت وقعة الحرة[2] المشهورة على أهل المدينة من جيش يزيد بن معاوية[3].

وأخبر بوقعة الجمل[4]، وصفين[5]، وقتال عائشة والزبير[6] لعلي - رضي الله عنهم -؛ ولذلك قال علي للزبير لما برز له يومئذ: أنشدك الله؛ هل سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إنك تقاتله وأنت له ظالم»؟. فانصرف الزبير، وقال: «بلى، ولكني نسيت»[7].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند عن ابن عمر، ج ٢: ١١٥، طبعة المكتب الإسلامي.

(٢) وقعة الحرة على أهل المدينة من جيش يزيد بن معاوية في شهر ذي الحجة سنة ثلاث وستين من الهجرة. وانظر تفاصيل ذلك في تاريخ الأمم والملوك، للطبري، ج ٧: ٣٠٥، والبداية والنهاية، لابن كثير، ج ٧: ٢١٧-٢٢٤.

(٣) هو يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموي، ولد سنة خمس وعشرين من الهجرة. وتولى الخلافة بعد وفاة أبيه في شهر رجب سنة ستين من الهجرة، وتوفي في الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين من الهجرة. (البداية والنهاية، ج ٧: ٣٢٦).

(٤) وقعة الجمل سنة ست وثلاثين من الهجرة.

(٥) صفين: موضع بالقرب من الفرات شرقي بلاد الشام، وقد حصلت هذه الوقعة في شهر ذي الحجة سنة سبع وثلاثين من الهجرة النبوية بين أهل العراق وزعيمهم علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وبين أهل الشام وزعيمهم معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما) -. وقد أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - عن هذه الوقعة فيما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، وتكون بينهما مقتلة عظيمة، ودعواهما واحدة». أخرجه البخاري، ج ٤: ١٧٨، طبعة إستانبول، ومسلم، ج٤: ٢٢١٤، ترتيب محمد عبدالباقي.

(٦) هو أبو عبدالله، الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي القرشي الأسدي، وأمه صفية بنت عبدالمطلب، عمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، من السابقين الأولين إلى الإسلام، أسلم في مكة وعمره خمس عشرة سنة، وشهد له النبي - صلى الله عليه وسلم - بالجنة، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وقتل - رضي الله عنه - في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين. (تهذيب التهذيب، ج ٣: ٣١٨).

(٧) رواه البيهقي وأبو يعلى الموصلي من طرق عن أبي حازم المازني. وذكره القاضي عياض في الشفا، ج١: ٦٥٩، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين، والحافظ ابن كثير في البداية والنهاية، ج ٧: ٢٤٢.

وصح عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال في الحسن - رضي الله عنه -: «إن ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[1] . فكان كذلك يوم التقى مع معاوية.

وأخبر[2] بقتل الحسين[3] - رضي الله عنه -، وأخبر ابن عمر[4] أنه سيعمى لما رأى جبرائيل معه في صورة رجل ، وأخبر بالخوارج[5] الذين خرجوا على علي ، وأن فيهم رجلاً إحدى يديه مثل ثدي المرأة، فقاتلهم علي - رضي الله عنه - ، وأخرج ذلك الرجل من بين القتلى حتى رآه الناس بالوصف الذي وصفه - صلى الله عليه وسلم -[6] .

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب : الصلح ، باب : قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: « إن ابني هذا سيد». ج ٣: ١٧٠ ، طبعة إستانبول.

(٢) رواه البيهقي من طرق ذكرها الحافظ ابن كثير في دلائل النبوة ، ج ٦ : ٢٩٩ ، كما ذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد، ج ٩ : ١٨٦ ، في روايات متعددة وألفاظ مختلفة.

(٣) هو أبو عبدالله الحسين بن علي بن أبي طالب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ، وأمه فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ولد في شعبان سنة أربع من الهجرة. كان فاضلاً كريمًا عابداً. قتل في معركة كربلاء - رضي الله عنه - في شهر محرم سنة إحدى وستين من الهجرة. (البداية والنهاية ، ج ٨: ١٥٠).

(٤) [ابن عمر] هكذا في جميع النسخ. والصواب (ابن عباس) ؛ لأنه هو الذي أخبر عنه الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وقد فقد بصره في آخر حياته - رضي الله عنه - . انظر كتاب مجمع الزوائد، للحافظ الهيثمي ، ج ٩: ٢٧٧.

(٥) الخوارج : هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعد قصة التحكيم سنة سبع وثلاثين من الهجرة في النهروان ، وهم نحو أربعة آلاف مقاتل ، فقاتلهم علي حتى قتلهم ، فما نجا منهم إلا أقل من عشرة تفرقوا في البلدان ، فظهرت بدعة الخوارج في الأماكن التي حلوا بها. (البداية والنهاية ، ج ٧: ٢٧٨ ، الملل والنحل ، للشهرستاني ، تحقيق أحمد فهمي ، ج ١ : ١٧٠، الطبعة الأولى) .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب : المناقب ، باب : علامات النبوة ، ج٤: ٧٨-١٧٩، طبعة إستانبول . ومسلم في كتاب : الزكاة باب: ذكر الخوارج وصفاتهم ، ج٢: ٧٤٤ ، ترتيب محمد عبدالباقي.

وأخبر بالرافضة[1] وبالقدرية[2]، وبأن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، وبأنها[3] كلها في النار إلا فرقة واحدة، وهم الذين على ما كان عليه هو وأصحابه - صلى الله عليه وسلم -[4].

---

(١) الرافضة: فرقة من غلاة الشيعة، وتقدم التعريف بهم في ص (٢٧٨).

(٢) القدرية: فرقة ضالة، ظهرت في أواخر القرن الأول الهجري تنفي صفة العلم عن الله - تعالى -، وتزعم أن العبد هو الذي يخلق أفعاله استقلالاً، فأثبتوا خالقًا مع الله - تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا -. وقد أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - عن ظهورهم بقوله: «سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر...» رواه الإمام أحمد وأبو داود. وقال: «القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم» وإن ماتوا فلاتشهدوهم». رواه الإمام أحمد في المسند (ج٢: ٨٦) وأبو داود في سننه (ج٤: ٢٢٢، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد). وانظر تفاصيل الكلام عنهم في الجزء الثامن من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ج١: ٢١٠، تحقيق أحمد شاكر.

(٣) في النسخة «ع» [أنها].

(٤) الأحاديث الواردة عن افتراق هذه الأمة مروية عن عدد من الصحابة - رضي الله عنهم -، منهم: عبدالله بن عمرو بن العاص، وأبو هريرة، وأنس بن مالك، وغيرهم. وقد خرجها أصحاب السنن والمسانيد، وحكموا عليها بالصحة. فعن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - :«إن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة. قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي». أخرجه الترمذي في كتاب: الإيمان وقال: «هذا حديث مفسر غريب، لا نعرف مثل هذا إلا من هذا الوجه». الحديث رقم ٢٦٤١، تحقيق إبراهيم عطوة. وروى عن أبي هريرة نحوه، وقال: «حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح». وفي مسند الإمام أحمد - رحمه الله - عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن بني إسرائيل تفرقت على إحدى وسبعين فرقة، وخلصت فرقة واحدة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة، فتهلك إحدى وسبعين، وتخلص فرقة واحدة. قالوا: يا رسول الله، من تلك الفرقة؟ قال: الجماعة الجماعة». المسند، ج ٣: ١٤٥، طبعة المكتب الإسلامي.

وأخبر أنه ستكون لهم أنماط[١]، ويغدو أحدهم في حلة[٢]، ويروح في أخرى ، وتوضع بين يديه صحفة[٣]، وترفع أخرى ، ويسترون بيوتهم ، كما[٤] تستر الكعبة[٥]، ثم قال في آخر الحديث: «وأنتم اليوم خير منكم يومئذ».

وقال[٦]: « يكون في ثقيف كذاب ومبير»[٧]. فرأوهما : المختار بن أبي عبيد[٨] الذي ادعى أنه يوحى إليه ، والحجاج بن يوسف[٩].

---

(١) الأنماط: جمع نمط ، وهو البساط.
والخبر أخرجه الإمام البخاري في كتاب : المناقب، باب : علامات النبوة ، ج٤: ١٨٤ ، والإمام أحمد في المسند ، ج٣:٢٩٤ ، والترمذي في كتاب : الأدب ، ج١٠: ٢٢٥ ، وقال: «حديث حسن صحيح» .

(٢) الحلة: الثوب النفيس.

(٣) صحفة: بزنة قصعة ، وهي إناء الطعام.

(٤) في النسخة «س» [كاتستر الكعبة].

(٥) ذكر هذا الخبر القاضي عياض في كتابه الشفا ، ج١: ٦٥٢، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين.

(٦) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب : فضائل الصحابة ، باب : ذكر كذاب ثقيف ومبيرها، ج٤: ١٩٧٢ ، ترتيب محمد عبدالباقي.

(٧) مبير: مهلك.

(٨) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي ، تولى إمارة الكوفة في خلافة عبدالله بن الزبير ، فكان يسر إلى خاصته أنه يوحى إليه ، وهو كاذب فيما ادعاه.
وقد جاء في صحيح مسلم أن الرسول - صلى الله عليه وسلم- قال: «يكون في ثقيف كذاب ومبير». وقد ذكر العلماء أن الكذاب هو المختار بن أبي عبيد ، والمبير الحجاج بن يوسف ، وقُتلَ المختار بن أبي عبيد في شهر رمضان سنة سبع وستين من الهجرة. (البداية والنهاية ، ج٨: ٢٨٩- ٢٩٢، ط٢).

(٩) هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي ، ولد سنة خمس وأربعين من الهجرة ، ونشأ بالطائف، كان والده من شيعة بني أمية ، لحق الحجاج بعبد الملك بن مروان ، فولاه قيادة جيشه في حرب عبدالله بن الزبير ، فحاصر مكة ، واستولى عليها ، وقتل عبدالله بن الزبير، ثم تولى إمارة العراق نحو عشرين سنة ، فسار بالناس سيرة جائرة ، وقتل كل من خالفه. ومات بواسط سنة خمس وتسعين من الهجرة. (وفيات الأعيان ، ج١: ٣٤١، ط١ ، والبداية والنهاية ، ج٩: ١١٧ ، ط٢).

وأنذر بالردة التي وقعت بعد موته[١].

وبأن الخلافة بـعده ثلاثون سنة ثم تكون ملكًا[٢]. فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي[٣].

وقال: « إن هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون ملكًا عضوضًا، ثم تكون[٤] عتواً وجبروتًا وفسادًا في الأمة »[٥].

وأخبر بشأن أويس القرني[٦]، وأنه يأتي في أمداد أهل اليمن، وأن له أُمًّا هو بارٌّ بها، وأخـبر عـمر بصـفتـه، وقال له: «إن استطعت أن يستغفر لك فافعل»، وأخبر بأنه مجاب الدعوة[٧].

---

(١) أخرجه البيهقي عن أبي الدرداء، وذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية، ج٦: ٢٠٧.

(٢) أخرجه الترمـذي في سننه في كتاب: الفتن، باب: ما جاء في الخـلافة، ج٤: ٥٠٣، تحقيق إبراهيم عطوة، الطبعـة الثانية. قال التـرمذي: «هذا حديث حسن، لا نعـرفه إلا من حديث سعيد بن جهمان».
وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب: السنة، باب: الخلفاء، ج٥: ٣٦، بشرح معالم السنن للخطابي.

(٣) في النسخة «ع» [رضي الله عنهما].

(٤) أخرجـه الدارمي في سننه في كـتاب: الأشـربة، عن عائشـة، ج٢:١١٤، طبـعة دار إحـياء السنة.
والبـزار عن أبي عبـيدة بـن الجراح في كـتاب كـشف الأستـار عن زوائد البـزار، لنور الدين الهيثمي في كتاب: الإمارة، باب: بدء هذا الأمر وما يصير إليه، ج٢: ٢٣٢، تحقيق حبيب الأعظمي، الطبعة الأولى.
وذكره القاضي عياض في الشفا، ج١: ٦٦٢، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين.

(٥) في النسخة «س» [ثم يكون عتوًا] بالياء بدل التاء.

(٦) هو أويس بن عامر بن جزء بن ملك بن عـمرو المرادي القرني، أدرك زمن النبي - صلى الله عليه وسلم -، ولم يره، فكان من كـبار التابعين، اشتـهر بالزهد والورع، وكان مسـتجاب الدعوة، وله كرامات معروفة، استشهد في صفين سنة سبع وثلاثين من الهجرة، رحمه الله.
(أسد الغابة، ج١: ١٥١).

(٧) أخرجه الإمام مـسلم في كتاب: فضائل الصحـابة، باب: فضل أويس القرني، ج٤: ١٩٦٨، ١٩٦٩، ترتيب محمد عبدالباقي.

وأخبر بأمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها[1]، وبأنه سيكون في أمته ثلاثون كذابًا يدعون النبوة[2].

وعنه - صلى الله عليه وسلم -: «لو كان الدين بالثريا لتناوله رجال من أبناء فارس»[3].

وأنه أخبر بالموتان[4] الذي يكون بعد فتح بيت المقدس[5]، وما وعد[6] من سكنى البصرة[7]، وأن أمته يغزون في البحر كالملوك على الأسرَّة[8].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب : كراهية تأخير الصلاة عن وقتها، ج١ : ٤٤٨ ، تحقيق محمد عبدالباقي.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه في : الفتن ، عن ثوبان ، ج٦ : ٣٦٩ ، تحقيق عزت عبيد ، الطبعة الأولى، قال الترمذي : « حديث حسن صحيح ».
وأبو داود في سننه ، ج٤ : ٩٨ ، تحقيق محمد محيي الدين.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : سورة الجمعة ، ج٦ : ٦٣ ، عن أبي هريرة ، طبعة إستانبول.
ومسلم في : فضائل الصحابة ، باب : فضل فارس ، ج٤ : ١٩٧٢ ، ترتيب محمد عبدالباقي.

(٤) الموتان: طاعون عمواس الذي وقع سنة ثماني عشرة من الهجرة في خلافة عمر بن الخطاب، مات فيه خلق كثير في مدة وجيزة.

(٥) أخرجه البخاري عن عوف بن مالك في كتاب: الجزية ، باب ما يحذر من الغدر ، ج٤ : ٦٨ ، طبعة إستانبول.

(٦) أخرجه أبو داود في سننه عن أنس بن مالك ، الحديث رقم ٤٣٠٧ ، ج٤ : ١١٣ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

(٧) البصرة: مدينة عراقية ، تقع على شط العرب ، تبعد عن بغداد نحو ثلاثمائة ميل ، أسست في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه.

(٨) أخرجه البخاري في كتاب : الجهاد ، باب : غزو المرأة ، ج٣ : ٢٢١ ، طبعة إستانبول ، ومسلم في كتاب : الإمارة ، باب : فضل الغزو في البحر ، عن أنس بن مالك ، ج٣ : ١٥١٨ ، تحقيق ، محمد عبدالباقي.

وقال لسعد[1]: «لعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام، ويضر بك آخرون»[2].

وأخبر[3] أبا ذر بتطريده[4]، فكان كما كان، وبموته وحده، وأنه يشهد جنازته طائفة من المسلمين[5].

وقال لعمر في سهيل بن عمرو[6]: «عسى أن يقوم مقامًا يسرُّك،

---

(١) هو سعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص، مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري، أسلم سعد قديمًا، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ومستجاب الدعوة، وكان أميرًا على الكوفة في خلافة عمر، وهو قائد جيش المسلمين في وقعة القادسية وقد فتحها الله على يديه. ومات - رضي الله عنه - بالعقيق، وحمل إلى المدينة، ودفن بالبقيع سنة إحدى وخمسين من الهجرة، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة - رضي الله عنه -. (طبقات ابن سعد، ج٣: ١٣٩).

(٢) أخرجه مسلم عن سعد بن أبي وقاص في كتاب: الوصية، باب: الوصية بالثلث، ج٣: ١٢٥١، تحقيق محمد عبدالباقي.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند، عن أبي ذر، ج٥: ١٤٤، طبعة المكتب الإسلامي.

(٤) خروجه من المدينة إلى الربذة بسبب ما كان يقع بينه وبين الناس من خلاف، فكان - رضي الله عنه - ينكر على الناس التوسع في أمور الدنيا، فذهب إلى الربذة خوف الفتنة.
وقد تكلم على هذه المسألة بالتفصيل شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه منهاج السنة، ج٣: ١٩٨.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ج٥: ١٥٥، طبعة المكتب الإسلامي بيروت. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج٩: ٣٣٢): «رواه أحمد من طريقين، رجال الأول رجال الصحيح».
وذكره أيضًا ابن إسحاق السيرة النبوية، لابن هشام، ج٤: ١٧٨ - ١٧٩، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

(٦) هو سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود العامري القرشي، أحد خطباء قريش، أسلم يومِ فتح مكة، فلما توفى الرسول - صلى الله عليه وسلم - قام بمكة خطيبًا، فثبَّت الناس وقَوَّى بصائرهم، فظهر مصداق ما أخبر عنه النبي - صلى الله عليه وسلم -. وتوفي سهيل سنة ثماني عشرة من الهجرة. (تهذيب التهذيب، ج٤: ٢٦٥).

يـا عمـر»[1]. فكان كذلك، قام بمكة مقام أبي بكر يوم بلغه موت النبي - صلى الله عليـه وسلم -، وخطب بنحو خـطبتـه، وثبّتهـم، وقوّى بصائرهم.

وأخبر - صلى الله عليه وسلم - بأشياء كثيرة وقعت في زمانه كقوله في الرجل الذي أبلى مع المسلـمين في الجهـاد: «إنه من أهل النار»[2]. فقتل نفسه.

وقـال في حنظلة الغـسـيل[3]: «سلوا زوجـته [4] عنه؛ فـإني رأيت الملائكة تغسله»[5]. فسألوها، فـقالت: إنه خرج جنبًا، وأعـجله الحال عن الغسل.

وأخبـر بالذي غلّ خـرزًا من خرز اليـهود[6]، فوجـدت في رحله[7]،

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، ج٣: ٢٨٢، في: مناقـب الصحابة. وذكره ابن إسحاق. انظر السيرة النبوية، لابن هشـام، ج٢: ٢٩٣، ج٤:٣٤٦، تحقيق محمد عبدالحـميد، والقاضي عياض في الشفاء، ج١: ٦٧٦، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين.

(٢) أخرجه البخاري عن سهل بن سعد السـاعدي في كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر، ج٥: ٧٦، طبعة إستانبول.

(٣) هو حنظلة بن أبي عامر عمرو بن صيفي بن زيد بن أمـية بن ضبيعة الأنصاري الأوسي، كان حنظلة من سادات المسلمين وفـضلائهم، وهو المعروف بغسيل الملائكة، وتوفي شـهيدًا في وقعة أحد سنة أربع من الهجرة، رضي الله عنه. (أسد الغابة، ج٢: ٥٩).

(٤) اسمها جميلة بنت عبدالله بن أُبَيّ بن سلول.

(٥) أخـرجه أبو نعـيم في دلائل النـبوة، ص٤١٩، وابن إسـحـاق. انظر السـيرة، لابن هشـام، ج٣: ٢٠.

(٦) في النسخة «ع» [من خرز يهود].

(٧) أخرجـه النسائي في السنن بشـرح السيوطي حـاشية السـندي، ج٣: ٦٤، في باب: الصلاة على الغال.

والإمام مالك في الموطأ في: الجهاد، ص٣٠٥، تحقيق أحمد عرموش.

وبالذي[١] غلَّ الشَّمْلَة[٢]، وبشأن كتاب حاطب[٣] إلى أهل مكة[٤]، وبقضية عمير[٥] مع صفوان[٦] حين سارَّه، وشارطه على قتل النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فلما جاء عمير إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - قاصداً لقتله، وأطلعه رسول الله - صلى الله عليه وسلم- على السر أسلم.

---

(١) أخرجه البخاري في : المغازي ، باب : غزوة خيبر ، ج٥: ٨١ ، طبعة إستانبول.
ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : غلظ تحريم الغلول ، ج١ : ١٠٨ ، تحقيق محمد عبدالباقي.

(٢) الشَّمْلَة - بتشديد الشين مع الفتح وإسكان الميم وفتح اللام - : كساء صغير يؤتزر به.

(٣) هو أبو عبدالله حاطب ابن أبي بلتعة عمرو بن عمير بن سلمة بن صعب بن سهل ، حليف بني أسد قديمًا ، وشهد بدراً والحديبية ، وله قصة معروفة في إرساله الكتاب إلى أهل مكة قبيل الفتح مع امرأة ، فعلم بذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال : «ادركوا الظعينة في موضع كذا ؛ فإن معها كتابًا من حاطب». توفي حاطب سنة ثلاثين من الهجرة ، رضي الله عنه . (طبقات ابن سعد ، ج٣: ٤٠٥).

(٤) أخرجه البخاري عن علي بن أبي طالب في : الجهاد ، باب : الجاسوس والتجسس ، ج٤: ١٩ ، طبعة إستانبول.
ومسلم في : فضائل الصحابة ، باب : فضائل أهل بدر ، الحديث رقم ١٦١ ، ج ٤: ١٩٤١ ، ترتيب محمد عبد الباقي.

(٥) هو أبو أمية عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي ، من أشراف قريش وفرسانهم ، كان من المحرضين على القتال في وقعة بدر، وبعد الهزيمة التي لحقت بالمشركين هداه الله إلى الإسلام ، فأسلم ، وهاجر إلى المدينة ، وشهد أحداً وما بعدها . (الإصابة ، لابن حجر ، ج٤:٧٢٦).

(٦) هو صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي ، أحد أشراف قريش في الجاهلية والإسلام ، شهد حنينا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو كافر ثم أسلم بعدها ، وهاجر إلى المدينة ، فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « لا هجرة بعد الفتح» ، وأذن له بالرجوع إلى مكة ، فعاد إليها ، ومات بها سنة اثنتين وأربعين من الهجرة. (طبقات ابن سعد ، ج ٥: ٤٤٩).

وأخبر بالمال الذي تركه العباس[1] عند أم الفضل[2] بعد أن كتمه، فقال: ما علمه غيري وغيرها . فأسلم[3].

وأخبر[4] بأنه سيقتل أُبَيَّ بن خلف[5]، فقتله[6].

---

(١) هو أبو الفضل العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة الهاشمي القرشي ، عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، كان رئيسًا في قريش ، وإليه كانت عمارة المسجد الحرام والسقاية في الجاهلية . شهد العقبة مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو مشرك ، وأسلم بعد وقعة بدر ، وهاجر إلى المدينة ، وشهد الفتح وحنينا ، كان - رضي الله عنه - عاقلاً سخيًا كريمًا ، وقد كف بصره في آخر حياته ، ومات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة . (طبقات ابن سعد ، ج ٤ : ١٥).

(٢) هي لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزف بن بجير الهلالية ، زوج العباس بن عبدالمطلب ، وأم عبدالله بن عباس ، وأخت ميمونة الهلالية زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - . أسلمت لبابة في أول الإسلام في مكة مع خديجة ، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يزورها ، ويقيل عندها . وتوفيت - رضي الله عنها - في خلافة عثمان . (أسد الغابة ، ٥ : ٥٢٩).

(٣) ذكره القاضي عياض في كتابه الشفا ، ج١ : ٦٧١ ، تحقيق محمد أمين قرة. وابن كثير في دلائل النبوة ، ج٦: ٢٩٧ ، وأبو نعيم في دلائل النبوة ، ص٤١٠ .

(٤) في المخطوطة «س» [وأعلم].

(٥) هو أُبَي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي ، كان من أشد المشركين عداوة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعارضة لدعوته ومن المنكرين للبعث بعد الموت. وفي وقعة أحد سنة أربع من الهجرة طعنه الرسول - صلى الله عليه وسلم - بحربة في عنقه ، فاحتقن الدم فيها ، فمات منها وهو عائد إلى مكة . (السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج١ : ٣٨٥ ، ٣:٢٢).

(٦) رواه إبن إسحاق . انظر السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج٣: ٣٢ ، تحقيق محمد عبدالحميد . وذكره القاضي عياض في الشفا ، ج١ : ٦٧١ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين.

وفي عتبة بن أبي لهب[١] أنه يأكله كلب الله[٢].

وعن مصارع أهل بدر. فكان كما قال[٣].

وأخبر بقتل أهل مؤتة[٤] يوم قتلوا، وبينهم مسيرة شهر فأكثر[٥].

وقال لخالد[٦] لما وجهه لأُكَيدر[٧]: إنك تجده يصيد البقر[٨].

---

(١) وهو عتبة بن أبي لهب عبدالعزى بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف القرشي، ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وأمه أم جميل، زوج أبي لهب، حمالة الحطب. تزوج عتبة رقية بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فلما بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - طلقها عتبة إغاظة لرسول الله، فعوضها الله خيراً منه، حيث تزوجها عثمان ابن عفان - رضي الله عنه -. أما عتبة فأكله الأسد وهو ذاهب إلى الشام. (السيرة النبوية، لابن هشام، ج٢: ٣٩٦).

(٢) أخرجه أبو نعيم في كتابه دلائل النبوة، ج٢: ٥٨٥، تحقيق محمد رواس. وذكره القاضي عياض في كتابه الشفا، ج١: ٦٣٢، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين، وابن حجر في الإصابة، ج٦: ١٢٢.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة بدر، ج٣: ١٤٠٤، وفي كتاب: الجنة ونعيمها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، ج٤: ٢٢٠٣، ترتيب محمد عبدالباقي.

(٤) مؤتة: قرية بالشام. وقد حصلت هذه الوقعة في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة.

(٥) أخرجه الإمام البخاري عن أنس بن مالك، في: المغازي، باب: غزوة مؤتة، ج٥: ٨٧، طبعة إستانبول.

(٦) هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم القرشي، من فرسان قريش وأشدائهم، شهد معهم بدراً وأحداً والخندق، وأسلم بعد الحديبية، وشهد وقعة مؤتة مع المسلمين، وسماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سيف الله المسلول، وشهد فتح مكة وما بعدها. وتوفي سنة إحدى وعشرين من الهجرة - رضي الله عنه -. (طبقات ابن سعد، ج٧: ٣٩٤).

(٧) أُكيدر - بضم الهمزة - تصغير أكدر، وهو أكيدر بن عبدالملك، رجل من كندة، كان ملكًا عليها، وكان نصرانيًا، بعث إليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - خالد بن الوليد في غزوة تبوك، فقدم به، فصالحه الرسول على دفع الجزية، وخلى سبيله. وقتل في خلافة أبي بكر. (السيرة النبوية، لابن هشام، ج٤: ١٨١).

(٨) رواه ابن إسحاق. انظر السيرة النبوية، لابن هشام، ج٤: ١٨١، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. والروض الأنف، للسهيلي، ج٧: ٣١٧، تحقيق عبدالرحمن الوكيل. وذكره القاضي عياض في كتابه الشفا، ج١: ٦٧٦.

وأخبر بكثير من أسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين، حتى إن كان بعضهم ليقول لصاحبه : اسكت ؛ فو الله لو لم يكن عنده من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء.

وأَعْلَمَ بصفة السحر الذي سحره لبيد بن الأعصم(١)، وكونه في مشط ومشاطة(٢) في جف طلع نخلة ذكر ، وأنه أُلقي في بئر(٣) ذروان(٤). فكان كما قال - صلى الله عليه وسلم - .

ووصف لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الإسراء(٥). ونعته لهم نعت من عرفه ، وأعلمهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه ، وأخبرهم بوقت وصولها . فكان ذلك كله كما قال.

وأما ما أخبر به - صلى الله عليه وسلم - مما لم يقع إلى الآن فكثير جدًا ، وبحسب هذا النوع من معجزاته - صلى الله عليه وسلم - أن يكون المروي فيه ديوانًا مفردًا يشتمل على عدة أجزاء.

وفيما أشرنا إليه من نكت الأحاديث التي ذكرناها كفاية ، وأكثرها في الصحيحين والسنن والمسانيد المشهورة.

---

(١) من يهود بني زريق.

(٢) المشاطة: الشعر الذي يسقط عند التسريح.

(٣) بئر بالمدينة في بستان بني زريق.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في كتاب : الطب ، باب : السحر ، ج٧: ٢٩ ، طبعة إستانبول . ومسلم في كتاب : السلام ، باب : السحر ، ج٤: ١٧١٩ ، تحقيق محمد عبدالباقي.

(٥) تواترات الروايات في حديث الإسراء وما ظهر فيه من دلائل النبوة عن جماعة من الصحابة في صحيح البخاري ومسلم ومسند الإمام أحمد ودلائل النبوة للبيهقي وفي السيرة النبوية لابن إسحاق، وتقدم تخريجها.

وقد روى البخاري[1] ومسلم[2] وأبو داود[3] عن حذيفة - رضي الله عنه - قال: « قام فينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مقامًا ، فما ترك شيئًا يكون من مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدَّثه ، حفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه ، قد علمه أصحابي هؤلاء ، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته ، فأراه ، فأذكره ، كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ، ثم رآه».

وأخرج مسلم[4] عن أبي زيد عمرو بن أخطب الأنصاري[5] -رضي الله عنه - قال: «صلى بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يومًا الفجر، وصعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل ، وصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، فنزل ، وصلى[6]، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس . فأخبرنا بما هو كائن إلى يوم القيامة ؛ فأعلمنا أحفظنا».

---

(١) في صحيح البخاري ، كتاب: القدر، باب: وكان أمر الله قدراً مقدورا، ج٧: ٢١١.

(٢) في صحيح الإمام مسلم في كتاب : الفتن وأشراط الساعة ، باب : إخبار النبي فيما يكون إلى قيام الساعة ، ج٤: ٢٢١٧ ، ترتيب محمد عبدالباقي.

(٣) أخرجه في سننه في كتاب : الفتن ، الحديث رقم ٤٢٤٠ ، ج٤ : ٩٤ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في كتاب : الفتن وأشراط الساعة، باب : إخبار النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما يكون إلى قيام الساعة ، ج٤ : ٢٢١٧، تحقيق محمد عبدالباقي.

(٥) هو أبو زيد عمرو بن أخطب بن رفاعة بن محمود بن بشر بن عبدالله بن الضيف الأنصاري ، له صحبة ورواية ، غزا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ومسح رأسه ، ودعا له بالجمال ، وعاش مائة سنة ونيفا.

(٦) في النسخة «س» [فصلى] بالفاء .

ومن آياته كلام الشجر له ، وسلامها عليه ، وطواعيتها له ، وشهادتها له بالرسالة.

تكليم الجمادات له

أخرج البزار وأبو نعيم[1] من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: « لما أوحى الله إليَّ جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك ، يا رسول الله ».

وعن علي - رضي الله عنه - قال: « كنت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - بمكة ، فخرجنا في بعض نواحيها ، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول : السلام عليك ، يا رسول الله ». رواه الترمذي[2]، وقال : « حسن غريب ».

وأخرج الحاكم في مستدركه[3] بإسناد جيد عن ابن عمر[4]، قال: «كنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في سفر، فأقبل أعرابي ، فلما دنا منه قال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أين تريد؟ قال:

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج٨: ٢٥٩): «رواه البزار عن شيخه عبدالله بن شبيب ، وهو ضعيف». وذكره القسطلاني في المواهب اللدنية ، ج١: ١٧٢ ، ط١ ، عن عائشة ، وقال: «أخرجه أبو نعيم والبزار» . وقد طلبته في مظانه في دلائل النبوة لأبي نعيم ومسند البزار، ولم أتمكن من معرفة موضعه . والله أعلم.

(٢) في سنن الترمذي ، ج٥: ٥٩٣ ، الحديث رقم ٣٦٢٦ ، طبعة المكتب الإسلامي بيروت. وأخرجه الحاكم في المستدرك ، ج٢: ٦٢٠ ، وقال: « هذا حديث صحيح ، ولم يخرجاه».

(٣) لم أتمكن من معرفة موضعه في مستدرك الحاكم . وقد أخرجه الدارمي في سننه في المقدمة ، ج١: ١٠، وذكره القاضي عياض في الشفا ، ج١: ٥٧٣ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين ، وشيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح ، ج٤: ١٨٤، طبعة مطابع المجد.

(٤) في النسخة «ع» [رضي الله عنهما].

إلى أهلي. قال: هل لك إلى خير؟ قال: وما هو؟ قال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله. قال : هل من شاهد على ما تقول؟ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: هذه الشجرة . فدعاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهي على شاطئ الوادي ؛ فأقبلت تخد الأرض خدًا، فقامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثًا، فشهدت، ثم رجعت إلى منبتها... الحديث » . رواه[1] الدارمي[2]- أيضًا - بنحوه.

وفي حديث جابر بن عبدالله[3] قال: «سرنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى نزلنا بواد أفيح ، فذهب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقضي حاجتهً ، فاتبعته بإداوة[4] من ماء ، فنظر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فلم ير شيئًا يستتر به ، فإذا شجرتان في شاطئ الوادي ، فانطلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى إحداهما ، فأخذ بغصن من أغصانها ، فقال: انقادي عليَّ بإذن الله. فانقادت معه كالبعير المخشوش[5] الذي يصانع قائده. ثم

---

(١) انظر تخريج الدارمي له في الهامش السابق.

(٢) هو أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبدالصمد التميمي السمرقندي الدارمي. ولد سنة إحدى وثمانين ومائة من الهجرة ، ورحل إلى مصر والشام والعراق والحرمين في طلب العلم فبرز في علم الحديث والتفسير والفقه ، كان زاهدًا عابدًا حليمًا ، له مصنفات ، منها كتابه المشهور "سنن الدارمي". توفي في شهر ذي الحجة سنة خمس وخمسين ومائتين هجرية في مرو. (تذكرة الحفاظ ، ج٢: ٥٣٤).

(٣) في النسخة «ع» [رضي الله عنهما].

(٤) الإداوة - بالكسر - : المطهرة ، إناء صغير من جلد يتخذ للماء.

(٥) البعير المخشوش: هو البعير الصعب الذي يجعل في أنفه عود ، ويشد بحبل ؛ لتسهل قيادته إذا آلمه العود.

فعل بالأخرى كذلك . حتى إذا كان بالمنصف بينهما قال : التئما عليَّ بإذن الله - تعالى - فالتأمتا». الحديث رواه مسلم[1].

ومن آياته وعجائب معجزاته حنين الجذع شوقًا إليه - صلى الله عليه وسلم -. وقد روي عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة تفيد القطع بوقوعه.

فأخرج البخاري[2] من طرق عن جابر - رضي الله عنه - «أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار: ألا نجعل لك منبرًا. قال: إن شئتم. فجعلوا له منبرًا . فلما كان يوم الجمعة رُفِعَ إلى المنبر، فصاحت النخلة فنزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وضمها إليه ، فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكن ، قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها».

قال القاضي[3] : حديث حنين الجذع مشهور منتشر ، والخبر به متواتر، خرجه[4] أهل الصحيح ، ورواه من الصحابة بضعة عشر، منهم:

---

(١) في صحيح الإمام مسلم في كتاب : الزهد والرقائق ، باب : حديث جابر الطويل ، ج٤ : ٢٣٠٦، ترتيب محمد عبدالباقي.

(٢) في صحيح البخاري في كتاب: المناقب ، باب : علامات النبوة ، ج٤: ١٧٣ .

(٣) عياض في كتابه الشفا ، ج١: ٥٨١- ٥٨٢ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين.

(٤) في النسخة «س» [أخرجه].

أُبَيُّ بن كعب[١] ، وجابر بن عبدالله[٢] ، وأنس بن مالك[٣] ، وعبدالله ابن عمر[٤] ، وعبدالله بن عباس[٥] ، وسهل بن سعد[٦] ، وأبو سعيد

---

(١) هو أُبَيُّ بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي ، صحابي جليل ، شهد بدراً وما بعدها ، وكان - رضي الله عنه - ممن جمع القرآن الكريم. وقد اختلف في تاريخ وفاته ، فقيل : سنة عشرين ، وقيل: اثنتين وعشرين ، وقيل: ثلاثين من الهجرة. (تهذيب التهذيب، ج١: ١: ١٨٧).
وانظر تخريج روايته في سنن الدارمي ، ج١: ١٧.

(٢) تقدم تخريج روايته.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب : المناقب ، باب : آيات إثبات النبوة ، الحديث رقم ٣٦٢٧، ج٥: ٥٩٤ ، تحقيق إبراهيم عطوة. قال الترمذي: «حديث أنس حديث حسن صحيح».
وأخرجه الدارمي في سننه في باب : إكرام النبي بحنين الجذع ، ج ١: ١٩.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب : المناقب ، باب : علامات النبوة ، ج٤: ١٧٣.
وأخرجه الترمذي في سننه في كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في الخطبة على المنبر ، ج٢: ٣٧٩ ، تحقيق إبراهيم عطوة. قال الترمذي: «حديث ابن عمر حديث حسن غريب صحيح».

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند ، الحديث رقم ٣٤٣٠ ، ج٥: ١٤٤ ، تحقيق أحمد شاكر. قال المحقق: «إسناده صحيح».
وأخرجه الدارمي في السنن ، باب : حنين الجذع ، ج١: ١٩.

(٦) هو أبو العباس سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة الأنصاري الساعدي ، من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم-، توفي في المدينة سنة ٨٨ من الهجرة. (تهذيب التهذيب ، ج٤: ٢٥٢).
وقد أخرج روايته في حنين الجذع الإمام البخاري في كتاب : الصلاة ، ج١: ١١٥. والدارمي في باب : إكرام النبي بحنين الجذع ، ج١: ١٩. والبيهقي في دلائل النبوة ، باب : ذكر المنبر، ج٢: ٢٧٣ ، تحقيق عبدالرحمن عثمان.

الخدري[1]، وبريدة[2]، وأم سلمة[3]، والمطلب بن أبي وداعة[4].

وقال البيهقي[5]: «قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التي حملها الخلف عن السلف».

وقال الشافعي[6] فيما نقله عنه ابن أبي حاتم[7] في مناقبه: «ما أعطى الله نبيًا ما أعطى نبينا محمدًا - عليه أفضل الصلاة والسلام -. فقيل له: أُعْطي عيسى إحياء الموتى، قال: أُعْطي محمد حنين الجذع حتى سُمِعَ صوته فهو أكبر من ذلك».

---

(١) رواية أبي سعيد أخرجها الدارمي في سننه في باب: إكرام النبي - صلى الله عليه وسلم - بحنين الجذع، ج١: ١٨.

(٢) هو بريدة بن الحصيب بن عبدالله بن الحارث الأسلمي، أسلم قبل بدر، ولم يشهدها، وشهد خيبر وفتح مكة، واستعمله النبي على صدقات قومه، وسكن المدينة، ثم انتقل إلى البصرة، ثم إلى مرو، وتوفي بها سنة ثلاث وستين من الهجرة. (طبقات ابن سعد، ج٧: ٨).
وروايته عن حنين الجذع أخرجها الدارمي في سننه في باب: إكرام النبي، ج١: ١٦.

(٣) هي هند بنت أبي أمية حذيفة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم المخزومية، كانت زوجًا لأبي سلمة ابن عبدالأسد، فمات عنها، فتزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سنة اثنتين من الهجرة. وتوفيت في المدينة في شوال سنة تسع وخمسين من الهجرة. (تهذيب التهذيب، ج١٢: ٤٥٥).
وروايتها أخرجها البيهقي في دلائل النبوة، ج٢: ٢٨١، تحقيق عبدالرحمن عثمان.

(٤) هو المطلب بن أبي وداعة الحارث بن أبي صبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم السهمي القرشي، وأمه أروى بنت الحارث بن عبدالمطلب، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن حفصة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم -، سكن المدينة، وتوفي بها. (أسد الغابة ج٤: ٣٧٤).
وروايته أخرجها الإمام أحمد، وذكرها القاضي عياض في كتابه الشفا، ج١: ٥٨٢، تحقيق محمد أمين قرة. والقسطلاني في كتابه المواهب اللدنية، ج١: ٤٧٦، الطبعة الأولى.

(٥) في دلائل النبوة، باب: ذكر المنبر، ج٢: ٢٨١، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، الطبعة الأولى.

(٦) انظر كتاب أدب الشافعي ومناقبه، لابن أبي حاتم، ج١: ٨٣، تحقيق عبدالغني عبدالخالق.

(٧) تقدمت ترجمته في ص (٨٥).

نطق الحيوانات له

ومن آياته كلام الحيوانات وطاعتها له - صلى الله عليه وسلم -، فمن ذلك سجود الجمل، وشكواه إليه.

أخرج الإمام أحمد[1] والنسائي[2] عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه، وأنه استصعب عليهم، ومنعهم ظهره، وأن الأنصار جاءوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقالوا: إنه كان لنا جمل نسني عليه، وأنه استصعب علينا، ومنعنا ظهره، وقد عطش النخل والزرع، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه: قوموا. فقاموا، فدخل الحائط والجمل في ناحية، فمشى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نحوه، فقالت الأنصار: يا رسول الله، قد صار مثل الكلْب الكَلِب[3]، وإنا نخاف عليك صولته. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ليس عليَّ منه بأس فلما نظر الجمل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أقبل نحوه، حتى خرَّ ساجدًا بين يديه، فأخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بناصيته أذل ما كان قط،

---

(١) في المسند، ج٣: ١٥٨، ١٥٩، طبعة المكتب الإسلامي. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج٩: ٤): «رجاله رجال الصحيح غير حفص ابن أخي أنس، وهو ثقة» وقال المنذري: «إسناده جيد، ورواته ثقات مشهورون». (إرواء الغليل، ج٧: ٥٥).

(٢) طلبت هذه الرواية في مظانها من سنن النسائي، فلم أتمكن من معرفة موضعها. وقد أوردها الحافظ ابن كثير في كتابه شمائل الرسول، ص٢٥٨، تحقيق مصطفى عبدالواحد، وقال ابن كثير: «إسناده جيد، وقد روى النسائي بعضه من حديث خلف بن خليفة».

(٣) الكَلِب - بفتح الكاف وكسر اللام -: هو الكلب الذي ضرى، وتعود أكل لحوم الناس؛ فأخَذه لذلك سعار وداء شبه الجنون.

حتى أدخله في العمل ، فقال له أصحابه: يا رسول الله ، هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك؟ ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، من عظم حقه عليها».

وقد ورد في هذا المعنى عدة أحاديث من طرق تدل على تعدد القصة.

ومن ذلك قصة الذئب.

أخرج الإمام أحمد[1] بسند جيد عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: «عدا الذئب على شاة ، فأخذها ، فطلبه الراعي فأخذها منه ، فأقعى[2] الذئب على ذنبه ، وقال: ألا تتقي الله ؛ تنزع مني رزقًا ساقه الله إليَّ. فقال الراعي: يا عجبًا! ذئب[3] مقعٍ على ذنبه يكلمني بكلام الإنس! فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد بيثرب[4] يخبر الناس بأنباء ما قد سبق . قال : فأقبل الراعي يسوق غنمه ، حتى دخل المدينة ، فزواها إلى زاوية من زواياها ، ثم أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبره...» الحديث .

---

(١) في مسند الإمام أحمد ، ج٣: ٨٣ ، ٨٤ ، طبعة المكتب الإسلامي ، وأخرجه - أيضًا - أبو نعيم في دلائل النبوة ، ص ٣١٨.

(٢) أقعى: ألصق استه بالأرض ، ونصب ساقيه وفخذيه ، ووضع يديه على الأرض .

(٣) في النسخة «س» [ذيب] .

(٤) يثرب : المدينة المنورة .

واعلم أن قصة كلام الذئب جاءت من عدة طرق - أيضًا - من حديث أبي هريرة[1] ، وأنس ، وابن عمر ، وجاءت أحاديث - أيضًا - في كلام الحمار وكلام الضب وكلام الغزالة[2]، ولكن لا تخلو أسانيدها عن مقال.

نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره

ومن آياته نبع الماء من بين أصابعه - صلى الله عليه وسلم -.

قال القرطبي: قصة نبع الماء من بين أصابعه قد تكررت في عدة مواطن في مشاهد عظيمة ، ووردت من طرق كثيرة ، يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي ، ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا - صلى الله عليه وسلم -[3].

وقد نقل ابن عبدالبر عن المزني[4] أنه قال: «نبع الماء من بين أصابعه - صلى الله عليه وسلم - أبلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسى بالعصا ، فتفجرت منه المياه؛ لأن خروج الماء من الحجارة معهود ، بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم » . انتهى.

وقد روي حديث نبع الماء عن جماعة من الصحابة ، منهم : أنس ، وجابر ، وابن مسعود.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ، ج٢: ٤٨٣ ، تحقيق محمد رواس . وذكره القاضي عياض في الشفا ، ج ١ : ٥٩٦ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين. والهيثمي في مجمع الزوائد، ج٨: ٢٥٢، وقال: «رواه أحمد ، ورجاله ثقات».

(٢) ذكر هذه الروايات القاضي عياض في كتابه الشفا، ج٢: ٥٩٥ ، ٥٩٧ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين.

(٣) تفسير القرطبي ، ج١: ٤٢١ ، الطبعة الثالثة .

(٤) هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق ، ولد سنة خمس وسبعين ومائة، إمام جليل من أصحاب الشافعي ، كان زاهداً ومتقللاً من الدنيا مجاب الدعوة ، توفي في مصر في شهر رمضان سنة أربع وستين ومائتين. (وفيات الأعيان ، ج١: ٢١٧).

ففي الصحيحين[1] عن أنس[2] قال: «رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وحانت صلاة العصر، والتمس الناس الوضوء، فلم يجدوه، فأتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بوضوء، فوضع يده في ذلك الإناء ، فأمر الناس أن يتوضؤوا منه ، فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه ، فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم ».

وفي البخاري[3] أنهم كانوا ثمانين رجلاً . وفي لفظ : «فجعل الماء ينبع من بين أصابعه حتى توضأ القوم. قال: فقلت لأنس : كم كنتم؟ قال: ثلاثمائة ».

وفي الصحيحين[4] أيضًا عن جابر - رضي الله عنه - قال: «عطش الناس يوم الحديبية[5] فأتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبين يديه ركوة[6]، فقالوا: ليس عندنا ما نتوضأ به ، ولا نشرب إلا ما في ركوتك . فوضع - صلى الله عليه وسلم - يده في الركوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ، فتوضأنا، وشربنا. قيل لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة».

---

(١) في صحيح البخاري في كتاب: المناقب ، باب: علامات النبوة، ج٤: ١٦٩، ١٧٠.
وفي صحيح مسلم في كتاب: الفضائل ، باب : معجزات النبي ، ج٤: ١٧٨٣ ، تحقيق محمد عبدالباقي.

(٢) في النسخة «ع» [رضي الله عنه] .

(٣) في صحيح البخاري في كتاب : المناقب ، باب : علامات النبوة ، ج٤: ١٧٠.

(٤) في صحيح البخاري في كتاب : المغازى ، ج٥: ٦٣ ، وفي كتاب : المناقب ، باب : علامات النبوة، ج٤: ١٧٠، وفي صحيح مسلم مختصراً في كتاب: الإمارة ، باب: استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال، ج٣: ١٤٨٤، تحقيق محمد عبدالباقي.

(٥) الحديبية: موقع قرب مكة من جهة المدينة، أقام فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - هو وأصحابه في شهر ذي القعدة سنة ست من الهجرة، وعقدت فيه بيعة الرضوان المشهورة، وصلح الحديبية بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأهل مكة . (البداية والنهاية ، ج٤: ١٧٠).

(٦) الركوة : إناء صغير من جلد ، يشرب فيه.

وفي صحيح مسلم[1] عن جابر قصة نبع الماء في غزوة بواط[2] -أيضًا- وفيه قال: « فرأيت الماء يفور من بين أصابعه، ثم فارت الجفنة[3]، واستدارت، حتى امتلأت، وأمر الناس بالاستقاء، فاستقوا حتى رووا...» الحديث.

وفي الصحيحين عن ابن مسعود[4] قال: «بينما نحن مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سفر وليس معنا ماء، فقال لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : اطلبوا من معه فضل ماء، فأتي بماء، فصبَّه في إناء، ثم وضع كفه فيه، فجعل الماء ينبع من بين أصابع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل». أخرجه البخاري[5] والترمذي[6] والنسائي[7].

ومما يشبه ذلك تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسِّه ودعوته.

وروى مسلم في صحيحه[8] عن معاذ - رضي الله عنه - قصة عين

---

(١) في صحيح مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، ج٤: ٢٣٠٨، ترتيب محمد عبدالباقي.

(٢) بواط: جبل يقع قرب ينبع على بعد أربعة برد من المدينة، وقد وقعت فيه الغزوة المذكورة في شهر ربيع الأول سنة اثنتين من الهجرة النبوية.

(٣) الجفنة: كالقصعة، نوع من أواني الطعام، كانت تصنع من الخشب، وجمعها جفان، وجفنات.

(٤) في النسخة «ع» [رضي الله عنه].

(٥) في صحيح البخاري في كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة، ج٤: ١٧١.

(٦) في سنن الترمذي، باب: تسبيح الماء وتكثيره، ج٩: ٢٥٢، تحقيق عزت عبيد. قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٧) في سنن النسائي، باب: الوضوء من الإناء، ج١: ٦٠، طبعة المكتبة التجارية.

(٨) في صحيح مسلم في كتاب: الفضائل، باب: معجزات النبي، ج٤: ١٧٨٤، ترتيب محمد عبدالباقي.

تبوك[1] أنهم جاؤوها وهي تبضُّ[2] بشيء من ماء مثل الشراك[3].

قال: «ثم غرفوا من العين قليلاً قليلاً، حتى اجتمع في شيء، ثم غسل وجهه ويديه، ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير، فاستقى الناس».

وعن ابن إسحاق: «فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق».

وفي صحيح البخاري[4] في غزوة[5] الحديبية من حديث المسور[6] ابن مخرمة، ومروان[7]: « أنهم نزلوا بأقصى الحديبية على ثَمْد[8] قليل الماء، يتبرضه[9] الناس تبرضًا، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه، وشكوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العطش، فانتزع سهمًا من كنانته[10]، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله، ما زال يجيش بالري، حتى صدروا عنه ».

---

(١) تبوك: مدينة مشهورة ومزدهرة، تقع في شمال الجزيرة العربية.

(٢) تبض: أي تسيل.

(٣) الشراك: سير النعل. والمعنى في الحديث: ماء قليل جدًا.

(٤) في صحيح البخاري في كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد، ج٣: ١٧٨.

(٥) وقعت هذه الغزوة في شهر ذي القعدة سنة ست من الهجرة.

(٦) هو أبو عبدالرحمن المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري، ولد بمكة بعد الهجرة بسنتين، وتوفي بمكة سنة ثلاث وستين من الهجرة. (أسد الغابة، ج٤: ٣٦٥).

(٧) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، ولد بمكة سنة اثنتين من الهجرة، ونشأ بالطائف، وسكن المدينة، استعمله الخليفة عثمان بن عفان كاتباً له، واستعمله معاوية على المدينة، ثم ذهب إلى الشام، فبايعه أهلها، فأحسن تدبيرها، ثم ذهب إلى مصر، فصالحه أهلها، وجعل عليها ابنه عبد الملك، وعاد إلى دمشق، حيث مات فيها بالطاعون سنة خمس وستين من الهجرة. (أسد الغابة، ج ٤ : ٣٤٨، تهذيب التهذيب، ج ١٠ : ٩١).

(٨) ثَمْد - بفتح الثاء، وسكون الميم - : الماء القليل الذي لا ماد له.

(٩) يتبرضه الناس: يأخذونه قليلا قليلا.

(١٠) كنانته: الكنانة - بكسر الكاف وفتح النون - جعبة السهام التي تحفظ بها تتخذ من الجلود، والجمع كنائن على وزن فعائل.

وفي رواية [1]: « أنه - صلى الله عليه وسلم - توضأ ، ومجَّ في بئر الحديبية من فمه ، فجاشت بالماء كذلك ».

وفي بعض الطرق عند غير البخاري: «أنه توضأ في الدلو ومضمض فاه ، ثم مج فيه ، وأمر أن يصب في البئر، ونزع سهمًا من كنانته، فألقاه في البئر، ودعا الله ، ففارت بالماء ، حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها وهم جلوس على شفتها». فجمع بين الأمرين.

وفي حديث البراء[2] وسلمة بن الأكوع[3]، مما رواه البخاري[4] في قصة الحديبية ، وهم أربع عشرة مائة ، وبئرها لا تروي خمسين شاة، فنزحناها، فلم نترك فيها قطرة، فقعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على جباها[5]. قال البراء: وأتي بدلو منها[6]، فبصق ، ودعا ، وقال سلمة: فإما دعا ، وإما بصق فيها، فجاشت[7]، فأرووا أنفسهم وركابهم.

---

(١) في صحيح البخاري في كتاب : المغازي ، باب : غزوة الحديبية ، ج ٥: ٦٢ ، طبعة إستانبول.

(٢) هو البراء بن مالك بن النضر الأنصاري ، من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا بدرًا ، وشهد وقعة اليمامة، واقتحم الحديقة على مسيلمة الكذاب، وفتح بابها للمسلمين. توفي - رضي الله عنه - سنة عشرين من الهجرة . (أسد الغابة ج١: ٢٧٢).

(٣) هو سلمة بن عمرو بن سنان الأكوع الأسلمي ، صحابي جليل ، من الذين بايعوا تحت الشجرة عام الحديبية، شهد مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - سبع غزوات، كان شجاعًا، وتوفي بالمدينة سنة أربع وسبعين من الهجرة. (طبقات ابن سعد، ج٤: ٣٠٥).

(٤) في صحيح البخاري في كتاب: المغازي، باب: غزوة الحديبية، ج ٥: ٦٢، طبعة إستانبول.

(٥) جباها: أي شفيرها .

(٦) في النسخة «س» [بدلو فيها].

(٧) فجاشت : أي ارتفعت ، وفاضت الماء.

وفي الصحيحين[1] عن عمران بن حصين[2] قال : « كنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في سفر، فاشتكى إليه الناس من العطش ، فنزل ودعا[3] فلانًا ، ودعا عليًّا[4]، وقال: اذهبا ، فاسقيا الماء ، فانطلقا، فتلقيا[5] امرأة بين مزادتين[6] أو سطيحتين[7] من ماء ، فجاءا بها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فاستنزلوها عن بعيرها ، ودعا النبي - صلى الله عليه وسلم - بإناء ، ففرغ فيه من أفواه المزادتين أو السطيحتين ، وأوكى أفواههما ، وأطلق العزالى[8]، ونودي في الناس: اسقوا ، واستقوا ، فسقى من سقى ، واستقى من شاء . وهي قائمة تنظر إلى ما يفعل بها ، وأيم الله ، لقد أقلع عنها وأنه ليخيل إلينا أنها أشد ملأة منها حين ابتدأ فيها...» الحديث.

وفيه : «أنها لما أتت إلى قومها قالت : والله ، إنه لأسحر الناس كلهم أو إنه رسول الله ، وقالت لهم: فهل لكم في الإسلام؟...» الحديث.

---

(١) في صحيح البخاري في كتاب : التيمم ، باب : الصعيد الطيب وضوء المسلم ، ج١: ٨٩ ، طبعة إستانبول. وفي صحيح مسلم في كتاب : المساجد ، باب : قضاء الصلاة الفائتة ، ج ١ : ٤٧٥ ، ترتيب محمد عبد الباقي .

(٢) هو أبو نجيد عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي ، أسلم عام خيبر ، روى عن النبي ، وعن معقل بن يسار ، تولى قضاء الكوفة ، وسكن البصرة ، وبها توفي سنة اثنتين وخمسين من الهجرة . (أسد الغابة ، ج٤: ١٣٧).

(٣) في النسخة «س» [فدعا] بالفاء .

(٤) هو الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - . وقد تقدم التعريف به.

(٥) في النسخة «س» [فلقيا] بدون تاء .

(٦) المزادتين: تثنية مزادة ، وهي القربة الكبيرة التي زيد فيها من جلد آخر.

(٧) السطيحتين : تثنية سطيحة ، وهي القربة الكبيرة.

(٨) العزالى - بالعين المهملة - جمع عزلاء ، وهو المثعب السفلي للمزادة الذي يفرغ منه الماء.

وعن أنس[1] قال: «أصاب الناس سنة على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فبينما النبي - صلى الله عليه وسلم - يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي ، فقال: يا رسول الله ، هلك المال ، وجاع العيال؛ فادع الله لنا . فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة ، فوالذي نفسي بيده ، ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته . فمُطرنا يومنا ذلك ، ومن الغد ، وبعد الغد حتى الجمعة الأخرى. وقام ذلك الأعرابي أو غيره ، فقال : يا رسول الله ، تهدم البناء ، وغرق المال ؛ فادع الله لنا. فرفع يديه وقال: اللهم حوالينا ولا علينا. فما يشير إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت ، وصارت المدينة في مثل الجوبة [2]، وسال وادي قناة [3] شهراً ، ولم يجئ أحد من ناحيته إلا حدَّث بالجود». رواه البخاري[4] ومسلم[5] .

تكثير الطعام

ومن آياته - صلى الله عليه وسلم - تكثير الطعام القليل ببركته ودعائه .

---

(١) في النسخة «ع» [رضي الله عنه]

(٢) الجوبة : الفجوة .

(٣) وادي قناة : واد من أودية المدينة .

(٤) في صحيح البخاري في كتاب : الاستسقاء ، باب : من تمطر بالمطر ، ج٢: ٢٢ ، طبعة إستانبول، المكتبة الإسلامية ، ١٩٧٩م.

(٥) في صحيح مسلم في كتاب : الاستسقاء ، باب : الدعاء في الاستسقاء ، ج٢: ٦١٣، ٦١٤ ، ترتيب محمد عبدالباقي.

في الصحيحين[1] ، عن جابر في حديثه في غزوة الخندق[2] قال: «فانكفأت[3] إلى امرأتي ، فقلت: هل عندك شيء؟؛ فإني رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - خمصًا[4] شديدًا ، فأخرجت جرابًا[5] فيه صاع من شعير ، ولنا بهيمة[6] داجن[7] فذبحتها ، وطحنتَ الشعير ، حتى جعلنا اللحم في البرمة[8] ، ثم جئت النبي - صلى الله عليه وسلم - فساررته ، فقلت: يا رسول الله ، ذبحنا بهيمة[9] لنا ، وطحنا صاعًا من شعير، فتعال أنت ونفر معك ، فصاح النبي - صلى الله عليه وسلم - : يا أهل الخندق ، إن جابرًا صنع سؤرًا[10] فحي هلا بكم . وقال - صلى الله عليه وسلم -: لا تنزلن برمتكم ، ولا تخبزن عجينكم حتى آتي. فأخرجت له عجينًا ، فبصق فيه ، وبارك ، ثم عمد إلى برمتنا فبصق ، وبارك ، ثم قال: ادع خابزة فلتخبز معك ، واقدحي[11] من برمتكم ، ولا تنزلوها. وهم ألف.

---

(١) في صحيح البخاري في كتاب : المغازى ، باب : غزوة الخندق ، ج٥: ٤٦ ، ٤٧ ، طبعة إستانبول.
وفي صحيح مسلم في كتاب : الأشربة ، باب : استتباعه غيره ، ج٣: ١٦١٠ ، ١٦١١ ، ترتيب محمد عبدالباقي.
(٢) هذه الغزوة وقعت في شوال سنة خمس من الهجرة.
(٣) انكفأت: انقلبت ، ورجعت.
(٤) خمصا: أي خالي البطن من الطعام.
(٥) الجراب - بكسر الجيم - : وعاء من الجلد .
(٦) البهيمة: تصغير بهمة ، وهو الصغير من أولاد الضأن.
(٧) الداجن: ما ألف البيوت.
(٨) البرمة: القدر.
(٩) في النسخة «س» [ذبحنا شاة بهيمة].
(١٠) في النسخة «س» [سورا]، وهو موافق للفظ رواية مسلم، والمعنى واحد، وهو الطعام.
(١١) واقدحي: أي اغرفي ، والمقدح: المغرفة ، وتصنع من الخشب وغيره ، لها يد طويلة.

فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه ، وانحرفوا ، وإن برمتنا لتغط[1] كما هي ، وإن عجيننا ليخبز كما هو».

وفي الصحيحين[2] - أيضًا - قصة إطعام النبي - صلى الله عليه وسلم- القوم الذين كانوا سبعين أو ثمانين رجلاً من أقراص شعير أرسلت بها أم سليم[3] تحت يد أنس ، وأنهم أكلوا حتى شبعوا.

وجاءت روايات عدة عن أنس في هذا المعنى تدل على تعدد القصة.

وفي صحيح مسلم[4] عن أبي هريرة[5] قال: «لما كان غزوة تبوك[6] أصاب الناس مجاعة ، فقال عمر: يا رسول الله ، ادعهم بفضل أزوادهم ، ثم ادع الله لهم بالبركة[7]، فقال : نعم . فدعا بنطع[8]، فبُسِط ، ثم دعا بفضل أزوادهم ، فجعل الرجل يجيء بكف

---

(١) تغط: تغلي بالطعام .

(٢) في صحيح البخاري في كتاب : المناقب ، باب : علامات النبوة ، ج٤: ١٧١ ، طبعة إستانبول.
وفي صحيح مسلم في كتاب : الأشربة ، باب : استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه ، ج٣: ١٦١٢، ترتيب محمد عبدالباقي.

(٣) هي بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام الأنصارية. وقد اختلف في اسمها ، وهي أخت حرام بن ملحان ، كانت زوجًا لمالك بن النضر، فولدت له أنسًا ، فلما بعث محمد - صلى الله عليه وسلم - أسلمت ، وعرضت على زوجها الإسلام ، فغضب عليها ، وخرج إلى الشام ، فمات فيه ، فتزوجت بعده أبا طلحة الأنصاري. روت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وخرجت غازية معه في حنين، وكان معها خنجر اتخذته ؛ لتبقر به بطن من يدنو منها (الإصابة ، ج ٨ : ٢٢٧) .

(٤) في صحيح مسلم في كتاب : الإيمان ، ج١ : ٥٦ ، ٥٧ ، ترتيب محمد عبدالباقي.

(٥) في النسخة «ع» [رضي الله عنها].

(٦) غزوة تبوك في شهر رجب سنة تسع من الهجرة .

(٧) في النسخة «س» [ثم ادع الله لهم عليها بالبركة] .

(٨) النطع: بساط من جلد.

ذرة، ويجيء الآخر بكسرة ، حتى اجتمع من ذلك شيء يسير ، فدعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالبركة ، ثم قال : خذوا في أوعيتكم. فأخذوا في أوعيتهم ، حتى ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملؤوه . قال : فأكلوا حتى شبعوا ، وفضلت فضلة ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍّ ، فيحجب عن الجنة».

وفي الصحيحين [1] عن أنس قصة إطعام النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه ، وكانوا زهاء ثلاثمائة رجل - من حيس [2] أرسلت به أم سليم مع أنس ، وأنهم أكلوا عشرة عشرة حتى شبعوا. قال أنس: «فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت؟ ».

وعن سمرة بن جندب [3]، قال : «كنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - نتداول من قصعة من غدوة حتى الليل ، يقوم عشرة، ويقعد عشرة ، قلنا : فما كانت تمد؟ قال : من أي شيء يعجب؟ ما كانت تمد إلا من ههنا. وأشار بيده إلى السماء». رواه

---

(١) في صحيح البخاري في كتاب : المناقب ، باب : علامات النبوة ، ج٤: ١٧١ ، طبعة إستانبول.
وفي صحيح مسلم في كتاب : النكاح ، باب : زواج زينب بنت جحش ، ج٤: ١٠٥١ ، ترتيب محمد عبدالباقي.

(٢) الحيس: خلط التمر بالسمن والأقط.

(٣) هو أبو سعيد سمرة بن جندب بن هلال بن جريج بن مرة بن حزم بن عمرو الفزاري ، صحابي جليل، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبي عبيدة. وقد تولى إمارة البصرة ، فكان عظيم الأمانة صدوق الحديث ، توفي بالبصرة سنة ثمان وخمسين من الهجرة . (طبقات ابن سعد ، ج٧: ٤٩).

الترمذي[1] والدارمي[2].

وعنه[3] قال: «أتي النبي - صلى الله عليه وسلم - بقصعة فيها لحم، فتعاقبوها من غدوة حتى الليل، يقوم قوم، ويقعد آخرون، فقال رجل لسمرة: هل كانت تمد؟ قال: ما كانت تمد إلا من ههنا. وأشار إلى السماء». رواه الدارمي[4]، وابن أبي شيبة[5]، والترمذي[6]، والحاكم[7]، والبيهقي[8]، وصححوه، وأبو نعيم[9].

وفي حديث عبدالرحمن بن أبي بكر[10]: «كنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ثلاثين ومائة، وذكر الحديث، وأنه عُجِن صاع،

---

(1) سنن الترمذي في كتاب: المناقب، ج9: 246، تحقيق عزت عبيد، قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(2) في سنن الدارمي، ج1: 30، طبعة دار إحياء السنة النبوية، مع الاختلاف في لفظ: «يقوم عشرة، ويقعد عشرة»، فلفظ رواية الدارمي: «يقوم، ويجلس آخرون».

(3) أي: سمرة بن جندب

(4) تقدم ذكر موضعه في سنن الدارمي.

(5) هو أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة العبسي - مولاهم - الكوفي، ولد سنة تسع وخمسين ومائة، من حفاظ الحديث، روى عن الإمام البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه وأبو يعلى، وله تصانيف في الحديث، منها المسند والمصنف، وثَّقه ابن حبان. توفي سنة خمس وثلاثين ومائتين من الهجرة.

(6) تقدم ذكر موضعه في سنن الترمذي.

(7) أخرجه الحاكم في المستدرك، ج2: 618، الطبعة الأولى. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه».

(8) لم أتمكن من معرفة موضعه في دلائل النبوة للبيهقي.

(9) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة، ص 367، الطبعة الثانية.

(10) هو عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق، شقيق عائشة أم المؤمنين. أسلم قبل فتح مكة، وروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن أبيه. كان - رضي الله عنه - رجلاً صالحًا، توفي في حبشى على أميال من مكة سنة ثلاث وخمسين من الهجرة. (الإصابة، ج4: 325).

وصُنعت شاة ، فشوى سواد بطنها ، قال فما من الثلاثين ومائة إلا وقد حزله من سواد بطنها. ثم جعل منها قصعتين ، فأكلنا أجمعون ، وفضل في القصعتين ، فحملته على البعير». رواه البخاري[1] .

والأحاديث في مثل هذه كثيرة.

إجابة دعائه

ومن آياته إجابة دعائه - صلى الله عليه وسلم -. وهذا باب واسع جدًا ، وإجابة دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - لجماعة بما دعا لهم متواتر على الجملة ، معلوم ضرورة.

وقد جاء في حديث حذيفة[2]: « كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولدهُ وولَدَ ولده »[3].

وأخرج البخاري[4] عن أنس[5] قال : « قالت أمي : يا رسول الله ، خادمك أنس ؛ ادع الله له . قال : اللهم أكثرْ ماله وولده ، وبارك له فيما آتيته ».

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب : الهبة ، باب : قبول الهدية ، ج٣: ١٤١ ، طبعة إستانبول . ومسلم في كتاب : الأشربة ، باب : إكرام الضيف ، ج٣: ١٦٢٧ ، ترتيب محمد عبدالباقي .

(٢) في النسخة «ع» [رضي الله عنه].

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ، ج٥: ٣٨٥ ، طبعة المكتب الإسلامي ، والقاضي عياض في الشفا، ج١: ٦٢٥ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب : الدعوات ، باب : الدعاء بكثرة المال والولد مع البركة ، ج٧: ١٦١. ومسلم في كتاب : الفضائل ، باب : من فضائل أنس بن مالك ، ج٤:١٩٢٨ ، تحقيق محمد عبدالباقي.

(٥) في النسخة «ع» [رضي الله عنه].

وفي رواية [1] : قال أنس: «فوالله إن مالي لكثير ، وإن ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم على نحو المائة ». وفي رواية: «وما أعلم أحداً أصاب من رخاء العيش ما أصبت ، ولقد دفنت بيدي هاتين مئة من ولدي ، لا أقول : سقط[2] ، ولا ولد ولد».

قال القاضي أبو الفضل[3]: ومن هذا دعاؤه لمعاوية بالتمكين في البلاد ، فنال الخلافة. ولسعد بن أبي وقاص أن يجيب الله دعوته ، فما دعا على أحد إلا استجيب له. ودعا بعز الإسلام بعمر[4] أو بأبي جهل[5]، فاستجيب له في عمر[6]. قال ابن مسعود[7]: «مازلنا أعزة منذ أسلم عمر».

وأصاب الناس في بعض مغازيه عطش ، فسأله عمر الدعاء ، فجاءت سحابة ، فسقتهم حاجتهم ، ثم أقلعت.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب : الفضائل ، باب : من فضائل أنس بن مالك ، ج٤: ١٩٢٩ ، ترتيب محمد عبدالباقي.

(٢) السقط: هو الجنين تسقطه المرأة قبل تمامه .

(٣) عياض في كتابه الشفا ، ج١ : ٦٢٧ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين.

(٤) هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. وتقدمت ترجمته في ص (٣١٦) .

(٥) هو عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، أحد صناديد قريش ، ومن أشد المشركين عداوة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وقد قُتِل كافراً في وقعة بدر سنة اثنتين من الهجرة. (السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج١ : ٢٧٧).

(٦) رواه ابن إسحاق عن خباب بن الأرت. انظر السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج١ : ٣٦٧، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

(٧) رواه ابن إسحاق . (السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج ١ : ٣٦٤ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد) .

ودعا في الاستسقاء، فسقوا، ثم شكوا إليه ضرر المطر، فدعا، فصحوا[1].

وقال للنابغة[2] : «لا يفضض الله فاك». فما سقطت له سن. وفي رواية: «فكان أحسن الناس ثغراً ، إذا سقطت له سن نبتت له أخرى». وعاش عشرين ومائة ، وقيل أكثر من هذا[3].

ودعا لابن عباس : « اللهم ، فقِّهه في الدين ، وعلِّمْه التأويل »[4]. فسُمِّي بعدُ الحَبْر وترجمان القرآن.

---

(١) رواه البخاري ومسلم . وقد تقدم تخريجه.

(٢) هو عبدالله بن قيس بن جعدة بن كعب بن ربيعة ، ويكنى أبا ليلى ، وكان معمراً عاش أكثر من مائة سنة، وهو شاعر جاهلي ، وفد على الرسول - صلى الله عليه وسلم - مسلماً ، وأنشده قصيدته الرائية وهي نحو مائة بيت ، ومنها قوله:

أتيت رسولَ الله إذ جاء بالهدى ... ويتلو كتابًا كالمجرة نيِّرا

بلغنا السماء مجدُنا وجدودنا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: إلى أين يا أبا ليلى؟ فقال: إلى الجنة ، يا رسول الله. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: إن شاء الله، ثم أنشد النابغة قوله:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له ... بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: لا يفضض الله فاك . فبقي عمره لم تنقض له سن.

(انظر كتاب الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، ج١ : ٢٨٩ ، تحقيق أحمد شاكر ، وجمهرة أشعار العرب، لأبي زيد القرشي ، ص٢٧٥ ، والبداية والنهاية ، لابن كثير، ج٦ : ١٦٨ ، ط٣).

(٣) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ، ص٣٩٣، والقاضي عياض في الشفا، ج١ : ٦٢٨، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين ، وابن كثير في البداية والنهاية ، ج٦ : ١٦٨ ، ط٣.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، ج٤ : ٢١٧، طبعة إستانبول. ومسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل عبدالله بن عباس، ج٤ : ١٩٢٧، ترتيب محمد عبدالباقي.

ودعا لعبدالله بن جعفر[1] بالبركة في صفقة يمينه ، فما اشترى شيئًا إلا ربح فيه[2].

ودعا للمقداد بالبركة ، فكان عنده غرائر من المال.[3]

ودعا بمثله لعروة بن أبي الجعد[4] فقال : « لقد كنت أقوم بالكُناسة ، فما أرجع حتى أربح أربعين ألفًا»[5].

وقال البخاري في حديثه: «فكان لو اشترى التراب ربح فيه»[6].

ودعا لأم أبي هريرة [7]، فأسلمت[8].

---

(١) هو عبدالله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي القرشي ، أبوه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولد بالحبشة زمن الهجرة الأولى ، روى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعن أمه أسماء بنت عميس وعن عمه علي وعثمان وغيرهم، وتوفي سنة ثمانين من الهجرة . (الإصابة ، ج٤: ٤٠).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ، ج٣: ٥٦٧ ، وقال: « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه». والقاضي عياض في الشفا ، ج١: ٦٢٥ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين.
والهيثمي في مجمع الزوائد ، ج٩: ٢٨٦ ، وقال : «رواه أبو يعلى والطبراني ، ورجالهما ثقات».

(٣) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ، ص٣٩٦ ، الطبعة الثانية.

(٤) هو عروة بن أبي الجعد الأزدي البارقي ، له صحبة ، وسكن الكوفة ، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعمر وسعد بن أبي وقاص.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب : المناقب ، باب : سؤال المشركين أن يريهم النبي آية ، ج٤: ١٨٧ ، طبعة إستانبول.

(٦) في صحيح البخاري في كتاب : المناقب ، باب: سؤال المشركين أن يريهم النبي - صلى الله عليه وسلم - آية ، ج٤: ١٨٧ ، طبعة إستانبول.

(٧) هي ميمونة ، وقيل : أميمة بنت صخر أو صفيح بن الحارث ، والدة أبي هريرة ، كانت مشركة ، فدعاها ابنها أبو هريرة إلى الإسلام ، فأبت ، فطلب من الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يدعو الله أن يهديها للإسلام ، فدعا لها الرسول ، فأسلمت. (الإصابة ، ج٧: ٥١٢).

(٨) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب : فضائل الصحابة ، باب : فضائل أبي هريرة ، ج٤: ١٩٣٨ ، ترتيب محمد عبدالباقي.

ودعا لعلي - رضي الله عنه - أن يُكْفَى الحـر والقر[1]، فكان يلبس في الشتاء ثيـاب الصيف ، وفي الصيف ثياب الشتاء ، ولا يصـيبه حر، ولا برد[2].

وسأله الطفـيل بن عمرو[3] آية[4] لقومه لما ذهب إليـهم يدعوهم إلى الإسـلام ، فقـال : « اللهـم ، نَـوِّرْ لـه » فـسـطع لــه نـور بين عينيه ، فقال: يا رب ، أخاف أن يقولوا مُـثلة. فتحول إلى طرف سوطه ، فكان يضيء في الليلة المظلمة ، فسُمِّي ذا النور[5].

ودعا على مضر[6] ، فأقحطوا حتى استعطفته قريش[7] ، فدعا لهم ، فسقوا[8].

(١) القر - بضم القاف وفتحها - : هو البرد أو شديد البرد.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه ، باب : فضل الإمام علي بن أبي طالب ، ج١: ٤٣ ، وأبو نعيم في دلائل النبوة ، ص٣٩٨. والقـاضي عياض في الشـفا ، ج١ : ٦٣٠ ، تحقـيق محمـد أمين قرة وآخرين. والهيثمي في مـجمع الزوائد، ج٩: ١٢٢ ، ط٣ ، وقال: « رواه الطبراني في الأوسط ، وإسناده حسن».

(٣) هو الطفـيل عـمـرو بن طريف بن العـاص بن ثـعلبـة بن سليم الأزدي الدوسي ، من كـبـار الصحـابة ، أسلم في مكة قبل الهجـرة ، ورجع إلى قومه ، ثم وافى النبـي - صلى الله عليه وسلم - في عمرة القضية ، وشهد فتح مكة ، ومـات في وقعـة اليمامة سنة إحدى عشرة من الهجرة . (الإصابة ، ج٣: ٥٢٢).

(٤) آية: علامة.

(٥) رواه ابن إسحاق. انظر السيرة ، لابن هشام،ج١: ٤٠٧، تحقيق محمد محيي الدين. والقاضي عيـاض في الشـفا ، ج١ : ٦٣١ ، تحقـيق محـمد أمين قـرة وآخرين. والحـافظ ابن حجـر في الإصابة ، ج٣: ٥٢٢ ، تحقيق البجاوي.

(٦) مضر: قبيلة من قبائل العرب ، مشهورة.

(٧) قريش: القبيلة المعروفة في الحجاز.

(٨) ذكره القاضي عياض في الشفا ، ج١ : ٦٣١ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين.

ودعا على كسرى[1] حين مَزَّق كتابه أن يمزق الله ملكه ، فلم تبق له باقيـة[2].

قال القاضي[3]: « ولم يبق لفارس رياسة في أقطار الدنيا ».

ودعا على صبي قطع عليه الصلاة أن يقطع الله أثره ، فأقعد[4].

وقـال لعتـبة بن أبي لـهب: «اللهم ، سَلِّط عليـه كلبًا من كـلابك». فأكله الأسد[5].

وحديثه المشهـور في الصحيحين[6] من رواية ابن مسـعود في دعائه على قريش حين وضـعوا السلى على رقبـته وهو ساجد ، وسـماهم ، قال: «فوالذي بعث محمـدًا بالحق ، لقد رأيت الذي سَمَّى صرعى يوم بدر ، ثم سُحِبوا إلى القليب قليب بدر».

إبـراء ذوي العـاهات

ومنها إبراء ذوي العاهات.

---

(١) كسرى : لقب لكل من ملك الفرس ، واسم هذا الملك أبرويز بن هرمز.

(٢) تقدم تخريجه في مبحث : إخبار النبي - صلى الله عليه وسلم - ببعض المغيبات.

(٣) عياض في كتاب الشفا ، ج١: ٦٣١ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين.

(٤) أخرجه أبو داود فـي سننه ، عن يزيد بن نمران في كتاب : الصلاة ، باب : مـا يقطع الصلاة ، ج١ :١٨٨، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

(٥) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ، ج٢: ٥٨٥ ، والقاضي عياض في الشفا ، ج١: ٦٣٢.

(٦) في صحـيح البخـاري في كتاب : مناقـب الأنصار ، باب : ما لقي من المـشركين بمكة ، ج٤: ٢٣٩، طبعة إستانبول .
وفي صحيح مسلم في : الجهاد ، باب : ما لقي النبي من أذى المشركين ، الحديث رقم ١٠٨ ، ج٣: ١٤١٩ ، ترتيب محمد عبدالباقي.

أخرج [1] الإمام عثمان بن سعيد الدارمي[2] عن ابن عباس - رضي الله عنه - «أن امرأة جاءت بابن لها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقالت: يا رسول الله ، إن ابني به جنون ، وإنه ليأخذه عند غدائنا وعشائنا . فمسح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صدره فتعَّ تعَّة ، وخرج من جوفه مثل الجرو[3] الأسود يسعى».

وفي حديث أبي سعيد في غزوة خيبر[4] أنه قال : « قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أين علي بن أبي طالب ؟ فقالوا : يا رسول الله ، هو يشتكي عينيه. قال : فأرسل إليه ، فأتي به ، فبصق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في عينيه ، ودعا له ؛ فبرئ ، حتى كأن لم يكن به وجع » . أخرجه البخاري[5].

وفي رواية مسلم[6] عن طريق إياس بن سلمة[7] عن أبيه قال : «فأرسلني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى علي ، فجئت به أقوده أرمد ، فبصق في عينيه ؛ فبرئ».

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه ، ج١: ١٢ مقدمة . والإمام أحمد في المسند ، ج ١ : ٢٥٤، طبعة المكتب الإسلامي. وأبو نعيم في دلائل النبوة ، ص٤٠٠ .

(٢) هو أبو سيعد الدارمي ، محدث هراة ، المتوفى عام ٢٨٠ هـ.

(٣) الجرو: ولد الكلب والسبع.

(٤) في شهر محرم سنة سبع من الهجرة النبوية.

(٥) في صحيح البخاري في كتاب : المغازي ، باب : غزوة خيبر ، ج٥: ٧٧ ، طبعة المكتبة الإسلامية.

(٦) في صحيح مسلم في كتاب : الجهاد ، باب : غزوة ذي قرد وغيرها ، ج٣: ١٤٤١ ، تحقيق محمد عبدالباقي.

(٧) هو إياس بن سلمة بن الأكوع الأسلمي المدني ، واسمه سنان بن عبدالله بن قشير بن خزيمة ابن مالك بن سلامان بن أسلم ، ويكنى إياس أبا سلمة ، وثَّقه ابن معين والعجلي والنسائي وابن حبان وابن سعد. توفي بالمدينة سنة تسع عشرة ومائة . (طبقات ابن سعد ، ج٥: ٢٤٨).

وأصيبت يوم أحد[1] عين قتادة بن النعمان[2] حتى وقعت على وجنته ، فأتى بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال : « يا رسول الله ، إن لي امرأة أحبها ، وأخشى إن رأتني تقذرني ، فأخذها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده ، وردها إلى موضعها ، وقال : اللهم ، اكسه جمالاً . فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما نظرًا ، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى »[3].

وقد وفد على عمر بن عبدالعزيز[4] رجل من ذريته ، فسأله عمر من أنت؟ فقال:

أبونا الذي سالت على الخدِّ عينُه ... فرُدَّتْ بكفِّ المصطفى أيما رَدِّ

عادت كما كانت لأول أمرها ... فيا حسن ما عين ويا حسن ما خدِّ!

---

(١) غزوة أحد في شهر شوال سنة ثلاث من الهجرة النبوية.

(٢) هو أبو عبدالله قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر الأوسي الأنصاري ، صحابي جليل، شهد المشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. وتوفي بالمدينة سنة ثلاث وعشرين (أسد الغابة ، ج ٤ : ١٩٥).

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ، ج٢: ٣٧٠ ، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان . وأبو نعيم في دلائل النبوة ، ص٤١٨. والقاضي عياض في الشفا ، ج١: ٦١٨ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين. والقسطلاني في المواهب اللدنية ، ج١: ٣٧٨ ، الطبعة الأولى.

(٤) أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي ، الخليفة الصالح والملك العادل ، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. ولد بالمدينة سنة إحدى وستين من الهجرة، ونشأ بها وتولى الخلافة بعد سليمان بن عبدالملك سنة تسع وتسعين ، فسار بالناس سيرة حسنة وعادلة ، وتوفي في السنة الواحدة بعد المائة ، رحمه الله . (البداية والنهاية ، ج٩: ١٩١).

فوصله عمر ، وأحسن جائزته.

قال[١] السهيلي[٢] : وفي رواية[٣] : « أصيبت عيناي يوم أحد ، فسقطتا على وجنتي ، فأتيت بهما النبي – صلى الله عليه وسلم –، فأعادهما مكانهما ، وبصق فيهما ؛ فعادتا تبرقان».

قال الدارقطني[٤]: هذا حديث غريب ، وتفرد[٥] به عمار بن نصر[٦] عن مالك[٧]، وهو ثقة . ويجمع بين الروايتين بأن أحد الرواة ظن أن الساقطة واحدة. وبعضهم – إن صحت الرواية عنه – علم أنها ثنتان. ومن قواعدهم أن زيادة الثقة مقبولة.

---

(١) في الروض الأنف ، ج٥: ٤٤٥ ، تحقيق عبدالرحمن الوكيل ، طبعة دار الكتب الحديثة.

(٢) هو عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد الخثعمي السهيلي ، ولد في مالقة سنة ثمان وخمسمائة من الهجرة. حافظ من علماء اللغة والسير ، ضرير البصر ، له مصنفات مشهورة ، منها "الروض الأنف" في شرح السيرة النبوية ، لابن هشام. وتوفي في مراكش سنة إحدى وثمانين وخمسمائة من الهجرة. (تذكرة الحفاظ ، ج٤: ١٣٧).

(٣) أي : عن قتادة بن النعمان.

(٤) هو أبو الحسن الحافظ علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني الشافعي ، ولد سنة ست وثلاثمائة من الهجرة ، إمام في الحديث ، له كتاب «السنن» في الحديث . وتوفي في بغداد سنة خمس وثمانين وثلاثمائة . (وفيات الأعيان ، ج٣: ٢٩٧).

(٥) في النسخة «س» [تفرد به].

(٦) هو أبو ياسر عمار بن نصر السعدي الخراساني المروزي. سكن بغداد. قال أبو حاتم: «عمار ابن نصر صدوق». وضعَّفه آخرون ، وتوفي في بغداد في شهر رمضان سنة تسع وعشرين ومائتين من الهجرة (تهذيب التهذيب ج٧: ٤٠٧) .

(٧) هو أبو عبدالله الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أنس بن الحارث الأصبحي الحميري ، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة. ولد بالمدينة سنة ثلاث وتسعين من الهجرة ، له المصنف المشهور في الحديث "الموطأ". وتوفي بالمدينة سنة تسع وسبعين ومائة من الهجرة النبوية. (وفيات الأعيان، ج٤: ١٢٥).

وأصيب سلمة[1] يوم خيبر[2] بضربة في ساقه، فنفث فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاث نفثات؛ فما اشتكاها قط. رواه البخاري[3].

والأخبار في هذا المعنى أكثر مما ذكرناه.

عصمة الله له وحمايته من الناس

ومن آياته - صلى الله عليه وسلم - عصمته من الناس وكفاية أذاهم، على شدة العداوة، ومع وحدته وقلة عضدة وناصره، وكان - صلى الله عليه وسلم - يدعو إلى الإيمان بالله وحده. وينادي عليهم في أنديتهم بتسفيه أحلامهم، وسب آلهتهم، ورميها بكل عيب وسوء، فيبالغون - حتى أقرب أقاربه كعمه أبي لهب[4]- في إيذائه والتجري عليه؛ لكثرتهم ووحدته - صلى الله عليه وسلم -، وهو مع ذلك محروس بحراسة الله - تعالى - مكلوء بكلاءته[5]، محفوظ بحفظه، متماد على ما هو عليه، غير ملتفت إلى أذاهم، إلى أن مكَّنه الله من نواصيَ أعدائه، فأذاق من بقي منهم على كفره الهوان.

فروى مسلم في صحيحه[6]، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم. قال: واللات والعزى، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن

---

(١) هو سلمة بن الأكوع. وتقدم التعريف به في ص (٤٩٥).

(٢) وقعة خيبر في شهر محرم سنة سبع من الهجرة النبوية.

(٣) في صحيح البخاري في كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر، ج٥: ٧٥، ٧٦.

(٤) تقدم التعريف به في ص (٤٦٣).

(٥) في النسختين «ع» و«س» [بكلايته].

(٦) في صحيح مسلم في كتاب: صفات المنافقين، باب: قول الله - عز وجل -: ﴿إن الإنسان ليطغى﴾، ج ٤: ٢١٥٤، ترتيب محمد عبد الباقي.

وجـهه في الـتراب. ثم إنه أتى الـنبي - صلى الله عليـه وسلم - وهو يصلي؛ ليطأ على رقـبته ، قال : فـما فجـأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقي بيده ، فـقيل له : ما لك؟ قال: إن بيني وبينه خندقًا من نار وهَوْلاً وأجنحـة. فـقـال النبي - صلى الله عـليه وسـلم -: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً».

وعن جابر[1] قال: «غزونا[2] مع رسول الله - صلى الـله عليه وسلم - قبل نجد[3]، فأدركنا رسـول الله - صلى الله عليه وسلم - في واد كثـير العضاة، فـنزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحت شجـرة، فعلّق سيفه بغصن من أغصـانها ، وتفرّق الناس بالوادي ؛ يستظلون بالشجر ، فقال رسول الـله - صلى الله عليه وسلم -: إن رجلاً[4] أتاني وأنا نائم، فأخذ السـيف، فاستيقظت وهو قائم عـلى رأسي، والسيف في يده صلتًا، فقال: من يمنعك مني؟ قلت: الله. فشام السيف[5]، وها هو ذا جالس .

ثم لم يعرض له رسول الله - صلى الـله عليه وسلم -، وكان ملك قومـه ، فانصـرف حين عفـا عنه ، وقال : والله ، لا أكـون في قوم هم حرب لك » . أخرجه البخاري ومسلم[6].

---

(١) في النسخة «ع» [رضي الله عنه].

(٢) هي غزوة غطفان في ربيع الأول من السنة الأولى من الهجرة ، وتسمى ذات الرقاع.

(٣) نجد: المنطقة المعروفة .

(٤) هو غورث بن الحارث.

(٥) فشام السيف: معناه غمده ، ورده في غمده.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي ، باب : غزوة ذات الرقاع ، ومسلم في كتاب : الفضائل ، باب: توكله على الله ، ج٤: ١٧٨٦ ، ترتيب محمد عبدالباقي.

ومن هذا البـاب العبـرة المشهـورة والكفاية التـامة عندمـا أجمـعت قريش على قتله ، وبيَّتوه لما أراد الهجرة ، فـخرج عليهم من بيته ، فقام على رؤوسـهم وقد ضـرب الله على أبصـارهم ، وذرى التـراب على رؤوسهم ، وخلص منهم.

ثم حمايتـه إذ هو وأبو بكر في الغار[1] وقد وقف الكفار على بابه، بما هيـأ الله من الآيات ، ومن العنكبـوت الذي نسج عليـه ، حتى قـال أمية بن خلف[2] حين قالوا : ندخل الغـار: ما إربكم فيـه ، وعليه من نسج العنكبوت ما أرى أنه قبل أن يولد محمد؟!.

ووقفت حمامتان على فم الغار ، فـقالت قريش: لو كان فيه أحد لما كانت هناك الحمام.

ثم قصة[3] سراقة بن مالك بن جعشم حين اتبعه على فرسه ؛ ليأسره لقريش حيث جعلوا عليـه الجـعـائل ، فلما قـرب منـه دعا عليـه النبـي - صلى الله عليه وسلم - ؛ فساخت[4] قوائم فرسه ، ثم دعاه وأبا بكر بالأمان ، وقال: ما أُصِبْتُ إلا من جهتكم ، ووقع في نفسه ظهور النبي

---

(١) هو غار جـبل ثور بمكة ، أقام فيـه النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبو بكـر ثلاثة أيام عندما أرادوا الهجرة من مكة إلى المدينة سنة ثلاث عشرة من البعثة النبوية.

(٢) هو أميـة بن خلف بن وهب بن حـذافة الجـمحي ، من جـبابرة قريـش ، أدرك الإسلام ، ولم يسلم ، مات كافرًا في وقعة بدر سنة اثنتين من الهجرة.

(٣) قصـة سراقة بن مالك حين لحق بـالرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو في طريق الهـجرة إلى المدينة. أخرجها الإمام البخاري في صحـيحه في كتاب : مناقب الأنصار، باب : الهجرة ، ج٤: ٢٥٦ ، والإمام مسلم في صحيحه في كتاب : الزهد والرقائق، باب : حديث الهجرة ، ج٤: ٢٣٠٩ ، ترتيب محمد عبدالباقي.

(٤) ساخت : غاصت قوائمها بالأرض .

- صلى الله عليه وسلم - ، فطلب منه أن يكتب له أمانًا. فأمر أبا بكر؛ فكتب له ، فانصرف يقول للناس : كفيتم ما هنا .

ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل[1] وأربد بن قيس[2] حين وفدا على النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وكان عامر قال له : أنا أشغل عنك وجه محمد ؛ فاضربه أنت ، فلم يره فعل شيئًا . فلما كلمه في ذلك قال له: والله ، ما هممت أن أضربه إلا وجدتك بيني وبينه ، أفأضربك؟ ![3].

وعن فضالة [4]بن عمرو قال : أردت قتل النبي - صلى الله عليه وسلم - عام الفتح[5] وهو يطوف بالبيت ، فلما دنوت منه قال : فضالة؟[6] قلت: نعم. قال: ما كنت تحدث به نفسك؟ قلت: لا شيء.

---

(١) هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري ، من فتّاك العرب وشعرائهم ، أدرك الإسلام وهو شيخ كبير ، ووفد على النبي - صلى الله عليه وسلم - في المدينة بعد فتح مكة ؛ يريد الغدر به، فحفظ الله رسوله ، فعاد عامر إلى قومه ، ولم يسلم ، ومات في الطريق بالطاعون ، فقال مقالته المشهورة : « أغدة كغدة البعير ، وموت في بيت سلولية». (السيرة ، لابن هشام ، ج٤: ٢٣٣).

(٢) هو أربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر ، أخو لبيد بن ربيعة لأمه ، قدم على النبي - صلى الله عليه وسلم - هو وعامر بن الطفيل ؛ يريدان الغدر به ، فحماه الله منهما ، فعادا إلى قومها ، ولم يسلما ؛ أما عامر فمات بالطاعون ، وأما أربد فمات في عاصفة أحرقته . (السيرة ، لابن هشام ، ج٤: ٢٣٣).

(٣) رواه ابن إسحاق . انظر: السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج٤: ٢٣٤ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

(٤) هو فضالة بن عمير بن الملوح الليثي. هكذا اسمه في السيرة النبوية ، ج٤: ٣٧ ، وفي الإصابة ، ج٥: ٣٧٢ ، تحقيق علي البجاوي.

(٥) عام الفتح: فتح مكة سنة ثمان من الهجرة النبوية الشريفة.

(٦) في النسخة «س» [أفضالة ؟] .

فضحك ، واستغفر لي ، ووضع يده على صدري ، فسكن قلبي. فوالله ، ما رفعها حتى ما خلق الله شيئًا أحب إليَّ منه[1] .

والأحاديث والأخبـار في معجزات نبـينا - صلى الله عليه وسلم - كثيرة جدًا ، قد أُفْرِدت بالمصنفات الكبار عند المتقدمين والمتأخرين ، وإنما ذكرنا من صحيحها ومشهورها ما هو كالأنموذج الدال على ما وراءه . وبالله التوفيق.

(١) رواه ابن إسحاق. انظر السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج ٤ : ٣٧ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. والقاضي عياض في الشفا ، ج١ : ٦٩٣ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين والحافظ ابن حجر في الإصابة ، ج٥ : ٣٧٢ ، تحقيق علي البجاوي.



فصل

في بيان أن هذه الأخبار تفيد العلم ؛ ليعرف بطلان قول النصراني: «إن هذه المعجزات مما لم يكن عليه شهود»[1].

صحة وقوع معجزاته - صلى الله عليه وسلم -

فنقول : هذه المعجزات منها ما هو في القرآن. وقد علم بالضرورة عند الموافق والمخالف إتيانه من قبل محمد - صلى الله عليه وسلم -، كما قدمنا الإشارة إلى ذلك[2].

ومنها ما هو متواتر، كنبع الماء من بين أصابعه، وحنين الجذع، وتكثير الطعام . فما من طبقة من طبقات الأمة إلا وهذه المعجزات منقولة عنده، وتواترها أعظم من تواتر كثير من الأحكام.

فهو أعظم من تواتر سجود السهو؛ فإن سجود السهو متواتر مقطوع به ، مع أنه إنما كان مرات قليلة، ولا يحضره إلا المصلون خلفه لتلك الصلاة.

وكذلك حكمه - صلى الله عليه وسلم - بالشفعة فيما لم يقسم.

وكذلك نقلهم لنصب الزكاة، فإنه مع كونه متواترًا مقطوعًا به فلم يسمعه منه إلا طائفة قليلة.

وأمثال ذلك كثيرة ، إنما سمعها طائفة من الأمة هم أقل بكثير ممن شاهد آياته.

---

(١) كتاب مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن ، ص١٢١ ، نسخة المكتبة البريطانية في لندن.

(٢) في مبحث : وجوه إعجاز القرآن .

قال بعض الأئمة :

ومن المعلوم بالضرورة أنه قد جرى على يديه - عليه الصلاة والسلام- آيات، وخوارق عادات ، إن لم يبلغ واحد منها معينًا القطع فيبلغه جميعها ، فلا مرية في جريان معانيها على يديه.

ولا يختلف مؤمن ولا كافر أنه جرت على يديه عجائب، وإنما خلاف المعاند في كونها من قبل الله.

وقد قدمنا إيضاح الدلالة على كونها من قبل الله، وأن ذلك بمثابة قوله: صدق عبدي ؛ فأطيعوه.

فهذا **أحد الوجوه** في إثبات هذه المعجزات وهو التواتر العام.

الوجه الثاني : التواتر الخاص .

وذلك في كثير من أفراد هذه المعجزات . فإن الأخبار قد تستفيض وتتواتر عند قوم دون قوم بحسب طلبهم لها، وعلمهم بمن أخبر بها، ومادل من الدلائل على صدقهم.

وأهل العلم بحديث النبي - صلى الله عليه وسلم - لهم من العلم بهذا ما ليس عند غيرهم.

كما أن أصحاب مالك، والشافعي، وغيرهما عند كل طائفة من أقوال متبوعيهم وأخباره ما يقطعون به، وإن كان غيرهم لا يعرفه.

والأطباء عندهم من كلام بقراط[1] وأمثاله كذلك.

---

(١) تقدم التعريف به في مبحث : ترفع النبي - صلى الله عليه وسلم - عن ملاذ الدنيا ص (٣١٤).

وأهل العلم بأيام الإسلام يعلمون من سيرة الخلفاء ومغازيهم ما يقطعون به، وإن كان غيرهم لا يعرفه.

بل أهل العلم بالرجال يعلمون من حال آحاد الصحابة والتابعين ومن بعدهم ما لا يعلمه غيرهم.

والنحاة يعلمون من حال سيبويه[1] وأمثاله ما لا يعلمه غيرهم.

فكيف بمن هو عند أتباعه أعلى قدراً من كل عالم، وأرفع منزلة من كل ملك، وهم أرغب الخلق في معرفة أحواله، وأعظم الناس تحرياً للصدق فيها، ولرد الكذب منها ، حتى صنفوا الكتب الكثيرة في أخبار جميع من روى شيئًا من أخباره، وذكرو من الجرح والتعديل، ووقعوا[2] في ذلك ، وبالغوا مبالغة لا يوجد مثلها لأحد من الأمم ، ولا لأحد من هذه الأمة إلا لأهل الحديث، وميَّزوا في المنقولات بين الصدق، والكذب فيردون الكذب، وإن كان فيه من فضائل نبيهم وأعلام نبوته ما هو أعظم مما يقبلون، ويقبلون الصدق وإن كان فيه شبهة يحتج بها المنازع؟

---

(١) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء ، الملقب سيبويه، إمام النحاة ، ولد في إحدى قرى شيراز في بلاد فارس سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة ، وقدم البصرة ، فلزم الخليل بن أحمد، وصنف كتابه المشهور في النحو "كتاب سيبويه" ، ورحل إلى بغداد ، وعاد إلى الأهواز ، وبها توفي سنة ثمانين ومائة من الهجرة. (وفيات الأعيان ، ج٣: ٤٦٣).

(٢) في النسخة «ع» في صلب النسخة [ووقعوا] ، ثم صححها الناسخ في الهامش بلفظ [ودفعوا]. وفي النسخة «س» في صلب النسخة [ودفعوا] ، ثم صححت في الهامش [ووقعوا].

قال عبدالرحمن بن مهدي[1]: أهل العلم يثبتون ما لهم وعليهم، وأهل البدع لا يثبتون إلا ما لهم.

فإذا كان أولئك فيما ينقلونه عن متبوعهم جازمين به لا يكون إلا صدقًا. فهؤلاء مع جزمهم بالصدق واتفاقهم على التصديق أولى.

قال شيخ الإسلام أبو العباس[2]: «وعامة أخبار الصحيحين مما اتفق أهل الحديث على التصديق بها، وجزموا بذلك».

الوجه الثالث في تصحيح هذه المعجزات : التواتر المعنوي .

وهذا مما اتفق عليه عامة الطوائف، فإن الناس يسمعون أخبارًا متفرقة تتضمن شجاعة علي، وعمر، وأمثالهما، وسخاء حاتم[3] ومعن[4]

---

(١) هو الإمام الحافظ أبو سعيد عبدالرحمن بن مهدي بن حسان بن عبدالرحمن العنبري البصري ، ولد سنة خمس وثلاثين ومائة من الهجرة . محدث مشهور ، وثَّقه ابن سعد ، كان - رحمه الله - من الحفاظ المتقنين. توفي بالبصرة سنة ثمان وتسعين ومائة من الهجرة . (طبقات ابن سعد ، ج ٧ : ٢٩٧) .

(٢) ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج ٤ : ٢٣٧ .

(٣) هو حاتم الطائي ، المشهور بالكرم ، وكانت حياته قريبة من زمن البعثة النبوية ، فقد أدرك ابنه عدي حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، فأسلم فكان من خيار الصحابة.

(٤) هو أبو الوليد معن بن زائدة بن عبد الله بن مطرف الشيباني، اشتهر بالجود ، وهو أحد الشجعان الفصحاء ، أدرك العصرين الأموي والعباسي ، وأكرمه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور ، وجعله من خواصه ، وولاه اليمن ثم سجستان ، وفيها توفي غيلة سنة إحدى وخمسين ومائة من الهجرة . (وفيات الأعيان ، ج٥: ٢٤٤).

وأمثالهما، وحلم الأحنف[1] ومعاوية وأمثالهما، فيحصل علم ضروري بأن الشخص موصوف بهذا وإن كان كل خبر لو تجرد لم يفد العلم.

فهذه الأحاديث وأضعاف أضعافها هي أضعاف أضعاف ما نُقِلَ عن الواحد من هؤلاء، ونقلتها أجل وأكبر، وعلم المسلمين بها أعظم من علم أهل الكتب بآيات موسى وعيسى ، فما يذكرون من حجة في صحة نقلها إلا وحجة المسلمين فيما ينقلونه عن نبيهم وأصحابه أظهر وأقوى.

الوجه الرابع :

أنها تكون بمحضر من الخلق الكثير كتكثير الطعام يوم الخندق[2] ، ونبع الماء من بين أصابعه يوم الحديبية[3]، وفيضان البئر بها ، وكلهم صالحون لا يُعرف فيهم من تعمد كذبة واحدة.

وكان بعضهم ينقلها قُدَّام[4] آخرين ممن حضرها ، فيذهب أولئك، فيخبرون بها أولئك ، فيصدِّق بعضهم بعضًا ، ويحكي هذا مثل ما حكى هذا ، من غير تواطؤ . وأدنى أحواله أن يقرره ، ولا ينكره .

---

(١) هو أبو بحر الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين التميمي السعدي البصري ، سيد بني تميم ، كان داهية فصيحًا شجاعًا ، يضرب به المثل في الحلم والشجاعة. ولد في البصرة سنة ثلاث من الهجرة، وأدرك النبي – صلى الله عليه وسلم- ولم يره ، ووفد على عمر ، ثم عاد إلى البصرة ، ومنها إلى الكوفة ، حيث توفي بها سنة سبع وستين من الهجرة. (وفيات الأعيان ، ج٢: ٤٩٩).

(٢) غزوة الخندق في شهر شوال سنة خمس من الهجرة.

(٣) غزوة الحديبية في شهر ذي القعدة سنة ست من الهجرة.

(٤) [قدام] هكذا في جميع النسخ ، ولعل المؤلف – رحمه الله – يقصد (أمام).

ونعلم - بموجب العادة الفطرية ، وبما كان عليه السلف من تحري الصدق ، وشدة توقيهم الكذب على نبيهم - صلى الله عليه وسلم - وروايتهم عنه التحذير من الكذب عليه وتعظيم الوعيد على ذلك ، كما في الحديث المتواتر عنه : «... من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[1]- أنهم لم يكونوا يقرون من يعلمون أنه يكذب عليه ، بل نعلم أنه لو كان ماسمعوه منكرًا عندهم وغير معروف لديهم لأنكروه. كما أنكر بعضهم على بعض أشياء رواها في السنن والسير وغير ذلك. وخطَّأ بعضهم بعضًا ، ووهَّمه في ذلك في قضايا معلومة.

ومن تعقَّل ما ذكرناه علم قطعًا أنهم متفقون على نقل تلك المعجزات. كما اتفقوا على نقل القرآن .

ومما يبين ذلك أن ما أنكره بعضهم على الآخر ، وإن كانوا متأخرين عن الصحابة أوجب التنازع في حكم ذلك كتنازعهم: هل كان يجهر بالبسملة في الصلاة الجهرية؟ أو يداوم على القنوت في الفجر.

وهو من أهون الأمور ؛ إذ كلهم متفقون على صحة صلاة من فعل أو ترك.

---

(١) متفق عليه ، في صحيح البخاري في كتاب : الأنبياء ، باب : ما ذكر عن بني إسرائيل ، ج٤: ١٤٥. وفي صحيح مسلم في كتاب : الزهد والرقائق ، باب : التثبت في الحديث ، ج٤: ٢٢٩٩، ترتيب محمد عبدالباقي.

ولكن لما تنازعوا في فعله تنازعوا في الحكم ، فعُلِمَ أن ما كان مشهورًا في الأمة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم ينكره أحد من علمائها كانت الأمة متفقة على نقله.

وكذلك حجُّه ؛ فإنهم متفقون على ما تواتر عنه من أنه لم يحج بعد الهجرة إلا حجة واحدة، وأنه عاش بعدها نحو ثلاثة أشهر.

قال أبو العباس[1]:

«واتفقوا على أنه لما حج أمر أصحابه إلا من ساق الهدي إذا طاف وسعى أن يحل، وأنه لم يعتمر هو وأصحابه الذين حجوا معه بعد الحج إلا عائشة، وأنه لم يحل، ولا من ساق الهدي معه.

وإنما اشتبه على بعضهم بعض ألفاظه، أو بعض الأمور التي تخفى على كثير من الناس.

وكان الصحابة ينقلون تمتعه، ومرادهم أنه قرن بين العمرة والحج، وبعضهم قال: أفرد الحج، فظن بعض الناس أنه اعتمر بعد الحج.

وقال بعضهم: قرن ، فظن بعض الناس أنه طاف طوافين ، وسعى سعيين.

ومن أسباب الغلط أن الصحابة يستعملون تلك الألفاظ في غير المعاني التي استعملها من بعدهم».

---

(١) ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج٤: ٢٤١.

قال[1]: «ومن تدبَّر هذا أفاده علمًا يقينًا بصحة هذه المعجزات عنه».

الوجه الخامس :

إن كـل طـائفـة من العلـمـاء ممن صنـف في علوم الأثر قـد تواتر عنـدهم من هذه الآيات مـا فيه كـفاية ، فكتب التـفسـير متـواتر فيـها. وكذلك كتب الحديث، وكذلك كتب السير، وإن لم يكن هذا مقصودًا منهـا.

وإنما المقصود ما أصوله تلك الكتب من الأحكام وغيرها ، فنقْلُ كل طائفة يفيد العلم اليقيني ، فكيف بنقل الكل ! .

وهذه الأوجه التي ذكرناها يستدل بها تارة على تواتر الجنس العام.

وهذا أقل مـا يكون، وعلى تواتر جنس جنس منهـا كتكثـير الطعـام والطهور، وعلى نوع نوع كنبع الماء من بين أصابعه ، وعلى تواتر شخص شخص كحنين الجذع.

وكلما أمعن الإنسان في ذلك النظر واعتـبره بأمثاله وأعطاه حقه من النظر والاستـدلال ازداد به علمًا ويقينًا، وتبين لـه أن العلم بذلك أظهر من جميع ما يطلبه بالأخبار المتواترة.

فليس في الدنيـا علم مطلوب بالأخـبـار المتـواترة إلا والعلم بآيات الرسول وشرائع دينه أظهر من ذلك.

---

(١) يعني ابن تيمية.

ومـا من حال أحـد من الأنبـياء والملوك والعلمـاء وأقـواله وأفعـاله وسيرته إلا والعلم بأحوال محمد - صلى الله عليه وسلم - أظهر.

وما من علم يعلم بالتواتر مما هو موجود الآن كـالعلم بالبلاد البعيدة إلا والعلم بحال المسـلمين في مشارق الأرض ومـغاربها ومـا هم عليه من الدين، ومـا ينقلونه عن نبيـهم من آياته وشرائـع دينه أظهر تحـقيـقًا لقوله - تعالى -: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[1].

وظهوره علـى الدين كله بالعلم والحجـة والبيان، إنما هو بمـا يظهره من آياته ، وذلك إنما يتم بما ينقل عن محمد - صلى الله عليه وسلم - من آياته التي هي الأدلة ، وشرائعه التي هي المدلول المقصود بالأدلة.

فهذا قد أظهره الله علمًا وحجة وبيانًا على كل دين.

كما أظهـره قــوة ونصــرًا وتأييـدًا على كل دين - والحمد لله رب العالمين -.

وكل واحد من هذه الأوجه الخمسة التي ذكـرناها يفيد العلم بصحة هذه المعجزات ، فكيف وهي كلها متظاهرة متضافرة!.

الأدلة على صـــدق معـجـزات النبـــي - صــلــى الله عليــه وســلــم -

وهذه غـير البـراهين المسـتفـادة من القرآن، فـإن تلك قـد تجرد لهـا طوائف ذكروا من أنواعها وصفاتها كـثيرًا ، حتى بيَّنوا أن ما في القرآن من الآيات يزيد على عشرات الألوف.

(١) سورة الفتح ، الآية : ٢٨ .

وقد أشرنا فيما تقدم[1] إلى مجامع ذلك وأصوله التي يرجع إليها.

وهذان غير ما في كتب أهل الكتاب من الإخبار به مما قدمنا بعضه[2].

وهذه الثلاثة غير ما في شريعته، وغير صفات أمته، وغير ما يدل على نبوته من المعرفة بسيرته وأخلاقه .

وهذا كله غير نصر الله له ، وإكرامه لمن آمن به ، وعقوبته لمن كفر به.

فإن تعداد أعيان دلائل النبوة لا يمكن بشرًا الإحاطة به، وذلك أنه لما كان الإيمان به واجبًا على كل أحد بيَّن الله لكل قوم - بل لكل شخص - ما لا يبين لآخرين.

كما أن دلائل الربوبية أعظم وأكبر من كل مدلول ، ولكل قوم بل لكل إنسان من الدلائل التي يريد الله إياها في نفسه وفي الآفاق ما لا يعرف أعيانها قوم آخرون ، قال الله - تعالى -: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾[3].

والضمير عائد على القرآن عند المفسرين.

كما دل عليه قوله - تعالى -: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾[4].

---

(١) في مبحث : وجوه إعجاز القرآن .

(٢) في مبحث: صفة محمد - صلى الله عليه وسلم -، وأدلة رسالته في كتب أهل الكتاب.

(٣) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

(٤) سورة فصلت ، الآية : ٥٢.

ثم قال: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾.

فأخبر - تعالى - أنه سيرى الناس في أنفسهم، وفي الآفاق من الآيات العيانية ما يبين لهم أن الآيات المسموعة حق ، فيتطابق العقل والسمع ، ويتفق العيان والقرآن ، وتصدق المعاينة الخبر. قاله شيخ الإسلام أبو العباس[1].

وإذا عرف ما قررناه تبين بطلان قول النصراني: «إن هذه المعجزات مما لم يكن عليه شهود»[2]، وقامت الحجة ، وانقطعت المعذرة.

واعلم أنه لم يبق للمخالف ما يتعلل به سوى العناد المحض والكفر الصراح.

وما أحسن ما قال الإمام أبو عبدالله ابن القيم[3]:

«إنه لا يمكن ألبتة أن يؤمن يهودي بنبوة موسى إن لم يؤمن بنبوة محمد - عليهما الصلاة والسلام - ، ولا يمكن نصرانيًا أن يقر بنبوة المسيح إلا بعد إقراره بنبوة محمد - عليهما الصلاة والسلام -.

وبيان ذلك أن يقال لهاتين الأمتين[4]: أنتم لم تشاهدوا هذين

---

(١) ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج٤: ٢٥٠.

(٢) كتاب مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن ، ص١٢١ ، نسخة المكتبة البريطانية في لندن.

(٣) في كتابه إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، ج٢: ٣٤٧-٣٥١ ، تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي.

(٤) يقصد : اليهود والنصارى.

الرسولين[1]، ولا شاهدتم آياتهما، وبراهين نبوتهما ، فكيف يسع عاقلاً أن يكذب نبيًا ذا دعوة شائعة وكلمة قائمة وآيات باهرة ، ويصدق من ليس مثله ولا قريبًا منه في ذلك ؛ لأنه لم ير أحد النبيين ولا شاهد معجزاته؟.

فإذا كذَّب بنبوة أحدهما لزمه التكذيب بنبوتهما، وإن صدَّق أحدهما لزمه التصديق بنبوتهما.

فمن كفر بنبي واحد فقد كفر بالأنبياء كلهم، ولم ينفعه إيمانه.

قال الله – تعالى –: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2].

وقال – تعالى –: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ...﴾[3].

فنقول للمغضوب عليه: هل رأيت موسى، وعاينت معجزاته؟ فبالضرورة يقول: لا.

(١) يقصد : موسى وعيسى – عليهما السلام –.
(٢) سورة النساء ، الآيات : ١٥٠ – ١٥٢ .
(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٥ .

فنقول له: بأي شيء عرفت نبوته وصدقه؟

فله جوابان :

أحدهما : أن يقول: أبي عرَّفني ذلك ، وأخبرني به.

الثاني : أن يقول : التواتر، وشهادات الأمم حقَّق ذلك عندي ، كما حقق خبرهم وشهادتهم وجود البلاد النائية، والبحار ، والأنهار البعيدة، وإن لم أشاهدها.

فإن اختار الجواب الأول، وقال: إن شهادة أبي وإخباره إياي بنبوة موسى كان سبب تصديقي نبوته.

فيقال له: فلمَ كان أبوك عندك صادقًا، وكلامه معصومًا عن الكذب وأنت ترى الكفَار يعلِّمهم آباؤهم ما هو كفر عندك ؟ فإذا كنت ترى الأديان الباطلة، والمذاهب الفاسدة قد أخذها أربابها عن آبائهم كأخذك مذهبك عن أبيك، وأنت تعلم أن الذي هم عليه ضلال؛ فيلزمك أن تبحث عما أخذته عن أبيك خوفًا أن تكون هذه حاله.

فإن قال: إن الذي أخذته عن أبي أصح من الذي أخذه الناس عن آبائهم ، كفاه معارضة غيره له بمثل قوله.

فإن قال: أبي أصدق من آبائهم، وأعرف، وأفضل، عارضه سائر الناس في آبائهم بنظير ذلك.

فإن قال: أنا أعرف حال أبي، ولا أعرف حال غيره.

قيل له: فما يؤمنك أن يكون غير أبيك أصدق من أبيك، وأفضل وأعرف؟

وبكل حال فإن كان تقليده لأبيه حجة صحيحة كان تقليد غيره لأبيه كذلك.

وإن كان ذلك باطلاً كان تقليده لأبيه باطلاً.

فإن رجع عن هذا الجواب، واختار الجواب الثاني، وقال: إنما علمت نبوة موسى بالتواتر قرنًا بعد قرن، فإنهم أخبروا بظهوره ومعجزاته وآياته وبراهين نبوته ، التي تضطر إلى تصديقه.

فيقال له: لا ينفعك هذا الجواب ؛ لأنك قد أبطلت ما شهد به التواتر من نبوة المسيح ومحمد - عليهما الصلاة والسلام -.

فإن قال: تواتر ظهور موسى ومعجزاته وآياته ، ولم يتواتر ذلك في المسيح ومحمد.

قيل: هذا هو اللائق ببهت الأمة الغضبية؛ فإن الأمم جميعهم قد عرفوا أنهم قوم بهت. وإلا فمن المعلوم أن الناقلين لمعجزات المسيح ومحمد -عليهما الصلاة والسلام - أضعاف أضعافكم بكثير ، والمعجزات التي شاهدها أوائلهم لا تنقص عن المعجزات التي أتى بها موسى - عليه السلام - ، وقد نقلها عنهم أهل التواتر جيلاً بعد جيل وقرنًا بعد قرن، وأنت لا تقبل خبر التواتر في ذلك ، وترده ؛ فيلزمك ألاَّ تقبله في أمر موسى.

ومن المعلوم بالضرورة أن من أثبت شيئًا ونفى نظيره فقد تناقض.

إثبات نبوة موسى وعيسى ونبوة محمد

وإذا اشتهر النبي في عصره ، وصحت نبوته في ذلك العصر بالآيات التي ظهرت معه لأهل عصره ، ووصل خبره إلى أهل عصر آخر وجب عليهم تصديقه والإيمان به، وموسى والمسيح ومحمد في هذا سواء.

ولعل تواتر الشهادات بنبوة موسى أضعف من تواتر الشهادة بنبوة عيسى؛ لأن الأمة الغضبية قد مزَّقها الله كل ممزق، وقطعها في الأرض، وسلبها ملكها وعزها ، فلاعيش لها إلا تحت قهر سواها من الأمم لها.

بخلاف أمة عيسى - عليه السلام -؛ فإنها قد انتشرت في الأرض، وفيهم الملوك ، ولهم الممالك.

وأما الحنفاء فممالكهم قد طبقت مشارق الأرض ومغاربها، وملؤوا الدنيا سهلاً وجبلاً ، فكيف يكون نقلهم لما نقلوه كذبًا، ونقل الأمة الغضبية الجاهلية القليلة الذليلة صدقًا؟!.

فثبت أنه لا يمكن يهوديًا على وجه الأرض يصدِّق بنبوة موسى إلا بتصديقه وإقراره بنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ، ولا يمكن نصرانيًا ألبتة الإيمان بالمسيح إلا بعد الإيمان بمحمد - صلى الله عليه وسلم -.

ولا ينفع هاتين الأمتين شهادة المسلمين بنبوة موسى والمسيح؛ لأنهم إنما آمنوا بهما على يد محمد - صلى الله عليه وسلم -.

فكان إيمانهم بهما من الإيمان بمحمد وما جاء به ، فلولاه ما عرفنا نبوتهما ولا آمنا بهما.

ولا سيما فإن إمة الغضب والضلال ليس بأيديهم عن أنبيائهم ما يوجب الإيمان بهم ، فلولا القرآن ومحمد - صلى الله عليه وسلم - ما عرفنا شيئًا من آيات الأنبياء المتقدمين ؛ فمحمد - صلى الله عليه وسلم - وكتابه هو الذي قرر نبوة موسى ونبوة المسيح لا اليهود والنصارى.

بل كان نفس ظهوره ومـجيئه تصديقًا لنبوتهما ؛ فإنهمـا أخبرا به ، وبشرا بظهـوره . فلما بُعثَ كان بعثـه تصديقًا لهمـا ، وهذا أحد المعنيين في قـوله - تعـالى -: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾[1]. أي : مجيؤه تصديق لهم من جهتين:

من جهة إخبارهم بمجيئة ومبعثه.

ومن جهة إخباره بمثل ما أخبروا به ومطابقة ما جاء به لما جاءوا به.

فـإن الرسـول الأول إذا أتى بأمـر لا يعلم إلا بالوحي ، ثم جـاء نبي آخـر لم يقارنه في الـزمان ولا في المكان ولا تلقى عـنه بمثل ما جـاء به سواء دل ذلك على صدق الرسولين الأول والآخر.

وكان ذلك بمنزلة رجلين أخبر أحدهما بخبر عن عيان ، ثم جاء آخر من غير بلده وناحيته بحيث يعلم أنه لم يجتمع به ، ولا تلقى عنه ، ولا عمن تلقى عنه ، فأخبر بمثل مـا أخبر به الأول سواء فإنه يضطر السامع إلى تصديق الأول والثاني.

فالمعنـى أنه لم يأت مكذِّبًا لمن قبله من الأنبـياء مـزريًا عليهم ، كـما يفعل الملوك المتغلبة على الناس بمن تقدمهم من الملوك. بل جاء مصدقًا لهم شاهدًا بنبوتهم.

ولو كان كاذبًا متقوِّلاً منشئًـا من عنده شيئًا مما جاء به لم يصدِّق مَنْ قبله ، بل كـان يزري بهم ، ويطعن عليهم كمـا يفعل أعداء الأنبـياء». انتهى[2].

---

(١) سورة الصافات ، الآية : ٣٧ .

(٢) انتهى: كلام ابن القيم - رحمه الله -.

فصل

معجزات الرسل لا تقتصر على حالة التحدي

واعلم أن آيات النبوة ومعجزاتها لا تختص بحال التحدي أو حال دعوى النبوة، كما ظنه بعض أهل الكلام، بل تكون في حياة الرسول وقبل مولده وبعد وفاته.

لكن لابد من آيات في حياته تقوم بها الحجة كما قال - صلى الله عليه وسلم -: «ما من الأنبياء نبي إلا أُعطي من الآيات ما آمن على مثله البشر»[1]. وكما قال الله - تعالى -: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ...﴾[2] الآيات، وقال - تعالى -: ﴿وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾[3]، فأخبر - سبحانه - أنه ضرب الأمثال لجميعهم وأهلكهم بعد إقامة الحجة عليهم.

والآيات في هذا كثيرة.

وكانت آيات نبينا - صلى الله عليه وسلم - غير مختصة بما بعد البعثة ، بل ظهرت آياته قبل مولده وعند مولده وحال نشأته ، ثم ظهرت الآيات الكبار بعد بعثته.

---

(١) متفق عليه ، في صحيح البخاري في كتاب: الاعتصام، باب: قول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: بعثت بجوامع الكلم ، ج٨: ١٣٨ . وفي صحيح مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - ، ج١: ١٣٤ ، ترتيب محمد عبدالباقي

(٢) سورة إبراهيم ، الآية : ٩ .

(٣) سورة الفرقان ، الآية : ٣٩ .

منها ما وقع مقارنًا للتحدي ، ومنها غير ذلك.

ثم استمرت آياته ومعجزاته بعد وفاته، وعلى مر السنين وتعاقب الدهور من وقوع ما أخبر به من الغيوب ومن ظهور دينه على الدين كله، واقتران العز والظهور بطاعته واتباع شريعته ، والذل والصغار بإضاعة أمره ومخالفته ، مما يبين ذلك للمتوسمين في عموم الناس، وفي خاصة أنفسهم.

معجزات الرسل لا تكون للمتعنت

وأكبر ذلك وأعظمه معجزة القرآن المستمرة على مر السنين ، وبقاؤه محفوظًا كما أنزل غضًا طريًا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين.

قال بعض أئمتنا[1]:

ومما ينبغي أن يعلم أن الله إذا أرسل نبيًا ، وأتى بآية دالة على صدقه قامت بها الحجة ، وظهرت بها المحجة، فمن طالب بآية ثانية لم تجب إجابته ، بل وقد لا تنبغي ؛ لأنه إذا جاء بثانية طولب بثالثة ، فإذا جاء بها طولب برابعة ، وطلب المتعنتين لا أمد له.

ومعلوم أن من قامت عليه الحجة في مسألة أو في حق من حقوق العباد التي يتخاصمون فيها لو قال: أنا لا أقبل حتى تقوم عليَّ حجة ثانية وثالثة كان ظالمًا، ولم تجب إجابته، ولا يمكن الحكام الخصوم من ذلك، فحق الله الذي أوجب على عباده من توحيده والإيمان به وبرسله أولى.

---

(١) هذه المقالة لشيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح ، ج٤: ٢٧٥.

ثم قد يكون في تتابع الآيات حكمة، فتتابع ، كآيات محمد - صلى الله عليه وسلم - لعموم دعوته ؛ فإن الأدلة كلما كثرت كان أظهر ، فقد يعرف دلالة أحد الأدلة من لا يعرف دلالة الآخر ، وقد يبلغ هذا ما لا يبلغ هذا، وقد يرسل الأنبياء بآيات متتابعة، ويقسّي قلوب الكفار عن الإيمان ؛ لينتشر ذلك ، ويظهر[1] ، ويبلغ ذلك قومًا آخرين؛ فيصير سببًا لإيمانهم.

كما في التوراة: «أنه يقسِّي قلب فرعون ؛ ليظهر عجائبه وآياته»[2].

وكما صد المكذبين بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ؛ حتى يسعوا في معارضته، والقدح في آياته ، فيظهر بذلك عجزهم عن معارضة القرآن وغيره من آياته.

بخلاف ما لو اتبع ابتداء بدون ذلك؛ فإنه قد كان يظن أنهم قادرون على معارضته.

وكذلك - أيضًا - يكون في ذلك من صبره وجهاده ويقينه وصبر أصحابه وأتباعه وجهادهم ما ينالون به عظيم الدرجات في الدنيا والآخرة.

وقد تقتضي الحكمة ألَّا يرسل بالآيات التي توجب عذاب الاستئصال ، كما ذكره في كتابه العزيز، وكان الكفار يقترحون.

---

(١) في النسخة «ع» [لينتشر ويظهر].

(٢) في سفر الخروج ، الإصحاح السابع ، النص رقم (٣) .

فتـارة يجيـبهم ؛ لما فـيه من الحكمـة، وتارة لا يجيـبهم ؛ لما فـيه من المضرة.

وربمـا طلب الرسـول تلك الآيات رغبـة في إيمانهم ، فـيجاب بأنها لا تستلزم الهدى ، بل تستلزم إقامة الحجة، وتوجب عذاب الاستئصال لمن كذب بها.

وقد بين الله - تعالى -[1] أنه لا يظهرها لانتفـاء المصلحة أو لوجود المفسدة.

قال - تعالى -: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾[2].

وقال - تعـالى -: ﴿ وَمَـا مَنَعَنَـا أَن نُّـرْسِـلَ بِالآيَـاتِ إِلاَّ أَن كَـذَّبَ بِهَـا الأَوَّلُـونَ وَآتَيْنَـا ثَمُودَ النَّـاقَةَ مُبْصِـرَةً فَظَلَمُـوا بِهَـا وَمَـا نُـرْسِـلُ بِالآيَـاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا ﴾[3].

---

(١) في النسخة «س» [بين الله أنه] بدون ذكر لفظ صفة العلو لله .

(٢) سورة الأنعام ، الآيات : ١٠٩ - ١١١ .

(٣) سورة الإسراء ، الآية : ٥٩.

وهذا المعنى مذكور في عامة كتب التفسير والحديث وغيرها.

كما ذكروا عن ابن عباس قال: سأله أهل مكة أن يحول لهم الصفا ذهبًا ، وأن ينحي عنهم الجبال ؛ حتى يزرعوا ، فقيل: إن شئتَ تستأني بهم، وإن شئتَ أن نؤتيهم الذي سألوا ؛ فإن كفروا هلكوا كما أُهْلِك من قبلهم ، قال: بل أستأني بهم. فأنزل الله هذه الآية:
﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ ... ﴾ الآية[1].

وروى ابن أبي حاتم عن الحسن في الآية قال: رحمة لكم أيتها الأمة إنا لو أرسلنا الآيات ، فكذبتم بها أصابكم ما أصاب من قبلكم، وقد كانت الآيات تأتيه - صلى الله عليه وسلم - آية بعد آية فلا يؤمنون بها[2].

قال تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ، ج١: ٢٥٨ ، طبعة المكتب الإسلامي. وابن جرير الطبري في التفسير ، ج١٥: ٧٤.
والسيوطي في الدر المنثور ، ج٤: ١٩٠.

(٢) ذكر هذه الرواية شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح ، ج٤: ٢٧٨ ، طبعة مطابع المجد.

قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[1].

أخبر - سبحانه - أن الآيات تأتيهم ، فيكذبون بالحق ، وأنهم سوف يرون صدق ما جاء به الرسول ، كما أهلك من كان قبلهم بذنوبهم التي هي تكذيب الرسول ، فإن الله يقول:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾[2].

وأخبر بشدة كفرهم بأنه لو أنزل عليهم كتابًا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا: إن هذا إلا سحر مبين.

ويبين -سبحانه- أنه لو جعل الرسول ملكًا لجعله على صورة الرجل ؛ إذ كانوا لا يطيقون أن يروا الملائكة في صورهم، وحينئذ فكان اللبس يقع لظنهم أنه بشر لا ملك.

---

(١) سورة الأنعام ، الآيات : ٤ - ١١ .

(٢) سورة القصص ، الآية : ٥٩ .

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾[1].

وهذه الآيات التي اقترحوا لو أجيبوا بها ، ثم لم يؤمنوا أتاهم عذاب الاستئصال. وأيضًا هي مما لا يصلح؛ فإن تفجير الينبوع بمكة يصيرها واديًا ذا زرع، والله - تعالى - من حكمته جعل بيته بذلك الوادي؛ لئلا يكون عنده ما ترغب النفوس فيه من الدنيا ، فيكون حجه للدنيا لا لله.

وإذا كان للنبي - صلى الله عليه وسلم - جنة كذلك كان فيه من التوسع في الدنيا ما ينقص درجته.

وكذلك إذا كان له بيت من زخرف - وهو الذهب -، وإسقاط السماء لا يكون إلا يوم القيامة، وهو لم يخبرهم أنه لا يكون إلا يوم القيامة.

فقولهم - كما زعمت - كذب منهم ، إلا أن يريدوا التمثيل فيكون القياس فاسدًا.

---

(١) سورة الإسراء ، الآيات : ٩٠- ٩٥.

وأما الإتيان بالله والملائكة قبيلا، فلما سأل قوم موسى ما هو دونه أخذتهم الصاعقة.

وأما إنزال الكتاب فقد قال - تعالى -:

﴿ يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾[1]. الآيات.

بيّن - سبحانه - أن المشركين سألوه إنزال الكتاب، وأن أهل الكتاب سألوه[2] ذلك ، وبيّن أن الطائفتين لم يؤمنوا إذ جاءهم ذلك، وإنما سألوه[3] تعنتًا.

فقال عن المشركين: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[4].

---

(١) سورة النساء ، الآيات : ١٥٣- ١٥٦

(٢) في النسخة «س» [سئلوا] .

(٣) في النسختين «ع» و «س» [سئلوا تعنتًا].

(٤) سورة الأنعام ، الآية : ٧ .

وذكر عن أهل الكتاب أنهم سألوا موسى أكبر من ذلك، وأنهم مع ذلك نقضوا الميثاق ، وكفرو بآيات الله ، وقتلوا النبيين إلى أمثال ذلك، وأنه بسبب ظلمهم وصدهم عن سبيل الله حرم عليهم طيبات.

ففيه من الاعتبار لهذه الأمة أن الأمة المكذِّبة إذا جاءتهم الآيات المقترحة لم يكن فيها منفعة لهم، بل توجب عقوبة الاستئصال، فكان ألَّا تنزل أعظم رحمة وحكمة.

وقد عرض الله - تعالى - على محمد - صلى الله عليه وسلم - أن يهلك قومه لما كذبوه ، فقال: « بل أستأني بهم ؛ لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئًا»[1].

كما في حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: «قلت: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟[2]. قال: لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة[3]؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب[4]، فرفعت

---

(١) تقدم تخريجه عن ابن عباس .

(٢) تعني وقعة "أحد" المشهورة سنة ثلاث من الهجرة النبوية الشريفة.

(٣) يوم العقبة: هو اليوم الذي وقف فيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - بمنى داعيًا الناس إلى الإسلام سنة عشر من البعثة النبوية الشريفة.

والعقبة: الموضع المعروف بمنى ، وفيه الجمرة الكبرى.

(٤) قرن الثعالب، ويقال: قرن المنازل ، وهو ميقات أهل نجد ، ويعرف اليوم بالسيل الكبير ، وهو على بعد ٧٠ كيلاً من مكة من جهة الطائف.

رأسي ، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت ، فإذا فيها جبريل[1] - عليه السلام - ، فناداني ، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوه عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال ؛ لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال ، وسلَّم عليَّ ، وقال : يا محمد ، إن الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال قد بعثني إليك ؛ لتأمرني بأمرك فيما شئت ، فإن شئت أطبقت عليهم الأخشبين[2] . فقال - صلى الله عليه وسلم -: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئًا». أخرجه البخاري ومسلم[3]. والأخشبان : جبلا مكة المحيطان بها.

ولما طُلِبَتْ من المسيح المائدة كانت من الآيات الموجبة لمن كفر بها عذابًا لم يعذبه أحدًا.

فكان[4] قبل نزول التوراة يُهْلِك الله المكذِّبين للرسل بعذاب الاستئصال.

وأظهر - تعالى - آيات كثيرة لما أرسل موسى ؛ ليبقى ذكرها في الأرض ، إذ كان بعد نزول التوراة لم يعذب أحدًا بعذاب الاستئصال.

(١) في النسختين « س » و « ع » رسمت الكلمة هكذا [جبرئيل].
(٢) الأخشبان: هما جبلا مكة : أبو قبيس، وقعيقعان.
(٣) في صحيح البخاري في كتاب : بدء الخلق ، ج ٤ : ٨٣ . وفي صحيح مسلم في كتاب : الجهاد ، باب : ما لقي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أذى المشركين والمنافقين ، ج ٣ : ١٤٢٠ ، ترتيب محمد عبدالباقي.
(٤) في النسخة «س» [وكان].

بل قال - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَىٰ ... ﴾[1].

فكان بنو إسرائيل لما كانوا يفعلون ما يفعلون من الكفر والمعاصي يعذّب بعضهم ويبقي بعضهم ؛ إذ كانوا لم يتفقوا على الكفر.

ولهذا لم يزل في الأرض أمة من بني إسرائيل باقية على الحق.

قال - تعالى -: ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ... ﴾[2].

وقال - تعالى -: ﴿ ... مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ... ﴾[3] الآيتين.

وكان من حكمته ورحمته - سبحانه وتعالى - لما أرسل محمدًا - صلى الله عليه وسلم - ألَّا يهلك قومه بعذاب الاستئصال ، بل عذب بعضهم بأنواع العذاب كالذين قال فيهم : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾[4].

والذي دعا عليه أن يسلط عليه كلبًا[5]، وأمثال ذلك.

---

(١) سورة القصص ، الآية : ٤٣.

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٦٨.

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١١٣.

(٤) سورة الحجر ، الآية : ٩٥.

(٥) وهو عتبة بن أبي لهب ، وقد أكله الأسد، وتقدم تخريج خبره في دلائل النبوة لأبي نعيم.

قال - تعالى -: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ... ﴾[1].

فأخبر أنه معذِّبهم تارة بأيدي المؤمنين، وتارة بعذاب غير ذلك.

فكان ذلك مما يوجب إيمان أكثرهم، كما جرى لقريش وغيرهم، فإنه لو أهلكهم كالذين قبلهم لبادوا ، وانقطعت المنفعة عنهم، ولم يبق لهم ذرية تؤمن، بخلاف الأول ؛ فإن فيه من إذلالهم وقهرهم ما يوجب عجزهم.

والنفوس إذا قدرت لا تكاد تنصرف عن مرادها ، بخلاف ما إذا عجزت عن كمال أغراضها ؛ فإنه يدعوها إلى التوبة ، كما قيل: من العصمة ألَّا تقدر.

ولهذا آمن عامتهم، ولم يقتل منهم إلا القليل، وهم صناديد الكفر الذين كان أحدهم في هذه الأمة كفرعون في تلك الأمة.

كما روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال عن أبي جهل: «هذا فرعون هذه الأمة»[2].

وفي التوراة : (أني أُقَسِّي قلب فرعون ؛ لتظهر آياتي وعجائبي)[3].

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٥٢ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ، ج٥: ١٣٦ ، الحديث رقم ٣٨٢٤ ، تحقيق أحمد شاكر ، قال المحقق: «إسناده ضعيف».

وذكر ابن كثير في البداية والنهاية، ج٣: ٢٨٩، أنه من حديث أبي إسحاق السبيعي.

قال الحافظ ابن حجر في التهذيب (ج ٨ : ٦٦) : « وقال ابن حبان في كتاب الثقات . كان أبو إسحاق السبيعي مدلِّسًا».

(٣) تقدم قريبًا ذكر مصدر هذا النص.

بين أن فيه من الحكمة انتشار آياته الدالة على صدق أنبيائه في الأرض؛ إذ كان موسى قد أخبر بتكليم الله له ، وبكتابة التوراة له. فأظهر الله له من الآيات ما يبقي ذكرها في الأرض.

وكان في ضمن ذلك من تقسية قلب فرعون ما أوجب أن أهلكه وقومه أجمعين.

وفرعون كان منكرًا لله جاحدًا لربوبيته لا يقرُّ به، فلذلك أوتي من الآيات ما يناسب حاله.

وأما بنو إسرائيل مع المسيح فهم مقرون بالكتاب الأول، فلم يحتاجوا إلى مثل ما احتاج إليه موسى - عليه السلام -.

ومحمد - صلى الله عليه وسلم - لم يكن محتاجًا إلى تقرير جنس النبوة؛ إذ كانت الرسل قبله جاءت بما يثبت ذلك. وقومه كانوا مقرين بالله، وإنما الحاجة إلى تثبيت نبوته.

ومع هذا فأظهر الله على يديه من الآيات مثل آيات من قبله وأعظم.

ومع هذا فلم يأت بآيات الاستئصال التي يستحق مكذِّبها العذاب العام العاجل.

فلهذا بين الله - تعالى -[1] أنها إذا جاءت لا تنفعهم ؛ إذ كانوا لا يؤمنون بها ، ولكن تضرهم ، ومع وجود المانع وعدم المقتضى لا يصلح الفعل.

---

(١) في النسخة «س» [بين الله أنها].

قال - تعالى - : ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ ...﴾[1] الآية.

فهو يعلم أن قلوب هؤلاء كقلوب أولئك ، قال - تعالى -: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[2].

وقال: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَئِكُمْ ...﴾[3] ذكره في السورة التي ذكر فيها انشقاق القمر ، وإعراضهم عن الآيات، وقولهم: سحر مستمر، وتكذيبهم ، واتباعهم أهواهم ، وفيها: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾[4] ؛ أي : من أنباء الغيب ما يزجر عن الكفر ؛ إذ كان في تلك الآيات بيان صدق الرسول، والإنذار لمن كذبه بالعذاب ، كما عذب المتقدمين.

ولهذا يقول عقيب القصة: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[5]؛ أي : كيف كان عذابي لمن كذَّب رسلي ، وكيف كان إنذاري بذلك قبل مجيئه!.

وفيها: ﴿كذبوا بآياتنا كلها...﴾[6] في قصة آل فرعون[7] ؛ لأنهم

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٥٩.

(٢) سورة الذاريات ، الآيتان : ٥٢ - ٥٣.

(٣) سورة القمر ، الآية : ٤٣.

(٤) سورة القمر ، الآية : ٤.

(٥) سورة القمر ، الآيات : ١٦، ٢١، ٣٠.

(٦) سورة القمر ، الآية : ٤٢ .

(٧) في النسخة «س» [قصة فرعون] ، وفي النسخة «ع» [قصة آل فرعون].

كذبوا بجميع آيات موسى وجميع آيـات الأنبياء قبله ، وكذبوا بجميع الآيات الدالة على وجود الرب - تعالى - وقدرته ومشيئته.

ثم قـال : ﴿ ... أَكُفَّارُكُمْ... ﴾ أي : أيتهـا الأمـة ﴿ ... خَيْـرٌ مِّـنْ أُوْلائِكُمْ...﴾ الذين كـذبـوا نوحـًا، ومن بعـده ﴿... أم لـكم براءة في الزبر﴾[1]. وذلك كونكم لا تعذبون مثلهـم ؛ إما لكونكم خيراً منهم لا تستحقون ما استحقـوا، أو يكون الله أخبر أنه لا يعذبكم ؛ فإن مايفعله الله تارة يعلم بخـبره ، وتارة يعلم بمشيـئته، وحكمـته وعدله، فـإما أن تكونوا علمتم هذا من هذا الوجه، أو من هذا الوجه.

هذا إن نظر إلى فعل الله الذي لا طاقة للبشر به.

وإن نظر إلى قوة الرسـول ، فيقـولون: ﴿ نحن جميع منتـصر ﴾[2]، فإنهـم أكثـر وأقـوى ، فقـال - تعـالى -: ﴿ سـيهزم الجمـع ويولـون الدبـر ﴾[3].

وهذا أخبر به وهو بمكة في قلة الأتباع ، ولا يظن أحد بالعادة المعروفة أن أمره يعلو قبل أن يهـاجر، ويقاتل ، فكان كما أخـبر، فإنهم يوم بدر وغيرها هُزِموا، وتلك سنة الله في المؤمنين والكافرين.

وحيث ظهر الكفار فلذنوب المسلمين التي نقصت إيمانهم.

---

(١) سورة القمر ، الآية : ٤٣ .

(٢) سورة القمر ، الآية : ٤٤ .

(٣) سورة القمر ، الآية : ٤٥ .

ثم إذا تابوا بتكميل إيمانهم نصرهم الله، كما قال - تعالى -: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

وقال: ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

فإذا كان من تمام الحكمة والرحمة ألَّا يهلكهم هلاك الاستئصال كالذين قبلهم كان ألَّا يأتي بموجب ذلك، مع إتيانه - سبحانه - بما يقيم الحجة ، ويوضح المحجة أكمل في الحكمة والرحمة.

إذ كان ما أتى به من الآيات حصل به كمال الخير والمصلحة والهدى، والبيان والحجة على من كفر.

وما امتنع منه دفع به من العذاب العام ما أوجب بقاء جمهور الأمة حتى يهتدوا.

وكان في إرسال محمد - صلى الله عليه وسلم - لما كان خاتم الرسل من المنن السابقة ما لم يكن في رسالة رسول غيره - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين -.

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٣٩ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٦٥ .

الكلام في النبوة من جنس الكلام في الخبر

فصل

قال شيخ الإسلام أبو العباس[1]:

«الكلام في النبوة من جنس الكلام في الخبر، فقول القائل : (إني رسول الله إليكم) خبر من الأخبار ، والخبر تارة يكون مطابقًا لمخبره كالصدق المعلوم أنه صدق، وتارة لا يكون كالكذب المعلوم أنه كذب».

فإن لم يقم دليل صدقه أو كذبه بقي ما لا نصدقه ، ولا نكذبه ؛ ولهذا قال - تعالى -: ﴿ ... إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ... ﴾[2].

فأمر بذلك ؛ لأنه قد يصدق ، فدل على أنه لا يجوز تصديقه بمجرد إخباره، ولا يجوز - أيضًا - تكذيبه قبل أن يعرف أنه كذب.

وفي صحيح البخاري[3] عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: « إذا حدَّثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ، ولا تكذبوهم ، وقولوا : آمنا بالذي أنزل إلينا ، وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون».

وهذ مأثور عن غيره من الأنبياء ، كما جاء عن المسيح - عليه

---

(١) ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح ، ج٤: ٢٨٧ ، طبعة مطابع المجد.

(٢) سورة الحجرات ، الآية : ٦.

(٣) في صحيح البخاري في كتاب : التوحيد ، باب : ما يجوز تفسيره من التوراة ، ج٨: ٢١٣ ، من رواية أبو هريرة .

السلام – أنه قال: «الأمور ثلاثة: أمر تبين رشده فاتبعوه، وأمر تبين غيه فاجتنبوه، وأمر اشتبه عليكم فكلوه إلى عالمه »[1].

وعامة عقلاء بني آدم على هذا، وهو مما يجب معرفته.

فإن كثيراً من الناس لا يميز بين ما ينفيه لقيام الدليل على نفيه وبين ما لم يثبته لعدم دليل إثباته فينفي ما ليس له بعلم. ﴿ ... وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ... ﴾[2].

وكثير من الناس يعلم بالاستدلال والنظر صدق شخص معين.

كما أن كثيراً منهم يعلم بالأخبار والنقل والاستدلال بذلك أموراً كثيرة ، ومن لم يشاركهم فيما سمعوه ، وفيما عرفوه من أحوال المخبرين، وأحوال المخبر به لا يعلم ما علموه.

فلهذا كان لأهل النظر العقلي طرق لا يعرفها أهل الأخبار.

ولأهل الأخبار السمعية طرق لا تعرف بمجرد العقول.

ولهذ كان لهؤلاء من الطرق الدالة على صدق الرسول ونبوته، والاستدلال على ذلك أمور كثيرة لا يعرفها أهل الأخبار.

وعند أهل الأخبار من الأحاديث المتواترة عندهم، والآيات المستبينة ما يعرفون به صدق الرسول، وإن كان أولئك لا يعرفونها.

---

(١) هذا النص ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح ، ج٤: ٤٩٣ ، والمؤلف نقله عنه.

(٢) سورة النور ، الآية : ١٥.

والناس قد يعلمون أن الخبر الواحد قد يقوم الدليل على كذبه ، فيعلم أنه كذب وإن أخبر به ألوف إذا كان خبرهم عن غير علم أو عن تواطؤ[1].

مثل أخبار أهل الاعتقادات الباطلة بها.

وأما إذا أخبروا عن علم منهم فهم صادقون في نفس الأمر.

ويعلم صدقهم تارة بتواتر أخبارهم من غير مواطأة، ولو كانا اثنين.

فإن الاثنين إذا أخبرا بخبر طويل أسنداه إلى علم، وقد علم أنهما لم يتواطأ[2] عليه ، ولا هو مما يتفق في العادة تماثلها فيه في الكذب أو الغلط علم أنه صدق.

وقد يعلم صدق الخبر الواحد بأنواع من الدلائل وبقرائن تقترن به تكون صفات في المخبر من علمه ودينه وتحريه الصدق، أو تكون صفات في المخبر به مختصة بذلك الخبر أو بنوعه كحاجب الأمير إذا قال بحضرته لعسكره: إن الأمير قد أذن لكم في الانصراف، وأمركم أن تركبوا [3] غدًا، أو أمّر عليكم فلانًا[4]، ونحو ذلك.

فإن العادة كما قد تمنع التواطؤ على الكذب، فإنها قد تمنع التواطؤ على الكتمان وإقرار الكذب، فما توفرت الهمم والدواعي على ذكره يمتنع أن يتواطأ أهل المكان على كتمانه.

---

(١) في النسختين «س» و «ع» [تواطي].

(٢) في النسخة «س» [يتواطيا].

(٣) في النسخة «ع» [وأمركم تركبوا].

(٤) في النسخة «ع» [وأمر عليكم فلانًا].

كما يمتنع في العادة أن تحدث[1] حادثة عظيمة تتوافر الهمم والدواعي على نقلها في الحج أو المجامع أو العسكر.

وإذا امتنع السكوت عن إظهارها، فالسكوت عن تكذيب الكاذب فيها أشد امتناعًا.

وقد تكون الدلائل صفات في المخبِر تقترن بخبره.

فإن الإنسان قد ترى حمرة وجهه ، فيميز بين حمرته من الخجل والحياء وبين حمرته من الحمى وزيادة الدم ، وبين حمرته من الحمام وبين حمرته من الغضب.

وكذلك يميز بين صفرته من الفزع وصفرته من الحزن وصفرته من المرض.

حتى إن الأطباء الحذاق يعلمون حال المريض بمجرد رؤيته لا يحتاجون مع ذلك إلى نبض[2] وقارورة[3].

وكذلك تعرف أحواله النفسانية هل هو فرح أو محزون، وهل هو محب مريد للخير أو مبغض مريد للشر؟

---

(١) في النسخة «ع» [يحدث حادثة]، وفي النسخة «س» [أن يحدث حادثة].

(٢) لعله يقصد قياس نبضات قلب المريض.

(٣) القارورة واحدة القوارير من الزجاج ، وهي مما يدخل في آلات الأطباء في الكشف على المرضى لتحليل أو غيره .

كما قيل:

تحدثني العينان ما القلب كاتم   من الغل والبغضاء بالنظر الشزر[1]

وكما قيل:

والعين تنظر من عيني محدثها   هل كان من حزبها أو من أعاديها[2]

ثم إذا تكلم مع ذلك دل كلامه على أبلغ مما تدل عليه سيما وجهه.

وقد روي عن عثمان - رضي الله عنه - أنه قال: «ما أسرَّ أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه»[3].

وقال عمر بن الخطاب[4] للعابث في صلاته: «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه»[5].

---

(١) هذا البيت أورده شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح، ج٤: ٣٠٥، ولم يسنده إلى قائل، بل قال: « كما قيل » . والمؤلف - رحمه الله - نقله عنه.

(٢) هذا البيت يؤثر عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -، ومعه البيت التالي:

عيناك قد دلتا عيني منك على   أشياء لولاهما ما كنت تبديها

والعين تنظر من عيني محدثها   أكان من حزبها أو من أعاديها

وقد أورد هذا البيت شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح، ج٤: ٣٠٥، ولم يسنده إلى قائل، والمؤلف نقله عنه.

(٣) هذا الأثر أورده شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح، ج٤: ٣٠٥.

(٤) في النسخة «ع» [رضي الله عنه].

(٥) ذكره ابن تيمية في الجواب الصحيح، ج٤: ٣٠٦.

الصدق والكذب يظهر أثرهما على الوجه

والرجل الصادق البر يظهر على وجهه من نور صدقه وبهجة وجهه سيما يعرف بها، وكذلك الكاذب الفاجر.

وكلما طال عمر الإنسان ظهر هذا فيه ، حتى إن الرجل في صغره يكون جميل الوجه ، فيظهر في آخر عمره من قبح وجهه ما أثره باطنه وبالعكس.

وروي عن ابن عباس[1] أنه قال: «إن للحسنة نوراً في القلب ، وضياءً في الوجه، وقوة في البدن ، وسعة في الرزق ، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة ظلمةً في القلب ، وسواداً في الوجه ، ووهنًا في البدن، وبغضة في قلوب الخلق»[2].

وقد يكون الرجل ممن لا يتعمد الكذب ، لكن يعتقد اعتقادات باطلة في الله ورسله ودينه وعباده الصالحين، ويكون له زهادة وعبادة واجتهاد مع ذلك، فيؤثِّر ذلك الكذب الذي ظنه صدقًا وتوابعه في باطنه ، ويظهر ذلك على وجهه ، فيعلوه من القترة والسواد ما يناسب حاله. كما قال بعض السلف[3]:

«لو ادهن صاحب البدعة كل يوم بدهان فإن سواد البدعة لفي وجهه».

---

(١) في النسخة «ع» [رضي الله عنهما].

(٢) أخرج معنى هذا الأثر أبو نعيم في حلية الأولياء ، ج٢: ١٦٠ ، عن أنس بن مالك مرفوعًا، وفي ج٧: ٣٣٠ ، عن الحسن بن صالح موقوفًا.
وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح ، ج٤: ٣٠٦ ، عن ابن عباس . ولعل المؤلف نقله عنه . والله أعلم.

(٣) ذكر هذه المقالة شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح ، ج٤: ٣٠٦.

وهذه تظهر يوم القيامة ظهورًا تامًا، قال - تعالى -: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ...﴾[1] الآيتين.

وقال - تعالى -: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ...﴾[2] الآيتين.

والمقصود أن ما في القلب[3] من قصد الصدق والمحبة والبر ونحو ذلك قد يظهر على الوجه ، حتى يعلم ذلك علمًا ضروريًا من أبلغ العلوم الضرورية، وكذلك العكس.

وإذا كان كذلك ؛ فمن نبَّأه الله واصطفاه لرسالته كان قلبه من أفضل القلوب صدقًا وبرًا.

ومن افترى على الله الكذب كان قلبه من أشر القلوب كذبًا وفجورًا.

كما قال ابن مسعود:

«إن الله نظر في قلوب العباد ، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لرسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فاتخذهم الله لصحبة نبيه . فما رآه المؤمنون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رآه المؤمنون سيئًا فهو عند الله سيئ»[4].

---

(١) سورة الزمر ، الآية : ٦٠.

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٦.

(٣) في النسخة «س» [القلوب].

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ، ج٥: ٢١١ ، الحديث رقم ٣٦٠٠ ، تحقيق أحمد شاكر. قال المحقق: «إسناده صحيح». وفي مجمع الزوائد للهيثمي ، ج١: ١٧٧، قال: « رواه أحمد والبزار والطبراني».

وإذا كان من أعظم أهل زمانه صدقًا وبرًا فلا بد أن يظهر على لسانه وعلى صفحات وجهه ما يناسب ذلك.

كما أن الكاذب الكافر لا بد أن يظهر عليه ما يناسبه.

وهذا يكون تارة حين إخباره، وتارة في غير تلك الحال.

فإن الرجل إذا جاء ، وقال : إن الأمير أرسلني إليكم بكذا ، فقد يقترن بإخباره من كيفيته وحاله ما يُعلم به أنه صادق أو كاذب.

وإن كان معروفًا قبل ذلك بالصدق أو الكذب، كان ذلك دلالة أخرى.

وقد يكون ممن يكذب ، ولكن يعرف أنه صادق في ذلك الخبر.

دع من يستمر على عادة واحدة بضعًا وعشرين سنة[1] مع أصناف الناس واختلاف أحوالهم.

والمقصود أن العلم بصدق الصادق، وكذب الكاذب كغيرهما من المعلومات، قد يكون ضروريًا ، وقد يكون نظريًا.

وهو ليس من الضروريات الكلية، كالعلم بأن الواحد نصف الاثنين.

بل من العلم بالأمور الغيبية، كالعلم بحمرة الخجل، وصفرة الوجل، وعدل العادل ، وظلم الظالم ، مما يعرفه الخبير به علمًا ضروريًا، وإن كان استدلاليًا.

---

(١) « بضعا وعشرين سنة » يقصد بذلك مدة حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعد البعثة ؛ فعمره - صلى الله عليه وسلم - ثلاث وستون سنة ، منها أربعون قبل النبوة ، وثلاث وعشرون نبيًا رسولاً.

وإذا كان القائل: إني رسول الله ، إما أن يكون من خيار الناس وأصدقهم وأبرهم وأفضلهم ، وإما أن يكون من شرار الناس وأكذبهم وأفجرهم ، فالفرق بين هذين يكون من وجوه كثيرة لا تكاد تنضبط.

وقد تحصل المعرفة عند سماع خبر هذا ورؤية وجهه وسماع كلامه، وما يلزم ذلك ، ويقترن به من بهجة الصدق ونوره، ومن ظلمة الكذب وسواده وقبحه.

فتبين بذلك أن كثيرًا من الناس إذا رأوا الكاذب ، وسمعوا كلامه تبيَّن لهم كذبه تارة بعلم ضروري ، وتارة باستدلالي ، وتارة بظن قوي.

وكذلك النبي الصادق إذا رأوه ، وسمعوا كلامه تبيَّن لهم صدقه بعلم ضروروي أو نظري قبل أن يروا خارقًا.

وقد يكون أولاً بظن قوي، ثم يقوى حتى يصير يقينًا ، كما في المعلوم بالأخبار المتواترة والتجارب.

قال أبو العباس[1]:

وهذه الطريقة سلكها طوائف ، منهم القاضي عياض، فقال[2]: « إذا تأمل المنصف أحوال نبينا - صلى الله عليه وسلم - من جميل أثره، وحميد سيرته، وبراعة علمه، ورجاحة عقله، وحلمه، وكماله، وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته ».

---

(١) ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح ، ج٤: ٣١٤.

(٢) في كتابه الشفاء ، ج١: ٤٨٢ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين.

قال: وقد كفى هذا غير واحد في إسلامه والإيمان به، فروينا[1] عن الترمذي وابن قانع[2] وغيرهما بأسانيدهم[3] أن عبدالله بن سلام قال: «لما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة جئت لأنظر إليه، فلما استبنت وجهه عرفت أنه ليس وجه[4] كذّاب». رواه غير واحد[5] عن عوف الأعرابي[6] عن زرارة بن أوفى[7] عن عبدالله بن سلام.

وعن أبي رمثة [8] قال: «أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - ومعي

---

(١) الضمير في «روينا» يعود على أبي الفضل القاضي عياض.

(٢) هو عبدالباقي بن قانع بن مرزوق الأموي البغدادي، صاحب معجم الصحابة، توفي سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة من الهجرة. (لسان الميزان، ج٣: ٣٨٣).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، ج٩: ٣٠٠، بشرح ابن العربي. قال الترمذي: «هذا حديث صحيح».
والإمام أحمد في المسند، ج٥: ٤٥١، طبعة المكتب الإسلامي. والبيهقي في دلائل النبوة، ج٢: ٢٥٣، تحقيق عبدالرحمن عثمان. والحاكم في المستدرك، ج٣: ١٣، قال الحاكم: «هذا حديث حسن صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه».

(٤) في النسخة «س» [بوجه كذاب].

(٥) كعبد الوهاب الثقفي، ومحمد بن جعفر، وابن أبي عدي، ويحيى بن سعيد.

(٦) هو أبو سهل عوف بن أبي جميلة العبدي الهجري البصري. وثّقه الإمام أحمد وابن معين وأبو حاتم والنسائي. واتهمه بعضهم بالتشيع والرفض والقول في القدر، والله أعلم. توفي في سنة ست وأربعين ومائة، وعمره ثمانون سنة. (طبقات ابن سعد، ج٧: ٣٥٨).

(٧) هو أبو حاجب زرارة بن أوفى العامري الحرشي البصري. وثّقه النسائي، وذكره ابن حبان في الثقات، وتوفي سنة ثلاث وتسعين من الهجرة. (طبقات ابن سعد، ج٧: ١٥٠).

(٨) هو رفاعة بن يثري التيمي، أبو رمثة وقد اختلف في اسمه واسم أبيه، لعل أصحها ما ذكرنا. (انظر ترجمته في أسد الغابة، ج٥: ١٩٤).

ابنٌ لي ، فأُريته ، فلما رأيته قلت: هذا نبي الله »[1].

وفي صحيح مسلم[2]، أن ضماداً[3] لما قدم مكة، وكان يرقى من هذه الريح ، فسمع أن محمداً مجنون قال: «فأتيته ، فقلت : إني أرقي من هذه الريح[4]، وإن الله شفى على يدي من شفى[5]، فهل لك؟ [6]. فقال: إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد. فقال: أعد عليَّ كلماتك هؤلاء ، فأعادهن ثلاث مرات، فقال: لقد سمعت بقول الكهنة والسحرة والشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن قاموس البحر[6]، هات يدك ؛ أبايعك على الإسلام، فبايعه، فقال: وعلى قومك؟ قال: وعلى قومي».

---

(١) ذكره القاضي عياض في الشفا ، ج١: ٤٨٣ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين. وابن تيمية في الجواب الصحيح ، ج٤: ٣١٥.

(٢) في صحيح مسلم في كتاب : الجمعة ، باب : تخفيف الصلاة ، ج٢: ٥٩٣ ، ترتيب محمد عبدالباقي. وأخرجه الإمام أحمد في المسند ، ج٤: ٤٩ ، طبعة المكتب الإسلامي . والبيهقي في دلائل النبوة ، ج٢: ١٠ ، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان.

(٣) هو ضماد بن ثعلبة الأزدي ؛ نسبة لأزد شنوءة - قبيلة مشهورة - ، كان ضماد صديقًا للنبي - صلى الله عليه وسلم - قبل البعثة ، فلما بعث الله محمداً -صلى الله عليه وسلم- قدم ضماد مكة في أول الإسلام ، فأسلم . (أسد الغابة ، ج ٣: ٤٠)

(٤) « من هذه الريح » المراد به المس من الجن.

(٥) في النسخة «س» [من شاء] ، وهو الموافق للفظ الحديث في رواية مسلم.

(٦) « فهل لك » ؛ أي : هل ترغب أن أرقاك ؟.

(٧) « قاموس البحر » ، وفي روايات أخرى « ناعوس البحر » . والمراد : وسطه ، وقيل : لجته ، وقيل : قعره . والمعنى واحد .

وعن جامع بن شداد[1] قال : « كان رجل منا[2] أخبر أنه رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة . فقال : هل معكم شيء تبيعونه ؟ قلنا: هذا البعير. قال: بكم؟. قلنا: بكذا وكذا وسقا[3] من تمر، فأخذ بخطامه[4]، وسار إلى المدينة. فقلنا: بعنا من رجل لا ندري من هو. ومعنا ظعينة[5]، فقالت: أنا ضامنة لثمن البعير، رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر ؛ لا يخيس[6] بكم ، فأصبحنا ، فجاء رجل بتمر، فقال: أنا رسولُ رسولِ الله إليكم ؛ يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر[7]، وتكتالوا حتى تستوفوا، ففعلنا»[8].

وفي خبر الجُلَندى[9] - ملك عُمان - لما بلغه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعوه إلى الإسلام.

---

(١) هو أبو صخر جامع بن شداد الأسدي الكوفي ، وثّقه النسائي وابن معين ، وذكره ابن حبان في الثقات، وتوفي في رمضان سنة ثماني عشرة ومائة. (طبقات ابن سعد ، ج٦: ٣١٨).

(٢) واسمه طارق بن عبدالله المحاربي، ذكره الخفاجي في شرح الشفاء ، ج٢: ٤٤٦.

(٣) مقدار الوسق : ستون صاعًا ، تساوي (١٢٥) كيلو جرامًا تقريبًا.

(٤) بخطامه: أي : بزمامه .

(٥) هي المرأة في هودجها. سُمِّيت بذلك لظعنها ؛ نسبة إلى الظعن ، وهو الارتحال.

(٦) لا يخيس : أي : لا يغدر ، ولا يكذب.

(٧) في النسخة «س» [تأكلوا من التمر].

(٨) أخرجه الحاكم في المستدرك ، ج٢: ٦٢٠ ، وقال: « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وذكره القاضي عياض في الشفا ، ج ١ : ٤٨٤ ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين . وابن تيمية في الجواب الصحيح ، ج ٤ : ٣١٥ .

(٩) الجُلَندى - بضم الجيم وفتح اللام - : هو ملك عُمان. وقد كتب إليه النبي -صلى الله عليه وسلم- كتابًا مع عمرو بن العاص السهمي سنة ثمان من الهجرة ، يدعوه إلى الإسلام ، فأجاب إلى ذلك . (انظر: السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج٤: ٢٧٩، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، وكتاب نسيم الرياض ، للخفاجي ، ج٢: ٤٨٣ ، ط ١٣١٢هـ).

قال الجُلَندى: «والله لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، ولا ينهى عن شرٍّ إلا كان أول تارك له، وأنه يَغْلب فلا يبطر، ويُغْلَب فلا يضجر، ويفي بالعهد، وينجز الموعود، وأَشهد أنه نبي»[1].

وقال نفطويه[2] في قوله - تعالى -: ﴿... يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ...﴾[3]: « هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - يقول: يكاد منظره يدل على نبوته، وإن لم يتل قرآنًا، كما قال ابن رواحة[4]:

لو لم تكن فيه آيات مبينة   لكان منظره ينبيك بالخبر[5] »

انتهى[6].

---

(١) ذكره القاضي عياض في الشفا، ج١: ٤٨٤، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين. وابن تيمية في الجواب الصحيح، ج٤: ٣١٥، ٣١٦.

(٢) هو أبو عبدالله إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، ولد بواسط سنة أربع وأربعين ومائتين من الهجرة، وسكن بغداد، وأتقن العلوم، له مصنفات، منها: غريب القرآن والمقنع في النحو، وتوفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة. (وفيات الأعيان، ج١: ٤٧).

(٣) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٤) هو أبو محمد عبدالله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، أسلم قديمًا، وشهد العقبة وبدرًا وأحدًا والخندق والحديبية وخيبرًا، وكان أحد قادة المسلمين في غزوة مؤتة سنة ثمان من الهجرة، وقد استشهد بها - رضي الله عنه -، وشهد له الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالجنة. (أسد الغابة، ج٣: ١٥٦، البداية والنهاية، ج٤: ٢٥٨).

(٥) انظر كتاب "عبدالله بن رواحة - حياته وشعره" لوليد قصاب، ص١٦٠، والبيت فيه هكذا:

لو لم تكن فيه آيات مبينة   كانت بديهته تبيك بالخبر

(٦) انتهى كلام نفطويه، وقد ذكره القاضي عياض في الشفا، ج١: ٤٨٥، وابن تيمية في الجواب الصحيح، ج٤: ٣١٦.

وقد كان إيمان خديجة وأبي بكر وغيرهما من السابقين الأولين قبل انشقاق القمر، وإخباره بالغيوب ، وتحديه بالقرآن.

لكن كان بعد سماعهم القرآن الذي هو نفسه آية، ونفس إخباره أنه رسول الله، لما يعرف من أحواله المستلزمة لصدقه إلى غير ذلك من آيات الصدق.

كما قالت خديجة [1] - رضي الله عنها - لما قال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لقد خشيت على نفسي - وذلك أول ما جاءه الملك -: أبشِرْ ، فوالله لا يخزيك الله أبدا ؛ إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكَل [2]، وتكسب المعدوم [3]، وتقري [4] الضيف ، وتعين على نوائب [5] الحق ».

---

(١) فيما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب : بدء الوحي ، باب: التعبير ، ج٨: ٦٧ ، طبعة المكتبة الإسلامية.

والإمام مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : بدء الوحي ، ج١ : ١٤١، ترتيب محمد عبدالباقي.

(٢) «وتحمل الكل» الكل: أصله الثقل، ويدخل فيه الإنفاق على الضعفاء والأيتام.

(٣) «تكسب المعدوم» أي : تعطي غيرك المال المعدوم تبرعًا، أو تعطي الناس ما لايجدونه عند غيرك من الفوائد ومكارم الأخلاق.

(٤) «تقري الضيف» أي : تحسن إليه.

(٥) « نوائب الحق » النوائب : جمع نائبة ، وهي الحادثة . والنوائب نوعان : نوائب خير، ونوائب شر ، قال لبيد :

نوائب من خيرٍ وشرٍّ كلاهما ... فلا الخير ممدود ولا الشر لازب

وقد خصت خديجة - رضي الله عنها - مكارم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالإعانة على نوائب الخير دون الشر.

فاستدلت بما فيه من الأخلاق والصفات الفاضلة والشيم الكريمة، على أن من كان كذلك لا يخزى أبدًا.

فعلمت بكمال عقلها وفطرتها أن الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة والشيم الشريفة تناسب أشكالها من كرامة الله وتأييده وإحسانه ، لا تناسب الخزي والخذلان ، وإنما يناسبه أضدادها ؛ فلذلك بادرت إلى الإيمان[1] والتصديق.

وأبوبكر كان من أعقل الناس وأخبرهم ، فلما تبين له حاله علم علمًا ضروريًا أنه نبي صادق.

وكان أتم أهل الأرض يقينًا علمًا وحالاً.

قصة هرقل مع أبي سفيان ودلالتها على صدق رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم -

وكذلك هرقل لما سأل أبا سفيان عن تلك المسائل في أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فأجابه أبو سفيان ، استدل بذلك على نبوته.

والحديث في الصحيحين[2] عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: حدثني أبو سفيان بن حرب، قال: «انطلقت في المدة التي كانت

(١) في النسخة «س» [إلى الإيمان به والتصديق].

(٢) في صحيح البخاري في كتاب : الجهاد والسير ، باب : دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الإسلام ، ج ٤ : ٢ ، طبعة إستانبول.
وفي صحيح مسلم في كتاب : الجهاد والسير ، باب : كتاب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ، ج٣: ٣٩٣، ترتيب محمد عبدالباقي.

بيني وبين رسول الله - صلى اللـه عليه وسلم - إلى الشام، فبـينما أنا بهـا إذ جيء بكتاب مـن النبي - صلى الله عليـه وسلم - إلى هرقل ، جاء به دحية الكلبي[1]، فدفعـه إلى عظيم بُصْرى[2]، فدفعه إلى عظيم الروم هـرقـل.

فقـال هـرقل : هل ههنـا أحـد من قوم هذا الرجـل الذي يزعم أنـه نبـــي؟

فقالوا : نعم فدُعيت في نفر من قريش ، فدخلنا عليه، فأجلسنا بين يـديـه.

فـقـال : أيكم أقـرب نسـبًا منـه ؟ فقلـت : أنا . فأجـلسني بين يديه وأصحابي خلفي ، ثم دعا ترجمانه[3].

فـقال : قل لهـؤلاء : إني سائل هذا مـن هـذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ، فإن كذبني فكذِّبوه.

قال أبو سفيان : وأيم الله ، لولا أن يؤثروا عليَّ الكذب لكذبته.

---

(١) هو دحية بن خليفـة بن فـروة بن فضـالـة : القيـسي الكلبـي . أسلم قديمًا ، ولم يشهد بدرًا ، وشهد المشـاهد بعدها مع رسول الله - صلى الله عليـه وسلم - ، وأرسله بكتاب إلى هرقل سنة سبع من الهـجـرة ، وسكن دمشـق ، وعاش إلى خـلافـة معاوية. (تهـذيب التـهـذيب ، ج٣: ٢٠٦).

(٢) بصرى: هي مدينة حوران في بلاد الشام، والمراد بعظيمها ، أميرها.

(٣) في النسخة «س» [بترجمانه].

ثم قال لترجمانه[1]: سله كيف حسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو حسب.

فقال: هل [2] كان من آبائه ملك؟ قلت: لا.

قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت : لا .

قال : فهل يتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم.

قال : أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون.

قال : هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة[3] له؟ قلت : لا.

قال : فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم.

قال : كيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال[4]، يصيب منا، ونصيب منه.

قال : فهل يغدر؟ قلت: لا. ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها.

قال أبو سفيان: فوالله ، ما أمكنني من كلمة أُدْخِل فيها شيئًا غير هذه.

---

(١) الترجمان - بضم التاء وفتحها -: هو المعبِّر عن لغة بلغة أخرى ؛ لكونه يحسن التكلم بعدد من اللغات.

(٢) في النسختين «س» و «ع» [فهل].

(٣) سخطة له : أي : غضبًا له.

(٤) سجال : نوبة لنا ، ونوبة له.

قال: فهل قال هذا القول أحد قبله؟ قلت: لا.

فقال لترجمانه: قل له:

إني سألتك عن حسبه فيكم ، فزعمت أنه فيكم ذو حسب[1]، وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها. وسألتك : هل كان في آبائه ملك فزعمت أن لا. فقلت: لو كان في آبائه ملك قلت : رجل يطلب ملك آبائه.

وسألتك عن أتباعه : أضعفاؤهم أم أشرافهم؟ فقلت: بل أضعفاؤهم. وهم أتباع الرسل.

وسألتك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا. فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ، ويكذب على الله.

وسألتك : هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له؟ فزعمت أن لا. فكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب[2].

وسألتك : هل يزيدون أم ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون. وكذلك الإيمان حتى يتم.

وسألتك : هل قاتلتموه؟ فزعمت أنكم قاتلتموه، فتكون الحرب بينكم وبينه سجالاً ؛ ينال منكم ، وتنالون منه. وكذلك الرسل تبتلى، ثم تكون لهم العاقبة.

---

(١) الحسب: النسب الرفيع .

(٢) بشاشة القلوب: انشراح الصدور وطلاقة الوجه.

وسألتك : هل يغدر ؟ فزعمت أنه لا يغدر . وكذلك الرسل لا تغدر.

وسألتك : هل قال هذا القول أحد قبله ؟ فزعمت أن لا. فقلت: لو قال هذا القول أحد قبله قلت: رجل أئتم[1] بقول قيل قبله.

ثم قال : بم يأمركم؟ قلنا: بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف.

فقال: إن يك ما تقول حقًا فإنه نبي، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم، ولو أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه.

ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، وليبلغن ملكه ما تحت قدمي.

ثم دعا بكتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقرأه ، فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم.

من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام : أسلمْ تسلمْ ؛ يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الإريسيين[2] ، و ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[3].

---

(١) أئتم : معناه اقتدى به.

(٢) الإريسيون: الفلاحون والزراعون. وقيل : هم اليهود والنصارى أتباع عبدالله بن إريس الذي تنسب إليه الإريسية.

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٦٤.

فلما فرغ من قـراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده، وكـثر اللغط[1]، فأمر بنا ، فأخرجنا.

فقلت لأصحابي: لقد أمرَّ أمرُ[2] ابن أبي كبشة[3]؛ أنه ليخافه ملك بني الأصفر[4]. فمازلت موقنًا بأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه سيظهر حتى أدخل الله عليَّ الإسلام».

---

(١) اللغط: معناه الأصوات المرتفعة المختلطة.

(٢) لقد أمر أمر : معناه كبر وعظم أمره .

(٣) أبو كـبشـة: كنية لرجل من خـزاعة ، كـان يعبـد الشعـرى، ولم يوافقـه أحد من العـرب في عبادتها، فشبَّهت قـريش النبي - صلى الله عليه وسلم - به لمخالفته إياهم في دينهم، وقيل : كنية لوهب بن عبد مناف - جـد الرسول من قبل أمه - ، وقيل : كنية لزوج مرضعـته حليمة السعدية. (انظر : لسان العرب ، لابن منظور ، مادة كبش) .

(٤) بني الأصفر : الروم.

المقام الرابع

قال النصراني :

«فصل في تمييز الأسباب التي بواسطتها انتشرت كلتا الشريعتين، قد قلنا في شأن الشريعة المسيحية : إنها انتشرت بواسطة الآيات والمعجزات التي صدرت ، لا عن المسيح وحده ، بل وعن تلاميذه ، وبواسطة الصبر على الشدائد وأنواع العذاب في طاعة الله. أما الذين نشروا دين محمد فإنهم لم يظهروا شيئاً من المعجزات ، ولم يقاسوا شيئاً من البلايا الشديدة ، ولا من أنواع القتل الشنيعة من أجل اعتقادهم ؛ بل تبعت الشريعة حيث سهل السيف طريقها قدامها ؛ فإنها متعلقة بالكلية بالسيف والقتال »[1].

الجواب - والله الموفق - :

ما قاساه المسلمون في سبيل نشر دينهم

هذا الكلام يدل إما على الجهل المفرط ، وإما على العناد والمكابرة في إنكار ما استفاضت به الأخبار ، وتضمنته كتب السيرة ، وتلقاه الخلف عن السلف من شدة ما عاناه المؤمنون من أذى المشركين ، إذ كانوا بمكة مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وما قاسوه من الضيق والبلاء ، تارة بالضرب الشديد ، وتارة بالقتل الشنيع ، وتارة بالحصار وقطع الميرة[2] عنهم ، وعدم اتصال أحد بنافعة إليهم ، إلى غير ذلك من إخراجهم من ديارهم وإزعاجهم من أوطانهم .

وهم في كل ذلك صابرون على دينهم متابعون نبيهم - صلى الله عليه وسلم - لا يبالون بما أصابهم في ذات الله .

قال الإمام محمد بن إسحاق في السيرة[3] :

---

(١) كتاب مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن، ص ١٣٢، نسخة المكتبة البريطانية في لندن.

(٢) الميرة : الطعام .

(٣) انظر كتاب السيرة النبوية، لابن هشام، ج١: ٣٣٩، ٣٤٠، تحقيق محمد محيي الدين.

« إنهم - يعني المشركين - عدوا على من أسلم وبايع واتبع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أصحابه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ، ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر .

فمن استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم ، فمنهم من يفتتن من شدة البلاء الذي يصيبه ، ومنهم من يصبر ، ويعصمه الله منهم .

فكان بلال [(١)] - مولى أبي بكر - لبعض بني جُمَح [(٢)] مُوَلّداً من مولديهم ، وكان صادق الإسلام طاهر القلب .

فكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة، فتوضع على صدره، ثم يقول له : لا والله ، لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات [(٣)] والعزى [(٤)] .

فيقول - وهو في ذلك البلاء - : أحد أحد . حتى مر به أبو بكر الصديق يوماً وهم يصنعون ذلك به ، فاشتراه ، وأعتقه [(٥)] » .

---

(١) هو أبو عبدالله بلال بن رباح التيمي مولاهم . أسلم في أول الإسلام في مكة ، وعُذِّب في ذلك من قبل المشركين ، فصبر ، فاشتراه أبو بكر الصديق ، وأعتقه . روى عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وهو مؤذنه، وبعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - سكن دمشق ، وتوفي بها سنة خمس وعشرين . (تهذيب التهذيب ، ج١ : ٥٠٢) .

(٢) بني جمح - بضم الجيم وفتح الميم -: بطن من بطون قبيلة قريش ، وهو جُمح بن عمرو القرشي .

(٣) اللات : صخرة بيضاء منقوشة ، قد بني عليها بيت بالطائف ، له أستار وسدنة ، وقد اشتق اسمها من اللات ، وهو رجل كان يلت السويق للحجاج ، وكانت ثقيف تعظمها ، وتطوف حولها ، وبعد فتح الطائف بعث إليها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ المغيرة بن شعبة وأبا سفيان بن حرب ، فهدماها ، وجعلا مكانها مسجداً .

(٤) العزّى : شجرة بين مكة والطائف في وادي نخلة ، عليها بناء ، ولها أستار وحجاب ، وكانت قريش وبنو كنانة يعظمونها ، وينحرون عندها ، ويطوفون حولها كالطواف حول الكعبة ، وبعد فتح مكة بعث إليها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ خالد بن الوليد ، فقطعها ، وقتل امرأة كانت عندها هدماً لمعالم الشرك .

(٥) في النسخة « س » [فأعتقه] .

قال ابن إسحاق : « ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ست رقاب[1] ...

منهم زبيرة[2] ، فأصيب بصرها حين أعتقها ، فقالت قريش : ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى . فقالت : كذبوا ؛ ما تضر اللات والعزى وما ينفعان . فرد الله إليها بصرها .

ومر بجارية لبني عدي[3] ، وكان عمر بن الخطاب يعذبها؛ لتترك الإسلام - وهو يومئذ مشرك - وهو يضربها ، حتى إذا ملَّ ، قال : إني أعتذر إليك ؛ أني لم أتركك إلا ملالة . فابتاعها أبو بكر، فأعتقها[4] .

وكان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر[5] وبأبيه[6] وأمه[7]

---

(١) هم عامر بن فهيرة ، وأم عبيس ، وزنيرة ، والنهدية ، وبنتها، وجارية لبني مؤمل من بني عدي. (السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج ١ : ٣٤٠ - ٣٤١ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد) .

(٢) المشهور أن اسمها «زنيرة» - بكسر الزاي وتشديد النون وتسكين الياء - الرومية ، كانت - رضي الله عنها - من السابقين إلى الإسلام، وكانت مولاة لبني مخزوم، فعذبوها؛ ليردوها عن دينها، فاشتراها أبو بكر الصديق فأعتقها.
(السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج ١ : ٣٤٠ ، وأسد الغابة ، ج ٥ : ٤٦٢) .

(٣) في بعض الروايات : (لبني مؤمل) .

(٤) رواه ابن إسحاق . انظر السيرة ، لابن هشام ، ج١ : ٣٤١ ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

(٥) هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين العبسي، من السابقين الأولين إلى الاسلام ، وعذب وفتن في دينه ، فاحتسب وصبر ، وهاجر إلى المدينة ، وشهد مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بدراً وأحداً والخندق والحديبية، وشهد اليمامة في خلافة أبي بكر ، واستعمله عمر على الكوفة ، وشهد صفين مع علي ، وبها قتل شهيداً سنه سبع وثلاثين من الهجرة. (تهذيب التهذيب ، ج ٧ : ٤٠٨).

(٦) هو ياسر بن عمار بن كنانة العبسي، قدم مكة من اليمن قبل الإسلام، وحالف أبا حذيفة المخزومي، وجاء الإسلام فأسلم ياسر وأهله ، فعذبوا عذاباً شديداً من قبل المشركين ، فمر بهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم يعذبون في رمضاء مكة ، وقال : « صبراً آل ياسر ، موعدكم الجنة ». (طبقات ابن سعد ، ج ٤ : ١٣٦).

(٧) هي أم عمار سمية بنت خياط الرومية ، كانت أمة لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي ، فزوجها حليفه ياسر بن عامر، فولدت له عماراً . كانت ــ رضي الله عنها ــ من السابقين الأولين إلى الاسلام ، فعذبها المشركون ؛ ليفتنوها عن دينها وهي تأبى عليهم ، فطعنها أبو جهل ــ لعنه الله ــ بحربة في يده ، فقتلها ؛ فكانت أول شهيدة في الإسلام . (الإصابة ، ج ٧ : ٧١٢) .

- وكانوا بيت إسلام - إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة »[1].

قال ابن إسحاق :

« فيمر بهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيقول فيما بلغني : «صبراً آل ياسر ، موعدكم الجنة». فأما أمه فقتلوها وهي تأبى إلا الإسلام.

وكان أبو جهل الذي يغري بهم في رجال من قريش إذا سمع بالرجل قد أسلم ، له شرف ومنعة أنَّبه وخزاه ، فقال : تركت دين أبيك وهو خير منك ، لنسفهنَّ حلمك ، ولنضعنَّ شرفك . وإن كان تاجراً قال : والله ، لنكدسنَّ تجارتك ، ولنهلكنَّ مالك . وإن كان ضعيفاً ضربه ، وأغرى به ».

قال [2] : « وحدثني حكيم بن جبير [3] عن سعيد بن جبير قال : قلت لعبدالله بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟ قال : نعم والله ، إنْ كانوا ليضربون أحدهم ، ويجيعونه ، ويعطشونه، حتى ما يقدر على أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي كان به ، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة »[4].

فلما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما يصيب أصحابه

---

(١) ذكره ابن إسحاق . انظر السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج١ : ٣٤٢ ، تحقيق محمد محيي الدين .

(٢) ابن إسحاق .

(٣) هو حكيم بن جبير الأسدي ، مولى الحكم بن أبي العاص الثقفي الكوفي. قال الإمام أحمد : «ضعيف الحديث» . انظر : ميزان الاعتدال ، ج١ : ٥٨٣ ، تحقيق علي البجاوي ، وتهذيب التهذيب، ج٢ : ٤٤٥ ، الطبعة الأولى .

(٤) إلى هنا انتهى كلام ابن إسحاق . انظر كتاب السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج١ : ٣٤٢ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد .

من البـلاء ، وأنه لا يقدر أن يمنعـهم مما هم فـيه من ذلك قـال لهم : « لو خرجتم إلى أرض الحبـشة ؛ فإن بها ملكاً [1] لا يظلم عنده أحد ، حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه » [2] .

فخرج إليها كثـير منهم ممن لم يطق المقام بمكـة ، وصبـروا [3] على الجلاء ومفـارقة الأوطان والعشائر والإقـامة في دار البغضـاء البعداء ، حتى أنجز الله لهم ما وعدهم .

ثم حصرت قريش رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن معه من المؤمنين في شـعب [4] أبي طالب ومعـهم أبو طالب [5] ومن تابعه على النصرة من مشركي بني هاشم وبني المطلب .

وتعـاقـدت قريش علـى أن لا يجالسـوهم ، ولا يبـايعـوهم ، ولا يتركوا أحداً يصل إليهم بنافعـة ، حتى يسلموا إليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فاشتـد الأمر عليهـم ، ودام ذلك ثلاث سنين حتى نقض الله ما عقدوه ، وأعز رسوله وحزبه .

فهذا بعض حال المهاجرين من أهل مكة .

وأمـا الأنصار فـإن الذي دعـاهم إلى الدخـول في الإسلام واتبـاع محمد - صلى الله عليه وسلم - بعد عناية الله بهم وسابقة الحسنى أن

---

(١) هو النجاشي أصحمة . وقد تقدم التعريف به .

(٢) رواه ابن إسحاق . انظر السيـرة النبوية ، لابن هشام ، ج١ : ٣٤٣ ، تحقيق محـمد محيي الدين عبدالحميد .

(٣) في النسخة «س» [وصبرها] .

(٤) شعب أبي طالب : موضع بمكة ، هو الآن قريب من المسجد الحرام .

(٥) هو أبو طالب بن عبـدالمطلب بن هاشم بن عبـدمناف بن قصي بن كلاب بن مـرة بن كعب بن لؤي القـرشي الهاشـمي ، عم رسولِ الله ــ صلى الـله عليه وسلم ــ ، وهو كـافله في صـغره ومناصره في أول البعثة ، إلا أنه لم يسلم ، بل مات كافـراً قبل الهجرة. (السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج١ : ١٩٣) .

اليهود كانوا جيرانهم بـالمدينة ، وكانت تقع بينهم الحروب في الجاهلية. فكانت اليهود تستفتح عليهـم ، وتقول : هذا زمان نبي يبعث، فنتبعه ؛ فنقتلكم معه قتل عاد . فقدم طائفة منهم مكة في بعض المواسم، وسمعوا ما يدعو إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من محاسن الشريعة ومايتلوه من القرآن الذي دلتهم عقـولهم أنه ليس من قول البشر، وعلموا أنه رسول الله ، وأنه الذي كانت توعدهم به اليهود، فآمنوا به ، وصدقوه ، وبايعوه على الإيمان والنصرة .

ولما أرادوا بيعته [(١)] ليلة العقبة [(٢)] - وكانوا سبعين رجلاً - قال لهم أسعد بن زرارة [(٣)] - وهو أحد ساداتهم - وقد أخذ بيـد النبي - صلى الله عليـه وسلم -: «رويداً يا أهـل يثرب ، إنَّـا لم نضرب إلـيه أكـبـاد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وإن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم وأن تعظكم السيوف ، فإما أنتم تصبرون على ذلك فخـذوه ، وجزاؤكم على الله ، وإمـا أنتم تخافون من أنفـسكم خيـفة فذروه ، فهو أعذر لكم عند الله .

فقالوا : يا أسعد ، انقل عنا يـدك ، فوالله ، لا ندع هذه البيعة ، ولا نستقيلها . فبايعوه ، وأعطاهم بذلك الجنة » [(٤)].

---

(١) مبايعة الأنصار أهل المدينة للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ كانت قبل الهجرة بشهرين وعشرين يوماً في منى في وسط أيام التشريق من شهر ذي الحجة ، وعددهم سبعون رجلاً وامرأتان .
انظر تفاصيل ذلك في : كتاب السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج٢ : ٤٩ - ٥٥ ، ٧٤ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، والبداية والنهاية ، لابن كثير، ج ٣: ١٦٠ والمواهب اللدنية للقسطلاني ، ج١ : ٥٩.

(٢) العقبة: الطريق في الجبل أو الجبل الطويل يعرض للطريق، والموضع الذي تمت فيه البيعه كان بمنى.

(٣) هو أبو أمامـه أسعـد بن زرارة بن عدس بن عبـيد بن ثعلبـة بن غنم بن مالك بن النجـار الأنصاري الخزرجي ، قيل : إنه هو أول من أسلم من الانصار ، وحضر العقبة الأولى والثانيه، وكان نقيب بني النجار ، وتوفي بالمدينة في السنة الأولى من الهجرة . رضي الله عنه . (طبقات ابن سعد، ج٣: ٦٠٨).

(٤) أخرجـة البيهقي في دلائل النبـوة ، ج ٢ : ١٨٣، تحقيق عـبدالرحمن عثـمان . وذكره ابن كثـير في البداية والنهاية ، ج٣ : ١٥٩، وقال : «أخـرجه الإمام أحمد عن عبدالرزاق عن معـمر عن ابن خثيم عن أبي الزبير عن جابر» .

ومن المعلوم أن ما تحملوه من ذلك هو من أعظم ما يشق على النفوس فإنهم نابذوا العرب قاطبة ، بل الخلق كلهم ، ، وقاطعوا من لم يدخل معهم في ذلك من أهليهم وعشائرهم ، وقطعوا الحبال بينهم وبين الناس .

وهكذا المهاجرون من غير أهل مكة، قد أسلم منهم كثير، وهجروا أوطانهم وعشائرهم، وهاجروا إليه في المدينة، وصبروا على ما كابدوه من الجوع والعري والشدة ومفارقة المألوفات قبل أن يقوم الجهاد.

وإنما دخلوا بالدعوة والقرآن ، وإلا فلم يكن له - صلى الله عليه وسلم - ما يستميل به القلوب من مال ؛ فيطمع فيه ، ولاقوة ؛ يقهر بها الرجال ، ولا أعوان على الأمر الذي أظهروه، والدين الذي دعا إليه.

وكانوا حين دعاهم مجتمعين على عبادة الأصنام[1] وتعظيم الأزلام[2] مقيمين على ما هم عليه من عبية[3] الجاهلية في العصبية والحمية والتمادي والتباغي وسفك الدماء وشن الغارات .

لا تجمعهم ألفة دين ، ولا يمنعهم عن سوء أفعالهم نظر في عاقبة ولا خوف عقوبة ولا لائمة ، فألف الله بنبيه - صلى الله عليه وسلم - بين قلوبهم ، وجمع كلمتهم ، حتى اتفقت الآراء ، وتناصرت القلوب، وترادفت الأيدي .

فصاروا إلباً واحداً [4] في نصرته ، وعنقاً واحداً [5] إلى طاعته ،

---

(١) الأصنام : جمع صنم ، وهو التمثال الذي كان يصنعه أهل الجاهلية من الأحجار ونحوها، فيعبدونه.

(٢) الأزلام : جمع زلم ، وهي السهام التي كان أهل الجاهلية يستقسمون بها في أمورهم .

(٣) عبية الجاهلية : عادتها وتقاليدها . وفي الحديث : «إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالأنساب أو الآباء». رواه أبو داود في سننه في كتاب : الأدب .

(٤) إلباً واحداً : صنفاً واحداً .

(٥) عنقاً واحداً : انقادوا جميعاً لطاعته .

وهجروا أوطانهم وبلادهم، وجفوا قومهم وعشائرهم في محبته، وبذلوا مهجهم وأرواحهم في نصرته ، ونصبوا وجوههم لوقع السيوف في إعزاز كلمته، بلا دنيا بسَطَها عليهم، ولا أموال أفاضَها إليهم، ولا عوض في العاجل أطمَعَهم في نيله يحوونه، أو ملك أو شرف في الدنيا يحوزونه.

بل كان من شأنه - صلى الله عليه وسلم - أن يجعل الغني فقيراً والشريف أسوة الوضيع .

فهل تلتئم مثل هذه الأمور أو يتفق مجموعها لأحد ؟

وهذا[1] سبيلة من قبيل الاختيار العقلي والتدير الفكري ، لا والذي بعثه بالحق ، وسخر له هذه الأمور، لا يرتاب عاقل في شيء من ذلك، وإنما هو أمر إلهي، وشيء غالب سمائي، ناقض للعادات ، يعجز عن بلوغه قوى البشر، ولا يقدر عليه إلا من له الخلق والأمر - تبارك الله رب العالمين -.

وبهذا يتبين أن قيام دينه - صلى الله عليه وسلم - إنما كان بالحجة. ولكنه شرع الجهاد لتبليغ الأدلة ، وإيصال الحجة ، وإنفاذ البيان إلى المخاطبين . ومن أجل ذلك كان أكثر الداخلين بالسيف لما سمعوا القرآن وعرفوا الإسلام انفتحت بصائرهم ، وصلحت عقائدهم، واستبصروا فيما كانوا عنه من قبل ذلك عمين .

ولهذا المعنى لما وقعت الهدنة [2] التي عقدها النبي - صلى الله عليه

---

(١) في النسخة «س» [هذا سبيله] بدون واو .

(٢) عرفت هذه الهدنة بـ: صلح الحديبية بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأهل مكة ، وذلك في شهر ذي القعده سنه ست من الهجرة . انظر تفاصيلها في صحيح البخاري في كتاب : المغازي ، باب : غزوة الحديبية ، ج ٥ : ٦٧ ، طبعة إستانبول . وفي مسند الإمام أحمد ، ج ٤ : ٣٢٨ ، طبعة المكتب الإسلامي ، بيروت . وفي السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج ٣ : ٣٦٥ - ٣٦٨ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . وفي البداية والنهاية ، لابن كثير ، ج ٤ : ١٦٤ .

وسلم - بينه وبين المشركين يوم الحديبية[1]، وأمن الناس بعضهم بعضا ، واختلط المسلمون بالكفار، وبادؤوهم[2] بالدعوة ، وأسمعوهم القرآن، وخلى كل بأهله وأصدقائه ، وأخبروهم بأحوال النبي - صلى الله عليه وسلم - ومعجزاته وأعلام نبوته وحسن سيرته وجميل طريقته ، وعاينوا بأنفسهم كثيراً من ذلك ، دخل في الإسلام في مدة هذه الهدنة كثير من الناس ؛ ولهذا سماه الله فتحاً مبينا[3] .

والمقصود التنبيه على ما نال المسلمين[4] من الشدائد ، وما كانوا عليه من الصبر في طاعة الله ورسوله ونصرة دينه، وأن ذلك إنما كان باليقين الذي اقتضاه ما شاهدوه من آيات النبوة ، وأعلام الرسالة ، وأن دين الإسلام اشتهر ، وانتشر في القبائل بالدعوة والبيان قبل أن يفرض الجهاد . وسيأتي تتمة لهذا المعنى - إن شاء الله تعالى -[5] .

(١) تقدم التعريف بهذا الموضع .
(٢) في النسختين «ع» و «س» [وبادوهم] .
(٣) بقوله - تعالى - ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ من سورة الفتح ، الآيتان : ١ - ٢ .
(٤) في النسخة «س» [على ما نال المؤمنين] .
(٥) في مبحث : مشروعية الجهاد في الإسلام .



فصل

بعض كرامات أتباع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وأما قول النصراني :

«لأنهم [1] لم يظهروا شيئاً من المعجزات » [2] .

فجوابه :

أن معجزات [3] نبيهم - صلى الله عليه وسلم - غنية عن غيرها فإنه قد حصل بها قيام الحجة والدلالة على أنه رسول الله [4] ، فلا حاجة بعد ذلك إلى ظهور الخوارق على يد أصحابه وأتباعه .

ومع ذلك فقد ظهر على أيديهم من الخوارق والآيات الدالة على أن متبوعهم رسول الله ما لا يحصى .

واعلم أن كثيراً من أهل الكلام لا يسمِّي معجِزاً إلا ما كان للأنبياء فقط . وأما مايجري على يد الولي فيسمونه كرامة .

ونُقِلَ عن السلف أنهم كانوا يسمون هذا معجِزاً ، وذُكِر ذلك عن الإمام أَحمد .

ثم مايجري على يد غير النبي من الخوارق ، إن ظهر على يد صالح متبع للسنه قائم [5] على قدم العبودية المرضية فهو المسمى كرامة .

وإن كانت حال من ظهرت له الخوارق بضد ذلك فهو استدراج، وخيال شيطاني ، وليس من حال أولياء الله وكرامتهم .

---

(١) في النسخة «س» [أنهم] .

(٢) كتاب مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن ، ص ١٢٢ ، نسخة المكتبة البريطانية في لندن .

(٣) في النسختين «س» و «ع» [أن في معجزات] .

(٤) في النسخة «س» [صلى الله عليه وسلم] .

(٥) في النسخة «س» [قايم] بالياء .

قال بعض الأئمة :

«اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء ، ومشى على الماء لم يغتر به حتى تنظر متابعته لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وموافقته لأمره ونهيه»[(١)] .

فأولياء الله المتقون هم المهتدون المقتدون بمحمد - صلى الله عليه وسلم -، فيفعلون ما أمر، وينتهون عما عنه زجر، ويقتدون به فيما بيَّن لهم أن يتبعوه فيه ، فيؤيدهم الله - تعالى- بملائكته ، وروح منه ، ويقذف في قلوبهم من أنواره ، ولهم الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه المتقين .

وخيار أولياء الله تكون كراماتهم لحجة في الدين أو لحاجة بالمسلمين[(٢)] مثل ما كانت معجزات نبيهم كذلك .

فكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباعهم رسوله ، فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

إذا عرفت هذا، فاعلم أن الكرامات والخوارق والمعجزات المنقولة عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من صلحاء الأمة، وعلمائها كثيرة جداً .

مثل ما كان لسفينة[(٣)] مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين انكسرت سفينة في البحر هو فيها، فركب لوحاً منها ، فطرحه في الساحل بأرض فيها أسد ، قال : فخرج إليَّ الأسد يريدني ، فقلت :

(١) قال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص ٥٧.

(٢) في النسخة «س» [أو لحاجة المسلمين] .

(٣) هو أبو عبدالرحمن مولى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، اسمه مهران ، وقيل : رومان ، وقيل: عبس ، كان غلاماً لأم سلمة فأعتقته ، وشرطت عليه أن يخدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وقد سماه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ سفينة . كان يسكن في بطن نخلة بين مكة والطائف، وتوفي سنة إحدى وسبعين للهجرة . (أسد الغابة ، ج٢ : ٣٢٤ ، والبداية والنهاية ، ج ٨ : ٢٤٠).

يا أبا الحارث ، أنا مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . فتقدم، ودلني على الطريق ، ثم همهم ، فظننت أنه يودعني ، ورجع [(١)] .

وكان أسيد بن حضير [(٢)] وعبَّاد بن بشر [(٣)] تحدثا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - في حاجة لهما حتى ذهب بعض الليل .

ثم خرجا من عنده وكانت ليلة شديدة الظلمة وفي يد كل واحد منهما عصا ، فأضاءت عصا أحدهما لهما حتى مشيا في ضوئها ، فلما فرق بينهما الطريق أضاءت للآخر عصاه ، حتى بلغ منزله . والقصة في صحيح البخاري [(٤)] وغيره .

ومن ذلك قصة أبي بكر الصديق - وهي في الصحيحين [(٥)] - لما ذهب

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ، ج ٢ : ٦١٩ ، وقال : «صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه». وذكره أبو نعيم في حلية الأولياء ، ج١ : ٣٦٩ . وابن كثير في البداية والنهاية ، ج ٨ : ٣٢٣ ، الطبعة الثالثة. وابن تيمية في كتابة الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ص ١١٦ ، طبعة المدني .

(٢) هو أبو يحيى أُسيد - بضم الهمزة - بن حضير بن سماك بن عتيك الانصاري الأشهلي ، شهد العقبة الثانية ، وكان أحد النقباء ، كان شريفاً في قومه ، وتوفي سنة إحدى وعشرين من الهجرة . (طبقات ابن سعد ، ج٣ : ٦٠٣ ، وتهذيب التهذيب ، ج١ : ٣٤٧) .

(٣) هو أبو بشر عباد بن بشر بن وقش ، ويقال : زغبة بن زعيرا بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزوج الأنصاري ، أسلم قبل وقعة بدر ، وشهدها ومابعدها من المشاهد ، واشترك في قتل كعب بن الأشرف اليهودي ، وآخى الرسول بينه وبين أبي حذيفة بن عتبة ، وتوفي في وقعة اليمامة سنة إحدى عشرة من الهجرة . (تهذيب التهذيب ، ج٥ : ٩٠) .

(٤) في صحيح البخاري في كتاب: فضائل الصحابة ، باب: منقبة أسيد بن حضير وعباد بن بشر، ج ٤ : ٢٢٨ ، طبعة المكتبة الإسلامية في إستانبول ١٩٧٩م .

(٥) في صحيح البخاري في كتاب: المناقب ، باب : علامات النبوة ، ج٤ : ١٧٢ ، طبعة إستانبول . وفي صحيح مسلم في كتاب : الأشربة ، باب: إكرام الضيف ، ج٣ : ١٦٢٧ ، تحقيق محمد عبدالباقي .

بثلاثة أضياف معه إلى بيته ، وجعل لا يأكل لقمة إلا ربا أسفلها أكثر منها ، فشبعوا ، وصارت أكثر مما كانت عليه قبل ذلك .

فنظر إليها أبو بكر وامرأته ، فإذا هي أكثر مما كانت، فرفعها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وجاء إليه أقوام كثيرون ، فأكلوا منها.

وكان خبيب بن عدي [(١)] أسيراً عند المشركين بمكة ، فكانوا يرون عنده العنب وما على وجه الأرض يومئذ عنب [(٢)] .

وعامر بن فهيرة [(٣)] من شهداء بئر معونة [(٤)] التمسوا جسده فلم يقدروا عليه ، وكان لما قُتل رُفِع فرآه عامر بن الطفيل [(٥)] وقد رُفِع .

قال عروة : فيرون أنَ الملائكة رفعته [(٦)] .

---

(١) هو خبيب بن عدي بن مالك بن عامر بن مجدعة الأوسي الأنصاري ، من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، شهد بدراً ، وقتل فيها الحارث بن عامر بن نوفل ، وقد بعث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ خبيباً مع عشرة رهط عينا للمسلمين ، فوقع خبيب في الأسر، فبيع بمكة على بني الحارث بن عامر، فقتلوه أخذاً بثأر أبيهم سنه ثلاث من الهجرة . (الإصابة ، ج١ : ٤١٨) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب : المغازي ، باب : غزوه الرجيع ، ج٥ : ٤١ ، طبعة إستانبول . وابن حجر في الإصابة ، ج١ : ٤١٨ . وأبو نعيم في الحلية ، ج٢ : ١١٣ .

(٣) هو أبو عمرو عامر بن فهيرة التيمي ، مولى أبي بكر الصديق ، من السابقين إلى الإسلام ، هاجر مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة ، وشهد بدراً وأحداً ، واستشهد في وقعة بئر معونة سنة أربع من الهجرة . (أسد الغابة ، ٣ : ٩٠)

(٤) بئر معونة : بين أرض بني عامر وحرّة بني سُليم . انظر السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج٣ : ١٨٥ .

(٥) عامر بن الطفيل : من رؤساء بين عامر وشياطينهم ، همّ هو وأربد بن قيس العامري بقتل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فلم يقدرا على ذلك ، وقد دعا عليهما النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالهلاك . أما عامر فمات بالطاعون في بيت امرأة من بني سلول ، وأما أربد فمات بالصاعقة . (السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج٤ : ٢٣٤) .

(٦) ذكره ابن سعد في الطبقات ، ج٣ : ٢٣١ ، وأبو نعيم في الحلية ، ج ٢ : ١١٠ ، وابن إسحاق، انظر سيرة ابن هشام ، ج٣ : ١٨٧ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . وذكرة الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ، ج ٤ : ٧٢ ، ط٣ .

وخرجت أم أيمن[1] مهاجرة ، وليس معها زاد ولا ماء ، فكادت تموت من العطش ، فلما كان وقت الفطر - وكانت صائمة - سمعت حساً على رأسها ، فرفعته فإذا دلو برشاء أبيض معلَّق ، فشربت منه حتى رويت ، فما عطشت بقية عمرها[2] .

والبراء بن مالك كان إذا أقسم على الله أبرَّ قسمه . فكانت الحرب إذا اشتدت على المسلمين في الجهاد يقولون : يا براء ، أقسم على ربك ، فيقول : يارب ، أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم . فيهزم العدو .

فلما كان يوم اليمامة[3] قال : يارب ، أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم ، وجعلتني أول شهيد ، فمِنُحوا أكتافهم ، وقُتِل البراء شهيداً[4] .

وخالد بن الوليد حاصر حصناً ، فقالوا : لا نسلم حتى تشرب السم . فشربه ، فلم يضره[5] .

---

(١) هي أم أيمن بركة ، مولاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ورثها عن أبيه ، فأعتقها ، فتزوجت عبيد بن زيد من بني الحارث ، فولدت له أيمن ثم مات عبيد ، فتزوجها زيد بن حارثة ، فولدت له أسامة . كانت امرأة صالحة ، لها كرامات ، توفيت في أول خلافة أبي بكر، (طبقات ابن سعد ، ج ٨ : ٢٢٣) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ، ج٢ : ٦٧ ، وابن سعد في الطبقات ، ج٨ : ٢٢٤ . وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الفرقان ، ص ١١٦ ، طبعة المدني بمصر .

(٣) وقعة اليمامة كانت سنة إحدى عشرة من الهجرة في خلافة أبي بكر ، وكان قائد المسلمين في هذه الوقعة خالد بن الوليد ، وقد قتل فيها مسيلمة الكذاب ، فعاد بنو حنيفة بعدها إلى الإسلام.

(٤) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الفرقان ، ص ١١٧ ، طبعة المدني بمصر .

(٥) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ، ج ٩ : ٣٥٠ ، وقال : «رواه أبو يعلى والطبراني بنحوه ، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح ، وهو مرسل ، ورجالهما ثقات ».
وذكره ابن تيمية في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ص ١١٧ .

وسعد بن أبي وقاص كان مستجاب الدعوة ، ما دعا قط إلا استُجيب له ، وهو الذي هزم جنود كسرى وفتح العراق[1] .

وعمر بن الخطاب ظهرت له الكرامات الكثيرة .

منها أنه أرسل جيشاً[2]، وأمَّر عليهم رجلاً يدعى سارية [3]. فبينما عمر يخطب إذ جعل يصيح وهو على المنبر : « يا ساريةُ ، الجبلَ ، يا ساريةُ ، الجبلَ » . فقدم رسول ذلك الجيش ، فسأله عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لقينا عدونا فهزمونا ، فإذا بصائح : يا ساريةُ، الجبلَ ، يا ساريةُ ، الجبلَ ؛ فأسندنا ظهورنا بالجبل ، فهزمهم الله[4].

ودعا سعيد بن زيد[5] على أروى[6] ، حين كذبت عليه ، فقال : «اللهم ، إن كانت كاذبة فأعم بصرها ، واقتلها في أرضها». فعميت، ووقعت في حفرة من أرضها ، فماتت[7].

والعلاء بن الحضرمي[8] كان عامل النبي - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) أخرج الهيثمي في مجمع الزوائد، عن سعد بن أبي وقاص قال : «سمعني النبي - صلى الله عليه وسلم - وأنا أدعو ، فقال : اللهم استجب له إذا دعاك » قال الهيثمي : «رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح ». وفي الباب روايات متعددة عن وقائع مختلفة في إجابة دعوته .

(٢) لفتح «مساو دار أبجرد» من بلاد فارس .

(٣) هو سارية بن زنيم بن عمرو بن عبدالله بن جابر الكناني . (أسد الغابة ، ج٢ : ٢٤٤ ، البداية والنهاية ، ج٧ : ١٣١ ، ط٣).

(٤) ذكره الحافظ ابن كثير في كتابه البداية والنهاية ، ج ٧ : ١٣١ . وابن تيمية في كتابه الفرقان ، ص ١١٧ ، طبعة المدني .

(٥) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبدالعزى القرشي . أسلم قديماً في مكة ، وآخى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بينه وبين أُبي بن كعب ، وهو من العشرة المبشرين بالجنة ، توفي بالعقيق من نواحي المدينة سنة خمسين من الهجرة . (أسد الغابة ، ج٢ : ٣٠٦) .

(٦) هي أروى بنت أويس .

(٧) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ، ج١ : ٩٦. وذكره ابن الأثير في أسد الغابة ، ج٢ : ٣٠٧. وابن تيمية في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ص ١١٧ .

(٨) هو العلاء بن الحضرمي ، حليف بن أميه واسم الحضرمي عبدالله بن عمار بن أكبر بن ربيعة ابن مالك بن عويف ، من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ولاه على البحرين، كان مستجاب الدعوة ، وله كرامات مشهورة ، توفي وهو في طريقه إلى البصرة سنة سبع عشرة من الهجرة . (تهذيب التهذيب ، ج٨ : ١٧٨) .

على البحرين ، وكان يقول في دعائة : « يا عليم ويا حليم يا عليّ يا عظيم » فيستجاب له .

دعا الله بأن يسقوا فيتوضؤوا لما عدموا الماء ، ولا يبقى الماء بعدهم، فأجيب .

ودعا الله لما اعترضهم البحر، ولم يقدروا على المرور، فمروا كلهم هو والعسكر بخيولهم على الماء، ولم تبتل سروج خيولهم .

ودعا الله ألاَّ يروا جسده إذا مات، فلم يوجد جسده في اللحد[(١)] .

وجرى مثل ذلك لأبي مسلم الخولاني [(٢)] الذي ألقي في النار، فإنه مشى هو ومن معه من العسكر على دجلة [(٣)] وهي في قوة مدها ، ثم التفت إلى أصحابه ، فقال : هل تفقدون من متاعكم شيئاً حتى أدعو الله فيه؟ فقال بعضهم : فقدتُ مخلاة [(٤)] . فقال : اتبعني ، فاتبعه ، فوجدها قد تعلَّقت بشيء ، فأخذها [(٥)] .

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير ، ج١ : ١٤٣ ، عن أبي هريرة .
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج٩ : ٣٧٦): «رواه الطبراني في الثلاثة ، وفيه إبراهيم بن معمر الهروي ولد إسماعيل ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات» .
وذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ، ج٧ : ١٢٠ .
وشيخ الإسلام ابن تيمية في الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ص ١١٨ .

(٢) هو أبو مسلم عبدالله بن ثوب الخولاني ، من خولان ببلاد اليمن ، أسلم في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وارتحل من اليمن قاصداً الرسول في المدينة ، فمات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبو مسلم في الطريق ، فقدم المدينة ، ولقي أبا بكر الصديق ، وروى عنه ، يعد من كبار التابعين ، كان ثقة عدلا ، له كرامات مشهورة . توفي في سنة ستين من الهجرة . (تهذيب التهذيب ، ج١٢ : ٢٣٦) .

(٣) دجلة : النهر المعروف في العراق .

(٤) مخلاة - بكسر الميم وإسكان الخاء -: وعاء يوضع فيه الخلي ، الرّطْب من الحشيش ، وقد تستعمل لغير ذلك.

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية ، ج٥ : ١٢١ ، طبعة المكتبة السلفية .
وذكره ابن تيمية في كتاب الفرقان ، ص ١١٨ ، طبعة المدني مصر .

وطلبه الأسود العنسي[1] لما ادعى النبوة ، فقال له : أتشهد أني رسول الله؟ فقال: ما أسمع . قال: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم . فأمر بنار ، فأُلقِيَ فيها ، فوجدوه قائماً يصلي فيها ، وقد صارت عليه برداً وسلاما .

وقدم المدينة بعد موت النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر ، وقال : الحمد لله الذي لم يُمِتْنِي حتى أراني من أمة محمد من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله .

ووضعت له جاريته السُّمَّ في طعامه ، فأكله ، فلم يضره . وخببت عليه امرأة زوجته ، فدعا عليها ؛ فعميت ، فجاءت إليه ، وتابت ، فدعا الله ، فردَّ عليها بصرها[2] .

وكان عامر بن عبد قيس[3] يأخذ عطاءه في كمه ألفي درهم ، وما يلقاه سائل إلا أعطاه بغير عدد ، ثم يجيء إلى بيته ، فلم يتغير عددها أو وزنها .

---

(١) هو عبهلة بن كعب بن غوث العنسي ، خرج من بلدة باليمن - يقال لها : كهف حنان -، فاستولى على بلاد اليمن في فترة وجيزة ، وادعى النبوة وأنه يوحى اليه . وقد قتلة فيروز الديلمي بعد ثلاثة أو أربعة أشهر من خروجه في سنه إحدى عشرة من الهجرة . (البداية والنهاية ، ج٦ : ٣٠٧) .

(٢) ذكر ذلك أبو نعيم في حلية الأولياء ، ج٢ : ١٢٩ ــ ١٣٠ . وابن تيمية في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ص ١١٨ . وابن حجر في تهذيب التهذيب ، ج ١٢ : ٢٣٦ . وابن كثير في البداية والنهاية ، ج٨ : ١٤٦ .

(٣) هو عامر بن عبدالله بن عبد قيس العنبري البصري التميمي ، من قبيلة بني تميم ، كان - رحمه الله - في غاية الزهد والورع ومن المجتهدين في العبادة ، أخذ العلم عن أبي موسى الأشعري، وتوفي بالشام في خلافة معاوية.
(طبقات ابن سعد ، ج ٧ : ١٠٣ ، وحلية الأولياء ، لأبي نعيم ، ج٢ : ٨٧) .

ومر بقافلة وقد حبسهم الأسـد ، فجاء حتى مسَّ بثيابه فم الأسد، ووضع رجله على عنقـه ، وقـال : إنما أنت كلب من كلب الرحـمن ، وإني أستحي[١] من الله أن أخاف شيئاً غيره . ومرت القافلة .

ودعـا الله أن يهوِّن عليـه الطهور فـي الشتـاء ، فكان يؤتى بالماء له بخار. ودعا ربه أن يمنع قلبه من الشيطان ، فلم يقدر عليه[٢] .

وتغيَّب الحسن البصري عن الحَجَّاج ، فدخلوا عليـه ست مرات، فدعا الله ألاَّ يروه ؛ فلم يروه.

ودعا على بعض الخوارج ، وكان يؤذيه ؛ فخرَّ ميتا[٣] .

وصلة بن أشيم[٤] مات فرسه وهو في الغزو، فقال : اللهم ، لا تجعل لمخلوق عليَّ منَّة ، ودعا الله ؛ فأحياه لـه . فلما وصلوا إلى بيته قال لابنه: يا بني ، خُذْ سَرج الفرس ؛ فإنه عارية ، فأخذ سرجه ، فمات[٥] .

وجاع مرة بالأهواز[٦] فدعا الله ، واستطعمه ، فوقعت خلفه دوخله[٧] رطب في ثوب حرير، فأكل، وبقي الثوب عند زوجته زمانا.

---

(١) في النسخة «س» [وأن أستحيي] ، وفي النسخة «ع» [وأنا أستحيي] .

(٢) ذكر ذلك أبو نعـيم في الحلية ، ج٢ : ٩٢ ، طبعـة المكتبة السلفـية . وابن سعد في الطبـقات ، ج٧: ١٠٣ . وابن تيمية في الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ص ١١٨ ، ١١٩ .

(٣) ذكر ذلك شيـخ الإسلام ابن تيـمية فـي كتابه الفـرقان بين أوليـاء الرحمن وأولياء الـشيطان، ص١١٩.

(٤) هو صلة بن أشـيم العدوي ، من بني عـدي بن عبـد مناة ، كان ثقـة فاضـلاً ورعاً ، وقـد قتل شهـيدا في إحـدى المغازي في أول إمـارة الحجاج بن يوسـف على العراق . (حليـة الأولياء ، ج٢:٢٣٨) .

(٥) أخرجه أبو نعـيم في حلية الأولياء ، ج٢ : ٢٣٠ ، ٢٤٠ ، طبـعة المكتبة السلفـية . وذكره ابن سعد في الطبقات ، ج٧ : ١٣٦. وابن تيمية في الفرقان ، ص ١١٩ ، طبعة المدني بمصر .

(٦) الأهواز : مدينة مشهورة في بلاد فارس ، وهي الآن في إيران .

(٧) دوخله : ظرف ينسج من الخوص ، ويجعل فيه الرُّطب من التمر .

وجاءه الأسد وهو يصلي في غيضة[1] بالليل، فلما سلَّم قال له: اطلب الرزق من غير هذا الموضع. فولى الأسد وله زئير[2].

ورجل من النخع كان له حمار، فمات في الطريق، فقال أصحابه: هلم نتوزع متاعك، فقال: أمهلوا هنيئة، ثم توضأ، فأحسن الوضوء، وصلى ركعتين، ودعا الله، فأحيا له حماره، فحمل عليه متاعه[3].

ولما مات أويس القرني وجدوا في ثيابه أكعاناً لم تكن معه قبل، ووجدوا له قبرا محفورا فيه لحد من صخرة، فدفنوه فيه، وكفنوه في تلك الأثواب[4].

وكان عمرو بن عتبة بن فرقد[5] يصلي يوما في شدة الحر، فأظلته غمامة.

وكان السَّبُع يحميه، وهو يرعى ركاب أصحابه؛ لأنه كان يشترط على أصحابه في الغزو أن يخدمهم[6].

وكان مطرِّف بن عبدالله بن الشخير[7] إذا دخل بيته سبَّحت معه آنيته.

وكان هو وصاحب له يسيران بالليل، فأضاء لهما طرف السوط[8].

---

(١) الغيضة: الشجر الملتف.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء، ج٢: ٢٤٠. وذكره ابن تيمية في الفرقان، ص ١١٩.

(٣) ذكره ابن تيمية في الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص ١١٩.

(٤) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء، ج٢: ٨٣. وذكره ابن تيمية في كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص ١١٩.

(٥) هو عمرو بن عتبة بن فرقد السلمي الكوفي، اشتهر بالزهد والورع والعبادة، من كبار التابعين، وثقه ابن سعد، مات شهيدا في إحدى الغزوات على أثر حجر أصابه.

(٦) أخرجه أبو نعيم في كتاب حلية الأولياء، ج٤: ١٥٧. وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص ١٢٠.

(٧) هو أبو عبدالله مطرف بن عبدالله بن الشخير العامري البصري. ذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة من أهل البصرة، ووثَّقه العجلي، وتوفي سنة خمس وتسعين من الهجرة. (حلية الأولياء، ج٢: ٢٠٥).

(٨) أخرجه أبو نعيم في الحلية، ج٢: ٢٠٥ - ٢٠٦. وذكره ابن تيمية في الفرقان، ص ١٢٠.

ولما مات الأحنف بن قيس[1] وقعت قَلَنْسُوة[2] رجل في قبره ، فأهوى؛ ليأخذها ، فوجد القبر قد فُسِحَ فيه مدّ البصر[3] .

وكان إبراهيم التيمي[4] يقيم الشهر والشهرين لا يأكل شيئا[5] .

وخرج يمتار لأهله طعاما ، فلم يقدر عليه ، فمر بسهلة حمراء، فأخذ منها ، ثم رجع إلى أهله ، ففتحوها ، فإذا هي حنطة حمراء .

فكان اذا زرع منها تخرج السنبلة من أصلها إلى فرعها حبا متراكبا[6] .

وكان عتبة[7] الغلام سأل ربه ثلاث خصال : صوتا حسنا، ودمعا غزيرا، وطعاما من غير تكليف[8]. فكان إذا قرأ بكى، وأبكى، ودموعه جارية دهره، وكان يأوي إلي منزله ، فيصيب فيه قوته ، ولا يدري من أين يأتيه[9] .

وكان عبد الواحد بن زيد[10] أصابه الفالج[11]، فسأل ربه أن يطلق

---

(1) الأحنف : لُقِّبَ بذلك لحنف في رجله ، واسمه صخر بن قيس بن معاوية بن حصين التميمي، أحد الحكماء الدهاة ، أدرك النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ولم يره ، وقدم على عمر في وفد البصرة ، كان - رحمه الله - ثقة حليما ، وتوفي بالكوفة سنة سبع وستين من الهجرة . (طبقات ابن سعد ، ج٧ : ٩٣) .

(2) القلنسوة : - بفتح القاف واللام وسكون النون وضم السين -: شيء يلبس في الرأس ، وجمعها قلانس ، وقلانيس ، وقلاسي .

(3) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الفرقان ، ص ١٢٠ .

(4) هو إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي، من تيم الرباب، مات بواسط في سجن الحجاج بن يوسف.

(5) أخرجه أبو نعيم في الحلية ، ج٣ : ٢١٤ . وذكره ابن تيمية في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ص ١٢٠ .

(6) ذكره شيخ الإسلام في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ص ١٢٠.

(7) هو عتبة بن أبان بن صمعة ، وقيل: بن ثعلبة. كان من نسّاك البصرة ، اشتهر بالتقشف والزهد والعبادة والوعظ ، توفي في قرية المصيصة ، من بلاد الشام . (حلية الأولياء، ج ٦ : ٢٢٦).

(8) في النسختين «ع» و «س» [تكلف] .

(9) أخرجه أبو نعيم في الحلية ، ج ٦ : ٢٣٦ . وابن تيمية في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ص ١٢٠ .

(10) عبدالواحد بن زيد البصري الزاهد ، من أصحاب الحسن البصري ، كان عابداً زاهداً واعظاً مؤثراً مجاب الدعوة .

(11) الفالج : مرض يصيب الإنسان ، فيرخي بعض أعضائه .

له أعضاءه وقت الوضوء ، فكان وقت الـوضوء تُطْلق له أعضاؤه ، ثم تعود بعده[(١)] .

وهذا باب واسع جدا لا يمكن أن يؤتى منه في هذا الموضع بأكثر مما ذكرناه.

وكلها قـضايا عـامتهـا مشـهورة[(٢)] في كتب الحـديث والأثر، وقد سقناها كما ساقها شيخ الإسلام أبو العباس[(٣)] .

ثم قال : «ومما ينبغي أن يعرف أن الكرامـات قد تكون بحسب حاجة الرجل اذا احتاح إليها الضعيف الإيمان ، أو المحتاج ، آتاه منها ما يقوي إيمانه ، ويسد حاجـته ، ويكون من هوأكمل ولاية لله منه مسـتغنيا عن ذلك ، فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها ، لا لنقص ولايته.

ولهـذا كانت هذه الأمـور في التـابعين أكثـر منهـا في الصحـابة ، بخـلاف مـن تجري على يديه الخـوارق لهـداية الخلق أو لحاجـاتهم[(٤)] ، فهؤلاء أعظـم درجة»[(٥)] .

وهذا بخـلاف الأحوال الشـيطانيـه كأحـوال الكهـان الذين يكون لأحدهـم القرين من الشيـاطين ، يخبره بكثير من المغيبـات ، مما يسترقه من السـمع ، وكانوا يـخلطون الصدق بالـكذب ، كمـا دل على ذلك

(١) أخرجه أبو نعيم في كتاب حلية الأولياء ، ج٦ : ١٥٥ . وذكره ابن تيمية في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ص ١٢٠.

(٢) في النسختين «ع» و «س» [مشهور] .

(٣) هو تقي الدين ابن تيمية في كتابه الفـرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ص ١١٦ ـ ١٢٠ ، طبعة المدني بمصر .

(٤) في النسختين «س» و «ع» [أو لحاجتهم] .

(٥) إلى هنا انتهى كلام ابن تيمية .

الحديث الصحيح الذي رواه البخاري[1] ، وغيره[2] .

وكان للأسود العنسي الذي ادعى النبوه من الشياطين من يخبره ببعض الأمور الغائبة .

فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون أن تخبره الشياطين بما يقولون فيه حتى أعانتهم عليه امرأته لما تبين لها كفره ، فقتلوه[3] .

وكذلك مسيلمة الكذاب ، كان معه من الشياطين من يخبره بالمغيبات ، ويعينه على بعض الأمور[4] .

وأمثال هؤلاء كثيرون ، مثل : الحارث الدمشقي[5] الذي خرج بالشام زمن عبد الملك بن مروان[6] ، وادعى النبوة .

وكانت الشياطين تخرج رجله من القيد، وتمنع السلاح أن ينفذ فيه.

---

(١) عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : « سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: إن الملائكة تنزل في العنان - وهو السحاب - ، فتذكر الأمر قُضي في السماء ، فتسترق الشياطين السمع ، فتسمعه ، فتوحيه إلى الكهان ، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم » .
أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب : بدء الخلق ، ج٤ : ٧٩ ، طبعة المكتبة الإسلامية .

(٢) في سنن الترمذي ، ج٨ : ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، تعليق عزت عبيد الدعاس . والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ومشهورة .

(٣) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ص ١٢٢، والحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ، ج٦ : ٣٠٧ .

(٤) انظر كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، لابن تيمية ، ص ١٢٢ .

(٥) هو الحارث بن سعيد الدمشقي ، مولى أبي الجلاس العبدري . أصله من الجولة ، فنزل دمشق، وتعبد بها ، فمكر به الشيطان ، فادعى النبوة فجيء به إلى الخليفة الأموي عبدالملك ابن مروان ، فقتله سنه تسع وسبعين من الهجرة . (البداية والنهاية ، ج ٩ : ٢٨) .

(٦) هو الخليفة الأموي أبو الوليد عبدالملك بن مروان بن الحكم القرشي ، ولد سنه ست وعشرين من الهجرة ، ونشأ في المدينة ، كان فقيها واسع العلم ، استعمله معاوية على المدينة ، وتولى الخلافة بعد أبيه سنه خمس وستين ، فأحسن تدبيرها إلى أن توفي في دمشق سنة ست وثمانين من الهجرة. (البداية والنهاية ، ج ٩ : ٦١) .

وكان يُري الناسَ بجبل قاسيون[1] رجالا ركبانا على خيل في الهواء ، ويقول : هي الملائكة . وإنما كانوا جنًّا .

ولما أمسكه المساك ؛ ليقتلوه ، طعنه الطاعن بالرمح ، فلم ينفذ فيه، فقال له عبدالملك : إنك لم تسمِّ الله ؛ فسمِّ الله . وطعنه ، فقتله[2] .

وهكذا أهل الأحوال الشيطانية تنصرف عنهم شياطينهم إذا ذُكر عندهم ما يطردها مثل : آية الكرسي[3] .

الفرق بين كرامات الأولياء والأحوال الشيطانية

والمقصود عند ذكر هذه الخوارق التنبيه علي الفرق بين كرامات الأولياء وبين ما يشبهها من الأحوال الشيطانية فإن بينهما فروقا متعددة .

منها : أن كرامات أولياء الله سببها الإيمان والتقوى ، والأحوال الشيطانية يكون سببها ما نهى الله ورسوله عنه[4] ، ويستعان بها على ما نهى الله عنه ورسوله .

وتجد كثيرا ممن ضعفت بصيرته ، وقلَّ علمه بالكتاب والسنة وأحوال السلف الصالح يكون عمدته في اعتقاده في شخص كونه وليا لله أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور أو بعض الخوارق للعادة.

مثل : أن يشير إلى شخص فيموت ، أو يطير في الهواء إلى مكة أو غيرها ، وأن يمشي على الماء أحيانا ، أو يملأ إبريقا من الهواء ، أو ينفق بعض الأوقات من الغيب ، أو أن أحدا استغاث به وهو غائب أو ميت،

---

(١) جبل قاسيون : هو الجبل المشرف على مدينة دمشق .

(٢) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ص ١٢٣ . والحافظ ابن كثير في كتابه البداية والنهاية ، ج٩ : ٢٧ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ .

(٤) في النسختين «ع» و «س» [ما نهى الله عنه ورسوله] .

فرآه قد جاء فقضى حاجته ، أو يخبر الناس بما يُسْرق لهم أو بحال غائب لهم أو مريض ، أو نحو ذلك من الأمور.

وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها وليّ الله، بل قد اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء ومشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وموافقته لأمره ونهيه .

وكرامات أولياء الله أعظم من هذه الأمور .

وهذه الأمور وإن كان قد يكون صاحبها وليًا لله فقد يكون عدوًّا لله، فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين ، وأهل الكتاب والمنافقين ، وتكون لأهل البدع ، فتكون من الشياطين ، فلا يجوز أن يُظَنَّ أن كل من كان فيه شيء من هذه الأمور يكون وليًا لله .

بل يُعْتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة ويُعْرفون بنور الإيمان والإقرار بحقائق الإيمان الباطنة وشرائع الإسلام الظاهرة .

ومثال ذلك أن هذه الأمور المذكورة وأمثالها قد توجد في أشخاص، ويكون أحدهم لا يتوضأ ، ولا يصلي الصلوات المكتوبة ، بل يكون ملابسا للنجاسات ، معاشرا للكلاب، يأوي إلى الحمامات والمزابل التي هي مأوى الشياطين ، ولا يتطهر الطهاره الشرعية ، ولا يتنظف.

وقد قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا تدخل الملائكه بيتا فيه كلب ولا جنب »[1].

---

(١) متفق عليه في صحيح البخاري في : كتاب: بدء الخلق ، باب : إذا وقع الذباب في إناء أحدكم ، ج٤ : ١٠١ ، طبعة المكتبة الإسلامية .
وفي صحيح مسلم في كتاب : اللباس ، باب : تحريم تصوير صورة الحيوان ، ج٣:١٦٦٥، ترتيب محمد عبدالباقي.

وقال عن الأخلية : « إن هذه الحشوش[1] محتضرة »[2] ؛ أي: يحضرها الشياطين .

وقال : « من أكل من هاتين الشجرتين فلا يقربن مسجدنا ؛ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم »[3] .

وقال : « إن الله طيِّب لا يقبل إلا طيبًا »[4]

وقال : « إن الله نظيف يحب النظافة »[5] .

وقال الله - تعالى - : ﴿ ... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ... ﴾ إلى قوله : ﴿ ... وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ... ﴾ الآيه[6].

فإذا كان الشخص مباشرا للنجاسات والخبائث التي تحبها الشياطين ، يأوي إلى الحمامات[7] والحشوش التي تحضرها الشياطين .

أو يأكل الحيَّات[8] والعقارب[9] والزنابير[10] وآذان الكلاب التي هي خبائث وفواسق.

---

(١) الحشوش : مفردها حش ، وهو موضع قضاء الحاجة ، والأصل فيها الجماعة من النخل المتكاثفة ، كانوا يقضون بها حوائجهم قبل اتخاذهم الكنف ، فسميت بذلك مراعاة للأصل .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ، ج٤ : ٣٦٩ عن زيد بن أرقم . وأبو دواد في سننه ، ج٢ : ٢ في كتاب: الطهارة ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . وابن ماجه في سننه في كتاب : الطهارة، ج١ : ١٠٨ .

(٣) متفق عليه في صحيح البخاري في كتاب الأذان ، ج١ : ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، طبعة إستانبول . وفي صحيح مسلم في كتاب : المساجد ، ج١ : ٣٩٤ ، تحقيق محمد عبدالباقي .

(٤) أخرجه مسلم عن أبي هريرة في كتاب : الزكاه ، باب : قبول الصدقة ، ج٢:٧٠٣ ، ترتيب محمد عبدالباقي.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب : الأدب ، ج٨ : ٣٢ ، تحقيق عزت عبيد . قال الترمذي : «حديث غريب».

(٦) سورة الأعراف ، الآيتان : ١٥٦ - ١٥٧ .

(٧) الحمامات : واحدها حمَّام - مشدد ومذكر - ، وهي أماكن تتخذ للاغتسال والتنظف بالماء الحار .

(٨) الحيَّات - بتشديد الياء مع الفتح -: مفردها حية ، يطلق على الذكر والأنثى ، وهي نوع من الأفاعي السامة.

(٩) العقارب: مفردها عقرب ، يطلق على الذكر والأنثى ، والغالب عليه التأنيث. وهي نوع من الحشرات السامة.

(١٠) الزنابير: مفردها زنبور، وهو ضرب من الذباب لاسع، وفي لسان العرب لابن منظور: الزنبور: «طائر يلسع».

أو يشرب البول ونحوه من النجاسات التي تحبها الشياطين .
أو يدعو غير الله ، فيستغيث بالمخلوقات ، ويتوجه إليها .
أو يسجد إلى ناحية قبر الشيخ ، ولا يخلص الدين لرب العالمين .
أو يلابس الكلاب ، أو يأوي إلى المزابل [(١)] المواضع النجسة .
أو يأوي إلى مقابر الكفار من اليهود والنصارى أو المشركين [(٢)] .

أو يكره سماع القرآن ، وينفر عنه ، ويقدم على سماع الأغاني ، والأشعار ، فهذه علامات أولياء الشيطان لا علامات أولياء الرحمن .

قال ابن مسعود [(٣)] : «ولا يسأل أحد عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله، وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله» [(٤)] .

وقال عثمان بن عفان: «لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله» [(٥)] .

فإذا كان الرجل خبيرا بحقائق الإيمان الباطنة فارقا بين الأحوال الشيطانية والأحوال الرحمانية ، قد قذف الله في قلبه نوره .

كما قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ...﴾ [(٦)] .

ففرق [(٧)] بين حال أولياء الرحمن وحال أولياء الشيطان ، كما يفرق

---

(١) المزابل : مفردها مزبلة ، وهو موضع يجمع فيه السماد من رجيع الدواب وقمامة البيوت .
(٢) في النسخة «ع» [والمشركين] .
(٣) في النسخة «ع» [رضي الله عنه] .
(٤) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ص ٥٩ .
(٥) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ص ٥٩ .
(٦) سورة الحديد ، الآية : ٢٨.
(٧) في النسخة «س» [فرق] .

الصيرفي بين الدرهم الجيد والدرهم الزائف[1] . وكما يفرق من يعرف الخيل بين الفرس الجيد والفرس الرديء .

وكما أنه يجب الفرق بين النبي الصادق والمتنبي الكاذب .

ففرق بين محمد الصادق[2] رسول رب العالمين ، وموسى والمسيح وغيرهم.

وبين مسيلمة الكذاب والأسود العنسي وطليحة الأسدي[3] والحارث الدمشقي ، ونحوهم من الكذابين .

فكذلك يجب الفرق بين أولياء الله المتقين وأولياء الشياطين[4] الظالمين ، وبسط ذلك لا يتسع له هذا الموضع .

ولشيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية في ذلك مصنف سماه : "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان"[5] ، أتى فيه بالعجب العجاب ، فجزاه الله خير الجزاء ، وأثابه خير الثواب .

---

(١) الزائف : المغشوش .

(٢) في النسختين «س» و «ع» [الصادق الأمين] .

(٣) هو طليحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة بن الأشترين الأسدي ، كان من أشجع العرب . ادعى النبوة في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - فأطاعه بنو أسد وغطفان ، فأرسل الصديق أبو بكر إليه جيشاً بقيادة خالد بن الوليد لقتاله ، فانهزم طليحة ، وفر إلى الشام ، فلم يزل بها حتى توفي أبو بكر، وفي خلافة عمر بن الخطاب أسلم طليحة إسلاماً صحيحاً ، وقدم على عمر في المدينة ، واشترك في فتح القادسية واستشهد في نهاوند سنة إحدى وعشرين من الهجرة . (أسد الغابة ،ج٣ : ٦٥) .

(٤) في النسختين «ع» و «س» [الشيطان] .

(٥) هذا الكتاب يقع في مائة وخمسين صفحة ، تحدث فيه - رحمه الله - عن الولاية وحقيقتها وأنواعها ، والمناهل المستمدة منها ، والفرق بين كرامات الأولياء المستمدة من الله وخوارق السحرة والكهان المستمدة من الكذب وتضليل الشياطين .

وقد طبع الكتاب - فيما أعرف - ثلاث مرات : الأولى في مصر سنة ١٣٢٥هـ ، والثانية ضمن مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية التي جمعها الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم عام ١٣٨١هـ والطبعة الثالثة مفرداً في مصر سنة ١٤٠١هـ بتعليق الأستاذ أحمد حمدي إمام .

فصل

قال النصراني :

الإرهاصات التي ظهرت بين يدي بعثه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ

«وإنما تستدل علماؤهم على صحتها ــ يعني الشريعه ــ بكثرة الغلبات والفتـوحات ، وعظم المـلك ، وهذا مما ليس شيء أقل يقينا منـه ، فإن مع أن عبادات الوثنيين في غـايه الشناعة ترى كم [1] من البلاد فُـتحت على أيدي الفرس واليونانيين والروم ، حتى اتسعت ممالكهم في الأرضَ » [2] .

الجواب ــ ومن الله التأييد ــ :

إن استدلال علمـائنا على صحة الشريعة ليس مـحصورا في هذا الدليل - كما اقتضاه كلامه - فإن طرق الأدلة على صحتها لا تنحصر.

فإن الله ــ تـعالى ــ جعل لمحـمد ــ صلى الله عليـه وسلم ــ الآيات البـينات قبل مـبعـثه ، وفي حـياته ومـوته ، إلى هذه الساعـة ، وإلى قـيام الساعة.

فإن ذكره ، وذكر البشارة به موجود في الكتب المتقدمة ، كما قدمنا بعض ذلك [3] .

ولما وُلدَ اقترن بمولده من الآيات ما هو مـعروف في كتب الأخبار والسير، كَارتجاس [4] إيوان [5] كسرى ، وسقوط شرافات منه وانصداعه .

---

(١) في النسخة «س» [نرى كم] .

(٢) كتاب : مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن ، ص ١٢٢ ، نسخة المكتبة البريطانية في لندن .

(٣) في فصل : صفة محمد - صلى الله عليه وسلم - وأدلة رسالته في كتب أهل الكتاب .

(٤) ارتجاس : من ارتجس ، ومعناه : ارتجف .

(٥) الإيوان : قاعة الاستقبال عند الملوك . وهو عبارة عن بهو كبير مربع الشكل ، تحيط به الجدران من ثلاث جهات .

وما اقترن به من رؤيا الموبذان[1]، التي أوَّلها سطيح[2] الكاهن بخمود نار فارس التي يعبدونها، ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة، وغيض بحيرة ساوة[3].

وحفظ السماء بالشهب رجوما للشياطين المسترقة للسمع[4]، وجرى ذلك العام قصة أصحاب الفيل[5].

وكل ذلك إرهاص بين يدي مبعث محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

إلى ما كان يحصل في مدة نشأته من الآيات والدلائل مثل ما حصل لمرضعته[6] لما كان عندها، ومثل ما شوهد منه في صغره من شقِّ

---

(١) رؤيا الموبذان: « رأى إبلا صعابا تقود خيلا عرابا، قد قطعت دجلة، وانتشرت في بلادها » وقد أوَّلها سطيح بقوله: « إذا كثرت التلاوة، وظهر صاحب الهراوة، وفاض وادي السماوة، وغاضت بحيرة ساوة، وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاماً، يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات، كلما هو آت آت » . (البداية والنهاية، لابن كثير، ج١: ٢٦٨، نقلا عن الحافظ أبي بكر الخرائطي).

(٢) هو الربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي الأزدي المعروف بسطيح، اشتهر بالكهانة والإلهام، وقد أخبر عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ومبعثه ونعته، ومات سطيح بعد مولد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ. (البداية والنهاية، لابن كثير، ج٢: ٢٧٠، ولسان العرب، مادة سطح).

(٣) ساوة: مدينة بين الري وهمذان، كانت عامرة بالسكان حتى ٦١٧هـ، حيث دمرها التتر، وقتلوا أهلها. (معجم البلدان لياقوت الحموي، ج٣: ١٧٩).

(٤) ذكر ذلك البيهقي في كتابه دلائل النبوة، ج ١: ٦٧ ــ ٦٨، تحقيق السيد أحمد صقر. وأبو نعيم في كتابه دلائل النبوة، ص ٩٨، الطبعة الثانيه. وابن كثير في كتابه البداية والنهاية، ج٢: ٢٦٨.

(٥) قصة أصحاب الفيل مشهورة ذكرها الله في القرآن (سورة الفيل)، وبسط تفاصيلها المفسرون والمؤرخون.

(٦) هي حليمة بنت أبي ذؤيب عبدالله بن الحارث بن شجنة، من بني سعد بن بكر، وتفاصيل ما حصل لها من البركات، عندما كان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ في حضانتها.
ذكره ابن هشام في: السيرة النبوية، ج٢: ١٧٢ ــ ١٧٦، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، والبيهقي في دلائل النبوة، ج١: ٧٤، تحقيق السيد أحمد صقر، وابن كثير في البداية والنهاية، ج٢: ٢٧٣، الطبعة الثالثة.

صدره[1] ، وتظليل الغمامة له[2] ، ومعرفه جماعـة له بعلاماته ، كما في قصة بحيرى الراهب[3] .

وأما مـا في أيام نبوته فظاهر ـ كمـا تقدم ذكر بعـضه[4] ـ ، وأما بعد موته فـمثل نصـر أتباعـه ، وإهلاك أعدائه ، وإعـلاء ذكره ، ونشـر لسان الصدق له ، وإظهار دينه على كل دين باليـد واللسان ، والدليل والبرهان. وهذا مما يطول وصف تفصيله .

وهكذا آيات غيره من الأنبياء مـتنوعة قبل المبعث ، وحين المبعث ، وبعد موتهم ، لكن آيات نبينا ـ صـلى الله عليه وسلم ـ أكثر ، وبراهين نبوته أظهـر ، ثم إن غير الفـتوحات من آياته أبلـغ في الدلالة وأبهر في المعـجزة ، وأكـبر في البـرهان من التـمكين في الأرض ، ووراثتهـا من

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، ج١ : ١٤٧ ، ترتيب محمد عبدالباقي . والدارمي في سننه ، ج١ : ٨ مقدمة . والبـيهقي في دلائل النبوة ، ج١ : ٣٥٠ ، تحقيق أحمـد صقر . والحاكم في المستدرك ، ج٢ : ٦١٦ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه في باب : بدء النبوة ، ج٩ : ٢٤٣ ، تحقيق عزت عبيد . قال الترمذي : «حديث حسن غريب» .

(٣) بحيرى الراهب : اسـمه جرجيس ، أحد علماء النصـرانية ، كان يقيم في صومعـة له ببصرى من أرض الشام ، وقـصته مع الرسول - صلى اللـه عليه وسلم - مشهـورة ، رواها جمع من المحدثين وأصحاب السير ، منهم :
الترمذي في سننه في باب : مـا جـاء في بدء النبـوة ، مـن حـديث عـبدالرحمن بن غزوان ، ج٢ : ٢٨٣ - ٢٨٤ ، تحقيق عزت عبيد . قال الترمذي : «هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه» . والبيهقي في دلائل النبوة ، ج١ : ٣٧٠ ، تحـقيق أحمد صقر . وأبو نعيم في دلائل النبـوة ، ص ١٢٩ . وابن هشـام في السـيـرة النبويـة ، ج١ : ١٩٤ ، تحقيق مـحمد محيي الدين عبدالحميـد . وابن كثير في البداية والنهاية ، ج٢ : ٢٨٤ .

(٤) في الرد على شبهة النصراني حول معجزات محمد - صلى الله عليه وسلم - .

أيدي الأمم الذين عصوه وخالفوا أمره ، مع أن هذا - أيضا - دليل ظاهر وبرهان قاطع .

وللاستدلال به طرق :

الطريق الأول :

تحقق وقوع وعد الله لنبيه بالنصر

ما تقدمت الإشارة إليه من إخباره ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك، ثم وقوعه على وفق ما أخبر ، قال الله - تعالى - : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[1] .

وقال - تعالى - : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ...﴾[2] الآية .

ووردت الأحاديث الصحيحة بهذا الوعد - كما قدمنا ذكر بعضها[3] - وقد وقع ذلك كله كما أخبر ، فإن الله - تعالى - أظهر دينه على سائر الأديان بحيث أنه لم يبق أهل دين يخالف الإسلام إلا وقد قهرهم المسلمون ، فظهروا عليهم ، وإن لم يكن ذلك في كل المواضع ، وفي جميع الأزمان.

فقد قهروا اليهود ، وأخرجوهم من بلاد العرب ، وغلبوا النصارى على بلاد مصر والشام وما والاها إلى ناحية الروم ، إلى ما ورائها، وغلبوا

---

(١) سورة الفتح ، الآية : ٢٨ .

(٢) سورة النور ، الآية : ٥٥ .

(٣) في مبحث : إخبار النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ببعض المغيبات .

أهل المغـرب ، وغلبوا المجـوس على ملكهم ، وغلبـوا كثيـرا من عُـبَّاد الأصنام على كـثـيـر من بلادهـم ، مما يـلي التـرك والهند، وذلك سـائر الأديان ، فـثبـت أن الذي أخبـر الله به في قـوله : ﴿ ... لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ... ﴾[1] قد وقع.

وقيل في معنى الظهور المذكور في الآية: إنه الظهور بالحجة.

والكل حق . فإن الـله أظهر دين الإسلام بالاعـتباريـن على أكمل الوجوه ، فجعل لأهله الظهور بالحجة والبيان ، والسيف والسنان ، وقد وقع ما وعـدهـم من الاستـخلاف في الأرض، وتمكين الدين ، وتـبديل الخوف بالأمن ، وبلوغ ملك هذه الأمة مشارق الأرض ومغاربها، وقد أخبر بذلك - وهو خـبر عن الغيب - وأصحابه فـي غاية القلة ، فوقع كما أخبر ؛ فكان معجزا.

الطريق الثاني :

وقـوع الفتوحات الإسلامية خـارقـة للعادة .

أن الفتوحات الإسلامية وقعت خارقة للعادة ، بحيث لم يقع قبلها ولا بعدها نظيرها ، وهذا يدل على عناية الرب - تعالى - بذلك ، وعلى تأييده لمن جاء بهذه الشريعة بأمر سمائي ، لا من قبيل قوة البشر وتغلبات الملوك.

وذلك يعرف بوجوه :

منها : قلة من قام بـه فـي أول الأمـر ، وضعفـهم وقوة عـدوهم ، وكونهم في غـاية الكثرة ، ونهاية الحنق عليهم ، والبـغض لهم ، والجد في عداوتهم بكل ممكن ، فأيدهم الله عليهم ، وأظهرهم ، فدلَّ على أن هذا النصر من السماء .

---

(١) سورة الفتح ، الآية : ٢٨ ، وسورة الصف ، الآية : ٩ .

ومنها : أن أعداءه مع كون حالهم ما وصفناه، كانوا على أديان وجدوا عليها آباءهم ، ونشؤوا عليها ، وألفتها طباعهم ، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يدعوهم إلى تركها ، وأن يتبعوا ما جاء به من الشريعة والمنهاج . وكان أول من دعا إلى ذلك العرب الذين هم أقوى الناس نفوسا، وأقساهم قلوبا، وأشدهم توحشا، وأمنعهم جانبا، وأحبهم لأن يَغلبوا، ولا يُغلبوا، وأعسرهم انقيادا للملوك، وأجفاهم أخلاقا، وأقلهم احتمالا للضيم والذلة، فما كانوا ليجيبوا إلى ما طلبه منهم إلا لما رأوه من الآيات، وشاهدوه من المعجزات الدالة على أنه رسول الله[1]، أو بأمر خارق للعادة ، ليس من صنع البشر، فكان معجزاً ، فدل على أنه من عند الله .

ومنها : أن تلك الفتوحات وقعت في مدة قريبة ، ففُتحَت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جزيرة العرب كلها إلى مَا يليها من أرض الشام في مدة عشر سنين، فدخلوا في طاعته، والتزموا دينه ، وتركوا أديانهم، سوى مَنْ قُبِلَتْ[2] منه الجزية والصغار، وهذا ما لم يعهد له نظير.

وكذلك الفتوحات الواقعة في أيام خلفائه الراشدين في المشارق والمغارب ، كان ذلك في أقرب مدة ، وكانت أعداؤهم في غاية الكثرة والشجاعة ، والقوة والنجدة ، ولم يكن للمسلمين إذ ذاك من العدد والعدة والقوة ما يكون له نسبة بجنب ما عند أعدائهم من ذلك ، فكيف بما كافأتهم ؟ فلا يرتاب عاقل أن ما أعطوه[3] من الظهور والغلبة ليس إلا بالنصر الإلهي ، والتأييد السمائي ، الخارق للعوائد ، الدال على صدق من جاء بهذه الشريعة ، وأنها مرضية لله .

---

(١) في النسخة «س» [أنه رسوله] .

(٢) في النسختين «ع» و «س» [قبل منه] بدون تاء .

(٣) في النسخة «س» [أعطوا] .

تأييد الله لرسوله وتمكينه في الأرض

الطريق الثالث :

ما أشرنا إليه فيما تقدم ، بما حاصله أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - قام بهذه الشريعة ناسخا شرائع الأنبياء قبله ، مستحلاً دماء من خالفه من أهل الكتاب وغيرهم ، وأموالهم ، ونسائهم ، قائلاً : إن الله أمرني بذلك . ومع ذلك أيَّده الله - تعالى - بأنواع التأييد ، وصَدَّقه بأكمل أنواع التصديق ، ومكَّنه في الأرض ، وأظهر دينه على كل الأديان ، وجعل لأمته من التمكين في الأرض ما لم يكن لغيرهم ؛ فدلَّ ذلك على أنه رسول الله ، وأنه إنما فعل ذلك عن أمر الله له بذلك؛ وإلا لكان ذلك طعنا في الرب - تعالى - ، حيث زعم أعداؤه أنه سلَّط جبارا كاذبا عليه ، وعلى أوليائه وأتباع رسله ، ويمكِّن له غاية التمكين ، ويؤيِّده أعظم التأييد . فمن آمن بربوبية الله لهذا الخلق، ورأى ما ذكرنا لم يرتب في صدق محمد - صلى الله عليه وسلم - وأنه رسول الله ، وأنَّ ما أعطاه من النصر والتأييد هو من آيات نبوته ، كما كان من آيات الأنبياء إهلاك الله مكذِّبيهم ونصرة المؤمنين بهم ، كإغراق قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم .

وقد ذكر الله قصصهم في القرآن في غير موضع ، وبيَّن أنها من آيات الأنبياء ، كما في سورة الشعراء ، يختم كل قصة من تلك القصص بقوله : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1] .

(1) ذكرت هذه الآية في سبعة مواضع من سورة الشعراء في الآيات رقم : ٦٧ ، ١٠٣ ، ١٢١ ، ١٣٩ ، ١٥٨ ، ١٧٤ ، ١٩٠ .

ومن ذلك ما جعله من اللعنة التابعة لمن كذبهم ، ومن لسان الصدق والثناء والدعاء لهم ، ولمن آمن بهم ، كما قال [1] في قصة نوح : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾[2]، وكذلك في قصة إبراهيم ؛ أي : تركنا هذا القول يقوله المتأخرون . وكذلك في قصة موسى وهارون وإلياس .

وقال في قصة فرعون وقومه: ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً ﴾[3] . وقال في عاد : ﴿ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ... ﴾[4] .

ولهذا قال -تعالى-:﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴾[5] وقال : ﴿ ... فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[6] .

وكل واحد من هذه الطرق التي ذكرناها كاف في الدلالة على صحة الشريعة ، وصدق من جاء بها ، فكيف وهي كلها متفقة متظاهرة على ذلك ، مضافة إلى ما لا يحصى من الأدلة والبراهين التي هي أظهر من شمس الظهيرة لأولي الألباب والبصيرة .

وأما اعتراض النصراني بتمكين من مُكِّن في بعض البلاد من الوثنيين ونحوهم من ملوك الكفار ، فهو اعتراض فاسد ؛ فإن أولئك لا يشبهون

---

(١) في النسخة «س» [كما قال تعالى] .

(٢) سورة الصافات ، الآيتان : ٧٨ - ٧٩ .

(٣) سورة هود ، الآية : ٩٩ .

(٤) سورة القصص ، الآية : ٤٢ . وهي تتحدث عن نهاية مصير فرعون وقومه ، لا عن قوم عاد كما ذكر المؤلف - عفا الله عنه - .

(٥) سورة يوسف ، الآية : ١١١ .

(٦) سورة هود ، الآية : ٤٩ .

المسلمين فيما ذكرناه من قوة التمكين في مثل هذه المدة اليسيرة ، ولم يحصل لهم ما حصل لهم ، ولا ما قاربه ، ولم يدَّعِ أحد منهم أن ذلك عن أمر الله له بذلك ، ولم يشرِّع شريعة يحمل الناس عليها مُدَّعِيًا أنها من عند الله .

فإن سنة الله في المتنبئين الكذبة على الله أن يهتك أستارهم[1] ، ويُظْهِر للخلائق عارهم ، ويهزم أنصارهم ، ويدمِّر ديارهم . كما جرى لمسيلَمة[2] والأسود وطليحة وأضرابهم من الكذَبة. فإن الله أظهر لخلقه من الدلالة على صدق رسوله - بما جرى لهم وما عُرِفَ من أحوالهم وسِيَرهم الباطلة ، وتدمير الله إياهم - ما هو من الحكم الباهرة والمصالح العظيمة ؛ فإن الضد يظهر حسنَه الضدُّ .

وكذلك من سبر أحوال ملوك الكفار رأى العبرة في هذا الباب . فإنهم وإن انتصروا على أتباع الرسل - أحيانا - فإن أولئك لا يقول[3] مطاعهم : إنه نبي . ولا يقاتلون أتباع الأنبياء على دين ، ولا يطالبون منهم أن يتبعوهم على دينهم ، بل يصرحون: إنَّا نُصِرنا عليكم بذنوبكم، وإنكم لو اتبعتم دينكم لم نُنْصَر عليكم .

وأيضاً فلا عاقبة لهم ، بل الله يُهْلِك الظالم بالظالم ، ثم يهلك الظالمين جميعاً .

---

(١) في النسخة «س» [أن يهتك الله أستارهم] .

(٢) في النسخة «س» [لمسيلمة الكذاب] .

(٣) في النسخة «س» رسمت الكلمة هكذا [لا يقولهم] .

وليس قتيلهم يطلب بقتله سعادةً بعد الموت .

فهـذا وأمثالة مما يظهر به الـفرق ، ويبين أن ظهور محـمد - صلى الله عليـه وسلم - وأمـته على أهل الكتـاب من جنس ظهـورهم على عبدة الأوثان ؛ فإن من أهل الكـتاب من يقول : سُلِّطتم علينا بذنوبنا ، مع صحة ديننا كبخت نصر[1] .

وهذا قـياس فـاسـد ؛ فإن ذلك من جنس خـرق العـادات المقتـرن بدعوى النبـوة . وهذا من جنس خرق العادات التي لـم تقتـرن بدعوى النبـوة ومـا لـم يقترن بدعوى النبـوة لا يكون دليـلا عليها ، وقد يغرق في البحر أمم كثيرة ، فـلا يـدل على نبـوة نبي ، بخلاف غرق فرعون وقـومه .

وهذا موافق لما أخـبر به موسى - عليـه السلام - : «إن الكذاب لا يتم أمره » ؛ وذلك أن الله حكيم لا يليق به تأييـد الكاذب على كذبه ، من غير أن يبين كذبه .

ولهـذا إن أعظـم الفتن (الدجـال) لمـا اقـترن بـدعـواه خـوارق كـان معها مـا يـدل على كـذبه ، كدعوى الإلهية ، وهو أعور مكتوب بين عينيـه « كـافـر » ، يقـرؤه كـل مؤمن ، والله لا يـراه أحـد حتـى يمـوت .

---

(١) بخت نصر : هكذا رسـمت الكلمة في جميع النسخ بفصل بعضـها عن بعض ، والأولى أن تكتب الكلمة مع بعضها هكذا (بختنصر) ؛ لأنه مركب تركيباً مزجياً .

وقد ذكـر النبي - صلى الله عليـه وسلم - هذه العلامـات الثلاث في الأحاديث الصحيحة[1] .

فأما تأييـد الكاذب دائمـا فهـذا لم يقـع قـط ، فمـن يسـتدل علـى مـا يفـعله الرب - تعـالى - بـالعـادة والسـنَّة فـهـذا هو الواقع ، ومن يستدل بالحكمة فحكمته تناقض أن يفعل ذلك .

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب : الفتن ، باب : ذكر الدجال ، ج٨ : ١٠٣ : طبعة إستانبول . ومسلم في كـتاب : الفتن وأشراط الساعـة ، باب : ذكر الدجال ، ج٤ : ٢٢٤٨ ، ترتيب مـحمد عبدالباقي .



فصل

انتصار الكفار في بعض المواطن لا يعد حجة على نصر الله للأنبياء

قال النصراني :

« ثم إنه لم يكن للمسلمين النصر والغلبة [1] دائما ؛ فإن من المشهور أنهم انهزموا عدة مرات في البر والبحر ، وأنهم طُرِدوا عن جميع بلاد الأندلس وغيرها من البلاد ، ولا يمكن الأمر الذي هو كثير الانقلاب من حال إلى حال ، والذي يشترك فيه أهل الصلاح والطلاح أن يكون دليلا على صحة الدين » [2] .

الجواب - والله الهادي إلى سواء السبيل -:

أن انهزام المسلمين في بعض المواطن غير قادح في صحة الدليل لوجوه:

الأول : أن ذلك لم يمنع حصول الظهور على الأعداء وتمام الوعد الذي وعد به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، بل مع وقوع ذلك في بعض المواطن كان الظهور للمسلمين على جميع أهل الملل ، ولما كان الأمر كذلك بطل الاعتراض .

الوجه الثاني : أن سنة الله - تعالى - في رسله وأتباعهم أن يدالوا مرة، ويدال عليهم مرة أخرى [3] ، ثم تكون العاقبة لهم .

---

(١) في نسختي كتاب مفتاح الخزائن : (والغلبة على الأعداء دائماً فإنه من المشهور) .
(٢) كتاب مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن ، ص ١٢٢ ــ ١٢٣ ، نسخة المكتبة البريطانية في لندن .
(٣) في النسختين «س» و «ع» [ويدال عليهم أخرى] .

وبهذا أجاب هرقل أبا سفيان في حديثه الذي قدمناه [1] ، حيث قال له هرقل : كيف الحرب بينكم وبينه ؟ قال : سجالا ، يدال علينا المرة ، وندال عليه الأخرى . فقال هرقل : كذلك الرسل تبتلى ، ثم تكون لها العاقبة . فصار هذا من أعلام الرسل ، فهو دليل لنا لا علينا ـ ولله الحمد والمنة ـ .

فإن قيل : ففي الأنبياء من قُتل ، كما أخبر الله أن بني إسرائيل يقتلون النبيين بغير حق ، وفي أهل الفجور من يؤتى سلطاناً ، ويسلَّط على قوم مؤمنين كبخت نصر [2] .

أجيب بأن من قُتلَ من الأنبياء فهو كمن يُقْتَل من المؤمنين في الجهاد، كما قال - تعالى - : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [3] .

ومعلوم أن حال هؤلاء أكمل من حال من يموت من المؤمنين حتف أنفه . كما قال - تعالى - : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ الآية [4] .

---

(١) في قصة هرقل مع أبي سفيان في ص (٥٦٥ - ٥٦٦) .

(٢) بخت نصر : الأولى أن تكتب الكلمة مع بعضها هكذا (بختنصر) ؛ لأنه مركب تركيباً مزجياً .

(٣) سورة آل عمران ، الآيات : ١٤٦ ـ ١٤٨ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ١٦٩.

ثم الدين الذي قاتل عليه الشهيد ينتصر ، ويظهر ، فتكون لطائفته السعادة في الدنيا والآخرة ، ومن قُتِلَ منهم كان شهيداً .

وهذا غاية ما يكون من النصر ، إذ كان الموت لا بد منه ، بخلاف من يهلك هو وطائفته فلا يفوز لا هو ولا هم بمطلوبهم ، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

والشهداء قاتلوا باختيارهم ، وفعلوا الأسباب التي بها قُتلوا ، فهم اختاروا الموت ؛ إما أنهم قصدوه ، وإما قصدوا ما به يصيرون شهداء ، عالمين بأن لهم السعادة في الآخرة وفي الدنيا بالانتصار لطائفتهم ، وبقاء لسان الصدق لهم ثناءً ودعاءً .

بخلاف غيرهم ؛ فإنهم هلكوا بغير اختيارهم هلاكاً لا يرجون معه سعادة الآخرة ، ولم يحصل لهم ، ولا لطائفتهم شيء من سعادة الدنيا، بل أُتْبِعُوا في هذه الدنيا لعنة ، ويوم القيامة هم من المقبوحين ، وقد أخبر اللَّه - تعالى - أن كثيرا من الأنبياء قُتِلَ معه ربِّيُّون كثير ؛ أي: ألوف كثيرة - كما هو أحد الأقوال في الآية - ، وأنهم ما استكانوا لما أصابهم ، بل استغفروا من ذنوبهم التي كانت سبب ظهور العدو ، وأن الله آتاهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة .

فإذا كان هذا قتل المؤمنين ، فما الظن بقتل الأنبياء ، ففيه لهم ولأتباعهم من سعادة الدنيا والآخرة ما هو أعظم الفلاح .

الوجه الثالث :

الدروس المستفادة من وقعة أحد

أن في وقوع الهزيمة والكسر على المسلمين في بعض المواطن مصالح عظيمة ، وحكماً باهرة كثيرة ، فمع عناية الله بهم وإرادته

ظهورهم وكرامتهم، ابتلاهم بذلك في بعض الأوقات؛ لتتم المصلحة، وتنفذ الحكمة ، فيعود المكروه محبوباً .

وقد أشار - سبحانه - في سورة آل عمران [(١)] في سياق قصة أحد [(٢)] إلى أصول المصالح ، والحكم في ذلك .

منها : تمييز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب ؛ فإنهم لو انتصروا دائما دخل معهم المؤمنون وغيرهم ، ولم يتميز الصادق من الكاذب؛ فاقتضت حكمة الرب - تعالى - أن يبتليهم بذلك ؛ ليتميز من يتبعهم ويطيعهم للحق الذي جاءوا به ممن لا يتبعهم إلا على الظهور والغلبة خاصة ، ولم يجعل الغلبة على المؤمنين دائماً ؛ لأن ذلك يمنع حصول مقصود البعثة ، فاقتضت حكمته - تعالى - أن يجمع لهم بين الأمرين؛ لتتم المصلحة ، ثم يجعل العاقبة لهم .

ومنها : تعريفهم عاقبة المعصية ؛ فإنه - تعالى - أخبر أن ما يصيبهم فهو بسبب ذنوبهم ، فيكون ذلك تنبيها على شؤم عاقبة الذنب؛ ليحترزوا منه .

ومنها : أنه لو نصرهم دائما ، وأظفرهم بعدوِّهم في كل موطن ،

---

(١) قوله - تعالى - : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ سورة آل عمران ، الآيتان : ١٦٦ - ١٦٧ .

(٢) قصة أحد : وقعة أحد المشهورة في شهر شوال سنة ثلاث من الهجرة ، استشهد فيها عدد كبير من الصحابة .

وجعل لهم التمكن والقهر لأعـدائهم أبدا لطغت نفوسهم ، وشمخت أنوفهم ، كما يكونون لو بسط لهم الرزق ، فلا يصلح عباده إلا السراء والضراء ، والشدة والرخـاء ، والقبض والبسط ، فهو المدبِّر لأمـر عباده ، كما يليق بحكمته ؛ إنه بهم خبير بصير .

ومنها : أنه – سبحـانه – هيَّأ لعباده منازل في دار كرامتـه لم تبلغها أعمالهم ، ولم يكونوا بالغيها إلا بالبلاء والمحنة ، فقيَّض لهم الأسباب التي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه .

ومنهـا : أن الشـهـادة عند الله مـن أعلى المراتب ، والشـهـداء هم خواصه المقربون من عبـاده ، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتسلُّط العـدو .

إلى غير ذلك من الحكم ، والمصالح التي تفوت الوصف .

فإذا كـان في إدالة العدو على المؤمنين في بعض المراتب ما فـيه من المصـالح والغايات المحـمودة ، كـان إلى الدلالة على صحـة الشريـعة أقـرب منه إلى العكس ، ولم يكن ناقـضاً لـلاستـدلال ؛ إذ هذا يكون لأمر عارض ، ومقتضٍ طارئ ، ثم تكون العاقبة والنصر للمؤمنين .

بل قد قدمنا أن مثلَ هذه الأدلة من أعلام الرسل .

ومما يزيد ذلك بيانا ما أشرنا إليـه من أن ظهور الكفار على المؤمنين – أحياناً – هو سبب ذنوب المسلمين كيوم أحد .

فإذا تابوا انتصروا ، كما قد جـرى للمسلمين في عامة ملاحمهم[1] مع الكفار .

---

(١) ملاحمهم : جمع ملحمة ، وهي الوقعة العظيمة في الفتنة .

فهـذا من آيات النبـوة ؛ فإن النبي إذا قـاموا بوصايـاه نصروا ، وإذا ضَيَّعوها ظهر أولئك عليهم .

فمدار النصر والظهور مع متابعه النبي وجودا وعدما من غير سبب يزاحم ذلك ، ودوران الحكـم مع الوصف وجـودا وعـدمـا من غـيـر مزاحمة وصف آخر يوجب العلم بأن المدار عليه .

ومن المعلوم بالاستقراء والتتبع أن نصـر الله سببه اتباع النبي - صلى الله عليـه وسلم - ، فـهو يدل على أن الله - سـبـحانه - يريد إعـلاء كلمته ونصره ونصر أتباعه . فهذا يوجب العلم بنبوته .

ومن هذا ظهور بخت نصر[1] إنما كان لما غَيَّرت بنو إسرائيل عهود موسى - عليه السـلام - ، فإذا اتبعوها كانوا منصورين ، كـما كان في زمن داود وسليمان وغيرهما .

قـال الله - تعـالى - : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا[2] خِلَالَ الدِّيَارِ[3] وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا[4]

---

(١) بخت نصر : الأولى أن تكتب هذه الكلمة مع بعضها هكذا (بختنصر) .

(٢) فجاسوا : الجوس طلب الشيء باستقصاء . والمعنى : طافوا بين الديار يطلبونهم ، ويقتلونهم .

(٣) خلال الديار : وسط الديار .

(٤) وليتبروا : يدمروا ، ويهلكوا .

مَا عَلَوْا تَتْبِيراً ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً[1] ﴾[2] .

فكان ظهور بني إسـرائيل تارة وظهور عـدوهم تارة من دلائل نبوة موسى ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

وقد قال - تعالى - : ﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾[3] ، فأخبر - تعالى - أن سنتـه التي لا تبديل لها نصر المؤمنين على الكافرين، والإيمان المستلزم لذلك يتضمن طاعة الله ورسوله، فإذا نقص بالمعاصي كان الأمر بحسبه كيوم أحد . فهذه عادته المعلومة.

والكاذب الفـاجـر وإن أُعْطِي دولة فـلا بد من زوالهـا ، ولا بد من بقاء لسان السوء له في العالم ، وهو وإن ظهر سريعاً فإنه يزول سريعاً .

وأما الأنبيـاء فإنهم يبتـلون كـثيـرا ؛ ليمحصـوا بالبـلاء ، فـإن الله - تعالى- إنما يُمَكِّن العبد إذا ابتلاه ، ويظهر أمرهم شيئاً فشيئاً كالزرع .

قـال الله - تعـالي -: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ... ﴾ إلى قـولـه : ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ ... ﴾[6] الآية[7] .

---

(١) حصيرا : من حصـره يحصره حصراً : ضيق عليه ، وأحاط به . والمعنى : أنـهم محبوسون في جهنم، لا يتخلصون منها أبداً .

(٢) سورة الإسراء ، الآيات : ٤ - ٨ .

(٣) سورة الفتح ، الآيتان : ٢٢ - ٢٣ .

(٤) شطأه : معناه طرفه أو نباته أو سنبله .

(٥) فآزره : قوّاه وأعانه ، وشده .

(٦) فاستوى على سوقه : استقام على أعواده ، والسوق : جمع ساق .

(٧) سورة الفتح ، الآية : ٢٩ .

ولهذا كان أول من يتبعهم ضعفاء الناس ، أشار إليه بعض الأئمة .

فـاعتـبـار هذه الأمـور ، وسنة الله في أوليـائه وأعـدائه مما يوجب الفرق بين النوعين وبين دلائل هذا ودلائل هذا .

وأما قـول النصراني : «إنهم - يعني المسلمين - طُرِدوا عن بلاد الأندلس وغيرهـا من البلاد» فهذا من قـبيل ما تقدم مما يبـتلي الله - تعالى - به عباده ، وهو مما جـاءت به الأنذار عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فـإنه أخـبـر بإدالة العـدو على المسلمين ، حـتى يأخـذوا بعض مـا في أيديهم إذا أضاعوا أمر الله ، وفرطوا فيما أوجبه عليهم من طاعة نبيهم - صلى الله عليه وسلم - .

فهو من أدلة الرسالة من وجهين :

من جهة إخباره بذلك ، فوقع كما أخبر .

ومن جهـة الاعتبار في ترتب ذلك عـلى معصيـة الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

ثم إنه وإن أخـذت من أيدي المسلمين بعض البلاد التي كـانت في أيديهم فقد غلبوا على بلاد كثيرة بعـد غلبهم على ما غلبوا عليه ، فإنه قـد حـصل للمـسلمين الغلبـة في بلاد الروم ومـا والاها بعـد خـروج الأندلس عن أيديهم بما هو أكبر بكثير مما غلبوا عليه .

ولا تـزال[١] طائفة من هـذه الأمـة المحمدية على الحـق ظاهرين ، لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة .

---

(١) في النسخة «س» [ولا يزال] .

فظهر بما قررناه الفرق بين الفتوحات الإسلامية وصحة الاستدال بها على صحة الشريعة وبين محاربات الملوك المبطلين .

وتبين أن الاشتراك الصوري بين أهل الصلاح والطلاح من بعض الوجوه مع ظهور الفروق الصورية والمعنوية من وجوه أخرى غير قادح في صحة الدليل .

كما أن دخول كثير من الناس في الأديان الباطلة بمجرد الدعوة إليها وإلقاء الشبهات غير مقتضٍ صحة ذلك الباطل ، ولا قادح في صحة حجج الأنبياء وأتباعهم ، حيث استجاب لهم كثير من الناس بمجرد الدعوة . فهذا اشتراك في صورة الاستجابة بالدعوة .

ولما لم يكن هذا الاشتراك الصوري بين أهل الصلاح والطلاح قادحاً في صحة دين الحق ولا مضعفاً حجة أهله فكذلك ما نحن فيه.



الحكمة من مشروعية الجهاد في الإسلام

فصل

قال النصراني :

« لا سيما حيث إن أكثر حروب الملوك بغير عدل ؛ إذ يقاتلون أمما من غير الظالمين لهم ، وليس لهم ما يتعللون به على محاربتهم [(١)] سوى الاختلاف في الدين ، وهذا ما هو إلا غاية عدم الدين ؛ إذ لا تكون عبادة الله إلا ما يصدر عن إرادة النفس .

وأما الإرادة فهي تنقاد بالتعليم والإقناع ، لا بالتهديد والقهر .

ومن اضطر لتصديق الدعوى من غير إرادة منه ، فهو لا يصدِّقها ، بل يُظْهِر فقط أنه يصدِّقها هربا من الشدائد .

ومن يلزم غيره بالتسليم له بوساطة التعذيب له[(٢)] ، فهو بفعله هذا يدل على عدم ما يستدل به على صحة دعواه » [(٣)] .

الجواب - وبالله التوفيق - :

أما حروب ملوك المسلمين بعضهم لبعض في طلب الملك فليس مما نحن فيه ؛ إذ هو من قتال الفتنة الذي نهى عنه النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وحذَّر منه ، وهو قتال على الدنيا .

وأما القتال الشرعي فهو القتال في سبيل الله لإعلاء[(٤)] كلمة الله وإعزاز دينه .

---

(١) في كتاب مفتاح الخزائن : (محاربتهم إياهم) .

(٢) في كتاب مفتاح الخزائن : (بوساطة التعذيب أو التخويف) .

(٣) كتاب مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن ، ص ١٢٣ ، نسخة المكتبة البريطانية في لندن .

(٤) في النسخة «س» [إعلاء] .

ولا ريب عند الموافق والمخالف ، أن محمداً -صلى الله عليه وسلم- جاء بشرع الجهاد ، وتضمن الأمر به القرآن الذي أنزل عليه . وإنما شُرِع في المدينة بعد الهجرة إلى المدينة حين اجتمع بها المهاجرون والأنصار.

وعند ذلك علم أعداؤه من العرب واليهود أنها كانت لهم دار منعة، فخافوا منهم ما كانوا يحذرون ، فرموهم عن قوس واحد ، وشمَّروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة ، وصاحوا بهم من كل جانب، وكان الله يأمرهم بالصبر والعفو والصفح.

ثم إنه -تعالى- بحكمته أذن لهم في القتال ، ولم يفرضه عليهم ، فقال -تعالى-: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ... ﴾ [1] .

ثم فرض عليهم القتال لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم ، فقال - تعالى -: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ... ﴾ [2] .

ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة، فقال - تعالى-: ﴿ ...وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [3] .

فكان محرما ، ثم مأذونا فيه، ثم مأمورا به لمن بدأهم بالقتال ، ثم مأمورا به لجميع المشركين .

وإذا كان القتال عن أمر الله وشرعه ، كان القيام به من أكبر

---

(١) سورة الحج ، الآيتان : ٣٩ - ٤٠ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٩٠.

(٣) سورة التوبة ، الآية : ٣٦ .

الفضائل ، وأعظم الوسائل ؛ لما فيه من بذل النفوس والأموال في مرضاة الله وما كان عن أمر الله فهو على وفق الحكمة والعدل ؛ لأنه صدر عن أمر الحكيم الخبير ، وقد قامت البراهين واتضحت الدلائل ، وظهرت المعجرات على أن محمداً رسول الله ، فبطل أن يكون قتال المسلمين لمن خالف الملة قتالا بغير عدل .

وقد ذكرنا فيما تقدم [1] إشارة إلى بعض ما في شرع الجهاد من الحكم والغايات المحمودة.

وأما قتال المسلمين أمما من غير الظالمين لهم ، وأن السبب إنما هو الاختلاف في الدين ، فهذا أوضح حجة على أنه على مقتضى العدل ؛ لأنهم إنما يقاتلون المشركين بالله الكافرين به وبرسله ، كما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا بعث سرية [2]، قال : «.. اغزوا بسم الله ، قاتلوا من كفر بالله ..»[3]. فأعظم الظلم وأكبر الذنوب الشرك بالله والكفر به.

فشرع الله الجهاد ليكون الدين كله له كما قال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ

---

(١) في مبحث : شبهة النصارى حول مشروعية الجهاد في الإسلام والرد عليها .

(٢) السرية : القطعة من الجيش .

(٣) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الجهاد ، ج٣ : ١٣٥٧ ، ترتيب محمد عبدالباقي .
- وأخرجه الامام أحمد في المسند ، ج٥ : ٣٥٢ ، طبعة المكتب الاسلامي .
- والترمذي في سننه ، ج٥ : ٩٢، تحقيق عزت عبيد . قال الترمذي : « حديث حسن صحيح » .
- وابن ماجه في سننه ، ج٢ : ٩٥٣ .
- والبيهقي في سننه ، ج٩ : ٤٩ .
- والطبراني في المعجم الصغير ، ج١ : ٤٥ ، ١٢٣ ، ١٨٧ .
- والإمام مالك في الموطأ ، ص ٢٩٧ ، إعداد أحمد عرموش .

حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [١].

وإذا كان قتالك من ظلمك واعتدى عليك ؛ حتى يكفَّ عن ظلمه واعتدائه لا يكون ظلما ولا قبيحا ، فكيف يكون قتال الكافر بالله ، المكذِّب لرسوله وكتابه، الآتي بأعظم الظلم وأكبر الذنب ، يقال فيه: إنه بغير عدل ؟! ما هذا إلا جهل عظيم ، كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون.

وقوله : « إذ لا تكون عبادة الله إلا ما يصدر عن إرادة النفس » إلى قوله: « فهو لا يصدِّقها ، بل يُظْهِر فقط أنه يصدِّقها ؛ هربا من الشدائد».

جوابه:

أن هذا وإن وجد في آحاد من الناس فليس على العموم ، فلا تنتقض به الحكمة في مشروعية الجهاد ؛ فإنه قد دخل في الإسلام فئام [٢] من الناس بالقتال ، وافتُتحت ديارهم بالسيف ، فدخلوا وكثير منهم كارهون ، فلما خالطوا المسلمين ، وسمعوا القرآن ، وبلغتهم معجزات النبوة وآيات الرسالة صلحت عقائدهم ، وانفتحت بصائرهم ، وعلموا أنه الحق ، ودانوا به باطنا وظاهرا ،وعلَّموا أبناءهم ونساءهم ، وبذلوا فيه نفوسهم وأموالهم .

هذا ما لا يرتاب فيه ذو عقل صحيح .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٩٣ .

(٢) فئام من الناس : جماعات من الناس .

وهل يستجيز من له أدنى مُسْكة من عقل أن يقول : إن من دخل في الإسلام بعد قيام الجهاد من العرب وغيرهم من أصناف الأمم أنهم إنما يصدقون بالإسلام ظاهرا فقط؟

هذا مما يعلم فساده ببديهة العقل فإن الله قد خص هذه الأمة بما وهبها من الإيمان بالله ورسوله ، وتمام الانقياد لما جاءبه الرسول ، منشرحة بذلك صدورهم ، مصدقة به قلوبهم ، ما لم يعط غيرهم من الأمم ، وذلك لما أيد به نبيهم - صلى الله عليه وسلم - من المعجزات ، وأنواع الأدلة والآيات ؛ ولهذا كان أكثر الأنبياء تابعا يوم القيامة ، وكان أمته خير الأمم ، وأكثر أهل الجنة ، وأول الناس سبقا إلى الجنة كما قال - صلى الله عليه وسلم - : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة » [(١)].

ولا ينتقض ما ذكرناه بالمنافقين[(٢)] والزنادقة[(٣)] ؛ فإنهم مقهورون مغمورون في المؤمنين ، بل في وجودهم بين المؤمنين مع كونهم أعداء لهم في صورة أولياء، واجتهادهم في الإضرار بدينهم ودنياهم وسعيهم في ذلك بكل ما أمكنهم ، ثم لم يظفروا بمطلوبهم ، ولم يحصلوا على مرادهم دليل على صحة الشريعة وأنها من عند الله - عز وجل -.

والمقصود أن الله نصب الأدلة والبراهين على صدق رسوله وصحة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب : الجمعة باب : فرض الجمعة ، ج١ : ٢١١ ، ٢١٢ ، طبعة المكتبة الإسلامية بإستانبول . ومسلم في كتاب : الجمعة ، باب : هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ، ج٢ : ٥٨٦ ، ترتيب محمد عبدالباقي .

(٢) المنافقون : مفرده منافق ، وهو الذي يبطن الكفر ويظهر الإيمان .

(٣) الزنادقة : مفرده زنديق ، وهو من لا يؤمن بالآخرة والربوبية ، أو من يبطن الكفر ، ويظهر الإيمان.

ما جاء به من النبوة والكتاب ، وشرع الجهاد وسيلةً إلى إبلاغ الحجة وإيصال الدليل إلى المكلفين ؛ فإن من كان على دين وجد عليه آباءه وأسلافه ، وأشربه قلبه ، وألفته نفسه لا يختار دينا غيره ، ولا يلتفت إلى سواه ، فلا يصغي إلى حجج الحق وبراهينه .

فكان من رحمة الله بعباده أن أمر رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالجهاد ؛ لتبلغ الحجة مبلغها ، فينذر من كان حيا ، ويحق القول على الكافرين.

وأما قول النصراني : « ومن يلزم غيره بالتسليم له بوساطة التعذيب أو التخويف ... إلى آخره » فهو كلام ساقط ؛ فإن الأنبياء - عليهم السلام - جاؤوا بالرسالة إلى الأمم مقرونة بالتخويف بالعذاب للمكذبين والإنذار للمخالفين ، كما جاءت بالبشارة للمؤمنين والرجاء للمصدقين ، ومنهم من جاء بالقتال.

وبنو إسرائيل لما امتنعوا من التزام أحكام التوراة - لثقلها عليهم - رفع الله جبلا فوق رؤوسهم ، وقيل لهم : التزموا وإلا وقع عليكم الجبل.

كما قال - تعالى - : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1].

وقال - تعالى - : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ ... ﴾[2].

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧١ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٥٤ .

وأيضا فالشرائع جاءت بالحدود وإيقاع العقوبة بالعصاة ؛ ليرتدعوا عن المعاصي والمخالفات ، وكل هذا إلزام بـالأحكام بوساطة التعذيب أو التخــويف ، أفكان ذلك دليـلا على عـدم البـرهـان فيـما دعا إلـيه الأنبياء - عليهم السلام -؟! وإذا لم يكن كذلك بطل هذا التمويه.



فصل

الحكمة من مشروعية الجزية في الإسلام

قال النصراني :

« ثم إن ما يجعلونه علة للقتال من الاختلاف في الدين فينقضه[1] فعلهم ، حيث يتركون من ينخضع لهم ، ويتدين[2] بأي دين أراد .

وقولهم -أيضا-: إن للنصارى في شريعتهم ما يكفي لهم خلاصا»[3] .

الجواب - وبالله التوفيق -:

مراده بتركهم من يخضع[4] لهم إقرار أهل الكتاب ونحوهم بالجزية[5] .

وهذا ليس على العموم في أهل كل دين ؛ فإطلاقه باطل ؛ فإنها لما نزلت آيه الجزية ، وهي قول الله - تعالى -: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾[6] .

أخذها النبي - صلى الله عليه وسلم - من ثلاث طوائف : اليهود ، والنصارى ، والمجوس[7]، ولم يأخذها من عُبَّاد الأصنام .

---

(١) في كتاب مفتاح الخزائن : (فيناقضه)

(٢) في النسختين «ع» و «س» [يتدين] بدون واو .

(٣) كتاب مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن ، ص ١٢٣ ، نسخة المكتبة البريطانية في لندن .

(٤) في «س» [ينخضع] .

(٥) الجزية : مال يؤخذ من الكفار على وجه الصغار والذلة لهم كل عام ، بدلاً عن قتلهم ، وعن إقامتهم في بلاد الإسلام .

(٦) سورة التوبة ، الآية : ٢٩ .

(٧) أخذ الجزية من اليهود والنصارى دليله القرآن ، وهو قوله - تعالى -: ﴿ ...مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ . سورة التوبة ، الآية : ٢٩. =

فاختلف العلماء ههنا ، فقيل : لا يجوز أخذها من كافر غير هؤلاء ومن دان بدينهم ؛ اقتداءً بأخذه وتركه . وقيل : بل تؤخذ -أيضا - من عبدة الأصنام من العجم دون العرب .

والأول قول الشافعي وأحمد في رواية عنه .

والثاني قول أبي حنيفة وأحمد في روايته الأخرى[1] .

وعلى القول الأول فإنما أخذها النبي - صلى الله عليه وسلم - من المجوس ؛ لأن لهم شبهة كتاب ؛ لما ورد في بعض الأحاديث أنه كان لهم كتاب ثم رُفِع[2] .

وجاء عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال في المجوس : « سنُّوا بهم سنة أهل الكتاب»[3] .

= وأما أخذها من المجوس فلما رواه عبدالرحمن بن عوف - رضي الله عنه -: «أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذها من مجوس هجر ». أخرجه الإمام البخاري في كتاب : الجزية ، ج٤ : ٦٢، طبعة إستانبول .

(١) انظر تفاصيل الخلاف في هذه المسأله في كتاب المغني ، لابن قدامه ، ج٨ : ٥٠٠ - ٥٠١ ، والإنصاف، للمرداوي ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ج٤ : ٢١٧ .

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ، ج٩ : ١٨٩ ، في باب : المجوس أهل الكتاب . وقال الإمام الشوكاني في نيل الاوطار، (ج٨ : ٦٤): «رواه الإمام الشافعي وعبدالرزاق وغيرهما بإسناد حسن» .

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ ، عن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه ، ص ١٨٨، الحديث رقم ٦١٨، تحقيق أحمد راتب عرموش . والبيهقي في السنن الكبرى ، ج٩ : ١٨٩ . وابن أبي شيبة في المصنف ، ج٢ : ٢٢٧ .
وقد علق الشيخ ناصر الدين الألباني في إرواء الغليل (ج٥:٨٨) بأن سنده فيه ضعف. والله أعلم.

وليس المراد بسط هذه المسألة ، وإنما المقصود أن أخذ الجزية ممن بذلها للمسلمين ليس على العموم في حق كل كافر .

وإذا عرف هذا فليس في إقرار من يقر بالجزية من الكفار ما يكون قدحا في حكمة الشريعة وكمالها ؛ فإن أحكام الشريعة جاءت في كل باب على وفق الحكمة والمصلحة ، والذي شرعها هو الرب - سبحانه وتعالى - ، وهو أحكم الحاكمين .

وقد قامت الأدلة القاطعة علي نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأن القرآن كلام الله - تعالى - ورسالته إلى خلقه وشرعه هو ما تضمنه كتابه وحكمة رسوله ، والحكم والغايات في أحكامه لا يحيط بها إلا هو ، فما علمناه منها قلنا به ، وما جهلناه وكلناه إلى عالمه .

وقد ذكر العلماء من الحكمة في إقرارهم بالجزية وجوها :

فمنها : أنهم أقروا بذلك ، ولم يعاملوا معاملة غيرهم من الكفار لحرمة الكتاب الذي ينتسبون إلى اتباعه والنبي الذي ينتمون إليه .

ومنها : أن ذلك لحرمة آبائهم الذين انقرضوا على الحق من شريعة التوراة والإنجيل.

ومنها : أن إقرارهم بذلك لأنهم أهل الكتاب وبأيديهم التوراة والإنجيل ، وفيها صفة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فربما يتفكرون ويعلمون صدق محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فيتَّبعون الحق ، فأُمْهِلوا لهذا المعنى.

ومنها : أن إبقاءهم كذلك من الشـواهد والدلائل على نبوة محمد ـ صلى الله عليـه وسلم ـ ؛ لأن في الكـتب التي بأيديهم مـا يدل على أنهم بدَّلوا ، وفـيهـا ما يدل على أن شـريعتهـم ستُنْسَخ بغـيرها ، كـما قدمنا الإشاره إلى بعض ذلك.

وفيها من صفة محمد - صلى الله عليه وسلم - وأدلة نبوته ما قدمنا بعضه . وفيها من التناقض والاختلاف ما يبين - أيضا - وقوع التبديل.

قال شيخ الإسلام أبو العباس[1]:

« وعند أهل الكتـاب ما يدل على هذه المطالب ، وقـد ناظرنا غـير واحد منهم ، وبيَّنا لهم ذلك ، وأسلم من علمائهم وخيارهم طوائف ، وصـاروا يناظـرون أهل دينهم ، ويتـبـينون مـا عندهم مـن الشـواهد والدلائل على نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ

قال : وهذا من الحكمـة في إبقاء اهل الكتـاب بالجزية ، إذ عندهم من الشواهد والدلائل على نبوته ، وعندهـم من الشـواهد على ما أخبر به من الإيمان بالله واليـوم الآخر ما يبين أن مـحمداً ــ صلـى الله عليه وسلم ــ جاء بالدين الذي بعث الله به الرسل قبله ، وأخبر من توحيد الله ومن صفاته بمثل ما أخبرت به الأنبياء قبله.

قال الله - تعالى - : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[2].

---

(١) ابن تيمية .

(٢) سورة الأحقاف ، الآية : ١٠ .

وقال : ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[1]». انتهى[2].

عموم رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم -

وأما قول النصراني : « وقولهم - يعني المسلمين - : إن للنصارى في شريعتهم ما يكفي لهم خلاصا » فهو كلام باطل ، وكذب صريح ؛ فإن المسلمين متفقون على مقالة واحدة لا اختلاف بينهم ، أن من بلغته رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - فلا خلاص له ولا نجاة إلا باتباعه والإيمان به ، سواء في ذلك اليهود والنصارى وعُبَّاد الأصنام وغيرهم من طوائف بني آدم .

وقد عُلِمَ من دينه بالضرورة أنه دعا الناس كافة إلى اتباعه ، وأنه جاهد أهل الكتاب ، كما جاهد المشركين ، فجرى له مع يهود المدينة وغيرهم ما هو معلوم .

وغزا النصارى عام تبوك[3] بنفسه وسراياه ، وضرب الجزيه على نصارى نجران .

وكذلك خلفاؤه الراشدون بعده جاهدوا أهل الكتاب يهودهم ونصاراهم ، وقاتلوا من قاتلهم ، وضربوا الجزية على من أعطاها منهم عن يدٍ وهم صاغرون.

وهذا الكتاب الذي يعرف كل أحد أنه الكتاب الذي جاء به مملوء من دعوة أهل الكتاب إلى اتباعه ، ويكفِّر من لم يتبعه منهم ، ويذمه ، ويلعنه.

---

(١) سورة الرعد ، الآية : ٤٣ .

(٢) كلام ابن تيمية .

(٣) وقعة تبوك في شهر رجب عام تسع من الهجرة ، وتسمى غزوة العسرة .

قال الله – تعالى-: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[1].

وقال – تعالى – : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ ... ﴾[2]

وقال – تعالى – : ﴿ ... وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾[3].

وقال – تعالى -: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾[4].

وفي صحيح مسلم[5] عن أبي هريرة عن النبي – صلي الله عليه وسلم – أنه قال: « والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ، ومات ولم يؤمن بالذي أُرْسِلت به إلا كان من أهل النار».

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «بُعِثْتُ إلى الأحمر والأسود»[6].

وقال: «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبُعِثْتُ إلى الناس عامة»[7].

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على هذا الأصل الذي لا يرتاب فيه مسلم .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٥٨.

(٢) سورة سبأ ، الآية : ٢٨ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٢٠ .

(٤) سورة الفرقان ، الآية : ١ .

(٥) في صحيح مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ، ج١ : ١٣٤، ترتيب محمد عبدالباقي .

(٦) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبدالله في كتاب : المساجد ، ج١ : ٣٧١ ، تحقيق محمد عبدالباقي .

(٧) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن جابر بن عبدالله ، ج١ : ٨٦ ، في كتاب : التيمم ، طبعة إستانبول .

شريعة الإسلام أكمل الشرائع

قال النصراني :

«فصل : في الترجيح بين الشريعتين من جهة الوصايا»[١] .

ونقول قبل إيراد كلامه في هذا الفصل :

إنا قد بينا - فيما تقدم - أن النظر في الترجيح بين الشريعتين ساقط بعد ثبوت نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعموم رسالته ، وأنه لا يبقى لطالب النجاة والسعادة إلا الإيمان به واتباعه مع الإيمان بجميع أنبياء الله ورسله ، وألاَّ يفرق بين أحد منهم.

ثم إذا نظرنا إلى كمال الشرائع وحكمتها وعظمة وصاياها ، وجدنا شريعة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ خير الشرائع وأفضلها من كل طريق من طرق التفضيل.

كما أن الذي جاء بها أفضل المرسلين وسيدهم في الدنيا والآخرة . وكما أن ما جاء به من المعجزات أعظم مما جاء به موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء - عليهم السلام -، فالذي جاء به من الدين والشريعة كذلك ، فما جاء به من النوعين أعظم مما جاء به موسى وعيسى ، وقد جمع الله له محاسن ما في التوراة والإنجيل.

ولهذا يقال[٢]: « إن موسى - عليه السلام - بُعِثَ بشريعة الجلال ، والمسيح - عليه السلام - بُعِثَ بشريعة الجمال ، ومحمد ـ صلى الله

(١) كتاب مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن ، ص ١٢٤ ، نسخة المكتبة البريطانية في لندن .
(٢) ذكر هذه المقالة شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيميه في كتابه الجواب الصحيح ، ج٣ : ٢٤٣ .

عليه وسلم ـ بُعِث بشريعة الكمال ، الجامعة بين الشريعتين ، والآخذة بمجامع[1] الملتين » .

وذلك أن شريعة موسى - عليه السلام - كما قال الإمام ابن القيم : «قد كانت شريعة جلال وقهر ، أُمِروا بقتل نفوسهم وحُرِّمت عليهم الشحوم وذوات الظفر وغيرها من الطيبات ، وحُرِّمت عليهم الغنائم، وعُجِّل عليهم من العقوبات ما عُجِّل ، وحُمِّلوا من الآصار والأغلال ما لم يحمله غيرهم .

وكان موسى - عليه السلام - من أعظم خلق الله هيبةً ووقاراً ، وأشدهم بأسا وغضبا وبطشا بأعداء الله ، فكان لا يستطاع النظر إليه .

وعيسى - عليه السلام - كان في مظهر الجمال ، وكانت شريعته شريعة فضل وإحسان ، وكان لا يقاتل ، ولا يحارب ، وليس في شريعته قتال ألبتة .

والنصارى يحرم عليهم في دينهم القتال ، وهم به عصاة ؛ فإنه أمر في الإنجيل[2] : «أن مَنْ لطمك على خدك الأيمن فأدِرْ له خدَّك الأيسر، ومن نازعك ثوبك فأعطه رداءك» ونحو هذا .

وليس في شريعتهم مشقة ولا آصار ولا أغلال ، وإنما ابتدع النصارى تلك الرهبانية من قِبَل أنفسهم ، ولم تكتب عليهم .

---

(١) في النسخة «س» [بمحاسن] .

(٢) في إنجيل متى ، الإصحاح الخامس ، النص رقم ٣٨ .

وأما نبينا - صلى الله عليه وسلم - فكان في مظهر الكمال الجامع بين القوة والعدل والشدة في الله وبين اللين والرأفة والرحمة ، فشريعته أكمل الشرائع ، وأمته أكمل الأمم ، وأحوالهم ومقاماتهم أكمل الأحوال والمقامات ؛ ولذلك تأتي شريعته بالعدل إيجاباً له وفرضاً ، وبالفضل ندباً إليه واستحبابا ، وبالشدة في موضع الشدة ، وباللين في موضوع اللين ، ووضع السيف موضعه ، ووضع الندى موضعه .

فيذكر الظلم فيحرِّمه ، والعدل فيأمر به ، والفضل فيندب إليه في بعض آيه . كقوله - تعالى - : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ...﴾ فهذا عدل ، ﴿... فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ...﴾ فهذا فضل ، ﴿... إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[1] فهذا تحريم الظلم .

وقوله : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ فهذا إيجاب للعدل ، وتحريم للظلم ، ﴿... وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾[2] فهذا ندب إلى الفضل .

وكذلك تحريم ما حُرِّم على هذه الأمة كان صيانة وحماية لهم ، حَرَّم عليهم كل خبيث وضار ، وأباح لهم كل طيب ونافع ، فتحريمه عليهم رحمة ، وعلى غيرهم لم يخل من عقوبة .

---

(١) سورة الشورى ، الآية : ٤٠ .

(٢) سورة النحل ، الآية : ١٢٦ .

وهداهم لما ضلت عنه الأمم قبلهم كيوم الجمعة ، ووهب لهم من علمه وحلمه ، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس .

وكمل لهم من المحاسن ما فرقه في الأمم ، كما كمل لنبيهم من المحاسن ما فرقه في الأنبياء قبله ، وكمل في كتابه من المحاسن ما فرقه في الكتب قبله .

وكذلك في شريعته ، فهذه الأمة هم المجتبون ، كما قال إلههم : ﴿ ... هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ... ﴾[1] .

وجعلهم شهداء على الناس ، قال - تعالى - : ﴿ ... لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ... ﴾[1] فأقامهم في ذلك مقام الرسل الشاهدين على أممهم » انتهى[2] .

ولا ريب أن جنس أهل الكتاب أكمل في العلوم النافعة والأعمال الصالحة ممن لا كتاب لهم . وأن هذه الأمة أكمل من أهل الكتابين ، وأعدل ، فليس عند أهل الكتاب فضيلة علمية وعملية إلا وأمة محمد - صلى الله عليه وسلم - أكمل منهم فيها .

كما قال شيخ الإسلام أبو العباس[3] :

« من نظر بعقله حتى في هذا الوقت إلى ما عند المسلمين من العلم

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٧٨ .

(٢) في النسخة « س » سقطت كلمة [انتهى] ، والمراد قول ابن القيم .

(٣) ابن تيمية .

النافع والعمل الصالح ، وما عند اليهود والنصارى علم أن بينهما من الفرق أعظم مما بين القدم والفرق[1] .

فإن الذي عند المسلمين من توحيد الله ومعرفة أسمائه وصفاته وملائكته وأنبيائه ورسله ، ومعرفة اليوم الآخر ، وصفة الجنة والنار ، والثواب والعقاب ، والوعد والوعيد ، أعظم وأجل مما عند اليهود والنصارى .

وما عند المسلمين من العبادات الظاهرة والباطنة مثل الصلوات الخمس وغيرها من الصلاة والأذكار والدعوات أعظم وأجل مما عند أهل الكتاب .

وما عندهم من الشريعة في المعاملات والمناكحات والأحكام والحدود والعقوبات أعظم وأجل مما عند أهل الكتاب .

فالمسلمون فوقهم في كل علم نافع وعمل صالح . وهذا يظهر لكل أحد بأدنى نظر ، لا يحتاج إلى كثير سعي .

والمسلمون متفقون على أن كل هدى وخير حصل لهم فإنما حصل بنبيهم - صلى الله عليه وسلم - » انتهى[2] .

فأما العلوم فالمسلمون أحذق من جميع الأمم ، حتى العلوم التي ليست بدينية كعلم الحساب والطب ونحو ذلك هم فيها أحذق ، ومصنفاتهم فيها أكمل ، وهم أحسن علما وبيانا لها من الأولين الذين كانت هي غاية علمهم .

---

(١) [والفرق] هكذا في جميع النسخ ، ولعل المؤلف يقصد (والمفرق) ، وهو مفرق الرأس .

(٢) قول ابن تيمية .

وقد يكون الحاذق فيها مَنْ هو عند المسلمين مرميٌّ بنفاق ، ولا قدر له عندهم ، لكن حصل له بما تعلمه من المسلمين من العقل والبيان ما أعانه على الحذق في تلك العلوم ، فصار حثالة المسلمين أحسن معرفة وبيانا لها .

وأما العلوم الإلهية فكل من نظر في كلام المسلمين وأهل الكتاب وجد كلام المسلمين فيها أكمل وأتم ، ومعلوم أن أهل الكتاب فيها أتم من غيرهم .

وأما العبادات فالناس مختلفون في صفاتها :

فمنهم من يظن أن الأشقَّ هو الأفضل . وهذا مذهب كثير من مشركي الهند وغيرهم وكثير من مبتدعة المسلمين .

ومنهم من يقول : الأفضل ما كان أدعى إلى تحصيل الواجبات العقلية .

ومنهم من يقول : الأفضل لا علة له ، بل يرجع إلى محض المشيئة .

والرابع - وهو الصواب -: أن أفضلها ما كان لله أطوع ، وللعبد أنفع .

وعلى كل قول فعبادات المسلمين أكمل .

أما الأولون فيقال لهم : الجهاد أعظم مشقةً من الجوع والسهر وغير ذلك .

وأمـا على القول الثـاني فلا ريـب أن عبـادات المسلمين أدعى إلى العدل الذي هو جـماع الواجبـات العقلية من عـبادات غيرهـم ؛ فـإنها متضمنة للظلم المنافي للعدل .

وأما على قول النفـاة فمن تكون عباداته تابعـة لأمر الله - تعالى - خير ممن عباداته قد ابتدعها أكابرهم .

وأما على القول الرابع فـما عُلِمَ أن الله أمر به يتضـمن طاعته دون ما ابتدع ، وأما انتفاع العباد بها فهذا يعرف بثمراتها ، ومن ذلك آثارها في صلاح القلوب ، فليتـدبر العاقل عقول المسلمين وأخـلاقهم وعدلهـم ، يظهر له الفرق .

فـالصلاة فـيهـا من الكمال والاعـتدال كـالطهارة والاصطفـاف ، والركوع والسـجود ، واسـتقبـال بيت إبراهيم والإمسـاك عن الكلام ، وما فيـها من الخشوع وتلاوة القـرآن واستماعه الذي يظهـر الفرق بينه وبين غيره لكل متدبِّر منصف .

إلى أمثال ذلك مما يظهر به فضل عبادات المسلمين .

وأما حكمهم في الحدود والحقـوق فلا تخفى على عاقل ، حتى إن النصـارى في طـائفـة من بلادهم ينصِّـبـون من يقـضي بينـهم بشـرع المسلمين ، وهذه جمل يطول تفصيلها .

وبما ذكرناه يعلم الجـواب عن كلام النصرانـي في هذا الفصل على وجه الإجـمال ، ويتـبين به أفضليـة شريعـة محـمد - صلى الله علـيه وسلم - على غيـرها من شرائع الأنبيـاء - عليهم السلام - ، كـما أنه خيرهم وسيدهم في الدنيا والآخرة .



المحدثات التي ابتدعها النصارى في دينهم .

فصل

وأما شريعة الضلال التي بدل بها النصارى دين المسيح - عليه السلام - فتلك ضلالة استخفهم بها الشيطان فأطاعوه ، ودعاهم إليها فأجابوه ، وتلاعب بهم فيها كل التلاعب حتى خرجوا عن مقتضى العقول والشرائع في أصول دينهم وفروعه .

أ - سجودهم للصور

كما أشرنا إلى بعض ذلك فيما سبق ، فتلاعب بهم الشيطان في شأن الملك المعبود - سبحانه وتعالى - ، وتلاعب بهم في أمر المسيح ، وتلاعب بهم في شأن الصليب وعبادته ، وتلاعب بهم في تصوير الصور في الكنائس[١] .

فلا تجد كنيسة من كنائسهم تخلو من صورة مريم والمسيح وجرجيس[٢] وبطرس[٣] وغيرهم من القدِّيسين والشهداء ، وأكثرهم يسجد للصور ، ويدعونها من دون الله .

حتى لقد كتب بطريق الإسكندرية إلى ملك الروم[٤] كتابا يحتج فيه بالسجود[٥] للصور، وأن الله[٦] أمر موسى أن يصور صورة الساروس[٧] ،

---

(١) الكنائس : مكان العبادة في الديانة النصرانية .

(٢) ولد بالرملة بفلسطين في النصف الأخير من القرن الثالث الميلادي ، ومات سنه ثلاث وثلاثمائة من الميلاد. كان المسيحيون يعظمونه ، ويقدسونه ، حتى إنهم بنوا الكنائس والأديار ، وسموها باسمه . (دائرة المعارف ، للبستاني ، ج١ : ٤٢٧) .

(٣) تقدم التعريف به في ص (٢٢٩) .

(٤) في كتاب نظم الجوهر ، لسعيد بن بطريق اسم هذا الملك : نوفيل .

(٥) في النسختين «س» و «ع» [للسجود] .

(٦) في النسختين «س» و «ع» [بإذن الله] .

(٧) لم أقف على تعريف له .

وبأن سليمان بن داود لما عمل الهيكل عمل صورة الساروس من ذهب ونصبها داخل الهيكل .

قال في كتابه [1] : « وإنما مثال هذا مثال الملك ، يكتب إلى بعض عماله كتابا ، فيأخذه العامل ، ويقبِّله ، ويضعه بين عينيه ، ويقوم لا تعظيما للقرطاس والمداد ، بل تعظيما للملك . كذلك السجود للصور تعظيما لاسم هذا المصور لا للأصباغ والألوان» [2] .

قال ابن القيم [3] : « وبهذا المثال بعينه عُبدت الأصنام . وما ذكر هذا المشرك عن موسى وسليمان لو صحَّ لم يكَن فيه دليل على السجود للصور ، وغايته [4] أن يكون بمثابة ما يذكر عن داود : أنه نقش خطيئته في كفِّه ؛ لئلا ينساها [5] .

فأين هذا مما يفعله هؤلاء المشركون من التذلل والخضوع والسجود بين تلك الصور؟! .

وإنما المثال المطابق لما يفعله هؤلاء المشركون مثال خادم من خُدَّام الملك دخل على رجل ، فوثب من مجلسه ، وسجد له ، وعبده ، وفعل به ما لا يصلح أن يُفْعَل إلا مع الملك .

---

(١) يقصد : بطريق الإسكندرية .

(٢) ذكر قصة هذا الكتاب العلامة ابن القيم في كتابه إغاثة اللهفان ، ج٢ : ٢٩٢ ، تحقيق محمد حامد الفقي، وابن البطريق في كتابه نظم الجوهر ، ص ٣٠٨ ، من مخطوط المكتبة الأهلية بباريس .

(٣) في كتابه إغاثة اللهفان ، ج٢ : ٢٩٢ ــ ٢٩٣ ، تحقيق محمد حامد الفقي .

(٤) في النسخة «س » [وغاية] .

(٥) ذكر ذلك ابن جرير الطبري في تأريخه تاريخ الأمم والملوك ، ج١ : ٢٥٠ ، طبعة دار الفكر .

فكل عاقل يستجهله ، ويستحمقه فى فعله ؛ إذ قد فعل مع عبد الملك ما كان ينبغي أن يختص به الملك دون عبيده من الإكرام والخضوع والتذلل . ومعلوم أن هذا إلى مقت الملك وسقوطه من عينه أقرب منه إلى إكرامه له ، ورفع منزلته .

كذلك حال من سجد لمخلوق ولصورة مخلوق ؛ لأنه عمد إلى السجود الذي هو غاية ما يتوسل به العبد إلى رضا ربه ، ولا يصلح إلا له، ففَعَلَه لصورة عبد من عبيده ، وسَوَّى بين الله وبين عبده فى ذلك، وليس وراء هذا في القبح والظلم شيء ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ . . . إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[1] .

وقد فطر الله - سبحانه - عباده على استقباح معاملة عبيد الملك وخدمه بالتعظيم ، والإجلال ، والخضوع ، والذل الذي يعامل به الملك ، فكيف بحال من فعل ذلك بأعداء الملك؟ ؛ فإن الشيطان عدو الله ، والمشرك إنما يشرك به لا يوالي الله ورسوله ، بل الله ورسوله وأولياؤه بريئون ممن أشرك بهم ، معادون لهم ، وهم أشد الناس مقتا لهم في نفس الأمر ، إنما أشركوا بأعداء الله ، وسوَّوا بينهم وبين الله في العبادة والتعظيم والسجود والذل .

ولهذا كان بطلان الشرك وقبحه معلوما فى الفطرة السليمة والعقل الصحيح ، والعلم بقبحه أظهر من العلم بسائر القبائح »[2] .

---

(١) سورة لقمان ، الآية : ١٣.

(٢) في النسخة «س» [القبح] . وإلى هنا انتهى كلام ابن القيم .

والمقصود ذكر تلاعب الشيطان بالأمة الضالة فى أصول دينهم وفروعه ، وأنهم ليسوا على شيء من دين المسيح ألبتة .

فمن ذلك تلاعبه بهم في صلاتهم [1] ، وذلك من وجوه :

ب - صلاتهم بدون طهارة

أحدها : أن طوائف منهم كثيرين يصلون بالنجاسة والجنابة، ويقوم أحدهم ، فيتغوط ، ويقوم بأثر البول والغائط إلى صلاته بتلك الرائحة، ويحدِّث من يليه بأنواع الحديث ، كذبا كان أو فجورا، أو غيبة ، أو سبًّا أو شتما ، ويخبره بسعر الخمر ولحم الخنزير وما شاكل ذلك ، ولا يضر ذلك الصلاة ، ولا يُبْطلها ، وإن دعته الحاجة إلى البول في الصلاة بال وهو يصلي ، ولا يضر ذَلك صلاته .

والمسيح - عليه السلام - بريء من هذه الصلاة ، وسبحان الله ، أن يُتَقرب إليه بمثل هذه الصلاة !؛ فقدره أعلى ، وشأنه أجل من ذلك .

جـ - اتجاههم في صلاتهم إلى جهة المشرق

ومنها : صلاتهم إلى مشرق الشمس ، وهم يعلمون أن المسيح لم يصلِّ إلى المشرق أصلا [2] ، بل قد نقل مؤرخوهم أن ذلك حدث بعد المسيح بثلاثمائة [3] سنة .

---

(١) ليس للصلاة عند النصارى ترتيب خاص ، وإنما هي مجرد أدعية ورد نصها في أول الإصحاح الحادي عشر من إنجيل لوقا ، والإصحاح السادس من إنجيل متى ، ونصها :
«أبانا الذي في السموات والأرض ، ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض ، خبزنا كفافنا ، أعطنا كل يوم ، واغفر لنا خطايانا...إلخ» .

(٢) كان المسيح - عليه السلام - يتجه في صلاته إلى بيت المقدس ، قبلة الأنبياء قبله ، وبعد المسيح بزمن طويل حوَّل النصارى جهات كنائسهم نحو المشرق بدعوى أن المشرق مصدر النور ، ولأن المسيح ـ عليه السلام ـ صعد إلى السماء من جهة المشرق ، وسوف ينزل من جهة المشرق ... إلى غير ذلك من التعليلات الواهية . (انظر كتاب هداية الحيارى لابن القيم، تحقيق أحمد السقا ، ص ٢٦٤ ، الطبعة الثانية) .

(٣) ذكر ذلك ابن القيم في كتابه إغاثة اللهفان ، ج٢ : ٣٨٥ ، تحقيق محمد حامد الفقي ، نقلاً عن مؤرخ النصارى سعيد بن البطريق .

وإلا فالمسيح إنما كان يصلي إلى قبلة بيت المقدس ، وهي قبلة الأنبياء قبله ، وإليها كان يصلي نبينا - صلى الله عليه وسلم - مدة مقامه بمكة ، وبعد هجرته ثمانية عشر شهرا ، ثم نقله الله إلى قبلة[1] أبيه إبراهيم .

د - التصليب عند بدء الصلاة .

ومنها تصليبهم على وجوههم[2] عند الدخول في الصلاة ، والمسيح بريء من ذلك .

فصلاة مفتاحها النجاسة ، وتحريمها التصليب على الوجه ، وقبلتها الشرق ، وشعارها الشرك ، كيف يخفى على العاقل أنها لا تأتي بها شريعة من الشرائع ألبتة؟! .

ولما علمت الرهبان[3] والمطارنة[4] والأساقفة[5] أن مثل هذا الدين تنفر عنه العقول أعظم نفرة ؛ زيَّنوه بالحيل والصور في الحيطان بالذهب واللازورد[6] ، والزنجفر[7] ، وبالأعياد المحدثة ، ونحو ذلك مما يروج على السفهاء وضعفاء العقول والبصائر .

---

(١) قال - تعالى - : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [سورة البقرة ، الآيه : ١٤٤] .

(٢) التَصليب : صفته عندما يريد النصراني الصلاة يرسم علامة الصليب على وجهه وصدره . انظر كتاب اللآلئ النفيسة ، للقمص يوحنا سلامه ، ج : ١٥٦ .

(٣) الرهبان : مفردها راهب ، وهو المتعبد في الديانة النصرانية .

(٤) المطارنة : مفردها مطران ، وهو كبير النصارى .

(٥) الأساقفة : مفردها أسقف ، وهو رئيس النصارى في الدين .

(٦) اللازورد : نوع من الأحجار الكريمة . ذكر ذلك عدد من علماء النصارى .

(٧) الزنجفر : نوع من الأحجار الكريمة . ذكر ذلك عدد من علماء النصارى .

ـ الزيادة في فريضة صومهم.

ومن ذلك : تلاعبه بهم في صيامهم[1] ، فإن أكثر صومهم لا أصل له في شرع المسيح ، بل هو مختلق مبتدع ، فمن ذلك أنهم زادوا جمعة في بدء صومهم يصومونها لهرقل ملك بيت المقدس[2] .

وذلك أن الفرس لما ملكوا بيت المقدس ، وقتلوا النصارى ، وهدموا الكنائس أعانهم اليهود على ذلك ، وكانوا أكثر قتلا وفتكا في النصارى من الفرس .

فلما سار هرقل إليها استقبله اليهود بالهدايا ، وسألوه أن يكتب لهم عهدا ، ففعل ، فلما دخل بيت المقدس شكا إليه مَنْ فيه من النصارى ما كان اليهود صنعوه بهم . فقال لهم هرقل : وما تريدون مني ؟ قالوا : نقتلهم .

قال : كيف أقتلهم وقد كتبت لهم عهداً بالأمان ، وأنتم تعلمون ما يجب على ناقض العهد ؟

قال : إنك حين أعطيتهم الأمان لم تدرِ ما فعلوا من قتْل النصارى

---

(١) الصوم – لدى النصارى – معناه لغة : الإمساك ، واصطلاحا : الانقطاع عن الطعام مدة معينة من النهار يتعاطى الصائم بعدها مأكولات خفيفه خالية من الدسم .
(اللآلئ النفيسة ، للقمص يوحنا سلامة ، ج٢ : ٣٦٠ . ومقدمة كتاب إتحاف أهل الإسلام بخصوصيات الصيام ، لابن حجر الهيثمي ، بقلم الأب جورج قنواتي) . وسيأتي بيان أنواعه وعدد أيامه .

(٢) اسمه عبدالمسيح ، وقد تولى الملك على الروم سنة ٦٢٢م ، الموافق للسنة الأولى من الهجرة النبوية الشريفة . وكان مارونيا ، ودام حكمه على الروم أكثر من ثلاثين سنة ، وفتح المسلمون في عهده الشام ومصر ، ومات سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة . (انظر : كتاب نظم الجوهر، لسعيد بن البطريق ، ص ٢٥٤ ، وإغاثة اللهفان ، لابن القيم ، ج٢ : ٢٩٣ ، تحقيق محمد حامد الفقي) .

وهدم الكنائس ، ونحن نحتمل عنك هذا الذنب ، ونكفره ، ونسأل المسيح ألَّا يؤاخذك به ، ونجعل لك جمعة كاملة فى بدء الصوم نصومها لك ، ونترك فيها أكل اللحم ما دامت النصرانية ، ونكتب به إلى جميع الآفاق غفرانا لما سألناك .

فأجابهم ، وقتل اليهود لما لا يحصى كثرة ، فصيَّروا أول جمعة من الصوم الذى تترك فيه الملكية أكل اللحم يصومونها لهرقل الملك غفراناً لنقضه العهد ، وقتل اليهود ، وكتبوا بذلك إلى الآفاق[1] .

وكذلك لما أرادوا نَقْلَ ذلك الصوم إلى فصل الربيع المعتدل، وتغيير شريعة المسيح ، زادوا فيه عشرة أيام عوضا وكفارة لنقلهم له .

و ـ ابتداعهم أعياداً لا أصل لها .

ومن ذلك ما أحدثوه من الأعياد الباطلة المخترعة ، فإن أعيادهم كلها مختلقة محدثة بآرائهم واستحسانهم ، فمن ذلك عيد ميكائيل ، وسببه أنه كان بالإسكندرية صنم ، وكان جميع من بمصر والإسكندرية يعيدون له عيدا عظيما ، ويذبحون له الذبائح ، فولي بتركة الإسكندرية واحد منهم ، فأراد أن يكسره ، ويبطل الذبائح ، فامتنعوا عليه ؛ فاحتال عليهم ، فقال : إن هذا الصنم لا ينفع ولا يضر ، فلو جعلتم هذا العيد لميكائيل ملك الله ، وجعلتم هذه الذبائح له كان يشفع لكم عند الله ، وكان خيرا لكم من هذا الصنم ، فأجابوه إلى ذلك ، فكسر الصنم ، وصيَّره صلباناً ، وسمى الكنيسة كنيسة ميكائيل .

---

(١) ذكر تفاصيل ذلك مؤرخ النصارى سعيد بن البطريق في كتابه " نظم الجوهر " ، ص ٢٥٤ من مخطوطة المكتبة الأهلية في باريس . وابن القيم في كتابه " إغاثة اللهفان " ، ج٢ : ٢٩٣ ، تحقيق محمد حامد الفقي .

ثم احترقت الكنيسة ، وخُرِّبت ، وصيروا العيد والذبائح لميكائيل، فنقلهم من كفر إلى كفر ، ومن شرك إلى شرك ، فكانوا في ذلك ، كمجوسي أسلم ، فصار رافضيا ، فدخل عليه الناس يهنئونه [1] ، ودخل عليه رجل ، وقال : إنك إنما انتقلت من زاوية من النار إلى زواية أخرى.

ومن ذلك عيد الصليب [2] . وهو مما اختلقوه ، وابتدعوه ؛ فإن ظهور الصليب إنما كان بعد المسيح بزمن كثير [3] ، وكان الذين أظهروه زورا وكذبا أخبرهم به بعض اليهود أن هذا هو الصليب الذى صُلِبَ عليه إلههم وربهم .

فانظروا إلى هذا السند ، وهذا الخبر ! .

فاتخذوا ذلك الوقت الذى ظهر فيه عيدا ، وسموه عيد الصليب .

ولو أنهم فعلوا ما فعل أشباههم من الرافضة ، حيث اتخذوا وقت مقتل الحسين [4] مأتما وحزنا لكان أقرب إلى العقول . قال ابن القيم [5] :

ز ـ ظهور بدعة الصليب وتعظيم النصارى له.

« وكان من حديث الصليب أنه لما صُلِبَ المسيح - على زعمهم الكاذب -، وقتل ، ودُفِن ، ورُفِعَ من القبرَ إلى السماء كان التلاميذ كل يوم يصيرون إلى القَبر وإلى موضع الصليب ، ويصلون .

---

(١) في النسختين «ع» و «س» [فدخل الناس عليه يهنونه] .

(٢) وقت هذا العيد في اليوم العاشر من شهر مارس من كل عام ، ومناسبته هو استخراج هيلانة - أم الملك قسطنطين - للصليب حسب ما أشار إليه المؤلف - رحمه الله - .

(٣) أي : بعد ميلاد المسيح بثلاثمائة وثماني عشرة سنة . ذكر ذلك مؤرخ النصارى سعيد بن البطريق في كتابه نظم الجوهر ، ص ١٥٨ من مخطوط المكتبة الأهلية في باريس .

(٤) قُتل الإمام الحسين بن علي - رضي الله عنه - في العاشر من شهر محرم سنة إحدى وستين من الهجرة . (البداية والنهاية ، لابن كثير ، ج٨ : ١٧٢) . وتقدم التعريف به .

(٥) في كتابه إغاثة اللهفان ، ج٢ : ٢٩٥ ـ ٢٩٧ ، تحقيق محمد حامد الفقي .

فقالت اليهود: إن هذا الموضع لا يخفى ، وسيكون له نبأ، وإذا رأى الناس القبر خاليا آمنوا به ، فطرحوا عليه التراب والزبل ، حتى صار مزبلة عظيمة .

فلما كان فى أيام قسطنطين الملك[1] جاءت زوجته[2] إلى بيت المقدس تطلب الصليب ، فجمعت من اليهود الساكنين ببيت المقدس والخليل مائة رجل ، واختارت منهم عشرة ، واختارت من العشرة ثلاثة : اسم أحدهم يهودا، فسألتهم أن يدلوها على الموضع، فامتنعوا، وقالوا : لا علم لنا بالموضع ، فطرحتهم في الحبس في جُبٍّ لا ماء فيه ، فأقاموا سبعة أيام ، لا يطعمون ، ولا يسقون .

فقال يهودا لصاحبيه : إن أباه عرَّفه بالموضع الذي تطلب. فصاح الاثنان ، فأخرجوهما، فأخبراها بما قال يهودا، فأمرت بضربه بالسياط ، فأقرَّ، وخرج إلى الموضع الذي فيه المقبرة ، وكان مزبلة عظيمة ، فصلى ، وقال : اللهم ، أسألك إنْ كان في هذا الموضع أن يتزلزل ، ويخرج منه دخان ، فتزلزل الموضع ، وخرج منه دخان .

فأمرت الملكة بكنس الموضع من التراب ، فخرجت المقبرة ، وأصابوا ثلاثة صلبان ، فقالت الملكة : كيف لنا أن نعلم صليب سيدنا المسيح ؟

---

(١) سنة ثلاثمائة وثماني عشرة من الميلاد . وقد تقدم التعريف به .

(٢) في كتاب نظم الجوهر (أمه). واسمها هيلانة من أهل الرهاء ، تنصرت على يد أب في الرهاء ، وتعلمت ، وقرأت الكتب ، فخطبها الملك قسطس ، وتزوجها ، فولدت له ابنه الملك قسطنطين الكبير ، وقد ماتت ولها ثمانون سنه . (نظم الجوهر، لابن البطريق ، ج ٢ : ١٣٤).

وكان بالقرب منهم عليل شديد العلة قد أيس منه ، فوضع الصليب الأول عليه ، ثم الثـاني ، ثم الثالث ، فـأفاق عند الثالث، واسـتراح من علته ؛ فعلمت أنه صليب المسيح ، فجـعلته في غلاف من ذهب ، وحملته إلى قسطنطين . وكان من ميـلاد المسيح إلى ظهور هذا الصليب ثلاثمائة وثلاثاً وعشرين سنة[1] .

هذا كله نقله سعيد بن بطريـق[2] النصراني في تاريخه[3] .

والـمقصود أنهم ابتدعوا هذا العـيد بنقل علمـائهم بعد الـمسيح بهذه المـدة.

وبعد ، فـسند هذه الحكاية من بين يهـودي ونصراني مع انقطاعـها وظهور الكذب فيها لمن له عقل من وجوه كثيرة .

ويكفي في كذبها وبيان اختلاقها أن ذلك الصليب الذي شفى العليل كان أولى ألاَّ يميت الإله الرب المحيي المميت .

ومنها : أنه إذا بـقي تحت التراب خشب ثلاثمـائة وثمان وعـشرين سنة فإنه ينخر ويبلى لدون هذه المدة .

---

(١) في كتـاب نظم الجوهر لسعـيد بن البطريق الذي اعتـمد عليه ابن القـيم في نقل هذا النص : (ثلاثمائة وثماني عشرة سنة) .

(٢) هو سعيد بن البطريق المتطبب ، طبيب ومـؤرخ نصراني ، من أهل مصر ، ولد بالفسطاط سنة ٢٦٣هـ/ ٨٧٧م ، ولما بلغ السـتين من عمـره أقيم بطريركـا على كنيسـة الإسكندرية ، وتوفي سنة ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م . (طبقات الأطباء ، ج٢ : ٨٦ ، والأعلام ، للزركلي ، ج٣ : ٩٢) .

(٣) عنوان هذا التاريخ "نظم الجوهر" ، ذكر فيه مؤلفه أخـبار النصارى وأيامهم ومجامعهم . وفي آخره نبـذ قصيـرة عن الخلفاء الراشدين وخلفـاء بني أمية وبـني العباس ، وقـد بقي مخطوطاً بهـذا العنوان (نظم الجوهـر) حتى عـام ١٩٠٥م ، حيث طبع فـي بيروت بعنوان : (التـاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) .

فإن قال عُبَّاد الصليب : إنه لما مسَّ جسم المسيح حصل له الثبات والقوة والبقاء قيل لهم : فما بال الصليبيْن الباقيين لم يتفتتا واشتبها به ؟ فلعلهم يقولون : لما مست صليبه مسهما البقاء والثبات .

وجهل القوم وحمقهم أعظم من ذلك! .

والرب - سبحانه - لما تجلى للجبل تدكدك الجبل ، وساخ في الأرض[1] ، ولم يثبت لتجليه ، فكيف تثبت الخشبة لركوبه عليها في تلك الحال؟!

ولقد صدق القائل : إن هذه الأمة عار على بني آدم أن يكونوا منهم.

فإن كانت هذه الحكاية صحيحة فما أقربها من حيل اليهود التي تخلصوا بها من الحبس والهلاك! .

وحيل بني آدم تصل إلى أكثر من ذلك بكثير ، ولا سيما لما علم اليهود أن ملكة [2] دين النصرانية قاصدة إلى بيت المقدس ، وأنها تعاقبهم حتى يدلوها على موضع القتل والصلب ، وعلموا أنهم إن لم يفعلوا لم يتخلصوا من عقوبتها .

ومنها : أن عُبَّاد الصليب يقولون : إن المسيح لما قُتِلَ غار دمه ، ولو وقع قطرة على الأرض ليبست ، ولم تنبت .

فيا عجبا ، كيف يحيي الميت ، ويبرئ [3] العليل بالخشبة التي

---

(١) وساخ في الأرض : انخسفت به الأرض .

(٢) يقصد المؤلف : هيلانة أم الملك قسطنطين بن قسطس .

(٣) في النسختين « س » و « ع » [ويبرا] .

صُلب عليها ، وسُمِر[1] . هذا كله من بركتها وفرحها به ، وهو مشدود عليها يبكي ويستغيث ؟!

ولقد كان الأليق أن يتفتت الصليب ويضمحل لهيبة من صُلِبَ عليه ، وتخسف الأرض بالحاضرين عند صلبه والمتمالئين[2] عليه ، بل تفطر السموات والأرض ، وتخر الجبال هدًّا .

ثم يقال لعباد الصليب : لا يخلو أن يكون المصلوب الناسوت[3] وحده أو مع اللاهوت[4] . فإن كان المصلوب هو الناسوت وحده فقد فارقته الكلمة ، وبطل اتحادها به ، وكان المصلوب جسدا من الأجساد ليس بإله ولا فيه شيء من الإلهية والربوبية ألبتة .

وإن قلتم : إن الصلب وقع على اللاهوت والناسوت معا، فقد أقررتم بصلب الإله وقتله وموته ، وقدرة الخلق على أذاه . وهذا أبطل الباطل ، وأمحل المحال ، فبطل تعلقكم بالصليب من كل وجه عقلا وشرعاً »[5] .

ومن العجب أنهم يقرؤون في التوراة[6] : « ملعون من تعلَّق بالصليب ». وهم قد جعلوا شعار دينهم ما يلعنون عليه .

ولو كان لهم أدنى مُسْكة من عقل لكان الأولى أن يحرقوا الصليب

(١) في النسخة « ع » [وسموا] . وفي إغاثة اللهفان : (التي شهر عليها وصلب) .
(٢) في النسختين « س » و « ع » [والمتمالين] بالياء .
(٣) الناسوت : سبق بيان معنى هذه الكلمة لدى النصارى .
(٤) اللاهوت : سبق بيان معنى هذه الكلمة لدى النصارى .
(٥) إلى هنا انتهى كلام ابن القيم .
(٦) لم أستطع معرفة موضع هذا النص من التوارة .
والذي يظهر أن معناه أن مَنْ أجرم فَقُدِّم للصلب فهو ملعون . والله أعلم .

حيث وجدوه ، ويكسروه ، ويلطخوه بالنجاسة ؛ فإنه قد صُلِب عليه إلههم ومعبودهم بزعمهم ، وأهين عليه ، وفُضِح .

فيا للعجب ! بأي وجه بعد هذا يستحق الصليب التعظيم لولا أن القوم أضل من الأنعام ، فلو عقلوا لكان ينبغي ألاَّ يحملوا صليبا ، ولا يمسوه بأيديهم ، ولا يذكروه بألسنتهم ، وإذا ذُكِر لهم سدوا مسامعهم من ذكره .

ولقد صدق القائل : « عدو عاقل خير من صديق أحمق » ؛ لأنهم بحمقهم قصدوا تعظيم المسيح ، فاجتهدوا في ذمِّه ، وتنقُّصه ، والازدراء به ، والطعن عليه .

وكان مقصودهم بذلك التشنيع على اليهود ، وتنفير الناس عنهم ، وإغرائهم بهم ، فنفَّروا الأمم عن النصرانية وعن المسيح ودينه أعظم تنفير.

وقد قال بعض عقلائهم : «إن تعظيمنا للصليب[1] جار مجرى تعظيم قبور الأنبياء ، فإنه كان قبر المسيح إذ هو عليه ، ثم لما دُفِنَ صار قبره في الأرض » .

وليس وراء هذا الحمق والجهل حمقٌ ؛ فإن السجود إلى قبور الأنبياء وعبادتها شرك ، بل من أعظم الشرك . وقد لعن إمام الحنفاء وخاتم الأنبياء اليهود والنصارى ؛ حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد[2] .

(١) في النسختين « س » و « ع » [تعظيمنا الصليب] .

(٢) عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : لما نُزِل برسول الله - صلى الله عليه وسلم - طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتم بها كَشفها ، فقال وهو كذلك : لعنة الله على اليهود والنصارى ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » . يحذر ما صنعوا ، ولولا ذلك أُبْرِز قبره ، غير أنه خُشِي أن يتخذ مسجدا .

أخرجهَ البخاري في كتاب: الجنائز، باب : ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، ج٢ : ٩١ .

ومسلم في كتاب : المساجد ، باب : النهي عن بناء المساجد على القبور ، ج١ : ٣٧٦ ، ترتيب محمد عبدالباقي.

وأصل الشرك وعبادة الأصنام من العكوف على القبور واتخاذها، ثم يقال : فأنتم تعظمون كل صليب لا تخصون التعظيم بذلك الصليب بعينه .

فإن قلتم الصليب من حيث هو يُذَكِّر بالصليب الذي صُلِب عليه إلهنا.

قيل : وكذلك الحفر تُذَكِّر بحفرته ، فعظِّموا كل حفرة ، واسجدوا لها ؛ لأنها كحفرته - أيضا - بل أولى ؛ لأن خشبة الصليب لم يستقر عليها استقراره في الحفرة .

ثم يقال : اليد التي مسَّته أولى أن تُعَظَّم من الصليب ، فعظِّموا أيدي اليهود لمسِّهم إياه ، وإمساكهم له ، ثم انقلوا ذلك التعظيم إلى سائر الأيدي.

فإن قلتم : منع من ذلك مانع العداوة . قلنا : فعندكم أنه هو الذى رضي بذلك ، واختاره ، ولو لم يرض به لم يصلوا إليه .

فعلى هذا فينبغي لكم أن تشكروهم وتحمدوهم ؛ إذ فعلوا موجب رضاه واختياره الذي كان سبب خلاص جميع الأنبياء والمؤمنين والقدِّيسين من الجحيم ومن سجن إبليس .

فما أعظم مِنَّة اليهود عليكم وعلى آبائكم وعلى سائر النبيين من لدن آدم إلى زمن المسيح ! ! .

والمقصود أن هذه الأمة جمعت بين الشرك وعيب الإله وتنقُّصه ، وتنقُّص نبيهم وعيبه ، ومفارقة دينه بالكلية ، فلم يتمسكوا بشيء كان عليه المسيح ، لا في صلاتهم ، ولا صيامهم ، ولا أعيادهم . بل هم في

ذلك أتباع كل ناعق ، مستجيبون لكل ممخرق[1] ومبطل ؛ إذ أدخلوا[2] في الشريعة ما ليس فيها[3] ، وتركوا ما أتت به .

وإذا شئت أن ترى العبر فى دينهم فانظر ما أشرنا إليه من[4] صيامهم الذي وضعوه لملوكهم وعظمائهم ، فلهم صيام للحواريين[5] ، وصيام لمارمريم[6] ، وصيام لمارجرجس[7] ، وصيام الميلاد[8] .

وتركهم أكل اللحم في صيامهم مما أدخلوه في دين المسيح ، وإلا فهم يعلمون أن المسيح كان يأكل اللحم ، ولم يمنعهم منه في صوم ولا فطر.

وأصل ذلك أن المانوية[9] كانوا لا يأكلون ذا روح ، فلما دخلوا في النصرانية خافوا أن يتركوا أكل اللحم ؛ فيقتلوا ، فشرعوا لأنفسهم صياما للميلاد والحواريين ومارمريم ، وتركوا فى هذا الصوم أكل

---

(١) ممخرق : المخرق : المموَّه .

(٢) في النسخة « س » [ومبطل أدخلوا] بدون إذ .

(٣) في النسخة « س » [ومنها] .

(٤) في النسخة « س » [ما أشرنا إليه صيامهم] بدون من .

(٥) ويعرف هذا الصوم بصوم الرسل ، ومدته تزيد وتقصر حسب كل طائفة وحسب تنقل عيد القيامة ، وينتهي في الغالب في ١٢ يوليو من كل عام . (مقدمة كتاب إتحاف أهل الإسلام بخصوصيات الصيام ، لابن حجر الهيثمي ، بقلم الأب جورج قنواتي) .

(٦) ويعرف هذا الصوم لدى طوائف النصارى بصوم العذراء ، ومدته خمسة عشر يوما ، يبدأ في أول أغسطس من كل عام . (المرجع السابق) .

(٧) لم أستطع معرفة هذا الصوم ، وقد سألت شخصيات ذات معرفة بالديانة النصرانية ، فأكدوا عدم معرفتهم له . فلعله كان معروفا في زمن ابن القيم ، فاندثر ذكره فيما بعد ؛ لكثرة التغيير والتبديل في دين النصارى . والمؤلف نقل ذلك عن ابن القيم .

(٨) ومدته ثلاثة وأربعون يوماً ، يبدأ في النصف من شهر نوفمبر، وينتهي في٧ يناير من كل عام . (مقدمة كتاب إتحاف أهل الإسلام ، وكتاب اللآلئ النفيسة ، ج٢ : ٣٨٤) .

(٩) هم أتباع ماني بن فاتك وقد تقدم التعريف بهذه الفرقة ومعتقداتهم عند الكلام عن مجمع قسطنطينية الأول ، ص (١٦٥) .

اللحم محافظةً على ما اعتادوه من مذهب ماني ، فلما طال الزمان [1] تبعهم على ذلك النسطورية [2] واليعقوبية [3] ، فصارت سُنَّة متعارفة بينهم ، ثم تبعهم على ذلك الملكانية [4] .

قال ابن القيم [5] :

ثم إنك إذا كشفت عن حالهم وجدت أئمة دينهم قد نصبوا حبائل الحيل؛ ليقتنصوا بها عقول العوالم [6] ، ويتوصلوا بالتمويه والتلبيس إلى استمالتهم وانقيادهم لهم واستدرار أموالهم ، وذلك أشهر وأكثر من أن يذكر.

ضربٌ من حيل النصارى

فمن ذلك ما يعتمدونه في العيد الذي يسمونه عيد النور [7] ـ ومحلُّه ببيت [8] المقدس ـ ، فيجتمعون من سائر النواحي في ذلك اليوم ، ويأتون إلى بيت فيه قنديل معلَّق ، لا نار فيه ، فيتلو أحبارهم الإنجيل ، ويرفعون أصواتهم ، ويبتهلون في الدعاء . فبينما هم كذلك ، وإذا نار قد نزلت من سقف البيت ، فتقع على ذُبَالة [9] القنديل ، فيشرق ، ويضيء ويشعل، فيصيحون صيحة واحدة ، ويصلبون على وجوههم ، ويأخذون في البكاء والشهيق .

---

(١) في النسخة « ع » [الزمن] .

(٢) تقدم التعريف بهذه الفرقة في المقام الأول ص (١٥١) .

(٣) تقدم التعريف بهذه الفرقة في المقام الأول ص (١٥١) .

(٤) تقدم التعريف بهذه الفرقة في المقام الأول ص (١٥٣) .

(٥) في كتابه إغاثة اللهفان ، ج٢ : ٢٨٨ ــ ٢٨٩ ، تحقيق محمد حامد الفقي .

(٦) العوالم : جمع عالم ، وهي فصيحة ، وردت في الشعر العربي كثيراً .

(٧) ويعرف هذا العيد بعيد الفصح ، ووقته في وسط شهر نيسان من كل عام ، (كتاب اللآلئ النفيسة ، ج٢ : ٤٢٦ ، للقمص يوحنا سلامة .

(٨) في النسخة « س » [بيت المقدس] .

(٩) الذُّبَالَة – بتشديد الذال مع الضم وفتح الباء واللام – : الفتيلة التي تسرج .

قال أبو بكر الطرطوشي[١] :

«كنت ببيت المقدس ، وكان واليها إذ ذاك رجلا يقال له : سقمان[٢] ، فلما انتهى إليه خبر هذا العيد أنفذ إلى بتاركتهم ، وقال : أنا نازل إليكم فى هذا اليوم ؛ لأكشف عن حقيقة ما تقولون فإن كان حقًّا ، ولم يتضح لي وجه الحيلة أقررتكم عليه ، وعظَّمته معكم ، وإن كان مخرفة على عوامكم أوقعت بكم ما تكرهون .

فصعب ذلك عليهم جدًا وسألوه ألاَّ يفعل فأبى وألحَّ في ذلك ، فحملوا له مالا عظيما ؛ فأعرض عنهم » .

قال الطرطوشي[٣] : ثم اجتمعت بأبي محمد بن الأقدم[٤] بالإسكندرية ، فحدثني أنهم يأخذون خيطا دقيقا من نحاس - وهو الشريط - ، ويجعلونه في وسط قبة البيت إلى رأس الفتيلة التي في القنديل ، ويدهنونه بدهن البلسان[٥] ، والبيت مُظْلِم ؛ بحيث لا يدرك الناظرون الخيط النحاس .

---

(١) هو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن سليمان بن أيوب الفهري الطرطوشي ، المعروف باسم ابن أبي رندقة ، ولد سنة إحدى وخمسين وأربعمائة في طرطوشة ، أديب وفقيه ، له كتاب عنوانه "سراج الملوك". توفي بالإسكندرية سنة عشرين وخمسمائة من الهجرة .
(دول الإسلام ، للسخاوي ، ج٢ : ٣٢ ، وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، ج٤: ٢٦٢) .

(٢) هو سقمان بن أرتق معين الدولة صاحب حصن كيفا . وقد أقطعه السلطان السلجوقي تتش ابن ألب أرسلان مدينة بيت المقدس سنة ٤٨٤هـ ، فانتزعها الفاطميون منه حوالي عام ٤٩٠هـ .
دائرة المعارف الإسلامية ، ج١٢ : ٩) .

(٣) ذكر هذا القول عن الطرطوشي ابن القيم في كتابه إغاثة اللهفان ، ج٢ : ٢٨٨ ــ ٢٨٩ ، تحقيق محمد حامد الفقي .

(٤) لم أستطع التعريف بهذا العلم .

(٥) البلسان : هكذا في جميع النسخ . والبلسان : شجر صغار كشجر الحنا ، دهنها نفيس . وفي "إغاثة اللهفان" الذي نقل منه المؤلف هذه العبارة يقول ابن القيم : « بدهن اللبان » .

وقد عظَّموا ذلك البيت ؛ فلا يمكنون أحدا من دخوله . وفي رأس القبة رجل ، فإذا قسسوا[1] ، ودعوا ألقى على ذلك الخيط النحاس شيئا من نار النِّفط[2] ؛ فتجري النار مع دهن البلسان إلى آخر الخيط النحاس ، فيلقى الفتيلة ، فيتعلق بها .

فلو نصح أحد منهم نفسه ، وفتش على نجاته لتتبع ذلك ، وطلب الخيط النحاس ، وفتش رأس القبة ؛ ليرى الرجل والنفط ، ويرى أن منبع ذلك النور من ذلك الممخرق[3] الملبس .

وأنه لو نزل من السماء لظهر من فوق ، ولم يكن ظهوره من الفتيلة ! .

ومن حيلهم - أيضا - أنه كان بأرض الروم فى زمن المتوكل[4] كنيسة[5] ، إذا كان يوم عيدها يحج الناس إليها ، ويجتمعون عند صنم فيها ، فيشاهدون ثدي ذلك الصنم في ذلك اليوم يخرج منه اللبن ، فكان يجتمع للسادن[6] فى ذلك اليوم مال عظيم .

فبحث الملك[7] عنها ، فانكشف له أمرها ، فوجد القيِّم قد ثقب من وراء الحائط ثقبا إلى ثدي الصنم ، وجعل فيه أنبوبة من نحاس ، وأصلحها باللُّجين[8] ، ليخفى أمرُها .

---

(١) [فإذا قسسوا] هكذا في جميع النسخ . وفي إغاثة اللهفان (فإذا قدسوا) ، والتقديس التطهير.
(٢) النِّفط - بتشديد النون مع الكسر -: مادة دهنية يستصبح به ، ويطلى به جرب الإبل وغيرها .
(٣) الممخرق : المموه .
(٤) تقدم التعريف به في مبحث : حرب التتار وسقوط بغداد سنه ٦٥٤هـ في ص (٢٠٩) .
(٥) اسمها كنيسة مريم . ذكره ابن البطريق .
(٦) السادن : خادم الكنيسة .
(٧) ملك الروم ، واسمه نوفيل بن مخاييل . (نظم الجوهر ، لابن البطريق ، ص ٣٠٧ ، مخطوط المكتبة الأهلية بباريس) .
(٨) اللُّجين - بالضم - : الفضة .

فإذا كان يوم العيد فتحها ، وصبَّ فيها اللبن ، فيجري إلى الثدي ، فيقطر منه ، فيعتقد الجهال أن هذا سرٌّ في الصنم ، وأنه علامة من الله لقبول قربانهم وتعظيمهم له .

فلما انكشف له ذلك أمر بضرب عنق السادن ومحو الصور من الكنائس ، وقال : إن هذه الصور مقام الأصنام ، فمن سجد للصور فهو كمن سجد للأصنام[1] .

ولقد كان من الواجب على ملوك الإسلام أن يمنعوا هؤلاء من هذا وأمثاله ؛ لما فيه الإعانة على الكفر وتعظيم شعائره ، فالمساعد على ذلك والمعين عليه شريك للفاعل ، ولكن[2] لما هان دين الإسلام ، وكان السحت الذي يأخذونه أحبَّ إليهم من الله ورسوله أقروهم على ذلك ، ومكَّنوهم منه[3] .

والمقصود أن رهبان النصارى وأساقفتهم لما علموا أن دينهم مما تنفر منه العقول أعظم نفرة وضعوا لهم من الحيل والمخارق ما روَّجوا به على السفهاء وضعفاء البصائر، واستمالوا به الجهلة إلى التمسك بالنصرانية .

وساعدهم ما عليه اليهود من القسوة والغلظة والمكر والكذب والبهت ، وما عليه كثير من المسلمين من الظلم والفواحش والفجور والبدع

---

(١) ذكر هذه القصة مؤرخ النصارى سعيد بن البطريق في كتابه نظم الجوهر ، ص ٣٠٧ من مخطوط المكتبة الأهلية بباريس - فرنسا .
ونقلها - أيضاً - عنه العلامة ابن القيم في كتابه إغاثة اللهفان ، ج٢ : ٢٨٩ ، تحقيق محمد حامد الفقي .

(٢) في النسختين «س» و «ع» [ولكن] بدون واو .

(٣) إلى هنا انتهى كلام ابن القيم .

والغلو في المخلوق ، حتى يتخذ إلها من دون الله . واعتقاد كثير من الجهال أن هؤلاء من خواص المسلمين وصالحيهم .

فتركب من هذا وأمثاله تمسُّك القوم بما هم عليه من[1] رؤيتهم أنه خير من كثير مما عليه المنتسبون إلى الإسلام من البدع والفجور والشرك والفواحش .

ولو أنهم تمسكوا بسنة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، واقتفوا آثاره ، وتركوا البدع والمحدثات ، واقتدوا بالسلف الصالح من هذه الأمة لكان ذلك من أعظم الدواعي إلى الدخول في الإسلام .

ولهذا لما رأى النصارى الصحابةَ وما هم عليه آمن أكثرهم اختيارا وطوعا ، وقالوا : ما الذين صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء[2] .

قال ابن القيم[3] :

«ولقد دعوْنا نحن وغيرنا كثيرا من أهل الكتاب إلى الإسلام ، فأخبروا أن المانع لهم ما يرون عليه المنتسبين إلى الإسلام من البدع والظلم والفجور والمكر والاحتيال ، ونسبة ذلك إلى الشرع ، فساء ظنهم بالشرع وبما جاء به ، فالله طليب قطاع الطريق وحسيبهم » .

فهذه إشارة يسيرة جداً إلى تلاعب الشيطان بالأمة الصليبية تدل على ما بعدها ، ويعتبر بها العاقل من وجوه :

---

(١) في النسخة «س» [بما هم عليه رؤيتهم] فأسقط حرف من .

(٢) ذكره العلامة ابن القيم في كتابه هداية الحيارى ، ص ٢٣٧ ، تحقيق الأستاذ أحمد حجازي السقا ، من رواية محمد بن القاسم عن الإمام مالك .

(٣) في كتابه إغاثة اللهفان ، ج٢ : ٢٩٨ ، تحقيق محمد حامد الفقي .

منها : ظهور شرف دين الإسلام الذي جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - ، فيعلم ذو العقل السليم أنه الحق من ربنا ، لا ما ابتدعه الضُّلال ، واخترعوه من الباطل والمحال إذ مَنْ عرف الباطل وما اشتمل عليه من القبائح ظهرت له فضيلة الحق ، وما فيه من المحاسن (فبضدِّها تتبيَّن الأشياء)[1] .

ومنها : أن يعلم الموقن بالله وربوبيته لهذا العالم أنه لا يدع الخلق في هذه الضلالات ، وارتكابهم لأقبح الجهالات من غير إقامة الحجة ، ببعثة الرسول ، وبلوغ الإنذار .

فكان هذا من أعظم الأدلة على صحة رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - ، حيث جاء بالدين القويم[2] والصراط المستقيم . كما قال الله - تعالى - : ﴿ ... قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ... ﴾[3] .

وإذا عرف ما قدمناه فنذكر الجواب على إفراد[4] المسائل التي ذكرها[5] النصراني .

---

(١) هذا شطر من بيت للمتنبي ، وهو قوله :

ونذيمهم وبهم عرفنا فضله وبضدِّها تتبيَّنُ الأشياءُ

(٢) في النسخة « س » [القيم] .

(٣) سورة المائدة ، الآيتان : ١٥ - ١٦ .

(٤) في النسختين « س » و« ع » [عن إفراد] .

(٥) في النسختين « س » و« ع » [التي ذكر] بدون " ها " .



فصل

قال النصراني :

« إنما المسيحيون قد أُمروا بالصبر والإحسان حتى للمبغضين لهم . أما المسلمون أُمروا بالقصاص وأخذ الثأر »[(١)] .

حث الإسلام على العفو عن القصاص

الجواب - وبالله التوفيق -:

إن الذي شرعه الله للمسلمين في هذا الباب أكمل وأجل مما عند غيرهم ؛ فإنه - تعالى - أذن لهم في القصاص من المعتدي ، وجعله حقًّا واجبًا للمظلوم ، وشرع التمكين له من أخذ حقه . ولم يوجب ذلك عليه ، بل ندبه إلى الفضل والصبر[(٢)] .

فقال - تعالى - : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ ... ﴾[(٣)] .

وقال - تعالى -: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ... ﴾[(٤)] .

فشرع - تعالى - العدل ، وهو القصاص ، وندب إلى الفضل ، وهو العفو ، ووعد عليه الأجر .

---

(١) كتاب مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن ، ص ١٢٤ ، نسخة المكتبة البريطانية في لندن .

(٢) في النسخة «س» [إلى الصبر والفضل] بتقديم الصبر على الفضل .

(٣) سورة النحل ، الآيتان : ١٢٦ - ١٢٧ .

(٤) سورة الشورى ، الآيات : ٤٠ - ٤٣ .

ولهذا قال : ﴿ ... فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ... ﴾[1] ؛ أي : لا يضيع ذلك عنده .

وقال تعالى : ﴿ ...وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ... ﴾[2] .

وفي الحديث الصحيح[3] عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « ما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًا » ، في أحاديث كثيرة في الترغيب في العفو والحث عليه .

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ أول متصف بهذا الوصف الجميل. ولا خفاء عند نقلة أخباره بما يؤثر من حلمه واحتماله وعفوه .

كما عفا - صلى الله عليه وسلم - عن أولئك النفر الثمانين الذين قصدوه عام الحديبية[4] ، ونزلوا من جبل[5] ؛ ليقتلوه ، فلما قدر عليهم عفا عنهم مع قدرته على الانتقام[6] .

---

(١) سورة الشورى ، الآية : ٤٠ .

(٢) سورة النور ، الآية : ٢٢ .

(٣) أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة في كتاب : البر والصلة ، باب : استحباب العفو والتواضع، ج٤ : ٢٠٠١ ، تحقيق محمد عبدالباقي .
وأخرجه الإمام الترمذي في سننه في كتاب : البر والصلة ،ج٦ : ٢٣٠ ، تحقيق عزت عبيد .
قال الترمذي : « حديث حسن صحيح » .

(٤) وقعة الحديبية في شهر ذي القعدة سنه ست من الهجرة .

(٥) في روايات الحديث : « من جبل التنعيم » .

(٦) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك في كتاب : الجهاد ، باب : قول الله - عز وجل -: ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾ ، ج ٣ : ١٤٤٢، ترتيب محمد عبدالباقي .
والترمذي في سننه ج ٥ : ٣٨٦ ، قال الترمذي : «هذا حديث حسن صحيح» . وأبو داود في سننه في كتاب : الجهاد ، باب : المن على الأسير بغير فداء ، ج٣ : ٦١ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد .

وكذلك عفـوه عن غورث بن الحارث[١] ، الذي أراد الفتك به حين اخترط[٢] سيفه وهو نائم ، فاستيقظ - صلى الله عليه وسلم - وهو في يده صلتًا[٣] ، فقـال : من يمنعك مني ؟ قال : الله . فسـقط السيف من يده ، فأخذه النبي - صلى الله عليـه وسلم - ، فقال : ومن يمنعك مني فقال : كن خير آخـذ . فتركه ، وعفا عنه ، فأتى قومـه ، وقال : جئتكم من عند خير الناس[٤] .

وعفا - أيضـاً - عن لبيد بن الأعصم اليهـودي الذي سحره ، ولم يعرض له ، ولا عاتبه مع قدرته عليه[٥] .

وكذلك عفوه عن المرأة اليهودية ، وهي زينب[٦] - أخت مرحب اليهودي[٧] -

---

(١) هو غـورث بن الحارث المحـاربي ، من بني المحـارب ، وقـد اختلف في إسـلامـه لاختـلاف الروايات في قصته ، وهي مخرجة في الصحيحين .

(٢) اخترط سيفه : أي استله من غمده .

(٣) صلتا - بفتح الصاد وضمها -: أي مسلولا مجردا عن غمده .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب : المغازي ، باب : غزوة ذات الرقاع ، عن جابر بن عبدالله ، ج٥ : ٥٤ ، طبعة المكتبة الإسلامية .

ومسلم في كتـاب : الفضـائل ، باب : توكل الرسـول ــ صلى الله عليـه وسلم ــ على الله وعصمة الله له من الناس ، ج٤ : ١٧٨٦ ، تحقيق محمد عبدالباقي .

(٥) أخـرجـه البخـاري في كـتـاب : الطب ، باب : السـحـر ، ج٧ : ٢٨ ــ ٣٠ ، طبـعة المكتبـة الإسلامية في إستانبول .

ومسلم في كتاب : السلام ، باب : السحر، عن عائشة ، ج٤ : ١٧١٩ ، تحقيق محمد عبدالباقي.

(٦) هي زينب بنت الحارث اليهـودية ، من يهود خيبر ، أخت مـرحب بن الحارث ، وزوج سلام بن مشكم اليهودي ، وقـد قتلها النبي - صلى الله عليه وسلم - قصاصـا لوفاة بشر بن البراء بن معرور على أثر أكله من الشاة التي وضعت فيها السم .

(٧) هو مرحب بن الحارث اليهـودي ، من يهود خيبر ، وقال ابن هشام : مرحب من حـمير ، وقد تبارز يوم خيبر هو ومحمد بن مسلمة ، فقتله محمد بن مسلمة .

انظر في هذا والذي قبله : السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج٣ : ٣٨٥ .

التي سـمَّت الذراع يوم خـيبـر[1] ، فـأخبـره الذراع بذلك ، فـدعـاها ، فاعـترفت ، فقال : مـا حملك على ذلك ؟ قالت : أردت إن كنت نبـيًّا لم يضرك ، وإن لم تكن نبياً استرحنا منك[2] .

ولكـن لمـا مـات بشـر بن البـراء[3] مـن أكله تلك الشاة المسـمومة قتلهـا بـه .

والأخبار بحلمه واحتماله وعفوه كثيرة جدا .

---

(١) وقعة خيبر في شهر محرم سنة سبع من الهجرة .

(٢) أخرجـه الإمام البـخاري في كتـاب : الجزية ، باب : إذا غـدر المشركون بالمسلمـين هل يعفى عنهـم ؟ ، ج٤ : ٦٦ ، طبعة المكتبة الإسلامية بإستانبول .

ومسلم في كتاب : السلام ، باب : السم ، ج ٤ : ١٧٢١ ، ترتيب محمد عبدالباقي .

(٣) تقدم التعريف به في ص (٢٩٠) .

فصل

قال النصراني :

إباحة الطلاق في الإسلام

« وأُمِر المسيحيون بإثبات عقدة التزويج واحتمال الزوجين أخلاق بعضهما بعضا . أما المسلمون أُجيز لهم نقضها بالطلاق »[1] .

ونقول :

لا ريب أن الذي شرع الله للمسلمين من ذلك أكمل وأليق بالحكمة ؛ فإن تحريم الطلاق يفضي كثيراً إلى ضرر الزوجين ، فإنه قد لا يلائم خلقها خلقه ، فتقع النفرة بينهما ، والبغض من كل منهما للآخر، ويحصل الشقاق ، فيبقيان عمرهما في نكد العيش .

ففي إباحة الطلاق الخلاص من هذا الضرر ، وأيضاً فإنه وإن لم يحصل شقاق فقد يحتاج إلى فراقها لمصلحة الاستبدال بأوفق منها ، أو لكونها عاقراً لا تلد ، فيستبدل بها ولوداً ، ويعرض[2] لها ما يمنع مقصود الاستمتاع ، بحيث لو مُنِع الاستبدال بغيرها فات مقصود النكاح ومصالحه ، إلى غير ذلك من الأسباب المقتضية لفراق الزوجة .

فأباح الله - تعالى - للزوج طلاقها تحصيلاً للمصلحة الراجحة له ، وتبقى هي مباحة للأزواج ، فتتم المصلحة لكل منهما .

(١) كتاب مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن ، ص ١٢٤ ، نسخة المكتبة البريطانية في لندن .
(٢) في النسخة «س» [أو يعرض] .

وهذا هو اللائق برحمة الله بخلقه ، وحكمته في شرعه وأمره ، وقد قال - تعالى - : ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴾[1] .

فإن لم يكن حاجة إلى الطلاق فهو مكروه ؛ لما فيه من تفويت المصالح المترتبة على النكاح من غير سبب يدعو إليه .

وجاء الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « أبغض الحلال إلى الله الطلاق » . رواه الدارقطني[2] .

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١٣٠.

(٢) في سنن الدارقطني ، ج٤ : ٣٥ ، من رواية معاذ بن جبل ، تحقيق محمد شمس الحق أبادي .
وأخرجه أبو داود في كتاب : الطلاق ، عن ابن عمر ، ج٢ : ٢٥٥ ، تحقيق محمد عبدالحميد .
والبيهقي في سننه ، ج٧ : ٣٢٢ .
وقد ناقش الأستاذ ناصر الدين الألباني إسناد هذا الحديث ، وانتهى إلى أنه مرسل . (إرواء الغليل ، ج٧ : ١٠٦ ــ ١٠٨) .

فصل

قال النصراني :

« والمسيحيون ، فعندهم يجب على الرجل أن يفعل لامرأته ما يريد أن تفعل له ، ويصير لها أسوة في الاقتصار على حبه وحده .

فوائد إباحة تعدد الزوجات

وأما المسلمون أُحِل لهم تكثير النساء الذي يزداد فيه الشره في النكاح »[1] .

الجواب - وبالله التوفيق -:

أن نقول : ما شرعه الله - تعالى - للمسلمين في عدد الزوجات مطابق للحكمة ؛ فإنه جاء وسطا بين الإكثار منهن المفضي إلى تفويت الحقوق الواجبة لهن ، وتحمل الرجل ما لا طاقة له[2] به من أعباء حقوق الزوجية ، وبين الإقلال الذي قد تفوت معه مصلحة كمال الاستمتاع ، وكثرة الأولاد ، والتمتع بنعمة الله التي امتن بها على عباده .

فأباح - تعالى - للرجل أن ينكح أربعاً إن قدر على القيام بحقوقهن والعدل فيهن ، وأمره بالاقتصار على واحدة إن خاف ألاَّ يعدلَ ، فقال - تعالى - : ﴿ ... فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا ﴾[3] .

(١) كتاب مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن ، ص ١٢٤ ، نسخة المكتبة البريطانية في لندن .
(٢) في النسخة «س» [ما لا طاقة به] .
(٣) سورة النساء ، الآية : ٣ .

والمقصود أن في إباحة العدد من الزوجات حِكَما عظيمة ومصالح جمّة .

فمنها : أن الرجل قد لا تكفيه الواحدة ، لفضل ما أُعْطي من القوة على النكاح ، أو لما يترتب له على التعدد من المصالح المطلوبة ، فأبيح له العدد المذكور من الزوجات ، وما شاء من السراري ؛ إتماماً لنعمة الله عليه ، وتحصينا لفرجه .

ومنها : أنه قد يعرض للمرأة ما يمنع استمتاعه بها من حيض أو نفاس أو مرض أو غيبتها عنه لعذر أو سفره عنها ، فأبيح له التعدد ؛ لتحصيل المصلحة ، وإتمام الإحصان .

ومنها : أن المرأة قد تكون عاقرا لا تحبل ، أو يعرض لها ما يقطع الحبل من كبر أو مرض ، وهو يؤثر إمساكها ، وألاَّ يفارقَها ، فلو اقتصر عليها فاته الولد ، وهم من النعم العظيمة ، وفيه تكثير الأمة . وقد قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ « تزوجوا الودود الولود ؛ فإني مكاثر بكم الأمم »[1] .

ومنها : أن في إباحة العدد مصلحةً تعود على جنس النساء ، فإنهن غالبا أكثر من الرجال ، ففي إباحة التعدد من مصلحة إحصانهن ، والقيام عليهن ما يفوت كثير منه لو مُنِع التعدد .

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ، ج٣ : ١٤٥ ، عن أنس بن مالك ، طبعة المكتب الإسلامي . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج٤ : ٢٥٢) : « رجاله رجال الصحيح». وأخرجه أبو داود في سننه ، عن معقل بن يسار ، في كتاب : النكاح ، ج٢ : ٢٢٠ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . والنسائي في سننه ، ج٦ : ٦٦ ، بشرح الحافظ السيوطي وحاشية السندي .

وأما ما يحصل للمرأة من مشقة الغيرة بتزويج غيرها فذلك لا يوازي تلك المصالح ولا يقارب .

وأيضاً فإن للرجال مزيدَ فضل على النساء بتفضيل الله لهم ، وبما أوجب عليهم في أموالهم من الإنفاق على النساء ، والقيام بهن ، فناسب ذلك ، وإن قصرت عليه أن يوسَّع له في قضاء وطره بغيرها إذا أحبَّ ذلك ، ولم يقصر عليها .

وأما كون كثرة النساء يزداد فيه الشره في النكاح فقد قدَّمنا الكلام على فضيلة النكاح بما أغنى عن إعادته . وما ترتب عليه الزيادة في الفضيلة فهو فضيلة ؛ ولهذا استكثر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ منهن ، وأُبيح له من العدد ما لم يبح للأمة .

وقال ابن عباس[1] – رضي الله عنهما –: «خير هذه الأمة أكثرها نساء» .

وبالجملة ، إذا [2] اعتبرت ما شرعه الله – تعالى – لهذه الأمة في هذا الباب وجدته على أحسن وجوه الحكمة وأكمل طرائق المصلحة ، كما هو كذلك في كل باب ، فلله الحمد .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن سعيد بن جبير في كتاب : النكاح ، باب : كثرة النساء ، ج٦ : ١١٨ ، طبعة المكتبة الإسلامية بإستانبول .

(٢) في النسخة « س » [فإذا] .



فصل

قال النصراني :

أصول الدين الإسلامي

« وعند المسيحيين أصل الدين موضوع في القلب ؛ أن يصلح ، ويثمر بما ينتفع به [1] أبناء الجنس كلهم . وأما عند المسلمين فمعظمه في الختانة والوضوء وغيرهما من الأشياء التي من ذواتها لا تنفع ولا تضر » [2] . هذا كلامه .

ونقول :

لعمر الله ، إنه كلام في غاية السخافة والجهالة والكذب ؛ فإن مبنى دين الإسلام على ما فيه غاية صلاح القلب ، وفلاحه ، وحياته ، وهو إخلاص العبودية لله [3] ، وصدق المحبة له ، وتحقيق التوكل عليه ، والخوف منه ، والرجاء له ، والاستعانة به ، والرضا عنه ، والصبر والتفويض ، وغير ذلك من منازل العبودية .

وكذلك الإيمان بالأصول التي جاءت بها الرسل ، واتفقت عليها ملل الأنبياء بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والإيمان بالقدر خيره وشره .

وغير ذلك من أصول الإيمان الثابتة في القلب ، والأعمال الباطنة التي لا تنفع الأعمال الظاهرة بدونها .

قال الله - تعالى - : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾

---

(١) في النسخة « س » [بها] ، وهو كذلك في مفتاح الخزائن .

(٢) كتاب مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن ، ص ١٢٤ ، نسخة المكتبة البريطانية في لندن .

(٣) في النسخة « س » [لله تعالى] .

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[1].

وقال - تعالى - : ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[2].

وقال - تعالى - : ﴿الم ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[3].

وقال - تعالى - : ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[4].

إلى غير ذلك من نصوص القرآن في الوصية بهذه الأصول، والحث عليها، ومدح من اتصف بها، إلى ما يتبع أعمال القلب من الأعمال الظاهرة التي مقصودها صلاح القلب ورعاية حياته وإيقاعها على وجهها من ثمرات صلاحه.

---

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٢ - ٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٣) سورة البقرة، الآيات: ١ - ٥.

(٤) سورة النور، الآية: ٥٢.

فافترض - تعالى - الصلوات الخمس المشتملة على توحيد الله - تعالى - ، والتأله إليه ، والخضوع له رهبةً منه ، والابتهال إليه رغبةً فيه .

ولهذا جاء في الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إذا قام أحدكم إلى صلاته فإنما يناجي ربه ؛ فلينظر أحدكم بمَ يناجيه؟ »[1] .

وجعل من شروطها رفع الحدث ، وإزالة النجاسة ؛ لتتم النظافة للقاء ربه ، والطهارة لأداء فرضه .

ثم ضمَّنها تلاوة كتابه المنزل ؛ ليتدبَّر ما فيه من أوامره ونواهيه ، ويعتبر إعجاز ألفاظه ومعانيه .

ثم علَّقها بأوقات راتبة ، وأزمان مترادفة ؛ ليكون ترادف زمانها وتتابع أوقاتها سببا لاستدامة الخضوع والابتهال إليه ، وألاَّ تنقطعَ الرهبة منه ولا الرغبة فيه .

وبهذا تنفتح أبواب المعارف في القلب ، ويحصل له غاية الصلاح ونهاية الفلاح .

وكذلك فريضة الزكاة والنفقات من الأموال ، ففيه من تمرين النفس على السماحة المحمودة ، ومجانبة الشح المذموم ، ومواساة الفقراء، ومعونة ذوي الحاجات ، وظهور إيثار المنفق رضا مولاه ببذل ما يحبه من المال .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ج٢ : ٣٦ ، عن عبدالله بن عمر. والحاكم في المستدرك ، عن أبي هريرة ، ج٢ : ٢٣٦ . قال الحاكم : « حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » .

وكذلك الصيام الذي فيه رياضة النفس وصفاء القلب ، وهو سرٌّ بين العبد وبين ربه ، وفيه حثٌّ على رحمة الفقراء ، وإطعامهم ، وسدِّ جوعتهم ؛ لما قد عاناه الصائم من شدة المجاعة في صومه ، وفيه من قهر النفس وإذلالها وكسر الشهوة المستولية عليها وإشعار النفس ما هي عليه من الحاجة إلى الطعام والشراب ما هو من أعظم صلاح القلب ومعرفته بربه وفاطره ، الغني بذاته عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فقير إليه .

ولهذا احتج الله - تعالى - على من اتخذ عيسى وأمه إلهين من دونه بقوله - تعالى - : ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ...﴾[1] ، فجعل حاجتهما إلى الطعام نقصا فيهما عن أن يكونا إلهين .

وكذلك الحج ، وما فيه من تحمُّل المشاق امتثالاً للأمر في قضاء المناسك في تلك المواطن الفاضلة .

وفيه تذكير بيوم الحشر في مفارقة المال والأهل ، وخضوع العزيز والذليل بين يدي الله ، واجتماع المطيع والعاصي في الرهبة منه والرغبة إليه ، وإقلاع أهل المعاصي عما اجترحوه ، وندم المذنبين على ما أسلفوه .

كما قال بعض العلماء : « قلَّ من حج إلا أحدث توبة من ذنب ، وإقلاعاً عن معصية » .

ولذلك قيل : « من علامة الحجة المبرورة أن يكون صاحبها بعدها خيرا من قبلها » .

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٧٥ .

ثم نبَّه بما يعانيه من مشاق السفر المؤدي إليه على مواضع النعمة برفاهة الإقامة ، ونسيه الأوطان ؛ ليحنو بما سلف من هذه النعمة على أبناء السبيل.

ثم علم بمشاهدة حرم الله الذي أنشأ منه دينه ، وبعث منه رسوله ، ثم بمشاهدة دار الهجرة ، التي أعز الله بها أهل طاعته ، وأذل بنصرة نبيه بها أهل معصيته ، حتى خضع له عظماء المتكبرين ، وتذلَّل له زعماء المتجبِّرين أنه لم ينتشر عن ذلك المكان المنقطع ، ولا قوي بعد الضعف البين حتى طبق الأرض شرقا وغربا إلا بمعجزة ظاهرة ونصر عزيز ، يدل على عناية الله بهذه الشريعة وأنها من عنده .

وكذلك الجهاد ، وما فيه من بذل النفس وإنفاق النفيس طاعةً لله وامتثالاً لأمره .

وكذلك أنواع العدل والإحسان والبر والصلة .

وكذلك الأقوال الطيبة من تلاوة كتاب الله ، وإكثار ذكره واستغفاره ، وتحصيل التوبة التي هي أحب شيء إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وغير ذلك من الأعمال الباطنة والظاهرة التي مقصودها صلاح القلب وصفاؤه ، ونماء الإيمان والمعرفة فيه ؛ فإن أصل الدين في الحقيقة هي الأمور الباطنة من العلوم والأعمال ، فلا تنفع الأعمال الظاهرة بدونها. كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الذي رواه أحمد[1] في مسنده[2] : « الإسلام علانية ، والإيمان في القلب » .

ولهذا قال - صلى الله عليه وسلم - في الحديث المتفق عليه[3]:

---

(١) في النسخة « س » [الإمام أحمد] .

(٢) في مسند الإمام أحمد ، ج٣ : ١٣٥ ، عن أنس بن مالك ، طبعة المكتب الإسلامي .

(٣) في صحيح البخاري ، ج١ : ١٩ ، عن النعمان بن بشير، في كتاب : الإيمان ، باب : فضل من استبرأ لدينه . =

« الحلال بيِّنٌ والحرام بيِّنٌ ، وبين ذلك أمور مشتبهات ، لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى ، يوشك أن يقع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة[1] إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : « القلب ملك ، والأعضاء جنوده ، فإذا خبث الملك خبثت جنوده »[2] .

وإذا كان الأمر ما ذكرنا بعض وصفه ، فكيف يقال : إن معظم دين الإسلام في الختانة والوضوء ونحوهما ؟ وما هذه الوقاحة والجرأة بالكذب البحت والجهل الصرف ؟

وليس هذا بكثير على من فسد عقله ، وانتكست فطرته حتى سبَّ خالقه وفاطره أعظم مسبَّة ، وتنقصه أسوأ تنقُّص ، بالشرك به ، ودعوى الولد له ، وكفر برسله وأنبيائه : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ ممَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾[3] .

= وفي صحيح مسلم في كتاب : المساقاة ، باب : أخذ الحلال وترك الشبهات ، ج٣ : ١٢١٩ ، ترتيب محمد عبدالباقي .

(١) المضغة : القطعة من اللحم ، وسميت بذلك ؛ لأنها تمضغ في الفم ، والمراد بها في هذا الحديث : القلب .

(٢) ذكر هذا الأثر العلامة ابن القيم في كتابه إغاثة اللهفان ، ج١ : ٥ ، تحقيق محمد حامد الفقي . والحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم ، ص ٦٥ . والحافظ ابن حجر في فتح الباري ، ج١ : ١٣٧ . ولم يسندوه إلى أبي هريرة .

(٣) سورة الزمر ، الآية : ٣٢ .

وأما الختان والوضوء وتطهير النجاسات ورفع الأحداث فهو من محاسن الشريعة ؛ فإن بالتوحيد وتوابعه طهارة الباطن ، وبالوضوء ونحوه طهارة الظاهر .

فيجمع العبد في عبادة ربه بين الطهارتين ، ويقوم بين يديه على أحسن الهيئات وأكمل الأحوال .

وكان ما جاءت به الشريعة المحمدية من ذلك وسطا بين جفاء النصارى وغلو اليهود ، كما تقدمت الاشارة اليه .

وقد أخرج الإمام أحمد[1] ومسلم[2] وغيرهما[3] عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما منكم من أحد يتوضأ ، فيسبغ الوضوء ، فيقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إلا فُتحت له أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء » .

---

(١) أخرجه الامام أحمد في المسند ، ج٤ : ١٤٦ ، طبعة المكتب الإسلامي .

(٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب: الطهارة ، باب: الذكر المستحب عقب الوضوء ، ج١ : ٢١٠ ، ترتيب محمد عبدالباقي .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه عن عقبة بن عامر ، يرويه عن عمر بن الخطاب في كتاب: الطهارة ، باب : ما يقول الرجل إذا توضأ ، الحديث رقم ١٦٩ ، ج١ : ٤٣ ، تحقيق محمد عبدالحميد . والترمذي في كتاب : الطهارة ، باب : فيما يقال عند الوضوء ، ج ١ : ٧٧ ، تحقيق أحمد شاكر . والنسائي في سننه في كتاب : الطهارة ، باب : القول بعد الفراغ من الوضوء ، ج ١ : ٩٢ - ٩٣ ، بشرح السيوطي حاشية السندي .
وقد ورد هذا الحديث بأسانيد صحيحة .

فهذا فيه الإتيان بالشهادتين المتضمنتين طهارة القلب بعد الوضوء الذي هو طهارة الظاهر؛ لتتم له الطهارتان الظاهرة والباطنة . وهذا غاية الكمال .

الختان من ملة إبراهيم - عليه السلام -

وفي الختان من الطهارة والنظافة ما هو اللائق بحكمة الله في شرعه ؛ فإن الأقلف يحمل النجاسة ، ولا يمكنه الاستبراء من البول ، فشُرِع الختان تحصيلاً للطهارة ، وتكميلاً للعبادة ، وتعظيماً للمعبود .

وهو من الحنيفية ملة إبراهيم ، وجاءت التوارة[1] بتقريره والأمر به ، ولم تنسخه شريعة الإنجيل ، وإنما إبطاله من تغيير الأمة الضالة لدين المسيح في زمن قسطنطين ، كما قدمنا ذكره[2] .

وقد اعترف هذا النصراني[3] أن المسيح - عليه السلام - اختتن على سنة التوراة[4] .

وليس معهم في إبطال الختان حجة ألبتة ، بل قد ذكر هو[5] نص

(١) في الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين ، النص رقم (١٠ ـ ١٤) .
(٢) في أول الكتاب في مبحث : تحريف النصارى لدينهم .
(٣) يقصد مؤلف كتاب مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن ، الذي يرد عليه ابن معمر ـ رحمه الله - .
(٤) قال الإمام القرطبي ــ رحمه الله ـ : «لا خلاف بينهم ـ يعني النصارى ـ أن عيسى - عليه السلام - كان مختونا ، وأن الختان من أحكام التوراة وثابت فيها » . انظر الإعلام بما في دين النصارى من الأوهام ، للقرطبي ، ص ٤٢٠ ، تحقيق أحمد حجازي السقا .
وقال الشيخ محمد أبو زهرة : « والمجامع في المسيحية هي - كما يقول علماؤهم - جماعات شورية في المسيحية ، قد رسم رسلهم نظامها في حياتهم ، حيث عقدوا المجمع بأورشليم بعد ترك المسيح لهم باثنتين وعشرين سنة ، وقرر ذلك المجمع .. عدم التمسك بمسألة الختان » . انظر كتاب محاضرات في النصرانية ، ص ١٤١ ، ١٤٢ ، طبعة دار الفكر.
(٥) في ص ٩٣ من كتاب مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن ، نسخة المكتبة البريطانية في لندن .

التوراة من الفصل السابع عشر من السفر الأول[1] منها : أن الله قد قال لإبراهيم : « أُعْطِي لك ولنسلك بعدك بلدةً سكـناك وهي جميع أرض كنعـان حوزا مـؤبدا ، وأكـون لكم إلهـا ، وأنت عـهدي ، تحـفظ أنت ونسلك بعدك لأجيالهم ، هذا عـهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك أن يختتن كل ذكر منكم » .

فما معنى هذا النص ؟ أليس صريحا في أن شرع الختان ثابت على ذرية إبراهيم وأتباعه ؟

فكيف يجعلون من شريعة المسيح إبطال الخـتان ، وقد حتم عليهم وأبد حكمه؟! وإنما حـملهم على ذلك متابعة دين قـسطنطين وأضرابه من المبدِّلين . ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[2] .

---

(١) أي : في الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٥٠ .



فصل

قال النصراني :

الحكمة في تحريم أكل الخنزير

« والمسيحيون أُحِل لهم استعمال المأكل وشرب الخمر على وجه الاعتدال .

أما المسلمون قد حُرِّم عليهم أكل لحم الخنزير وشرب الخمر ، مع أنه نعمة عظيمة من الله ينتفع بها النفس والجسم لمن يستعمله بالاعتدال »[(١)] .

الجواب - وبالله التوفيق -:

قد تقدم أن ما حرم الله على المسلمين فمصدره من رحمه الله بهم وحمايته لهم ؛ فإنه - تعالى - أحل لنا الطيبات ، وحرم علينا الخبائث . كما قال - تعالى - في صفة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ﴿ . . . وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ . . . ﴾[(٢)] .

والطيِّب والخبيث وصف قائم بالأعيان ، ليس المراد به مجرد التذاذ الأكل وعدمه ، أو التذاذ طائفة من الأمم لا من[(٣)] العرب ولا غيرهم على القول الصحيح[(٤)] .

فالخبث القائم بالعين هو علة التحريم ، فحرَّم الله - تعالى - أكل الخبائث صيانةً لعباده عن ملابسة الخبيث والاغتذاء به .

---

(١) كتاب مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ ، نسخة المكتبة البريطانية في لندن .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٥٧ .

(٣) في النسخة « س » [لا العرب] بدون من .

(٤) انظر الخلاف في ذلك في تفسير ابن كثير ، ج٢ : ٢٥٤ .

قال أهل العلم : «لأن الغذاء يصير جزءا من جوهر المغتذي ، ولا بد وأن يحصل للمغتذي أخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلا في الغذاء».

كما حرم الله - تعالى - الدم المسفوح ؛ لأنه مجمع قوى النفس الشهوانية [1] الغضبية ، فيكتسب به المغتذي به كيفية توجب طغيان هذه القوى ، وهو مجرى الشيطان من البدن . كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » [2].

وكما حرم النبي - صلى الله عليه وسلم - كلَّ ذي ناب من السباع [3] ومخلب [4] من الطير [5] ؛ لأنها عادية باغية ، فإذا أكلها الناس صار في أخلاقهم شوب من أخلاق هذه البهائم ، وهو البغي والعدوان ، وهكذا سائر المحرمات .

ومن ذلك الخنزير ؛ فإنه مطبوع على أخلاق ذميمة ، وصفات قبيحة ، فحُرِّم أكله [6] على الإنسان صيانةً له وحماية له عن أن يتكيَّف بتلك الكيفية.

---

(١) في النسختين « ع » و « س » [الشهوية] .

(٢) هذا الحديث متفق عليه . في صحيح البخاري في كتاب : الاعتكاف ، باب : هل يدرأ المعتكف عن نفسه ، ج٢ : ٢٥٩ ، طبعة المكتبة الإسلامية بإستانبول . وفي صحيح مسلم في كتاب : السلام ، ج٤ : ١٧١٢ ، ترتيب محمد عبدالباقي .

(٣) « كل ذي ناب من السباع » : هو الحيوان المفترس كالأسد والنمر ونحوهما .

(٤) ذي مخلب : هو الطائر الذي يأكل الجيف كالبازي والصقر ونحوهما .

(٥) أخرجه الإمام مسلم عن ابن عباس في كتاب : الصيد والذبائح ، باب : تحريم أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير ، ج ، ٣ : ١٥٣٤ ، ترتيب محمد عبدالباقي .
وأبو داود في سننه في كتاب : الأطعمة ، باب : النهي عن أكل السباع ، ج٣ : ٣٥٥ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد .
والنسائي في سننه في كتاب : الصيد والذبائح ، باب : تحريم أكل السباع ، ج٧ : ٢٠٠ ـ ٢٠١ ، بشرح السيوطي وحاشيه السندي .
وأخرجه الدرامي في سننه في كتاب : الأضاحي ، باب : ما لا يؤكل من السباع ، ج٢ : ٨٥، وغيرهم .

(٦) في النسخة « س » [فحرام أكله] .

واستحلال النصارى لها من إحداثهم في دين المسيح وتبديلهم له .

وقد قال[1] الإمام الحافظ عبدالرحمن بن أبى حاتم : حدثنا علي ابن الحسن[2] حدثنا نعيم بن حماد[3] ثنا ابن الفضيل[4] عن الوليد بن جميع[5] عن أبي الطفيل[6] ، قال : « نزل آدم بتحريم أربع : الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وما أُهلَ لغير الله به . وإن هذه الأربعة الأشياء لم تحل قط ، ولم تزل حراماً منذ خلق الله السموات والأرض ، فلما كانت بنو إسرائيل حرم الله عليهم طيبات أُحلَّت لهم بذنوبهم ، فلما بعث الله عيسى ابن مريم جاء الأمر الذي نَزل به آدم - عليه السلام - ، وأُحُل لهم ما سوى ذلك ، فكذبوه ، وعصوه » .

---

(١) ذكره ابن كثير في التفسير ، ج٢ : ٨ ، تفسير الآية (٣) من سورة المائدة .

(٢) [علي بن الحسين] هكذا اسمه في جميع نسخ كتاب منحة القريب المجيب .
وعند الحافظ ابن كثير الذي نقل عنه المؤلف - رحمه الله - هذه الرواية ، وعند الحافظ ابن أبي حاتم الذي خرج هذا الخبر اسمه (علي بن الحسن السنجاني) .
وهو أبو الحسن علي بن الحسن بن محمد بن حمدويه بن سنجان السنجاني ، أحد فقهاء الشافعية . وثَّقه ابن أبي حاتم .
انظر : الجرح والتعديل ، لابن أبي حاتم ، ج٣ : ١٨١ ، وتفسير ابن كثير ، ج٢ : ٨ ، تفسير الآية (٣) من سورة المائدة .

(٣) هو أبو عبدالله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث بن همام بن سلمة الخزاعي ، أحد علماء الحديث ، توفي سنة تسع وعشرين ومائتين في سجن بغداد في خلافة المعتصم ؛ لأنه سئل عن القرآن ، فامتنع عن الإجابة ، فسجن حتى مات . (تذكرة الحفاظ ، ج٢ : ٤١٨) .

(٤) هو أبو عبدالرحمن محمد بن الفضَيل بن غزوان الضبي بالولاء . قال ابن سعد : « ثقة صدوقا كثير الحديث متشيعاً ، وبعضهم لا يحتج به » . (طبقات ابن سعد ، ج٦ : ٣٨٩) .

(٥) هو الوليد بن عبدالله بن جميع الزهري المكي ، وثَّقه ابن معين وابن حبان . (تهذيب التهذيب ، لابن حجر ، ج١١ : ٣٨) .

(٦) هو أبو الطفيل عامر بن واثلة بن عبدالله بن عمرو بن جابر بن حميس بن جزء بن سعد الليثي ، ولد عام أحد ، صحابي جليل ، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبي بكر، وعمر، وعلي وغيرهم . توفي في مكة سنة مائة من الهجرة ، وهو آخر من مات من الصحابة . (طبقات ابن سعد ، ج٥ : ٤٥) .

قال الحافظ ابن كثير : « وهذا أثر غريب »[1] .

الحكمة في تحريم شرب الخمر

وأما الخمر فهي أم الخبائث ومنبع الرذائل ، مفسدة للدين والعقل ، فتحريمها من محاسن الشريعة .

وليس يوازي ما فيها من المنافع ما اشتملت عليه من المفاسد ؛ لأن المنافع التي فيها تعود إلى البدن ، والمفاسد تعود إلى الدين والعقل ، وهما أعظم نعم الله على عباده ؛ فلهذا قال - تعالى - : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا . . . ﴾[2] .

فهذه الشريعة الزاكية جاءت بتحصيل المصالح ، وتكميلها ، وتعطيل المفاسد ، وتقليلها .

فإذا تعارضت المصلحة والمفسدة[3] روعي أكبرهما ، فعُطِّلت المفسدة الكبرى ، ولو بإهمال مصلحة ، لا توازي تلك المفسدة .

وهذا من حكمة الله في شرعه وأمره ، وهو الحكيم العليم .

وقد قال - تعالى - : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[4] .

---

(١) تفسير ابن كثير ، ج ٢ : ٨ ، تفسير الآية (٣) من سورة المائدة .
(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢١٩ .
(٣) في النسختين « س » و « ع » [المفسدة والمصلحة] بتقديم المفسدة ، وتأخير المصلحة .
(٤) سورة المائدة ، الآية : ٩١ .

فذكر - تعالى - نوعين من المفسدة في الخمر :

الأول : يتعلق بالدنيا ، وضرره - أيضا - عائد على الدين ، وهو العداوة والبغضاء .

وذلك أن الغالب على من يشرب الخمر أن يشربها مع جماعة ، ويكون من غرضه في ذلك الشرب أن يستأنس برفقائه ، ويفرح بمحادثتهم ، ومكالمتهم .

فكان من غرضه في ذلك الاجتماع تأكيد المحبة والألفة ، ولكنه ينقلب في الأغلب إلى الضد ؛ لأن الخمر تزيل العقل ، وإذا زال العقل استولت الشهوة والغضب من غير مدافعة العقل ، وعند استيلائهما تحصل المنازعة بين أولئك الأصحاب ، وربما آلت إلى الضرب والقتل والمشافهة بالفحش ، وذلك يورث العداوة والبغضاء .

والشيطان سوَّل لهم أن الاجتماع على الشرب يوجب تأكيد المحبة والألفة ، فينقلب الأمر إلى نهاية العداوة والبغضاء المفضيين غالباً إلى الهرج والمرج والفتنة[1] ، وكل ذلك مضاد لصلاح العالم .

النوع الثاني :

المفاسد المتعلقة بالدين ، وذلك في قوله : ﴿ ... وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ... ﴾[2].

وكون الخمر مانعة عن ذكر الله وعن الصلاة ظاهر ؛ لأن شرب الخمر يورث السكر واللذة والطرب في الجسم ، فيمنعه ذلك من أداء العبادة ، ويحول بينه وبين أسباب السعادة .

---

(١) في النسختين « س » و « ع » [والفتن] .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٩١ .

وأيضاً فالنفس إذا استغرقت في اللذات الجسمانية غفلت عن ذكر الله ، ومالت إلى العاجلة .

ومن الدليل على قبح الخمر وخساستها أن عقل الإنسان أشرف صفاته ، والخمر عدو للعقل ومفسد له ، وذلك أن الإنسان إذا دعاه طبعه إلى فعل القبيح كان عقله مانعا له من الإقدام عليه ، فإذا شرب الخمر بقي الطبع الداعي إلى فعل القبائح خالياً عن العقل المانع منها .

ولهذا امتنع من شربها جماعةٌ في الجاهلية صيانةً لعقولهم . قيل للعباس بن مرداس[1] ـ في الجاهلية ـ : لمَ لا تشرب الخمر ؛ فإنها تزيد في جراءتك ؟ فقال : ما كنت لآخذ الجهل بيدي ، فأدخله جوفي . ولا أرضى أن أصبح سيد قومي ، فأمسي سفيههم[2] .

وأيضاً فإن من خواص الخمر - كما قال بعض العلماء - أن الإنسان كلما كان اشتغاله بها أكثر ، ومواظبته عليها أتم كان الميل إليها أكثر ، وقوة الإقدام عليها أوفر . بخلاف سائر المعاصي كالزنا مثلا ؛ فإنه إذا واقعه مرة واحدة قلّت رغبته فيه ، وكلما كثر فعله لذلك العمل كان فتوره عنه أكثر .

بخلاف الشرب فإنه كلما كان إقدامه عليه أكثر كان نشاطه إليه أكثر ، ورغبته فيه أتم .

---

(١) هو العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد بن عبس السلمي ، وأمه الخنساء المشهورة ، أسلم قبل فتح مكة بيسير ، وحسن إسلامه ، وقدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ثلاثمائة نفر من قومه ، فأسلموا ، وشهد فتح مكه ، وله شعر جيد في مدح الإسلام والذود عنه ، وتوفي في خلافه معاوية .

(٢) ذكره ابن الأثير في أسد الغابة ، ج٣ : ١١٣ .

فإذا واظب الإنسان عليه صار غريقا في اللذات البدنية مُعْرِضا عن تذكر الآخرة والمعاد ، حتى يكون من الذين نسوا الله ، فأنساهم أنفسهم .

وبالجملة ، فالخمر يزيل العقل ، فإذا زال العقل حصلت الخبائث[1] بأسرها .

فظهر بما قررناه أن تحريم الخمر والخنزير من محاسن الشريعة ، ومن أدلة أنها من عند الله ، وأنها أكمل الشرائع وأزكاها ، فلله الحمد والمنة .

(١) في النسخة « س » [القبائح] .

فصل

قال النصراني :

« وأما قبل أن وضعت الشريعة التي هي في غاية الكمال كما هي حال شريعة المسيح ، فلا عجب أن تقدِّم ما يشبه الأصول التي تصلح لتعليم الصبيان ، بل بعد إظهار الشريعة التي هي على تلك الحال فالرجوع بعد[1] إلى الرموز والإشارات فهو أمر غير مستقيم ، ولا يمكن أن يؤتى بمعنى يدل على أنه يليق - بعد إظهار شريعة المسيح التي هي في غاية الصلاح - أن يؤتى بغيرها »[2] .

هذا كلامه ، وهو يتضمن أمرين :

الأول : دعواه أن شريعة المسيح أكمل من شريعة محمد - عليهما الصلاة والسلام - .

والثاني : ما اقتضاه كلامه من أن المسيح خاتم الرسل ، كما صرح به هو ـ أعني هذا النصراني ـ في أول كتابه .

أوجه الكمال في الشريعة الإسلامية

والجواب عن الأول من وجوه :

الأول : أن نقول : لا ريب أن إثبات الكمال كغيره من المعلومات ليس بمجرد الدعوى ، وإنما يعرف بالدلائل والبينات .

---

(١) في كتاب مفتاح الخزائن : (فالرجوع في ما بعد) .

(٢) كتاب مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن ، ص ١٢٥ ، من نسخة المكتبة البريطانية في لندن .

فالدعاوى ما لم يقيموا عليها   بيِّنات أبناؤها أدعياءُ [1]

وقد دللنا فيما تقدم على أن شريعة محمد - صلى الله عليه وسلم - في نهاية الكمال ، وتمام المصلحة ، ومقتضى الحكمة بما فيه مقنع لذوي الإنصاف ، وإن كانت الأدلة على ذلك تفوت الإحصاء ، ولا يبلغها الحصر ؛ فإن الحكم والمصالح في شرع الله وأمره لا يحيط بها إلا هو ، فما ظهر لنا من ذلك قلنا به ، وما لم يظهر لنا وكلناه إلى عالمه .

الوجه الثاني : أن الله - سبحانه - شرع لعباده الشرائع على وفق الحكمة ، والمصلحة وخصَّ كل أمة بشريعة اقتضتها حكمته ، ولكنه - سبحانه - فضَّل الشرائع بعضها على بعض ، كما فضَّل الرسل بعضهم على بعض ، ورفع بعضهم فوق بعض درجات .

فالكمال حاصل في كل شرع شرعه الله ، ولكن حصول الكامل لا يمنع وجود ما هو أكمل منه .

فكمال شريعة موسى وعيسى - عليهما السلام - ليس مانعا من ظهور شرع أكمل منهما .

---

(1) هذا البيت من نظم صاحب البردة ، شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري ، المتوفى بالإسكندرية سنة ٦٩٥هـ .

وهو من قصيدة له مشهورة تعرف بالهمزية ، ومنها قوله :

ما أتى بالعقيدتين كتاب   واعتقاد لا نص فيه ادعاءُ

فالدعاوى ما لم يقيموا عليها   بيِّنات أبناؤها أدعياءُ

انظر كتاب لوامع أنوار الكوكب الدري في شرح همزية البوصيري ، لسيدي محمد بن أحمد بامبس ، ص ٢١٣ ، الطبعة الأولى .

كما أن فضل السابق في الزمان من الأنبياء والرسل لا يمنع وجود أفضل منه ؛ إذ الكمال في أمر الله وشرعه غير متناهٍ .

وإذا اعتبر ذو البصيرة ما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - من الهدى ودين الحق علم أنه جاء بالكمال الذي لم يتقدم نظيره في الشرائع السالفة .

ولا عجب ؛ فإنه الذي جاء به أفضل الخلق وسيد المرسلين وخاتمهم - صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين - .

وقوع النسخ في الشرائع المتقدمه .

الوجه الثالث : أن دعواه أن شريعة المسيح لا يمكن نسخها دعوى مجردة عن الدليل ، وكذب محض على شريعة مَنْ جاء بالإنجيل ، شبيهة بدعوى اليهود عدم جواز النسخ في الشرائع .

وهذا النصراني قد ردَّ على اليهود في إنكارهم النسخ[1] ، فما باله رجع يدَّعي كدعواهم بغير برهان عقلي ولا دليل شرعي ؟

فقد حجر على الله في شرعه بمجرد هوى النفس . ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[2] .

ثم يقال : أي فرق بين طروّ النسخ على شريعة موسى وما قبلها من الشرائع ، وبين طروّه على شريعة المسيح ؟

(١) في ص ٧٦ من كتابه مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن ، نسخة المكتبة البريطانية في لندن .
(٢) سورة الجاثية ، الآية : ٢٣ .

فإنه لا يمكن أن يؤتى بفرق صحيح عقلي ، فقد خالفوا العقل والشرع في هذه الدعوى الباطلة .

فلا حجر على الله في شرعه وأمره ، كما لا اعتراض عليه في خلقه . ﴿ . . .أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[1] .

واعلم أن الشرائع نوعان :

منها : ما يعرف بضرورة العقل والفطرة نفعه معاشاً ومعاداً . فهذا يمتنع طروّ النسخ عليه ؛ لعبادة الله وحده لا شريك له ، وطاعته أبداً .

ومجامع هذه الشرائع أمران : التعظيم لله ، والشفقة على خلق الله . وهذه لا تختلف فيها شرائع الأنبياء .

ومنها : ما لا يعرف إلا بالسمع مما يكون تابعا للمصلحة ، وذلك يختلف باختلاف الزمان والمكان والحال .

فهذا يمكن طروّ النسخ عليه وتبديله ، فيكون الشيء الواحد حراما في ملة دون ملة ، وفي وقت دون وقت ، وفي مكان دون مكان ، وفي حال دون حال .

وهذا معلوم بالاضطرار من الشرائع ، ولا يليق بحكمة أحكم الحاكمين غير ذلك .

ألا ترى أن تحريم السبت لو كان لعينه لكان على إبراهيم ونوح وسائر النبيين .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٥٤ .

وكذلك ما حرَّمته التوارة من المطاعم والمناكح وغيرها لو كان حراماً لعينه وذاته لكان حراماً على كل نبي وفي كل شريعة .

والأدلة على هذا كثيرة جداً ، وهي تبطل شبهة أمة الغضب في دعوى عدم النسخ ، ليس هذا موضع بسطها ؛ لأن ذلك ليس من غرضنا في هذا الكتاب ؛ إذ الكلام فيه مع الأمة الضالة ، وهم يوافقوننا على جواز وقوع النسخ في الشرائع .

فإذا كان الرب - تعالى - لا حجر عليه ، بل يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، ويبتلي عباده بما شاء ، ويحكم ولا يحكم عليه ، وينسخ من أمره ما يشاء ويثبت ، لا معقب لحكمه ، فما الذي يحيل عليه أن ينزل شريعة بعد شريعة المسيح تكون أكمل منها وأفضل؟! .

وهل هذا إلا ما ادعته اليهود ؟ فإن كان ذلك صحيحا ، وأنه يمتنع أن يؤتى بشريعة بعد شريعة المسيح لزم منه صحة دعوى اليهود ؛ إذ لا فرق ، فعاد الطعن في نبوة المسيح .

وإذا كانت دعوى اليهود واضحة البطلان فدعوى هذا الضال أبطل وأبطل .

قال بعض العلماء : « وحكمة النسخ فيما يجوز نسخه وتبديله أن الأعمال البدنية إذا واظب عليها الخلف عن السلف صارت كالعادة ، وظُنَّ أنها مطلوبة لذاتها ، فيمتنع الوصول بها إلى ما هو المقصود من معرفة الله وتمجيده ، بخلاف ما إذا تغيرت تلك الطرائق » .

وقال غيره : « حكمته أن الخلق طُبِعوا على الملالة من الشيء ، فوضع لهم في عصر كل رسول شريعة جديدة ؛ لينشطوا في أدائها » .

ومن الحكمة إظهار شرف نبينا ــ صلى الله عليه وسلم ــ ؛ فإنه نسخ بشريعته شرائعهم ، وشريعته لا ناسخ لها .

ومن حكم النسخ - أيضا - ما فيه من حفظ مصالح العباد ، كطبيب يأمر بدواء في يوم ، وبآخر في يوم ثانٍ ، وهكذا بحسب المصلحة ، وإن كان الثاني أفضل . انتهى .

والجواب عن الأمر الثاني - وهو دعواه أن المسيح خاتم الرسل - من وجوه ، تعلم مما تقدم :

بطلان دعوى ختم النبوة بالمسيح - عليه السلام -

الأول : أنها دعوى مجردة عن البرهان ، وعارية عن الدليل ، والدعاوى التي لا دليل عليها مطروحة ، وهم لا يستندون في ذلك إلى دليل ألبتة .

وليس في الأناجيل التي بأيديهم ما يدل على ما زعمه ، بل قد تقدم فيما أوردناه[1] من نصوص الإنجيل الدلالة على نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ما يبطل هذا الزعم .

الوجه الثاني : أن أدلة الرساله المحمدية ، ومعجزاتها ، وبراهينها ، التي هي أظهر من شمس الظهيرة لا يحتاج بعدها إلى تنويع الرد في إبطال هذه الدعوى الكاذبة الخاطئة .

---

(١) في مبحث : أدلة رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - من الإنجيل .

الوجه الثالث : أن هذا القول من مخترعاتهم المحدثة من بعض متأخريهم ، إما من هذا المصنف ، أو أمثاله من الضالين .

وهذا كما رام بعض إخوانهم في الكفر من أنصار اليهودية أن يدَّعي أن موسى خاتم الرسل ، وأنه عهد إليهم أن لا نبي بعده .

فدعوى هذا الضال أن المسيح خاتم الرسل ، وأن شريعته خاتمة الشرائع لا نعلم به قائلا قبله من النصارى .

بل قد قال الإمام العلامة أبو عبدالله ابن القيم[1] - وهو الإمام المحيط بأقاويل الناس - :

« أهل الكتاب مجمعون على أن نبيًّا يخرج في آخر الزمان ، ولا يشك علماؤهم أنه محمد بن عبدالله ، وإنما يمنعهم من الدخول في الإسلام رياستهم على قومهم وخضوعهم لهم ، وما ينالون منهم من المال والجاه » . انتهى .

وقول النصراني : « ولا يمكن أن يؤتى بمعنى يدل على أنه يليق - بعد إظهار شريعة المسيح التي هي في غاية الصلاح - أن يؤتى بغيرها»[2] يعلم جوابه مما تقدم من بيان أفضلية شريعة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، التي اقتضت حكمة الرب - تعالى - أن جعلها خاتمة الشرائع، ففضَّلها على غيرها ، كما فضَّل من جاء بها على سائر الأنبياء ، وفضَّل أمته على جميع الأمم .

---

(١) في هداية الحيارى ، ص ٤٧ ، تحقيق أحمد حجازي السقا .

(٢) كتاب مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن ، ص ١٢٥ ، نسخة المكتبة البريطانية في لندن .

الأصول التي اتفقت عليها الشرائع السماوية

وأيضا فالأصل الذي اتفقت عليه شرائع الأنبياء ، ودعا إليه جميع الرسل هو : إخلاص العبودية لله - تعالى - ، وخلع الأنداد التي تُعْبَد من دونه .

ولا ريب أن الذي جاءت به شريعة محمد - صلى الله عليه وسلم - في تشييد هذا المقام وحماية هذا الباب أعظم مما جاء به غيره ، فإنه قد جاء من تحقيق التوحيد ، وسد طرق الشرك ، والتحذير من دقيقه وجليله ، وظاهره وخفيه ، ما فضلت به شريعته على سائر الشرائع .

كما جاء في الخبر عن الله ، وعن اليوم الآخر ، وتقرير نبوة الأنبياء ، وتصديق ما تضمنته التوارة والإنجيل مع زيادة البيان ، والتفصيل مما تضمنه القرآن وحكمة الرسول [1] ما حصل به للمؤمنين من العلوم النافعة ما فاقوا به على جميع الأمم .

فأي معنى يليق ببعثة الرسول أعظم من هذا ؟

وأيضاً فقد قدَّمنا في المقام الأول بيان اعتراف النصراني بخفاء الحق وظهور الضلال قبل مبعث محمد - صلى الله عليه وسلم - بما يكفي في إبطال كلامه ههنا ، ويعلم به أن الخلق محتاجون إلى بعثته - صلى الله عليه وسلم - أعظم من كل حاجة ، ومضطرون إليه غاية الضرورة .

كما قال الله - تعالى - : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [2] .

---

(١) في النسخة « ع » [القرآن وحكمه ماحصل به] .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ١٩.

وفي الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه[1] عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : « إن الله اطلع على أهل الأرض ، فمقتهم ، عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب » .

وأيضاً فإن النصارى - عليهم لعائن الله - قد أشركوا بالله أعظم الشرك ، وافتروا عليه أعظم الفرية ، فقالوا : إن الله ثالث ثلاثة ، وادعوا له ولدا - تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا - .

فلو لم يكن في بعثة الرسول من الحكمة سوى النهي عن هذا الكفر الشنيع والشرك الفظيع من أمة يدَّعون اتباع رسول الله ، والإيمان بكتابه ، وهم إذ ذاك أقرب الناس عهدا بالكتب والرسل لكان ذلك كافياً في الحكمة ، ولائقاً بالمعنى الذي مضت به سنة الله في خلقه من بعثة الرسول عند الحاجة إليه . ﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾[2] .

هذا ما يسَّره الله - تعالى - من كتاب "منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب".

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) في صحيح مسلم في كتاب : الجنة وصفة نعيمها ، باب : الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ، ج٤ : ٢١٩٧ ، ترتيب محمد عبدالباقي
وأخرجه - أيضاً - الإمام أحمد في المسند ، عن عياض بن حمار المجاشعي ، ج٤ : ١٦٢ ، طبعة المكتب الإسلامي .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٣٩ .



الفهارس العامة

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية والآثار

ثالثاً : فهرس الأعلام

رابعاً : فهرس الأماكن

خامساً : فهرس الكتب

سادساً : فهرس الفرق

سابعاً : فهرس الأشعار

ثامناً : فهرس المراجع

تاسعاً : فهرس الموضوعات



أولاً :

فهرس الآيات القرآنية التي استشهد بها المؤلف في الكتاب [1]

مرتبة حسب ترتيبها في السور

والسور مرتبة حسب ترتيبها في المصحف .

رقم السورة حسب ترتيب المصحف	اسم السورة	رقم الآية	الآية	أرقام الصفحات
٢	البقرة	١ - ٥	﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ...﴾	٦٧٤
	،،	٢٣-٢٤	﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ...﴾	٤٢٦ ، ٤٢٧، ٤٤٩، ٤٦٢
	،،	٧٩	﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾	٢٤٨، ٢٤٩
	،،	٨٨	﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ...﴾	٤٢٧
	،،	٨٩	﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ...﴾	٢٨٨-٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١
	،،	٩٠	﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ...﴾	٢٦٦-٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٢

رقم السورة حسب ترتيب المصحف	اسم السورة	رقم الآية	الآية	أرقام الصفحات
٢	البقرة	٩١	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ...﴾	٢٩٢، ٢٩٤
	"	٩٢	﴿وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ ...﴾	٢٩٤
	"	٩٤-٩٥	﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ ...﴾	٤٤٨، ٤٥٠، ٤٦٣
	"	١١٦-١١٧	﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ...﴾	٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٥، ٣٦٦، ٦٧٤
	"	١٣٥	﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ...﴾	٤١٤
	"	١٣٦	﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ ...﴾	٤١٦
	"	١٣٧	﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ ...﴾	٤١٦
	"	١٣٩	﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا ...﴾	٦٩٩

رقم السورة حسب ترتيب المصحف	اسم السورة	رقم الآية	الآية	أرقام الصفحات
٢	البقرة	١٤٠	﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ...﴾	٤١٥
	‹‹	١٤٦	﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ...﴾	٢٥٣، ٢٨٥، ٤٢٠
	‹‹	١٧٧	﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ...﴾	٦٧٤
	‹‹	١٨٥	﴿... يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ...﴾	٣٢٠
	‹‹	١٩٠	﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ...﴾	٦٢٠
	‹‹	١٩٣	﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ...﴾	٦٢٠-٦٢١
	‹‹	٢١٩	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ...﴾	٦٨٦
	‹‹	٢٥٣	﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ...﴾	٣٠٦

رقم السورة حسب ترتيب المصحف	اسم السورة	رقم الآية	الآية	أرقام الصفحات
٢	البقرة	٢٨٥	﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّه ...﴾	٥٢٨
٣	آل عمران	١-٧	﴿الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ...﴾	٢٣٩، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩٠
	،،	٨	﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ...﴾	٣٩٠
	،،	٢٠	﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ...﴾	٦٣٢
	،،	٢١	﴿... وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾	١٥١
	،،	٤٥-٤٧	﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ...﴾	٣٣٥ - ٣٣٦، ٣٤٦
	،،	٥٥	﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ...﴾	٢٢٢، ٤٦٢
	،،	٥٩	﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ...﴾	٣٣٧، ٣٤٥، ٣٩١

رقم السورة حسب ترتيب المصحف	اسم السورة	رقم الآية	الآية	أرقام الصفحات
٣	آل عمران	٦١	﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ...﴾	١٤٢، ٣٧١، ٣٩١
	،،	٦٤	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ...﴾	٥٦٧
	،،	٦٧-٦٨	﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ...﴾	٤١٥
	،،	٧١	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ...﴾	٢٨٤
	،،	٧٨	﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ ...﴾	٢٤٩، ٢٥٠
	،،	٨١-٨٢	﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ...﴾	٤١٣
	،،	١٠٦	﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ...﴾	٥٥٥
	،،	١١٠	﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ...﴾	٢٦٧، ٤٠٦
	،،	١١١	﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ...﴾	٤٦٢
	،،	١١٣	﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ...﴾	٤٦٢، ٥٤٣

رقم السورة حسب ترتيب المصحف	اسم السورة	رقم الآية	الآية	أرقام الصفحات
٣	آل عمران	١٣٩	﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ ...﴾	٥٤٨
	،،	١٤٦-١٤٨	﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ...﴾	٤٠٥، ٦١٠
	،،	١٦٥	﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا ...﴾	٥٤٨
	،،	١٦٦-١٦٧	﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ ...﴾	٦١٢
	،،	١٦٩	﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ...﴾	٦١٠
٤	النساء	٣	﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ...﴾	٦٦٩
	،،	٤٦	﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ...﴾	٢٥٣
	،،	٨٢	﴿...وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾	٣٨١
	،،	١٣٠	﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ ...﴾	٦٦٨

رقم السورة حسب ترتيب المصحف	اسم السورة	رقم الآية	الآية	أرقام الصفحات
	النساء	١٥٠-١٥٢	﴿إنَّ الَّذينَ يَكْفُرُونَ باللَّه ورُسُله ...﴾	٥٢٨
	،،	١٥٣-١٥٦	﴿يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكتَاب أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كتَابًا مِّنَ السَّمَاء ...﴾	٥٤٠
	،،	١٥٤	﴿ورَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بميثَاقهمْ ...﴾	٦٢٤
	،،	١٥٥	﴿فَبمَا نَقْضهم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرهم بآيَات اللَّه وقَتْلهمُ الأَنْبياءَ بغَيْر حَقٍّ وَقَوْلهمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ...﴾	٤٢٧
	،،	١٥٦	﴿وبكُفْرهمْ وَقَوْلهمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظيمًا ...﴾	٢٢٠
	،،	١٥٧	﴿وقَوْلهمْ إنَّا قَتَلْنَا الْمَسيحَ عيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ...﴾	٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣
	،،	١٥٨	﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إلَيْه وَكَانَ اللَّهُ عَزيزًا حَكيمًا﴾	٢٢٠
	،،	١٥٩	﴿وإن مِّنْ أَهْلِ الْكتَاب إلاَّ لَيُؤْمنَنَّ به﴾	٢٢٥، ٢٢٦
	،،	١٦٥	﴿رُسُلاً مُّبَشّرينَ وَمُنذرينَ لئَلاَّ يَكُونَ للنَّاس عَلَى اللَّه حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ...﴾	١٤٦

رقم السورة حسب ترتيب المصحف	اسم السورة	رقم الآية	الآية	أرقام الصفحات
	النساء	١٧١-١٧٢	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ...﴾	٣٣٦، ٣٤١، ٣٤٥، ٣٤٩، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٨٨
٥	المائدة	١٤	﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾	٣٥٣، ٤٦٢
	،،	١٥-١٦	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا ...﴾	٦٦١
	،،	١٩	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ ...﴾	١٨٨، ١٩١، ٦٩٨
	،،	٤٤	﴿... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ...﴾	١٥٤
	،،	٤٨	﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ...﴾	١٨٨، ٢٣٩، ٤٠٥
	،،	٥٠	﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ...﴾	٦٨١
	،،	٦٤	﴿... وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ ...﴾	٤٦٢
	،،	٧٢	﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ...﴾	١٤٨، ٣٤٩، ٣٥٤، ٣٦٩
	المائدة	٧٣	﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ...﴾	١٤٨، ٣٤٩، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٩

رقم السورة حسب ترتيب المصحف	اسم السورة	رقم الآية	الآية	أرقام الصفحات
	المائدة	٧٤	﴿أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ...﴾	٣٥٦
	،،	٧٥	﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ...﴾	١٣٧، ٣٤٠، ٣٥٦، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٦٧٦
	،،	٧٦	﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا ...﴾	٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧١
	،،	٧٧	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ...﴾	١٧٨، ٣٤١
	،،	٩١	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ ...﴾	٦٨٦، ٦٨٧
	،،	١١٦	﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ...﴾	٣٥٥
	،،	١١٧	﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ...﴾	٣٥٥، ٣٨٨
٦	الأنعام	٤-١٢	﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ ...﴾	٥٣٧-٥٣٨، ٥٤٠
	،،	٢٥	﴿... إِنْ هَـذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ...﴾	٤٢٧

رقم السورة حسب ترتيب المصحف	اسم السورة	رقم الآية	الآية	أرقام الصفحات
	الأنعام	٣٨	﴿... مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ...﴾	٤٤٠
	،،	١٠١	﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ ...﴾	٣٦٢-٣٦٣، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧
	،،	١٠٩-١١١	﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ...﴾	٥٣٦
٧	الأعراف	٥٤	﴿... أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ...﴾	٦٩٤
	،،	٧٣	﴿...هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً...﴾	٣٤٧
	،،	١٥٦-١٥٧	﴿... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ...﴾	٢٥٢، ٢٨٤، ٥٩٤، ٦٨٣
	،،	١٥٨	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ...﴾	٦٣٢
	،،	١٦٨	﴿... وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ ...﴾	٥٤٣
	،،	١٧١	﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ...﴾	٦٢٤
٨	الأنفال	٢-٤	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ...﴾	٦٧٣ - ٦٧٤

رقم السورة حسب ترتيب المصحف	اسم السورة	رقم الآية	الآية	أرقام الصفحات
٨	الأنفال	٣١	﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ...﴾	٤٢٧
٩	التوبة	٢٩	﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ...﴾	٦٢٧
	״	٣٠	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ...﴾	٣٤٩،١٤٨
	״	٣١	﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا ...﴾	٣٤٠
	״	٣٢	﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ...﴾	١٣٩
	״	٣٣	﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ...﴾	١٣٩
	״	٣٦	﴿... وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ...﴾	٦٢٠
	״	٥٢	﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ...﴾	٥٤٤

أرقام الصفحات	الآية	رقم الآية	اسم السورة	رقم السورة حسب ترتيب المصحف
٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣	﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ ...﴾	١٦	يونس	١٠
٣٦٨	﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ...﴾	١٨	،،	
٤٢٦	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ...﴾	٣٨	،،	
٣٦٤	﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ...﴾	٦٨	،،	
٤٢٦	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ...﴾	١٣	هود	١١
٤٣٦	﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ...﴾	٤٤	،،	
٦٠٤	﴿... فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ...﴾	٤٩	،،	
٦٠٤	﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَـٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾	٩٩	،،	
٤٣٢	﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا...﴾	٨٠	يوسف	١٢
٦٠٤	﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ...﴾	١١١	،،	

أرقام الصفحات	الآية	رقم الآية	اسم السورة	رقم السورة حسب ترتيب المصحف
٦٣١	﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ... ﴾	٤٣	الرعد	١٣
٥٣٣	﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ ... ﴾	٩	إبراهيم	١٤
٢٢١	﴿ ... يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾	٦	الحجر	١٥
٤٤٧، ٢٤٣	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾	٩	،،	
٤٣٢	﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ... ﴾	٩٤	،،	
٥٤٣	﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ... ﴾	٩٥	،،	
١٩٧	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً ... ﴾	٣٦	النحل	١٦
٤٣٩	﴿ ... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ... ﴾	٨٩	،،	
٤٣٠	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ... ﴾	٩٠	،،	

رقم السورة حسب ترتيب المصحف	اسم السورة	رقم الآية	الآية	أرقام الصفحات
	النحل	١٢٥	﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ...﴾	١٤١
	،،	١٢٦-١٢٧	﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ...﴾	٦٣٥، ٦٦٣
١٧	الإسراء	٤-٨	﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ...﴾	٦١٤-٦١٥
	،،	٥٩	﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ ...﴾	٥٣٦،٥٣٧،٥٤٦
	،،	٨٨	﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ ...﴾	٤٢٦،٤٤٥،٤٦١
	،،	٩٠-٩٥	﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ...﴾	٥٣٩
	،،	١١١	﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ...﴾	١٣٧
١٨	الكهف	١	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ ...﴾	٣٨١
	،،	٤ - ٥	﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ...﴾	٣٦٥

أرقام الصفحات	الآية	رقم الآية	اسم السورة	رقم السورة حسب ترتيب المصحف
٢٨٤	﴿... مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾	١٧	الكهف	
٣٨٨	﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ...﴾	٣٠	مريم	١٩
١٥١	﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ...﴾	٣٧	،،	
١٤٠	﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ...﴾	١٨	الأنبياء	٢١
١٩٧	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ ...﴾	٢٥	،،	
٣٤٧	﴿... وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾	٢٦	الحج	٢٢
٦٢٠	﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا...﴾	٣٩-٤٠	،،	
٦٣٦	﴿... هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ...﴾	٧٨	،،	
٥٥٠	﴿... وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ...﴾	١٥	النور	٢٤
٦٦٤	﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ...﴾	٢٢	،،	

رقم السورة حسب ترتيب المصحف	اسم السورة	رقم الآية	الآية	أرقام الصفحات
	النور	٣٥	﴿ ... يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ... ﴾	٥٦١
	،،	٤٠	﴿ ... وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾	٤٢١
	،،	٥٢	﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ ... ﴾	٤٣٢ ، ٦٧٤
	،،	٥٥	﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... ﴾	٢٠٣ ، ٤٦١،
٢٥	الفرقان	١-٢	﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ... ﴾	٣٥٤ ، ٦٣٢، ٦٠٠
	،،	٤	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ ... ﴾	٤٢٧
	،،	٣٣	﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ ... ﴾	١٤٠
	،،	٣٩	﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ ﴾	٥٣٣
	،،	٥٥	﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ... ﴾	١٣٧
٢٦	الشعراء	٦٧، ١٠٣، ١٢١، ١٣٩، ١٥٨، ١٧٤، ١٩٠	﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	٦٠٣

رقم السورة حسب ترتيب المصحف	اسم السورة	رقم الآية	الآية	أرقام الصفحات
٢٨	القصص	٤٢	﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ...﴾	٦٠٤
	”	٤٣	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ...﴾	٥٤٣
	”	٥٩	﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ ...﴾	٥٣٨
	”	٦٨	﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ...﴾	٣٣٩
	”	٨٦	﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ ...﴾	٣٤٦
٢٩	العنكبوت	٤٦	﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...﴾	١٤١
	”	٤٨	﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ ...﴾	٤٤١
	”	٥١	﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ...﴾	٣٩٠
٣٠	الروم	١-٤	﴿الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ...﴾	٤٣٨، ٤٦١
٣١	لقمان	١٣	﴿... يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	٦٤٣

رقم السورة حسب ترتيب المصحف	اسم السورة	رقم الآية	الآية	أرقام الصفحات
٣٣	الأحزاب	٧	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا من النَّبِيِّين ميثاقهم ... ﴾	٣٠٥
	،،	٤٥	﴿ يا أيُّها النَّبيُّ إنَّا أَرسَلْنَاك شاهداً ومُبَشِّراً ونَذيراً ﴾	٢٥٥
٣٤	سبأ	٢٨	﴿ وما أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاس ... ﴾	٦٣٢
٣٦	يس	٨٢	﴿ إنَّما أَمرُهُ إذا أَرادَ شيئًا أن يقولَ لَهُ كُن فيكُونُ ﴾	٣٤٧
٣٧	الصافات	٣٧	﴿ بَلْ جاءَ بالْحقِّ وصدَّقَ الْمُرسَلين ﴾	٥٣٢
	،،	٧٨-٧٩	﴿ وتَرَكْنَا عليْه في الآخرين (٧٨) سَلامٌ علَىٰ نُوحٍ في الْعَالَمين ﴾	٦٠٤
	،،	١٧٣	﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾	١٣٩
٣٩	الزمر	٤	﴿ لَوْ أَرادَ اللَّهُ أن يتَّخذ ولَداً ... ﴾	١٣٧
	،،	٢٧	﴿ ولَقَدْ ضرَبْنَا للنَّاس في هَذَا الْقُرآن من كُلِّ مَثَلٍ لَّعلَّهُمْ يتَذَكَّرُون ﴾	٤٤٠
	،،	٣٢	﴿ فمَنْ أَظْلَمُ ممَّن كَذَبَ علَى اللَّه وكَذَّبَ بالصِّدْقِ ... ﴾	٦٧٨
	،،	٦٠	﴿ ويَوْمَ الْقِيامَة تَرَى الَّذين كَذَبُوا علَى اللَّه ... ﴾	٥٥٥

رقم السورة حسب ترتيب المصحف	اسم السورة	رقم الآية	الآية	أرقام الصفحات
٤١	فصلت	١-٢	﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾	٤٢٩
	، ،	٥	﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ . . .﴾	٤٢٧
	، ،	١٣	﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾	٤٢٩
	، ،	٢٦	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ . . .﴾	٤٢٧
	، ،	٤٢	﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ . . .﴾	٤٤٧
	، ،	٥٢	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ . . .﴾	٥٢٦
	، ،	٥٣	﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ . . .﴾	٥٢٦، ٥٢٧
٤٢	الشورى	١٣	﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا . . .﴾	١٩٧، ٣٠٥
	، ،	٤٠-٤٣	﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا . . .﴾	٦٣٥، ٦٦٣، ٦٦٤
	، ،	٥٢	﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾	٢٦٢، ٣٤٨

رقم السورة حسب ترتيب المصحف	اسم السورة	رقم الآية	الآية	أرقام الصفحات
٤٣	الزخرف	١٥	﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ...﴾	٣٦٢
	،،	٥٩	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ...﴾	٣٣٦، ٣٨٨
٤٥	الجاثية	١٣	﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ...﴾	٦٤٧
	،،	٢٣	﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ...﴾	٦٩٣
٤٦	الأحقاف	١٠	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ ...﴾	٦٣٠
٤٧	محمد	٤	﴿... وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ ...﴾	٤٠٦
	،،	٣١	﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ ...﴾	٤٠٦
٤٨	الفتح	١٦	﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ ...﴾	٤٦٤
	،،	٢٠	﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ...﴾	٤٦٣
	،،	٢٢-٢٣	﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ...﴾	٤٦٢، ٦١٥
	،،	٢٧	﴿... لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ...﴾	٤٣٨، ٤٦٣

رقم السورة حسب ترتيب المصحف	اسم السورة	رقم الآية	الآية	أرقام الصفحات
	الفتح	٢٨	﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ...﴾	٥٢٥،٦٠٠،٦٠١
	،،	٢٩	﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ...﴾	٢٧٧، ٦١٥
٤٩	الحجرات	٦	﴿... إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ...﴾	٥٤٩
٥١	الذاريات	٥٢-٥٣	﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ ...﴾	٥٤٦
٥٣	النجم	٣-٤	﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾	٢٦١
٥٤	القمر	١-٢	﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا ...﴾	٤٢٧، ٤٥٣
	،،	٤	﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾	٥٤٦
	،،	١٦،٢١،٣٠	﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾	٥٤٦
	،،	٤٢	﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ ...﴾	٥٤٧
	،،	٤٣	﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ...﴾	٥٤٦، ٥٤٧
	،،	٤٤	﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾	٥٤٧
	،،	٤٥	﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾	٤٦٢، ٥٤٧
٥٧	الحديد	٢٥	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ...﴾	٤٠٦

رقم السورة حسب ترتيب المصحف	اسم السورة	رقم الآية	الآية	أرقام الصفحات
	الحديد	٢٧	﴿...ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم...﴾	١٥٠، ١٥٥
	،،	٢٨	﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله ...﴾	١٥٥، ٥٩٥
	،،	٢٩	﴿لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله ...﴾	١٥٥
٥٨	المجادلة	٢٢	﴿... أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ...﴾	٣٤٨
٥٩	الحشر	١٢	﴿لئن أخرجوا لا يخرجون معهم...﴾	٤٦٤
	،،	١٦	﴿... إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر ...﴾	٤٦٤
٦١	الصف	٥	﴿... فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم...﴾	٤٢٠
	،،	٦	﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم﴾	٢٥٩، ٢٨٤
	،،	٩	﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق...﴾	٤٣٨، ٤٦١، ٦٠١

رقم السورة حسب ترتيب المصحف	اسم السورة	رقم الآية	الآية	أرقام الصفحات
٦٧	الملك	١٤	﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾	٣٨٤
٦٨	القلم	٤	﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾	٣٠٨
٦٩	الحاقة	٤٤-٤٧	﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ... ﴾	١٩٢
٧٢	الجن	١-٢	﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ... ﴾	١٤١
٧٤	المدثر	١١-٢٦	﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا... ﴾	٤٢٧، ٤٦٣
٩٥	التين	١-٣	﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾	٢٨٠
١٠٨	الكوثر	١	﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾	٤٢٣
١١٠	النصر	١ - ٣	﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ... ﴾	٤٦٤
١١١	المسد	١ - ٣	﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ... ﴾	٤٦٣
١١٢	الإخلاص	١ - ٤	﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ... ﴾	٢٥٤



ثانياً :

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

مرتبة حسب الحروف الهجائية مراعاة لأول النص

التسلسل	أول نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
	(أ)	
١	قال رسول الله - ﷺ - : ائتوني العشية ؛ أبعث معكم القوي الأمين .	٣٧٥
٢	قال رسول الله - ﷺ - : آتي باب الجنة فأستفتح ، فيقول الخازن : من أنت؟ فأقول : محمد . فيقول : بك أمرت ... إلخ .	٣٠٦
٣	قال رسول الله - ﷺ - بعد تقسيمه دنانير : الآن استرحت .	٣٣٤
٤	عن خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - قالت : أبشر، فو الله لا يخزيك الله أبدا ؛ إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث ... إلخ .	٥٦٢
٥	قال رسول الله - ﷺ - : أبغض الحلال إلى الله الطلاق .	٦٦٨
٦	قال رسول الله - ﷺ - : اتركو الترك ما تركوكم ؛ فإن أول من يسلب أمتي ملكها بنو قنطوراء .	٢١٥

التسلسل	أول نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
٧	عن أبي رمثة – رضي الله عنه – قال : أتيت النبي – ﷺ – ومعي ابن لي ، فأريته فلما رأيته قلت : هذا نبي الله .	٥٥٨-٥٥٩
٨	عن سمرة بن جندب – رضي الله عنه – قال : أتي النبي – ﷺ – بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل .. إلخ .	٥٠١
٩	قال رسول الله – ﷺ – : اثبت أحدُ ؛ فإنما عليك نبي ، وصدِّيق ، وشهيد .	٤٧٠
١٠	عن قتادة بن دعامة قال : اجتمع بنو إسرائيل ، فأخرجوا أربعة نفر ، أخرج كل قوم عالمهم ، فامتروا في عيسى حين رفع .. إلخ .	١٥٠-١٥١
١١	قال رسول الله – ﷺ – : إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا : آمنا بالله .. إلخ .	٥٤٩
١٢	قال رسول الله – ﷺ – : إذا قام أحدكم إلى صلاته فإنما يناجي ربه ... إلخ .	٦٧٥
١٣	قال رسول الله – ﷺ – : إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده .. إلخ .	٤٦٧-٤٦٨
١٤	قال رسول الله – ﷺ – : الإسلام علانية ، والإيمان في القلب .	٦٧٧
١٥	قال رسول الله – ﷺ – : أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقى اللهَ بهما عبدٌ غير شاكٍّ ، فيحجب عن الجنة .	٥٠٠

التسلسل	أول نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
١٦	عن أنس – رضي الله عنه – قال : أصاب الناسَ سنةٌ على عهد رسول الله – ﷺ – ، فبينما النبي – ﷺ – يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي ، فقال: يا رسول الله ، هلك المال ، وجاع العيال .. إلخ .	٤٩٧
١٧	قال رسول الله – ﷺ – : أُعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ، كان كل نبي يُبْعث إلى قومه خاصة ، وبُعِثت إلى كل أحمر وأسود .. إلخ .	٤١٠-٤١١
١٨	قال رسول الله – ﷺ – : اغزوا بسم الله ، قاتلوا من كفر بالله .	٦٢١
١٩	قال رسول الله – ﷺ – : ألا إن الأمراء من قريش ما أقاموا ثلاثا ..	٢٠٠-٢٠١
٢٠	قال رسول الله – ﷺ – : أنا أوْلى الناس بابن مريم في الدنيا والآخرة ، ليس بيني وبينه نبي .. إلخ .	١٩٩
٢١	قال رسول الله – ﷺ – : أنا أول من تنشق عنه الأرض .	٣٠٦
٢٢	قال رسول الله – ﷺ – لعمر قاصداً أويس القرني – رضي الله عنهما – : إن استطعت أن يستغفر لك فافعل .	٤٧٥
٢٣	قال رسول الله – ﷺ – : الأنبياء إخوة العلات ، أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد ، وإني لأوْلى الناس بعيسى ابن مريم ؛ لأنه لم يكن نبي بيني وبينه .. إلخ .	١٩٩-٢٢٧

التسلسل	أول نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
٢٤	قال رسول الله - ﷺ - : أنت ابن سلام عالم يثرب؟ قال : نعم . قال : ناشدتك الله الذي أنزل التوارة على موسى ، هل تجد صفتي في كتاب الله ؟ ... إلخ .	٢٥٤
٢٥	قال رسول الله - ﷺ - : أنتم أولى الناس بهذا الأمر ما كنتم على الحق ، إلا أن تعدلوا عنه فتُلْحون ، كما تلحى هذه الجريدة .	٢٠٢
٢٦	قال رسول الله - ﷺ - : أنتم توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله - عز وجل - .	٢٦٨
٢٧	عن جبير بن مطعم - رضي الله عنه - قال : انشق القمر على عهد رسول الله - ﷺ - فرقة على هذا الجبل ، وفرقة على هذا الجبل .. إلخ .	٤٥٥
٢٨	عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : انشق القمر على عهد رسول الله - ﷺ - فرقتين .. إلخ .	٤٥٥
٢٩	عن أبي سفيان - رضي الله عنه - قال : انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله - ﷺ - إلى الشام فبينما أنا بها إذ جيء بكتاب من النبي - ﷺ - إلى هرقل .. إلخ .	٥٦٣-٥٦٧
٣٠	قال رسول الله - ﷺ - : انقادي عليَّ بإذن الله .	٤٨٥
٣١	عن جابر - رضي الله عنه - قال : انكفات إلى أمرأتي ، فقلت : هل عندك شيء ؛ فإني رأيت النبي - ﷺ - خمصا شديدا ؟ .. إلخ .	٤٩٨-٤٩٩

التسلسل	أول نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
٣٢	عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : إن كنا لننظر إلى الهلال ، ثم الهلال ، ثم الهلال وما أُوقِد في أبيات رسول الله - ﷺ - نار .. إلخ .	٣١٧
٣٣	قال رسول الله - ﷺ - : إن ابني هذا سيِّد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين .	٤٧٢
٣٤	قال رسول الله - ﷺ - : إن أكثر الناس شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً في الآخرة .	٣١٥
٣٥	عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال : إن امرأة جاءت بابن لها إلى رسول الله - ﷺ - فقالت : يا رسول الله ، إن ابني به جنون ، وإنه ليأخذه عند غدائنا وعشائنا .. إلخ .	٥٠٨
٣٦	عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : إن أهل مكة سألوا رسول الله - ﷺ - أن يريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر... إلخ .	٤٥٥
٣٧	قال رسول الله - ﷺ - : إن الترك ستغلب العرب ، حتى تلحقها بمنابت الشيح والقيصوم ... إلخ .	٢١٥
٣٨	عن وهب بن منبه - رحمه الله - قال : إن التوراة والإنجيل كما أنزلهما الله لم يغيِّر منهما حرف ، ولكنهم يضلون بالتحريف ، والتأويل ، وكتب كانوا يكتبونها من عند أنفسهم ... إلخ .	٢٥٠

التسلسل	أول نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
٣٩	قال رسول الله - ﷺ - : إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له .. إلخ .	٥٥٩
٤٠	قال رسول الله - ﷺ - : إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون .	٢٠٤
٤١	قال رسول الله - ﷺ - : إن ربي أمرني أن أعلِّمكم ما جهلتم مما علَّمني في يومي هذا ، كل مال أنحلته عبادي حلال ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فأضلتهم عن دينهم .. إلخ .	١٩٠
٤٢	قال رسول الله - ﷺ - : إن رجلا أتاني وأنا نائم ، فأخذ السيف ، فاستيقظت وهو قائم على رأسي .. إلخ .	٥١٢
٤٣	عن أبي مسعود - رضي الله عنه - قال : إن رسول الله - ﷺ - دعا على قريش حين وضعوا السلى على رقبته وهو ساجد .. إلخ .	٥٠٧
٤٤	عن جابر بن عبدالله - رضي الله عنه - قال : إن رسول الله - ﷺ - كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة ، فقالت امرأة من الأنصار : ألا نجعل لك منبرا ؟ .. إلخ .	٤٨٦
٤٥	قال رسول الله - ﷺ - : إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم .	٦٨٤
٤٦	قال رسول الله - ﷺ - لخالد لما وجَّهه لأكيدر : إنك تجده يصيد البقر .	٤٨١

التسلسل	أول نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
٤٧	قال رسول الله - ﷺ - للزبير : إنك تقاتله وأنت له ظالم .	٤٧١
٤٨	قال رسول الله - ﷺ - : إنكم أمة أريد بكم اليسر .	٣١٩-٣٢٠
٤٩	عن وهب بن منبه اليماني - رحمه الله - قال : إن الله أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له : إشعياء ، أن قم في قومك بني إسرائيل .. إلخ .	٢٥٦-٢٥٧
٥٠	قال رسول الله - ﷺ - : إن الله اطلع على أهل الأرض ، فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب .. إلخ .	١٩٠، ٦٩٩
٥١	عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال : إن الله - تعالى- قال لعيسى ابن مريم : إني باعث بعدك أمة، إن أصابهم ما يحبون حمدوا، وشكروا، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا، وصبروا.. إلخ .	٢٧٤
٥٢	قال رسول الله - ﷺ - : إن الله خلق خلقه في ظلمة، وألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور شيء اهتدى .. إلخ .	٤٢٠
٥٣	قال رسول الله - ﷺ - : إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها .. إلخ .	٤٦٦-٤٦٧
٥٤	قال رسول الله - ﷺ - : إن الله طيِّب لا يقبل إلا طيِّبا .	٥٩٤

التسلسل	أول نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
٥٥	قال رسول الله - ﷺ - : إن الله قال لعيسى ابن مريم : إني باعث بعدك أمة إن أصابهم ما يحبون .. إلخ .	٢٧٤
٥٦	عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : إن الله نظر في قلوب العباد ، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد .. إلخ .	٥٥٥
٥٧	قال رسول الله - ﷺ - : إن الله نظيف يحب النظافة .	٥٩٤
٥٨	عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال : إن للحسنة نوراً في القلب ، وضياء في الوجه ، وقوة في البدن ، وسعة في الرزق .. إلخ .	٥٥٤
٥٩	قال رسول الله - ﷺ - : إنما أنا رحمة مهداة .	٣٤٨
٦٠	قال رسول الله - ﷺ - : إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد .	٣٣٢
٦١	قال رسول الله - ﷺ - : إن هذا الأمر بدأ نبوة ، ثم يكون ملكا عضوضا.. إلخ.	٤٧٥
٦٢	قال رسول الله - ﷺ - : إن هذا الأمر في قريش ، لا يعاديهم أحد إلا كبَّه الله على وجهه في النار ما أقاموا الدين .	٢٠٠
٦٣	قال رسول الله - ﷺ - : إن هذه الحشوش محتضرة .	٥٩٤

التسلسل	أول نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
٦٤	عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : إنه كان فراشه أدما حشوه ليف .	٣٢١
٦٥	قال رسول الله - ﷺ - : إنه كان في الأمم قبلكم محدِّثون ، فإن يكن في أمتي أحد فعمر .. إلخ .	٤٤٠
٦٦	قال رسول الله - ﷺ - : إنه من أهل النار .	٤٧٨
٦٧	قال رسول الله - ﷺ - : إنهم كانوا يحلون لهم ما حرَّم الله ، فيستحلونه ، ويحرِّمون عليهم ما أحلَّ الله لهم .	٣٤١
٦٨	عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم : أنهم نزلوا بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا .. إلخ .	٤٩٤، ٤٩٥
٦٩	قال رسول الله - ﷺ - : إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، ولكني أصوم ، وأفطر وأصلي ، وأرقد .. إلخ .	٣٢٦
٧٠	عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : أهينوهم ، ولا تظلموهم ، فقد سبُّوا الله مسبَّة ما سبَّه إياها أحد من البشر .	١٨٣-١٨٥
	وفي رواية : أذلوهم ولا تظلموهم .. إلخ .	٣٦٥
٧١	قال رسول الله - ﷺ - : أو في شك أنت ، يا بن الخطاب ؟ أولئك قوم عُجِّلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا .. إلخ	٣٢٢

التسلسل	أول نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
٧٢	قال رسول الله - ﷺ - في غزوة خيبر : أين علي بن أبي طالب ؟ فقالوا : يارسول الله ، هو يشتكي عينيه .. إلخ .	٥٠٨
	- ب -	
٧٣	قال رسول الله - ﷺ - : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد -رسول الله - إلى هرقل - عظيم الروم - سلام على من اتبع الهدى . أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام : أسلِمْ تسلمْ .. إلخ .	٥٦٧
٧٤	قال رسول الله - ﷺ - : بُعِثْتُ إلى الأحمر والأسود .	٦٣٢
٧٥	قال رسول الله - ﷺ - : بُعثت إلى الناس كافة .	٤١١
٧٦	قال رسول الله - ﷺ - : بُعثت بالحنيفية السمحة .	٣١٩
٧٧	قال رسول الله - ﷺ - : بُعثت بالسيف بين يدي الساعة ، حتى يعبد الله وحده لا شريكَ له .. إلخ .	٢٦٦
٧٨	قال رسول الله - ﷺ - : بُعثت لأتمِّمَ مكارم الأخلاق .	٣٠٩
٧٩	قال رسول الله - ﷺ - بعدما عُرِض عليه أن يهلك الله قومه : بل استأني بهم ؛ لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله .. إلخ .	٥٤١

التسلسل	أول نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
٨٠	عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : بينما نحن مع رسول الله - ﷺ - في سفر وليس معنا ماء ، فقال لنا رسول الله - ﷺ - : اطلبوا من معه فضل ماء، فأُتي بماء فصبَّه في إناء ، ثم وضع كفه فيه .. إلخ .	٤٩٣-٤٩٤
	(ت)	
٨١	قال رسول الله - ﷺ - : تزوجوا ؛ فإني مكاثر بكم الأمم .	٣٢٦
٨٢	قال رسول الله - ﷺ - : تزوَّجوا الودود الولود ؛ فإني مكاثر بكم الأمم .	٦٧٠
٨٣	عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعا من شعير .. إلخ .	٣١٨
٨٤	عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وليس عندي شيء يأكله ذو كبد .. إلخ	٣١٧-٣١٨
	(ث)	
٨٥	قال رسول الله - ﷺ - : « ثَبَّت الله ملكه » يعني قيصر.	٤٦٨
	(ح)	
٨٦	قال رسول الله - ﷺ - : حُبِّبَ إليَّ من دنياكم النساء ، والطيب ، وجُعِلتَ قرة عيني في الصلاة .	٣٢٦

التسلسل	أول نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
٨٧	عن أبي عبدالرحمن السلمي قال : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانو يستقرئون من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخالفوهن .. إلخ .	٢٣٦-٢٣٧
٨٨	قال رسول الله - ﷺ - : الحلال بيِّنٌ والحرام بيِّنٌ ، وبين ذلك أمور مشتبهات ، لا يعلمهن كثير من الناس .. إلخ .	٦٧٨
٨٩	عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني من أمة محمد من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله .	٥٨٦
	(خ)	
٩٠	قال رسول الله - ﷺ - : خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم .. إلخ .	٣١٣ح
٩١	قال رسول الله - ﷺ - : خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم .. إلخ .	٤٠٦
٩٢	عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال : خير هذه الأمة أكثرها نساء .	٦٧١
	(ر)	
٩٣	عن أنس - رضي الله عنه - قال : رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحانت صلاة العصر ، والتمس الناس الوضوء ، فلم يجدوه .. إلخ .	٤٩٢
٩٤	عن جابر - رضي الله عنه - قال : رأيت الماء يفور من بين أصابعه .. إلخ .	٤٩٣

التسلسل	أول نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
٩٥	قال أسعد بن زرارة وهو آخذ بيد النبي ﷺ ليلة العقبة : رويداً يا أهل يثرب ... إلخ .	٥٧٤
	(س)	
٩٦	قال رسول الله - ﷺ - : ستفتحون مصر ، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها ؛ فإن لهم ذمة ورحما .	٤٦٦
٩٧	عن جابر - رضي الله عنه - قال : سرنا مع رسول الله - ﷺ - حتى نزلنا بواد أفيح .	٤٨٥-٤٨٦
٩٨	قال رسول الله - ﷺ - في حنظلة : سلوا زوجته عنه ؛ فإني رأيت الملائكة تغسله .	٤٧٨
٩٩	عن قتادة بن دعامة قال في قوله - تعالى - : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ : السنن مختلفة : في التوارة شريعة ، وفي الإنجيل شريعة ، وفي القرآن شريعة ... إلخ .	١٩٨
١٠٠	قال رسول الله - ﷺ - : سنوا بهم سنة أهل الكتاب .	٦٢٨
	(ش)	
١٠١	قال رسول الله - ﷺ - : فيما يرويه عن ربه : شتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك ، وكذّبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك .. إلخ .	١٨٣
	(ص)	
١٠٢	قال رسول الله - ﷺ - : صبرا آل ياسر ، موعدكم الجنة .	٥٧٢

التسلسل	أول نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
١٠٣	عن أبي زيد عمرو بن أخطب قال : صلى بنا رسول الله - ﷺ - يوما الفجر وصعد المنبر ، فخطبنا حتى حضرت الظهر .. إلخ .	٤٨٣
	(ع)	
١٠٤	عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه قال : عدا الذئب على شاة ، فأخذها ، فطلبه الراعي ، فأخذها منه ، فأقعى الذئب على ذنبه ، وقال : ألا تتقي الله! تنزع مني رزقا ساقه الله إليَّ .. إلخ .	٤٩٠
١٠٥	قال رسول الله - ﷺ - : عريشا كعريش موسى ، خشبات ، وتمام الأمر أعجل من ذلك .	٣٢٣
١٠٦	قال رسول الله - ﷺ - في سهيل بن عمرو : عسى أن يقوم مقاما يسرُّك ، يا عمر .	٤٧٧-٤٧٨
١٠٧	عن جابر - رضي الله عنه - قال : عطش الناس يوم الحديبية ، فأتوا رسول الله - ﷺ - وبين يديه ركوة .. إلخ .	٤٩٢-٤٩٣
١٠٨	قال رسول الله - ﷺ - : علمت أن بني إسرائيل تفرقوا على اثنتين وسبعين فرقة ، لم ينج منها إلا ثلاث فرق .. إلخ .	١٥٠
١٠٩	قال أبو العالية : عمدوا إلى ما أنزل الله في كتابهم من نعت محمد - ﷺ - ، فحرفوه عن مواضعه .	٢٤٨

التسلسل	أول نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
	(غ)	
١١٠	عن ابن عباس – رضي الله عنه – قال : غضب بما كانوا ضيَّعوا من التوارة وهي معهم ، وغضب بكفرهم بهذا النبي الذي أحدث الله إليهم.	٢٩٢
	(ف)	
١١١	قال رسول الله – ﷺ – : فإذا رأيت الذين يتَّبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى الله ؛ فاحذروهم .	٣٨٩
١١٢	قال رسول الله – ﷺ – : فإني أنام ، وأصلي ، وأصوم ، وأفطر ، وأنكح النساء ، فاتق الله يا عثمان ؛ فإن لأهلك عليك حقا .. إلخ.	٣٢٧
١١٣	قال رسول الله – ﷺ – : فضالة ؟ قلت : نعم . قال : ما كنت تحدث به نفسك .. إلخ .	٥١٤-٥١٥
١١٤	قال رسول الله – ﷺ – : فُضِّلت على الأنبياء بست : أُعطيت جوامع الكلم ، ونُصرت بالرعب ، وجُعلت لي الأرض مسجدا وطهورا .. إلخ .	٤١١
١١٥	قال رسول الله – ﷺ – : فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله .. إلخ .	١٤١
	(ق)	
١١٦	عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا : نعم . قال : واللات والعزى ، لئن رأيته يفعل ذلك .. إلخ .	٥١١-٥١٢

التسلسل	أول نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
١١٧	قال رسول الله - ﷺ - : قال الله - تعالى - : كذّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك .. إلخ .	٣٦٤
١١٨	عن حذيفة - رضي الله عنه - قال : قام فينا رسول الله - ﷺ - مقاما ، فما ترك شيئا يكون من مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه .. إلخ .	٤٨٣
١١٩	عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال : قدم الجارود ، فأسلم ، وقال : والذي بعثك بالحق ، لقد وجدت وصفك في الإنجيل ، ولقد بشّر بك ابن البتول .. إلخ .	٢٥٧
١٢٠	عن أنس - رضي الله عنه - : قصة إطعام النبي ﷺ أصحابه وكانوا زهاء ثلاثمائة رجل ...	٥٠٠
١٢١	عن البراء وسلمة بن الأكوع - رضي الله عنهما -: قصة الحديبية ، وهم أربع عشر مائة ، وبئرها لا تروي خمسين شاة .. إلخ .	٤٩٥
١٢٢	عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - : قصة عين تبوك أنهم جاؤوها وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك .. إلخ .	٤٩٣-٤٩٤
١٢٣	عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : القلب ملك ، والأعضاء جنوده ، فإذا خبث الملك خبث جنوده .	٦٧٨
١٢٤	عن سعيد بن جبير - رحمه الله - قال : قلت لعبدالله بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله - ﷺ - من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم .. إلخ .	٥٧٢

التسلسل	أول نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
١٢٥	عن أم الدرداء قالت : قلت لكعب : كيف تجدون صفة رسول الله - ﷺ - في التوراة .. إلخ .	٢٥٥
	(ك)	
١٢٦	عن أنس رضي الله عنه : كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه ... إلخ .	٤٨٩
١٢٧	عن ابن عمر - رضي الله عنه - قال : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ... إلخ .	٢٤٤-٢٤٥
١٢٨	عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال : كانت ملوك بعد عيسى - عليه السلام - بدّلوا التوارة والإنجيل .. إلخ .	١٥٤
١٢٩	عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : كان خلقه القرآن ، أما تقرأ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .	٣٠٨
١٣٠	عن جامع بن شداد قال : كان رجل منا أخبر أنه رأى النبي - ﷺ- بالمدينة، فقال: هل معكم شيء تبيعونه؟ .. إلخ.	٥٦٠
١٣١	عن حذيفة - رضي الله عنه - قال : كان رسول الله - ﷺ - إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولده وولد ولده ..	٥٠٢
١٣٢	عن عائشة ، والحسن ، وأبي سعيد قالوا : كان في بيته في مهنة أهله ، يفلي ثوبه ، ويحلب شاته ، ويرقع ثوبه ، ويخصف نعله .. إلخ .	٣٣٣

التسلسل	أول نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
١٣٣	عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : كان في ظهر سليمان مـاء مائة رجل ، وكان له ثلاثمائة امرأة وثلاثمائة سرية .	٣٢٨
١٣٤	عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه نارا ، إنما هو التمر والماء .	٣١٥
١٣٥	عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – قال : كنا إذا علونا كـبَّرنا ، وإذا هبطنا سبَّحنا ، فـوضعت الـصلاة على ذلك .	٢٨٢
١٣٦	عن عبدالرحمن بن أبي بكر –رضي الله عنهما– قال: كنا مع النبي–ﷺ – ثلاثين ومـائة ... وذكــر الحـديث وأنه عُجِن صاع، وصنعت شاة.. إلخ.	٥٠١–٥٠٢
١٣٧	عن ابن عمر – رضي الله عنه – قال: كنا مع النبي–ﷺ – في سفر ، فأقبل أعرابي ... إلخ .	٤٨٤–٤٨٥
١٣٨	عن عمران بن الحصين – رضي الله عنه – قال : كنا مع النبي – ﷺ – في سفر ، فاشتكى إليه الناس من العطش، فنزل، ودعا فلانا، ودعا عليا ، وقال : اذهبا ، فاستقيا الماء .. إلخ .	٤٩٦
١٣٩	عن سمرة بن جندب – رضي الله عنه – قال : كنا مع النبي – ﷺ – نتدوال من قصعـة من غدوة حتى الليل ، يقوم عشرة ، ويقعد عشرة .. إلخ .	٥٠٠
١٤٠	عن علي – رضي الله عنه – قال : كنت مع النبي – ﷺ – بمكة ، فخـرجنا في بعض نواحيـها ، فما استقبله جبـل ولا شـجر إلا وهـو يقـول : السـلام عليكم ، يـا رسول الله.	٤٨٤

التسلسل	أول نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
١٤١	قال رسول الله - ﷺ - : كيف بك إذا لبست سواري كسرى .. إلخ .	٤٧٠
١٤٢	عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال : كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله - ﷺ - أحدث تقرؤونه محضا .	٢٤٥
	(ل)	
١٤٣	قال رسول الله - ﷺ - : لعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ، ويضر بك آخرون .. إلخ .	٤٧٧
١٤٤	عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : لقد توفي رسول الله ﷺ وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد .	٣٢٣
١٤٥	عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - قال : لقد رأيت رسول الله - ﷺ - يظل اليوم يلتوى من الجوع .. إلخ .	٣١٦
١٤٦	قال عروة بن أبي الجعد - رضي الله عنه - بعد دعاء النبي - ﷺ - له : لقد كنت أقوم بالكناسة فما أرجع حتى أربح أربعين ألفا .	٥٠٥
١٤٧	قال رسول الله - ﷺ - : لقد لقيت قومك ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل .. إلخ.	٥٤١-٥٤٢
١٤٨	عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص ، فقلت : أخبرني عن صفة رسوال الله - ﷺ - قال : أجل ، إنه لموصوف في التوارة ببعض صفته القرآن .. إلخ .	٢٥٦

التسلسل	أول نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
١٤٩	قال رسول الله - ﷺ - : لكني أصوم ، وأفطر ، وأقوم ، وأنام ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني .	٣٢٠
١٥٠	عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج عيسى على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلا من الحواريين .. إلخ .	٢٢٣-٢٢٤
١٥١	قال رسول الله - ﷺ - : لما أوحى الله إليَّ جعلت لا أمرُّ بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .	٤٨٤
١٥٢	عن عبدالله بن سلام - رضي الله عنه - قال : لما قدم رسول الله - ﷺ - المدينة جئت لأنظر إليه فلما استبنت وجهه عرفت أنه ليس وجه كذَّاب .	٥٥٨
١٥٣	عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، فقال عمر: يا رسول الله ، ادعهم بفضل أزوادهم .. إلخ .	٤٩٩-٥٠٠
١٥٤	قال رسول الله - ﷺ - : اللهم أكثِرْ ماله وولده ، وبارِكْ له فيما آتيته .	٥٠٢
١٥٥	قال رسول الله - ﷺ - : اللهم ، اكسه جمالا .	٥٠٩، ٥١٠
١٥٦	دعا سعيد بن زيد على أروى بنت أويس لما كذبت عليه : اللهم ، إن كانت كاذبة فأعم بصرها ، واقتلها في أرضها .	٥٨٤
١٥٧	قال رسول الله - ﷺ - : اللهم ، سلِّط عليه كلبا من كلابك .	٥٠٧

التسلسل	أول نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
١٥٨	قال رسول الله - ﷺ - : اللهم ، فقِّهه في الدين ، وعلِّمه التأويل .	٥٠٤
١٥٩	قال رسول الله - ﷺ - : اللهم ، نَوِّر له .	٥٠٦
١٦٠	قال رسول الله - ﷺ - : لو خرجتم إلى أرض الحبشة ؛ فإن بها ملكا لا يُظْلَم عنده أحد .. إلخ .	٥٧٣
١٦١	عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال للعابث في صلاته : لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه .	٥٥٣
١٦٢	عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : لو خرج الذين يباهلون رسول الله - ﷺ - لرجعوا لا يجدون أهلا ولا مالا .	٣٧٧
١٦٣	قال رسول الله - ﷺ - : لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا .	٥١٢
١٦٤	عن عثمان - رضي الله عنه - قال : لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله .	٥٩٥
١٦٥	قال رسول الله - ﷺ - : لو كان الدين بالثريا لتناوله رجال من أبناء فارس .	٤٧٦
	- م -	
١٦٦	عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : ما أحببت الإمارة قط حبي إياها يومئذ ، رجاءَ أن أكون صاحبها .. إلخ .	٣٧٦

التسلسل	أول نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
١٦٧	عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال : ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه .	٥٥٣
١٦٨	عن أنس - رضي الله عنه - قال : ما أعلم أن رسول الله - ﷺ - رأى رغيفا مرققا حتى لحق بالله .. إلخ .	٣١٧
١٦٩	عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : ما أكل آل محمد أكلتين في يوم واحد إلا إحداهما تمر .	٣١٥
١٧٠	عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : ما ترك رسول الله - ﷺ - دينارا ولا درهما ولاشاة ولا بعيرا .	٣٢٣
١٧١	قال رسول الله - ﷺ - : ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا .	٦٦٤
١٧٢	عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر .	٥٠٣
١٧٣	عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : ما شبع آل محمد من خبز البر ثلاثا حتى مضى لسبيله	٣١٥
١٧٤	وعنها - رضي الله عنها - قالت : ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام تباعا حتى قبض .	٣١٥
١٧٥	قال رسول الله - ﷺ - : ما لي وللدنيا ، ما أنا والدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم راح وتركها .	٣٢٣
١٧٦	قال رسول الله - ﷺ - : ما ملأ ابن آدم وعاء شرًا من بطن .. إلخ .	٣١٤

التسلسل	أول نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
١٧٧	قال رسول الله - ﷺ - : ما من الأنبياء نبي إلا قد أعطي من الآيات ما آمن على مثله البشر .. إلخ .	٤٤٨-٥٣٣
١٧٨	قال رسول الله - ﷺ - : ما منكم من أحد يتوضأ ، فيسبغ الوضوء ، فيقول: أشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له .. إلخ .	٦٧٩
١٧٩	قال رسول الله - ﷺ - : ما يسرني أن لي أُحُدا ذهبا يبيت عندي منه دينار إلا دينارا أرصده لدين .	٣٣٤
١٨٠	قال رسول الله - ﷺ - : مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتا ، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه .. إلخ .	٢٧٠
١٨١	قال رسول الله - ﷺ - : « مزَّق الله ملكه » يعنى كسرى .	٤٦٨
١٨٢	عن أنس - رضي الله عنه - قال : مشيت إلى رسول الله - ﷺ - بخبز شعير وإهالة سنخة .. إلخ.	٣١٦-٣١٧
١٨٣	قال رسول الله - ﷺ - : من أكل من هاتين الشجرتين فلا يقربن مسجدنا .. إلخ.	٥٩٤
١٨٤	قال رسول الله - ﷺ - : من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم .. إلخ .	٣٣٦-٣٣٧
١٨٥	قال رسول الله - ﷺ - : من كذب عليَّ متعمِّدا فليتبوأ مقعده من النار .	٥٢٢
	(ن)	
١٨٦	قال رسول الله - ﷺ - : نحن الآخرون السابقون يوم القيامه بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه من بعدهم .. إلخ .	٣٠٦، ٦٢٣

التسلسل	أول نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
١٨٧	قال رسول الله - ﷺ - : نحن -معاشر الأنبياء- إخوة العلات ، ديننا واحد.. إلخ.	١٩٧
١٨٨	عن أبي الطفيل عامر بن وائلة قال : نزل آدم بتحريم أربع : الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وما أُهِلَّ لغير الله به .	٦٨٥
	(هـ)	
١٨٩	قال رسول الله - ﷺ - : هذا أمين هذه الأمة .	٣٧٧
١٩٠	قال رسول الله - ﷺ - : هذا فرعون هذه الأمة .	٥٤٤
١٩١	عن النجاشي أصحمة ملك الحبشة قال : هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة .	٢٤٠
١٩٢	قال رسول الله - ﷺ - : هل لك إلى خير؟ قال: وما هو؟ قال : تشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله..إلخ .	٤٨٤-٤٨٥
١٩٣	قال رسول الله - ﷺ - : هوِّن عليك ؛ فإني لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد .	٣٣١
	(و)	
١٩٤	قال رسول الله - ﷺ - : وأدخل على ربي في داره .	٣٤٨
١٩٥	قال رسول الله - ﷺ - : وأنتم اليوم خير منكم يومئذ .	٤٧٤

التسلسل	أول نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
١٩٦	قال رسول الله - ﷺ - : وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة .	٦٣٢
١٩٧	عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : ولا يسأل أحد عن نفسه إلا القرآن ، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ، وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله .	٥٩٥
١٩٨	قال رسول الله - ﷺ - : والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ، ومات لم يؤمن بي .. إلخ .	٦٣٢
١٩٩	قال رسول الله - ﷺ - : والذي نفسي بيده ، ليوشكن أن ينزل عيسى ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية .. إلخ .	٢٢٦
٢٠٠	عن أنس - رضي الله عنه - قال : والله ، إن مالي لكثير ، وإن ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم على نحو المائة .. إلخ .	٥٠٣
٢٠١	عن الجلندي - ملك عمان - قال : والله ، لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به .. إلخ .	٥٦١
٢٠٢	عن أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه - قال : والله ، ما سمعت بأشعر من أخي أنيس ، لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية أنا أحدهم ، وإنه انطلق إلى مكة .. إلخ .	٤٢٩
٢٠٣	قال رسول الله - ﷺ - : الويل جبل في النار ، وهو الذي أنزل في اليهود وهم الذين حرفوا التوارة .. إلخ .	٢٤٩

التسلسل	أول نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
٢٠٤	قال رسول الله - ﷺ - : لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا جنب .	٥٩٣
٢٠٥	قال رسول الله - ﷺ - : لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين .	٤٦٨
٢٠٦	عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ؛ فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا .. إلخ .	٢٤٥
٢٠٧	قال رسول الله - ﷺ - : لا تصدقوا أهل الكتاب ، ولا تكذِّبوهم ، وقولوا: آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل إليكم .. إلخ .	٢٤٥
٢٠٨	قال رسول الله - ﷺ - : لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ؛ فإنما أنا عبدالله ورسوله .. إلخ .	٣٤٢
٢٠٩	قال رسول الله - ﷺ - : لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى .	٤٦٩
٢١٠	قال رسول الله - ﷺ - : لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر، وحتى تقاتلوا قوما كأن وجوههم المجان .. إلخ .	٢١٤، ٢١٥
٢١١	قال رسول الله - ﷺ - : لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يُعَظِّم بعضها بعضا .	٣٣٢
٢١٢	قال رسول الله - ﷺ - واصفاً القرآن : لا يخلق على كثرة الرد ... إلخ .	٤٣٧

التسلسل	أول نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
٢١٣	قال رسول الله - ﷺ - : لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش .	٢٧١
٢١٤	قال رسول الله - ﷺ - : لايصلح لبشر أن يسجد لبشر ، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها .	٤٩٠
٢١٥	قال رسول الله - ﷺ - : لا يفضض الله فاك .	٥٠٤
	(ي)	
٢١٦	قال رسول الله - ﷺ - : يا أهل الخندق إنَّ جابرا صنع سؤرا فحيًّ هلا بكم.	٤٩٨
٢١٧	قال رسول الله - ﷺ - : يا أيها الناس، عليكم بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله عبد الله ورسوله .. إلخ .	٣٤٣
٢١٨	صاح عمر - رضي الله عنه - وهو يخطب : يا ساريةُ ، الجبلَ ، يا ساريةُ ، الجبلَ .	٥٨٤
٢١٩	قال رسول الله - ﷺ - : يا عدي ، هل رأيت الحيرة؟ قلت : لم أرها ، وقد أنبئت عنها . فقال : إن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة ... إلخ .	٤٦٥
٢٢٠	قال رسول الله - ﷺ - : يا مسكينة ، عليك السكينة .	٣٣١

التسلسل	أول نص الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
٢٢١	قال رسول الله - ﷺ - : يا معشر قريش ، إنكم أهل هذا الأمر ما لم تحدثوا ، فإذا غَيَّرتم بعث الله عليكم من يلحاكم كما يلحى القضيب .	٢٠٢
٢٢٢	قال رسول الله - ﷺ - : يَسِّروا ولا تعسِّروا .	٣١٩
٢٢٣	قال رسول الله - ﷺ - : يكون في ثقيف كذَّاب ومُبِير.	٤٧٤

ثالثاً :

فهرس الأعلام الواردة في الكتاب

مرتبة حسب الحروف الهجائية

اسم العلم — رقم الصفحة [1]

(حرف الألف)

آسية بنت مزاحم (زوج فرعون) (٣٣٩)

إبراهيم باشا ابن محمد علي ٤٢ ، ٥٧

إبراهيم التيمي (٥٨٩)

إبراهيم بن السري الزجاج (٤٥٧)

إبراهيم النخعي ٣٦

ابن أبي حاتم = عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي

ابن أبي شيبة = عبد الله بن محمد

ابن أبي طلحة = علي بن أبي طلحة سالم بن المخارق

ابن أبي كبشة (٥٨٦)

ابن الأثير (٢٦٢)

ابن أخطب = حيي بن أخطب

أبو إسحاق = إبراهيم بن السري الزجاج

(١) الأرقام الموضوعة بين قوسين هي موضع ترجمة العلم .

اسـم العلـم	الصفحـات
أبو أمامة الباهلي = صدى بن عجلان	
أُبَيّ بن خلف بن وهب الجمحي	(٤٨٠)
أبي بن كعب الأنصاري	(٤٨٧)
أحمد بن إدريس القرافي	٧٣
أحمد بن حسن بن رشيد بن عفالق	(٣٠)
أحمد بن الحسين البيهقي	٣٥، (٨٨)، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٩٧، ٤٢٩، ٤٣١، ٤٨٨، ٥٠١
أحمد بن الحسين المتنبي	(٤٣٥)
أحمد بن الحسين المقدسي	(٣٥)
أحمد بن سنان	(٢٢٣)
شيخ الإسلام، أحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية	٣٨، ٣٩، (٧٥)، ٧٦، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٢٢٨، ٢٥٣، ٢٨٠، ٢٨٢، ٣٠٤، ٣٥٠، ٣٥٨، ٤٤٠، ٥٢٠، ٥٢٣، ٥٢٧، ٥٤٩، ٥٥٧، ٥٩٠، ٥٩٦، ٦٣٦
أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة الخزرجي	٧٤
أحمد بن عبدالله الأصبهاني، أبو نعيم	(٨٨)، ٢٥٥، ٤٨٤، ٥٠١
أحمد بن عبد الله المعري	(٢٣٨)، ٤٣٥
أحمد بن علي بن حجر (الحافظ)	(٢٠٢)، ٢٠٣

اسـم العـلـم	الصفحـات
أحمد بن علي بن حسين بن مشرف	٥٩
أحمد بن علي بن شعيب النسائي	(١٥٣) ، ١٨٩ ، ٢٢٤ ، ٣١٤ ، ٣١٧ ، ٤٨٩ ، ٤٩٣
أحمد بن علي بن المثنى ، أبو يعلى	٣٢ ، (١٥٠) ، ٢٠١
أحمد بن عمرو البزار	٢٠١ ، ٢٧٤ ، ٤٨٤
أحمد بن محمد بن حنبل (الإمام)	(٣٤)، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٥، ٥٤، ٨٦، ١٨٩ ، ٢٠١ ، ٢٢٧ ، ٢٤٥ ، ٢٦٦، ٢٦٨، ٣٠٤ ، ٣٠٩ ، ٣١٤ ، ٣٤٢ ، ٣٧٧، ٤٢٠، ٤٥٥ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٥٧٩ ، ٦٧٧ ، ٦٧٩
أحمد بن محمد القسطلاني	(٨٧) ، ٨٩
الأحنف بن قيس التميمي	(٥٢١) ، (٥٨٩)
أدورد بوكوك	٦٨
أربد بن قيس	(٥١٤)
أرسطو طاليس	(٣٠١)
أرطغرل بن سليمان شاه	(٢١٢)
أرميا	٢٣٤
أروى بنت أويس	٥٨٤

اسم العلم	الصفحات
أريوس	(١٥٩) ، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٩
إسحاق بن أبي حمزة	١٤٩
أسد بن عبيد	(٢٩٧)
أسطيانوس	١٧٢
أسعد بن زرارة الأنصاري	(٥٧٤)
إسقطر البابلي	١٨١
إسماعيل بن عبد الرحمن السدي	(٢٤٩) ، ٢٩١
إسماعيل بن كثير (الحافظ)	٤٠، (٨٥) ، ٨٧، ٩٠، ١٥٠، ١٥٢، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٩٧، ٣٤٦، ٣٤٩، ٤٤٩، ٤٥٠، ٦٨٦
إسماعيل بن يحيى المزني	(٤٩١)
الأسود العنسي	(٥٨٦) ، ٥٩١، ٥٩٦، ٦٠٥
أسيد بن حضير بن سماك الأنصاري	(٥٨١)
أسيد بن سعية القرظي اليهودي	(٢٨٥) ، ٢٩٧
إشعياء	(٢٥٦) ، ٢٦٩، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨٣
أصحمة بن الحر ، النجاشي	(٢٤٠) ، (٤٦٩)

اســم العلــم	الصفحــات
الأعمش = سليمان بن مهران الأسدي	
أفلاطون (رئيس سدنة الهياكل)	١٨١
أفلاطون (تلميذ سقراط)	(١٨١)
أقراطيس	١٨١
أكيدر بن عبد الملك	(٤٨١)
أم أبي هريرة (ميمونة أو أميمة)	(٥٠٥)
أم أيمن (بركة مولاة رسول الله)	(٥٨٣)
أم الدرداء (خيرة بنت أبي حدرد)	(٢٥٥)
أم سلمة (هند بنت أبي أمية)	(٤٨٨)
أم سليم بنت ملحان	٥٠٠
أم عمار (سمية بنت خياط)	(٥٧١)
أم الفضل (لبابة بنت الحارث)	(٤٨٠)
أمية بن خلف الجمحي	(٥١٣) ، ٥٧٠
أنسطاس	(١٧٠) ، ١٧١، ١٧٢
أنس بن مالك بن النضر	(٢٠١) ، ٣١٦، ٣١٧، ٣٤٢، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٧ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠، ٥٠٢، ٥٠٣

اسم العلم	الصفحات
أنيس بن جنادة الغفاري	(٤٢٩)
أوطيس أو أطيسوس	١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١
أويس القرني	(٤٧٥) ، ٥٨٨
إياس بن سلمة	(٥٠٨)
الأيهم	٣٧٢
(حرف الباء)	
بحيرى الراهب	(٢٨٦)
البخاري = محمد بن إسماعيل	
بختنصر	٦٠٦، ٦١٠
البراء بن مالك	(٤٩٥) ، ٥٨٣
بريدة بن الحصيب	(٤٨٨)
البزَّار = أحمد بن عمرو	
بشر بن البراء بن معرور	(٢٩٠) ، ٦٦٦
بشر بن مشكم	٢٩٠
بطرس (سمعان بن يونا)	٩٩، ١٠٠ ، (٢٢٩) ، ٦٤١
بقراط الحكيم	(٣١٤) ، ٥١٨

اســم العـلــم	الصفحـــات
أبو بكر الصديق = عبدالله بن أبي قحافة	
أبو بكر الطرطوشي = محمد بن الوليد	
بكير بن معروف	(١٤٩)
بلال بن رباح	(٥٧٠)
بولس الرسولي	٩٩ ، ١٧٢ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤
بولص الأنطاكي	٧٥
البيهقي = أحمد بن الحسين	
(حرف التاء)	
الترمذي = محمد بن عيسى بن سورة الترمذي	
تيمور لنك	(٢٠٨)
ابن تيمية = أحمد بن عبد السلام	
(حرف الثاء)	
ثابت البناني	(٣٤٢)
ثعلبة بن سعية اليهودي القرضي	(٢٨٥) ، ٢٩٧
ثوبان بن جحدر ، مولى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –	(٤٦٦)

اسم العلم	الصفحات
(حرف الجيم)	
جابر بن سمرة بن جنادة	(٢٧١) ، ٤٦٧
جابر بن عبد الله بن حرام	(٢٨٢) ، ٤١٠، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٨ ، ٥١٢
الجارود بن بشر بن المعلى	(٢٥٧) ، ٢٨٦
جامع بن شداد الأسدي	(٥٦٠)
جبير بن مطعم	(٤٥٤) ، ٤٥٥
جرجيس الرسولي	(٦٤١)
جريج بن مينا القبطي(المقوقس)	(٢٨٧)
الجلندى (ملك عمان)	(٥٦٠) ، ٥٦١
جندب بن جنادة ، أبو ذر	(٣٠٤) ، ٤٢٩، ٤٦٦، ٤٧٧
جنكيز خان	(٢٠٨)
أبو جهل = عمرو بن هشام	
(حرف الحاء)	
حاتم الطائي	(٥٢٠)
أبو حاتم الرازي = محمد بن إدريس	
الحارث بن سعيد الدمشقي	(٥٩١) ، ٥٩٦
الحارث بن عوف	(٢٨٨)

اسم العلم	الصفحات
أبو حارثة بن علقمة	٣٧٢ ، ٣٧٣
حاطب بن أبي بلتعة	(٤٧٩)
الحاكم = محمد بن عبد الله الحاكم	
ابن حبان = محمد بن حبان	
الحجاج بن يوسف الثقفي	(٤٧٤) ، ٥٨٧
ابن حجر = أحمد بن علي	
حذيفة بن اليمان	(٣٧٦) ، ٤٥٤، ٤٨٣، ٥٠٢
الحسن البصري	(٢٤٩) ، ٥٣٧، ٥٨٧
الحسن بن حامد البغدادي	(٣٤) ، ٣٩
الحسن بن علي بن أبي طالب	(٣٢٢) ، ٤٧٢، ٤٧٥
حسن بن موسى الأشيب	(٣٤٢)
حسين بن أبي بكر بن غنام	(٢٩)
الحسين بن علي بن أبي طالب	(٤٧٢) ، ٤٦٨
حكيم بن جبير الأسدي	(٥٧٢)
حكيم بن معاوية بن حيدة	(٢٦٨)
حماد بن سلمة بن دينار البصري	(٣٤٢)

اسم العلم	الصفحات
حمد بن إبراهيم بن غريب	٢٨
حمد بن محمد الخطابي ، أبو سليمان	(٤٤٤) ، ٤٥٣، ٤٥٨
حمد بن ناصر بن معمر	(٢٢) ، ٢٥، ٢٩، ٤١، ٥٢
حمود بن عبد الله التويجري	٦١ ، (١١٢) ، ١١٥
ابن حنبل = أحمد بن محمد	
حنظلة بن أبي عامر ، غسيل الملائكة	(٤٧٨)
أبو حنيفة = النعمان بن ثابت	
حيي بن أخطب	(٢٨٧) ، ٤٣٩
(حرف الخاء)	
خالد بن الوليد	(٤٨١) ، ٥٨٣
خبيب بن عدي الأنصاري	(٥٨٢)
خديجة بنت خويلد (أم المؤمنين)	(٣٣٨) ، ٥٦٢
الخطابي = حمد بن محمد	
(حرف الدال)	
الدارقطني = علي بن عمر بن أحمد	
الدارمي = عبد الله بن عبد الرحمن	

اسـم العـلـم	الصفحـــات
داود ، أخو بني سلمة	(٢٩٠)
أبو داود = سليمان بن الأشعث	
أبو داود الطيالسي = سليمان بن داود	
أبو الدرداء = عويمر بن مالك	
دحية الكلبي	(٥٦٤)
(حرف الذال)	
أبو ذر = جندب بن جنادة الغفاري	
(حرف الراء)	
الربيع بن أنس البكري	(٢٤٩-٢٥٠) ، ٤٥٠
رحمت الله بن خليل الرحمن الهندي	٧٨
رفاعة بن يثري التيمي ، أبو رمثة	(٥٥٨)
رفيع بن مهران ، أبو العالية	(٢٤٨) ، ٤٥٠
روبرت بويل	٦٨
(حرف الزاي)	
الزبير بن باطا اليهودي	(٢٨٧)
الزبير بن العوام	(٤٧١)

اسم العلم	الصفحات
الزجاج = إبراهيم بن سهل	
زرارة بن أوفى العامري	(٥٥٨)
ابن الزغواني = علي بن عبد الله	
زكريا	٢٦٥
زويمر (المنصِّر)	(٩٣)
زنيرة الرومية	(٥٧١)
زينب بنت الحارث اليهودية	(٦٦٥)
(حرف السين)	
سارة (زوج إبراهيم ، عليه السلام)	٢٦٩، (٣٢٧)
الساروس	٦٤١، ٦٤٢
سارية بن زينم الكناني	(٥٨٤)
السخاوي = محمد بن عبد الرحمن	
السدي = إسماعيل بن عبد الرحمن	
سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي	(٤٧٠) ، ٥١٣
السري بن عبد ربه	١٤٩
سطيح بن ربيعة الأزدي (الكاهن)	(٥٩٨)

اسم العلم	الصفحات
سعد بن إبراهيم الزهري ، أبو إسحاق	(٢٠١)
سعد بن أبي وقاص	(٤٧٧) ، ٥٠٣، ٥٨٤
سعد بن زيد مناة	٢٢
سعد بن مالك الخزرجي ، أبو سعيد الخدري	(٢٦٨) ، ٣٣٢، ٤٨٧-٤٨٨، ٤٩٠، ٥٠٨
ابنا سعنة = أسيد بن سعية ، وثعلبة بن سعية	
سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود	(٢٩) ، ٥١، ٥٢
أبو سعيد = سعد بن مالك الخزرجي	
سعيد بن أبي عروبة	(١٩٨)
سعيد بن البطريق (المتطبب)	٩٠، ١٢٠، (٦٥٠)
سعيد بن جبير	(٢٢٣)، ٢٩٠، ٤٤٩، ٥٤٠، ٥٧٢
سعيد بن زيد القرشي	(٥٨٤)
أبو سفيان = صخر بن حرب	(١٧٤)
سفينة ، مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -	(٥٨٠)
سقراط	(١٨١)
سقمان بن أرتق	(٦٥٧)
سلطان بن صقر بن راشد	١١٢

اسم العلم	الصفحات
سلمان الفارسي	(٢٨٦)
سلمة بن سلامة بن وقش	(٢٩٥) ، ٢٩٦
سلمة بن عمرو الأكوع	(٤٩٥) ، ٥١١
سليمان بن أحمد الطبراني (المحدث)	(٢٠٠) ، (٣١٥)
سليمان بن الأشعث ، أبو داود (المحدث)	٣٨، ٢٢٧، ٣٢٧، ٤٦٦، ٤٨٣
أبو سليمان الخطابي = حمد بن محمد	
سليمان بن داود الطيالسي	(٢٠١) ، ٤٥٦
الشيخ سليمان بن عبدالرحمن العمري	(١١٤)
سليمان بن مهران الأعمش (المفسر)	(٢٢٣) ، ٢٣٦
سمرة بن جندب	(٥٠٠)
السموأل بن يحيى بن عباس المغربي	٧٢
سهل بن سعد الساعدي	(٤٨٧)
سهيل بن عمرو العامري	(٤٧٧)
السهيلي = عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي	
سورس	١٧٠، ١٧١، ١٧٢
سلام بن أبي الحقيق	(٢٨٨)
سيبويه ، عمرو بن عثمان (النحوي)	(٥١٩)

اسم العلم	الصفحات

السيد ، صاحب نجران ٣٧٦

ابن سينا (٣٠٤)

(حرف الشين)

الشافعي = محمد بن إدريس

الشعبي = عامر بن شراحيل

شقيق بن سلمة الأسدي ٢٣٦

(حرف الصاد)

صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف (٢٩٥)

صخر بن حرب ، أبو سفيان (١٧٤)، ٢٠٠، ٥٦٣، ٥٦٥، ٦١٠

صدى بن عجلان ، أبو إمامة الباهلي (٢٩٨)

ابن صرما ١٦٦

صفوان بن أمية الجمحي (٤٧٩)

صلة بن أشيم العدوي (٥٨٧)

ابن صورى = عبد الله بن صورى

ابن صوريا = عبد الله بن صورى

(حرف الضاد)

ضماد بن ثعلبة الأزدي (٥٥٩)

اسم العلم	الصفحات

(حرف الطاء)

طاهر بن عبدالله بن طاهر	١١٢، ١١٤
أبو طالب بن عبد المطلب	(٥٧٣)
الطبراني = سليمان بن أحمد	
الطبري = محمد بن جرير	
أبو الطفيل = عامر بن وائلة الليثي	
الطفيل بن عمرو الدوسي	(٥٠٦)
الطيالسي = سليمان بن داود	
طليحة الأسدي	(٥٩٦)، ٦٠٥
أبو الطيب المتنبي = أحمد بن الحسين	

(حرف الظاء)

أبو ظفر = محمد بن أبي محمد	

(حرف العين)

عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري	(٢٨٩)
العاقب = عبد المسيح	
أبو العالية = رفيع بن مهران	

اسم العلم	الصفحات
عامر بن الجراح ، أبو عبيدة	٣٧٦ ، (٣٧٧)
عامر بن شراحيل الشعبي	(٢٤٩)
عامر بن الطفيل العامري	(٥١٤) ، ٥٨٢
عامر بن عبدالقيس العنبري	(٥٨٦)
عامر بن فهيرة التيمي	(٥٨٢)
عامر بن واثلة ، أبو الطفيل	(٦٨٥)
عائشة بنت أبي بكر الصديق (أم المؤمنين)	(٣٣) ، ٣٠٨، ٣١٥، ٣١٧، ٣٢٣ ، ٣٣٢ ، ٣٣٩ ، ٣٨٨ ، ٤٧١ ، ٤٨٤ ، ٥٤١
عَبَّاد بن بشر الأنصاري	(٥٨١)
عبادة بن الصامت	(٣٣٦)
أبو العباس = أحمد بن عبدالحليم ، ابن تيمية	
العباس بن عبدالمطلب	(٤٨٠)
العباس بن مرادس السلمي	(٦٨٨)
ابن عبد البر = يوسف بن عبد الله	
عبدالباقي بن قانع الأموي	(٥٥٨)
ابن عبد البر = يوسف بن عبد الله	

اسم العلم	الصفحات
عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق	(٥٠١)
عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي	(٨٥)، ١٤٩، ٢٢٣، ٢٥٠، ٢٥٦، ٤٨٨، ٥٣٧، ٦٨٥
عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب	(٢٣)، ٢٥، ٢٧، ٤٦، ٤٨
أبو عبدالرحمن السلمي = عبد الله بن حبيب	
عبد الرحمن بن صخر الدوسي، أبو هريرة	١٢، (٣٨)، ٤٠، ١٩٧، ٢١٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٤٤، ٢٧٠، ٣٠٩، ٣١٥، ٤٠٦، ٤١١، ٤٤٨، ٤٦٩، ٤٩١، ٤٩٩، ٥٠٥، ٥١١، ٦٣٢، ٦٧٨
عبدالرحمن بن عبدالعزيز آل الشيخ	(١١٣)
عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ	٥٣، ٥٤، ٦٥
عبدالرحمن بن عبدالله التويجري	(١١٣)
عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي	(٥١٠)
عبد الرحمن بن عبد الله العنقري	١١٥
عبد الرحمن بن محمد بن قاسم	٤١، ٦٦
عبدالرحمن بن ملجم	(٤٧٠)

اسم العلم	الصفحات

عبدالرحمن بن مهدي (٥٢٠)

عبدالرزاق بن همام الحميري (٣٤٦)

عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ٣٨

عبد السلام محمد عبده ١٠

عبد العزى بن عبد المطلب ، أبو لهب (٤٦٣) ، ٥١١

عبد العزيز بن حمد بن معمر ٧، ٨ ، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٩ ، ٣٠، ٣١، ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٦، ٥٠، ٥١، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٩ ، ٩٠، ٩٤، ٩٦، ٩٧ ، ١٠٥ ، ١١١، ١٢٠، ١٢١، ١٣٥

عبد العزيز محمد بن سعود ٢٨

عبد العزيز بن ناصر بن معمر ٦٢

عبدالله بن إبراهيم الأصيلي (٤٤٩)

عبدالله بن أبي قحافة، أبو بكر الصديق ٢٣٦، (٤٣٣) ، ٤٧٠، ٤٧٨ ، ٥١٣، ٥١٤ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٦

عبدالله بن أحمد بن محمد بن خليفة ٥٣ ، ٩٧

عبد الله بن ثوب ، أبو مسلم الخولاني (٥٨٥)

اسم العلم	الصفحات
عبدالله بن جعفر بن أبي طالب	(٥٠٥)
عبد الله بن حبيب السلمي، أبو عبدالرحمن	(٢٣٦)
عبدالله بن رواحة الأنصاري	(٥٦١)
عبد الله بن زيد	٣٢
عبد الله بن سعود	٥١
عبدالله بن سلام	(٢٥٤) ، ٢٨٥ ، ٥٥٨
عبد الله بن سليمان الجلهمي	٥٨
عبدالله بن صورى ، الأعور اليهودي	(٢٨٧) ، ٤٣٩
عبدالله بن عباس	(١٥٢) ، ١٥٣، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٥٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٣٠٨ ، ٣١٥ ، ٣٢٨ ، ٣٤٢ ، ٣٧٧ ، ٤١٤ ، ٤٥٠ ، ٤٥٤ ، ٤٨٧ ، ٤٩٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٨ ، ٥٣٧ ، ٥٥٤ ، ٥٦٣ ، ٥٧٢ ، ٦٧١
عبد الله بن عبد الرحمن البسام	٥٢، ٦٢، ٦٦
عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي	(٤٨٥) ، ٥٠١
عبدالله بن عبدالعزيز العنقري	(١١٢) ، ١١٣، ١١٥

اسم العلم	الصفحات
عبد الله بن عبد العزيز بن معمر	٦٢
عبد الله بن عمر	(٣٦) ، ٢٦٦ ، ٤٢٠ ، ٤٥٤ ، ٤٧٢ ، ٤٨٤ ، ٤٨٧ ، ٤٩١
عبدالله بن عمرو بن العاص	١٤، (٢٥٦) ، ٣٢٠
عبدالله المأمون (الخليفة العباسي)	(٣٥٠)
عبد الله بن محمد بن أبي شيبة	(٥٠١)
عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب	(٢٩)
عبدالله بن مسعود	(١٤٩) ، ١٥٠، ٢٠١ ، ٢٣٦، ٢٤٥، ٣٢٢ ، ٣٣١ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٩١ ، ٥٠٣ ، ٥٠٧ ، ٥٥٥ ، ٥٩٥
عبدالله بن مسلم بن قتيبه	(٨٩) ، ٢٧٩
عبدالله بن المقفع	(٤٣٥) ، ٤٣٦
عبد الملك بن عبد الله ، أبو المعالي	(٣٥١)
عبد المسيح	٣٧٢، ٣٧٥، ٣٧٦
عبدالملك بن مروان (الخليفة الأموي)	(٥٩١) ، ٥٩٢
عبد الملك بن هشام	(٨٧)
عبدالواحد بن زيد البصري	(٥٨٩)

اسم العلم	الصفحات
عبد ياليل بن عمرو بن عمير بن عوف	٥٤١
أبو عبيد = القاسم بن سلام	
أبو عبيدة = عامر بن الجراح	
عتبة بن ربيعة بن عبد شمس	(٤٢٨)
عتبة الغلام	(٥٨٩)
عتبة بن أبي لهب	(٤٨١) ، ٥٠٧
عثمان بن أرطغرل (أول سلاطين الدولة العثمانية)	٢١٢
عثمان بن سعيد الدارمي	(٥٠٨)
عثمان بن عبد الله بن بشر	(٣١) ، ٤١ ، ٥٢
عثمان بن عفان (الخليفة الثالث)	٣٢، (٢٤٨) ، ٤٧٠، ٤٧١، ٥٥٣، ٥٩٥
عثمان بن مظعون	(٣٢٠) ، ٣٢٦
عدي بن حاتم الطائي	(٣٤٠) ، ٤٦٥
عروة بن أبي الجعد	(٥٠٥)
عروة بن الزبير	(١٥٢) ، ٣١٧، ٥٨٢
ابن عساكر = علي بن الحسن هبة الله بن عساكر	
عطاء بن يسار	(٢٠٢) ، ٢٥٦

اسم العلم	الصفحات
عطية بن سعد العوفي	(٢٢٥)
عكرمة بن عبدالله	(٢٩٠) ، ٤٣١، ٤٤٩
العلاء بن الحضرمي	(٥٨٤)
علاء الدين السلجوقي	(٢١٢)
علي بن أبي طالب (أمير المؤمنين)	٣٢ ، (١٤٠) ، ٢٠٠، ٤١٤، ٤٥٤ ، ٤٧٠ ، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٨٤ ، ٤٩٦ ، ٥٠٦، ٥٠٨، ٥٢٠
علي بن أبي طلحة سالم بن المخارق	(٢٢٠)
علي بن الحسن بن السنجاني	(٦٨٥)
علي بن الحسن بن عساكر	(٢٥٤)
علي بن عبد الله بن الزاغوني	(٣٥١)
علي بن عمر بن أحمد (الدارقطني)	(٥١٠) ، ٦٦٨
علي بن محمد بن عبدالوهاب	(٣٠)
عمار بن نصر	(٥١٠)
عمار بن ياسر	(٥٧١)
عمران بن الحصين	(٤٩٦)

اسـم العلـم	الصفحـات
عمر بن الخطاب (الخليفة الثاني)	١٨٣، ١٨٥، (٣١٦)، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٤٢، ٣٦٥، ٣٧٦، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٧٠، ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٩٩، ٥٠٣، ٥٢٠، ٥٥٣، ٥٧١، ٥٨٤، ٥٨٦، ٦٧٩
عمر بن عبدالعزيز (الخليفة الأموي)	(٥٠٩)، ٥١٠
عمرو بن أخطب الأنصاري ، أبو زيد	(٤٨٣)
عمرو بن عتبة السلمي	(٥٨٨)
عمرو بن هشام ، أبو جهل	(٥٠٣)، ٥١١، ٥٤٤، ٥٧٢
عمير بن وهب الجمحي	(٤٧٩)
عوف بن أبي جميلة الأعرابي	(٥٥٨)
العوفي = عطية بن سعد بن جنادة العوفي	
عويمر بن مالك ، أبو الدرداء	(٢٥٥)، ٢٧٤
عياض بن حمار المجاشعي	١٨٩
عياض بن موسى اليحصبي ، القاضي	(٨٧)، ٣٢٠، ٣٢٨، ٣٣٠، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٤٣، ٤٤٨، ٤٨٦، ٥٠٣، ٥٠٧، ٥٥٧
عيينة بن حصن	(٢٨٨)

(حرف الغين)

غورث بن الحارث المحاربي	(٦٦٥)

اسم العلم	الصفحات
الغوري غياث بن سام (السلطان)	(٢١٠)
(حرف الفاء)	
فضالة بن عمير بن الملوح الليثي	(٥١٤)
فاطمة بنت محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -	(٣٣٨) ، ٤٧٠
فرعـون	١٩٥، ٥٤٧
ابن الفضيل = محمد بن الفضيل	
(حرف القاف)	
القاسم بن سلام الهروي	(٤٣٢)
القاسم بن عبدالرحمن الكوفي	(١٤٩)
ابن قانع = عبد الباقي بن قانع	
القاضي عياض = عياض بن موسى اليحصبي	
قتادة بن دعامة السدوسي	(١٥٠) ، ١٥١، ١٩٨، ٢٤٩، ٣٤٦، ٤٥٠
قتادة بن النعمان الأنصاري	٥٠٩
ابن قتيبة = عبد الله بن مسلم بن قتيبة	
القرطبي = محمد بن أحمد بن أبي بكر	
قسطا الوالي	١٧٥

اسم العلم	الصفحات
قسطنطين بن قسطس (الملك)	(١٤٥) ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٨١
قطز (السلطان)	(٢١٠)
قيصر	٣٢٢، ٤٦٧، ٤٦٨
قيلة بنت مخرمة العنبرية	٣٣١
ابن القيم = محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية	
(حرف الكاف)	
ابن كثير = إسماعيل بن كثير	
أبو كريب = محمد بن العلاء بن كريب الكوفي	
كسرى أبرويز بن هرمز (ملك فارس)	٣٢٢، (٤٦٥)، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٧٠، (٥٠٧) ، ٥٨٤، ٥٩٧
كعب بن أسد اليهودي	(٢٨٧)
كعب بن نافع الحميري (كعب الأحبار)	٢٥٥، (٢٨٥)
كنانة العدوي	(٢٤٨)
كوز بن علقمة	٣٧٣
(حرف اللام)	
لبيد بن الأعصم اليهودي	(٤٨٢) ، ٦٦٥

اسم العلم	الصفحات
أبو لهب = عبد العزى بن عبد المطلب	
لوقا	٢٧٦
(حرف الميم)	
مارجرس	٦٥٥
مارمريم	٦٥٥
ابن ماجه = محمد بن يزيد بن ماجه القزويني	
مالك بن أنس (الإمام)	٤٥ ، (٥١٠) ، ٥١٨
المأمون = عبد الله المأمون بن هارون	
ماني بن فاتك	(١٦٥) ، ٦٥٦
مَتَّى الرسولي	(٢٣٣) ، ٢٣٤ ، ٢٦٦ ، ٢٧٢ ، ٢٧٦
المتنبي = أحمد بن الحسين	
المتوكل ، جعفر بن محمد (الخليفة العباسي)	(٢٠٩) ، ٦٥٨
مجاهد بن جبر	(٢٤٩)
محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ	(١١١) ، ١١٢، ٤٤٩
محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية	(٧٥)، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ١٥٦، ١٩٣، ٢٨٣ ، ٢٩٢ ، ٣٦٣ ،

اسم العلم	الصفحات
	٣٦٦، ٣٩٦، ٥٢٧، ٦٣٤، ٦٤٢، ٦٤٨، ٦٥٦، ٦٦٠، ٦٩٧
محمد بن أبي محمد الأنصاري	(٢٩٠) ، ٤٤٩
محمد بن أبي محمد بن محمد بن ظفر الصقلي	(٢٥٩) ، ٢٦١
محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي	٤٠، ٧٣، (٨٧) ، ٣١٤، ٤٩١
محمد بن إدريس الرازي	(٢٣٣)
محمد بن إدريس الشافعي (الإمام)	٣٤، ٤٥، ٢٠٢، ٤٨٨، ٥١٨
محمد بن إسحاق	٨٧، ٢٨٩، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٧٢، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٤٣١، ٤٤٩، ٤٩٤، ٥٧١، ٥٧٢
محمد أسد	٩٢
الإمام محمد بن إسماعيل البخاري	٤٠، (٨٦)، ١١٨، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠١ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٥٦ ، ٢٧٠ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٦ ، ٣٤٢ ، ٣٦٤ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٨٩ ، ٤٠٦ ، ٤٦٥ ، ٤٨٣ ، ٤٨٦ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ،

اسم العلم	الصفحات
	٤٩٥ ، ٤٩٧ ، ٥٠٢ ، ٥٠٥ ، ٥٠٨ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥٤٢ ، ٥٤٩ ، ٥٦٩ ، ٥٨١ ، ٥٩١
أبو محمد الأصيلي = عبدالله بن إبراهيم	
أبو محمد بن الأقدم	٦٥٧
محمد بن جرير الطبري	٤٠ ، (٨٧) ، ٩٠ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ٢٤٥، ٢٤٨، ٣٤٦، ٤٥٠
محمد بن جعفر بن الزبير	(٣٧٣) ، ٣٧٥
محمد بن حاتم بن المظفر	٢٣٢
محمد بن حازم ، أبو معاوية الضرير	(٢٢٣) ، ٢٢٤
محمد بن حبان	(٣٠٥)
محمد بن الحسن بن محمد النقاش	(٣٢٨)
محمد بن حمزة بن يوسف بن سلام	(٢٥٤)
محمد بن زكريا الرازي	(٣٢٥)
محمد بن سعد	١٢٠
محمد بن عبدالرحمن الدغولي ، أبو العباس	(٢٣٢)
محمد بن عبدالرحمن السخاوي	(٢٠٨)
محمد بن عبدالقوي المقدسي	٥٠ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥
محمد بن عبداللطيف بن حسن آل الشيخ	٣١ ، (٥١) ، ٦٥ ، ٩٦ ، ١١٥

اسم العلم	الصفحات
محمد بن عبدالله الحاكم	(٢٦٨) ، ٢٩٧ ، ٣١٤، ٤٨٤، ٥٠١
محمد بن عبدالمحسن الخيال	(١١٣)
محمد بن عبدالوهاب (الإمام)	٢١، (٢٢)، ٢٣، ٢٤، ٢٧، ٢٨
محمد العثمان القاضي	٥٧، ٦٦
محمد بن العلاء ، أبوكريب	(٢٢٤)
محمد علي باشا	٧٠
محمد بن علي بن إبراهيم الشثري	٥٦
محمد بن عمر الفاخري	٦١
محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (المحدث)	٨٦، ١٤٠، ٢٦٨، ٣١٤، ٣١٧، ٣٢٢، ٤٦٦، ٤٨٤، ٤٩٣، ٥٠١، ٥٥٨
محمد بن الفضيل	(٦٨٥)
محمد بن الوليد الطرطوشي	(٦٥٧)
محمد بن يزيد بن ماجه (المحدث)	(٢٦٨)
محمود بن لبيد	(٢٩٥)
المختار بن أبي عبيد الثقفي	(٤٧٤)
مخيريق بن ثعلبة اليهودي	(٢٨٥)

اســم العلــم	الصفحـــات
مرحب بن الحارث اليهودي	(٦٦٥)
مرقس	٢٦٦، ٢٦٧
مروان بن الحكم	(٤٩٤)
مريم بنت عمران	٧٤، ٩١، ١٠٠، ١٠٧، ١٤٧، ١٥٠، ١٦٢، ١٦٦، ١٧٠، ١٧٦، ١٩٩، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٧٤، (٣٣٨)، ٣٤٢، ٣٤٦، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٧٤، ٣٩٠، ٣٩١، ٦٤١، ٦٨٥
المزني = إسماعيل بن يحيى	
مسلم بن الحجاج (الإمام)	١٢، ١٤، ٤٠، (٨٦)، ١١٨، ١٨٩، ١٩١، ٢١٤، ٢٧٠، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٨، ٣٢٦، ٣٧٦، ٤١١، ٤٣٠، ٤٤٨، ٤٦٦، ٤٨٣، ٤٨٦، ٤٩٣، ٤٩٧، ٤٩٩، ٥٠٨، ٥١١، ٥١٢، ٥٤٢، ٥٥٩، ٦٣٢، ٦٧٩، ٦٩٩
أبو مسلم الخولاني = عبد الله بن ثوب الخولاني	
المسور بن مخرمة	(٤٩٤)
مسيلمة الكذاب	(٤٢٨)، ٤٣٣، ٥٩١، ٥٩٦،

اسم العلم	الصفحات
	٦٠٥
مطرف بن عبدالله بن الشخير	(١٨٩) ، (٥٨٨)
المطلب بن أبي وداعة	(٤٨٨)
معاذ بن جبل	(٢٦٨) ، ٢٩٠، ٤٩٣
أبو معاوية = محمد بن حازم	
معاوية بن أبي سفيان	(١٧٤) ، ٢٠٠، ٤٧٢، ٥٠٣، ٥٢١
المعتصم محمد بن هارون (الخليفة العباسي)	(٢٠٩)
أبو المعالي = عبد الملك بن عبدالله الجويني	
المعري = أحمد بن عبد الله	
معز الدولة بن بويه	(٢٠٩)
معمر بن راشد البصري	(٣٤٦)
معن بن زائدة	(٥٢٠)
مقاتل بن حيان	(١٤٩)
المقداد بن الأسود	(٣٢٠) ، ٥٠٥
المقدام بن معديكرب	(٣١٤)
ابن المقفع = عبد الله بن المقفع	

اسـم العلـم	الصفحـات
المقوقس = جريج بن مينا القبطي	
ابن ملجم = عبد الرحمن بن ملجم	
المنهال بن عمرو	(٢٢٣)
الموبذان	٥٩٨
موفق الدين بن قدامة المقدسي	(٣٥) ، ٣٨، ٣٩
ميمونة بنت الحارث (زوج النبي ﷺ)	(٣٣)
(حرف النون)	
النابغة الجعدي (عبدالله بن قيس)	(٥٠٤)
النجاشي = أصحمة بن الحر	
النسائي = أحمد بن علي بن شعيب	
نسطور	(٢٨٦)
نسطورس	١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٠، ١٧١
نصر بن يحيى بن عيسى (المتطبب)	٧٤
النعمان بن بشير	(٣١٦)
النعمان بن ثابت ، أبو حنيفة	٣٤، ٤٥
أبو نعيم = أحمد بن عبد الله الأصبهاني	
نعيم بن حماد الخزاعي	(٦٨٥)

اسم العلم	الصفحات

النقاش = محمد بن الحسن بن محمد النقاش

نفطوية ، إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي (٥٦١)

نمـرود ١٩٥

(حرف الهاء)

هاجر (أم إسماعيل) (٣٢٧)

هرقل (ملك الروم) (٢٨٦) ، ٥٦٣، ٥٦٤، ٦١٠

هرقل (ملك بيت المقدس) (٦٤٦) ، ٦٤٧

أبو هريرة = عبد الرحمن بن صخر الدوسي

هشام بن العاص الأموي (٢٩٨)

هولاكو خان (قائد التتار) (٢٠٨)

هوقودي قروت ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٩٤، ١١٩

ابن الهيبان ٢٩٦، ٢٩٧، ٤٠٤

هيلانة ٦٤٩

(حرف الواو)

أبو وائل = شقيق بن سلمة

الوليد بن عبدالله بن جميع الزهري (٦٨٥)

الوليد بن المغيرة المخزومي (٤٣٠) ، ٤٦٣

اسم العلم	الصفحات
وليم بلجريف	(٩٣)
وهب بن منبه	(٢٥٠) ، ٢٥١، ٢٥٦
(حرف الياء)	
أبو ياسر بن أخطب اليهودي	(٢٨٧) ، ٤٣٩
ياسر بن عمار	(٥٧١) ، ٥٧٢
ابن يامين = يامين بن عمير	
يامين بن عمير (أبو كعب اليهودي)	(٢٨٥)
يحيى بن الحكم الغزال	(٤٣٥)
يزيد بن معاوية	(٤٧١)
يعقوب البراذعي	١٧٢
يعقوب بن زبدي الرسولي	٩٩، (٢٢٩)
أبو يعلى = أحمد بن علي بن المثنى	
أبو يعلى = محمد بن الحسين	
يهودا	٦٤٩
يهوذا الإسخريوطي	٩٩، (٢٢٩) ، ٢٦٥
يوحنا بن زبدي الرسولي	٩٩، ١٧١، (٢٢٩) ، ٢٥٨
يوسف بن عبد الله ، ابن عبد البر	(٤٥٦) ، ٥٤٩١
يوشع بن نون	٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٧، (٤٠٤)
يوهان كالنبرخ	٦٨



رابعاً :

فهرس الأماكن

مرتبة على الحروف الهجائية

اسم المكان أو الموضع	الصفحات
(أ)	
أحد	٤٧٠، ٥٠٩، ٥١٠، ٥٤١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٥
الأخشبان	٥٤٢
أخميم	١٦٦
إرم	٢٨٩
الإسكندرية	١٥٩، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، ٦٤١، ٦٤٧، ٦٥٧
أفسس	١٦٦، ١٦٨
الأندلس	٧٤، ١٨٧، ٤٣٥، ٦٠٩، ٦١٦
أنطاكية	١٦٣، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٨، ١٧٥
الأهواز	٥٨٧
أيلة	١٧١
(ب)	
بئر معونة	٥٨٢
البحرين	٢٥، ٤٢، ٥٢، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٦١، ٦٢، ٧٠، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ١٢٢، ٥٨٥

اسم المكان أو الموضع	الصفحـــــــات
بحيرة ساوة	٥٩٨
بدر	٢٩٥، ٤٨١، ٥٠٧، ٥٤٧
البصرة	٤٧٦
بصرى	٢٨٦، ٤٦٩، ٥٦٤
بغداد	٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠
بواط	٤٩٣
بيت المقدس	١٦٣، ١٦٤، ١٦٨، ١٧١، ١٧٢، ٢٢١، ٤٧٦، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٩، ٦٥٦، ٦٥٧
(ت)	
تبوك	٤٩٤، ٤٩٨، ٦٣١
الترك	٦٠١
تهامة	١٧١
(ث)	
ثرمداء	٢٣
(ج)	
جبل قاسيون	٥٩٢
الجزيرة	٤٦٨

اسم المكان أو الموضع	الصفحات
جزيرة العرب	٦٠٢
(ح)	
الحبشة	٢٤٠، ٢٨٦، ٣٥٠، ٤٦٩، ٥٧٣
الحجاز	٣٣٤، ٤٦٩
الحديبية	٤٩٢، ٤٩٤، ٤٩٥، ٥٢١، ٥٧٧، ٦٦٤
حراء	٤٥٥
الحرمين	٢١٢
حزوى	٢٤
حلب	٢٠٨
حي الحنابلة	٥٨
الحيرة	٤٦٥
(خ)	
خراسان	٢٠٩
الخليل	٦٤٩
خيبر	٢٨٨، ٥٠٨، ٥١١، ٦٦٦
(د)	
دجلة	٥٨٥

اسم المكان أو الموضع	الصفحـــــات
الدرعية	٢٢، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٤١، ٤٢، ٥١، ٥٢، ٥٧، ٦١، ٦٢
دومة	٢٨٦
الديار الرومية	٢١٢
الديار الشامية	٢١٠
الديار المصرية	٢١٠
الديار النجدية	٤٦
(ر)	
رامـة	٢٤
الرهاء	١٧٣
الروم	٢٠٩، ٢١١، ٣٥٠، ٥٦٤، ٥٦٧، ٦٠٠، ٦١٦، ٦٤١، ٦٥٨
روميـة	١٦٨، ١٧٢، ١٧٥
الرياض	٦٢، ١١٥
(س)	
ساعير	٢٧٩
سدوس	٦٢
سيناء	٢٧٩

اسم المكان أو الموضع	الصفحات
(ش)	
الشام	١٨٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢٢١، ٢٧٧، ٢٨٦، ٢٩٦، ٣٥٠، ٤٦٨، ٥٦٤، ٥٩١، ٦٠٠، ٦٠٢
شعب أبي طالب	٥٧٣
(ص)	
الصفا	٢٨٢، ٥٣٧
صفين	٤٧١
صيدا	٧٥
(ط)	
الطائف	٥٦
طليطلة	٧٤
طنجة	٤٦٧
طور سيناء	٤٧٩
(ع)	
العراق	٢٠٩، ٥٨٤
العقبة	٥٤١، ٥٧٤
عمان	٥٦٠

اسم المكان أو المو ضع	الصفحـــــــات
عنيـزة	١١٤
العيينة	٢٣
(ف)	
فاران	٢٧٩، ٢٨٠
فارس	٤٧٦، ٥٠٧، ٥٩٨
(ق)	
قاسيون	٥٩٢
قرن الثعالب	٥٤١
قسطنطينية	١٥٣، ١٦٤، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٣، ١٧٥
القصيم	١١٤
(ك)	
كرمان	٢١٥
الكويت	٥٨
(ل)	
لنـــدن	٦٨، ٦٩، ١١٩، ١٢٣، ١٢٥
ليـــدن	٦٩، ١١٩

اسم المكان أو الموضع	الصفحات
(م)	
المجمعة	١١٢
المحرق	٥٨
المدينة	٣٠، ٣٧٣، ٤٦٩، ٤٧١، ٤٩٠، ٤٩٧، ٥٥٨، ٥٦٠، ٥٧١، ٥٧٥، ٥٨٦، ٦٢٠، ٦٣١
المروة	٢٨٢
المزدلفة	٣٦
المشرق	٢٨٨، ٣٧٣، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٦٤٤
مصر	٤٢، ٤٦، ٥٦، ٧٥، ١١٦، ١٦٦، ١٦٨، ١٨١، ١٨٧، ٢١٢، ٢٨٧، ٤٦٦، ٤٦٨، ٦٠٠، ٦٤٧
المصيصة	١٧٣، ١٧٤
المغرب	١٨٧، ٢٨٨، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٦٠١
مكة	٢٩، ٢٥٤، ٢٦٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٩٦، ٤٥٨، ٤٦٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٤، ٥٣٧، ٥٣٩، ٥٤٧، ٥٥٩، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٨٢، ٥٩٢، ٦٤٥
ملهم	٢٣
المنامة	٥٧، ٥٨

اسم المكان أو الموضع	الصفحات
منى	٢٨٢
منبج	١٧٣، ١٧٤
مؤتة	٤٨١
(ن)	
الناصرة	٢٧٩
نجد	٢١، ٢٤، ٢٧، ٤٢، ٥٢، ٥٧، ٦١، ٦٢، ٦٥، ٦٦، ١٠٥، ٥١٢
نجران	٢٨٦ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٤٣٩ ، ٦٣١
النخع	٥٨٨
نصيبين	١٦٦
النمسا	١٨٧
(هـ)	
هالة بألمانيا	٦٨
الهند	٤٦٧، ٦٠١، ٦٣٨
(و)	
وادي الدواسر	٦٢
وادي قناة	٤٩٧
الوشم	٢٣

اسم المكان أو الموضع	الصفحات

(ي)

يثرب	٢٥٤، ٢٨٨، ٤٩٠، ٥٧٤
اليمامة	٥٨٣
اليمن	٢٩٦، ٤٧٥
اليونان	١٥٢، ٢٢١، ٢٧٥، ٣٥٧



خامساً :

فهرس بأسماء الكتب الواردة في الكتاب

مرتبة حسب الحروف الهجائية

اسم الكتاب	الصفحات
القرآن الكريم	٩٣، ١٠١، ١٠٢، ١١٧، ١٣٨، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ٢١٤، ٢١٧، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٥٢، ٢٥٦، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٤، ٣٠٨، ٣١١، ٣٢٠، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٦٠، ٣٨٢، ٣٨٣، ٤١١، ٤٢٢، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٤٧، ٤٥١، ٤٥٣، ٤٥٤، ٥١٧، ٥٢٢، ٥٢٥، ٥٢٧، ٥٣١، ٥٦٢، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٧، ٥٩٥، ٦٠٣، ٦٢٠، ٦٢٢، ٦٢٩، ٦٧٤، ٦٩٨
الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة	٧٣
اختصار نظم ابن عبدالقوي للمقنع	٥٣
أسد الغابة	١٢٠
أدب الشافعي ومناقبه	٤٨٨

اسم الكتاب	الصفحـــــــات
الإصابة	١٢٠
إظهار الحق	٧٨
أعلام النبوة	٢٧٩
الإعـلام بمـــا في ديـن النصارى من الأوهام	٧٣
إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان	٨٨
إفحام اليهود	٧٢
الإقناع	٣٦، ٣٧
الإنجيل	٨٩، ٩٠، ١٠٢، ١٤٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٦٠، ١٧٤، ١٧٦، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٧٢، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٣٣٥، ٣٧٩، ٣٨٣، ٣٩٢، ٤٢٠، ٤٤١، ٦٢٩، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٥٦، ٦٨٠، ٦٩٣، ٦٩٦، ٦٩٨
إنجيل لوقا	٢٧٦
إنجيل مَتَّى	٢٣٣، ٢٣٤، ٢٦٦، ٢٧٢، ٢٧٦
إنجيل مرقس	٢٦٦، ٢٦٧
إنجيل يوحنا	٢٤٧، ٢٥٨

اسم الكتاب	الصفحـــــات
الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف	٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٩
البداية والنهاية	١٢٠
بذل المجهود في إفحام اليهود	٧٢
بين الإسلام والمسيحية	٧٤
التأريخ للبخاري	٢٠١
تاريخ سعيد بن البطريق	٩٠، ١٢٠
تثليث الوحدانية	٧٣
تذكرة الحفاظ	١٢٠
تهذيب التهذيب	١٢٠
التوراة	٨٩، ٩٠، ١٠٢، ١٤٧، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ٢١٨، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٣٩، ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٨، ٢٩٢، ٣٠١، ٣٧٩، ٣٨٣، ٣٩٢، ٤٢٠، ٤٤١، ٥٤٢، ٥٤٤، ٥٤٥، ٦٢٤، ٦٢٩، ٦٣٣، ٦٥٢، ٦٨٠، ٦٩٥، ٦٩٨
جامع الترمذي	٨٦، ٢٦٨

اسم الكتاب	الصفحـــــــات
الجـواب الصحيح لمـن بدّل دين المسيح	٧٥، ٧٦، ٨٨، ٨٩، ٩٠
الدرر السنية في الأجوبة النجدية	٤١، ٦٦
دلائل النبوة للبيهقي	٨٨، ٢٩٧
دلائل النبوة لأبي نعيم	٨٨
رسالة بطرس الثانية	٩٩، ٢٢٩
رسالة بولس إلى أهـل روميـة	٢٧٢، ٢٧٣
رسالة يعقوب	٩٩، ٢٢٩
رسالة يهوذا	٩٩، ٢٢٩، ٢٦٥
رسالتا يوحنا	٩٩، ٢٢٩
الرعـاية ، لنجم الدين بن حمدان	٣٢
روضة الناظرين	٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٧، ٦٦
زاد المعاد في هدي خير العباد	٨٨
الزبور	٨٩، ٩٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٤٠٣
سفر الاستثناء	٢٦٣، ٢٧٣
سفر التكوين	٢٧٠
سنن أبي داود	٢٢٧
سنن ابن ماجه	٢٦٨

اسم الكتاب	الصفحـــــــات
سنن النسائي	١٨٩
سير أعلام النبلاء	١٢٠
الشفا بتعريف حقـوق المصطفى	٨٧
صحيح ابن حبان	٣٠٥
صحيح البخاري	٨٢ ، ٨٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٢٦ ، ٢٤٤ ، ٢٥٦، ٢٧٠، ٢٧١، ٣١٥، ٣١٧، ٣٢١، ٣٣٦، ٣٤٢، ٣٦٤، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٨٨، ٤٠٦، ٤٤٨، ٤٥٥، ٤٦٥، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٨٢، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٦، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠٧، ٥٤٩، ٥٦٣، ٥٨١
صحيح مسلم	١٢، ١٤، ٨٢، ٨٦، ١٨٩، ٢٢٦، ٢٧٠، ٢٧١، ٣١٥، ٣١٧، ٣٢١، ٣٣٦، ٣٦٤، ٣٧٦، ٣٨٨، ٤١١، ٤٤٨، ٤٥٥، ٤٦٦، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٨٢، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٦، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠٧، ٥١١، ٥٥٩، ٥٦٣، ٥٨١، ٦٣٢، ٦٩٩
صحيفة إرمياء	٢٣٤
صحيفة إشعياء	٢٦٩، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨٣
صحيفة زكريا	٢٦٥
طبقات ابن سعد	١٢٠

اسم الكتاب	الصفحـــــــات
الطريق إلى مكة	٩٢
علماء نجد خلال ثمانية قرون	٦٢
علماء نجد خلال ستة قرون	٦٦
عقد الفرائد وكنز الفوائد	٥٠، ٥٤، ٥٦
الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان	٥٩٦
لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب	٢٨
مستدرك الحاكم	٢٦٨، ٢٩٧، ٤٨٤
مسند الإمام أحمد	٨٦، ١٨٩، ٢٢٧، ٢٦٦، ٢٦٨، ٣٠٩، ٣٤٢، ٣٧٧، ٤٢٠، ٦٧٧
مسند البزار	٢٧٤
مشاهير علماء نجد وغيرها	٦٥
المغنـــي	٣٥
مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن	٨، ٥٧، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٧، ٨٠، ٩٤، ٩٧، ١٠٥، ١٣٩
منتقى عقد الفرائد وكنز الفوائد	٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦
منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب	٨، ٤٠، ٥٣، ٥٦، ٦٣، ٦٥، ٦٩، ٧٢، ٧٧، ٨٠، ١١١، ١٤٤، ٦٩٩

اسم الكتاب	الصفحـــــات
المواهب اللدنية	٨٨، ٨٩، ٢٦٠، ٢٦١
النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية	٧٤
نظم الجوهر	٩٠، ١٢٠
النهاية لابن الأثير	٢٦٢
وفيات الأعيان	١٢٠
هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى	٧٥، ٨٨، ٨٩، ٩٠



سادساً :

فهرس أسماء الفرق الواردة في الكتاب

مرتبة حسب الحروف الهجائية

اسم الفرقة	الصفحات[1]
الإسرائيلية	١٥١
البراهمة	(٣٨٣)
الخوارج	(٤٧٢) ، ٥٨٧
الرافضة	(٢٧٨) ، ٤٧٣ ، ٦٤٨
الصابئة	(١٨٩)
الفلاسفة	٣٠٤ ، ٣٦٧ ، (٤٤٠)
القدرية	(٤٧٣)
المانوية	(١٦٥) ، ٦٥٥
الملكية أو الملكانية	(١٥٣) ، ١٦٢، ١٧٢، ١٧٣، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٨٩، ٦٥٦
النسطورية	(١٥١) ، ١٦٢، ١٦٦، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٨٩، ٦٥٦
اليعقوبية	(١٥١) ، ١٦٢، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٣ ، ٢٢٤ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢، ٣٨٩ ، ٦٥٦

(١) أرقام الصفحات التي بين الأقواس موضع التعريف بالفرقة .



سابعاً :

فهرس الأبيات الشعرية التي استشهد بها المؤلف

مرتبـة حسب حـرف الروي

التسلسل	نص الأبيـــــــات		الصحيفة
١	فالدعاوى ما لم يقـيموا عليها	بيِّـنات أبنـاؤها أدعــــيـــاء	٦٩٢
٢	ونذيمهم وبـهم عـرفنا فــضله	(وبضدِّهـا تتبين الأشـياء)[1]	١٩٥
٣	فـالوجه مـثل الصـبح مبـيض	والشـعـر مـثل الـليل مـسـود	
	ضـدان لما استـجـمعـا حـسنا	(والضد يظهر حسنَه الضدُّ)[1]	١٩٥
٤	أبونا الذي سالت على الخد عينه	فـردت بكف المـصطفى أيما رد	
	فعادت كما كانت لأول أمرها	فيا حسن ما عين ويا حسن ما خد	٥٠٩
٥	تحدثني العينـان ما القلب كاتم	من الغل والبغضاء بالنظر الشزر	٥٥٣
٦	لو لم تكن فـيــه آيات مـبـينة	لكان منـظره ينبـيك بالخــبـر	٥٦١
٧	ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد	(كلا طرفي قصد الأمور ذميم)[1]	٤٠١
٨	أعُــبَّــاد المسـيح لنا سـؤال	نريـد جـــوابـه ممن وعــــاه	
	إذا مــات الإله بفـــعل قـــوم	أمــاتــوه فـــمــا هذا الإله؟	
	....	... إلخ	٣٩٨-٣٩٩

(١) ما بين القوسين هو موضع استشهاد المؤلف .

التسلسل	نص الأبيـــــــــات		الصحيفة
٩	عجبا للمسيح بين النصارى	وإلى أي والد نسبوه!	
	أسلموه إلى اليهود وقالوا	إنهم بعد قتله صلبوه	
	....	... إلخ	٢٣٨
١٠	والعين تنظر من عيني محدثها	هل كان من حزبها أو من أعاديها	٥٥٣

ثامناً :

الفهرس العام للمصادر والمراجع

١) القرآن الكريم .

٢) التفسير وعلومه .

٣) كتب السنة النبوية .

٤) كتب رجال الحديث .

٥) كتب العقيدة والأديان والفرق والمذاهب .

٦) كتب الفقة .

٧) كتب السيرة النبوية والشمائل .

٨) كتب التاريخ .

٩) كتب النصارى .

١٠) كتب التراجم .

١١) المعجمات والقواميس .

١٢) المعارف العامة .

١٣) دواوين الشعر

١٤) بحوث علمية .

١٥) الصحف والمجلات .



الفهرس التفصيلي للمصادر والمراجع

وهي مرتبـة في كل فن حسب الحـروف الهجائية

١) القرآن الكريم .

٢) التفسير وعلوم القرآن

- الإتقان فـي علوم القرآن لجـلال الدين عبـدالرحمن السـيوطي ، الطبعة الثالثة .
- إعجـاز القرآن لمحـمد بن الطيب بـن القاسم البـاقلاني ، تحـقيق أحمد صقر ، طبعة دار المعارف .
- تفسيـر القرآن العظيم للحافظ إسماعـيل بن كثير ، طبعـة عيسى البابي الحلبي ، مصر .
- التفـسيـر القيم لشـمس الدين ابن القيم ، تحـقيق محـمد حـامد الفقي ، طبعة بيروت ، لجنة التراث .
- تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٦م ، دار المنار بمصر .
- الجـامع لأحكـام القـرآن لأبي عـبد الـلـه مـحـمـد بن أحـمـد الأنصاري القرطبي ، طبعة دار الكتب المصرية .
- جامع البيان في تأويل آيات القرآن لأبي جعـفر محمد بن جرير الطبري ، الطبعة الأولى بمصر .
- جامع البيـان في تاويل آيات القرآن لأبي جعفر محـمد بن جرير الطبري ، تحقيق أحمد شاكر ، طبعة دار المعارف بمصر .

- الدر المنثور لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، طبعة المكتبة الإسلامية ، طهران .

- طبقات المفسرين لمحمد بن علي الداودي ، تحقيق علي محمد عمر، الطبعة الأولى ، مطبعة الاستقلال .

- فتح القدير للإمام محمد بن علي الشوكاني ، طبعة دار المعرفة ، بيروت .

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن لمحمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة مؤسسة جمال للنشر ، بيروت .

٣) السنة النبوية

- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للحافظ أبي يعلى المباركفوري ، تحقيق عبد الرحمن عثمان ، طبعة المكتبة السلفيه بالمدينة .

- ترتيب مسند الإمام الشافعي لمحمد عابد السندي ، طبعة القاهرة ، مكتبة الثقافة الإسلامية .

- جامع الأصول في أحاديث الرسول لأبي الحسن محمد بن محمد بن الأثير ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، طبعة عام ١٣٨٩هـ .

- جامع العلوم والحكم لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، توزيع دار الإفتاء بالسعودية .

- سح المطر على قصب السكر لعبد الكريم مراد الأثري ، طبعة دار الثقافة الإسلاميه بالرياض .

- سنن الإمام الترمـذي للإمام عبد الله بن عبد الرحـمن الدارمي، طبعة دار إحياء السنه النبوية .

- سنن الدارقطني للإمـام الكبير علي بن عـمر الدار قطني ، تحـقيق محمود شمس الحق آبادي ، طبعة لاهور ، باكستان .

- سنن أبي داود للإمـام أبي داود سليـمـان بن الأشعث ، تحـقـيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، طبعة دار إحياء السنة النبوية .

- السنن الكبرى للإمام الحـافظ أحمد بن الحسين البيهـقي ، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ ، دائرة المعارف العثمانية بالهند .

- سنن ابن ماجه للإمام أبي عبد الله ابن ماجـه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة عيسى البابي ، مصر .

- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي ، طبـعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م .

- شرح الإمام النووي عـلى صحيح مسلم للإمام يـحيى بن شرف النووي ، طبعة مطبعة حجازي ، مصر ، ١٣٤٩هـ .

- صـحيح البـخاري للإمـام أبي عبـد الله محـمد بن إسـماعـيل البخاري ، طبعة المكتبة الإسلامية بإستانبول ، تركيا، ١٩٧٩م .

- صحيح ابن خزيمة لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

- صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ، ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي ، توزيع دار الإفتاء السعودية ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

- علوم الحديث لعثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح ، تحقيق نور الدين عتر ، طبعة المكتبة العلمية بالمدينة .

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ شهاب الدين أبي الفضل ابن حجر العسقلاني ، طبعة مصطفى البابي وأولاده ، مصر ، ١٣٨٧هـ/ ١٩٥٩م.

- قواعد التحديث لمحمد جمال الدين القاسمي ، تحقيق بهجة البيطار ، طبعة مكتب النشر العربي .

- كشف الأستار عن زوائد البزار للحافظ نور الدين الهيثمي ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين الهيثمي ، طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت .

- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٠هـ ، دائرة المعارف النظامية .

- مسند الإمام أحمد للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل ، طبعة المكتب الإسلامي ، بيروت .

- مسند الإمام أحمد للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل ، تحقيق أحمد شاكر ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف بمصر .

- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث لمجموعة من المستشرقين ، الطبعة الأولى .

- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للحافظ نور الدين الهيثمي ، طبعة المكتبة السلفية بالمدينة .

- موطأ الإمام مالك للإمام أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، تحقيق أحمد راتب عرموش ، الطبعة السادسة ، دار النفائس ، بيروت .

- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للعلامة محمد بن علي الشوكاني ، طبعة مصطفى البابي وأولاده ، مصر .

٤) كتب رجال الحديث

- أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبي الحسن علي بن محمد بن الأثير، طبعة المكتبة الإسلامية .

- الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق علي البجاوي ، طبعة دار النهضة ، مصر .

- التاريخ الكبير للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، طبعة الهند ١٣٦٠هـ .

- تذكرة الحفاظ لأبي عبد الله شمس الدين الذهبي ، الطبعة الثالثة ، دار إحياء التراث العربي .

- تهذيب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٥هـ .

- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي ، طبعة دار الأمم للطباعة ، بيروت.

- شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ، طبعة جمعية أهل الحديث بالباكستان .

- طبقات الحفاظ لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق علي محمد عمر ، الطبعة الأولى .

- الطبقات الكبرى محمد بن سعد ، طبعة دار صادر ، ودار بيروت ، بيروت - لبنان .

- الكاشف للإمام شمس الدين الذهبي ، تحقيق عزت عطية وآخرين ، طبعة دار التأليف بمصر .

- لسان الميزان للحافظ شهاب الدين أحمد بن محمد بن حجر العسقلاني ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م .

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للإما م محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار احياء الكتب العربية ، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م.

ه)كتب العقيدة والأديان والفرق والمذاهب

- الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

- الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ، تحقيق الدكتورة فوقية حسين محمود ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٧هـ ، دا ر الأنصار، مصر.

- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة للإمام شهاب الدين أحمد ابن إدريس القرافي .

- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ، طبعة دمشق .
- الأديان في القرآن لمحمود الشريف ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٩م دار عكاظ ، السعودية .
- الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة للشيخ عبد القادر شيبة الحمد .
- أضواء على المسيحية لمتولي يوسف شلبي، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م.
- إظهار الحق للشيخ رحمت الله بن خليل الهندي ، تحقيق أحمد حجازي السقا ، طبعة دار إحياء التراث العربي .
- إظهار الحق للشيخ رحمت الله بن خليل الهندي ، تحقيق عمر الدسوقي ، مكتبة الوحدة بالمغرب .
- إظهار الحق للشيخ رحمت الله بن خليل الهندي ، تحقيق محمد كمال فراج ، طبعة منارة إظهار الحق ، مصر .
- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام للإمام القرطبي ، طبعة دار التراث العربي ، القاهرة .
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان للعلامة شمس الدين ابن القيم ، تحقيق محمد حامد الفقي ، طبعة دار المعرفة ، بيروت .
- بذل المجهود في إفحام اليهود للسموأل بن يحيى المغربي ، طبعة نيويورك ، ١٩٦٤م .
- التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام للشيخ محمد الغزالي، طبعة دار الكتب الحديثة ، مصر .

- التـوراة بين الوثنية والـتوحـيد لسـهـيل ديب ، الطبعـة الأولى ، ١٤٠١هـ ، دار النفائس ، بيروت .

- التـوراة تاريخـهـا وغـاياتهـا لسـهـيل ديب ، الطبـعـة الرابعـة ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسـيح لشيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية ، طبعة مطابع المجد التجارية .

- الديانات القديمة للشيخ محمد أبو زهرة ، طبعة دار الفكر العربي .

- شـفـاء الغليل في بيـان ما وقـع في التوراة والإنجـيل من التبـديل للدكتور أحمد حجازي السقا ، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية .

- الفـارق بين المخلوق والخـالق لعـبـد الرحـمن باجـه جي زاده ، الطبعة الأولى ، مطبعة الموسوعات .

- مجمـوع فتـاوى شـيخ الإسلام ابن تيـمية جمع وترتيب الشيخ عبد الرحمن بن محمد قاسم ، طبعة ١٣٩٨هـ ، بيروت .

- الفـرقان بين أوليـاء الـرحمـن وأوليـاء الشيطان لشـيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية ، طبعة مطبعة المدني بمصر .

- الفصل في الملل والأهواء والنحل لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم ، طبعة دار المعارف ، بيروت .

- فضائل الإسـلام للشيخ الإمام محـمد بن عبد الوهـاب ، تحقيق الشيخ إسـماعيل الأنصاري وآخـرين ، طبعة جامـعة الإمام محـمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

- محـاضرات في النصرانيـة للشيخ مـحمد أبو زهرة ، طبـعة دار الفكر العربي.

- المسيح إنسان أم إله ؟ لمحمد مجدي مرجان ، طبعة دار النهضة العربية ، مصر .

- المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل لعبد الكريم يونس الخطيب ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٥هـ .

- مقارنة الأديان لأحمد شلبي ، الطبعـة الخامسة ، ١٩٧٨م ، مكتبة النهضة المصرية .

- الملل والنحل للشيخ محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، تحقيق أحمد فهمي ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٨هـ .

- منحة القريب المجيب في الرد على عبـاد الصليب للشيخ عبد العزيز ابن حمـد ابن معمر ، الطبـعة الأولى ، ١٣٥٨هـ ، شركة فن الطبـاعة بمصر .

- منحة القريب المجيب في الرد على عبـاد الصليب للشيخ عبد العزيز ابن حمد ابن معمر ، طبعة دار ثقيف ، الطائف ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

- منهاج السنة النبـوية لشيخ الإسلام تقي الديـن ابن تيمية ، طبـعة مكتبة الرياض الحديثة .

- منهاج السنة النبـوية لشيخ الإسلام تقي الديـن ابن تيمية ، تحـقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، القاهرة ، مطبعة المدني ، ١٣٨٢هـ/ ١٩٨٠م.

- النبوات لشيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية ، طبعة دار الفكر، بيروت .

- النبوة والأنبياء للشيخ محمد بن علي الصابوني ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للدكتور علي سامي النشار ، طبعة دار المعارف بمصر ، الطبعة الثامنة .

- النصرانية والإسلام لمحمد الطهطاوي ، طبعة دار الأنصار، القاهرة .

- هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى للعلامة شمس الدين ابن القيم ، تحقيق أحمد حجازي السقا ، طبعة المكتبة القيمة بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ .

- هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى للعلامة شمس الدين ابن القيم ، تحقيق سيف الدين الكاتب ، طبعة مكتبة الحياة ، بيروت .

٦) كتب الفقه

- إتحاف أهل الإسلام بخصوصيات الصيام لابن حجر الهيثمي ، طبعة المكتبة الحديثة بمكة ، ١٣٨١هـ .

- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوي ، تحقيق محمد حامد الفقي ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٤هـ .

- الدرر السنية في الأجوبة النجدية جمع وترتيب الشيخ عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م .

- زاد المعاد في هدي خير العباد للعلامة شمس الدين ابن القيم ، طبعة دار الفكر .

- عقد الفرائد للشيخ عبد العزيز بن حمد ابن معمر ، الطبعة الثانية ، دار ثقيف ، الطائف .
- كشاف القناع عن متن الإقناع للعلامة منصور بن يونس البهوتي ، طبعة مكة ، ١٣٩٤هـ .
- الكافي للموفق عبد الله بن أحمد بن قدامة ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
- المغني للموفق عبد الله بن أحمد بن قدامة ، طبعة مكتبة الرياض الحديثة .

٧) كتب السيرة النبوية والشمائل

- تهذيب سيرة ابن هشام للشيخ عبد السلام هارون ، تحقيق محمد خليل هراس ، طبعة المجمع العلمي العربي الإسلامي ، بيروت .
- دلائل النبوة لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق السيد أحمد صقر ، طبعة مطابع الأهرام ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م .
- دلائل النبوة لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان ، طبعة دار النصر للطباعة .
- دلائل النبوة للحافظ أبي نعيم الأصبهاني ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٩هـ/ ١٩٧٠م .
- دلائل النبوة ومعجزات الرسول للدكتور عبد الحليم محمود ، طبعة دار الإنسان للتاليف والترجمة بمصر .
- الروض الأنف للإمام عبد الرحمن السهيلي ، تحقيق عبدالرحمن الوكيل ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٧هـ .

- السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، توزيع دار الإفتاء السعودية .

- شرح المواهب اللدنية للإمام محمد عبد الباقي الزرقاني ، الطبعة الأولى ، دار الميرية ، مصر .

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى لأبي الفضل القاضي عياض بن موسي اليحصبي ، تحقيق محمد أمين قرة وآخرين ، طبعة دار الوفاء للطباعة والنشر ، دمشق .

- شمائل الرسول للحافظ إسماعيل بن كثير ، تحقيق مصطفى عبدالواحد ، طبعة عيسي البابي وشركاه ، مصر ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م .

- الشمائل المحمدية للإمام محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق محمد عفيف الزعبي ، الطبعة الأولى .

- معجزات النبي للشيخ عبد العزيز بن محمد السلمان ، الطبعة الثانية عشرة .

- المواهب اللدنية في المنح المحمدية لشهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني ، الطبعة الأولى ، بمصر ، ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٧م .

- نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض لشهاب الدين الخفاجي ، طبعة عام ١٣١٥هـ .

- النور المحمدي لأحمد فهيم مطر ، مطابع الناشر العربي ، مصر .

٨) كتب التاريخ

- أخبار الدول وآثار الأول لأحمد بن يوسف القرماني، طبعة بيروت ، عالم الكتب .
- الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ التاريخ لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، طبعة مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٣٤٩هـ .
- البداية والنهاية للحافظ إسماعيل بن كثير ، الطبعة الثالثة ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٨٠م .
- تاريخ الأدب العربي لكارل بركلمان ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر.
- تاريخ الإسلام لعصام الدين عبد الرؤوف .
- تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، طبعة دار سويدان ، بيروت .
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، الطبعة الأولى .
- تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ، طبعة جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية .
- تاريخ حمد بن لعبون لمحمد بن محمد بن لعبون الوائلي ، الطبعة الأولى ، ١٣٥٧هـ ، مطبعة أم القرى ، مكة .
- تاريخ الشعوب الإسلامية لكارل بركمان ، الطبعة الخامسة .
- تاريخ نجد (روضة الأفكار والأفهام) للشيخ أبي بكر حسين بن غنام ، تحقيق ناصر الدين الأسد ، الطبعة الأولى ، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م ، مطبعة المدني بمصر .

- التعليم في نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب للدكتور عبدالله بن يوسف الشبل .
- جامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله الهمذاني ، الطبعة الأولى .
- دول العالم الإسلامي في العصرالعباسي لرشيد رضوان وحامد سعيد، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض .
- الدولة السعودية الأولى للأستاذ عبد الرحيم عبد الرحمن عبدالرحيم ، طبعة معهد البحوث والدراسات العربية ، مصر .
- الدولة العثمانية لعلي حسون .
- الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد بك حلمي ، طبعة عام ١٣٩٧هـ .
- الدويلات الإسلامية في الشرق لمحمد علي حيدر، طبعة عام ١٩٧٣م، عالم الكتب .
- سقوط الدولة العباسية للدكتور سعد الغامدي ، الطبعة الأولى .
- السلوك لمعرفة دول الملوك لأحمد بن علي المقريزي ، الطبعة الأولى، بالقاهرة ، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م .
- السلاجقة في التاريخ والحضارة لأحمد كمال الدين سلمي ، الطبعة الأولى .
- الشعوب الإسلامية للدكتور عبد العزيز نوار .
- عنوان المجد في تاريخ نجد للشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر ، الطبعة الثالثة ، مطابع القصيم ، الرياض .

- عنوان المجد في تاريخ نجد للشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر ، تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، طبعة وزارة المعارف بالسعودية .

- الغزو العثماني لمصر لمحمد الرافد .

- قيام الدولة العثمانية لمحمد فؤاد كوبريلي .

- الكامل في التاريخ لأبي الحسن محمد بن محمد بن الأثير ، طبعة دار صادر ، بيروت .

- من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي لمحمد أديب غالب ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م .

- من وثائق شبه الجزيرة في عصر محمد علي للأستاذ عبدالرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، طبعة مطابع الجبلاوي بمصر .

- مواطن الشعوب الإسلامية في آسيا (إيران) للأستاذ محمود شاكر، الطبعة الأولى ، المكتب الإسلامي بيروت .

- نجد الحديثة وملحقاتها لأمين الريحاني ، طبعة دار الريحاني ، بيروت .

٩) كتب النصارى

- إنجيل برنابا تحقيق سيف الله أحمد فاضل ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م ، دار القلم بالكويت

- إيماننا الحي للآب روبير كليما اليسوعي وآخرين ، طبعة دار المعارف بمصر.

- بشارة متى اتحاد جمعيات الكتاب المقدس ، بيروت ، ١٩٧٨م .

- تاريخ الأقباط في مصر للدكتور زكي شنودة ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٤م ، دار الكرنك ، القاهرة .
- التوراة والإنجيل (العهد القديم والعهد الجديد) ، طبعة دار الكتاب المقدس بالعالم العربي، بيروت ، ١٩٨٢م .
- حياة بطرس تأليف أ ف ب ماير ، ترجمة مرقس داود ، طبعة مكتبة المحبة بالقاهرة .
- حياة قسطنطين بقلم يوسابيوس القيصري ، طبعة مكتبة المحبة، القاهرة.
- روحانية الصوم للبابا شنودة الثالث ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٣م .
- سفر المزامير تعريب محمد الصادق حسين والآب س دي بوركي الدومنكي ، الناشر دار السلام .
- فهرس الكتاب المقدس [1] للدكتور جورج يوست ، الطبعة الرابعة ، ١٩٦٩م ، بيروت .
- مارجرجس المزاحم للقمص بيشوى عبدالمسيح ، طبعة مكتبة المحبة بالقاهرة .
- المجتمع القبطي في مصر لرياض سوريال ، طبعة مكتبة المحبة ، القاهرة .
- المجيء الثاني للقمص إبراهيم جبره .
- المشرع للقس بولس سباط ، الطبعة الثانية .

---

(١) الكتاب المقدس : هكذا أطلق عليه مؤلفه ، وهو نصراني يعتقد قداسة ما فيه . والواقع أنه غير مقدَّس ؛ لأنه من كلام البشر ، وقد حوى من التبديل والتغيير والتحريف وسبِّ الله وأنبيائه ورسله ما يُبعِده عن الطهارة والقداسة . سبحانك هذا بهتان عظيم .

- مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن ، نسخة المكتبة البريطانية في لندن .

- مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن ، نسخة مكتبة جامعة ليدن بهولندا .

- نظم الجوهر لسعيد بن البطريق المتطبب ، مخطوط المكتبة الأهلية في باريس - فرنسا .

- نظم الجوهر (التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) لسعيد ابن البطريق ، طبعة بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٥م .

- اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنسية للقمص يوحنا سلامة ، الطبعة الرابعة ، مكتبة مارجرجس مصر .

١٠) كتب التراجم

- أدب الشافعي ومناقبه للحافظ عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق عبدالغني عبدالخالق ، طبعة مطبعة السعادة .

- الأعلام لخير الدين الزركلي ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٩م ، بيروت، دار العلم للملايين .

- البدر الطالع من بعد القرن السابع للعلامة محمد بن علي الشوكاني ، الطبعة الأولى بمصر ، ١٣٤٨هـ .

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم أحمد بن محمد الأصبهاني ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٧هـ .

- روضة الناضرين للشيخ محمد بن عثمان القاضي ، طبعة دار العلوم ، الرياض .

- سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ، مؤسسة الرسالة .

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبدالحي بن العماد الحنبلي، طبعة المكتب التجاري ، بيروت .

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للإمام محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، طبعة القاهرة ، ١٣٥٤هـ ، مكتبة القدس .

- طبقات فحول الشعراء لمحمد سلام الجمحي ، تحقيق محمود شاكر، طبعة مطبعة المدني بمصر .

- علماء نجد خلال ثمانية قرون ، للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ ، دار العاصمة ، الرياض.

- علماء نجد خلال ستة قرون للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام، الطبعة الأولى ، مطبعة النهضة .

- لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب مجهول المؤلف ، تحقيق أحمد مصطفى أبو حاكمة .

- مشاهير علماء نجد وغيرهم للشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ ، طبعة دار اليمامة بالرياض .

- معجم الأدباء لياقوت الحموي ، طبعة دار المأمون ، القاهرة .

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لشمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، طبعة دار الثقافة، بيروت.

١١) المعجمات والقواميس

- القاموس المحيط للفيروزآبادي ، الطبعة الثانية ، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م ، طبعة عيسى البابي الحلبي بمصر .

- لسان العرب لابن منظور، ترتيب يوسف خياط، ونديم مرعشلي، دار لسان العرب ، بيروت .

- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٧م ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

- المختار من صحاح اللغة لمحمد محيي الدين عبد الحميد ، ومحمد عبداللطيف السبكي ، طبعة مكتبة الاستقامة ، القاهرة .

- معجم البلدان لشهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي ، طبعة دار صادر ، بيروت .

- معجم اليمامة للشيخ عبدالله بن محمد بن خميس ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ، مطابع الفرزدق بالرياض .

١٢) المعارف العامة :

- حياة الحيوان الكبرى لكمال الدين محمد موسى الدميري ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م ، طبعة عيسى البابي وشركاه ، مصر .

- دائرة المعارف لبطرس البستاني ، طبعة بيروت ، دار المعرفة .

- دائرة المعارف الإسلامية ، تعريب محمد ثابت أفندي وآخرين ، طبعة طهران - إيران

١٣) دواوين الشعر :

- جمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد القرشي ، طبعة دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٣هـ .

- جواهر الأدب لأحمد الهاشمي ، الطبعة ٢٧ ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

- ديوان المعري (اللزوميات) لأمين عبدالعزيز الخانجي ، طبعة مكتبة الهلال ، بيروت .

- ديوان ابن مشرف للشيخ أحمد بن علي بن مشرف ، طبعة مكتبة الفلاح بالرياض .

- الشعر والشعراء لابن قتيبة، تحقيق أحمد شاكر، طبعة دار المعارف بمصر.

١٤) بحوث علمية :

- تقرير عن كتاب " هوقودي قروت " إعداد " يوكا سبانس " المعيدة بكلية اللاهوت بهولندا ، قدمته إلى الكلية عام ١٩٨٢م ، مطبوع مؤقتاً باللغة الهولندية ، وعُرِّب لي شخصياً .

- دراسات في الفرق المسيحية ، إعداد سعاد مدثر علي ، الطالبة بكلية البنات بالأزهر ، مطبوع مؤقتاً .

- مذكرة بعنوان " سقراط " ، إعداد الدكتور عبدالسلام عبدالسلام محمد عبده ، مطبوع مؤقتاً .

- بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب المنعقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٠هـ ، مطبوع .

١٥) الصحف والمجلات :

- جريدة الرياض العدد ٥٤٩٤ في ٢١ رمضان عام ١٤٠٣هـ .

- مقال بعنوان " جواثا منارة الإسلام في الشرق " ، بقلم الأستاذ عبدالله بن أحمد الشباط .

- مجلة دارة الملك عبدالعزيز العدد الرابع من السنة الرابعة ، محرم عام ١٣٩٩هـ .

- بحث بعنوان " قضاة نجد أثناء العهد السعودي " ، للأستاذ منصور بن عبدالعزيز الرشيد .

- مجلة العرب ، الجزآن الخامس والسادس ، من السنة السابعة عشرة في ذي القعدة وذي الحجة عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

- محاضرة بعنوان " علماء الأحساء ومكانتهم العلمية والأدبية " ، للأستاذ أحمد بن علي آل مبارك .

تاسعاً :

فهـرس الموضـوعـات

الموضـــوع	الصفحـة
مقدمة	٥
مقدمة المحقق	٧
التمهيد لموضوعات الكتاب	١٢
القسم الأول : الدراسة	
أ - حياة المؤلف	
عصر المؤلف	٢١
نسبه	٢٢
مولده	٢٨
شيوخه	٢٩
علمه	٣٠
أمثلة من فتاواه الفقهية	٣١
الجانب الأدبي لدى المؤلف	٤١
نماذج من أشعاره	٤٢
جلوسه للتدريس وتلاميذه	٥٠
عمله في القضاء	٥١
مؤلفاته	٥٣
انتقاله من نجد إلى البحرين ووفاته ومراثيه	٥٧

الموضوع	الصفحة
ب - التعريف بالكتاب	
عنوان الكتاب وصحة نسبته إلى مؤلفه	٦٥
سبب تأليفه	٦٧
مكانته بين كتب الردود على أهل الكتاب	٧٢
منهج المؤلف في الكتاب	٨٠
أهم مراجع المؤلف	٨٦
عرض موجز عن مباحث الكتاب	٩١
ج - منهج تحقيق الكتاب	١٠٩
القسم الثاني :	
كتاب "منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب" محققا	
مقدمة المؤلف	١٣٧
وصف المؤلف لكتاب النصراني	١٤٣
المقام الأول	
اختلاف النصارى في أمر دينهم	١٤٥
تحريف النصارى لدينهم	١٥٦
مجامع النصارى	
مجمع نيقية سنة ٣٢٥م	١٦١
مجمع قسطنطينية الأول سنة ٣٨١م	١٦٣

الموضـــوع	الصفحـة
مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م	١٦٥
مجمع أفسس الثاني سنة ٤٤٩م	١٦٧
مجمع خلقدونية سنة ٤٥١م	١٦٩
مجمع قسطنطينية	١٧٠
مجمع قسطنطينية سنة ٥٥٣م	١٧٣
مجمع قسطنطينية سنة ٦٥٣م	١٧٤
مجمع قسطنطينية سنة ٦٨٠م	١٧٧
حال النصارى بعد المجامع	١٧٨
تقييم النصارى بعد المجامع	١٧٩
حاجة الناس إلى بعثة محمد ﷺ	١٨٧
موافقة الإسلام للشرائع السماوية	١٩٦
الإنذار بخروج الأمر من العرب إذا خالفوا أمر الله	١٩٩
المسلمون لم يحاربوا الترك بل حاربوا التتار	٢٠٧
المقام الثاني	
رفض دعوى النصارى قتل المسيح وصلبه	٢١٧
نزول عيسى في آخر الزمان	٢٢٦
شك النصارى في كتبهم	٢٢٩
إتقان علماء المسلمين لرواية الحديث عن الرسول ﷺ	٢٣١
أمثلة من اختلاف كتب النصارى	٢٣٣

الموضـــوع	الصفحـة
القطع بصحة القرآن وأنه كما جاء عن الله	٢٣٥
دعوى قتل المسيح وصلبه تنافي دعوى ألوهيته	٢٣٨
القرآن مصدق لما بين يديه من الكتب ومهيمن عليها	٢٣٩
مزج أهل الكتاب أخبارهم بكتب أنبيائهم	٢٤٢
تحريف النصارى صفة محمد وأدلة رسالته	٢٤٧
صفته في التوراة	٢٥٥
صفته في الإنجيل	٢٥٩
أدلة رسالته في الإنجيل	٢٦٣
أدلة رسالته في التوراة	٢٨١
اعتراف أهل الكتاب برسالته	٢٨٥
المقام الثالث	
دفع شبه النصارى حول تفضيل عيسى على محمد - عليهما السلام -	٣٠١
ما فُضِّل به محمد ﷺ	٣٠٢
خلقه ﷺ	٣٠٧
ترفعه عن ملاذ الدنيا	٣١٢
هديه في النكاح	٣٢٤
جاه رسول الله ﷺ ومكانته في قلوب الناس	٣٣٠
من ولد من غير أب أو أم لا يكون أفضل من غيره	٣٣٥
عقيدة المسلمين في عيسى - عليه السلام -	٣٤٥

الموضــــوع	الصفحـة
عقيدة النصارى في عيسى - عليه السلام -	٣٤٩
دعوى النصارى أن المسيح ابن الله والرد على ذلك	٣٦١
دعوى النصارى ألوهية المسيح والرد على ذلك	٣٦٩
شبهة النصارى حول مشروعية الجهاد في الإسلام والرد عليها	٤٠١
رفع عيسى إلى السماء لا يؤدي إلى تفضيله على محمد	٤٠٩
وجوب اتباع ما جاء به محمد ﷺ	٤١٣
ثبوت وقوع معجزات النبي محمد ﷺ وأدلة صحة رسالته	٤١٩
وجوه إعجاز القرآن الكريم	٤٢٥
القرآن آية باقية ما بقيت الدنيا	٤٤٧
انشقاق القمر	٤٥٣
إخباره ببعض المغيبات	٤٦١
تكليم الجماد له	٤٨٤
نطق الحيوانات له	٤٨٩
نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره	٤٩٣
تكثير الطعام	٤٩٧
إجابة دعائه	٥٠٢
إبراء ذوي العاهات	٥٠٧
عصمة الله له ، وحمايته من الناس	٥١١
صحة وقوع معجزاته ﷺ	٥١٧

الموضـــوع	الصفحـة
الأدلة على صدق معجزات النبي ﷺ	٥٢٥
إثبات نبوة موسى وعيسى بنبوة محمد - عليهم السلام -	٥٣٠
معجزات الرسل لا تقتصر على حالة التحدي	٥٣٣
معجزات الرسل لا تكون للمتعنت	٥٣٤
الكلام في النبوة من جنس الكلام في الخبر	٥٤٩
الصدق والكذب يظهر أثرهما على الوجه	٥٥٤
قصة هرقل مع أبي سفيان بن حرب ودلالتها على صدق رسالة محمد ﷺ	٥٦٣
المقام الرابع	
ما قاساه المسلمون في سبيل نشر دينهم	٥٦٩
بعض كرامات أتباع رسول الله ﷺ	٥٧٩
الفرق بين كرامات الأولياء والأحوال الشيطانية	٥٩٢
الإرهاصات التي ظهرت بين يدي بعثة محمد ﷺ	٥٩٧
تحقيق وقوع وعد الله تعالى لنبيه بالنصر	٦٠٠
وقوع الفتوحات الإسلامية خارقة للعادة	٦٠١
تأييد الله لرسوله وتمكينه في الأرض	٦٠٣
انتصار الكفار في بعض المواطن لا يعد حجة على نصر الله للأنبياء	٦٠٩
الدروس المستفادة من وقعة أحد	٦١١
الحكمة من مشروعية الجهاد في الإسلام	٦١٩
الحكمة من مشروعية الجزية في الإسلام	٦٢٧

الموضــــوع	الصفحــة
عموم رسالة محمد ﷺ	٦٣١
المقام الخامس	
شريعة الإسلام أكمل الشرائع	٦٣٣
المحدثات التي ابتدعها النصارى في دينهم :	٦٤١
أ - سجودهم للصور	٦٤١
ب - صلاتهم بدون طهارة	٦٤٤
جـ - اتجاههم في صلاتهم إلى جهة المشرق	٦٤٤
د - التصليب عند بدء الصلاة	٦٤٥
هـ - الزيادة في فريضة صومهم	٦٤٦
و - ابتداعهم أعياداً لا أصل لها	٦٤٧
ز - ظهور بدعة الصليب وتعظيم النصارى له	٦٤٨
ضرب من حيل النصارى	٦٥٦
حث الإسلام على العفو عن القصاص	٦٦٣
إباحة الطلاق في الإسلام	٦٦٧
فوائد إباحة تعدد الزوجات	٦٦٩
أصول الدين الإسلامي	٦٧٣
الختان من ملة إبراهيم - عليه السلام -	٦٨٠
الحكمة في تحريم أكل الخنزير	٦٨٣
الحكمة في تحريم شرب الخمر	٦٨٦

الموضـــوع	الصفحـة
أوجه الكمال في الشريعة الإسلامية	٦٩١
وقوع النسخ في الشرائع المتقدمة	٦٩٣
بطلان دعوى ختم النبوة بالمسيح - عليه السلام -	٦٩٦
الأصول التي اتفقت عليها الشرائع السماوية	٦٩٨
الفهارس العامة	
فهرس الآيات القرآنية	٧٠٣
فهرس الأحاديث النبوية والآثار	٧٢٧
فهرس الأعلام	٧٥٥
فهرس الأماكن	٧٩١
فهرس الكتب	٨٠١
فهرس الفرق	٨٠٩
فهرس الأشعار	٨١١
الفهرس العام للمصادر والمراجع	٨١٣
فهرس الموضوعات	٨٣٧

طبع بمطابع الناشر العربي
تلفون : ٢٧٤ ٢٦٤٤ - ٢٧٤ ٢٦٤٥
فاكس : ٢٧٤ ٢٦٤٧

مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية

١٣١٩ - ١٤١٩ هـ

جاءت فكرة الاحتفال بمناسبة مرور مائة عام على دخول الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود - يرحمه الله - مدينة الرياض ، وتأسيس المملكة العربية السعودية ؛ تأكيداً لاستمرار المنهج القويم والمبادئ السّامِيَة التي قامت عليها المملكة ، ورصداً لبعض الجهود المباركة التي قام بها المؤسس الملكُ عبدُ العزيز في سبيل توحيد المملكة ؛ عرفاناً بفضله ، ووفاءً بحقِّه ، وتسجيلاً لأبرز المكاسب والإنجازات الوطنية التي تحقَّقت في عهده وعهد أبنائه خلال المائة عام ، والتعريف بها للأجيال القادمة .

وما الأعمال العلمية التي تُصدرها الأمانة العامة للاحتفال بهذه المناسبة - وهذا الكتاب أحدها - إلا شواهد صادقة على نهضة هذه البلاد الزاهرة في ظل دوحة علم ؛ أصولها ثابتة ، وفروعها نابتة . تولّى غرسها الملك المؤسس ، وتعهّدها من بعده بنوه ؛ فواصلوا رعايتها ، وعنُوا بخدمتها حتى عمَّ البلادَ خيرُها ، وانتفع بها الجميع .

ردمك : ٤-٤٩-٦٦٠-٩٩٦٠ (مجموعة)

٨-٥٠-٦٦٠-٩٩٦٠ (ج ١)